السيرة المطهرة

بقلم: مصطفى ثابت

السيرة المطهرة

بقلم: مصطفى ثابت

Al Seerah Al Moṭahharah

This is the first book in Arabic on the life of Hadhrat Promised Messiah[as] in which the author has given detailed account of the life of the founder of the Ahmadiyyah Muslim Jama'at.

Moreover the author has discussed to some extent, the history, and beliefs of the Community as well as giving replies to some important contentious issues.

Thus, in addition to being a biography of Hadhrat Promised Messiah[as] the book has become a useful document to introduce the Ahmadiyyah Muslim Jama'at.



تصميم الغلاف: جعفر عودة

الســيرة المطهّــرة

بقلم

مصطفى ثابت

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتاب: السيرة المطهرة

(سيرة حياة حضرة مرزا غلام أحمد ، المسيح الموعود والإمام المهدي، مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية)

بقلم: مصطفى ثابت

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م

طبع في المملكة المتحدة

الرقم الدولي: ١ ٦٤٥ ٨٥٣٧٢ ١

Al-Seerah Al- Moṭahharah

(Biography of Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad[as], the Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Aḥmadiyyah Muslim Jamā'at)

By: Mostafa Sabet

First Published in UK in 2006 By:

Al-Shirkatul Islamiyyah
Islamabad
Sheep hatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

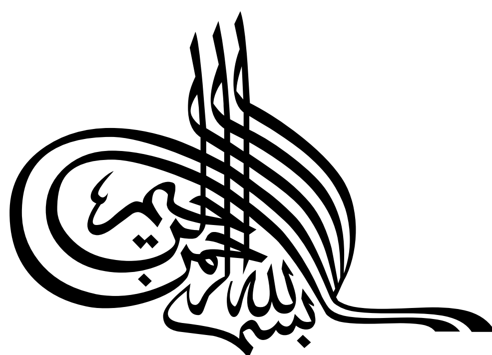
Printed and bound in Great Britain by:
William Clowes Ltd, Beccles, Suffolk

ISBN: 1 85372 645 1



سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله تعالى الذي يعلم خفايا القلوب، وسرائر النفوس، وحقيقة الأمور، وهو الذي يكشف السوء، ويدمغ الباطل فإذا هو مغلوب زاهق، وينصر الحق فإذا هو عليّ شاهق. والصلاة والسلام على خير رسل الله وخاتم أنبيائه، الذي شاد قصر الحق وعلاّه، وأقام بنيان الدين وسوّاه، ونشر الإسلام بصدقه وتقواه، وبعد.

فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية هي الجماعة التي أسسها عام ١٨٨٩م الموافق ١٣٠٦هـ مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام (١٨٣٥- ١٩٠٨)، وهو الذي أعلن أنه الإمام المهدي الذي تحدث رسول الله ﷺ عن مجيئه في آخر الزمان. كما ذكر المؤسس أيضا أنه في شخصه قد تحققت النبوءات عن نزول المسيح بن مريم عليه السلام الذي ينتظره كلٌّ من المسلمين وأهل الكتاب من المسيحيين واليهود. كذلك صرّح مؤسس الجماعة بأنه يُحقق أيضا كل النبوءات التي جاءت في مختلف الأديان عن ظهور مجدد عظيم في آخر الزمان.

وحيث إن حياة كل إنسان من البشر لا بد وأن تنتهي يوما ما، فقد أمر الله تعالى الإمام المهدي عليه السلام أن يؤسس جماعة من المؤمنين، لكي تحمل هذه الجماعة مشعل الإسلام من بعده، وتنشر نوره وضياءه في العالم أجمع. وقد أعز الله تعالى بفضله هذه الجماعة المباركة، فانتشرت في جميع القارات الست المسكونة، ويتواجد أفرادها الآن فيما يقرب من مئة وثمانين دولة من دول العالم.

وقد قامت الجماعة الإسلامية الأحمدية بتقديم الخدمات والتضحيات من

أجل نشر الإسلام في ربوع العالم، ورفضت أن تمد يدها لأحد مستجدية للعطاء والإحسان، كما أنها أبت أن تطأطئ رأسها لمخلوق كي يتحكم فيها ويملي عليها إرادته. وحيث إن مؤسسها قد أعلن أنه المسيح الموعود لهذه الأمة، وهو الذي سوف يكسر الصليب حسبما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة، كما أعلن أنه الإمام المهدي الذي سوف ينشر الإسلام الصحيح في أركان الأرض، فقد كان من الطبيعي أن تتحد ضد هذه الجماعة جميع قوى الشر والطغيان والفساد في العالم، وقد استقطبت هذه القوى العالمية بعض القادة والعلماء من المسلمين، الذين لم يفهموا حقيقة معتقدات هذه الجماعة، فشنوا عليها حملة شعواء من الاتهامات الباطلة، والدعاوى المزوّرة، والفتاوَى الكاذبة، حتى يصرفوا عنها القاعدة العريضة من المسلمين المخلصين. وصاحَبَ كلَّ ذلك حملةٌ خبيثة في وسائل الإعلام تُصوّر الإسلام بصورة كريهة حتى ينصرف عنه ويأنف منه غير المسلمين. وقد نجحت قوى الشر والتحكم في العالم، لفترة من الوقت، في أن تفرض تعتيما إعلاميا على الجماعة الإسلامية الأحمدية في بعض الدول الإسلامية، كما أنها استغلت بعض أنظمة الحكم الموالية لها لكي تعمل على محاربة هذه الجماعة والقضاء عليها.

وحيث إن الموارد المالية لهذه الجماعة كانت محدودة، لأنها لا تأتي إلا من جيوب أفرادها ومن ثمرات تضحياتهم، فلم تكن تسمح تلك الموارد، في أول الأمر، بنشر الكثير من الكتب المطلوبة بالعديد من اللغات التي يتحدث بها أكثر المسلمين مثل اللغة العربية والفارسية والأندونسية واللغات الهندية والأفريقية وغيرها.. ورغم أن الجماعة قد قامت بالفعل بنشر الكثير من الكتب في تلك اللغات، إلا أن الحاجة إلى المزيد والمزيد لم تنقطع بل تزايدت. ولذلك فإنه مما يُسعد الجماعة الإسلامية الأحمدية أن تقدم للقراء العرب هذا الكتاب القيّم عن حياة وسوانح مؤسس الجماعة، لكي يعرف القراء العرب حقيقة ذلك الإنسان العظيم الذي اختاره الله تعالى ليكون الإمام المهدي

المنتظر، والذي جعله مثيلا للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وأمره لكي يقوم بالدفاع عن الإسلام ضد كل مخالفيه ومعارضيه وأعدائه الذين يبتغون أن يقضوا عليه قضاء مبرما، بأساليبهم الخبيثة وحِيَلهم المستترة خلف بعض العباءات الإسلامية، وجنّدوا في سبيل ذلك جميع وسائل الإعلام التي تحت نفوذهم، واستمالوا بعض العمائم بالدولارات الخضراء والريالات البترولية، حتى يكون هؤلاء أبواقا لهم تردد ما يريدونه هم من الإفك والبهتان.

غير أنه إحقاقا للحق، لا بد من التنويه هنا بأنه ليس كل من اختلف مع الجماعة الإسلامية الأحمدية وعارضها هو من هؤلاء الموتورين، الذين أسلموا قياد أنفسهم وباعوا ضمائرهم لقوى الشر والتحكم العالمية، وإنما هناك الكثير من الشرفاء والمخلصين، الذين لم يسمعوا سوى من بوق واحد، ولم يقرأوا سوى عن جانب واحد، فكان أن اقتنعوا بما سمعوه، وقبلوا كل ما قرأوه، فهم مخلصون في معارضتهم، وهم صادقون في مخالفتهم لهذه الجماعة. وإلى هؤلاء.. نقدم هذا الكتاب، ليسمعوا الجانب الآخر من حقيقة الأمر، وليقرأوا الوجه الآخر من صدق الواقع.

ونحن نهيب بكل هؤلاء المعارضين الشرفاء والمخالفين المخلصين، أن يتوجهوا إلى الله تعالى، لأنه هو الحق المطلق، وهو الذي يعلم حقيقة كل أمر، فيسألوه.. ويدعوه مُلِحّين ومتضرعين، أن يكشف لقلوبهم الحقيقة، ويهديهم إلى طريق الحق الذي يرتضيه لهم، ونحن على أكمل وأتم يقين، أنه إذا خلصت النية واستقام القلب، فلسوف يرون بأنفسهم صدق هذه الجماعة المباركة، وسيغمر قلوبهم اليقين بصدق مؤسسها عليه السلام.

لقد كان شرف تأليف هذا الكتاب القيم من نصيب الأستاذ مصطفى ثابت المحترم، فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء.

كما ساهم في إخراج هذا العمل المبارك والعظيم كل من السادة الأفاضل: جميل الرحمن رفيق، مبشر أحمد كاهلون، ظفر أحمد ظفر، فلاح الدين عودة،

تميم أبو دقة، عبادة بربوش، هاني طاهر، حسام النقيب، عبـــد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، نصير أحمد قمر، الحافظ عبد الحي بهتي، وعبد المؤمن طاهر، فجزاهم الله جميعا أحسن الجزاء.

عسى الله تعالى أن ينفع المخلصين من قراء العربية بهذا الكتاب، ويشرح صدور الشرفاء لقبول الحق، وهو سبحانه وتعالى من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

نحمد الله تبارك وتعالى ونشهد أن لا إله إلا هو.. يهدي من يشاء أن يهتدي إلى الصراط المستقيم، ويضل من يشاء الضلالة متعاميا عن رؤية سبيل الحق القويم. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين، بلّغ دعوته إلى أهل الأرضين، وأدّى رسالته بالحق واليقين، فكان رحمة لكل العالمين، وهُدًى ونُورا لجميع المؤمنين، اللهم فصل عليه وعلى أتباعه المخلصين، وزده رفعة وفضلا إلى يوم الدين.

وبعد.. فإني أحمد الله تعالى أن مكنني من استكمال هذا الكتاب لتقديمه إلى القراء العرب، وهو الكتاب الذي يتناول حياة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام. ولعل نشر هذه الصفحات يحقق فائدة تنفع بعض الناس، وتعين بعض الباحثين عن الحق في هذا الزمن العصيب.. الذي ظهر فيه الباطل وعلا، وانتشر فيه الجور والظلم قد طغى، وفرضت قوى البغي والطغيان تعتيما إعلاميا على الحق حتى لا يرى الناس نور الحق والهدى، فآثرتُ أن أقدم هذا الكتاب حتى ينفع الله به من يبتغي صراط الله المستقيم، وينشد معرفة الحق القويم.

غير أنه لا بد من الاعتراف بأن هذا الكتاب ليس من تأليفي ولا نتاج قريحتي، فإن أحدا لا يستطيع أن يؤلف وقائع حياة لشخصية عظيمة جليلة، تركت أثرها على حياة الملايين من الناس. فليس لي فضل تأليف هذا الكتاب، بما حواه من معلومات وما شمله من بيانات، وإنما الفضل كل الفضل لله تعالى الذي وفقني إلى بعض الكتب القيّمة، فنقلت منها للقارئ العربي الكثير مما جاء فيها باللغة الإنجليزية أو العربية، وأخص بالذكر الكتاب العظيم الذي كتبه

سيدنا بشير الدين محمود أحمد ﷺ.. في رسالة وجهها إلى أمير أفغانستان، ونُشرت ترجمته إلى اللغة العربية تحت اسم "الدعوة إلى الحق". ثم الكتاب الذي قمت بترجمة الكثير والكثير منه، وهو الذي كتبه أحد صحابة الإمام المهدي عليه السلام، ونشره باسم: "الأحمدية.. بعث الإسلام"، لمؤلفه العظيم السيد محمد ظفر الله خان ﷺ. ثم كتاب: "حياة أحمد" الذي كتبه بالإنجليزية الأستاذ عبد الرحيم درد ﷺ الذي كان إماما لمسجد لندن. والعديد من الكتب والمراجع الأخرى التي يجد القارئ سجلا بأسمائها في نهاية هذا الكتاب.

وما حداني لتقديم هذا الكتاب للقراء العرب هو الحديث الشريف لسيدنا رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له". وكان الطبيب قد أخبرني في عام ١٩٩٢ أني مريض بالسرطان، وسرطان الدم بالذات، وهو المرض المعروف باسم "اللوكيميا". وهذا المرض قد يصيب الصغار والكبار، ولا يوجد لهذا المرض من علاج سوى تغيير جميع النخاع الذي في عظام المريض، وهي عملية جراحية ترتفع نسبة نجاحها كلما قَلّ عمر المريض، وكلما زاد عمر المريض قَلّ احتمال نجاح هذه العملية، حتى إن حكومة كندا، التي أعيش فيها، لا تسمح بإجراء هذه العملية في مستشفياتها لمن تجاوزوا الخامسة والخمسين من العمر. ولما كنت قد تجاوزت هذا القدر من السنين، صار احتمال نجاح هذه العملية شبه معدوم. وبعد استشارة سيدنا خليفة المسيح أيده الله تعالى بنصره العزيز، وهو بمثابة الأب الروحي من حيث إنه إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، قررت أخذا بنصيحته عدم إجراء هذه العملية الجراحية، وانتظرت قضاء الله تعالى، فهو وحده الذي بيده الشفاء، ويستطيع إذا شاء، أن يشفي المريض حتى بغير الدواء.

وقد اعتبرت هذا المرض بمثابة رسالة لي من الله تعالى لكي أستعد لمغادرة هذه الحياة في أية لحظة. ونظرت في صحيفة أعمالي التي سوف ألقى الله

عليها، فإذا هي مثقلة بالذنوب والآثام، وأدركت أني من الهالكين إلاّ أن يتغمدني الله برحمته، ويغفر لي بفضله وإحسانه، وهو سبحانه الغفور الكريم، كما أنه هو أرحم الراحمين. وخطر في قلبي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، ولكن.. أين لي بالعمر الذي يكفي لإزالة آثار جميع تلك السيئات التي تشوب صحيفة أعمالي؟ وأدركت أن على المرء أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح، والله تعالى ذو الفضل العظيم، وهو الذي يستطيع أن يغفر جميع السيئات من أجل حسنة واحدة طيبة. فهو الذي غفر جميع ذنوب إحدى البغايا، بسبب عمل واحد صالح، وهو أنها كانت عطشى وتكاد تموت من العطش، فمرت على بئر بها بعض الماء، ولكن البئر كانت عميقة ونزولها فيها قد يُعرضها للموت، غير أن داعي العطش دفعها أن تخاطر بحياتها لكي تطفئ غلواء عطشها، حتى إذا ما شربت وارتوت استطاعت أن تتسلق عائدة إلى سطح الأرض مرة أخرى. وهنا رأت كلبا يلهث من العطش، وخطر ببالها أن هذا الكلب يعاني من العطش مثلما كانت هي تعاني من قبل. فقررت أن تخاطر بحياتها مرة أخرى، ونزلت إلى البئر وملأت حذاءها بالماء ليشرب منه الكلب. وإزاء هذا العمل وحده.. غفر الله لها، وسبحانه هو واسع المغفرة.

ولما خطر على بالي حديث سيدنا رسول الله ﷺ المشار إليه عاليه، عن انقطاع عمل الإنسان بعد وفاته إلا من ثلاث، أدركت أني لا أملك ثروة مالية تكفي لكي أترك من ورائي صدقة جارية، والولد الصالح مهما تذكر أباه بالدعوات فهو مآله أيضا إلى الموت فتنقطع بذلك الدعوات الصالحة، وعلى هذا لا يبقى سوى "العلم الذي يُنتفع به". ولهذا فكرت في تقديم هذا الكتاب إلى القراء العرب، لعل الله يجعله سببا لمغفرة خطيئاتي. فعكفت على ترجمة بعض الصفحات من كتاب السيد ظفر الله خان: "الأحمدية.. بعث الإسلام"، ولكن الترجمة كانت تتم ببطئ شديد، وبعملية حسابية بسيطة.. أدركت أني بحاجة إلى العديد من السنين حتى أستكمل هذا العمل.

وحيث إن عامل الوقت كان ذا أهمية كبرى بالنسبة لي، فقد تركت الترجمة وأقبلت على مجال الدعوة والتبليغ، عملا بقول رسول الله ﷺ: "لأن يهديَ الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها". فكنت أقوم بإلقاء بعض المحاضرات عن الإسلام باللغة الإنجليزية في بعض الجامعات، وفي غيرها في بعض المناسبات، وكذلك كنت ألقي بعض المحاضرات على الإخوة العرب باللغة العربية. وفي عام ١٩٩٤ دُعيت إلى إلقاء محاضرة على بعض العرب المقيمين بمدينة "وندسور" في كندا، وهي المقابلة لمدينة ديترويت الأمريكية. وبعد المحاضرة سألني أحد الإخوة العرب عما إذا كان يوجد كتاب باللغة العربية يُعرّف القراء العرب عن حياة وسيرة الإمام المهدي. فقلت له إنه يوجد بعض الكتب باللغة الإنجليزية. فسألني: ولماذا لم تُترجَم هذه الكتب إلى اللغة العربية؟ فقلتُ: تعال ضع يدك في يدي، ولنترجم سويا هذه الكتب إلى اللغة العربية. فقال أنت من هذه الجماعة وهذه مسؤوليتك. وشعرت في تلك اللحظة كأن الله تعالى قد أرسل هذا الشخص العربي الذي لا أعرفه، لكي يوجهني مرة أخرى إلى أعمال الترجمة وتقديم هذا الكتاب، فعكفت على هذا العمل، حتى شاء الله تعالى له أن يتم هذا العام (١٩٩٧).

وليس من الممكن بطبيعة الحال تقديم كل أعمال وسيرة الإمام المهدي عليه السلام في كتاب واحد، فكان لا بد من ترك الكثير من الوقائع والحادثات. وحيث إن المكتبة العربية كانت تفتقر إلى مثل هذا الكتاب، فقد آثرت أن أقدم بعض اللمحات من السيرة المطهرة، حتى يمكن أن أضع بين أيدي القراء العرب هذا الكتاب، سائلا المولى سبحانه أن يأتي من بعدنا من يستطيع أن يقدم المزيد من السوانح الشريفة لحياة الإمام المهدي عليه السلام.

ولعل القارئ يلحظ أني استشهدت بالكثير من أقوال وكتابات سيدنا الإمام المهدي عليه السلام، وذلك لأن الشمس هي أبلغ دليل على أثر نورها، وكذلك فإن كتابات سيدنا أحمد وأقواله هي أبلغ دليل يكشف عن حقيقة

شخصيته، ويصف عميق أحاسيسه ومشاعره، ويعبّر عن صدق عاطفته وزكاة سريرته، وقد عبر هو عن ذلك في بيت من الشعر قال في شطر منه: **وإن بياني عن جناني يخبر**.

وقد حرصنا على وضع مرجع الآيات القرآنية بعدها مباشرة بين قوسين ذكرنا فيهما اسم السورة ورقم الآية، غير أننا آثرنا أن نسلك مسلك المصاحف التي تعتبر البسملة هي الآية الأولى في كل سورة تبدأ بها، ولذلك قد يلحظ القارئ أن أرقام الآيات القرآنية في هذا الكتاب تزيد ١ عن أرقامها في المصاحف التي لا تعتبر البسملة هي الآية الأولى. هذا وقد أضفنا بعض المراجع أو بعض الشروح أو بعض العناوين الجانبية للتوضيح، ولكن كل ما أضيف ولم يكن من النص الأصلي، جعلناه بالخطوط المائلة.

وإن واجب الشكر والامتنان يحتم علينا أن نقدمه لأهله، وهؤلاء هم كل من ساهموا في إخراج هذا الكتاب، وأخص منهم بالذكر كلا من الأستاذ عبد المؤمن طاهر والأستاذ أبو حمزة التونسي. ولا أكون قد قمت بواجب الشكر إن لم أذكر كلا من الأستاذ عبد المجيد عامر والأستاذ محمد طاهر نديم، اللذين قاما بتحقيق النصوص والمقتبسات وكتابة أسماء المراجع وصفحاتها، ومراجعة الآيات القرآنية وتدقيق اللغة العربية، ولا أنسى فضل أخي الحبيب الأستاذ فلاح الدين عوده والسادة الأفاضل جميل الرحمن رفيق، ومبشر أحمد كاهلون، وظفر أحمد ظفر، وتميم أبو دقة، الذين تفضلوا فقاموا بالمراجعة النهائية للكتاب، فجزاهم الله جميعا خير الجزاء.

وأخيرا.. ندعو الله عز وجل أن يتقبل بفضله تعالى هذا العمل، وينفع به قراء العربية، ويشرح صدورهم لرؤية الحق وآياته، ويجعل هذا الكتاب سببا لكي تهوي القلوب المخلصة إلى جانب الله تعالى. ونسأل من يرى فائدة لهذا الكتاب، أن يدعو لكاتبه بنوال رضا الله تعالى وبالشفاء إذا كان ما زال على قيد الحياة، وأن يمكنه سبحانه من خدمة الإسلام وتوصيل رسالة الإمام المهدي عليه السلام إلى القراء

العرب على أوسع نطاق، وأن يدعو له بالمغفرة ونوال رحمة الله تعالى إذا كان الله قد توفاه، وأن يحشره سبحانه في زمرة عباده الصالحين. إنه سبحانه مجيب الدعاء، وهو صاحب الخير والنعماء، وهو وحده ذو الفضل والآلاء.

وخير ما يمكن أن تنتهي به هذه المقدمة هو الدعاء الذي توجه به سيدنا الإمام المهدي عليه السلام، سائلا الله تبارك وتعالى أن يبارك أحد كتبه التي نشرها باللغة العربية، فكتب يقول:

"رب اجعل أفئدة من الناس تهوي إليه، واجعله كتابا مباركا وأنزل بركات من لدنك عليه، فإنّا توكّلنا عليك، فانصرنا من عندك وأيدنا بيديك، وكفّل أمرنا كما كفلت السابقين من الصالحين، واستجب لهذه الدعوات كلها وإنا جئناك متضرّعين، فكن لنا في الدنيا والدين."

آمين

مصطفى ثابت

سبتمبر (أيلول) ١٩٩٧

تمهيد

كلمة.. لا بد منها

تمهيـــد

كلمة.. لا بد منها

إن رجعة نبي من الأنبياء أو زعيم من المصلحين ظاهرة ترتبط بمعظم الأديان، حتى الأديان القديمة، مثل ديانة قدماء المصريين والهندوسية والبوذية. ولا تخلو الأديان السامية مثل اليهودية والمسيحية بل والإسلام أيضا من نفس هذه الآثار والظواهر. فالمصريون القدماء كانوا يؤمنون بالرجعة مرة أخرى إلى هذا العالم، ولذلك برعوا في فن التحنيط، كما اهتموا اهتماما خاصا بدفن ملوكهم في مقابر سرية لكي لا تصل إليها أيدي العابثين، فكانوا يضعون مع جثمان الملك كل ما يخصه من تحف ومعدات الحرب وأدوات الصيد وغيرها، ولذلك فقد بلغت مقابرهم شأنا عظيما في فن الهندسة المعمارية. ولعل الأهرام.. التي تعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع.. خير شاهد على تلك البراعة الهندسية.

أما في الديانة الهندوسية والبوذية والزرداشتية وغيرها من الديانات غير السامية، فإننا نجد أن الأمر ليس كما هو الحال بالنسبة للديانات المصرية القديمة، إذ أن الرجعة في هذه الديانات تقتصر على رجعة واحد من زعماء تلك الأديان. ففي الديانة الهندوسية نجد ما يشير إلى رجعة كرشنا وعودته مرة أخرى إلى هذه الدنيا. كذلك في الديانة البوذية نجد بعض الروايات تشير إلى عودة بوذا إلى الدنيا مرة أخرى. وهناك في الديانة الزرداشتية ما يشير أيضا إلى عودة ميسيو، وهكذا.

والديانات السامية.. نسبة إلى نسل سام بن نوح عليه السلام.. لم تشذ هي الأخرى عن تلك الأفكار. فإننا نجد في الديانة اليهودية ما يشير إلى عودة إيليا النبي.. وهو المعروف في الإسلام باسم إلياس عليه السلام.. إذ تقول التوراة إن نزوله

من السماء يكون علامة على بعث المسيح الموعود به لليهود. وفي المسيحية كذلك يوجد ما يفيد عودة المسيح عليه السلام ونزوله مرة أخرى إلى هذه الدنيا. وفي الإسلام أيضا روايات تفيد نزول المسيح وظهور الإمام المهدي، وعند الشيعة سيعود الإمام الغائب ليقتل كل أعدائه.

وبطبيعة الحال فإن أتباع هذه الأديان جميعا.. الذين يتطلعون إلى رجعة النبي، أو نزوله من السماء، أو عودة المجدد الغائب أو المنتظر.. إنما يتوقعون ظهوره وعودته بنفسه وفي جسده العنصري الذي اختفى به أو الذي غاب فيه، وهو الأمر الذي يتعارض مع كثير من الأديان.. وخاصة الإسلام.. التي تقضي بعدم عودة من يموت إلى هذه الحياة الدنيا مرة أخرى.

وقد ألقى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ضوءا على موضوع رجعة الأنبياء، وشرَح لحوارييه أن رجعة نبي من الأنبياء ليس المقصود بها عودة النبي بنفسه، وإنما هي رجعة روحية، بمعنى أن يظهر مثيلٌ للنبي المزمع أن يرجع، فكأنه عاد بنفسه مرة أخرى إلى هذه الدنيا.

وفي الإسلام كذلك هناك ما يشير إلى أن للرسول ﷺ بعثتين. يقول القرآن الكريم:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ .... وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة:٢-٤)

وتشير الآية إلى أن الله قد بعث في الأميين رسولا.. وهم العرب الأميون الذين بُعث فيهم الرسول ﷺ، وبعثه أيضا في ﴿آخَرِينَ﴾، وهذه البعثة الثانية ليست متصلة بالأولى، حيث يصف القرآن الآخرين بأنهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، أي أن الآخرين لم يلحقوا بعد بالعرب الأميين، أي أنه سينقضي زمنٌ ما حتى يظهر من سمّاهم القرآن بأولئك ﴿الآخَرِينَ﴾، ولذلك استخدم الله تعالى في الآية الحرف "لما" الذي يفيد انقضاء زمن بين الحدثين، بدلا من استخدام الحرف "لم"، ويُوضح استخدام حرف "لما" قوله تعالى:

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوآ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات:١٥)

أي أن الإيمان لم يدخل بعد في قلوب هؤلاء الأعراب، وسوف ينقضي بعض الوقت إلى أن يؤمن هؤلاء إيمانا ينبع من القلب.

ويتبين من هذا أن للرسول ﷺ بعثتين.. إحداهما في الأولين والثانية في الآخرين، وهي تلك التي أشار إليها بقوله: "بدأ الإسلام غريبا على أمتي وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى يومئذ للغرباء". والبعثة الثانية للرسول ﷺ هي بطبيعة الحال بعثة روحية.. ولم يتصور أحد أو يظن أن البعثة الثانية للرسول ﷺ ستكون بعثة جسدية يظهر فيها بنفسه وفي نفس جسده العنصري. ومعنى البعثة الروحية هنا هو أن يظهر أحد أتباعه الذي يكون من أخلص خدامه ومتّبعي سُنَّته، حتى إنه ليبدو وكأنه ظله الذي انطبعت عليه صورته. إن هذا المبعوث المنتظر سيكون قد تفانى تماما في طاعة الرسول ﷺ وخلع عن نفسه رداءها والتحف بشخصية رسول الله ﷺ وتخلق بأخلاقه حتى لكأنه قد صار هو بعينه. وفي ذلك يقول عنه رسول الله ﷺ: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلا اسمه اسمي، وخُلقه خُلقي" (رواه البيهقي). ويقول عنه كذلك: "يُدفن معي في قبري". ولا يعني الرسول ﷺ بالطبع القبر المادي.. أي أن يُفتح قبر الرسول ﷺ ليُدفن فيه ذلك المنتظر، فإن ذلك انتهاك لحرمة قبر رسول الله ﷺ، وإنما يعني الحديث أن هذا المنتظر سيكون قد تطبع بطباع رسول الله ﷺ، وتخلق بأخلاقه، واستن بسُنَّته، حتى لكأنه قد صار هو بنفسه، وكأنه قد عاد مرة أخرى إلى الحياة. ولن يكون القبر الذي يُدفن فيه ذلك المنتظر هو القبر المادي الذي دُفن فيه جسد رسول الله ﷺ وإنما سيكون "روضة من رياض الجنة"، فقد وصف الرسول ﷺ القبر الذي يقبر الله فيه الموتى فقال عنه: "القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار."

وهناك نبوءات من رسول الله ﷺ تُحدثنا عن ظهور المهدي والمسيح في

آخر الزمان. وتشير بعض الأحاديث إلى أن المهدي والمسيح هما في واقع الأمر شخص واحد. فقد ورد في ابن ماجة حديث: "لا مهدي إلا عيسى". كذلك ورد في مسند احمد بن حنبل عن عيسى الموعود أنه ينْزل "إماما مهديا وحكما عدلا". وعلى ذلك يتضح أن البعثة الروحية الثانية لرسول الله ﷺ التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة الجمعة (٦٢: ٤) إنما تتمثل في بعثة ذلك المهدي المنتظر والمسيح الموعود الذي أشار أيضا رسول الله ﷺ إلى أنه سيكون من أصل فارسي، فقد روى أبو هريرة ؓ قال كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: وآخرين منهم لما يلحقوا بهم، قال قلتُ ومن هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي. فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: "لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء" (صحيح البخاري- كتاب التفسير، تفسير سورة الجمعة).

غير أن جمهور المسلمين.. الذين تسربت إليهم الأفكار المسيحية والحكايات الإسرائيلية، عن طريق دخول أعداد كبيرة من أهل الكتاب في الإسلام، بدأوا يتأثرون بهذه الأفكار وتلك الإسرائيليات، حتى صاروا يظنون أن عيسى ؑ قد رُفع إلى السماء بجسده العنصري، وأنه سوف ينـــزل منها إلى الأرض في آخر الزمان بنفس ذلك الجسد المادي العنصري، تحقيقا للنبوءات التي ذكرها رسول الله ﷺ عن نزول عيسى في آخر الزمان.

وجدير بالذكر.. أن المسيحيين من أهل الكتاب يعتقدون أن عيسى ؑ قد مات على الصليب، ثم عادت إليه الحياة بعد ثلاثة أيام، ثم صعد إلى السماء بجسده الذي سوف ينـــزل فيه مرة أخرى إلى الأرض في آخر الزمان. ولكن عيسى بن مريم نفسه قد شرح بكل وضوح معنى عودة نبي من الأنبياء أو نزوله من السماء. فمن بين الأمور التي حالت بين علماء اليهود وبين الإيمان بعيسى ؑ - وهو المسيح الموعود به لهم في التوراة، والذي كانوا ينتظرون مجيئه بصبر طال مداه — هو ورود بعض النبوءات في التوراة عن نزول إلياس

(إيليا النبي) من السماء كعلامة على قُرب ظهور المسيح الموعود. فقد ورد في سفر ملاخي، وهو آخر أسفار التوراة، أن إيليا النبي سوف ينـــزل من السماء قبل ظهور المسيح. ولما جاء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ودعا الناس إلى الإيمان، رفض علماء اليهود أن يؤمنوا به.. حيث إنهم لم يشاهدوا إيليا النبي نازلا من السماء بعد، تحقيقا للعلامة التي ذكرتها التوراة عن ظهور المسيح المنتظر. وصار هؤلاء العلماء يحرّضون العامة ضد المسيح عليه السلام، ويستدلون بالتوراة متهمين المسيح عليه السلام بالكذب والدجل، حيث إنه كان يدَّعي أنه المسيح الموعود رغم عدم نزول إيليا النبي من السماء كما تنص التوراة. وشعر حواريو المسيح بالحرج والقلق الشديد لكلام علماء اليهود، فالتوراة كانت واضحة وصريحة، وتنص على نزول إيليا النبي من السماء قبل ظهور المسيح الموعود. ونذهب إلى الأناجيل المسيحية لنرى كيف تطور الأمر.

يحكي لنا إنجيل متَّى أن تلاميذ المسيح سألوه عن هذه المشكلة التي أثارها علماء اليهود فيقول:

"وسأله تلاميذه قائلين: فلماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغي أن يأتي أولا. فأجاب يسوع وقال لهم: إن إيليا يأتي أولا ويرد كل شيء، ولكني أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا .... حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان". (إنجيل متى ١٧: ١٠-١٢)

وفي مكان آخر من نفس الإنجيل يقول السيد المسيح:

".... لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا، وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي". (إنجيل متى ١١: ١٤)

كذلك يذكر إنجيل لوقا عن بشارة الملاك لزكريا عليه السلام عن مولد يوحنا:

"وامرأتك اليصابات ستلد لك إبنا وتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثير سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيما أمام الرب، وخمرا ومسكرا لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد

قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار." (إنجيل لوقا١ :١٣-١٧)

وهكذا أوضح المسيح عليه السلام أن المقصود بالمجيء الثاني، أو عودة نبي من الأنبياء الذين خلوا من قبل، أو نزوله من السماء.. أن يأتي شخص آخر بصفته وقوته.. أي يأتي مثيل له، وشرح أن ما تعنيه نبوءات التوراة عن عودة إيليا ونزوله من السماء هو مجيء يوحنا المعمدان، وهو سيدنا يحيى عليه السلام.

وما دام هناك في كل الأديان من الأنباء ما يشير إلى عودة شخص ما في آخر الزمان.. فإن السؤال الذي يجب أن يوضع في الاعتبار فيما يتعلق بالمجيء الثاني لهذا المنتظر هو: ما هو الغرض من مجيء هذا المبعوث.. وما هي مهمته.. ولماذا اتفقت الديانات العظمى في العالم على قدوم ذلك المنتظر في آخر الزمان؟ وهل يا ترى نتوقع أن يظهر مبعوث في كل ديانة من تلك الديانات تحقيقا لما فيها من النبوءات؟ وإذا جاز ذلك فهل تتشابه مهمة كل هؤلاء أم أنه سيكون لكل منهم مهمة خاصة به وبدينه فقط؟ إذ يمكن أن تتعارض وتتضارب تلك المهام التي سيقوم بها أولئك المنتظر مجيئهم في آخر الزمان. وإذا كانت المهام التي سيقومون بها جميعا متشابهة فهل مجيء شخص واحد فقط يكفي لتأدية تلك المهام جميعا على أكمل وجه؟ وإذا كانت المهام تختلف وتتعارض مع بعضها البعض، فماذا يؤدي إليه مجيء هؤلاء المبعوثين في كل هذه الأديان من تشاحن وتباغض وتنافر وعداء بدلا من السلام والمحبة والتآلف والوئام بين أتباعها؟ وإذا افترضنا ظهور مجدد في كل دين من الأديان العظمى.. كالإسلام والمسيحية واليهودية والهندوسية والبوذية وغيرها.. تحقيقا للنبوءات التي تحتويها تلك الأديان.. فهل سيتمسّك كل مجدد بتعاليم دينه أم أنه يحيد عنها ويتجاهلها؟

في أي من الأحوال.. نرى أن المشاكل التي يمكن أن تنجم عن مجيء هذا الجمع من المجددين في آخر الزمان.. لا حصر لها، ولا حل لها أيضا. وعلى ذلك يكون من المحتم أن تشير جميع النبوءات التي تحتويها هذه الأديان إلى

مجيء شخص واحد فقط في آخر الزمان، وليس إلى أفراد عدة.

إن العالم خلال القرنين الماضيين قد شهد اتجاها نحو التوحّد والتجمّع.. وكل الخطوات التي تم اتخاذها بين الدول من إقامة أحلاف ومنظمات ومؤسسات دولية، وجامعات وروابط للدول العربية واللاتينية والأوربية والإسلامية وغيرها، لتشهد أن مسرح الأحداث في العالم يجري إعداده بأيدي الله الخفية ليجمع شمل الأسرة الإنسانية.. مما يدل أيضا على أن المجدد المنتظر عودته في كل دين من الأديان إنما هو في حقيقة الأمر شخص واحد، وليس عدة أفراد يتبعون تلك الأديان المتعددة.

المبعوث المنتظر من الأمة الإسلامية

ومن وجهة النظر الإسلامية.. هناك اتفاق على أن مجيء ذلك المبعوث في آخر الزمان سيكون تحقيقا لوعد الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة:٣٣)

هذا الوعد بانتصار الإسلام وظهوره على جميع الأديان، سوف يتحقق عند ظهور الإمام المهدي المنتظر والمسيح الموعود، وهما شخص واحد كما أسلفنا الذكر. وهناك من الظواهر القوية ما يشير إلى أن المقصود من ظهور مجدد عظيم في آخر الزمان حسب كل النبوءات التي جاءت في مختلف الأديان.. هو ظهور ذلك المجدد العظيم في الإسلام، وبين المسلمين، وليس في أي دين آخر. ويؤيد تلك الظواهر دلائل عديدة لا يتسع المجال للدخول في تفاصيلها هنا.. غير أنه من الممكن أن نشير إلى البعض منها:

أولا:

إن كتاب الله القرآن واضح كل الوضوح في النص على أن رسالة الإسلام رسالة عالمية وأن رسول الإسلام ﷺ قد بُعث للعالم أجمع. يقول تعالى:

﴿قُلْ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف:١٥٩)
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ:٢٩)
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٨)

أما الأديان الأخرى جميعا فلم تكن عالمية، وإنما كانت محلية أو قبلية أو تختص بأمة من الأمم، ومن غير المعقول أن يعود نبي كان الله قد أرسله إلى قرية أو إلى قبيلة أو إلى أمة معينة ليكون مبعوثا إلى العالم أجمع. ومن غير المعقول أيضا أن يظهر المجدد المنتظر في دين من تلك الأديان بعيدا عن الدين الذي ارتضاه الله تعالى للعالم أجمع، وهو الإسلام.

ثانيا:

إن كتاب الله الفرقان هو الكتاب الذي يحتوي على الهدي الكامل لأهل كل زمان، وسُكان كل الأوطان وفي كل مكان، فقد قال تعالى يصف كتابه العزيز:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان:٢)
﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٩)
﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (ص:٨٨)

وعلى هذا.. لا يمكن أن يكون المجدد المنتظر إلا من بين أتباع ذلك الكتاب العظيم، لا من أتباع غيره من الكتب التي لم يُقدِّر الله لها أن تكون عالمية الرسالة.

ثالثا:

إن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حفظه الله تعالى من التبديل والتحريف حسب وعده تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:١٠)
﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۞ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (البروج:٢٢-٢٣)

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۞ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ (الواقعة:٧٨-٧٩)

فالقرآن الكريم يتميز من بين جميع الكتب السماوية، بأنه ينفرد بصفة لا توجد إلا فيه، ولا يتصف بها كتاب سماوي آخر، وهي أنه من بدايته إلى نهايته، لا يحتوي إلا على كلمات الوحي الإلهي التي جاء بها جبريل من عند الله تعالى ولقنها رسول الله ﷺ. فكل كلمة فيه، وكل حرف من حروفه، هو وحي إلهي لا دخل للبشر في وجوده أو تكوينه. وهذا في حد ذاته ضمان بأنه محفوظ من عند الله تعالى.. فلا يمكن أن تمسه يد التحريف والتبديل.. ولا يمكن أن يشوبه نقص أو تطرأ عليه زيادة.. ولا يمكن أن تُنسى آياته أو تندثر كلماته.

وقد أجمع المستشرقون والعلماء غير المسلمين الذين بحثوا في أمر القرآن المجيد، على أن كل آياته الموجودة حاليا، هي نفس الآيات والكلمات التي جاء بها محمد ﷺ وأخبرنا أنها من وحي الله تعالى.

ويجب ألا يغيب عن البال، أن الوعد الإلهي بحفظ القرآن المجيد، الذي سبق الإشارة إليه في الآيات المذكورة آنفا، لا يقتصر على حفظ متن القرآن الكريم وكلماته فقط، وإنما يشمل أيضا كل العوامل التي تؤثر على هذا الكتاب السماوي، بكونه مصدرَ الهَدْي للإنسانية جمعاء في كل زمان وفي كل مكان. فمثلا إن هذا الوعد ضمان أن اللغة التي نزل بها القرآن.. وهي اللغة العربية.. سوف تظل دائما أبدا لغة حية، يستعملها البشر ويفهمونها، حتى لا تكون هناك حوائل تعوق فهم القرآن المجيد. وبذلك لن يحدث للقرآن الكريم، ما حدث للكتب السماوية الأخرى، التي أنزلها الله في لغات ماتت واندثرت، و لم يبق منها غير ترجمات بشرية قد تخطئ وقد تصيب. أما اللغة العربية فقد قدَّر الله لها أن تدوم بدوام القرآن، وهي لسان أعداد غفيرة من الناس، يتحدث بها من البشر اليوم ما يزيد مئات المرات عن أعداد البشر الذين كانوا يتكلمون العربية عند نزول القرآن.

وبالإضافة إلى حفظ اللغة من الضياع أو الاندثار.. فإن رسول الله ﷺ قد أخبرنا بأن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، وذلك بأن يُبرز الهَدْي القرآني للناس، ويُبين لهم عظمة هذه المعجزة الخالدة. ولم يحدث لأي كتاب سماوي آخر أن اقترن نزوله بمثل هذا الوعد الإلهي بحفظه.. الوعد الذي ينص على حفظ متن الكتاب ونصه وكلماته.. وحفظ اللغة التي نزل بها.. وحفظ معانيه وهديه عن طريق المجددين وعلماء الأمة الذين يبعثهم الله تعالى من زمن لآخر. وعلى ذلك فمن غير المعقول أن يبعث الله تعالى ذلك المجدد الأعظم المنتظر في آخر الزمان في دين آخر غير الإسلام.

رابعا:

هناك أيضا الوعد الإلهي الذي سبق الإشارة إليه في سورة التوبة.. الآية رقم ٣٣.. والخاص بظهور الإسلام على الأديان كلها. وغني عن البيان أن هذا الوعد تكرر نزوله في القرآن ثلاث مرات تأكيدا على أهميته:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾ (التوبة:٣٣)

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾ (الفتح:٢٩)

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾ (الصف:١٠)

وليس معنى ذلك الظهور أن يتأسس الدين في الأرض كما حدث على يد رسول الله ﷺ، لأن معنى ظهور الدين على الدين كله، يقتضي انتشار الإسلام في الأرض، بحيث تكون له اليد العليا والشأن العظيم على كل الأديان الأخرى. يُقال: "ظهر الجيش على عدوّه" أي انتصر الجيش على عدوه، وصارت له اليد العليا في ميدان الحرب، وتحقق له الفوز والانتصار.

وقد أشار المفسرون إلى أن هذا الوعد الإلهي سوف يتحقق في آخر الزمان

حينما يأتي الإمام المهدي والمسيح الموعود، حسب ما أنبأ به الرسول الأكرم ﷺ في الأحاديث النبوية التي جاءت في هذا الشأن. وكما أخبرنا أنه سيكون وكأنه صورة وظل لرسول الله ﷺ حتى إنه ليشابهه في صفاته وفي أسمائه وفي أخلاقه، وكأنه ﷺ قد بُعث من جديد مرة أخرى، كما تشير إلى ذلك آية سورة الجمعة:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِه وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۞ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَـمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (الجمعة:٣-٤)

وروى البيهقي عن أبي إسحاق قال: قال عليّ عليه السلام، ونظر إلى ابنه الحسن فقال: "إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم، يشبهه في الخُلُق ولا يشبه في الخَلق."

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلا اسمه اسمي، وخُلُقُه خُلُقي، يُكنى أبا عبد الله." (أخرجه الحافظ أبو نعيم في صفة المهدي)

ويجدر التنويه هنا بأن استعمال صيغة الفعل الماضي في الآيات الثلاث المذكورة آنفا: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ لا يعني أن هذا الفعل قد تم في الماضي، وإنما هذا هو اللسان العربي والأسلوب القرآني لتأكيد وقوع فعل ما سوف يحدث حتما في المستقبل. فالعرب يقولون مثلا: "سبق السيف العزل"، والقرآن الكريم أيضا يستعمل نفس الأسلوب لتأكيد وقوع الفعل في المستقبل مثل قوله تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّة زُمَــرًا حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر:٧٤)

وحيث إن الله تعالى قد قدَّر وقضى أن ينتشر الإسلام في العالم، وأن تكون

له الغلبة على كل الأديان قبل يوم القيامة، فمن غير المعقول أن يأتي المجدد المنتظر في آخر الزمان في دين غير دين الإسلام.

خامسا:

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتطلب الإيمان بجميع الأنبياء ورسل الله تعالى، في أي وقت ظهروا فيه، وفي أي مكان جاءوا إليه، وفي أي أمة أرسلوا إليها. فالقرآن الكريم يؤكد:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر:٢٥)

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ﴾ (النحل: ٣٧)

وإنها لدعامة من دعائم الإيمان للإنسان المسلم، أن يؤمن بجميع الأنبياء والرسل، دون أن يُفرِّق بين أحد منهم. يقول تعالى:

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَآ أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٧)

وهذا يقتضي أن المبعوث الإلهي العظيم الذي يأتي في آخر الزمان.. والذي يكون اسمه مشابها لاسم رسول الله، ويكون خُلُقه هو خُلُق رسول الله.. لابد وأن يظهر في الأمة الإسلامية. فهو كمسلم.. لابد وأن يؤمن بجميع الأنبياء من الأمم السابقة، ولا يستطيع أن ينكر رسالة أحد منهم، ولا أن يكفر بنبوة أيّ منهم. أما إذا افترضنا جواز ظهوره في أمة أخرى غير الأمة الإسلامية، فإنه لن يكون مُلزَما بالإيمان بالإنبياء والرسل الذين لم يُبعَثوا في قومه، وبالتالي فإن الناس من الأقوام الأخرى لن يؤمنوا بشخص لا يؤمن بأنبيائهم ورسلهم الذين بعثهم الله فيهم. ولذلك فإن من مقتضيات "الحَكَمُ العَدْلُ" الذي يبعثه الله تعالى في آخر الزمان، أن يكون مُصدقا بكل الأنبياء.. مبجلا لهم.. ذابًّا عن

كل نقيصة ألحقت بهم.. ومدافعا عن رسالة الله التي أوحاها إليهم. فهو لابد أن يكون ممثلا لكل الأنبياء.. أو كما جاء في وصفه بأنه "جَرِيُّ الله في حلل الأنبياء"، أي أنه أسد الله الذي يأتي في حُلل جميع الأنبياء.

سادسا:

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي وصفه الله تعالى بالكمال، فهو الدين الكامل الذي ارتضاه الله لعباده ولن يقبل منهم دينا سواه. يقول تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (المائدة:٤)

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمَ﴾ (آل عمران:٢٠)

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٦)

والإسلام كما نعلم دين يحتوي على تشريع وتقنين، وحيث إنه يتسم بالسّمات السابق ذكرها.. أي أنه دين كامل.. نزل للعالم أجمع وجاء ذكرا للعالمين.. وأن الله تعالى بنفسه قد وعد بحفظ ذلك الذِّكر من كل تحريف وتغيير.. بل إن الله ﷻ قد حفظ أيضا اللغة التي نزل فيها ذلك الذِّكر الحكيم.. فإن جميع هذه الأسباب تمنع أن يأتي دين آخر من عند الله تعالى.

فلو كان الإسلام دينا يشوبه النقص ولا يتصف بالكمال لكانت هناك حاجة إلى نزول الدين الكامل. ولو كان الإسلام دينا اختص نزوله بقوم دون قوم لكانت هناك حاجة إلى نزول دين عالمي الرسالة.. يفي بحاجة العالم أجمع في كل زمان ومكان. ولو كان الإسلام دينا لم يأت بشأنه وعد إلهي بحفظه من التبديل والتحريف والتغيير والزيادة والنقصان، لكانت هناك حاجة إلى دين جديد، فإن الدين.. مهما كان عالميا أو كان كاملا.. إذا غابت عنه الحفاظة الإلهية و لم يحفظه الله تعالى من يد العبث، فإن مآله إلى التغيير والتبديل، وبذلك يفقد كماله ويشوبه النقصان.. وقد يُزاد فيه من فكر البشر أو يزول عنه

كماله، مما يجعله خليقا بالإهمال والإنكار. لذلك فإن هذه السمات الثلاثة: الكمال.. والعالمية.. والحفظ الإلهي.. إذا اجتمعت في دين من الأديان بطلت كل حاجة إلى مجيء دين جديد. وهذه السمات الثلاثة لم تجتمع إلا في دين الإسلام، الذي أتى به محمد المصطفى ﷺ. فهي ليست في دين موسى ولا عيسى ولا نوح ولا إبراهيم، عليهم جميعا أفضل الصلاة والتسليم.

ولا يظنن أحد أن هذه السمات الثلاث كانت توجد أيضا في الإسلام الذي دعا إليه كل نبي من الأنبياء السابقين، فذاك الإسلام ليس هو الدين الذي جاء به سيد البشر ﷺ وإنما هو الإسلام بمعناه الشامل الذي يعني الخضوع لله تعالى وطاعته. فالله عز وجل يذكر لنا عن إبراهيم عليه السلام:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة:١٣٢)

ومعنى الإسلام في هذه الآية هو الخضوع لأمر الله تعالى وطاعته، وليس المقصود به بالطبع اتباع شريعة رسول الله ﷺ إذ يقول تعالى لنبيه الأكرم ﷺ:

﴿وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة:٤٩)

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية:١٩)

وعلى ذلك فإن نصيحة يعقوب عليه السلام التي ذكرها القرآن:

﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة:١٣٣)

تعني أن يعقوب عليه السلام كان يؤكد على بنيه أن الله قد اختار لهم دينا معينا، وعلى ذلك فإن عليهم ألا يموتوا إلا وهم خاضعون لأمر الله، مطيعين له ومتّبعين ذلك الدين الخاص بهم. وليس معنى قوله: ﴿إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ هو أن يتبعوا دين محمد ﷺ الذي لم يكن قد بُعث بعد. ولا يعني

هذا أيضا أن الدين الكامل العالمي الذي بُعث به سيد البشر ﷺ ومن أجله وُصف بكونه: ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، قد سبق نزوله على نوح أو على إبراهيم، أو أنه كان دين بني إسرائيل أو غيرهم من الأمم. بل هو الدين الذي اختص الله به هذه الأمة التي من أجله وصفها الله تعالى بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ لأنهم حملة خير دين أُنزل للناس، ولأنهم أتباع خير نبي أرسل للبشر كافة.

سابعا:

من كل ما سبق.. يتبين أنه لا يمكن أن يأتي دين آخر غير دين الإسلام، الذي جاء به سيد الخلق ﷺ، ولا يمكن أن يأتي أي مبعوث من عند الله تعالى بدين يخالف دين الإسلام.. أو ينقض حُكما من أحكامه.. أو يزيد على شريعته حرفا، أو ينقص منها أمرا. غير أن الإمام المهدي والمسيح الموعود.. ذلك المبعوث السماوي المنتظر في آخر الزمان.. وهو المنوط به تجديد الإسلام من كل الأفكار الدخيلة عليه.. وتطهيره من الإسرائيليات التي غزت عقول الكثير من أتباعه.. وتزكية نفوس أفراده، وقيادتهم لنشر الإسلام الصحيح في العالم أجمع، حتى يجعل الله له الغلبة في الأرض كما سبق وعده: ﴿هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾.. أقول لا يمكن أن يكون ذلك المبعوث المنتظر رجلا كسائر الرجال.. يجتهد برأيه فيصيب أحيانا، ويخطئ أحيانا أخرى. ولا يمكن أن يكون مجرد عالم من العلماء.. فلكل عالم هفوة، ولكل جواد كبوة كما يقولون. وإذا كان من الممكن أن يكون له هفوات، وهو المنوط به تجديد أمر الدين، وتوحيد كلمة المسلمين، ولم شتاتهم ونشر دين الله.. فإن من حق غيره من العلماء الأفاضل أن يؤاخذوه على هفواته.. ومن حق كل امرئ أن يختار ما إذا كان يريد اتباعه أو عدم اتباعه، وإذا لم يتبعه بعض المسلمين فلا غبار عليهم.. فليس له عليهم حق السمع والطاعة.. وعلى هذا فإن توحيد كلمتهم تحت راية واحدة يكون أمرا محالا، فلن تجتمع عليه الأمة، وإنما يكون مجيئه كعدمه، حيث

إنه لا يزيد عن كونه إضافة إلى علماء الأمة، مهما بلغ اجتهادهم، ومهما اتسع علمهم، ومهما زاد فضلهم.

وعلى ذلك.. فمن المحتم أن يكون ذلك الإمام المهدي والمسيح الموعود رجلا مؤيّدا بوحي من الله تعالى، ولكن هذا الوحي لا يكون وحيا تشريعيا.. ولا يحتوي أحكاما ولا أوامر ولا نواهي، فتلك جميعها قد اكتملت في الشريعة الإسلامية كما سبق بيانه. وإنما الوحي الذي يتلقاه ذلك المنتظر، هو وحي لا يحتوي إلا على التبشير والإنذار والعلم والحكمة. وعن طريق هذا الوحي الرباني الذي يتلقاه ذلك المنتظر.. يصل إلى الطريق المستقيم.. طريق رسول الله ﷺ.. فيخطو على دربه.. ويمشي على نهجه القويم. وهو بذلك الوحي يكون على يقين من أن طريقه هو طريق رسول الله ﷺ.. وأن سبيله هي سبيل الله تعالى التي أمر سبحانه رسوله الأكرم ﷺ أن يبينها للناس في قوله:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف:١٠٩)

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ. ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٤)

كذلك يتضح أن كونه "الإمام المهدي" يعني أن الله تعالى هو الذي هداه فصار مهديا، وهذا يدل على أن الله سبحانه قد أيده بروح منه، وجعله على بصيرة من أمره، أي أيده بالوحي الإلهي الذي يقود إلى اليقين. ولو لم يكن الأمر كذلك، لَمَا كان للإمام المهدي شأن يختلف عن عامة الناس، ولَمَا أَمَر رسول الله ﷺ أن يبايعه المسلمون كما قال: "فإذا رأيتموه فبايعوه، ولو حبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي" (ابن ماجة، كتاب الفتن باب خروج المهدي). من هنا يكون كما وصفه رسول الله ﷺ بأنه "الحَكم العدل"، الذي له الحق في أن يقضي في الخلاف بين المسلمين.. فهو لا يقضي برأيه، وإنما بنور الوحي الذي يتلقاه من الله تعالى. ولأنه مؤيد من الله عز وجل، فإنه حتمًا بالغ أمره، ومحقق

هدفه، لأنه لا يمثل إرادة نفسه، وإنما هو يعمل بإرادة الله الذي يقول:
﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق:٤)

الإمام المهدي على مقام النبوة

وعلى هذا.. تجتمع في الإمام المهدي أمور لا تجتمع إلا في أنبياء الله تعالى، وقد أوضحها رسول الله ﷺ في الأوصاف التي وصفه بها، ويمكن أن نعددها فيما يلي:

أولا: إنه الإمام.

وهو ليس كإمام الصلاة أو أئمة المساجد الذين يختارهم الناس أو توظفهم الحكومات، وإنما هو إمام يختاره الله تعالى. والإمامة التي يقيمها الله تعالى هي إمامة الأنبياء، كما قال تعالى لسيدنا إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة:١٢٥)، وكما قال سبحانه عن الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء:٧٤).

ثانيا: إنه المهدي.

وكل إنسان يهديه الله تعالى فهو مهدي، ولكن هذا الإمام المهدي المنتظر على مقام خاص، حتى إن رسول الله ﷺ يتحدث عن ذات معينة فيقول عنه في بعض الأحاديث: "إن لمهدينا آيتين..."، وهذا يدل على تفرّد الإمام المهدي وعظمته، وعلى علو شأنه وسمو مقامه، حيث إن رسول الله ﷺ ينسبه إلى نفسه وإلى أمته، والعظيم لا ينسب إلى نفسه إلا كل عظيم.

ثالثا: إنه الحَكَم.

والحَكم هو الذي يفصل في القضايا الخلافية بين المسلمين، وهذا يعني أن الله تعالى آتاه علما بحقائق الدين، أي أن الله تعالى يوحي إليه بالوحي الحق، حتى إنه هو وحده الذي يكون الحكم، ولا يكون هذا المقام لغيره من الناس.

رابعا: إنه العَدْل.

والعَدْل معناه الذي لا يخطئ في حكم، ولا يجور على حق، ولا يُفرّط في أمر، وهذا يعني أنه يتمتع بالعصمة الإلهية. فالله تعالى يعصمه من الخطأ كما يعصم الأنبياء والرسل، وذلك حتى لا يجتهد برأيه فيصيب في بعض الأحيان ويخطئ في بعضها.

خامسا: إنه خليفة الله.

لقد وصفه رسول الله ﷺ بقوله: "إنه خليفة الله المهدي" (ابن ماجة). والخلافة قسمان: خلافة نبوة وهي مباشرة، وخلافة على منهاج النبوة وهي غير مباشرة. الخلافة المباشرة هي التي يقيمها الله تعالى مباشرة وهي خلافة الأنبياء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣١)، وفي قوله: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ (ص:٢٧). والخلافة غير المباشرة هي التي تكون عن طريق اختيار الناس، كخلافة الخلفاء الراشدين. والخلافة المباشرة تُنسب إلى الله تعالى فيُقال عن المستخلَف إنه خليفة الله، وأما الخلافة غير المباشرة فتُنسب إلى نبي الله فيُقال عن المستخلَف إنه خليفة رسول الله. وخلافة الإمام المهدي هي من النوع المباشر الذي يقيمه الله تعالى، فقد وصفه رسول الله ﷺ بأنه "خليفة الله المهدي"، فهي خلافة نبوة.

سادسا: بيعته واجبة.

لقد أوجب رسول الله ﷺ على المؤمنين أن يبايعوه، حيث قال: "فأتوه وبايعوه ولو حبْوًا على الثلج" (ابن ماجة). و لم يحدث أن سمّى الرسول ﷺ شخصا بعينه وأمر بوجوب بيعته كما فعل مع الإمام المهدي. وهذه البيعة هي بيعة لله تعالى كما يقول سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح:١١)

وهذه البيعة تأكيد على ما ذكره الله تعالى في ميثاق النبيين: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ (آل عمران:٨٢).

سابعا: خُلُقُهُ هو خُلُقُ رسول الله ﷺ.

لقد وصفه رسول الله فقال بكونه: "... رجلا اسمه اسمي، وخُلُقه خُلُقي". ومن المعروف أن خُلق رسول الله ﷺ كان القرآن، كما وصفته بذلك السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. ولا يمكن لمن هو على خلق رسول الله ﷺ أن يكون رجلا من عامة الناس، وإنما هو الرجل الذي يختاره الله تعالى بنفسه، ويؤدبه بأدبه، كما فعل مع رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي قال تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٥).

إن هذه الصفات السبع لا يمكن أن تجتمع إلا في نبي، وعلى من يرى غير هذا الرأي، فعليه أن يقدم لنا مثالا واحدا يدلل به على رأيه، ولن يستطيع أحد ذلك ولو أفنى عمره في البحث والتنقيب.

إن كل مبعوث سماوي يأتي من عند الله يلقى المعارضة والمقاومة والاضطهاد والاستهزاء والتكذيب، فهذه سُنَّة الله التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا. يقول تعالى:

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (يس:٣١)

ولكن.. رغم المقاومة والاستهزاء.. ورغم المعارضة والاضطهاد.. ورغم الإنكار والتكذيب.. فإن مبعوث الله وأتباعه يلقون النصر دائما في النهاية، حسب الوعد الإلهي المؤكد عليه في القرآن الكريم:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ (غافر:٥٢)

وإن هذا الوعد الكريم ليطمئن الإنسان المخلص، الذي يبحث عن الحق ويبتغي الهدى وينشد العرفان، فإنه باتباع الإمام المهدي يعلم يقينا أن طريقه هو الطريق السوي.. وأنه مهما طال هذا الطريق.. ومهما كان وعرا يستلزم الجهاد والتضحيات.. فإنه في النهاية واصل إلى غايته ومحقق هدفه، وفي كل خطوة يخطوها المرء على هذا الطريق.. يجد الله تعالى معه.. يؤيده.. ويرعاه..

ويرضى عنه.



كان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قد بيّن أن زمن عودته سيكون متميزا بوقوع الكثير من الكوارث الطبيعية كالزلازل وانتشار الأوبئة والمجاعات، وكذلك ذكر وقوع حروب مدمرة، وأن أخبار الحروب سوف تنتشر في العالم مما يشير إلى وقوع تطور في وسائل الاتصال. وكل هذه العلامات قد وقعت منذ القرن التاسع عشر وما تبعه، ولذلك فإن الكثير من فئات المسيحيين كانوا يعتقدون أن نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، هي الفترة المزمع أن يأتي فيها المسيح. كذلك فقد شاع أيضا بين المسلمين أن الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام سوف يظهر على رأس القرن الرابع عشر الهجري، وذلك يُوافق النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

ولأن هذه العلامات جميعها لها صفة العموم.. ويصعب حين وقوعها تقدير ما إذا كان ذلك الوقوع هو العلامة المقصودة أم أنها مجرد ظواهر طبيعية.. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدد علامة معينة لظهور الإمام المهدي ليس في مقدور أحد من البشر أن يختلقها أو أن يتحكم فيها أو أن يبطلها. فقد جاء في سنن الدارقطني.. وهو أحد كتب الحديث المعروفة.. حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه:

> "إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض. تنكسف القمر لأول ليلة (أي من ليالي خسوف القمر) من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه (أي في النصف من أيام كسوف الشمس) ولم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض". (سنن الدراقطني باب صفة صلاة الخسوف والكسوف وهيئتهما)

والمعروف أن الليالي التي يمكن أن ينخسف فيها القمر هي الليلة الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة من الشهر العربي، وذلك حين تتوسط الأرض بين الشمس والقمر فيقع ظل الأرض على القمر فينخسف. وأما

كسوف الشمس فيمكن أن يقع في اليوم السابع والعشرين والثامن والعشرين والتاسع والعشرين من الشهر العربي، وهي الأيام التي يتوسط فيها القمر بين الأرض والشمس فيحجب القمر نور الشمس ويتم بذلك الكسوف. وبناء على حديث رسول الله ﷺ فإن خسوف القمر سوف يقع في أول ليلة من ليالي الخسوف، أي في الليلة الثالثة عشرة من الشهر العربي، وكسوف الشمس يقع في منتصف أيام الكسوف، أي في اليوم الثامن والعشرين من الشهر العربي، وأن كلا من الخسوف والكسوف سوف يجتمعان في شهر رمضان، وأن وقوعهما في الأيام المحددة وفي الشهر المحدد سوف يحدث بعد مجيء الإمام المهدي الذي يكون قد جاء وظهر، وأعلن عن نفسه وعن دعوته، ثم كذبه الناس فتقع تلك الظواهر الفلكية، فيشير الإمام المهدي إلى كونهما آيتين لإثبات صدقه.

وقد حدث تماما ما أنبأ به رسول الله ﷺ.. إذ جـــاء الإمام المهدي عليه السلام، وهو سيدنا مرزا غلام أحمد.. مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية.. وأعلن عن نفسه وعن دعوته.. فآمن به من آمن وكذبه من كذب. وقد أنشأ الإمام المهدي جماعته في عام ١٨٨٩ حسب أمر الله تعالى. وحيث إنه قد أعلن أنه الإمام المهدي المنتظر.. احتج بعض المكذبين والمعارضين، بأن الخسوف والكسوف لم يقعا تصديقا له حسب وعد رسول الله ﷺ. وفي مساء يوم الخميس الموافق ٢١ مارس (آذار) عام ١٨٩٤ الميلادي، وهو مساء الليلة الثالثة عشرة من رمضان المبارك عام ١٣١١ الهجري، وقع خسوف القمر. وهنا أشار الإمام المهدي إلى الشمس، وقال للناس انظروا إلى الشمس.. فإنها سوف تنكسف أيضا في اليوم الثامن والعشرين من الشهر المبارك. وفعلا وقع كسوف الشمس في اليوم المحدد وهو الموافق ٦ أبريل (نيسان) عام ١٨٩٤. وبهذا تحقق وعد رسول الله ﷺ وظهرت الآيتان اللتان ذكر أن الإمام المهدي سيستدل بهما على صدقه، ولم يحدث قط أن استدل أحد من الأنبياء من قبل

على صدقه بظهور مثل هاتين الآيتين. هذا وقد تكررت نفس الظاهرة في العام التالي مباشرة في نصف الكرة الغربي في أمريكا عام ١٨٩٥.

إن سيدنا الإمام المهدي.. حضرة مرزا غلام أحمد عليه السلام.. كان قد بدأ يتلقى الوحي من الله تعالى منذ أوائل ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي، ثم توالى نزول الوحي عليه منذ عام ١٨٧٦، وهو وحي العلم والعرفان والتبشير والإنذار، وليس وحي التقنين والتشريع كما سبق توضيحه. وكان الله تعالى يطلعه على أمور من الغيب فينبئ الناس عنها، وقد تحققت جميع نبوءاته في وقتها، والبعض منها الذي كان يتعلق بأمور في المستقبل، كان يتحقق كلما وقعت تلك الأمور، وما زالت بعض النبوءات تنتظر تحقيقها، وهي النبوءات التي تتعلق بمستقبل الجماعة ومستقبل الإسلام وانتشاره في العالم أجمع.

وفي عام ١٨٨٩.. وتحقيقا للتوجيه الإلهي.. أنشأ سيدنا الإمام المهدي الجماعة الإسلامية الأحمدية.. رغم أنه كان يكره الخروج من زاوية الاعتزال والانفراد، ورغم أن الكثير من أصحابه كان يُلح عليه لمبايعته، ولكنه كان يمتنع عن ذلك قائلا إنه لم يُؤمر بأخذ البيعة من أحد. فلما جاء إليه أمر الله بقبول البيعة امتثل للأمر، وأسس الجماعة المباركة من الحفنة المخلصة من الرجال الذين كانوا يعرفون فيه التقوى والصلاح، وما كانوا يعلمون في ذاك الوقت ما تحمله الأقدار في مستقبل الأيام، وما كان هو يعلم أن الله سيجعله الإمام المهدي الذي حدّث عنه رسول الله ﷺ، وما كان يدري أنه هو المقصود بنُزول المسيح عيسى بن مريم في آخر الزمان، وما كان يتوقع أن جماعته المباركة سوف تنتشر في جميع أنحاء العالم، إلا بعد أن أخبره الله بذلك.. وما كان قد تلقى بعدُ وعدا من الله تعالى بأن القرن الثالث بعد بعثته لن ينقضي حتى يكون الإسلام قد ظهر على الدين كله.

وفي عام ١٨٩٠ وعام ١٨٩١ بدأ سيدنا أحمد عليه السلام يتلقى البشارات من الله تعالى بأنه هو الإمام المهدي الذي بعثه الله تحقيقا لوعد رسول الله ﷺ، ثم تلقى

أيضا من الوحي ما أخبره بأن في شخصه تتحقق النبوءات المتعلقة بنُزول المسيح عيسى بن مريم، حيث إن هذه النبوءات لم تكن تعني عودة المسيح عيسى بن مريم ﷺ بشخصه إلى هذه الدنيا.. وهو الذي ذكر عنه القرآن أنه كان رسولا إلى بني إسرائيل، ولم يكن رسولا ولا مبعوثا إلى العالمين، بل إن الله قد توفاه كما توفى رسله أجمعين، وإنما كان المقصود بتلك النبوءات ظهور مثيل للمسيح عيسى بن مريم، يشابهه في صفاته وأحواله فيطلق عليه اسمه مجازا، تماما كما كان ظهور سيدنا يحيى ﷺ (يوحنا المعمدان) تحقيقا للنبوءات الخاصة بنـــزول إيليا النبي من السماء، في زمن المسيح عيسى بن مريم، عليهم جميعا أفضل السلام.

وراحت البشائر والأنباء تتنـــزل تترَى، فأخبره الله تعالى بأنه هو ذلك المبعوث المنتظر ظهوره في آخر الزمان، تحقيقا لكل النبوءات التي احتوتها الأديان العظمى في العالم اليوم. فظهوره يُعتبر تحقيقا للنبوءات الخاصة برجعة كرشنا في الديانة الهندوسية.. وتحقيقا للنبوءات الخاصة بظهور بوذا في الديانة البوذية.. وتحقيقا للنبوءات الخاصة بعودة يسوع المسيح في الديانة المسيحية.. ومجيء المسيح المنتظر في آخر الزمان في الديانة اليهودية.. ونزول عيسى بن مريم حسب ما جاء في الأحاديث النبوية.. فهو ممثل جميع الأنبياء، وهو أسد الله الذي جاء في حُلل الأنبياء.. وكان قد تلقى وحيا باللغة العربية يصفه بأنه "جَرِيُّ الله في حُلل الأنبياء" أي أنه البطل الذي أقامه الله تعالى للدفاع عن الدين القويم، والذي جاء مشابها لكل الأنبياء.

وقد جاء في كتاب بحار الأنوار الجزء الثالث عشر ص٢٠٢ عن الإمام الباقر أنه قال:

"يقول المهدي: يا معشر الخلائق.. ألا ومن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل فها أنا ذا إبراهيم وإسماعيل، ألا ومن أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع، فها أنا ذا موسى ويوشع، ألا ومن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون، فها أنا ذا عيسى وشمعون، ألا ومن أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين، فها أنا ذا محمد ﷺ وأمير المؤمنين".

ومع ذلك، فقد بيَّن ووضَّح في كل مناسبة.. وبذل أقصى ما وسعه الجهد، بالقلم وباللسان وبالعمل.. أن كل ما آتاه الله تعالى من فضل.. وكل ما أنعم به سبحانه عليه من النعم.. لم يكن إلا نتيجة طاعته الكاملة لسيد الرسل محمد المصطفى ﷺ.. وثمرة لاتباعه التام لأوامره وسُنَّته.. واقتفائه الكامل لكل خطاه وأعماله وأفعاله، فهو في حد ذاته لم يكن ليكون شيئا يُذكر أو يُسمى، لولا طاعته لله عز وجل وطاعته لرسوله الأكرم ﷺ. وبتلك الطاعة الكاملة صار وكأنه صورة أخرى للرسول ﷺ متخلقا بأخلاقه، ومتصفا بصفاته، وبذلك صار ظهوره وبعثته كأنها بعثة ثانية لرسول الله ﷺ.. تلك التي أشارت إليها آية سورة الجمعة المذكورة آنفا.

ولعله من المفيد هنا أن نقتبس بعض ما كتبه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام باللغة العربية توضيحا لهذا الأمر.. إذ يقول:

"ولا يقول هذا العبد إلا ما قال النبيّ ﷺ، ولا يُخرج قدمًا من الهُدى. ويقولُ إن الله سمّاني نبيًّا بوحيه، وكذلك سُمِّيتُ من قبلُ على لسان رسولنا المصطفى. وليس مُراده من النبوة إلا كثرة مكالمة الله وكثرة أنباءٍ من الله وكثرة ما يُوحى. ويقول: ما نعني من النبوة ما يُعنَى في الصحف الأولى، بل هي درجة لا تُعطَى إلا من اتّباع نبيّنا خير الورى. وكلّ من حصلتْ له هذه الدرجة.. يكلّم الله ذلك الرجل بكلام أكثر وأَجْلى، والشريعة تبقى بحالها.. لا ينقص منها حُكمٌ ولا تزيد هُدى.

ويقول إني أحد من الأمّة النبوية، ثم مع ذلك سمّاني الله نبيًّا تحت فيض النبوّة المحمّديّة، وأَوحَى إليّ ما أوحى. فليست نبوّتي إلا نبوّته، وليس في جُبّتي إلا أنواره وأشعّته، ولولاه لما كنت شيئًا يذكر أو يسمَّى." (الاستفتاء، الخزائن الروحانية ج ٢٢ ص ٦٣٧)

ثم يقول في موضع آخر من نفس المرجع السابق:

"والنبوّة قد انقطعت بعد نبيّناﷺ، ولا كتاب بعد الفرقان الذي هو خير

الصحف السابقة، ولا شريعة بعد الشريعة المحمديّة، بَيْدَ أني سُمّيتُ نبيًّا على لسان خير البريّة، وذلك أمر ظلّي مِنْ بركات المتابعة، وما أرى في نفسي خيرًا، ووجدتُ كُلّ ما وجدت من هذه النفس المقدّسة. وما عنى الله من نبوّتي إلا كثرة المكالمة والمخاطبة، ولعنة الله على من أراد فوق ذلك، أو حسب نفسه شيئًا، أو أخرج عنقه من الرِّبْقة النبويّة. وإن رسولنا خاتم النبيين، وعليه انقطعتْ سلسلة المرسلين. فليس حقّ أحدٍ أَن يدّعي النبوّة بعد رسولنا المصطفى على الطريقة المستقلّة، وما بقي بعده إلا كثرة المكالمة، وهو بشرط الاتّباع لا بغير متابعة خير البريّة. ووالله، ما حصل لي هذا المقام إلا من أنوار اتّباع الأشعّة المصطفوية، وسُمِّيتُ نبيّا من الله على طريق المجاز لا على وجه الحقيقة. فلا تهيج ههنا غيرة الله ولا غيرة رسوله، فإني أُربَّى تحت جناح النبيّ، وقدمي هذه تحت الأقدام النبويّة. ثم ما قلتُ من نفسي شيئًا، بل اتّبعتُ ما أُوحي إليّ من ربّي. وما أخاف بعد ذلك تهديد الخليقة، وكلّ أحدٍ يُسأل عن عمله يوم القيامة، ولا يخفى على الله خافية.". (المرجع السابق- ص ٦٨٩)

وفي الصفحات التالية.. سوف نقدم للقارئ قبسات مختصرة لحياته عليه السلام وشخصيته ودعوته وعقيدته وتعاليمه ومكانته والغرض من إنشاء الجماعة التي أنشأها بتوجيه من الله تعالى ومدى تقدم هذه الجماعة وتحقيقها للغرض الذي قامت من أجله. عسى الله أن ينفع بها قراء العربية.. ويهدي الصالحين منهم إلى نور الإيمان واليقين.. والله من وراء القصد وهو أرحم الراحمين.



الفصل الأول

مولــد الأمــل

الفصل الأول

مولد الأمل

في عام ١٥٣٠م رحل مرزا هادي بيك (Mirza Hadi Beg) من سمرقند إلى البنجاب التي تقع في الجزء الشمالي من الهند، واستقر مع أهله في منطقة من مقاطعة غورداسبور (Gurdaspur). كان مرزا هادي بيك زعيما من الزعماء الأسيويين من أصل مغولي، ولما رحل عن سمرقند اصطحب معه ما يقرب من مائتين من عماله وخدامه. والمعروف أن مرزا هادي بيك كان من ذرية الحاج برلاس عم الأمير تيمورلنك المشهور في سمرقند، والذي يُعتبر قبره هناك أحد المعالم التي يزورها السياح. وكان المكان الذي استقر فيه مرزا هادي بيك يبعد ما يقرب من سبعين ميلا شرقي مدينة لاهور، وهناك أسس قرية أحاطها بجدران عالية وأسماها إسلام بور.

ولما كان مرزا هادي بيك سليل نفس العائلة الملكية التي ينتمي إليها الإمبراطور بابر.. الجالس على عرش الإمبراطورية الهندية ويرأس الحكومة المركزية في دلهي.. فقد منحه الإمبراطور مقاطعة من الأرض تحتوي على مئات من القرى، وعينه قاضيا للمقاطعة والمناطق المجاورة. وبذلك صارت القرية التي أنشأها تعرف باسم "قاضي إســـلام بور"، وبمرور الزمن سقط لفظ "إسلام بور" من الاستعمال وصارت تعرف باسم "قاضيان"، ثم تطور الاسم إلى "قاديان".

ورغم أن مقر العائلة كان يبعد عن العاصمة الإمبراطورية في دلهي، إلا أن أفراد عائلة مرزا هادي بيك كانوا من وقت لآخر يتقلدون مناصب هامة في الحكومة الإمبراطورية المركزية. وفي أيام اضمحلال الحكم المغولي في الهند، اتخذ مرزا فيض محمد.. رأس العائلة حينئذ.. خطوات حاسمة للقضاء على الفوضى

التي عمت البنجاب في ذاك الوقت. وتقديرا لخدماته.. أنعم عليه الإمبراطور فرّوخيار في عام ١٧١٦ بلقب "هَفْت هزاري". ولمن ينال شرف حمل هذا اللقب الحق في تكوين قوة عسكرية تعمل تحت إمرته وتتكون من سبعة آلاف مقاتل. ولذلك لم يكن يُمنح هذا اللقب إلا لأعضاء العائلة الملكية فقط. وقد خلع الإمبراطور على مرزا فيض محمد لقب "أسد الدولة" تقديرا لخدماته التي دافع بها عن سلطة الإمبراطور والحكومة.

وبعد وفاة مرزا فيض محمد.. اضطر ابنه مرزا كل محمد (Mirza Gul Mohammad) أن يخوض معركة يائسة ضد القوى الفوضوية التي بدأت تنتشر في البنجاب منتهزة فرصة ضعف الحكومة الإمبراطورية. واستمرت تلك الحالة أثناء حكم كل من محمد شـــاه، وشـــاه عالم، وعالم كير الثاني. وكان مرزا فيض محمد يحذر السلطات المركزية في دلهي من تزايد الأخطار المحدقة، ويطلب المساعدات العسكرية من الحكومة لمقاومة تلك الأخطار والقضاء على حركات التمرد التي زاد انتشارها. وكان يتلقى الكثير من الوعود من الحكومة ولكن دون أن ينال القوة والمساعدات العسكرية التي كان يطلبها. و لم يكن أمامه سوى أن يستمر في جهاده للدفاع عن سلطة الحكومة الإسلامية ضد حركات التمرد، ولكن دون تحقيق نجاح مذكور. فالبنجاب في ذلك الوقت كانت مسرحا لحركات التمرد التي كان يقوم بها بعض الناس من رؤساء القبائل، وبعض العصابات التي كانت تعيش على السلب والنهب منتهزة فرصة ضعف الحكومة المركزية. ولما كان مرزا كول محمد يتمتع بقوة عسكرية ويتمتع أيضا بشخصية قيادية.. فقد استطاع الدفاع عن ممتلكاته الخاصة، والتي كانت تشمل في ذلك الوقت مقاطعة تحتوي على ما يقرب من خمسة وثمانين قرية، وأصبح في واقع الأمر الحاكم المتصرف على هذه المقاطعة.

كان مرزا كل محمد رجلا على جانب كبير من الصلاح والتقوى، وكان يرعى العلم والعلماء، ولذلك فإن الكثير من طلاب العلم والعلماء كانوا يتوافدون إليه، فكان يعتني بهم وينفق عليهم. ولكنه مع ذلك كان من ناحية

أخرى يخوض معركة خاسرة ضد القوى الفوضوية التي كانت تحاصره، وسرعان ما سقط نفوذ الحكومة الإمبراطورية المسلمة في أيدي السيخ، وخاصة في المقاطعات التي تتوسط البنجاب.

وبعد مرزا كل محمد خلفه ابنه مرزا عطا محمد، وفي زمنه قوي نفوذ السيخ وزادت شوكتهم حتى إنهم حاصروه من كل جانب وسلبوا أملاكه، ففقد الكثير من القرى التي كانت تحت حكم أبيه، وتقلصت سلطته حتى لم تعد تزيد على قاديان نفسها، التي صارت في واقع الأمر مجرد قلعة محاصرة، يحيط بها السيخ وقواتهم من كل مكان. وفي عام ١٨٠٢ استطاعت قوات السيخ التابعة لرام غرهـ (Ramgarh) أن تخترق خطوط الدفاع في قاديان عن طريق الخيانة، فسقطت قاديان.. ووقع مرزا عطا محمد وكل أفراد أسرته في الأسر، ونُهبت المتاجر والبيوت، وهُدمت المساجد ودور العبادة، وتَحول أحد المساجد إلى معبد للسيخ وما زال قائما حتى اليوم. وقد أحرق السيخ مكتبة العائلة التي كانت تحتوي على أعداد كبيرة من الكتب الهامة والمخطوطات النادرة. وقُتل أعداد غفيرة من سكان قاديان المسلمين، غير أن عائلة مرزا عطا محمد نجت من القتل، واكتفى السيخ بطردهم من قاديان.

خرجت العائلة في هم وغم وألم عظيم، وعبرت نهر بياس إلى بيغوال (Begwal) حيث كان يقيم سردار فتح سنغ أهلوواليا (Sardar Fateh Singh Ahluvalia) وهو أحد جدود المهاراجا كبورتهله (Maharaja Kapurthala). وقد أكرمهم السردار فتح سنغ وأحسن إليهم بشكل لم يطلبوه ولم يكونوا حتى يتوقعوه. وجعل لهم قدرا من المال.. لم يكن بالطبع يكفي حاجاتهم، ولكنهم كانوا شاكرين للمهاراجا صنيعه وممتنين له فضله وكرمه. وأقامت العائلة هناك حوالي خمس عشرة سنة إلى أن مات مرزا عطا محمد بعد أن دس له السم بعض أعدائه، وقرر ابنه مرزا غلام مرتضَى أن يدفن جثمان أبيه في مقبرة العائلة في قاديان، ولكن سلطات السيخ هناك عارضت ذلك الأمر، مما أثار حفيظة

المسلمين المقيمين في قاديان، وتطور النّزاع إلى حركة تمرد واسعة من السكان على سلطات السيخ، الأمر الذي حَدَا بسلطات السيخ إلى الموافقة على دفن الجثمان تفاديا لوقوع الاضطرابات التي قد تهدد أمنهم.

وفي تلك الأيام كان المهاراجا رنجيت سنغ (Maharaja Ranjit Singh) قد دعم سلطته، واستطاع أن يبسط نفوذه على كل العصابات التي كانت تثير الذعر والفوضى في البنجاب. وفي عام ١٨١٨ سمح لمرزا غلام مرتضَى وأفراد عائلته أن يقيموا في قاديان. والتحق مرزا غلام مرتضى وأخوه بجيش المهاراجا وأبليا بلاء حسنا، وأسديا للمهراجا خدمات كثيرة في أماكن عديدة تقرب من حدود كشمير التي استولى عليها المهاراجا عام ١٨١٩.

وفي هذه الفترة التي كان يخدم فيها مرزا غلام مرتضى في جيش المهاراجا.. خفت حدة المظالم والمعاناة عن كاهله هو وأسرته.. تلك المظالم التي كانت تثقل كاهل المسلمين عموما في البنجاب بسبب الاضطهاد المرَوّع الذي كان السيخ يصبونه على المسلمين. واستمرت العائلة مع هذا تعاني اضطهاد السيخ وعداءهم الشديد للمسلمين في تلك الأثناء. واستمر حال الأسرة كذلك حتى عام ١٨٣٤ حينما أدرك المهاراجا مدى ولاء وإخلاص مرزا غلام مرتضى والجهد الذي بذله في خدمته، فقرر أن يعيد إليه خمس قرى من عشرات القرى التي كانت عائلته تمتلكها. وتم هذا حين وُلِد له صبي في يوم الجمعة الموافق الثالث عشر من شهر فبراير (شباط) عام ١٨٣٥. وكان هذا هو الابن الثاني له فأسماه مرزا غلام أحمد. وبهذا كان مولد الطفل بشيرا بأن الشدائد قد بدأت تزول عن كاهل هذه العائلة التعسة، وبمولد ذلك الغلام انتهت المحن والكوارث التي حلت بأهله، وبدأ يهل عليهم عهد جديد يعم فيه السلام والاطمئنان، وكأن الدهر قد عاد يبتسم مرة أخرى لهذه العائلة، وبدأ نسيم الأمل في غد جديد يهب على أحلام تلك الأسرة الصغيرة، ولم يكن أحد يعلم في ذلك الآن أن هذا الأمل الذي وُلد لم يكن أملا للأسرة الصغيرة وحدها.. وإنما كان الأمل الذي كانت تنتظره الأسرة الإنسانية

بأسرها.. إنه الأمل الذي كان المسلمون يرقبون ظهوره.. وهو الأمل الذي كان يترقبه أهل الكتاب من نصارى ويهود.. وهو الأمل الذي كان ينتظره أهل الأديان جميعا.

وجدير بالذكر أنه عندما وُلد مرزا غلام أحمد كان تَوأما لأخت سبقته في المولد، ثم توفيت لبضعة أيام. وترجع أهمية هذا الميلاد إلى أنه يحقق نبوءة ذكرها الشيخ محيي الدين بن عربي، وهو من علماء الإسلام المعروفين، فقال إن الإمام المهدي سوف يولد تَوأما مع أخت له.

مات المهاراجا رنجيت سنغ عام ١٨٣٩ حين كانت القوات البريطانية على أبواب البنجاب، وسرعان ما تحطمت قوة السيخ وانهارت تماما تحت أقدام جنود الإمبراطورية البريطانية. وقضى هؤلاء على المظالم التي كان السيخ يصبونها على رؤوس سكان البنجاب المسلمين، والتي قاسى المسلمون منها الأمرّين سواء في المجال الديني أو السياسي، حيث إنهم حُرموا من كل حقوقهم الإنسانية، وعانوا الاضطهاد الديني والظلم السياسي. واستمر الأمر كذلك حقبة طويلة من الزمن، ولم تخِفَّ حدة تلك المظالم إلا بقدر يسير في عهد رنجيت سنغ، ولكنها انتهت تماما بدخول الإنجليز إلى البنجاب وانتزاعهم السلطة من أيدي السيخ.

أصاب السيخ هزيمة ساحقة على أيدي الإنجليز في ٢١ فبراير (شباط) من عام ١٨٤٩ مما أدى إلى استيلائهم على البنجاب في ٢ أبريل (نيسان) من نفس السنة. وأوقف الإنجليز الاضطهاد والظلم الذي كان السيخ يصبونه على الأهالي المسلمين، وحكموا البنجاب من خلال مجلس إدارة استمر حتى عام ١٨٥٣ حين عُيِّن على تلك الولاية الهندية مندوب عام. وكان من نتائج محاولات التمرد التي وقعت في عام ١٨٥٧ أن انتهى حكم شركة الهند الشرقية، ووقعت الملكة فيكتوريا مرسوما ملكيا في ٢ أغسطس (آب) عام ١٨٥٨ يقضي بأن يؤول حكم الهند إلى التاج البريطاني، وبدأ بذلك عهد من السلام والاستقرار في

الهند، بعد أن طالت أيام الشقاء والشحناء التي تعرض لها المسلمون في الهند عامة وفي البنجاب على وجه الخصوص.

وبدخول الإنجليز إلى البنجاب تمت مصادرة جميع ممتلكات عائلة مرزا غلام مرتضى إلا من قاديان وبعض القرى المجاورة. وفي كتاب 'زعماء البنجاب' الذي ألفه سير لابل جريفن وكولونيل ماسي والذي راجعه سير هنري كريك ونُشر عام ١٩١٠.. جاء الوصف التالي للعائلة التي ولد فيها مرزا غلام أحمد:

"في عام ١٥٣٠.. آخر عام في حكم الإمبراطور بابر.. نزح هادي بيك وهو مغولي من سمرقند إلى البنجاب واستقر في مقاطعة غورداسبور، وكان رجلا ذا علم فعُيِّن قاضيا أو حاكما على مقاطعة تحتوي على سبعين قرية إلى جوار قاديان التي يقال إنه أسسها وأسماها "قاضي إسلام بور"، والتي تحوّل اسمها بمرور الزمن إلى قاديان. وعلى مدى عدة أجيال تقلدت العائلة عدة مناصب رفيعة في الحكومة الإمبراطورية بالهند، ولكن عندما قويت شوكة السيخ عانت العائلة من الفقر والاضطهاد. واشتبك كول محمد وابنه عطا محمد في قتال مستمر مع "رامغاره" و "كانهايا" اللذين كانا يسيطران على المناطق المحيطة بقاديان. وفي النهاية.. بعد أن خسر كل أملاكه ونفوذه.. هاجر عطا محمد إلى بيغوال حيث عاش تحت حماية سردار فاتح سنج أهلوفاليا (وهو الحاكم الحالي لولاية كورثالا) حيث عاش هناك ما يقرب من اثني عشر عاما. وعند وفاته سمح رنجيت سنغ لغلام مرتضى أن يعود إلى قاديان، وأعاد إليه جزءا كبيرا من أملاك عائلته.

وكان رنجيت سنغ قد استولى على كل الأراضي والممتلكات التي كانت في قبضة رامغار ميسال. وحينئذ التحق غلام مرتضى بخدمة المهاراجا وأدى له خدمات جليلة على حدود كشمير.

وفي أيام نَونهال سنغ وشير سنغ ودارباز كان غلام مرتضى يؤدي

وظيفته في الخدمة العسكرية، وقد أُرسل مع جنرال فنتورا إلى ماندي وكولو عام ١٨٤١، وفي عام ١٨٤٣ ذهب إلى بشاور على رأس فرقة عسكرية من المشاة، وقد أبلى بلاءً متميزا ضد قوات المقاومة في هزارا. وحينما وقع تمرد عام ١٨٤٨ ظل هو مخلصا للحكومة وحارب تحت لوائها، كذلك أدى أخوه غلام محيي الدين خدمات جليلة في ذلك الوقت. ولما سارت قوات بهاي مهراجا سنغ إلى مُلتان لمساعدة قوات ديوان مول راج، قام غلام محيي الدين مع ملاك الأراضي في المنطقة.. "لانكرخان ساهيوال وصاحب خان تيوانا" بإثارة السكان المسلمين، وبقوة عسكرية من "ديال صاحب" استطاعوا الهجوم على المتمردين وهزموهم شر هزيمة، فانسحبوا إلى تشناب حيث هلك منهم ما يقرب من ستمائة مقاتل.

وقد ظلت أملاك هذه العائلة الصغيرة مصادرة.. ولكن الحكومة كانت تدفع مبلغ سبعمائة روبية كمعاش لغلام مرتضى وأخيه، كما أعطتهم الحكومة حق الاحتفاظ بممتلكاتهم في قاديان والقرى المجاورة. وقد بذلت العائلة خدمات جليلة أثناء اضطرابات ١٨٥٧ وانضم غلام مرتضى هو وابنه غلام قادر مع عدة رجال إلى قوة الجنرال نيكلسون الذي قضى على المتمردين في الفرقة السادسة والأربعين الذين هربوا من سيالكوت." (مترجم عن كتاب "الأحمدية.. بعث الإسلام" للسيد محمد ظفر الله خان)

كان مرزا غلام مرتضى طبيبا حاذقا وكان يعالج الناس بالمجان ولا يرضى أن يتقاضى ثمنا للعلاج، فقد كان إنسانا كريما معطاءً يتمتع بشخصية قوية مؤثرة، حتى إن الناس كانوا يقفون عند رؤيته احتراما له وإجلالا. كذلك فقد كان رجلا أديبا.. وكثيرا ما كان يقرض الشعر أيضا. وفي نهاية عمره بنى مسجدا في مركز قاديان، وهو المسجد المعروف الآن باسم المسجد الأقصى. ورغم أن موارده المالية في ذلك الوقت كانت محدودة للغاية.. إلا أنه أنفق مبالغ كبيرة

لبناء ذلك المسجد. وقد بذل مجهودات متواصلة لاسترجاع ممتلكات عائلته وأملاك آبائه، وتقدم بعدة التماسات للحكومة البريطانية بهذا الشأن، ولجأ إلى القضاء مرات بعد مرات، ولكن دون جدوى.. إذ لم تستجب الحكومة البريطانية لأي من التماساته، ولا أعادت إليه شيئا من أملاك العائلة. ورغم أنه أنفق جانبا كبيرا من ماله وجهده على القضايا العديدة التي رفعها ضد الحكومة ليحصل على ممتلكاته المصادرة، إلا أنه لم يستطع.. حتى أخريات أيام حياته.. أن يحقق أي هدف من أهدافه.

ويجدر بنا أن ننقل هنا نبذة عما كتبه سيدنا مرزا غلام أحمد باللغة العربية عن تاريخ عائلته إذ يقول:

"وقع في نفسي أن أكتب شيئًا من سوانحي وسوانح آبائي في هذه الرسالة، لأعرّف به الناسَ أمري، لعل الله ينفعهم، ويزيدهم قوّة لِرفع الضلالة، ولعلّهم يفكّرون في أصل الحقيقة، ويميلون إلى العدل والنَّصَفة.

فاعلموا، رحمكم الله، أني أنا المسمى بـــ غلام أحمد بن ميرزا غلام مرتضى، وميرزا غلام مرتضى بن ميرزا عطا محمد، وميرزا عطا محمد بن ميرزا گـــل محمد، وميرزا گـــل محمد بن ميرزا فيض محمد، وميرزا فيض محمد بن ميرزا محمد قائم، وميرزا محمد قائم بن ميرزا محمد أسلم، وميرزا محمد أسلم بن ميرزا دلاور بيـــگ، وميرزا دلاور بيـــگ بن ميرزا إله دين، وميرزا إله دين بن ميرزا جعفر بيـــگ، وميرزا جعفر بيـــگ بن ميرزا محمد بيـــگ، وميرزا محمد بيـــگ بن ميرزا محمد عبد الباقي، وميرزا محمد عبد الباقي بن ميرزا محمد سلطان، وميرزا محمد سلطان بن ميرزا هادي بيـــگ.

ثم اعلموا أنّ مسكني قريةٌ سُمّيت ببلدة الإسلام، ثم اشتهر باسم "قاديان" في هذه الأيام. وهي واقعة في الفنجاب بين النهرين "الراوي" و"البياس"، إلى جانب المشرق مائلا إلى الشمال من "لاهور" الذي هو

صدر الحكومة ومركز البلاد الفنجابية.
وإني قرأتُ في كتب سوانح آبائي وسمعت من أبي أن آبائي كانوا من الجرثومة المُغْليّة. ولكن الله أوحى إليّ أنّهم كانوا من بني فارس لا من الأقوام التركيّة. ومع ذلك أخبرني ربي بأنّ بعض أمهاتي كُنَّ من بني الفاطمةِ، ومن أهل بيت النُّبوّةِ، والله جمع فيهم نسل إسحاق وإسماعيل من كمال الحكمة والمصلحة.
وسمعتُ من أبي وقرأت في بعض سوانحهم أنّهم كانوا في بدء أمرهم يسكنون في بلدة "سمرقند"، قبل أن يرحلوا إلى الهند، وكانوا من أمراء تلك الأرض ووُلاتها، ومن أنصار الملّة وحُماتها. ثم طرحتْهم النوى مَطارحَها، وبسطتْ إليهم سيول السفر جوارحَها، حتى إذا وطئوا أرض هذه البلدة التي تسمى بـــ"قاديان" ورأوا هذه الخِطّة المباركة، والتُّربة الطيبة، سرّتْهم ريحها وماؤها، وسوادها وخضراؤها، فألقَوا فيها عصا التَّسْيار، وكانوا يرجّحون البدو على الأمصار، ورُزقوا فيها من الله ضيعةً وعقارًا، وملكوا قرًى وأمصارًا. ثم إذا مضى زمانٌ على هذه الحالة، ونزل قضاء الله وقدره على السلطنة الـــمُغليّةِ، أمّرهم الله في هذه الناحية، وانتهى الأمر إلى أَنّهم صارُوا كمَلِكٍ مستقل في هذه الخِطّة، وكان في يدهم مِن كل نهجٍ عِنانُ الحكومة، وقضى الله وطرهم من الفضل والرحمة. وبعد ما زجّوا زمانًا طويلا في النّعمة والرفاهةِ، والشرف والنباهة، أخرج الله بمصالحه العميقة وحِكمه الدقيقة قومًا يقال له "الخالصة"، وكانوا قسيّ القلب لا يكرمون الشرفاء، ولا يرحمون الضعفاء، وكُلّما دخلوا قريةً أَفْسدوها، وجعلوا أعِزّةَ أهلها أذِلّة، فصارت مِن جورهم بُدُورُ الإسلام كالأَهِلّة. وكانوا من أعادي الإسلام، وأكبر أعداء ملة خير الأنام. ففي تلك الأيام صُبّت على آبائي المصائب من أيدي تلك اللئام، حتى أُخرجوا من مقام الرياسة، ونُهبت أموالهم من أيدي الكفرة، ونُطحوا من جُيُود، وهُجّروا من ظلٍّ ممدودٍ، ولبثوا في أرض الغُربة إلى سنين، وأُوذوا إيذاءً شديدًا من الظالمين،

وما رحمهم أحد إلا أرحم الراحمين. ثم ردّ الله إلى أبي بعض القُرى في عهد الدولة البرطانية، فوجد قطرةً أو أقلّ منها من بحر الأملاك الفانية.

فخلاصة الكلام أنّ آبائي ماتوا بمرارة الخيبة والحسرات، بعد ما كانوا كشجرةٍ مملوّةٍ من الثمرات، وبعد أيامٍ كانت كالعذاري المتبرّجات. فوجدتُ قصصهم محلَّ عبرةٍ تسيل بذكرها العبرات، ولا ترقأ عند تصوّرها الدموع الجاريات. ولما رأيتُ ما رأيتُ، أخذتني الرقّة فبكيتُ، وناجيتُ نفسي بأن هذه الدنيا ليست إلا كغدّار، وليس مآلها إلا مرارةُ خيبةٍ وتبار. وأرهقتني دار الدنيا بضيقها، وأُلقي في قلبي أن أعاف بريقَها، فصرف الله عني حبّ الدنيا ورؤية زينتها، والتمايل على شجرتها وثمرتها. وكنت أحبّ الخمول، وأؤثر زاوية الاختفاء، وأفرّ من المجالس ومواقع العُجْب والرياء. فأخرجني الله من حجرتي، وعَرّفني في النّاس، وأنا كارهٌ من شهرتي، وجعلني خليفة آخر الزمان، وإمام هذا الأوان." (الخزائن الروحانية ج ٢٢، ضميمة حقيقة الوحي ص٧٠٣-٧٠٥)

كانت زوجة مرزا غلام مرتضى تنتمي إلى عائلة شريفة من عائلات المغول في "أيما"، وهي قرية في مقاطعة هوشياربور. وكانت تسمى "جراغ بي بي" ويعني هذا الاسم: 'سيدة المصباح المنير'. كانت سيدة سخية وكريمة ومضيافة، وكانت تعتني بالفقراء وتنفق على أمور معيشتهم أثناء حياتهم، ثم إذا مات منهم أحد كانت تتولى الإنفاق على دفنه دفنا كريما لائقا. وكانت زوجة صالحة مخلصة ونعم الرفيق لمرزا غلام مرتضى في كل من حالات العسر واليسر، وكان هو يحمل لها كل تقدير وإعزاز، وكثيرا ما كان يستشيرها ويأخذ بنصيحتها في أموره الخاصة. وكانت أما رؤوفا رؤوما تسبغ على أولادها المحبة والرعاية والحنان والعناية. ولما كبر ابنها مرزا غلام أحمد (ومعناه خادم محمد ﷺ) وظهرت منه بوادر الانعزال عن الدنيا وشؤونها والزهد فيها

والتوجه إلى أمور الدار الآخرة.. كانت تتفهم مسلكه وتقدِّره، بينما كان أفراد العائلة الآخرين ينكرون عليه مسلكه وينتقدونه. وقد توفيت عام ١٨٦٨ ودفنت في مدافن الأسرة غرب قاديان. وكان مرزا غلام أحمد يحبها حبا جما، ويبرها برا يليق بها وبذكراها العطرة، وكلما تحدث عنها وعن مآثرها كانت عيناه تفيض من الدمع، وكثيرا ما كان يزور قبرها ويدعو الله لها بالرحمة والجنة.

وقد صحب مرزا غلام أحمد والدته خلال صباه عدة مرات عند زيارتها لأبويها في مقاطعة هوشياربور، حيث كان يلعب في مجاري النهيرات الجافة التي كانت تجري من التلال إلى الوادي أثناء الفصل المطير. وكانت طفولته تتميز عن غيرها من طفولة أقرانه بأنه كان هادئ الطبع رصين النفس، نادرا ما يكتئب أو يشعر بالقلق، وكان يتمتع بهيبة ووقار. ورغم أنه كان يلعب مثل بقية الأطفال الذين في مثل عمره إلا أنه كان يبدو دائما جادا غير هازل، وكان مترفعا عن صغائر الأمور، مما كان يكسبه احترام من يحوطونه رغم حداثة سنه.

حدث ذات مرة أنه كان يلعب في أحد الحقول المجاورة لقاديان بالقرب من أحد الرعاة الذي كان يرعى بعض الأغنام، وطلب مرزا غلام أحمد من الراعي أن يستحضر له شيئا من منـــزله.. ووعد بأنه سوف يرعى له الغنم إلى حين عودته، وفعلا ذهب الرجل وترك أغنامه في عهدة الصبي. وهكذا أتاح له الله فرصة رعي الغنم، ولو لفترة قصيرة، فإن رعي الغنم هو القاسم المشترك بين الأنبياء جميعا.



الفصل الثاني

مولد البطل

الفصل الثاني

مولد البطل

أثناء حكم السيخ الطويل للبنجاب انحط التعليم انحطاطا كاملا. وبسبب ضعف المسلمين عموما في الهند.. كانوا لا يهتمون بأمور التعليم إلا ما ندر، ولم تكن تحظى المناطق النائية عن المدن بوسائل التعليم من مدارس ومعاهد إلا بالمستويات البسيطة والأولية. ولم يكن في قاديان.. وهي القرية الصغيرة في ذلك الوقت.. سوى مدرسة واحدة أولية تتولى تعليم أبناء بعض العائلات مبادئ القراءة والكتابة.

وقد كتب سيدنا مرزا غلام أحمد عليه السلام بنفسه، ووصف بكلماته الإجراءات التي اتخذها والده لتعليمه فقال ما تعريبه:

"لقد تم تعليمي في الصغر بحيث لما بلغت ست أو سبع سنوات من عمري.. استُخدم معلمٌ يتقن اللغة الفارسية علمني القرآن الكريم وبعض الكتب الفارسية، وكان اسمه "فضل إلهي". ولما بلغت حوالي العاشرة من عمري.. استُخدم شخص لتعليمي عالم باللغة العربية اسمه "فضل أحمد". وإنني لأرى أنه لما كان تعليمي هو الغرسة الأولى من فضل الله، لذا فقد كان اسم كل من المعلميْن يبدأ بكلمة "فضل". لقد قام المولوي المحترم (أي فضل أحمد)، الذي كان رجلا متدينا وصالحا، على أمر تعليمي باهتمام كبير ومثابرة، ودرست على يده بعض كتب الصرف وقواعد النحو. ولما بلغْتُ السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمري.. تتلمذت لبضع سنين على يد مولوي آخر كان اسمه "كل على شاه"، وكان والدي قد عينه أيضا لتعليمي في قاديان، وتعلمت منه ما شاء الله تبارك وتعالى من قواعد النحو ودرست المنطق والطب وغيره من العلوم المتداولة في ذلك الوقت. ولما كان والدي طبيبا حاذقا فقد قرأت

على يده بعض الكتب في علم الطب كذلك.
وفي تلك الأثناء صرت مولعا بقراءة الكتب لدرجة كبيرة، حتى وكأني لست أعيش في هذا العالم. وكان والدي ينصحني دائما بالإقلال من قراءة الكتب، حيث إنه كان يخاف شفقة علي ألا يضر ذلك بصحتي، وكان يرمي إلى أن أتخلى عن هذه الأمور وأشاركه في أعماله وأشغاله. وفي نهاية المطاف هذا ما حدث بالضبط، إذ كان والدي في ذلك الوقت مشغولا برفع القضايا في محاكم الحكومة الإنجليزية أملا في استعادة أملاك أجداده من القرى التي كانوا يملكونها. فوظفني في تلك المهمة فصرت مشغولا بها لوقت طويل. وقد أسفت دائما على الوقت الثمين الذي ضاع هباءً في تلك القضايا التافهة. وإلى جانب ذلك أوْكل إليّ والدي أمور الإدارة والإشراف على الأراضي الزراعية، ولكني لم أكن أجد في نفسي ميلا للاهتمام بتلك الأمور، مما كان يُغضب والدي في بعض الأحيان. ولقد كان والدي حنونا بي وشفيقا علي جدا، ولكنه كان يريد أن يجعلني منصبّا على الأمور الدنيوية مثل عامة الناس، غير أنني لم أكن أميل إلى هذه الأمور بتاتا." (كتاب البرية، الخزائن الروحانية ج ١٣ من ص١٨١-١٨٣ حاشية أسفل الصفحة)

كان "فضل إلهي" و "فضل أحمد" يقومان بتدريس مرزا غلام أحمد عليه السلام في قاديان، وأما المولوي "جل علي شاه" فقد كان في أول الأمر يقوم بتدريسه في قاديان، ولكنه سرعان ما عاد إلى مدينة "بطالا" التي كان يسكنها، واضطر مرزا غلام أحمد عليه السلام أن ينتقل للإقامة في "بطالا" بعض الوقت حتى يستكمل دراسته هناك على يد أستاذه.

وفي تلك المرحلة كان مرزا غلام أحمد عليه السلام قد بدأ يبدي اهتماما خاصا بالعلوم الدينية، وكانت دراسته العميقة للقرآن الكريم تحتل مكان الصدارة دائما. ولكنه لم يقتصر على قراءة الكتب الإسلامية وحدها، بل كان يقرأ أيضا الكتب المسيحية. وقد أفزعه مدى خبث وبذاءة المطاعن المسيحية

الموجهة إلى الإسلام، وضد نبي الرحمة ﷺ، مما ترك أثرا عميقا في قلبه ووجدانه.

وكما هي العادة في تلك الأيام.. فقد اتُّخِذت ترتيبات زواجه من ابنة خاله، وكان اسمها "حُرمة بي بي"، وقد رُزق منها بولدين هما مرزا سلطان أحمد الذي ولد في عام ١٨٥٢، ومرزا فضل أحمد الذي ولد في عام ١٨٥٥، حسب بعض التقديرات.

ومن المعلوم أن الشاب حين يتزوج ينشغل عادة بالأمور الحياتية وكسب العيش والانغماس في الأمور الدنيوية التي تقتضيها ظروف الحياة. ولكن.. حين تم زواجه.. كان مرزا غلام أحمد عليه السلام لم يزل مشغولا بدراسته، ولم يسمح أن يكون لزواجه أي أثر على برنامج دراسته أو على أسلوب حياته الذي صار فيه مغرما بالقراءة والدرس والمطالعة، وميالا للتأمل والتفكر. ولم يكن التغيير الذي طرأ عليه في تلك الفترة سوى أنه بدأ يُكرّس وقتا أطول للعبادة والصلاة ودراسة القرآن الكريم، وكان يقضي في ذلك أوقاتا طويلة في مسجد العائلة.. ماشيا ذهابا وإيابا وهو غارق في تفكير عميق وتأمل شديد.

وكان قد تعلم السباحة وركوب الخيل في حداثة سنه، ولكن رياضته المفضلة كانت المشي الحثيث، وقد واظب على تلك الرياضة حتى أثناء أشد أوقاته انشغالا. ولما انتهى من دراساته المدرسية كان والده يسعى لتوجيه اهتمامه بالأمور الدنيوية، وأمور العائلة، وأسباب المعيشة. ولكن تلك الأمور لم تكن تعنّ له، ولم يجد في نفسه ميلا لها. وفي ذلك كتب يقول ما تعريبه:

"كان والدي يريد أن يجعلني منصبّا على الأمور الدنيوية مثل عامة الناس، الأمر الذي كان يتعارض مع طبعي وميولي.... ومع ذلك فأرى أنني – طاعةً لوالدي ولنيل رضى الله تعالى وليس حبا في تلك الأمور– كرّست نفسي لخدمة والدي، وكنت دائما أدعو الله له. وإن والدي بسبب سلوكي هذا كان يعتبرني بارًّا بالوالدين. وكان كثيرا ما

يقول إنني أوجه ابني هذا إلى الأمور الدنيوية على سبيل الترحم، وإلا فإني أعرف جيدا أن المنهج الذي ينتهجه - أي منهج الدين - هو المنهج السليم والقويم، أما نحن فنمضي أعمارنا هباء." (كتاب البرية، الخزائن الروحانية ج ١٣ ص١٨٢-١٨٤ الحاشية)

وقد حدث مرة في إحدى محاولات والده تشغيله بأمور الدنيا أنه استطاع فعلا أن يوظفه في وظيفة صغيرة في الإدارة المدنية لمحافظة "سيالكوت" حوالي عام ١٨٦٤. ومع أنه قام بتأدية واجبات وظيفته على الوجه الأكمل وبأمانة تامة.. إلا أنه كان كثير الإنعزال. واستمر يقضي وقت فراغه في العبادات والدراسات الدينية. وكان لديه البعض من معارفه المقربين، ولكنه كان يرفض رفضا باتا أن يستقبل في مسكنه أي شخص تتعلق زيارته بأمور وظيفته. ولم يكن له من الأصدقاء المقربين في تلك الآونة سوى "لاله بهيم سين" وهو محام هندوسي وكان قرينه في الدراسة على يد أستاذه "كول علي شاه" في "بطالا"، وكان يُقدِّره تقديرا خاصا، والمولوي "سيد مير حسن" وهو عالم مبجل ومعلم أيضا، و"مير حسام الدين صاحب" وهو طبيب تعلم الكثير من علوم الطب من مرزا غلام أحمد عليه السلام وصار صديقا مقربا إليه.

وأثناء إقامته في سيالكوت.. تعرَّف مرزا غلام أحمد عليه السلام على اثنين أو ثلاثة من المبشرين المسيحيين، وكان يتبادل معهم وجهات النظر في بعض الأمور الدينية. وكان أحدهم مستر بتلر الذي كان قسيسا على جانب كبير من العلم، وفي عدة مناسبات كان يتبادل الحديث مع مرزا غلام أحمد عليه السلام في الموضوعات الدينية، وكان يحمل له كل احترام وتقدير. ولما حان موعد عودته إلى بريطانيا حرص على زيارة مرزا غلام أحمد عليه السلام في مكتبه ليودعه قبل سفره.

وفي سيالكوت أيضا وقعت حادثة غريبة في ليلة من الليالي حيث كان عليه السلام نائما في غرفة بالطابق الثاني في أحد البيوت.. إذ سمع صوتا ينبعث من

الدعامات الخشبية التي تحمل سقف الغرفة، وكان الصوت يشبه صوت زقزقة العصفور. وقد أُلقيَ في بال مرزا غلام أحمد أن الدعامات الخشبية التي تحمل السقف قد تـــنكسر فيسقط السقف. وكان بالغرفة عدة أشخاص نائمين أيضا، فأيقظهم وحثهم على مغادرة الغرفة، ولكن النوم كان يغلبهم فلم يلتفتوا إلى تحذيره.. وقالوا إن الصوت غالبا ما كان ينبعث من أحد الفئران التي تقرض الخشب.. وعادوا جميعا إلى النوم. وبعد برهة عاد الصوت ثانية فأيقظ مرزا غلام أحمد عليه السلام أقرانه النائمين وحثهم على مغادرة الغرفة، ولكنهم لم ينصاعوا لنصيحته. ثم عاد الصوت مرة أخرى.. وفي تلك المرة أصر عليه السلام على أن يخرج الجميع من الغرفة. وفعلا خرجوا جميعا واحدا تلو الآخر بينما بقي عليه السلام في الغرفة ليطمئن على خروج جميع أقرانه، ثم كان هو آخر من خرج من الغرفة. وما كاد يخطو خارجا منها حتى هوى السقف ساقطا، وأخذ معه أرض الغرفة التي كانت سقفا للغرفة أسفل منها. وبذلك نجا الجميع من خطر محقق.

توفيت والدة مرزا غلام أحمد في عام ١٨٦٨م، فأرسل إليه والده يخبره بالفجيعة، ويطلب منه أن يستقيل من منصبه ويعود إلى قاديان. وفي التوّ أطاع عليه السلام توجيهات والده وسافر إلى قاديان. وقد لخص انطباعاته عن فترة إقامته في سيالكوت ما تعريبه:

"حينما كنت تحت رعاية والدي قضيت بضع سنوات.. رغما عني.. في وظيفة في الحكومة البريطانية، ولكن بما أن ابتعادي عن والدي كان شاقا عليه كثيرا لذلك امتثالا لأمره، الذي كان عين رغبتي أيضا، استقلت من الوظيفة غير المنسجمة مع طبعي وحضرت لخدمة والدي. وقد جعلتني هذه التجربة أدرك أن كثيرا من أصحاب الوظائف يعيشون حياة غير مستقيمة، والقليل منهم يحافظ بشكل كامل على الواجبات الدينية من قبيل الصوم والصلاة، والنادر منهم من كان ينأى بنفسه عن

المحرمات التي يتعرضون لها على سبيل الابتلاء. وكنت أتحير من رؤيتهم إذ وجدت أن الرغبات القلبية لدى معظمهم كانت مقتصرة على جمع المال بطرق مشروعة أو غير مشروعة، كما وجدت جل مساعيهم في الليل والنهار لإحراز التقدم الدنيوي فحسب في الحياة القصيرة. ولم أجد سوى القلة النادرة من بين الموظفين الذين كانوا يذكرون عظمة الله تعالى فيُرَوِّضون أنفسهم على الأخلاق الفاضلة من الحلم والكرم والعفة والتواضع والانكسار ومؤاساة الخلق والطهارة الباطنية وأكل الحلال وصدق المقال والورع. بل وجدت الكثيرين منهم إخوان الشيطان في التعالي والعجرفة والانحراف الخلقي، والإهمال تجاه الدين، والاتصاف بأنواع الأخلاق الرذيلة. وحيث إن حكمة الله اقتضت أن أتعرَّف على مختلف أنواع البشرية.. لذلك فقد قدرَّ الله لي أن أكون في معية جميع تلك الأنواع من الناس.. غير أنني قضيت تلك الأيام كلها في ألم وشعور بالكراهية لحياة الإثم والفساد." (كتاب البرية، الخزائن الروحانية ج ١٣ ص١٨٤-١٨٦ الحاشية)

كذلك كتب مرزا غلام أحمد عليه السلام عن حياته بعد عودته من سيالكوت إلى قاديان فذكر ما يلي:

"عندما رجعت إلى والدي المحترم أشغلني بالأمور المتعلقة بالأراضي، ولكن الجزء الأكبر من وقتي كنت أقضيه في تدبر القرآن الكريم والاطلاع على التفاسير والأحاديث النبوية. وكنت كثيرا ما أقرأ بعض الأجزاء من هذه الكتب لوالدي أيضا الذي كان دائما يبدو مكتئبا بسبب فشل جهوده (في استرجاع أي جزء من ميراثه)، فقد أنفق سبعين ألف روبية على القضايا وإجراءات المحاكم ولكن كان مآله الفشل، وذلك لأننا فقدنا قرى آبائنا منذ زمن بعيد، وكان استرجاعها وهما وخيالا. وبسبب ذلك الفشل كان والدي يبدو غارقا في دوامة حزن عميق، وبسبب رؤيتي إياه على تلك الحال كنت أتمكن من إحداث تغيير طيب في نفسي. إن الحياة المريرة التي كان يحياها والدي.. علمتني أن أقَدِّر

قيمة الحياة الطيبة النقية الخالية من شوائب الدنيا. لقد كان والدي لا يزال يمتلك بعض القرى، وكان يتقاضى مرتبا سنويا من الحكومة البريطانية ومعاش التقاعد أيضا، ولكن كل ذلك ما كان يساوي شيئا بالمقارنة مع ما كان ينعم به فيما مضى، ولذلك كان دائما يبدو مكتئبا ومحزونا.. وكثيرا ما كان يقول إنه لو جاهد في سبيل الدين بالقدر الذي جاهد به في سبيل الدنيا الدنية.. لصار من الأقطاب وأولياء الله تعالى.....

وفي أخريات أيام حياته كان يغلبه التحسر على أنه سوف يقابل خالقه وهو خالي الوفاض، وكثيرا ما كان يتأسف ويقول إنه أضاع حياته جريا وراء أمور الدنيا التي لا طائل وراءها. وفي إحدى المناسبات.. أخبرنا أنه قد رأى رسول الله ﷺ في رؤيا وهو يتقدم إلى منْزل والدي في مقام عظيم وكأنه ملك قدير، فتقدم والدي نحوه ليرحب به. وحين اقترب منه.. جال في فكره أن يقدم له هدية، فوضع يده في جيبه ولكنه لم يجد فيه سوى روبية واحدة، ولما أمعن النظر فيها تبين أنها عملة مزيفة، ولما أدرك ذلك فاضت عيناه بالدموع واستيقظ من النوم.

ثم فسر والدي بنفسه تلك الرؤيا بأن حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ إذا كان مشوبا بحب الدنيا فإنه يصير مثل العملة المزيفة. وكان يقول إن الفترة الأخيرة من حياة أبيه أيضا قد قضيت أيضا في المصائب والأحزان... وقد تضاعف حزن والدي وبؤسه أضعافا مضاعفة حين كبر سنّه، ونظرا إلى ذلك فقد بنى والدي قبل ستة أشهر مسجدا في وسط القرية، الذي هو المسجد الجامع هناك.. وأوصى أن يُدفن في ركن من المسجد حتى يسمع ذكر الله على الدوام، لعل ذلك يكون سببا لأن يغفر الله له.

وعندما اكتمل بناء المسجد من جميع النواحي... توفي والدي إثر تعرضه لمرض الدوسنتاريا دام بضعة أيام، ودُفن في ركن من المسجد كان قد

حدده بنفسه. اللهم ارحمه وأدخله الجنة، آمين. لقد كان والدي يبلغ من العمر ثمانين أو خمسة وثمانين عاما.
وإن حسراته على حياته التي أضاعها جريا وراء الدنيا ما زالت تؤثر في قلبي تأثيرا أليما، وأدركت أن كل من يبتغي الدنيا لا بد وأن يحمل معه مثل هذه الحسرات، فليفهم ذلك من كان من المتفهمين." (كتاب البرية، الخزائن الروحانية ج١٣ ص ١٨٧-١٩٢ الحاشية)

وعلى إثر عودته إلى قاديان.. حدثت واقعة يتبيَّن منها مدى تمسكه عليه السلام بالحق واستقامة فكره وسمو إدراكه، وأنه ما كان ليجامل أحدا إذا أدّت تلك المجاملة لأن يخالف ما يراه حقا وصوابا.. إذ عاد المولوي محمد حسين البطالوي إلى بلدته بطالا بعد أن انتهى من دراسته الدينية في دلهي.. وقد حصل على الشهادة العلمية التي تؤهله لحمل لقب المولوي. وكان ينتمي إلى فرقة أهل الحديث، وهي فرقة من الفرق الإسلامية التي تتعارض في آرائها مع الغالبية العظمى من سكان بلدة بطالا الذين كانوا ينتمون إلى الفرقة الحنفية. وقد أرسل أهل البلدة واحدا منهم، يطلبون من مرزا غلام أحمد عليه السلام أن يحضر إلى بطالا، وسوف يقومون بترتيب مناظرة بينه وبين المولوي محمد حسين البطالوي، يناقشان فيها نقاط الخلاف بين أهل الحديث والحنفية. ووافق عليه السلام.. وسافر إلى بطالا.. وذهب إلى المسجد حيث كانت الترتيبات قد أعدَّت للمناظرة العلنية. وبدأ المولوي محمد حسين المناظرة بأن ذكر العقائد التي يؤمن بها بصفته من أهل الحديث. فلما سمع مرزا غلام أحمد عليه السلام العبارات التي ذكرها المولوي.. أعلن أنه لا يجد فيها شيئا يختلف أو يتعارض مع العقائد الإسلامية، وعلى ذلك فلا مجال هناك للجدال أو المناظرة.

وقد تسبب ذلك في ضجيج ولغط كبير.. وفسّر جماعة أهل الحديث ذلك الموقف بأنهم انتصروا على الحنفية.. بينما شعر أهل البلدة من الحنفيين أنهم قد خُذلوا وأهينوا وأصابتهم مذلة شديدة. وهكذا صار عليه السلام محط حنق كل من

الفريقين.. ولكنه لم يكترث بموقف أي من الجانبين.. فإن الحق عنده وصدق الرأي لم يكن ليتأثر برضى أو سخط أصدقائه أو خصومه.. وكان على أتم استعداد أن يتحمل كل مهانة وازدراء بوجه متألق وصدر منشرح، ما دام ذلك من أجل أن يعلو الحق ويظهر.

وفي تلك الليلة.. شرَّفه الله تبارك وتعالى بوحيه، وأثلج صدره فأخبره سبحانه أنه راض عن مسلكه الذي تمسَّك به في المناظرة.. وأخبره أيضا أنه سوف يباركه كثيرا حتى إن الملوك سوف يتباركون بثيابه. وقد شاهد في رؤيا بعض أولئك الملوك وكانوا ستة أو سبعة يمتطون صهوة جيادهم.

وحينما كان يمثل والده في المحاكم من حين لآخر.. لم يكن ليهتم بالحكم الذي يصدر في القضية قدر اهتمامه وحرصه على أن يتمسك بالحق في كل الظروف، وأن يكون مسلكه متسما بالأدب والاحترام تجاه كل من يتعامل معهم.. مع العمل الدائم والمجاهدة المستمرة لكي يحقق هدفه الأسمى، وهو أن ينمّي ويقوّي صلته بالله تعالى.

ومن حين لآخر كان يضطر للسفر إلى بطالا وكورداسبور ودِلَهَوْزي وأمْرتسَر ولاهور فيما يتعلق بإجراءات تلك القضايا. وفي كثير من الأحيان كان يضطر للسفر سيرا على الأقدام، أو استخدام عربات متهالكة تجرها الثيران.. فلم تكن السيارات قد اخترعت بعد. كانت دلهوزي في منطقة جبلية مرتفعة.. تعلو بما يقرب من سبعة آلاف قدم عن سطح البحر، وتبلغ المسافة بين قاديان ودلهوزي ما يقرب من مائة ميل أي أكثر من مائة وستين كيلومترا، و لم تكن وسائل المواصلات متوفرة في أكثر الأحايين، فكان يضطر إلى قطع بعض تلك المسافات سيرا على الأقدام. وكلما اقتضت الظروف أن يذهب إلى دلهوزي كان يستمتع بمناظر الطبيعة الجبلية التي يعبرها.. وكانت تلك المناظر الخلابة تجعله دائم التفكير في قدرة الخالق وعظمته وفضله الكبير على مخلوقاته.

كان تمسكه بقول الصدق، وحرصه على الحق، من الأمور التي اشتهرت

عنه، حتى إنه حدث في العديد من القضايا التي كان يمثل فيها والده.. أن الطرف الآخر في الدعوى طلب من القاضي أن يستمع إلى شهادة مرزا غلام أحمد عن بعض الحقائق في القضية المرفوعة.. فكان القاضي يستدعيه فعلا للشهادة.. وحينئذ يذكر الحقائق كما يعرفها دون مواراة أو إخفاء لأي حق من حقوق الخصوم.. الأمر الذي كان يؤدي في بعض الأحيان أن يخسر والده القضية. وفي إحدى تلك المرات غضب والده أشد الغضب، وأنبه تأنيبا عنيفا حتى إنه طلب منه مغادرة البيت، فذهب إلى بطالا وأقام فيها ما يقرب من شهرين، إلى أن دعاه والده مرة أخرى إلى قاديان. وقد ذكر تلك الأمور في بعض كتاباته ونذكر منها نبذة أو نبذتين على سبيل المثال:

"كان ابني سلطان أحمد قد رفع قضية على أحد الهندوس مدعيا أنه قد بنى بناء على أرض نملكها.. وطالب بإزالة البناء. وكان الادعاء يتضمن أمرا مخالفا للحقيقة وكان من شأنه أن يؤدي إلى إبطال القضية، وفي هذه الحالة كان لا بد أن تلحق الخسارة في الحرمان من الملك بسلطان أحمد وبي أنا أيضا. فاغتنم المدّعَى عليه الفرصة وذكر اسمي كشاهد في القضية.. فذهبت لذلك إلى بطاله.... أخبرني هنالك المحامي الذي وكَّله ابني سلطان أحمد أن القضية على وشك أن يُنادى عليها.. وسألني عما أنوي أن أذكره في شهادتي.. فأخبرته بأني سوف أدلي بما هو الحق والصدق. فقال: لا داعي في هذه الحالة أن تحضر الجلسة، بل أذهب أنا وأسحب القضية. وهكذا فبسبب مراعاة الصدق فحسب قد أفسدت القضية بنفسي، وآثرت الصدق على الخسارة المالية ابتغاء لمرضاة الله." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص٢٩٩-٣٠٠)

كذلك حدث أن رفع أخوه.. مرزا غلام قادر.. قضية على واحد من الهندوس من سكان قاديان لإزالة بناء أقامه المدّعَى عليه الهندوسي على قطعة أرض مجاورة لمسكنه، ولكنها كانت تقع ضمن أملاك أخيه المدعِي.. مرزا غلام

قادر. ودفع المدعَى عليه بأن البناء قد تم تشييده منذ زمن طويل بحيث صارت الأرض التي أقيم عليها البناء من حقه بحكم التقادم. وطلب المدعَى عليه الهندوسي شهادة مرزا غلام أحمد عليه السلام رغم علمه بأنه شقيق الخصم. وقد أيد عليه السلام في شهادته ما ذكره المدعَى عليه من حكم التقادم، وترتب على تلك الشهادة أن رفضت المحكمة الدعوى وخسر أخوه القضية، مما أدى إلى غضب الأخ وحنقه الشديد على أخيه، ولكن مرزا غلام أحمد عليه السلام أخبره أنه لم يكن ليتوقع منه أن يكتم الشهادة أو يخفي الحق ليرضيه ويغضب الله تعالى.

وحدث مرة أن ذهب إلى بطالا ليرفع قضية مُوَكلا عن والده، وبينما كان ينتظر موعد نظر القضية.. حان الوقت لأداء صلاة الظهر.. فذهب إلى مكان خال بالقرب من دار المحكمة وأدى الصلاة. وأثناء انشغاله بالصلاة نودي على القضية، وانتهز الخصم الفرصة وطلب من القاضي أن يحكم برفض الدعوى لتغيب صاحب الدعوى عن حضور الجلسة، ولكن القاضي رفض مطلبه. وبعد دراسة أوراق القضية وسؤال المدعَى عليه.. حكم القاضي لصالح المدعِي. وفي هذه الأثناء عاد مرزا غلام أحمد عليه السلام إلى المحكمة فأخبره الحاجب أن القضية قد نودي عليها وتم النظر فيها أثناء غيابه. فدخل قاعة المحكمة مهرولا وهو يظن أن الدعوى قد رُفِضت بسبب غيابه.. وأخذ يشرح للقاضي أنه كان موجودا ولكنه في تلك اللحظة التي نودي فيها على القضية كان يؤدي صلاة الظهر. فابتسم القاضي وأخبره بأنه قد حكم في القضية لصالحه.

كان مرزا غلام أحمد في تلك الآونة من حياته.. كثيرا ما يرى الرؤى الصادقة التي كان يحكيها لبعض السكان في قاديان.. من الهندوس ومن المسلمين.. الذين كانوا يزورونه ويحبّون أن يقضوا بعض الوقت في صحبته. وكانت دائما تتحقق تلك الرؤى.. ويشهد على ذلك كل أولئك الذين سمعوها منه.. وكان من بينهم اثنان من كبار رجال الهندوس أحدهما يُدعى "لاله شرمبت" وهو سكرتير جماعة الآريا سماج الهندوسية في قاديان، والآخر

يُدعى "لاله مالاوامَل". وحدث أن مرض الأخير واشتكى من أعراض مرض السل، فطلب من مرزا غلام أحمد أن يدعو الله له ليمنّ عليه بالشفاء. وبعد فترة.. أخبره حضرته أنه قد دعا الله له بالشفاء وأنه قد تلقى من الله ما يدل على أن دعاءه قد استجيب. وفعلا شُفي 'لاله مالاوامل' من السل ومات عام ١٩٥١ عن عمر يناهز ٩٥ عاما.

ومنذ حوالي عام ١٨٧٢ بدأ مرزا غلام أحمد يُعرف بين الناس بأنه البطل الذي يدافع عن الإسلام ضد هجوم المبشرين المسيحيين وفئات الهندوس من آرياسماج وبراهموسماج وغيرهم. فكان يبيِّن عظمة الإسلام وتعاليمه السامية في كل مجال بكتابة المقالات في بعض الجرائد والمجلات. وكانت إحدى أوائل مقالاته قد نشرت في مجلة "منشور محمدي" التي كانت تطبع كل عشرة أيام من بنجلور في "ميسور" بجنوب الهند. وبالإضافة إلى ذلك، كان يشترك بانتظام في مجلة "الوكيل" و "سفير الهند" و "فيديا باركاش" و "رياض الهند" وكلها تُنشر في أمرتسر، ومجلة "أخو الهند" و "آفتاب الهند" وكلتاهما تطبع في لاهور، ومجلة "وزير الهند" التي تصدر في سيالكوت، ومجلة "نور أفشان" وتصدر من لدهيانه، ومجلة "إشاعة السُّنَّة" التي كان يحررها زميل دراسته المولوي محمد حسين البطالوي من مدينة بطالا، وفي فترة متأخرة اشترك أيضا في مجلة "أخبار عام" التي تصدر من لاهور.

وقد ذكر في أول مقالة نُشرت له في مجلة "منشور محمدي" في ٢٥ أغسطس (آب) عام ١٨٧٢ أن تجاربه وخبرته في الحياة التي مر بها خلال عشرين عاما اقنعته تمامًا بأن الأساس المتين لكل خير في حياة الناس وعلاقاتهم هو التمسك الدائم بالحق.. وعلى ذلك فإن أسهل طريق لمعرفة صدق دين من الأديان، هو أن نبحث إلى أي مدى يحتوي ذلك الدين على التعاليم الفعالة والمؤثرة التي تساعد أتباعها وتعينهم على التمسك الكامل بالحق. وتحدَّى أتباعَ الأديان الأخرى جميعها أن يقدموا من واقع كتبهم المقدسة.. تعاليم أديانهم في

هذا الشأن. وجعل جائزة قدرها خمسمائة روبية لأي شخص من غير المسلمين يستطيع أن يبين من خلال كتابه المقدس نصف أو حتى ثلث التعاليم التي تحض على التمسك بالحق، والتي سوف يقدمها هو من الكتب الإسلامية المعروفة. ولكن أحدا لم يتقدم ليقبل التحدي.

بعد ذلك كان مرزا غلام أحمد يتصدى لكل حملة تُنشر في مقالة أو في كتاب للنيْل من الإسلام أو تنتقد تعاليمه، فكان يبين سقمها وخطأها.. ويتناولها بالتحليل والتعليق.. ويُفنّدها وينقدها بشكل حاسم.. حتى إن كل من له حظ من العقل والإدراك كان يتبين صدق آرائه، ويرى رجاحتها وصحتها.

ويمكن أن نذكر كمثال على ذلك ما نُشر في مجلة "الوكيل" من أمرتسر في عددها الصادر بتاريخ ٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٧٧ والناطقة بلسان الآرياسماج.. الطائفة الهندوسية.. وهو ما ذكره "سوامي ديانند".. زعيم الطائفة.. من أن عدد الأرواح الإنسانية عدد لا نهائي، ولا يعرف أحد هذا العدد ولا حتى الله، وعلى ذلك فإنه مهما نجت أعداد كبيرة من الأرواح.. فإن هناك أعدادًا أخرى لا حصر لها تحتاج إلى الهداية والنجاة.

وكتب مرزا غلام أحمد ردا على ذلك في سلسلة من المقالات التي نشرتها مجلة "سفير الهند" التي تصدر أيضا في أمرتسر، وتم نشرها في الفترة من ٩ فبراير (شباط) إلى ٩ مارس (آذار) ١٨٧٨. وكان "سوامي ديانند" يقوم بجولة في البنجاب في ذلك الوقت، فتحداه مرزا غلام أحمد.. هو وغيره من الآرياسماج.. أن يثبتوا صدق ادعائهم، وأعلن عن جائزة قدرها خمسمائة روبية لمن يقدم الدليل على صدق ذلك الادعاء. وقد فنّد ادعاءاتهم في مقالاته، وهدم كل أدلتهم بشكل حاسم ومقنع.. حتى إن "لاله جيواداس".. الذي كان سكرتيرا للجنة المركزية للآرياسماج في البنجاب.. نشر مقالا ذكر فيه أن العقيدة التي دحضها مرزا غـــلام أحمد لا تشكل ركنا أساسيا من أركان

عقيـــدة الآرياسماج (!)، وأضاف أن أفراد طائفة الآرياسماج لا يتبعون "سوامي ديانند" اتباعا أعمى (!!)، وأهم لا يقبلون كل ما يقول به "سوامي" إلا إذا ثبتت صحته.

أما "سوامي ديانند" نفسه فلم ينشر أية مقالة يدافع بها عن رأيه أو يرد بها على آراء مرزا غلام أحمد.. بل كتب مقالا ذكر فيه أن عدد الأرواح ليس في الحقيقة عددا لا نهائيا، وإنما خلال عملية تناسخ الأرواح وعودهما إلى الدنيا مرة أخرى في أجساد مختلفة، فإن عددها لا ينتهي. وأرسل إلى مرزا غلام أحمد خطابا مفتوحا يدعوه فيه إلى مناظرة في ذلك الموضوع. وقد نُشر الخطاب المفتوح في مجلة "أخو الهند" التي كانت تصدر من لاهور في عدد يونيو (حزيران) ١٨٧٨ وكان يحررها بانديت "ناراين أجني هوتري" الذي علق على الخطاب بما يلي:

"إن فرقة الآرياسماج كانت تعتقد بقوة حتى الآن حسب تعاليم "ديانند" التي نسبها إلى الفيدا (*كتاب الهندوس المقدس*) أن عدد الأرواح لا نهاية له. ولكن.. يبدو الآن.. بعد أن دحض مرزا غلام أحمد تلك النظرية وفنّد أدلتها.. أن "ديانند" اضطر إلى أن يعترف بأن عدد الأرواح ليس عددا لا نهائيا.. وعزا ذلك إلى تناسخ الأرواح. وما نريد أن نُبيِّنه هنا هو أن ديانند كان قد أعلن لأتباعه تلك الآراء مستندا على الفيدا، بزعم أن ذلك الكتاب يؤيد فكرة أن عدد الأرواح عددا لا نهائيا، وأن وجودها قائم بذاتها. ولكن الآن بعد أن تم دحض هذه الفكرة.. وبعد اعترافه بأن عدد الأرواح محدود، وليس غير متناه كما كان يدَّعي من قبل، فإنه بذلك يكون قد خالف الفيدا، وهو الكتاب المقدس الذي استند عليه في إعلان رأيه الأول. فإذا كان الفيدا يؤيد ما يعلنه ديانند الآن، فإن هذا يُعد أمرا خطيرا في حق ديانند، بصفته زعيما لهذه الفرقة.. إذ إنه بذلك يُعَلم أتباعه تعاليم متناقضة، وإذا كان الفيدا لم يذكر هذا الموضوع فإن هذا ينال من قيمة الفيدا."

وليس هناك ما يدل على صدور أي جواب من سوامي ديانند.. ولكن

بانديت "خرك سنج".. وهو عضو في طائفة الآرياسماج في أمرتسر.. حضر إلى قاديان وعرض أن يقوم بمناظرة مرزا غلام أحمد. واتفق الطرفان على أن يكون موضوع المناظرة هو تناسخ الأرواح، ومقارنة بين تعاليم الفيدا وتعاليم القرآن في هذا الشأن.

فكتب مرزا غلام أحمد مقالة قُرئت في اجتماع عام دُعِي إليه لهذا الغرض. وحاول البانديت أن يرد على الأدلة التي ساقها مرزا غلام أحمد، ولكنه شعر بأنه لا يستطيع ذلك.. فغضب وفقد أعصابه وترك المكان وذهب إلى داره. ثم كتب فيما بعد إلى مرزا غلام أحمد يطلب استمرار المناظرة على صفحات إحدى الجرائد. فأجابه مرزا غلام أحمد بأنه على أتم الاستعداد لذلك، واقترح صحيفة "سفير الهند" التي كانت تصدر من أمرتسر أو صحيفة "أخو الهند" التي كانت تصدر من لاهور أو صحيفة "آريا دربان" التي كانت تصدر من "شاه جهانبور". ووعد أن يعطي البانديت "خرك سنج" جائزة قدرها خمسمائة روبية إذا حكم القضاة الذين سوف يُعيَّنون لهذا الغرض باستحقاقه للجائزة إذا نجح في إثبات آرائه. واقترح تعيين القس رجب علي.. وهو مبشر مسيحي رغم اسمه الإسلامي.. والبانديت شيف ناراين.. وهو من فرقة البراهموسماج الهندوسية، ليكونا قاضيين في ذلك الأمر.

وكتب مرزا غلام أحمد مقالة يؤكد فيها على وجهة نظره بأن الله تعالى هو خالق الكون، وأنه هو وحده قائم الوجود بذاته، وأن الأرواح جميعها من خلقه وليس لها وجود ذاتي. ولكن البانديت "خرك سنج" لم يقدم جوابا لآراء مرزا غلام أحمد. وفيما بعد ارتدَّ البانديت عن الآرياسماج ودخل في المسيحية، وكتب عدة مقالات يدين فيها تعاليم الآرياسماج!!.

وفي عام ١٨٧٩ تبادل مرزا غلام أحمد وجهات النظر مع البانديت "شيف ناراين أجني هوتري" على موضوع الوحي السماوي، وذلك من خلال المراسلات التي نُشرت فيما بعد. وكان البانديت مُدرسا في المدرسة العليا التابعة

للحكومة في لاهور، وكان أيضا محررا ومالكا لصحيفة "أخو الهند"، ويُعتبر زعيما لفرقة البراهموسماج التي تقول باستحالة الوحي الإلهي عن طريق المخاطبة بين الله وعباده. واستمرت تلك المباحثة من ٢١ مايو (آيار) إلى ١٧ يونيو (حزيران) عام ١٨٧٩، وتكرر ما حدث من قبل مع الBANDيت خرك سنج.. إذ أن الباNDيت شيف ناراين انشق على طائفة البراهموسماج فيما بعد، وكوّن فرقة خاصة سماها "ديف سماج"، وادعى أنه يتلقى الوحي من السماء!!.

وفي عام ١٨٧٨.. وقعت حادثة يتبين منها مدى تمسكه بقول الصدق مهما كلفه ذلك من ثمن، وتجنبه الكذب حتى ولو أدّى ذلك إلى تعرضه للسجن والمهانة. إن الإنسان العادي في هذا الزمن.. حتى ولو كان على شيء من تقوى وصلاح.. قد لا يجد غضاضة في كذبة صغيرة لا يضر بها أحدا، ولكنه ينقذ بها نفسه من خطر عظيم. وأما أولئك الذين يختارهم الله تعالى ويبعثهم لإصلاح خلقه، فإنهم يتمسكون بالحق في كل الظروف، ولا تنطق ألسنتهم إلا الصدق مهما كانت النتائج، وتعاف نفوسهم الكذب حتى ولو تعرضوا لأشد البلاء. هكذا كان سيد الخلق أجمعين ﷺ.. الذي كان معروفا في قومه بأنه الصادق الأمين.. وهكذا كان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذي قال لقومه "من منكم يُبَكِّتني على خطية"، وهكذا كان جميع رسل الله الكرام.. ناطقين بالحق متمسكين به في جميع الأحوال.. لا يحيدون عنه قيد أنملة.. ولذلك اختارهم الحق تبارك وتعالى وهو القائل:

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام:١٢٥).

حدث أن أرسل مرزا غلام أحمد مسودات مقالة لكي تُطبع في مطبعة "الوكيل" في أمرتسر، وذلك في مظروف خاص وضع عليه طوابع البريد المطلوبة لهذا النوع من البريد. ووضع بداخل المظروف رسالة إلى مدير المطبعة، يشرح له فيها تعليماته وكيفية طبع المقالة. وكان وضعُ رسالة داخل المظروف يتعارض مع

قوانين البريد في ذلك الوقت، حيث يستلزم الأمر وضع طوابع بريدية خاصة في حالة الرسائل. وكان القانون ينص على عقوبة يُقدِّرها القاضي بالسجن أو الغرامة المالية في حالة المخالفة. وكان صاحب المطبعة "رليارام" مسيحيا شديد التعصب. وما أن تسلم الرسالة حتى ذهب إلى السُلطات، وقدم شكوى ضد مرزا غلام أحمد عليه السلام متهما إياه بمخالفة القانون. وسرعان ما أقامت إدارة البريد قضية ضد مرزا غلام أحمد عليه السلام، واستُدعي للحضور إلى المحكمة بمدينة غورداسبور لسؤاله في الأمر واختيار محام للدفاع عنه.

كان المحامي الذي تم اختياره.. صديقا له، فنصحه بأن يُنكر تماما أنه وضع الخطاب في المظروف، ولكن مرزا غلام أحمد عليه السلام رفض رفضا باتا نصيحة المحامي، وأخبره أنه لن يجتنب طريق الحق ولو بقيد أنملة. وحاول المحامي أن يثنيه عن عزمه موضحا له خطورة الاتهام، وأنه قد يُحكم عليه بالسجن في هذه القضية، ولكنه أصر على تمسكه بقول الحق مهما كانت النتائج. ولما يئس المحامي من إقناعه بأن كذبة صغيرة مثل هذه لن تؤثر عليه في شيء، ولكنها سوف تنقذه من السجن أو الغرامة.. وإزاء الإصرار على قول الحق من جانب مرزا غلام أحمد.. أخبره المحامي أنه في تلك الحالة سوف يصدر الحكم بالإدانة، وعلى ذلك فلا جدوى من الترافع للدفاع عنه، وانسحب المحامي فعلا من القضية. وعبَّر مرزا غلام أحمد عليه السلام عن أسفه لقرار المحامي وتخليه عنه، ولكنه كان حاسما في توضيح موقفه، وأنه لن يتخلى عن قول الحق مهما كانت النتائج. وحينما نودي على القضية مَثلَ أمام القاضي دون أن يصحبه محامٍ.

وبدأت إجراءات القضية.. فاستمع القاضي إلى الادعاء الذي قدمه مدير إدارة البريد وكان رجلا أوربيا، وكان القاضي أيضا رجلا أوربيا. وحين سُئل مرزا غلام أحمد عليه السلام عن الأمر.. أقر بأنه هو الذي وضع الخطاب في المظروف، وأنه هو الذي أرسل المظروف.. ولكنه لم يكن يقصد بوضع

الخطاب أية خسارة لمصلحة البريد، أو أنه كان يطمع في استغلال سعر البريد المخفض للمظروف الذي لا يحتوي على رسائل. ولكن لما كان موضوع الخطاب يتعلق بمحتويات المظروف.. ويحمل تعليمات للمطبعة عن كيفية أداء الطباعة.. فإنه بحسن نية كان يعتقد أن الخطاب يُشَكل جزءا من محتويات المظروف، وأن الخطاب.. على هذا الأساس.. لا يُعد رسالة خاصة يقتضي أن يدفع عنها أجرا مختلفا.

ودفع الادعاء بأن هذه حالة واضحة لمخالفة قانون البريد، وأن دفاع المتهم ليس في واقع الأمر سوى اعتراف منه بأنه مذنب، وعلى ذلك.. طلب من المحكمة أن تدين المتهم وتقضي عليه بالسجن حسب القانون وتحمّله نفقات القضية. ولكن القاضي لم يأخذ بوجهة نظر الادعاء.. بل استطاع بثاقب بصره أن يرى حُسن النية في تصرف مرزا غلام أحمد.. فأعلن حكمه برفض الدعوى.

والجدير بالذكر أن مسؤولية إثبات الجرم كانت تقع على عاتق الادعاء، كما شرح المحامي ذلك لمرزا غلام أحمد، وأنه لو أنكر وضع الخطاب في المظروف، فإنه لا سبيل أمام الادعاء لإثبات خلاف ذلك. ولكن مرزا غلام أحمد عليه السلام لم يكن ليقبل أن يحتال بمثل تلك الحيل لإثبات براءته، وصمم على أن لا يتخذ طريقا إلا الصدق وقول الحق مهما كلفه ذلك من ثمن.

في عام ١٨٧٤.. رأى مرزا غلام أحمد عليه السلام في الرؤيا صبيا صبوح الوجه.. وكان الصبي يتميز بقوة من الجلال حتى إنه ظن في الرؤيا أنه ملاك.. وكان الصبي يجلس على منصة عالية، وأعطاه الصبي رغيفا كبيرا لذيذ الطعم من خبز يشع منه النور، وقال له: "هذه الأرغفة لك وللدراويش الذين معك."

كانت تلك الرؤيا على جانب كبير من الأهمية، حيث إن الخبز يرمز للحياة.. والخبز الذي يشع منه النور يرمز إلى انتشار النور بين الأحياء، كعلامة على إرساء مملكة الله تعالى في الأرض ونشر دينه بين الآفاق. وكان

مرزا غلام أحمد الطَيْكِلاً قد عوّد نفسه على أن يُشرك الآخرين في طعامه.. وبعد عدة سنوات أسس في قاديان بيتا للضيافة ومطبخا لإطعام كل أولئك الذين كانوا يأتون لزيارته.

وعلى وجه العموم.. لم يكن مرزا غلام أحمد الطَيْكِلاً يميل كثيرا للاختلاط بعامة الناس، ولكنه مع ذلك كان حريصا على زيارة الصالحين حتى يطلب منهم الدعاء لنصرة الإسلام. وكان الشيخ عبد الله الغزنوي الأفغاني.. وهو أحد رجالات العلم الصالحين المعروفين بالتقوى والرشاد في ذلك الوقت، قد لاقى الاضطهاد في بلده أفغانستان على يد بعض الجهّال المتعصبين، الذين أفتوا بكفره وطردوه من بلدته غزني.. فجاء إلى البنجاب واستقر به الأمر في ضواحي أمرتسر. وقد زاره مرزا غلام أحمد الطَيْكِلاً في مناسبتين، وطلب منه أن يدعو الله تعالى لخير الإسلام. واستجاب الشيخ الصالح لطلبه، وأخبره فيما بعد أنه قد تلقى وحيا مُبَشّرا من الله يقول فيه: "أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين".. وهذه العبارة جزء من الآية الأخيرة من سورة البقرة. وفي مناسبة تالية.. ذكر الشيخ الصالح أنه رأى في الرؤيا نورا ساطعا من السماء قد نزل في قاديان، ولكن أولاده حُرموا منه. وبالفعل فإن أبناء هذا الشيخ وأحفاده لم يفطنوا إلى أهمية ذلك النور ومعناه.. فلم يستفيدوا منه، بل عارضوا سيدنا أحمد بعد إعلانه عن دعواه.

وعندما قارب عام ١٨٧٥ على الانتهاء.. رأى مرزا غلام أحمد الطَيْكِلاً ملاكا في الرؤيا أخبره فيها أن عليه أن يتبتل إلى الله تعالى بالصيام لفترة معينة، كما هي سُنّة الكثير من الأنبياء. وبناء على ذلك.. عزم على أن يبدأ هذا الصيام خفية دون أن يعلم أحد عنه شيئا. فكان يُوَزّع طعامه على بعض الصبية الفقراء الذين طلب إليهم أن يحضروا لديه في أوقات معينة حددها لهم. وكان يتناول وجبة واحدة فقط بعد المغرب.. ولكن بعد أسبوعين أو ثلاثة من بدء الصيام.. أخذ يقلل كمية الطعام في الوجبة الوحيدة التي كان يتناولها،

حتى صار في نهاية الأمر يتناول بعض كسرات من الخبز فقط خلال الأربع والعشرين ساعة من اليوم. وفي وصف تلك الفترة كتب حضرته يقول:

"لقد استمر بي الحال على هذا المنوال لمدة ثمانية أو تسعة شهور، ورغم ضآلة الطعام الذي كنت أتناوله والذي لم يكن ليصبر عليه ابن الشهرين أو الثلاثة أيضا.. فإن الله تعالى قد حفظني من كل سوء ومكروه. ومن العجائب التي حظيت بها من خلال هذا النوع من الصيام هي تلك المكاشفات اللطيفة التي كُشفت علي.. فقد قابلت العديد من الأنبياء الكرام.. وكذلك بعض كبار الأولياء والصلحاء المسلمين الذين خلوا من قبل. وقد شاهدت رسول الله ﷺ بحالة اليقظة التامة وهو في رفقة الحسنين وعلي ﷺ وفاطمة رضي الله. ولم يكن ما رأيته في رؤيا وإنما كانت في حالة من اليقظة....

وعلاوة على ذلك.. رأيت الأنوار الروحانية على وجه التمثيل كأعمدة لها ألوان مختلفة كالأخضر والأحمر، وكانت تتراءى من الجمال وقوة التأثير ما يعجز الإنسان عن وصفه. وكانت تلك الأعمدة النورانية المتصاعدة نحو السماء التي كانت بعضها ناصعة البياض وبعضها خضراء وأخرى حمراء كلها كانت تتصل بقلبي اتصالا خاصا، بحيث كانت تبعث السرور إلى القلب، حتى إني عند مشاهدتها كنت أشعر بقلبي ينتشي بنشوة خاصة لا سبيل لمقارنة لذتها مع أي شيء آخر. وكنت أتصور أن تلك الأعمدة الروحانية هي تعبير عن الحب المتبادل بين الله والإنسان.. ويعني ذلك أن نورا قد تصاعد من القلب ونورا آخر قد نـــزل من الفوق.. وحينما التقيا أخذا شكل عمود من نور. إن هذه الأمور الروحانية مما لا يمكن لأهل الدنيا أن يدركوها، لأنها بعيدة عن عيونهم، ولكن هناك مَن مَنَّ الله عليه في الدنيا بإدراك هذه الأمور.

ومن العجائب التي ظهرت علي في فترة الصيام تلك كانت عبارة عن ضروب من المكاشفات. واستفدت من خلال هذه التجربة أيضا أنني تبينت أني أستطيع.. إذا اقتضى الحال.. أن أتحمل الجوع لفترة طويلة من

الزمن. وخطر ببالي أكثر من مرة بأنه إذا أُجبر شخصٌ بَدينٌ يكون بالإضافة إلى ذلك أحد المصارعين الأقوياء أيضا ليتحمل الجوع معي، فإنه سوف يموت قبل أن أشعر أنا بحاجة إلى الطعام.... وإنني على يقين أن الذي يخلد إلى حياة التنعم والراحة فلا يسمو إلى المراتب الروحانية. ولكني لا أسدي هذا النصح إلى كل واحد أن يقوم بمثل هذا الصيام.. كما لم أقم به أنا أيضا بناء على اختياري... اعلموا أنني تحملت هذه المشقة الجسدية بأمر من الله الذي تلقيته بواسطة الكشف الصريح إلى فترة ثمانية أو تسعة شهور حيث ذقت الجوع والعطش، ولم أعد إلى تكرارها إلا نادرا." (كتاب البرية، الخزائن الروحانية ج ١٣ ص ١٩٨-٢٠٠ الحاشية)

وفي عام ١٨٧٦.. حدث أن كان مرزا غلام أحمد عليه السلام في لاهور حين رأى رؤيا أدرك منها أن والده على وشك الانتقال إلى دار البقاء. وفي هذا يقول حضرته:

"أسرعت عائدا إلى قاديان. حيث وجدت والدي يعاني من مرض الدوسنتاريا.. ولكني لم أكن أتوقع أنه سوف يموت في اليوم التالي، وذلك لأنه قد خفت وطأة المرض وطرأ بعض التحسن على حالته، فكان يقوى على الجلوس لفترة من الزمن. وفي ظهيرة اليوم التالي كنا وجميع الأقارب معه حينما قال لي بدافع الشفقة أن أذهب لأنال قسطا من الراحة. كنا في شهر يونيو، وكان الجو شديد الحرارة، فذهبت إلى غرفة علوية للاستراحة وأخذ أحد الخدم في تدليك قدميّ.. فأخذتني غفوة خفيفة، وتلقيت وحيا من الله تعالى باللغة العربية يقول: "والسماء والطارق".. أي أحلف بالسماء التي هي مصدر القضاء والقدر وأقسم بتلك الحادثة التي تقع بعد غروب الشمس. وفهمت من هذا الوحي أنه بمثابة تعزية لي من الله تعالى. والحادثة هي أن والدي سوف يتوفى اليوم بعد غروب الشمس. سبحان الله.. ما أعظمه من إله ذلك الذي يُعزيني في شخص يموت حزنا على حياته التي أضاعها هباءً منثورا! وقد يستغرب بعض الناس فيتساءلون ما معنى عزاء الله؟ وليكن معلوما أن الله تبارك وتعالى..

حينما يريد أن يتوجه إلى أحد برحمته فإنه يتعامل معه كما يعامل الصديق صديقه....

حين تلقيت ذلك الوحي الذي أبلغني بوفاة والدي.. مرّ بخاطري لكوني بشرا.. أن بعض موارد الدخل كانت مرتبطة بحياة والدي سوف تنقطع.. ولا ندري لأي نوع من الابتلاءات سوف نتعرض بعده. وفي الحال تلقيت وحيا آخر: "أليس الله بكاف عبده." وقد أعطتني تلك الكلمات السلوى والراحة، وترسخ في قلبي كالوتد من الحديد. والذي نفسي بيده، إنه قد حقق وحيه المبشر هذا بشكل لم أكن أتصوره.. وإنه تعالى قد كفلني وأمدني بما لا يستطيع أي والد أن يقوم به تجاه أولاده.. وتتالت علي أفضاله ومننه بحيث يستحيل أن أحصيها.

لقد توفي والدي في نفس اليوم بعد غروب الشمس.. وكان ذلك اليوم هو اليوم الأول في حياتي الذي رأيت فيه آية رحمة الله تعالى بواسطة وحي إلهي.. التي لا أخال أنها ستنقطع يوما في حياتي. وقد طلبت في تلك الأيام أن تُحفر كلمات هذا الوحي على فص خاتم أحتفظ به إلى الآن. لقد قضيت ما يقارب من أربعين عاما من حياتي تحت رعاية والدي.. فبعد انتقاله من هذه الدار.. بدأت أتلقى الوحي الإلهي باستمرار." (كتاب البرية، الخزائن الروحانية ج ١٣ ص ١٩٤-١٩٥ الحاشية)



الفصل الثالث

البراهين الأحمدية

الفصل الثالث

البراهين الأحمدية

على إثر وفاة والد مرزا غلام أحمد.. صار أخوه الأكبر.. مرزا غلام قادر.. رب العائلة الذي تولى أمورها. وكان يشغل في تلك الأيام وظيفة مدَنية في "كورداسبور" ويزور قاديان من حين لآخر. وكان مرزا غلام أحمد يستحق بطبيعة الحال نصف ميراث أبيه، ولكنه لم يلق بالا لذلك الأمر وترك أخاه يستولي على كل الدخل الذي يتحصل عن ممتلكات العائلة، قانعا بالنّزر اليسير الذي يكفي حاجاته المتواضعة، ولم يطالب أخاه بأية مطالب. فكان يرتدي الملابس التي تُعطى له، ويتناول قدرا ضئيلا من الطعام الذي كانت ترسله إليه زوجة أخيه. وفي كثير من الأحيان كان يُوَزِّع الطعام على بعض الفقراء ويكتفي بتناول بعض الحمّص، يشتريه من بعض الدكاكين. وبعض الأحيان كان يبقى دون طعام بالمرة. وقد عاش.. باختياره.. ليس حياة متواضعة فحسب.. بل حياة زهد صارم. وكان يشغل نفسه دائما بعبادة الله وذكره، وتلاوة القرآن الكريم ودراسته، مع بعض الكتب الدينية الهامة الأخرى.

ولما كان مشتركا في بعض المجلات.. فقد أرسل إلى أخيه مرة يطلب منه بعض المال لدفع ثمن اشتراكاته، ولكن طلبه قوبل بالرفض بدعوى أن قراءة الصحف أمر فيه مضيعة للوقت، وإنفاق المال على شرائها تبذير!!.

نعم.. كان أخوه يحترمه.. وكان على استعداد أن يوفر له ضرورات الحياة، ولكنه كان يرى أن انشغاله بالدفاع عن أمور الدين "هواية" لا طائل من ورائها.. وأن عليه أن يوجه اهتمامه نحو وظيفة يتكسّب من دخلها. وعلى ذلك.. فإنه خلال السنوات التالية، عندما كان تحت كفالة أخيه من عام

١٨٧٦ وحتى عام ١٨٨٣.. كانت حياة مرزا غلام أحمد محوطة بسياج من القيود في أمور متعددة. و لم يكن أفراد العائلة الآخرون يهتمون بما يجري في حياته.. فقد كانوا أبعد الناس عن الاهتمام بالأمور الدينية.. لذلك فإن البعض منهم لم يُخفِ عداءه بل وازدراءه لأسلوب حياته. ورغم كل هذا فإنه لم يسمح لأي من هذه العوامل أن تؤثر على هدوئه ووقاره ورصانته.. وكان يتقبل كل ما يتلقاه بصدر رحب وبشاشة وجه.. معتبرا أن ذلك كله ليس إلا اختبارا من الله تعالى، وأن عليه أن يتحمله بصبر ورضى وجلد.

وفي تلك الأيام.. كان قد تزايد نشاط فرقة الآرياسماج التي يتزعمها الهندوسي "سوامي ديانند".. وأخذت تنتشر بسرعة في البنجاب.. وبدأت تُظهر العداء الشديد بل والانتقاد البذيء للإسلام وعقائده وتعاليمه. وفي مباحثات تلك الفرقة.. لم يسلم شخص رسول الله ﷺ من التجني الفاضح بأبذأ الأساليب وأقبح الألفاظ. ومن جانب آخر.. كان الإسلام يُعاني من هجمة ضارية من جانب القساوسة المسيحيين ومنظماتهم الإرسالية.. وكانت صولتهم القاسية على الإسلام تتسم بأساليب الخبث والتجني والدجل والافتراء. وفي تلك الظروف.. شعر المسلمون بأنهم لا حول لهم ولا قوة.. ولم يبد منهم إزاء تلك المؤامرات التي تحاك ضد الإسلام سوى الإهمال والتغافل. ومن كان منهم يدرك فداحة الأخطار التي تحوط الإسلام والمسلمين في ذلك الوقت.. لم يكن يعلم ما هو السبيل للتصدي لتلك الهجمات ولا كيفية الذوْد عن الإسلام. وكان مرزا غلام أحمد هو الاستثناء الوحيد في تلك الظروف. فإن دراساته للقرآن الكريم، وتعمّقه في فهم الحقائق اللدنية، واعتماده التام والكامل على فضل الله تعالى وتأييده، وتشرّفه بتلقي الوحي من الله عز وجل.. قد جعله مؤهلا لأن يكون بطل الإسلام المغوار الذي يتولى الدفاع عنه.

وبتوجيه من الله تعالى.. بدأ القيام بمشروع عظيم.. ليس فقط للدفاع عن الإسلام ضد الهجمات الفتاكة من كل جانب.. ولكن لكي يُبرز أيضا عظمة الإسلام وتفوّقه على كل الأديان الأخرى. فأخذ في تأليف كتاب ضخم سماه "البراهين الأحمدية على حقيقة كتاب الله القرآن والنبوة المحمدية"، ليوضّح فيه عظمة تعاليم الإسلام وسموها على تعاليم غيره من الأديان.

وفي مايو (آيار) ١٨٧٩ كان قد قطع شوطا طويلا في إعداد كتابه الضخم.. يسمح بأن يعلن عنه للملأ ويشرح موضوع الكتاب وغرضه وأهدافه. وكان من أكبر العوائق في طريقه هو قلة المال اللازم لطبع ونشر ذلك الكتاب. فنشر نداء لكل من يجد في نفسه القدرة المالية أن يساعده في طبع ونشر هذا الكتاب، وذلك بأن يشتريه مقدما. ولكن بسبب فقر المسلمين عامة، وفقدانهم روح الحماس للدفاع عن الدين.. لم يجد نداؤه الصدى المطلوب. غير أن حفنة من المسلمين الأغنياء تبرعوا بجزء من المال يزيد قليلا عن ثمن النسخة الواحدة من الكتاب. وبتلك الهبات.. استطاع المؤلف أن يبدأ في نشر مؤلفه. وتم طبع الجزء الأول والثاني عام ١٨٨٠، وقد تضمَّن الجزء الأول من الكتاب تحديا.. أنه إذا استطاع أي فرد من أتباع دين من الأديان الأخرى.. أن يُقدّم من تعاليم دينه عددا من الدلائل يبلغ نصف أو رُبع أو حتى خمس ما يقدمه هو من الدلائل على عظمة تعاليم الإسلام.. فإنه على استعداد أن يتنازل عن كل أملاكه لذلك الشخص.. وكانت أملاكه التي كانت في عهدة أخيه في ذلك الوقت تُقَدّر بحوالي عشرة آلاف روبية.

وقد افتتح المؤلف كتابه بالثناء على الله تبارك وتعالى والصلاة على رسوله الكريم، وذلك في مقدمة قصيرة باللغة العربية ننقلها للقارئ فيما يلي، حتى يدرك القارئ الحصيف مدى تقديسه لله تعالى، وقدر احترامه وتقديره للرسول الأكرم ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك ما أقوى برهانك.. العظمة كلها لك.. والقدرة كلها لك.. العالم كله ضعيف والقوة كلها لك. أنت الأحد الصمد الذي توحَّد في وجوب وجوده.. وتفرَّد في فضله وَجُوده. جلّت حكمتك.. وتجلت حُجتك.. وتمت نعمتك.. وعَمّت رحمتك. وتنَزّه ذاتك عن كل منقصة ونقصان.. وتعالى شأنك من جميع ما يُشان. أنت المتوَحد المتفرّد بجلال ذاته.. وكمال صفاته.. المنَزه عن شوائب النقص وسماته. نحمدك على ما تفضلت علينا بتنْزيل كتاب لا ريب فيه ولا خطأ ولا نسيان.. وكشفت به على نفوسنا الخاطئة المخطئة سبيل الحق والعرفان.. فأنت هَدَيْتنا بالفضل والجود والإحسان.. وما كنا لنهتدي لولا هُداك يا رحمن.

ونسألك أن تصلي على رسولك النبي الأمي الذي نجيتنا به من سبل الضلالة والطغيان.. وأخرجتنا به من ظلمات العمَى والحرمان.. الذي ظهر دينه الحق على كل دين من الأديان.. وتقدست ملته عن كل شرك وبدعة وعدوان.. وسبقت شريعته في كل معرفة وحكمة وبرهان. هو العبد المخلص الذي اصطنعته لمحبتك وتوحيدك.. وجعلتَ أَحَبَّ إليه من نفسه ذكر تقديسك وتمجيدك. أرسلتَه رحمة للعالمين.. وحجة على المنكرين.. وسراجا منيرا للسالكين.. وداعيا إلى الله للطالبين.. وبشيرا ومبشرا للمؤمنين.. وإنسانا كاملا للناظرين. جاء بكتاب يحيط على القوانين الحكَمية.. ويهدي إلى جميع السعادات الدينية. أكمل كثيرا من الناس في القُوَى النظرية والعملية.. فجعلهم المتحلين بالأخلاق المرضية الإلهية.. والمتخلين عن الأدناس البشرية السفلية.. فأصبحوا بتعليمه المترقّين في العلوم الحقيقية اليقينية.. والمتلذذين بالمحبة الربانية الأحدية.. والمستعدّين لحظيرة

القدس والتجليات القدّوسية. اللهم فصل عليه وعلى جميع إخوانه من الرسل والنبيين.. وآله الطيبين الطاهرين.. وأصحابه الصالحين الصديقين.

(براهين أحمدية، الخزائن الروحانية ج ١ ص١٣-١٤)

كان تأليف وطبع ونشر ذلك المجلد الكبير، المشتمل على عظمة التعاليم الإسلامية، يُعد عملا جبارا تكتنفه المصاعب والمشاق. نعم.. كان المؤلف نفسه رجلا على قدر كبير وعظيم من العلم بالإسلام والأديان المقارنة، وكان يتلقى الوحي من الله تعالى الذي كان يؤيده على الدوام.. وكانت لديه فرصة الاطلاع على مكتبة العائلة التي رغم تدميرها على أيدي السيخ في حياة جده، إلا أنه أعيد تزويدها بعدد لا بأس به من الكتب. وكان هذا هو كل ما يتمتع به من تيسيرات. فكما سبق ذكره.. كانت قاديان التي هي محل إقامته.. تقع على بعد ١١ ميلا (أكثر من ١٧ كيلومتر) من أقرب محطة للقطار أو مكتب للتلغراف. إذ كانت قرية صغيرة لا يوجد بها سوى النّزر اليسير من وسائل المعيشة. وكانت أقرب مطبعة تصلح لطبع مثل هذا الكتاب توجد في أمرتسر وهي على بعد ٣٥ ميلا من قاديان (حوالي ٥٧ كيلومتر). ولم يكن في قاديان في ذلك الوقت أي شخص يصلح لمساعدة المؤلف في كتابة مؤلفه أو في إعداد ذلك العمل الضخم، فلم يكن لديه سكرتير يملي عليه.. وإنما كان يكتب بنفسه كل صفحات الكتاب، ولما حان وقت الطبع كان عليه أن يسافر بنفسه إلى أمرتسر حاملا معه كل مُسودات الكتاب، ويشرف بنفسه على عمليات الطبع والمراجعة والإعداد. وقد تطلب ذلك رحلة لمسافة ١١ ميلا على طريق طيني وعر، يُعاني من الحفر والمطبات، حتى إن عبوره على الأقدام كان أسهل من عبوره في عربة من تلك العربات الخطرة.. التي تجرها البغال أو الثيران، وكانت تخلو من السُسَت التي من المفروض أن تمتص الارتجاجات القوية.. فكان السفر بها قطعة من العذاب.. يرتج فيها المرء إلى أعلى وإلى أسفل بعدد الحفر التي تسقط فيها العجلات، وبعدد النتوءات التي ترتطم بها على طول

الطريق. حتى إذا ما وصل إلى مدينة بطالا بعد طول عناء.. كان عليه بعد ذلك أن يسافر عن طريق القطار لمسافة ٢٤ ميلا أخرى حتى يصل إلى أمرتسر. وكان عليه أن يقوم بتلك الرحلة عدة مرات حتى ينتهي من طبع الكتاب. وعلى ذلك.. فإن الكتاب بأكمله قد أُلِّف وكُتب وطُبع بمجهود رجل واحد.. لم يكن له من يساعده سوى فضل الله تعالى وإحسانه عليه.

وقد تم نشر الجزأين الأول والثاني عام ١٨٨٠ وتبعهما الجزء الثالث عام ١٨٨٢ والرابع عام ١٨٨٤. واضطر المؤلف أن يرجئ نشر الجزء الخامس، حيث إنه منذ عام ١٨٨٢ وما تلاه انشغل في مجال أوسع.. ففي ذلك العام أبلغه الله تعالى عن طريق الوحي أنه قد اختاره ليكون مجدد ذلك القرن.

وبعد نشْر الجزأين الأول والثاني من كتاب "البراهين الأحمدية".. تلقى الكتاب ومؤلفه الثناء العظيم والتقريظ الكبير بأبلغ الأساليب من علماء المسلمين وقادتهم، والشخصيات الإسلامية البارزة. وفيما يلي نبذة بسيطة من التعليقات التي صدرت عن الكتاب، وهي تعطي القارئ فكرة موجزة عما كان يمثله مرزا غلام أحمد في أذهان الناس، وبالذات بين الطبقة المتعلمة والمتدينة منهم.

كان المولوي محمد حسين البطالوي، زعيم فرقة أهل الحديث، قد نشر في جريدته "إشاعة السُنَّة"، تعليقا على الكتاب بلغ ما يقرب من مائتي صفحة، وذلك في المجلد السابع من الجريدة، بدءا من العدد السادس حتى العدد الحادي عشر. وكان مما ذكره في افتتاحية التعليق ما يلي:

"إن من رأينا.. حين نضع هذا العصر وأحواله في الاعتبار.. أن هذا الكتاب لم يُنشر له مثيل منذ بدء الإسلام إلى هذا اليوم، ولا نعلم ما يمكن أن يحدث في مستقبل الأيام، لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا. إن المؤلف قد أثبت أنه رجل مثابر في خدمة الإسلام، بالقلم واللسان، والحال والمال، وغير ذلك.. حتى إنه من النادر أن تجد له مثيلا بين

المسلمين. ومن يعتبر قولنا هذا مبالغة تمشيا مع أسلوب أهل آسيا.. فعليه أن يدلنا على كتاب واحد على الأقل تصدَّى لأعداء الإسلام.. وخاصة من الآرياسماج والبراهموسماج.. بكل قوة وبرهان، وعليه أن يقدم لنا أسماء ثلاثة أو أربعة ممن قدموا للإسلام خدمات مثل ما قدم هذا الرجل، وعليه أن يبرهن لنا أنهم لم يخدموا الإسلام بأقلامهم وألسنتهم وأموالهم فحسب.. بل وبأنفسساهم أيضا، فتحدّوا الذين ينكرون إمكانية الوحي أن يتأكدوا بأنفسهم من أن صاحب التحدي نفسه يتشرف بتلقي الوحي من الله تعالى."

وأضاف قائلا:

"إن مؤلف البراهين الأحمدية.. في شهادة أصدقائه وأعدائه على السواء.. قد أقام حياته على شريعة الإسلام. وإنه تقي ووَرِع. ومن المعروف أن نفثات الشيطان دائما ما تكون كاذبة، ولكن ليس بين بشارات الوحي التي تلقاها مؤلف البراهين الأحمدية.. ولا بشارة واحدة.. ثبت كذبها إلى هذا اليوم. وعلى هذا.. فلا يمكن اعتبارها أبدا من نفثات الشيطان. هل يجوز لأي مسلم أن يعتقد أن الشيطان يمكن أن يُؤتَى مثل ما أوتي النبيون والملائكة من علم الغيب، بالشكل الذي أوحاه الله تعالى لمؤلف البراهين الأحمدية، حتى إنه لم يحدث لأي نبأ من الأنباء التي أطلعه الله عليها أن ثبت بطلانه؟"

وانتهى هذا التعليق المفصّل بالنداء التالي:

"إن عظمة هذا الكتاب ونفعه للإسلام، سوف يتجلى لمن يقرأه بعقل مُتفتح، أو من يطلع على تعليقنا عليه. وعلى ذلك.. وبناء على قوله تعالى: ﴿وَهَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ فإن واجب المساهمة في نفقات طبع ونشر هذا الكتاب، يقع على الأمة الإسلامية بأسرها. إن مؤلف البراهين الأحمدية قد حفظ شرف المسلمين، وتحدى أعداء الإسلام بقوة وبراعة. لقد أعلن للعالم أجمع أن من لديه أدنى شك في صدق الإسلام، فعليه أن يأتي إليه، ويرى بنفسه الحقائق والأدلة العقلية

والروحية التي تنبثق من القرآن.. ويرى المعجزات البيِّنة لمحمد ﷺ تأييدا لصدق الإسلام."

وكان أحد كبار المعجبين الآخرين بكتاب البراهين الأحمدية، هو حضرة صوفي أحمد جان من لدهيانة، وكان هو نفسه من كبار الصالحين المتصوفين. وقد قرّظ الكتاب ومدح مؤلفه بما يلي:

"إن هذه الشخصية العظيمة.. صاحب الفضل على الإنسانية، ومنبع الجود والخير، الذي هو في ذاته دليل صدق الإسلام، صاحب الشرف والأصالة.. حضرة مرزا غلام أحمد صاحب.. زاده الله فضلا.. رئيس قاديان في غورداسبور بالبنجاب، قد ألّف كتابا سماه "البراهين الأحمدية" باللغة الأردية، وقد تم نشر جزأين منه، وسوف يتم نشر باقي الأجزاء تباعا لتصل إلى المشتركين.

إن هذا الكتاب قد أرسى دعائم صدق الإسلام.. وصدق نبوة محمد ﷺ.. وصدق القرآن الكريم. وقد دلل على ذلك بإيراد ثلاثمائة دليل من البراهين القوية التي لا تقبل الجدل، وردّ بأدلة منطقية حاسمة هجوم المسيحية، والآرية، والهندوسية، والبراهموسماج، وكل الأديان المعادية للإسلام. وقد أعلن المؤلف في الجزء الأول من البراهين الأحمدية، أن أي شخص من أتباع أي دين يعارض صدق الإسلام.. إذا استطاع أن ينقض تلك الدلائل، أو نصفها، أو حتى خمسها، فإن المؤلف سوف يتنازل له عن كل أملاكه التي تُقدّر بعشرة آلاف روبية.

إن هذا الكتاب قد أبطل تماما كل الحجج التي يسوقها أعداء الإسلام، وأخرس كل معارضيه، وأوضح حقيقة صدق التعاليم الإسلامية، بشكل يجعل الإنسان يدرك الفضل العظيم لدين الإسلام، ويتبين أي كنْز عظيم ذلك القرآن، وتظهر له الحقيقة الخالدة لدين محمد ﷺ. إن آيات القرآن المجيد التي اقتبسها المؤلف، وذكرها في استشهاداته واستدلالاته، تبلغ ثلثي آيات القرآن.

إن هذا الكتاب يقنع الكافرين.. وينبه الجاهلين.. وينذر الغافلين.. وينير فهم وإدراك المؤمنين.. ويعمق جذور العقائد الإسلامية.. ويزيل كل الشكوك والأباطيل التي أثارها أعداء الإسلام. لقد انتشر الكثير من اللغط والبلبلة والفكر المشوش بين أتباع كل دين في هذا القرن الرابع عشر الهجري.. وكما قال أحدهم: إن كل يوم يمر علينا يأتي إلينا بنوعيات جديدة من الكفار ونوعيات جديدة من المسلمين. فالآن.. صارت الحاجة أشد ما تكون إلى كتاب مثل البراهين الأحمدية، وإلى وجود مجدد مثل سيدنا المبجل مرزا غلام أحمد.. الذي بيّن استعداده التام، أن يبرهن على صدق دعوى الإسلام، بما يُثلج صدور أعدائه. إن مؤلف "البراهين الأحمدية" ليس من علماء الدين العاديين، ولا هو واحد من الزعماء الشعبيين، وإنما هو صفيّ الله، الذي اصطفاه واختاره لهذا الغرض، وأيده بالوحي الإلهي. إن المئات من جمل الوحي التي تلقاها، والنبوءات، والرؤى الصادقة، والتوجيهات الربانية، والمبشرات التي تتعلق بهذا الكتاب، والتي تحمل بشرى النصر والتأييد الإلهي والهدي الرباني، والتي جاءت بلغات عديدة، كالعربية والفارسية والأردية وحتى اللغة الإنجليزية - رغم أن المؤلف لا يعرف اللغة الإنجليزية - قد وردت في هذا الكتاب، وجاء معها ما يصدقها من شهادة مئات من الناس.. حتى من بين غير المسلمين.. بل ومن بين أعداء الإسلام أنفسهم.. مما يؤكد صدقها ويبرهن على أن المؤلف - دون أدنى شك - يكتب هذا الكتاب وهو تحت توجيه الله وهداه. كذلك.. فإنه حسب حديث رسول الله ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها).. نرى أن مؤلف هذا الكتاب هو مجدد القرن الرابع عشر، وإنه لعالم قدير، وهو من الأفراد الكُمّل في الأمة الإسلامية. وإن هذا أيضا يؤيده حديث آخر لرسول الله ﷺ الذي يقول فيه: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل."

وقد أنهى الكاتب تعليقه على كتاب "البراهين الأحمدية" بسرد وصف لشخصية المؤلف، عدّد فيه مناقبه بأسلوب أخاذ.

كذلك كتب المولوي محمد شريف.. وكان محررا لصحيفة "منشور محمدي".. تعليقا على الكتاب أثنى فيه عليه ثناءً كبيرا، وجعل على رأس تعليقه الآية الكريمة: ﴿قُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، وذكر خلال تعليقه:

"إن الإسلام يُهَاجَمُ من كل اتجاه. فالإلحاد ينتشر، واللاتدين يزدهر، وأتباع البراهموسماج يبذلون كل جهد لإثبات عظمة دينهم وتفوقه على الإسلام، من خلال كتبهم ومقالاتهم الفلسفية، وإخواننا المسيحيون يكرّسون كل أوقاتهم ومجهوداتهم لمحو الإسلام كلية، وإنهم على اقتناع تام بأنه ما دامت شمس الإسلام تلقي بأشعتها على العالم، فإن مجهوداتهم لنشر المسيحية ستضيع هباءً منثورا. وباختصار.. فإن أتباع كل دين يبذلون الجهد الأكبر لإطفاء شمس الإسلام وإخماد أنفاسه.

وقد كنا نتطلع منذ أمد طويل، إلى أن يظهر من بين المسلمين أحد رجالاتهم يكون مؤيدا من الله تعالى، فيتصدى للدفاع عن الإسلام، ويكتب كتابا يليق باحتياجات العصر ومقتضيات هذا الزمان، ويُضمّنه الأدلة العقلية والمنطقية المستوحاة من الكتاب والسُنَّة، ليبرهن ويثبت أن القرآن هو حقا كلام الله ووحيه إلى رسول الله ﷺ، وأن ذلك الرسول كان بحق الصادق الأمين، الذي اختاره الله رسولا للعالمين. وإننا لنشكر الله تعالى على فضله العظيم لأن آمالنا قد تحققت.. فها هو ذا الكتاب الذي كُنا نأمل ونتطلع لتأليفه ونشره منذ زمن طويل واسمه "البراهين الأحمدية"، وقد ضمّنه المؤلف ثلاثمائة دليل قاطع، على صدق القرآن الكريم، وعلى صدق نبوة محمد ﷺ. إن مؤلف هذا الكتاب هو أجَلّ العلماء وأقومهم، إنه بحر من العلم عميق الأغوار، وهو فخر مسلمي الهند جميعا.. صفيّ الله تعالى.. المولوي مرزا غلام أحمد، رئيس قاديان في غورداسبور بالبنجاب.

سبحان الله! ما أعظم هذا الكتاب الذي تُثبت كل كلمة فيه صدق الإسلام، وتوَضح وتبرهن على فضل القرآن العظيم، وتدلل على صدق نبوة ورسالة محمد! إن أعداء الإسلام يجدون في هذا الكتاب الأدلة الواضحة القاطعة التي لا سبيل لدحضها. وكل دليل قد جاء مؤيدا بحجج منطقية، ومناقشة توافق العقل، وتريح النفس، بأسلوب إيجابي، لا يستطيع أحد أن ينقضه أو يجرحه.. بل إن من يقرأها بقلب متفتح، وعقل متدبر، لا بد وأن يميل إليها ويقتنع بها.

هذا هو الكتاب الذي لا نظير له.. وإن المؤلف يُعلن بتحدّ أنه لا سبيل لدحض أدلته، وإذا استطاع أحد أن يكتب ما ينقضه، حسب الشروط التي جاءت في الإعلانات المنشورة عنه، فإنه سينال جائزة قدرها عشرة آلاف روبية. وإن الحق الذي لا مفر منه، يقتضي من أعداء الإسلام – إذا كان في قلوبهم ذرّة من خشية الله– أن يُقرّوا ويشهدوا بأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله الصادق الصدوق. وإننا نؤكد بكل ثقة، وبكل فخر، أنه لا يمكن لأحد أن ينقض ذلك الكتاب، حتى ولا إلى أن تقوم الساعة. وإننا أيضا لنحُث كل من يعارض الإسلام.. إذا كانوا مؤمنين حقا بعظمة الأديان التي ينتمون إليها.. أن ينْزلوا إلى المضمار، ويكتبوا نقضا لهذا الكتاب. إن المؤلف قد عرض جائزة قدرها عشرة آلاف روبية لمن يكتب نقضا لهذا الكتاب، وإننا نضيف ألفا من الروبيات لهذه الجائزة.. ولنر الآن إذا استطاع أحد من إخواننا الذين يعارضونا في الدين، أن يتقدم لقبول التحدي، أو يجرؤ مرة أخرى على تكرار مزاعمه الباطلة."

وأضاف قائلا:

"والآن نتوجه بالخطاب إلى إخواننا المسلمين.. إن كتاب البراهين الأحمدية، كتاب لا مثيل له في تأييد صدق القرآن، وتصديق نبوة محمد ﷺ. لقد أثبت المؤلف صدق الإسلام بأدلة بارعة صادقة، تجعل أي منصف يعترف بأن القرآن هو كتاب الله تعالى، وأن نبوّة رسول الله ﷺ هي نبوّة حق وصدق، وأن الإسلام هو بحق الدين الذي ارتضاه

الله تعالى، وأن المسلم يسير فعلا على طريق مستقيم.
هناك العشرات.. بل المئات من الأدلة الحاسمة، التي لم تترك لمن يخالف الإسلام فرصة للهروب من الحقيقة، أو إنكار الحق الذي تجلى كالشمس في رابعة النهار. إن كل دليل واضحٌ كل الوضوح، بل إنه يشع بنور الحق المبين. إن الكتاب هو حقا مرآة الإيمان.. وهو مملوء برمّته من فيض القرآن الكريم، ويهدي إلى الصراط المستقيم، وإنه نور يضيء الطريق القويم. إنه كنْز المعرفة والإيمان، ومنجم الهدى والعرفان. إنه كالبرق يصعق المخالفين، ويدمر صياصيهم وقلاعهم. وهو للمسلمين السند القويم على صدق كتاب الله العظيم، وبرهان اليقين على أم الكتاب الكريم. لقد زعزع وزلزل أركان كل أعداء الدين."

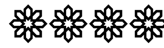
وكما هي العادة بين البشر.. فإن بعض الصغار من النكرات من بين المسلمين انتقد بعض الأجزاء من هذا الكتاب العظيم، لعله كان حسدا من عند أنفسهم.. أو لعله كان تملقا لأعداء الدين.. أو لعله كان حبا في الظهور بمظهر العلماء، غير أنهم بهذا المسلك قدّموا الدليل على جهلهم وضحالة علمهم، ولم يلتفت إليهم أحد أو يولهم أدنى اهتمام.

ولكن الكتاب أثار عواصف من الحنق، وأعاصير من الغيظ، في الدوائر غير الإسلامية، وخاصة في دوائر التبشير المسيحية والآرية والهندوسية. وقد عبّر البعض عن غيظهم بأسلوب منحط ولغة بذيئة ضد المؤلف.. وأعلنوا عن عزمهم على كتابة نقض لهذا الكتاب. ولكن.. سرعان ما خار عزمهم، وانهار رجاؤهم، حين وخزهم المؤلف بهذا الإعلان:

"إنني أدعو جميع هؤلاء، أن يُقسموا بالله، بألا يتأخروا ولا للحظة واحدة عن القدوم إلى ساحة النّزال. فليستعينوا بفلسفات أفلاطون، وليتزوّدوا بمباحثات أرسطو وبيكون، وليتضرعوا إلى آلهتهم الباطلة، ثم ليروا بعد ذلك ما إذا كان إلهنا ﷻ هو الإله الأعظم أم آلهتهم الباطلة."

ورغم التحدي الأصلي الذي نُشر في الجزء الأول من "البراهين الأحمدية"، ورغم هذا التحدي الإضافي الذي نُشر في الجزء الثاني منه، لم يستجب أحد ذو شأن لمهمة التصدي لنقض هذا الكتاب العظيم.. سوى بعض صغار المتزعمين هنا وهناك في الأوساط الهندوسية والمسيحية، الذين أعلنوا نيّتهم وعزمهم على قبول تحدي المؤلف، ولكن.. تلك النيّات والعزائم لم تتخذ أية خطوة عملية في سبيل تحقيقها.

لم يكن غير واحد من أخبث المخلوقات الذين آتاهم شيطانهم سلاطة في اللسان وفحشا في القول.. وكان ينتمي إل طائفة الآرياسماج، واسمه الbانديت ليكهرام.. الذي نشر مجموعة من السفاسف تحت اسم "نقض البراهين الأحمدية". ولكن سرعان ما فضح زيفها المولوي حكيم نور الدين ﷺ في كتابه الذي أسماه: "تأييد البراهين الأحمدية". وكان نشر ليكهرام لتلك المجموعة من الأكاذيب، هي البداية للفساد الذي تولاه هذا الbانديت، إلى أن سحقه عقاب الله تعالى فانتهت حياته بشكل يليق بفساده. وسوف نعود إلى ذلك فيما بعد إن شاء الله.



الفصل الرابع

البشرى والبشير

الفصل الرابع

البشرى والبشير

كان لسيدنا مرزا غلام أحمد غلامان من زوجته الأولى.. التي كانت ابنة خاله أيضا.. وهما مرزا سلطان أحمد ومرزا فضل أحمد. ولم يكن لدى أقاربه أي اهتمام بالأمور الدينية، فقد كانوا يعيشون حياتهم بعيدا تماما عن المبادئ الأخلاقية العالية، ولا يربطهم بالمرة أي رباط بالدين ولا بالأمور الروحانية. وكانت زوجته الأولى هي الأخرى قد تبعت أسلوبهم في الحياة.. فلم تكن تلقي بالا للأمور التي يعتبرها زوجها قوام الحياة، والتي كان يُعَوّل عليها أكبر تعويل ويهتم بها كل الاهتمام. ونتيجة لذلك.. وبمرور الوقت.. اتسعت هوّة الخلاف بينهما، وانتهى الأمر بانتهاء الرابطة الزوجية بينهما. وبعدها كان كل شاغل سيدنا أحمد يتجه نحو الدين وخدمة الإسلام، ولم يجد في نفسه أية رغبةً في تكرار تجربة الحياة الزوجية.

وقد تدهورت أحواله الصحية بعض الشيء.. إذ كان يعاني من مرض السكر ومن الصداع المزمن.. ولم تكن لديه أية رغبة في الجنس الآخر. وفي تلك الآونة تلقى وحيا باللغة العربية: [إنَّا نبشرك بغلام حَسين]، وقد ذكر ذلك الوحي لبعض الناس الذين كان على صلة بهم، بما فيهم صديقيه من غير المسلمين.. لاله شرمبت ولاله ملاوامل، فأبدى الجميع دهشتهم، باعتبار أنه كان قد انفصل عن زوجته، ولم تكن لديه الرغبة في زواج آخر.. بل لم تكن أحواله الصحية تسمح له بالزواج.

وبعد بضعة شهور، تلقى وحيا آخر في نفس الموضوع، وكان باللغة العربية أيضا: [أُشْكُرْ نعمتي رأيت خديجتي]. ولما كان "خديجة" هو اسم الزوجة

الأولى لرسول الله ﷺ التي عاش معها فترة طويلة من الزمن.. فقد فهم من هذا الوحي أن الله تعالى يبشره بأنه سبحانه يُعدّ له زواجا آخر، وأن هذا الزواج سوف يستمر مدة طويلة.. حوالي ٢٥ عاما كما استمر زواج رسول الله ﷺ من السيدة خديجة. وقد تبع ذلك.. بعد فترة قصيرة.. وحي آخر بالعربية أيضا: [الحمد لله الذي جعل لكم الصهر والنسب]، ثم تلا ذلك وحي آخر كان بعضه باللغة الأردية وجزء منه باللغة الفارسية: [لقد رتبت لك زواجا آخر وسوف أرتب أموره بنفسي ولن يمسسك أي ضيق منه].

وهكذا اتضح الأمر من خلال تتابع الوحي.. أن الله تعالى يريد له أن يتزوج مرة أخرى، وأن الله تعالى سوف يبارك هذا الزواج ببركات كثيرة، وسوف يستمر هذا الزواج لمدة طويلة. ورغم أنه كان يشعر بالعزوف عن الحياة الزوجية، ورغم الظروف الصحية التي كان يعانيها، ورغم عمره الذي كان يعتبر قد تقدم بالنسبة للزواج، حيث إنه كان قد أشرف على الخمسين، فإنه خضع لإرادة الله. وقد حدث بفضل الله المحض أن تم زواجه الثاني في ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٨٤ من سيدة كريمة تنتمي لعائلة نبيلة من أشراف مدينة دلهي، والمعروف أن كلمة "الأشراف" تُطلق على من هم من نسل رسول الله ﷺ. وكان اسم العروس "نُصرت جهان بيجم"، ويعني الاسم: "السيدة التي تعين العالم". وكان اسم والدها مير ناصر نواب، ويعني اسمه: "الأمير المعين"، فكان كل من الاسمين يعني العون والمساعدة، مما كان فألا طيبا يدل على أن هذا الزواج سوف يكون مبعث عون الله تعالى وبركاته.

وقد كتب سيدنا أحمد بعد بضع سنين عن هذا الزواج فقال ما تعريبه:

"منذ حوالي ستة عشر عاما أخبرت الشيخ حامد علي ولاله شرمبت كهتري ولاله ملاوامل كهتري والمرحوم جان محمد من سكان قاديان وأناسا كثيرين آخرين أيضا أن الله تعالى قد أخبرني بوحيه أنه سوف يزوجنى في عائلة كريمة تنتمي إلى الأشراف، وأنه تعالى سوف

يبارك في هذه الزوجة ومنها سوف أُرزق أولادًا. وقد رأيت هذه الرؤيا في الوقت الذي صرت فيها عاجزا شديد الضعف جراء بعض العلل والأمراض، إذ شُفيت منذ فترة قصيرة من مرض السل. وبسبب انعزالي والزهد في الدنيا كان قلبي يكره أعباء الحياة الزوجية، وكنت أنفر من المسؤوليات تجاه الأهل والعيال، فعند تصور تلك الحالة المضنية تلقيت وحيا*: (إنني سوف أرتب كل الأمور المتعلقة بزواجك).... وإني أُشهِد الله تعالى الذي نفسي بيده، أنه قد برَّ بوعده وأزاح عني كل عبء يتعلق بهذا الزواج، وأنعم عليّ براحة البال. إن أي والد لا يستطيع أن يربي ابنه كما رباني الله تعالى، ولا تستطيع أي أم أن تعتني بابنها كما شملتني عناية خالقي. وقد أنجز ما وعدني به قبل أمد بعيد وقد نُشر في البراهين الأحمدية: "يا أحمد اسكن أنت وزوجك الجنة." فلم يتركني أشعر بأي قلق تجاه نفقات معيشتي، ولا تركني أقلق لأي أمر يتعلق بشؤون بيتي.

فالابتلاء الذي تعرضت له عند هذا الزواج أنه بسبب الضعف القلبي والذهني الناتج عن أمراض شتى بقيت عرضة لها وبسبب مرضين كانا يلازمانني، وهما مرض السكر والصداع المزمن .... فإن بعض الأصدقاء عبَّروا عن مخاوفهم تجاه زواجي.... وقد كتب إليّ المولوي محمد حسين البطالوي مسوقا بدافع الشفقة عليّ يقول: "لقد تزوجتَ مع أني فهمت من الحكيم محمد شريف أنك لا تصلح للزواج بسبب ضعفك البدني الشديد. فإذا كان هذا الأمر يتعلق بقوتك الروحانية فليس لي الحق في الاعتراض، إذ إنني لا أنكر حقيقة الخوارق والقوى الروحانية الخاصة بالأولياء، وإلا فإن الأمر يبعث على القلق وأخشى أن تتعرض للابتلاء"......

وفي تلك الظروف تضرعتُ إلى الله تعالى، فأُخبرت بدواءين لدفع هذا

* لقد تلقى حضرته عليه السلام هذا الوحي باللغة الفارسية، وكتبنا ترجمته باللغة العربية. (المترجم)

المرض بطريق الوحي، وقد رأيتُ بصورة كشفية أن ملاكا يضع في فمي الدواءين المذكورين. فقمت بتركيب الدواءين وبارك الله فيهما لدرجة علمت يقينا أنني أُعطيت تلك القوة الكاملة التي تُعطى في هذه الدنيا لرجل يتمتع بالصحة الكاملة، وقد أنعم علي بأربعة بنين، ولولا أني أخشى أن الدنيا سوف تعتبر هذا الذكر مبالغا فيه لذكرت بالتفصيل هذا الأمر الذي أُعطيته بشكل دائم على الطريقة الخارقة، ولكي يتبين منها أن آيات ربنا القدير والقيوم تتجلى في كل شكل، وبكل صورة، ويخص بها عباده المقربين في جميع الأحوال". (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية ج ١٥ ص٢٠١-٢٠٤)

ونود أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى ما ذكره سيدنا أحمد عليه السلام عن المرَضين اللذيْن كانا يلازمانه باستمرار، وهما الصداع المزمن، ومرض السكر الذي كان بسببه يعاني من جريان البول، حتى إنه كان يضطر في بعض الأحيان لأن يتبول في اليوم الواحد مرات كثيرة جدا. وهذان المرضان هما ما أشار إليه رسول الله ﷺ في حديثه عن نزول المسيح في آخر الزمان وعليه "مهرودتان" أي رداءان أصفران (راجع الحديث في صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة). ومن المعروف أن الرداء الأصفر في علم تعبير الرؤيا هو المرض، وبالتالي فالرداءان الأصفران يعنيان مرضين يُعاني منهما مسيح آخر الزمان. ولا يخفى أن حديث رسول الله ﷺ الذي ذكر فيه الرداءين الأصفرين هو من وحي الله تعالى إليه، والوحي.. مثل الرؤيا التي هي أيضا وحي للأنبياء.. يكون أحيانا بصورة واضحة، وأحيانا أخرى يكون بصورة رمزية تحتاج إلى التعبير والتفسير.

وقبل أن يتم زواج سيدنا أحمد، كان قد قرر أن ينفرد بنفسه مع ربه في مكان منعزل لمدة أربعين يوما، ويتفرغ في تلك الأثناء لعبادة الله تعالى، والتضرّع إليه بالدعاء. وفي عام ١٨٨٤ قرر الذهاب إلى سوجانبور في منطقة

كورداسبور بغرض تحقيق هذه العزلة والاعتكاف، ولكنه فيما بعد تلقى وحيا بالأردية يقول: [سوف يتحقق غرضك في هوشياربور]. وعلى ذلك.. ذهب في يناير(كانون الثاني) ١٨٨٦ إلى هوشياربور في صحبة ثلاثة من المرافقين، واتخذ مقامه في الطابق الأول العلوي من بيت في مكان منعزل يمتلكه الشيخ مير علي، وهو من فضلاء مدينة هوشياربور. وقد أكد على المرافقين أن يحضر له أحدهم وجبتي الطعام كل يوم، ويتركهما دون أي كلام. وطلب منهم كذلك ألا يسمحوا لأحد أن يصعد إليه في محل إقامته أو يقتحم عليه اعتكافه.

وبعد أن أكمل فترة الأربعين يوما، نشر إعلانا في ٢٠ فبراير (شباط) ١٨٨٦ من هوشياربور، ذكر فيه أن الله تعالى قد شرّفه أثناء اعتكافه، وأنبأه بأمور عديدة تتعلق بما هو في الغيب، وأنه سوف يعلن عنها بالتفصيل فيما بعد. وقد ذكر في الإعلان إحدى تلك النبوءات التي كانت تتعلق به هو شخصيا فقال ما تعريبه:

"إن الله الرحيم والكريم.. رب العزة والجلال.. والقادر على كل شيء.. جل شأنه وعز اسمه.. قد خاطبني بوحي منه قائلا:

"إني أنعم عليك بآية رحمة حسب ما سألتني، فسمعت تضرعاتك، وقد شرّفت أدعيتك بالقبول بخالص رحمتي، وباركت رحلتك هذه (التي قمت بها إلى مدينة هوشياربور ولدهيانة). آية قدرةٍ ورحمةٍ وقربٍ ستوهب لك. آية فضل وإحسان ستُمنح لك. ومفتاح فتح وظفر سيُعطى لك. سلام عليك يا مظفر. هكذا قال الله لكي ينجو من براثن الموت من يبتغون الحياة، ويُبعَث من دُفن في القبور، وحتى يتجلى شرف الإسلام وعَظَمة كلام الله، وليأتي الحق بكل بركاته، ويزهق الباطل بكل نحوسته، وليدرك الناس أني أنا القادر.. أفعل ما أريد، وليوقنوا أني معك، وليرى آية بيّنة من لا يؤمنون بالله.. وينظرون إلى الله تعالى ودينه وكتابه ورسوله الطاهر محمد المصطفى ﷺ نظرة رفض وتكذيب، ولتستبين سبيل المجرمين.

بشرى لك.. فإن صبيا وجيها طاهرا سوف يوهب لك. وإن غلاما زكيا يكون من صلبك ومن ذريتك ونسلك. غلام جميل وطاهر سوف يأتي ضيفا عليك، اسمه عنموائيل وبشير. لقد أوتي روحا مقدسة، وهو نقي من كل دنسٍ ورجسٍ. هو نور الله. مبارك الذي يأتي من السماء. سيصحبه الفضل الذي يأتي معه. إنه ذو شوكة وعظمة وثروة. سيأتي في الدنيا، ويشفي الكثيرين من أمراضهم بنفَسه المسيحي وببركة روح القدس، فإنه كلمة الله، لأن رحمة الله وغيرته قد أرسلته بكلمات تمجيدية. وسيكون ذكيا بشكل خارق وفهيما وحليم القلب. سوف يمتلئ بالعلوم ظاهرةً وباطنةً. سوف يجعل الثلاثة أربعةً (لم يتضح لي معنى هذه الجملة). إنه يوم الاثنين.. فبورك يوم الاثنين. ولدٌ صالح كريم ذكي مبارك، مظهر الأول والآخر، مظهر الحق والعلاء، كأن الله نزل من السماء. ظهوره مبارك جدا، وبظهوره ينكشف جلال رب العالمين. يأتيك نورٌ مسحه الله بطيب رضوانه. سوف ننفخ فيه روحنا. سوف يظله الله بظله. سوف ينمو سريعا ويكون وسيلة لفك رقاب الأسارى. يذيع صيته إلى أقصى الأرضين وسيتبارك به أقوام. وحينئذ سوف يرتفع إلى نقطته النفسية.. أي السماء، وكان أمرا مقضيا.

ثم بشرني الله جل شأنه قائلا:

سوف يمتلئ بيتك بالبركات، وسوف أُكمل نِعمتي عليك، ويكون لك نسل كبير من نساءٍ مباركاتٍ، تجد بعضهن فيما بعد. يزيد نسلك وأباركه، ولكن بعضا منهم يموتُ في سن مبكر. ينتشر نسلك كثيرا في بلاد مختلفة. ينقطع كل فرع من فروع أقرباء آبائك وينتهي نسلهم، وما لم يتوبوا فإن الله سوف يُنْزِل عليهم بلاءً بعد بلاء حتى يقضي عليهم، سوف تمتلئ بيوتهم بالأرامل، وسينْزِل غضب الله على جدرانهم، ولكن إذا تابوا إلى الله فإن الله سيتوب عليهم برحمة منه. سوف ينشر الله بركاتك، ويُحيي بك بيتا خربا، ويملأ بالبركات بيتا موحشا. لن ينقطع نسلك بل سيزدهر إلى آخر الأيام. سوف يُخلد الله اسمك مُجللا بالشرف إلى آخر

يوم من عمر الدنيا، وسيُبَلّغ دعوتك إلى أطراف الأرض. أنا سأرفعك وأدعوك إليّ، ولكن اسمك لن ينمحي أبدا من على وجه الأرض. إن كل من يبغون إهانتك، ويريدون فشلك، ويتمنون هلاكك، هم أنفسهم سيفشلون ويموتون خائبين خاسرين. ولكن الله سوف يعطيك كل فوز ويحقق لك كل أمانيك. إنني سأزيد عدد أصحابك المخلصين الذين يحبونك من أعماق القلوب، وأبارك حياتهم وما يملكون، فينمو عددهم، وسيكونون إلى يوم القيامة غالبين على حزب الحسّاد والمعاندين من المسلمين الآخرين. إن الله لن ينساهم ولن يغفل عنهم، بل سينالون أجرهم بحسب إخلاصهم.

أنت مني بمنْزلة أنبياء بني إسرائيل.... أنت مني بمنْزلة توحيدي. أنت مني وأنا منك. إن الوقت لآت، بل إنه لقريب، حين يُلقي الله محبتك في قلوب الملوك والأمراء حتى إنهم سيتباركون بثيابك. يا من تنكرون وتعارضون الحق.. إن كنتم في شك من عبدي، وإن كنتم تنكرون فضلي وإحساني الذي أنعمت به على عبدي، فأتوا بآية صادقة في أنفسكم مثل آية الرحمة هذه إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا، فاتقوا النار التي أعدت للعصاة والكاذبين والمعتدين". (مجموعة الإعلانات ج١ ص ١٠٠- ١٠٣)

ولا بد من وقفة قصيرة هنا لإلقاء نظرة فاحصة على هذه النبوءة الإعجازية.. فهي تتضمن أنباء وبشارات بظهر الغيب. إنها ليست من طراز ما ينطق به العرّافون والدجالون وقرّاء الكف وغيرهم، ولا هي من الأمور التي غالبا ما تحدث لعامة الناس. إن صاحب هذه النبوءة لم يكن من عامة الناس، بل إنه في ذلك الوقت كان قد أعلن للناس أن الله أخبره بأنه المجدد الذي بعثه تعالى على رأس القرن الرابع عشر الهجري، للدفاع والذوْد عن الإسلام، ولإثبات صدقه وصدق القرآن وصدق نبوة رسول الله ﷺ. ولذلك.. فقد كان أعداء الإسلام يتربصون به، ويحاولون النيْل منه، ويبحثون عن سبيل لانتقاده وتفنيد أقواله. وجاءت هذه النبوءة ردا على كل الخصوم والمخالفين

والمتشككين. فماذا كانت تحتوي هذه النبوءة؟

أولا: إنه سوف يعيش أمدا طويلا لأنه سوف يرى نسلا بعيدا.

ومن ذا الذي يستطيع أن يضمن حياته ليوم واحد، أو لساعة واحدة، إلا إذا كان قد تلقى من الله وعدا بذلك؟ وهل يجرؤ الكذاب الدجال أن يفتري على الله ويقول إنه ﷺ قد ضمن له أن يعيش أمدا طويلا؟ وإذا افترضنا أن تجرأ أحد الدجالين على الكذب والافتراء بهذه الصورة، فهل يحقق الله تعالى كلامه ويتركه ليعيش بالفعل أمدا طويلا؟

ثانيا: إن الله سوف يرزقه بالذرية

إن كل إنسان يتوقع أن يتزوج ويُرزق بالذرية، ولكن ليس كل ما يتوقعه المرء لابد بالضرورة أن يحدث. إن الذي يكذب على الناس ويدعي كذبا أن الله يوحي إليه إنما هو يتحدى الله تعالى، فهل من المعقول أن يسمح الله تعالى بتحقق النبوءات الكاذبة لمن يتقوّل عليه ويتحداه علنا أمام الناس؟ ألا يستوجب الأمر أن يحْرم الله تعالى مثل هذا الكذاب من إنجاب الذرية ويجعله عقيما حتى يتبين كذبه للناس، خاصة وهو سبحانه الذي يقول:

﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ (الشورى:٥١).

ثالثا: سوف يولد له ولد يكون له شأن عظيم

وكم من الناس يتزوجون وينجبون، ولكن يحدث أن يُرزق بعض الناس بالبنين ويُرزق البعض بالبنات. بل قد يحدث أحيانا أن يُرزق بعض الناس بالبنين وبالبنات، ثم يموت البنون ولا يبقى على قيد الحياة سوى البنات. فمن يستطيع أن يقرر بأنه سوف يُولد له ولد من البنين، وأن هذا الولد سوف تطول به الحياة إلى أن يكون له شأن عظيم؟ من في قدرته تحقيق ذلك غير الله تعالى الذي يقول:

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (الشورى:٥٠)

إن هذه النبوءة تحقق أيضا حديثا ذكره رسول الله ﷺ عن مسيح آخر الزمان إذ قال عنه: "يتزوج ويولد لــه" (راجع الحديث في مشكاة المصابيح). وهذا يعني أن زواجه سوف يكون مباركا وأنه سوف يولد له ابن ذو شأن عظيم. وهذا مثل قول أحدهم: حقا.. لقد أنجب فلان. أي أنه أنجب ذرية لها شأن عظيم.

رابعا: إن نسله لن ينقطع أبدا بل ينتشر في بلاد كثيرة.

وقد تحقق ذلك تماما.. إذ يعيش الآن الكثير من نسله في البلاد الأوربية وفي أمريكا وفي كندا كما يعيشون أيضا في آسيا، ولم ينقطع نسله بل بارك الله فيه وهو في ازدياد مستمر بحمد الله.

خامسا: إن نسل كل فروع أقرباء آبائه سوف ينقطع إلا إذا تابوا.

وهذا أمر ليس في مقدور البشر أن يتحكموا فيه، وها هي عائلة سيدنا أحمد عليه السلام.. إن كل فروع تلك العائلة التي لم تؤمن به وناصبته العداء قد انتهت، فلم يعد لها نسل على قيد الحياة. وأما كل الفروع التي آمنت به وانضمت إليه فقد استمر نسلهم. وهذه آية للمتفكرين.. لم يكن لمن سمعوها في وقتها القدرة لمعرفة كيفية تحققها. ولكن الآن.. بعد مضي أكثر من مائة عام على هذه النبوءة، يمكن لكل باحث شريف عن الحق، أن يرى بعينيه كيف حقق الله تعالى وعده. وإذا كان لدى المخالفين والمعارضين ذرَّة من الشرف أو من تقوى الله، فليقدموا لنا.. وللعالم أجمع.. فردا واحدا فقط، من نسل فروع عائلة مرزا غلام أحمد الذين لم يؤمنوا به، ويقولوا: ها هو ذا الآن على قيد الحياة. ولكنهم لن يستطيعوا ذلك ولو دام بحثهم إلى يوم القيامة.

سادسا: إن الله سيُبَلغ رسالته إلى أطراف الأرض.

لم يكن سيدنا أحمد في ذلك الوقت يعلم أنه هو الإمام المهدي أو المسيح الموعود، وما كان يدري أن الله سيأمره بإنشاء جماعة.. وأن هذه الجماعة سوف تنتشر في أطراف الأرض. كل ما كان يعلمه في تلك الأيام أن الله تعالى قد تفضل عليه فجعله مجددا للدفاع عن الإسلام فحسب، ومع ذلك فها هو يخبره بأنه سوف يبلغ رسالته إلى أطراف الأرض. والآن.. بعد أكثر من مائة عام (تكتب هذه السطور في عام ١٩٩٦) فإن رسالة سيدنا مرزا غلام أحمد عليه السلام قد بلغت إلى أقصى أطراف الأرض، وتتواجد جماعته فيما يقرب من مائة وخمسين قطرا من أقطار الأرض.*

سابعا: إن اسمه لن ينمحي أبدا من على وجه الأرض.

لكم قامت دعوات كاذبة ثم مات مؤسسوها، وبعدهم ضاعت الدعوة وماتت، أو انحرفت ولم يعد لها شأن يذكر.. أين مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وسجاح الكاهنة؟ وكلهم ادعوا النبوة على عهد رسول الله ﷺ؟ بل قل أين علي محمد الباب الذي ادعى أنه المهدي في إيران عام ١٨٤٤ ثم هلك في ١٨٥٠؟ وأين مهدي السودان الذي ادعى أيضا أنه المهدي في ١٨٧٩ ثم هلك في ١٨٨٥؟ إن سيدنا مرزا غلام أحمد لم يكن في ذلك الوقت قد ادعى شيئا، ولا كانت له جماعة، ومع ذلك فقد وعده الله تعالى بأن اسمه لن ينمحي أبدا من على وجه الأرض، فسبحان من حقق ما وعد به!

ثامنا: إن كل من يتمنى هلاكه ستحبط أعماله ويموت خائبا.

لكم كان أعداء الإسلام في ذلك الوقت يتمنون هلاكه والقضاء عليه. إن زعماء طوائف الهندوس والبراهما والآريا ومبشري الإرساليات المسيحية..

* أما الآن في عام ٢٠٠٦م فقد توطدت الجماعة بفضل الله تعالى في ١٨٢ قطرا من أقطار العالم. (الناشر)

كانوا جميعا يتمنون هلاكه، وخاصة بعد أن أفحمهم وأبطل حججهم في التهجم على الإسلام بكتابه العظيم.. البراهين الأحمدية، ولكنهم جميعا هلكوا وماتوا خائبين. وأما هو فقد جعله الله تعالى إماما مهديا ومسيحا موعودا وحكما عدلا، وإن الأيام والسنوات القادمة سوف ترى بإذن الله هلاك وخيبة جميع أعدائه، وفوز وانتصار جماعته في كل مجال.

تاسعا: سيزيد الله عدد أصحابه المخلصين ويبارك حياتهم وما يملكون، وينمو عددهم وتكون لهم الغلبة على المسلمين الآخرين الذين يحسدونه ويعاندونه.

لقد حقق الله ﷻ هذا الوعد وما زال يحققه. إن عدد أصحابه في تلك الآونة لم يزد على بضع عشرات، فإذا به يصل.. أثناء حياته.. إلى بضع مئات من الألوف، ثم إلى بضع ملايين، وسوف يصل بإذن الله إلى بضع من البلايين حين تكون لجماعته الأغلبية العظمى بين البشر. ويا ليت المسلمين الآخرين الذين ما زالوا خارج نطاق أتباعه المخلصين.. يا ليتهم يرون الشجرة الطيبة الفارعة.. في الشجيرة التي قد تبدو اليوم صغيرة، وليتهم يدركون أن الله غالب على أمره وأنه حتما محقق وعده.

عاشرا: إنه بمنـــزلة أنبياء بني إسرائيل.

هذه نبوءة تشير إلى أنه سيكون مسيح آخر الزمان، فيصير مثيلا لعيسى بن مريم عليه السلام، الذي كان رسولا إلى بني إسرائيل. كما تشير أيضا إلى المعاناة والاضطهاد الذي سوف يتعرض له أتباعه، كما عانى أتباع موسى عليه السلام من اضطهاد فرعون، وكما عانى أتباع المسيح عليه السلام من اضطهاد اليهود والرومان.

أحد عشر: إن الله سيضع محبته في قلوب الملوك والنبلاء حتى إنهم سيتباركون بثيابه.

إن أحدا لم يكن يتوقع أن أتباع عيسى عليه السلام، الذين كانوا قلة ضعيفة في زمن الإمبراطورية الرومانية، سوف يخرج منهم الملوك والأمراء والنبلاء، ولكن وعد الله تعالى لا بد وأن يتحقق، وهو سبحانه الذي قال:

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (آل عمران:٥٦)

نعم.. إن هذا الوعد لم يتحقق في عام أو عامين، ولا في قرن أو قرنين، بل اقتضى الأمر مرور ثلاثة قرون وربع إلى أن دخل الإمبراطور قسطنطين في المسيحية. ولسوف يأتي اليوم الذي يتحقق فيه أيضا هذا الوعد الذي تلقّاه سيدنا أحمد عليه السلام، ولسوف تتبارك ملوك الأرض ونبلاؤها بثياب سيدنا أحمد عليه السلام. غير أن هناك حدث وقع في الاحتفال المئوي للجماعة عام ١٩٨٩.. إذ حضر من أفريقيا بعض ملوك القبائل التي تعيش في غرب أفريقيا، وبعض النبلاء الذين كانوا قد دخلوا في الجماعة وتشرفوا بأن صاروا من أتباع الإمام المهدي عليه السلام، واستقبلهم خليفة الإمام المهدي.. وهو الخليفة الرابع سيدنا مرزا طاهر أحمد.. وكان يرتدي معطفا من ملابس الإمام المهدي. وهكذا تحققت النبوءة.. ولو بصورة رمزية بين ملوك القبائل الإفريقية. ومن قضى بتحقيقها بصورة رمزية سوف يحققها بإذنه تعالى بصورة عالمية.. فطوبى لمن وعى الدرس ورأي النور قبل فوات الأوان.

ثاني عشر: إنها آية رحمة لا يستطيع المعارضون للحق أن يأتوا بمثلها.

هناك التحدي الذي تنتهي به هذه النبوءة الإعجازية، وهو يشابه التحدي الذي ذكره القرآن المجيد في سورة البقرة عن فشل المتشككين في القرآن أن يأتوا بسورة من مثله. ويقول تعالى في النبوءة:

[يا من تنكرون وتعارضون الحق.. إن كنتم في شك من عبدي، وإن كنتم تنكرون فضلي وإحساني الذي أنعمت به عليه، فأتوا بآية في أنفسكم مثل آية الرحمة هذه إن كنتم صادقين. فإن لم تأتوا بآية.. ولن

تستطيعوا أن تأتوا بها.. فاتقوا النار التي أعدت للعصاة والكاذبين والمعتدين].

هل يمكن أن يتفوّه كذاب بهذه الكلمات ويتحدى بها الجميع؟

وإذا افترضنا جواز ذلك.. رغم استحالته.. فهل يستجيب الله تعالى ويحقق كلام ذلك الكذّاب، كما حقق الله تعالى ما جاء في هذه النبوءة الإعجازية؟

ثم.. هل استجاب أحد لهذا التحدي فأرانا في نفسه آية مثل آية الرحمة هذه؟

يا قوم.. إلى متى تنأون بأنفسكم عن رحمة الله وهي أمام أعينكم وفي متناول أيديكم؟

طوبى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد!

لقد كتب سيدنا أحمد عن هذه النبوءة الإعجازية، ولفت أنظار الجميع إلى ما جاء بها من وعود معجزة، وأكد على أن كل ما ناله من فضل الله تعالى إنما كان باتباعه لدين الإسلام، وهو الدين الحق الذي يرضى عنه الله من بين أديان الأرض جميعا، وأن الغرض من كل هذا الفضل هو أن يظهر للعالم أجمع صدق رسول الإسلام ﷺ. وقد نشر في سبيل ذلك النشرات وأعلن الإعلانات. وفي إعلانه بتاريخ ٢٢ مارس (آذار) ١٨٨٦ قال:

"إن هذه ليست مجرد نبوءة بل هي آية عظمى من السماء، أظهرها الله ﷻ ليبين صدق وعظمة نبينا الكريم الرؤوف والرحيم محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم. إن هذه الآية أعظم مائة مرة، وأولى وأكمل وأفضل وأتم من إحياء الميت، لأن حقيقة إحياء الميت هي إعادة الروح إلى الجسد عن طريق الدعاء في حضرة الله.... ولكن في هذه الحالة التي أنا بصددها.. فإن الله القدير بفضله العظيم وجوده الكريم، وببركات خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم.. وباستجابة دعاء هذا العبد المتواضع، قد وعدني أن يرسل روحا مباركة.. سوف تنشر

بركاتها الظاهرة والباطنية في الأرض كلها. وقد تبدو هذه الآية للوهلة الأولى كأنها مشابهة لرد الميت إلى الحياة، ولكن حين التدبر يتبين أنها آية تفوق إحياء الميت بمئات المرات. وفي حالة إعادة الميت إلى الحياة تعود الروح إلى النفس بواسطة الدعاء، وكذلك في الحالة التي نحن بصددها قد طُلبتْ الروح أيضا بواسطة الدعاء، ولكن ما أعظم الفرق بين تلك الأرواح وهذه الروح." (مجموعة الإعلانات ج ١ ص ١١٤-١١٥)

وفي نفس الإعلان حدد أن الابن الموعود سوف يولد حتما خلال تسع سنوات.

ولعل القارئ يلحظ ما جاء في هذا الإعلان من المقارنة بين الوعد بميلاد ابن له وبين رد الميت للحياة، وقد يبدو للوهلة الأولى أنه ليس هناك علاقة بين الحدثين حتى يستدعي الأمر إجراء مقارنة بينهما. وقد يستغرب القارئ ويتساءل لماذا ربط بينهما سيدنا أحمد عليه السلام؟

إن المبشرين المسيحيين في الهند في ذلك الوقت كانوا يملأون الدنيا صخبا وضجيجا، زاعمين أن يسوع المسيح هو ابن الله تارة وهو الله تارة أخرى، وأنه أتى من المعجزات ما لم يأت به أحد من العالمين، وزعموا أنه أحيى الموتى بينما لم يستطع محمد ﷺ إحياء أحد من الموتى، فكان هذا في زعمهم ما يدل على أفضلية يسوع المسيح وتفوّقه على نبي الرحمة والإحسان ﷺ. لذلك.. فقد أراد سيدنا أحمد أن يبين لأولئك المبشرين المسيحيين أن النبوءة التي تلقاها هو من الله تعالى، والتي تتضمن وعدا بمولد ابن له، إنما هي دليل على عظمة رسول الله ﷺ، إذ ها هو واحد من أتباعه وخادم من خدامه.. يَعِدُه الله تعالى بخلق روح جديدة وإيجاد نفس من العدم، وهذا يفوق ما فعله ابن الله بزعمهم من رد روح كانت مخلوقة وموجودة إلى جسد كانت تتعلق به هذه الروح. فإذا كان الله تعالى قد وعد بخلق روح وخلق نفس وخلق جسد من العدم لواحد من خدام رسول الله ﷺ فما أعظم ذلك السيد.. الذي هو سيد البشر

أجمعين! بل إن هذا الخلق الذي جُعل آية لخادم من خدام محمد ﷺ ليدل على كون الخادم أعظم من ابن الله المزعوم الذي لم يستطع سوى رد الروح المخلوقة فعلا إلى جسدها.

ولكن أعداء الإسلام لم يكونوا ليقبلوا الحق كالشرفاء من الناس، بل راحوا يزعمون أن هذه النبوءة لن تتحقق، وأن مرزا غلام أحمد رجل عنين ولن يستطيع أن ينجب البنين، وأنه أعطى لنفسه فترة التسع سنوات لتحقيق النبوءة وذلك حتى ينسى الناس ما ذكره وما أعلنه فيها. فنشر إعلانا في ٨ أبريل (نيسان) ١٨٨٦ أشار فيه قائلا:

"إن الصفات والميزات الخاصة المذكورة في النبوءة المتعلقة بالابن الموعود لهي عظيمة بحيث لا تتأثر عظمة وجلال النبوءة حتى ولو تأخر تحققها إلى مدة ست سنوات أو ضعفها. إن العدل الصريح النابع من قلب كل إنسان يشهد أن تحقق مثل هذه النبوءة العظيمة التي تنبئ عن مولد شخصية بارزة خاصة.. لهو أمر يفوق طاقة البشر. إن تلقي مثل هذه البشرى.. نتيجة لاستجابة الدعاء.. لا يعتبر مجرد نبوءة بل هو آية سماوية عظمى". (مجموعة الإعلانات ج ١ ص ١١٦-١١٧)

وفي الإعلان المؤرخ أول ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨٦ أوضح أن كلمات الوحي التي جاءت في إعلانه المنشور في ٢٠ فبراير (شباط) ١٨٨٦ والتي تبدأ بجملة: [غلام جميل وطاهر سوف يأتي ضيفا عليك] وتنتهي بجملة: [مبارك الذي يأتي من السماء] تشير إلى فترة قصيرة من الحياة، لأن الضيف هو من يمكث أياما قليلة ثم يرحل أمام أعيننا. ولكن الجمل التالية بعد ذلك تخص المصلح الموعود الذي وُصِف في النبوءة بأنه فضل من الله.

وفي حاشية ذلك الإعلان قال:

"إن الغلام سوف يولد حتما حسب الوعد الإلهي. إن السماء والأرض قد تزولان ولكن لا يمكن ألا يتحقق وعد الله".

وقد حدث حسب الجزء المتقدم من النبوءة أن وُلد صبي لسيدنا أحمد في ٧ أغسطس (آب) ١٨٨٧، وكان هو فعلاً الضيف الذي ذكرته النبوءة، إذ سرعان ما ارتحل عن الدنيا في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨٨. وكان اسمه بشير أحمد، وعُرف فيما بعد باسم بشير الأول.

وراح أعداء الإسلام يزعمون أن النبوءة لم تتحقق لأن الصبي الذي وُلد قد مات، وهم الذين كانوا يقولون من قبل إن هذه النبوءة لا يمكن أن تتحقق لأن مرزا غلام أحمد رجل عنين ولا يستطيع الإنجاب. فلما أنجب غلاما زكيا كما وعدت النبوءة بذلك خرست أصواتهم لفترة، وراحوا يقولون إن الصبي لن يُعمر وسوف يموت، وبذلك لن تتحقق النبوءة. ولما مات الصبي كما جاء ذلك في النبوءة نفسها، راح الأعداء يصخبون ويضحكون ويقولون إن النبوءة لن تتحقق. لقد أراد الله أن يبين كذبهم حين قالوا إن سيدنا أحمد لن ينجب فشاء الله له أن ينجب رغم أنوفهم. ثم شاء الله أن تحمل زوجة سيدنا أحمد مرة أخرى في العام التالي. ومع ذلك فإن صوت الأعداء وضجيجهم كان شديدا، وضوضاءهم كانت صاخبة. ولما حان موعد الولادة نشر سيدنا أحمد إعلانا بتاريخ ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٨٨٩ أكد فيه قوله:

"إنني أعلم وأعلم عن يقين محكم أن الله القدير سوف يعاملني حسب وعده. فإن لم يكن قد حان موعد ميلاد الابن الموعود فإنه سوف يولد فيما بعد. وحتى إذا لم يبق من الفترة المحددة للنبوءة سوى يوم واحد، فإن الله رب العزة والجلال لن يترك ذلك اليوم ينقضي ما لم يحقق وعده". (مجموعة الإعلانات ج ١ ص ١٩١ الهامش)

هكذا كان إيمان سيدنا أحمد بصدق الوحي الذي يتلقاه من الله تعالى، وهكذا كان يقينه بحتمية تحقق جميع الوعود التي احتواها ذلك الوحي.

وفي يوم السبت ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٨٨٩ بورك سيدنا مرزا غلام أحمد بميلاد صبي زكي سماه محمود، وفي نفس اليوم نشر منشورا أعلن فيه مولد

الصبي، وذكر فيه أن الله لم يخبره بعد عما إذا كان هذا الغلام هو المصلح الموعود. ولكن فيما بعد.. وفي مناسبات مختلفة.. ذكر في كتبه أن محمود.. بكل تأكيد.. هو الابن الموعود الذي جاء ذكره في النبوءة التي أذاعها في ٢٠ فبراير (شباط) ١٨٨٦.



الفصل الخامس

جماعة المؤمنين

الفصل الخامس

جماعـــة المؤمنـــين

في مارس (آذار) ١٨٨٢ تلقى سيدنا أحمد عليه السلام أول إشارات الوحي الإلهي بأن الله تعالى قد اختاره ليكون مجدد القرن الرابع عشر الهجري. وفي ذلك الحين.. طلب إليه بعض المخلصين من أصحابه أن يأخذ منهم عهد البيعة، ولكنه لم يوافق على ذلك، وقال بأن الله لم يأمره بأخذ البيعة من الناس.

والحقيقة أنه كان يكره الحياة العامة، ويُفضّل العزلة والانشغال بعبادة الله تعالى، والتأمل في ملكوته، والتدبر في مظاهر رحمته وشكر نعمته. ولولا خُبث طوية أعداء الإسلام، وفُحش أساليبهم في تهجمهم على الإسلام، وتجنيهم على مقام حبيبه ومولاه رسول الله ﷺ لما خرج من عزلته، ولما سمع الناس عنه خبرا. ولهذا كان يكره أشد الكره أن ينشئ جماعة، أو يتزعم فرقة، أو يأخذ بيعة من أحد، مكتفيا بكتابة المقالات والنشرات، والرد على الأباطيل التي يُرَوجها أعداء الإسلام. كذلك فإنه في تلك الأيام.. كان يعتقد - كغيره من الناس- أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام سوف ينـــزل لنشر الإسلام وكسر الصليب، ولهذا فقد كان هو أيضا في انتظار القائد المنتظر، حيث إنه لم يكن يرى في نفسه أنه كفء لقيادة الناس.

لكل هذه الأسباب كان يعارض بشدة تلك المطالب التي كان يتلقاها حينا بعد آخر من أصحابه لكي يأخذ منهم عهد البيعة، ولكن في فبراير أو مارس (شباط أو آذار) من عام ١٨٨٨ تلقى الأمر من الله تعالى بأخذ البيعة وتأسيس جماعة من المؤمنين، فلم يكن هناك بد من طاعة أمر الله. وقد آثر الانتظار

بعض الوقت قبل الإعلان عن هذا الأمر، وذلك لكي يعد للأمر عدته، حرصا منه على ألا يكون في هذه الجماعة إلا العناصر الصالحة التي هي على صدق وتقوى.

والغريب أن الأمر الإلهي بأخذ البيعة وتكوين جماعة المؤمنين، قد جاء في عام ١٣٠٥ هجريا، ولعل ذلك كان تصديقا لآية الاستخلاف التي جاءت في القرآن المجيد، وإيماءً إلى عودة الخلافة الراشدة مرة أخرى. فقد أشار سيدنا رسول الله ﷺ في حديث له ذكره ابن ماجه جاء فيه عن الإمام المهدي: "... فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي". وخليفة الله.. هو من يختاره الله بنفسه ويجعله حَكَمًا على عباده، كما اختار ﷻ داود عليه السلام حسب قوله: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ (ص:٢٧)، وكما اختار آدم عليه السلام حسب قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣١).

وعودة الخلافة مرة أخرى يحقق كذلك حديثا لرسول الله ﷺ ذكر فيه كيف أن النبوة والخلافة على منهاج النبوة سوف تُرفعا ثم يتبعهما الملك المتوارث ثم الملك العضوض.. أي المستبد، وبعد ذلك أشار رسول الله ﷺ بقوله: "... ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" (مشكاة المصابيح)، أي يُعاد مرة أخري تأسيس الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وهي الخلافة التي تتبع الإمام المهدي.. خليفة الله في الأرض. وقد جاء في القرآن الكريم الوعد بالاستخلاف في قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ (النور:٥٦)

ومن المعروف أن العرب كانوا يستخدمون الحروف الأبجدية تعبيرا عن الأرقام العددية، حيث إن لكل حرف أبجدي قيمة عددية محددة، وكانوا في بعض الأحيان يستخدمون كلمات معينة.. تُعبر القيمة العددية لمجموع حروف

تلك الكلمات عن أرقام معينة، أو كميات محددة، أو تواريخ لحوادث ووقائع مهمة. ويشير استخدام حروف المقطعات في القرآن الكريم لهذا الغرض، كما قال بذلك الكثير من المفسرين.

والآية الكريمة التي جاء فيها وعد الاستخلاف في سورة النـــور.. قد وردت بها كلمة ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾، وحين نحسب القيمة العددية لهذه الكلمة نجد المفاجأة الغريبة.. وهي أن مجموع قيمة حروف هذه الكلمة يساوي بالتمام نفس العام الذي نزل فيه الأمر بأخذ البيعة وتكوين جماعة المؤمنين.. وهو عام ١٣٠٥ الهجري.. كما يتضح ذلك مما يلي:

ل ي س ت خ ل ف ن هـ م

٣٠ + ١٠ + ٦٠ + ٤٠٠ + ٦٠٠ + ٣٠ + ٨٠ + ٥٠ + ٥ + ٤٠ = ١٣٠٥

وهكذا.. حقق الله تعالى وعده، فنـــزل أخيرا الأمر من الله تعالى بأخذ البيعة في عام ١٣٠٥ الهجري، الموافق ١٨٨٨ الميلادي.

ولعله من المفيد الإشارة هنا إلى أنه لو كان سيدنا أحمد رجلا يريد الدنيا ويبتغي الزعامة، لكان من أسهل الأمور لديه أن يركب موجة الإعجاب الشديد التي أثارها كتابه الفريد "البراهين الأحمدية"، ولكان قد قبِلَ بَيْعة الناس الذين أرادوا مبايعته، والتي عرضوها عليه باختيارهم. والغريب في الأمر أنه امتنع عن قبول البيعة من الناس لمدة تقرب من ست سنوات، نال خلالها شهرة واسعة بسبب كتابه العظيم، ولكن لما أمره الله تعالى بأخذ البيعة.. أعلن ذلك على الناس في وقت لم يكن ملائما بتاتا لأخذ البيعة، وذلك لأن ابنه بشير الأول توفي في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من نفس هذا العام. وبدأ أعداؤه يسخرون من نبوءاته، ويقولون إن الصبي الذي مات هو ذاك الذي كان يزعم أنه سيكون المصلح الموعود، وعلى هذا فقد بدأ بعض الناس ينصرفون عنه، بل

وتخلى عنه بعض ضعاف النفوس. ومع ذلك.. وفي تلك الأيام الحرجة.. أعلن في أول ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨٨ أن الله قد أمره بأخذ البيعة من الناس.

والمعروف.. كما جاء في الروايات والآثار.. أن الإمام المهدي سيبايعه الناس وهو كاره، وأنه لا يعرف أنه المهدي. وقد جاء في كتاب: "ثلاثة ينتظرهم العالم"، (تأليف عبد اللطيف عاشور- مصر) تلخيص للروايات التي ذكرها الإمام أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه والحاكم والطبراني وغيرهم، فقال: "قالوا: هو لا يعرف نفسه، ولا يدعو إلى مهديته، وإنما يختاره الله، فيختاره الناس فجأة، ويبايعونه وهو كاره" (ص٤٧). وقد تحقق كل ذلك تماما.. حيث إن سيدنا مرزا غلام أحمد في ذلك الوقت لم يكن يعلم بعد أنه هو الإمام المهدي.

في التاسع من جمادى الأولى عام ١٣٠٦ هجريا الموافق ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٨٨٩ أعلن عن شروط البيعة والانضمام إلى الجماعة المباركة التي أمره الله تعالى بإنشائها. وقد بيّنها في إعلان "تكميل التبليغ" الذي جاء فيه:

أولاً: أن يعاهد المبايع بصدق القلب على أن يتجنب الشركَ حتى الممات.

ثانيًا: أن يجتنبَ قولَ الزور، ولا يقرَب الزنى وخيانةَ الأعين، ويتنكب جميعَ طرق الفسق والفجور والظلم والخيانة والبغي والفساد؛ وألا يَدَعَ الثوائرَ النفسانية تغلبه مهما كان الداعي إليها قويًا وهامًّا.

ثالثًا: أن يواظب على إقامة الصلوات الخمس بلا انقطاع تبعًا لأوامر الله ورسوله، وأن يداوم جهدَ المستطاع على أداء صلاة التهجد، والصلاة على النبي ﷺ، والاستغفارِ وطلبِ العفو من ربه على ذنوبه كل يوم؛ وأن يذكُرَ نعمَ الله ومِنَنَه بخلوص القلب كل يوم، ثم يتخذ مِن حمده وشكره عليها وِردًا له.

رابعًا: ألا يؤذيَ، بغير حق، أحدًا من خلق الله عمومًا والمسلمين خصوصًا من جراءِ ثوائر النَّفْس.. لا بيده ولا بلسانه ولا بأي طريق آخر.

خامسًا: أن يكون وفيًّا لله تعالى وراضيًا بقضائه في جميع الأحوال: حالةَ التَرَح والفَرَح، والعسرِ واليسر، والضنكِ والنعم؛ وأن يكون مستعدًّا لقبول كل ذلة وأذى في سبيله تعالى، وألا يُعرِضَ عنه ﷻ عند حلول مصيبة، بل يمشي إليه قُدُمًا.

سادسًا: أن يكُفَّ عن اتِّباع التقاليد الفارغة والأهواء النفسانية والأماني الكاذبة، ويقبَلَ حكومةَ القرآن المجيد على نفسه بكل معنى الكلمة، ويتخذَ قولَ الله وقولَ الرسول دستورًا لعمله في جميع مناهج حياته.

سابعًا: أن يُطلّق الكبرَ والزهو طلاقًا باتًّا، ويقضيَ أيامَ حياته بالتواضع والانكسار ودَماثة الأخلاق والحلم والرِّفق.

ثامنًا: أن يكونَ الدِّينُ وعزُّه ومواساةُ الإسلام أعزَّ عليه من نفسه وماله وأولاده ومن كل ما هو عزيز عليه.

تاسعًا: أن يظلّ مشغولاً في مواساة خَلْق الله عامةً لوجه الله تعالى خالصةً، وأن ينفع أبناءَ جنسه قدر المستطاع بكلّ ما رزَقه الله من القوى والنعم.

عاشرًا: أن يعقِدَ مع هذا العبد عهدَ الأخوة خالصًا لوجه الله.. على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكُثه حتى الممات، ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدِلها العلاقاتُ الدنيوية.. سواء كانت علاقات قرابةٍ أو صداقةٍ أو خدمةٍ. (إعلان "تكميل التبليغِ"، المنشور في يناير ١٨٨٩- مجموعة الإعلانات ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠)

* * *

وفي مارس (آذار) ١٨٨٩ ذهب سيدنا أحمد إلى لدهيانة، وفي الرابع من ذلك الشهر نشر منشورا جاء فيه:

"إن الله تعالى أراد أن يؤسس هذه الجماعة ويمنحها الازدهار ليُظهر جلاله وقدرته، حتى تنتشر حب الله والتوبة النصوح والطهارة والبر الحقيقي والأمن والصلاح ومؤاساة نوع البشر. فإن هذه الجماعة

ستكون جماعته المختارة، وسوف يؤيدهم الله تعالى بروح منه، ويطهرهم من شوائب الحياة القذرة، ويحدث في أنفسهم تغييرا طيبا، وبحسب وعده في نبوءاته المقدسة سوف يضاعف هذه الجماعة أضعافا كثيرة حتى يُدخل فيها ألوفا من الصادقين، وهو بنفسه سوف يربيهم وينميهم حتى إن كثرتهم وتقدمهم سوف تبهر الأبصار، فسوف ينيرون أركان العالم الأربعة بنورهم مثل السراج الموضوع في المكان العالي، ويكونون نموذجا مثاليا لبركات الإسلام. وإن الله تعالى سوف يجعل الأتباع المخلصين لهذه الجماعة فوق الفرق الأخرى من حيث البركات كلها، وسوف يولد من بينهم دائما وإلى يوم القيامة رجال يكتب لهم القبول والنصرة. هذا ما أراد الله ﷻ.. وإنه لقادرٌ يفعل ما يشاء." (مجموعة الإعلانات ج ١ ص ١٩٨)

وفي ٢٠ من رجب عام ١٣٠٦ الهجري الموافق ٢٣ مارس (آذار) عام ١٨٨٩ الميلادي.. جاء اليوم الموعود الذي وُلدت فيه الجماعة المباركة التي أراد الله لها أن تحمل مسؤولية بعث الإسلام من جديد، ونشره في جميع أنحاء العالم. وكان ذلك في حجرة صغيرة من بيت متواضع، جلس سيدنا أحمد في ركن منها.. كان الركن الشمالي الشرقي.. جلس فيه على الأرض متجها في اتجاه القبلة، ووقف أحد صحابته.. وهو شاه حامد علي.. أمام الباب، ونودي على بقية الصحابة ليدخلوا حسبما يذكر سيدنا أحمد أسماءهم. وكان أول من ذكر اسمه فنال شرف البيعة الأولى هو المولوي الحكيم نور الدين، ثم تبعه مير عباس علي، ثم ميان محمد حسين مرادأبادي، ومنشي عبد الله السنوري وغيرهم.

كان كل من المبايعين يدخل الغرفة فيجلس على الأرض أمام سيدنا أحمد الذي يمد يده اليمنى ويمسك بيد المبايع، ويذكر عليه السلام بعض الجمل القصيرة التي يرددها المبايع في عهد البيعة. وكانت كلمات عهد البيعة كما يلي:

"إني أتوب اليوم، على يد أحمد، من جميع ذنوبي ومن العادات السيئة التي كنت متورطا فيها. وأعد بقلب صادق وعزيمة صارمة، أن أتجنب الذنوب كلها حتى آخر يوم من حياتي، بكل ما أوتيت من قوة وفهم. وسوف أوثر الدين على راحة الدنيا وملذات النفس. وسوف أسعى بكل جهدي، أن أتبع الشروط العشرة للبيعة، المنشورة في ١٢ يناير/كانون الثاني ١٨٨٩م. والآن أيضا أستغفر الله ربي من ذنوبي السابقة جميعا.

أستغفر الله ربي، أستغفر الله ربي، أستغفر الله ربي من كل ذنب وأتوب إليه.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ربِّ إني ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت." (سيرة المهدي ج١ رواية رقم ٩٨ نقلا عن "حياة طيبة" للشيخ عبد القادر ص٧٤)

وهكذا.. بهذه البداية المتواضعة.. في ركن من غرفة صغيرة.. وفي بيت يقيم به واحد من عامة الناس.. تم تأسيس الجماعة الإسلامية الأحمدية، التي صارت فروعها الآن في كل بقاع الأرض.

ولقد شاء قدر الله تعالى أن تولد جماعة المؤمنين في "لدهيانه" بالذات تحقيقا لحديث رسول الله ﷺ. فإن لدهيانه قد أنشئت على ملتقى بعض الطرق الهامة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، وكانت هي البوابة التي تنفذ منها هجمات المغيرين على منطقة بنجاب. وقد أنشأها أخَوَان كانا ينتميان إلى عائلة اللدّي في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي. ويبدو أنها اكتسبت الاسم: "لدهيانه" بسبب ذلك.. حيث إن كلمة "هيانه" في اللغة الهندية معناها "طريق"، وبذلك يكون معنى الاسم: طريق اللد.. نسبة إلى تلك العائلة التي كانت تحكم المنطقة في ذلك الوقت.

وكما كانت لدهيانه الباب الذي ينفذ منه الغزاة والفاتحين.. كذلك كانت

هي الباب الذي نفذ منه التبشير المسيحي إلى بنجاب، فإن القس ج.س.لوري J.C.Lowrie وصل إلى لدهيانه في اليوم الخامس من نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٣٤ وأسس بها أول مركز تبشيري في بنجاب، التي لم يكن يوجد بها ولا شخص مسيحي واحد حتى ذلك الوقت. وفي شهر ديسمبر (كانون الأول) من العام التالي ١٨٣٥ وصل القس جون نيوتن والقس جيمس ويلسون مع زوجتيهما. وفي عام ١٨٣٧ تأسست أول كنيسة مسيحية في بنجاب. وهكذا صارت لدهيانه بحق هي الباب الذي دخل منه التبشير المسيحي في بنجاب، وكان من أهم أهدافه أن يقوم بتنصير الهند كلها التي كانت تعتبر أغلى جوهرة في التاج البريطاني.

ومن المعروف أن سيدنا مرزا غلام أحمد كان يطلق على التبشير المسيحي في الهند لفظ "الدجال"، لأن القساوسة والمبشرين في ذلك الوقت كانوا يتوَسلون بأساليب الكذب والدجل لخداع الناس وإدخالهم في الديانة المسيحية. فشاء الله تعالى أن تولد جماعة المؤمنين في نفس مدينة لدهيانه التي كانت بابا دخل منه الدجال، حتى تتولى هذه الجماعة المباركة القضاء على هذا الدجال. وفي هذا يقول رسول الله ﷺ عن مسيح آخر الزمان في حديث له ذكره ابن ماجه برقم (٤٠٧٧) أنه سوف يقتل الدجال "عند باب اللد الشرقي". وقد فهم بعض العلماء أن "اللد" هو اسم بلد في فلسطين، ولكن اللد الذي في فلسطين يقع في الشمال بالنسبة للمدينة المنورة وليس في الشرق، ورسول الله ﷺ يحدثنا عن اللد الشرقي وليس الشمالي. وعند التدبر قليلا في تعبير "باب اللد" الذي جاء في الحديث الشريف نجد أن كلمة باب قد تعني أيضا الطريق أو المنفذ أو المدخل، فإن باب الغرفة مثلا هو طريق الدخول إلى الغرفة، وباب المندب هو الطريق البحري لدخول البحر الأحمر. وبذلك يكون "باب اللد" هو "طريق اللد" أي "لدهيانه" كما يعني بالضبط هذا الاسم في اللغة الهندية. ولا يخفى أن

لدهيانه تقع في الشرق من المدينة المنورة، وعلى هذا يكون معنى الحديث أن مسيح آخر الزمان سوف يقتل المسيخ الدجال في لدهيانه.. أي في باب اللد الذي في الشرق، ويتم هذا القتل كما أوضحه رسول الله في أحاديث أخرى بواسطة حربة سماوية. والحربة السماوية هي جماعة المؤمنين المبتهلين إلى الله، التي أنشأها سيدنا مرزا غلام أحمد في لدهيانه التي كانت معقل الدجال لتتولى قتله.

ولعل السؤال الذي يدور بخلد بعض الناس هو: إذا كان هذا التفسير صحيحا.. فلماذا لم تقتل الجماعة الإسلامية الأحمدية الدجال إلى هذا الوقت وقد مضى أكثر من مائة عام على إنشائها ونحن ما زلنا نرى التبشير المسيحي قائما في الدنيا على قدم وساق؟

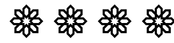
والجواب أن النبوءات الإلهية لا يُشترط أن تتحقق في التو واللحظة حسبما يود الناس أو يتصورون، وقد نزل القرآن على رسول الله ﷺ في سورة الإسراء يقول:

﴿وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء:٨٢)

غير أن الإسلام والمسلمين في ذلك الوقت كانوا في حالة شديدة من الضعف والهوان، وقد قاطعتهم قريش وأخرجتهم إلى شعب أبي طالب. ولكن الله تعالى يقول ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ باعتبار ما سيكون في مستقبل الأيام، رغم أنه في ذلك الوقت كانت الأصنام ما زالت فوق الكعبة، و لم يكن أحد ليستطيع أن يمسها بسوء. وحتى بعد فتح مكة وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية.. لم يزهق الباطل من الدنيا بل كانت هناك الإمبراطورية الفارسية وكانت تقوم على الباطل.. وكانت هناك الإمبراطورية الرومانية وكانت تقوم أيضا على الباطل. و لم يزهق الباطل من الدنيا حتى الآن رغم مرور أكثر من ١٤٠٠ عاما على هذا الوعد الإلهي. ورسول الله ﷺ لم يكن رسولا إلى أهل مكة فقط، أو

إلى الجزيرة العربية فحسب، حتى نقول إن انتصاره فيها يعني أن الباطل قد زهق من العالم، فهو كان رسولا للفرس وللروم، ولأهل الصين والهند واليابان، ولأهل أمريكا الشمالية والجنوبية وأهل أستراليا، وإلى كل البشر في جميع أنحاء الأرض. وإزهاق الباطل من الأرض كلها لن يتم في يوم أو يومين ولا في قرن أو قرنين، ولكنه حتما سوف يتم تحقيقا لوعد الله تعالى في مستقبل الأيام.

وكذلك فإن الحربة السماوية.. أي جماعة المؤمنين التي أسسها سيدنا مرزا غلام أحمد في لدهيانه.. سوف تقتل حتما المسيح الدجال في مستقبل الأيام. هذا وعد الله.. وهذا أمر الله.. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



الفصل السادس

الاضطهاد والمعاناة

الفصل السادس

الاضطهاد والمعاناة

في عام ١٨٩٠ كتب سيدنا أحمد عليه السلام كتابين: "فتح الإسلام" و"توضيح المرام"، ثم أضاف إليهما كتابه الثالث: "إزالة الأوهام". ونُشرت الكتب الثلاثة باللغة الأردية في بداية عام ١٨٩١. وقد أوضح في هذه الكتب الثلاثة حقيقة دعواه التي أعلنها، وبيَّن فيها أنه هو الإمام المهدي المنتظر، وأنه المسيح الموعود به للأمة، الذي أخبر رسول الله ﷺ بمجيئه في آخر الزمان.

وهناك الكثير من الروايات التي تضمنتها كتب الحديث، والتي تقدم لنا علامات متضاربة وأوصافا كثيرة متباينة للمهدي المنتظر والمسيح الموعود. وقد اعتبر علماء الجرح والتعديل.. الذين تخصصوا في دراسة الأحاديث وتصنيفها.. معظم تلك الروايات من الأحاديث الضعيفة أو الآحاد التي لا يصح أن تُبنَى عليها عقيدة. وأما القلة التي ثبت صحتها من تلك الأحاديث فيمكن تلخيص مضمونها باختصار فيما يلي:

أولا: إن ظهور المهدي والمسيح سيتم في آخر الزمان.

ثانيا: إنهما لن يكونا شخصين منفردين بل هو رجل واحد، وإنما ستكون له مهمة تختص بالمسلمين فهو بالنسبة لهم المهدي المنتظر، وله مهمة أخرى تختص بأهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن شابههم، فهو بالنسبة لهم المسيح الموعود.

ثالثا: إن مهمته بالنسبة للمسلمين هي إصلاح أحوالهم وإزالة الخلافات الدينية من بينهم، ودعوتهم إلى الإسلام الصحيح الذي لا تشوبه شوائب الروايات الإسرائيلية والتفاسير المتناقضة، وهو يدافع عن الإسلام وعقائده

الصحيحة ضد جميع أعدائه، وينشره في جميع أنحاء الأرض، فتمتلئ الأرض قسطا وعدلا كما مُلئت ظلما وجورا، وبذلك يتم تحقيق نبوءة القرآن المذكورة في سورة التوبة:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة:٣٣)

رابعا: إن مهمته بالنسبة لأهل الكتاب هي أن يهدم العقيدة الأساسية الباطلة عند اليهود والنصارى.. وهي عقيدة أن المسيح عليه السلام قد مات موت اللعنة على الصليب؛ فمن وجهة النظر اليهودية لأنه كان.. والعياذ بالله.. كذابا دجالا مفتريا على الله، ومدّعيا زورا وبهتانا أنه المسيح الموعود به لليهود في التوراة، وبذلك استحق أن يموت على الصليب حسب شريعتهم فصار بذلك ملعونا. ومن وجهة النظر المسيحية.. أنه مات على الصليب موت اللعنة وصار ملعونا لكي يفدي الناس بدمه من لعنة الله عليهم. وهذه هي عقيدة الكفارة المسيحية التي أدت إلى عقيدة التثليث، وكلتاهما افترهما الكنيسة وألصقتهما بتعاليم السيد المسيح. وهذا معنى أنه يكسر الصليب كما جاء في الأحاديث.. أي يحطم الأساس الذي تقوم عليه هذه العقيدة الباطلة. إذ لو ثبت لليهود أن عيسى عليه السلام لم يمت على الصليب، لكان هذا دليلا على صدقه وأنه كان فعلا المسيح الموعود به لهم. وإذا ثبت للمسيحيين أنه لم يمت على الصليب، فمعنى هذا أنه ليست هناك كفارة ولا خطية متوارثة لا يمكن أن تُغفر إلا إذا تجسّد الإله الأب أو الإله الابن لكي يموت ويغفر بدمه الخطية.

وحينما أعلن سيدنا أحمد عليه السلام عن دعواه.. كانت تنتشر بين فئات المسلمين الكثير من العقائد التي تسربت إليهم عن طريق المسيحية، وصارت.. بمضي الزمن.. جزءا لا ينفصل عن أفكار عامة المسلمين. ومن بين تلك الأفكار أن سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام لم يتوفه الله تعالى كما توفى سائر الأنبياء، وإنما أخذه

بجسده العنصري إلى السماء، وأنه سينـــزل منها بنفسه في آخر الزمان. وقد أوضح سيدنا أحمد عليه السلام.. بتوجيه من الله تعالى.. فساد تلك العقيدة، وبيّن خطأها بأدلة من القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول ﷺ، حتى إنه قلما يوجد اليوم من بين علماء الدين المتنورين، أو من بين فئات المسلمين المثقفين ثقافة دينية صحيحة، من يتمسك بتلك الأفكار. ولكن حينما ظهر سيدنا أحمد على مسرح الأحداث، كان المسلمون يعتقدون اعتقادا راسخا أن المسيح عليه السلام قد صعد حيا إلى السماء، وأنه لم يمت، بل لم يُعلق على الصليب، ولكن الله ألقى شبهه على شخص آخر، وأن ذلك الشخص الآخر هو الذي وُضع على الصليب باعتباره السيد المسيح.

وعلى هذا فقد تصادمت تلك الأفكار السائدة بين الناس في ذلك الوقت مع ما أعلنه سيدنا أحمد من وفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وعدم عودته شخصيا أو نزوله من السماء بشخصه في آخر الزمان. وأوضح أن المقصود من نزول المسيح هو مجيء رجل يشابهه في الفضل فيُطلق عليه اسمه مجازا، وأنه – أي مرزا غلام أحمد– هو ذلك الرجل الذي تحققت في شخصه نبوءات رسول الله ﷺ عن نزول المسيح الموعود به للأمة الإسلامية.

وهكذا أثارت دعوى سيدنا أحمد عليه السلام بأنه هو المهدي والمسيح.. معارضة شديدة بين الناس.. تماما كما تحدث المعارضة دائما كلما جاء مبعوث من عند الله. وتصدّى له علماء الدين في زمنه مثلما تصدّى علماء بني إسرائيل للمسيح عليه السلام. وهاج وماج علماء الدين بقيادة المولوي محمد حسين البطالوي، الذي كان إلى عهد قريب من أشد المعجبين به، والمؤيدين له بحماس شديد، ولكن تحوّل الأمر.. واتفقوا بما يشبه الإجماع على أن سيدنا مرزا غلام أحمد.. والعياذ بالله.. كافر وخارج عن الإسلام. وصاروا يسبّونه بأقذع الألفاظ، ويسوّدون المقالات في التهجم عليه والسخرية منه، وأعلنوا الفتاوى بارتداده عن الإسلام، بل إن بعضهم أفتى بقتله وإهدار دمه، وأعلنوا أن من يغتاله

ويسفك دمه فإنه سيذهب مباشرة إلى الجنة، حيث إن ذلك القاتل.. في زعمهم.. قد قام بعمل جليل، وحقق انتصارا عظيما، وقدّم خدمة كبيرة للإسلام!!

وبهذا بدأ عهد الاضطهاد والمعاناة. فقد سخر الناس منه ومن أتباعه، واعتبروهم كفارا مُرتدين خارجين عن الإسلام. وقدحوا في شأنهم، وطعنوهم كل مطعن، وألصقوا بهم كل مثلبة، ورموهم بكل نقيصة، حتى إنهم قاطعوهم مقاطعة تامة، وفرّقوا بين المرء وزوجه، ومنعوا زواجهم من بناتهم، وطردوهم من المساجد، ومنعوهم من الصلاة فيها، أو الاشتراك معهم في الصلاة، أو الصلاة خلف أئمتهم. ووصل الأمر إلى أنهم منعوا موتاهم من أن يُدفنوا في مقابر المسلمين، بل إنهم انتهكوا حرمة المقابر، فنبشوها وأخرجوا منها جثث الموتى الأحمديين، ورموها في العراء للكلاب، حتى لا تدنس موتاهم حسب زعمهم.

و لم يسلم مؤسس الجماعة من حملة التضليل والإرهاب تلك، إذ حاول علماء المسلمين أن يؤلبوا عليه الحكومة البريطانية، وحذروا السلطات من دعواه التي يقول فيها بأنه الإمام المهدي المنتظر، ونصحوها بأن تقضي عليه وعلى أتباعه قبل أن يستفحل خطرهم ويعظم أمرهم، فيكونون للإمبراطورية البريطانية مصدر خطر وفساد، كما كان محمد أحمد المهدي الذي ظهر في السودان في ذلك الوقت والذي حارب جنود الإمبراطورية البريطانية هناك حتى انتهى الأمر بهلاكه.

هذا ما كان من أمر مجريات الأمور في الأوساط الإسلامية، أما في الأوساط غير الإسلامية.. فقد كان هناك ابتهاج وفرح عظيمين، فها هم يرون بطل الإسلام المغوار.. الذي تحدى جميع المخالفين والمعارضين للإسلام.. وألزمهم الحجة وأخرس ألسنتهم التي كانت تتهجم على الإسلام.. ها هو يقع فريسة لهجوم المسلمين أنفسهم. وسرعان ما أخذ هؤلاء يصطادون في الماء العكر، ويؤلبون المسلمين ضد مرزا غلام أحمد وضد جماعته. وبعد أن كانوا قد لاذوا

بجحورهم، كما تلوذ الجرذان المذعورة عند رؤية القط المفترس.. بدأ هؤلاء يخرجون من جحورهم مرة أخرى، ويطلقون ألسنتهم في التهجم على الإسلام. وكان أكثر هؤلاء خطرا هم طائفة الهندوس من الآرية وطوائف المبشرين المسيحيين.

أما الهندوس.. فقد كانوا في هجومهم على الإسلام وعلى سيدنا مرزا غلام أحمد وعلى جماعته.. يتميزون بالوقاحة والبذاءة والفحش، متخذين في ذلك نفس الأساليب التي كان يتبعها المولويون المسلمون ضد سيدنا أحمد وجماعته.

وأما المبشرون المسيحيون فقد كان أسلوبهم يتسم بالخبث والدهاء والتخطيط والتدبير. فقد أدركوا أنهم إذا سمحوا لدعوة مرزا غلام أحمد أن تنتشر بين الناس، فسيكون في ذلك القضاء على المسيحية وعقائدها، وسينتهي الأمر بكسر الصليب فعلا الذي تقوم عليه عقيدة الكفارة.. وهي قوام المسيحية وعمودها الفقري، وبذلك تنهار عقيدة التثليث، ويذهب كل عملهم وجهودهم ومخططاتهم لتنصير الهند أدراج الرياح. ولذلك.. فقد دبر هؤلاء المبشرون المسيحيون الخطط، واتخذوا الحيل، لكي يظهروا أمام الملأ بأنهم غير مكترثين بأقوال مرزا غلام أحمد. وأوزعوا إلى من استطاعوا أن يخدعوهم من المسلمين.. وحتى من بين علماء المسلمين.. الذين تركوا الإسلام وانضموا إلى المسيحية، إما طمعا في منصب، أو حبا في التشبه بالإفرنجة، أو رغبة في التخلص من الجذور الإسلامية.. المتخلفة في زعمهم.. والانتماء إلى حضارة أوربية دخيلة رأوها تفوق حضارتهم المحتضرة، أو لأي سبب آخر، فراحوا يلعقون أحذية المبشرين المسيحيين ويطلبون رضاهم، فباعوا آخرتهم بدنيا فانية، وباعوا دينهم بثمن بخس، فاستغلهم هؤلاء القساوسة، وراحوا يُوزِعون إليهم أن يتهجموا على شرف الإسلام، وشرف نبيه الأكرم ﷺ. وقد أثبت هؤلاء المتنصرون.. أنهم الخدام المخلصون لأسيادهم المبشرين المسيحيين، فكتبوا الكتب.. ونشروا المقالات.. وسوّدوا صحفهم بالطعن والثلب والقدح في شأن سيدنا غلام أحمد وفي حق جماعته. ووصل بهم الأمر إلى أنهم

تآمروا مع أسيادهم.. وأولياء نعمتهم.. من المبشرين المسيحيين، فنسبوا التهم المزوّرة لسيدنا أحمد، وجروه أمام المحاكم البريطانية، أملا في أن يثبتوا عليه جرما لم يرتكبه، ومحاولة للتخلص منه.. ولو باستغلال القانون ضده. ولكن.. في كل مرة كان الله تعالى يُظهر براءته، وكان يُحقق ﷻ .. بعزته وجلاله وقدرته.. كل ما سبق أن أوحاه إليه من أمور تتعلق ببراءة ساحته من كل جُرم حاولوا إلصاقه به. وكان سيدنا أحمد عليه السلام ينشر على الملأ ما يوحي به الله تعالى إليه بشأن براءة ساحته، قبل أن تصدر الأحكام مخيبة لآمال أعدائه، ومحققة لبراءته، ومؤكدة على صدق الوحي الذي يتلقاه من الله تعالى، والذي كان يقوم بنشره مسبقا على رؤوس الأشهاد. وسوف نتعرض لكل ذلك فيما بعد.

وأما الآن.. فنود أن نعرض لمحاور الخلاف الرئيسية بينه وبين أولئك الذين أقاموا عاصفة شديدة من المعارضة والتكفير والتشهير. وتتلخص محاور الخلاف في النقاط التالية:

أولا: ما إذا كان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قد مات موتة طبيعية على هذه الأرض، كما يؤكد على ذلك سيدنا أحمد عليه السلام، أم أنه صعد حيا إلى السماء بجسده المادي العنصري، كما يؤكد على ذلك أعداؤه؟

ثانيا: ما إذا كان الرسول ﷺ باعتباره خاتم النبيين، حسب ما جاء في سورة الأحزاب (٣٣:٤١)، قد منع مجيء أي نبي على الإطلاق في الأمة الإسلامية، حتى ولو كان هذا النبي من أتباعه ومن خدامه ﷺ وليس إلا ظلا له، ومرآة لفضله وإحسانه، كما كان يؤكد على ذلك سيدنا أحمد عن نفسه.

ثالثا: ما إذا كان سيدنا أحمد صادقا في دعواه.. من أنه يتلقى الوحي غير التشريعي من الله تعالى، وأنه كان نبيا تابعا من أتباع سيدنا محمد ﷺ، وأنه لم يبلغ تلك المرتبة إلا بفضل طاعة الله وطاعة رسوله.

* * *

المبحث الأول

وفاة المسيح عليه السلام

لقد أوضح القرآن الكريم.. تمام الوضوح.. أن عيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب، وأن الله تعالى قد توفاه، أي أنه لم يمت بيد أعدائه، بل مات موتة طبيعية. كذلك يؤكد الكتاب الحكيم بأدلته القرآنية.. على أن البشر لا يستطيع أن يصعد إلى السماء ويعيش فيها بجسده العنصري. فمثلا يقول تعالى:

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۞ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمران: ٥٥-٥٦)

وتدل هذه الآية بكل وضوح.. على أن المسيح عليه السلام قد مات، وتوفاه الله تعالى وفاة طبيعية، كما يتوفى سائر البشر، وكما توفى سيد الخلق أجمعين ﷺ. وأنه تعالى قد حفظه من موت اللعنة على الصليب كما خطط ودبر أعداؤه، وأنه سبحانه قد رفعه إليه كما يرفع إليه العباد الصالحين والمقربين.

إن هذه الآية تُظهر بطلان الفرية الكبرى.. والبهتان العظيم.. الذي ألصقه النصارى بعيسى بن مريم عليه السلام، أنه قد مات على الصليب ليحمل اللعنة من على البشر، وعلى ذلك.. فإنه (والعياذ بالله) قد صار ملعونا حسب القانون الإلهي المذكور في التوراة. فالتوراة تنص في سفر التثنية والإصحاح ٢١:

"وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله". (سفر تثنية ٢١: ٢٣)

وقد استدل بولس الرسول بهذا النص لكي يثبت اللعنة على المسيح عليه السلام، فقال في رسالته إلى أهل غلاطية التي تعتبر جزءا من الكتب المقدسة عند المسيحيين:

"المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة." (سفر غلاطية ٣:١٣)

وهكذا.. بإثبات أن المسيح قد مات على الصليب.. يَثبت أنه (حاشا لله) قد صار ملعونا في نظر اليهود وفي نظر المسيحيين. فقد صار ملعونا عند اليهود لأنه – من وجهة نظرهم – افترى على الله كذبا، وادّعى أنه المسيح الموعود لهم، فارتكب بذلك خطية حقها الموت، وكان جزاؤه الصلب على خشبة، ومات بالفعل مصلوبا، فهو بذلك.. وحسب نص التوراة.. قد صار ملعونا.

وأما من وجهة نظر أتباعه المسيحيين.. الذين لم يستطيعوا أن يدفعوا عن المسيح تلك الفرية البشعة.. فراحوا يفلسفونها ويبررونها بأنه قد مات فعلا على الصليب، وأنه قد صار فعلا من الملعونين، ولكنه فعل ذلك تطوّعا ورحمة بالناس، لكي يرفع من عليهم لعنة الخطية التي أجرها الموت، والتي ورثوها من أبيهم آدم.

وفي الآية القرآنية المذكورة في سورة آل عمران.. يشير الله تعالى إلى تدبير اليهود، وإلى مكرهم لإلصاق اللعنة بالمسيح عليه السلام، ويُبيّن أن مكرهم قد خاب، وأن تدبيرهم قد فسد، لأنه تعالى لم يقبض روح المسيح عليه السلام نتيجة لمحاولتهم قتله بتعليقه على الصليب، بل أبقاه حيا وشَبّه لهم أنه مات.. أي جعلهم يتخيلون أنه قد مات على الصليب، فأنزلوه وأعطوا جسده لتلاميذه الذين تولوا علاج جروحه، حتى استعاد قوته وهاجر من تلك المنطقة، وبذلك نجّاه الله تعالى من موت اللعنة، وعاش حتى نهاية عمره الذي قدره الله له، ثم توفاه الله وفاة طبيعية. وفي ذلك يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، الذي كان رئيس هيئة كبار العلماء في مصر.. وشيخ الجامع الأزهر.. في كتابه

الشهير "الفتاوى":

"والمعنى أن الله توفى عيسى ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا. وقد فسر الألوسي قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ بوجوه منها -وهو أظهرها- إني مستوفي أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك وهو كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصدده من الفتك به ، لأنه يلزم من استيفاء الله أجله وموته حتف أنفه ذلك."

ثم يقول في ص ٦٤ ما نصه:

"ولست أدري كيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم، ورفعه بجسده إلى السماء مكرا؟ وكيف يوصف بأنه خير من مكرهم مع أنه شيء ليس في استطاعتهم أن يقاوموه، شيء ليس في قدرة البشر؟

ألا إنه لا يتحقق مكر في مقابلة مكر إلا إذا كان جاريا على أسلوبه، غير خارج عن مقتضى العادة فيه. وقد جاء مثل هذا في شأن محمد ﷺ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾". (الأنفال ٩:٣٠) (نقلا عن كتاب الفتاوى)

ولم يستطع الكثير من العلماء إنكار أن معنى قوله تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ هو الوفاة الطبيعية التي تحدث لسائر البشر. ولكن.. لما كان بعض هؤلاء يريدون أن يثبتوا صعود المسيح بجسده إلى السماء فإنهم راحوا يزعمون أن المقصود من قوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ هو الوفاة الطبيعية التي سوف تحدث بعد أن ينــزل عيسى من السماء في آخر الزمان. وهم بذلك يغيرون سياق كلام الله، وكأن الله تعالى في زعمهم كان يقصد أن يقول: يا عيسى إني رافعك إليَّ، ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ومتوفيك. وفي هذا افتراء عظيم على كتاب الله العزيز.. الذي أنزله بنفسه.. وهو سبحانه الذي رتب سياقه. نعم يمكن أن يكون في الأسلوب العربي تقديم وتأخير، ولكن إذا حتم الأسلوب اقتضاء

ذلك. أما إذا كان الأمر سرد وقائع معينة، فلا يصح التقديم والتأخير فيها حتى لا يتغير سياق تلك الوقائع. وحتى على افتراض التجرؤ على تغيير سياق كلام الله تعالى، فإن ذلك لا يفيد في إثبات أن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ هو رفعه إلى السماء، وإنما هو الرفع التقريبي الذي يُقرِّب الله به عباده الصالحين. فقد ذكر ﷺ في حديث له أن من تواضع لله رفعه، وفي حديث آخر أن من تواضع لله رفعه الله إلى السماء السابعة، وكل تلك الأقوال تدل على التكريم والتقريب، وليس على رفع الجسد العنصري إلى السماء. وفي ذلك يقول الشيخ محمود شلتوت:

"وظاهر أن الرفع – الذي يكون بعد التوفية – هو رفع المكانة لا رفع الجسد، خصوصا وقد جاء بجانبه قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم. وقد جاء الرفع في القرآن كثيرا بهذا المعنى: ﴿في بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَاءُ﴾. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. ﴿يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾...الخ. وإذن فالتعبير بقوله ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وقوله ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ كالتعبير في قولهم لحق فلان بالرفيق الأعلى وفي ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ وفي ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ وكلها لا يُفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول في الكنف المقدس. فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة ﴿إِلَيْهِ﴾؟ اللهم إن هذا لظلم للتعبير القرآني الواضح، خضوعا لقصص وروايات، لم يقم على الظن بها –فضلا عن اليقين– برهان ولا شبه برهان." (الفتاوى ص ٦٢)

هذا.. وقد حسم القرآن المجيد مسألة صعود بشر إلى السماء، فاستبعدها كلية على أنها أمر يتعارض مع ما فطر الله عليه البشر، فقد حدث أن طالب مشركو مكة الرسول ﷺ أن يرقَى إلى السماء ويأتيهم بكتاب يقرأونه، وأبدوا استعدادهم للإيمان به إذا صعد إلى السماء. أما الكتاب فإن الله تعالى كان ينـزله عليه، وهم يعلمون ذلك، وأما الصعود إلى السماء، فما كان لبشر أن

يكون له ذلك. ولهذا.. فقد أمره الله تعالى أن يرد على مطالبهم بقوله:

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً﴾ (الإسراء:٩٤)

أما حجة من يقول إن رسول الله ﷺ قد صعد إلى السماء.. وقابل الأنبياء الذين خلوا من قبل.. فمن المعروف عند جمهور العلماء أن هذا اللقاء كان لقاء روحيا وليس جسمانيا، ويرد الإمام الشيخ محمود شلتوت على هذا الاعتراض فيقول:

".... ما جاء في حديث المعراج من أن محمدا - ﷺ - حينما صعد إلى السماء، وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة فتفتح له ويدخل، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى في السماء الثانية. ويكفينا في توهين هذا المستند ما قرره كثير من شراح الحديث في شأن المعراج وفي شأن اجتماع محمد ﷺ بالأنبياء، وأنه كان اجتماعا روحيا لا جسمانيا "انظر فتح الباري وزاد المعاد وغيرهما".

ومن الطريف أنهم يستدلون على أن معنى الرفع في الآية هو رفع عيسى بجسده إلى السماء بحديث المعراج، بينما نرى فريقا منهم يستدل على أن اجتماع محمد بعيسى في المعراج كان اجتماعا جسديا بقوله ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ وهكذا يتخذون الآية دليلا على ما يفهمونه من الحديث حين يكونون في تفسير الحديث، ويتخذون الحديث دليلا على ما يفهمونه من الآية حين يكونون في تفسير الآية." (الفتاوى ص٦٢)

وليس الأمر بطبيعة الحال هو الإقلال من قدرة الله تعالى في أن يرفع من يشاء إلى السماء أو إلى أي مكان يراه، فإن الله على كل شيء قدير.. ولكنه أيضا هو الحكيم الذي لا يتعارض قوله مع فعله. وهو حينما لا يسمح لبشر أن يصعد إلى السماء.. ويعيش فيها ما يقرب من ألفي سنة.. لا يفعل ذلك لأنه.. حاشا لله.. لا يستطيع أن يفعل ذلك، أو لأنه عز وجل تتضاءل قدرته عن هذا الأمر، فالموضوع لا يتعلق بقدرة الله بتاتا، لأنه سبحانه القادر الذي إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.. وإنما هو لا يأخذ إنسانا بجسده إلى

السماء.. لأنه قد قضى وقدّر أن تكون الأرض هي المكان الذي يعيش فيه البشر فقال:

﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة:٣٧)

وكذلك قال:

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ﴾ (الأعراف:٢٦)

وتقديم الظرف ﴿فِيهَا﴾ يدل على الحصر.. أي أنكم جميعا.. وبغير استثناء.. تحيون فيها، وتموتون فيها، وتخرجون منها.

كذلك قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا ۞ أَحْيَآءً وَأَمْوَاتًا﴾ (المرسلات: ٢٦-٢٧)

أي أن الله تعالى خلق الأرض واسعة وكافية للأحياء والأموات، وعلى ذلك فلا مجال لبشر أن يعيش في السماء بجسده العنصري المادي. هكذا قرر الله سبحانه وهكذا قدَّر، وما دام الله تعالى قد قدَّر أمرا فإنه لا يفعل شيئا خلافا لما قدَّره، ولا يأتي في كلامه شيء يخالف قَدَره، لأنه هو الإله الحكيم، وليس للمخلوق أن يعترض على ما قدَّره الله تعالى، أو ينسب لبشر أنه قد خرج من قدر الله، وأنه استثناء خاص من دون بقية البشر.

إن الالتباس قد وقع في أذهان بعض الناس بسبب المعنى الذي تحمله كلمة "السماء" والتعبير القرآني: ﴿عِنْدَ اللهِ﴾، وتصور بعض الناس أن السماء هي مقر الله تعالى. ولكن الله تعالى ليس كائنا ماديا يتحيز في مكان ما، بل هو في كل مكان دون أن يكون له جسد عنصري، وهو في السماء كما أنه أيضا في الأرض، كما يقول سبحانه:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف:٨٥)

ويقول أيضا: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد:٥)

ويقول عن الإنسان: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق:١٧)
وتدل كل هذه الآيات على أن الله ﷻ موجود في كل مكان. ولكن هناك آيات تدل على المقام الروحي الذي وصفه التعبير القرآني: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران:١٧٠). وعلى ذلك.. فإن جميع الأنبياء وجميع الشهداء.. هم عند الله تعالى.. وهم أحياء، ليس بأجسادهم التي كانوا يعيشون بها في الدنيا، وإنما تعني حياتهم عند ربهم أنه تعالى قد قربهم إليه، وشملهم بكنفه ورحمته ورضاه.

ولولا الروايات والإسرائيليات، والأفكار المسيحية التي تسربت إلى عقول المسلمين، لما انتشرت فيهم تلك الأفكار الفاسدة عن حياة عيسى عليه السلام في السماء. إذ أن المسلمين الأوائل كانوا يؤمنون بوفاة جميع الأنبياء وانتقالهم إلى الرفيق الأعلى، وعدم عودة أحد منهم إلى الدنيا مرة أخرى. فقد حدث حين توفي رسول الله ﷺ أن كذّب بعض الناس الخبر، ورفض البعض أن يُصدق أن سيد البشر قد مات كما يموت سائر البشر، وزعم البعض أنه قد ذهب للقاء ربه كما ذهب موسى.. وأنه سيعود مرة أخرى، وشهر عمر بن الخطاب سيفه، وتوعد بقطع عنق من يقول إن رسول الله قد مات. وفي تلك الأثناء.. جاء أبو بكر.. وألقى كلمته المشهورة: "أيها الناس.. من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"، ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَائِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران:١٤٥)

فلما سمع المسلمون تلك الآية أدركوا أن جميع الرسل قبل محمد ﷺ قد خلوا وماتوا، ولن يعود منهم أحد إلى الحياة. وعلى ذلك.. لم يكن هناك مفر من تقبل الحقيقة.. بأن سيدهم ومولاهم ﷺ قد لحق هو الآخر بالرفيق الأعلى.

ولو كان من بينهم أحد يظن أو يعتقد، كما كان يظن أولئك المشايخ في زمن سيدنا أحمد عليه السلام.. بأن عيسى عليه السلام حي بجسده في السماء، وأنه سينـــزل منها في آخر الزمان، لعارض أبا بكر وذكّره بتلك الحقيقة، ولكن الجميع سكتوا، واقتنع جميع الصحابة باستدلال أبي بكر، خاصة وأنهم كانوا قد سمعوا رسول الله ﷺ يقول كما ذكره ابن كثير:

"لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي."

وكما ذكرنا من قبل.. حينما ظهر سيدنا أحمد عليه السلام على مسرح الأحداث، كان عامة المسلمين يعتقدون اعتقادا راسخا بأن المسيح عليه السلام قد صعد حيا إلى السماء، فلما بيّن في كتبه ما يخالف تلك العقيدة.. ثار المسلمون ضده وكفروه هو وجماعته، ولكنه لم يعبأ بذلك، وراح يُبين الحق كما علّمه الله تعالى. واليوم.. قَلَّ أن تجد بين علماء الدين المتنورين، أو من بين فئات المسلمين المثقفين ثقافة دينية صحيحة، من يتمسك بخرافة حياة المسيح في السماء أو نزوله منها بشخصه في آخر الزمان. ونقتبس فيما يلي جزءا من كتاب "مقارنة الأديان" للأستاذ الدكتور أحمد شلبي.. أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم-جامعة القاهرة (الطبعة الثامنة عام ١٩٨٤) يقول فيه:

"**ثانيا: إلى أين ذهب عيسى بعد النجاة من المؤامرة؟**

لم تتحدث المراجع التاريخية عن المكان الذي ذهب إليه عيسى عليه السلام عقب نجاته من المؤامرة، والذي يرشد له العقل أن عيسى عليه السلام بعد ذلك ترك فلسطين لأن بقاءه فيها كان معناه أن يعثر عليه اليهود والسلطة الحاكمة في يوم من الأيام، وأن ينفذوا فيه الحكم الذي صدر عليه.

وعلى كل حال فقد اختفى السيد المسيح عقب نجاته. واختفت معه أخباره، على أن هناك قولا يرى أن المسيح هاجر إلى بلاد الهند ومات

هناك في لاهور، وهو قول ينقصه التأكيد والوثائق."

(تعقيب: يشير الدكتور أحمد شلبي إلى الرأي الذي كان سيدنا أحمد عليه السلام قد أعلنه وذكر فيه أن المسيح عليه السلام قد هاجر إلى الشرق وانتهى به المقام في كشمير بشمال الهند، وليس في لاهور، ولعل الأمر قد اختلط على فضيلة الدكتور أحمد شلبي)

"**ثالثا: ماذا كانت نهاية عيسى بعد النجاة:**

هل رفع إلى السماء حيا بجسمه وروحه؟

هل استوفى أجله على الأرض وهو مختفٍ ثم مات ودفن جسمه ورفعت روحه إلى بارئها؟

كان هناك اتجاه شاع بين الناس بأن عيسى عليه السلام عندما نجا من المؤامرة رُفع بجسمه وروحه إلى السماء، وكان هذا الرأي يصوّر اختفاءه الذي تحدثنا عنه، ولكن هذا الاتجاه واجه دراسة واسعة قام بها المفكرون في العصر الحديث، واعتمدوا في كلامهم على نصوص قديمة ودراسات موثَقة، وأوشك هذا الاتجاه الجديد أن يقضي على المزاعم القديمة التي كانت تقول برفع السيد المسيح بجسمه وروحه.

وعلى كل حال فينبغي أن نورد دعائم الرأي القديم، وأن نناقش هذه الدعائم لنسهم في تأصيل الرأي الجديد الذي نرتضيه."

(تعقيب: لم يذكر الأستاذ الدكتور أحمد شلبي أن هذا الرأي الجديد كان قد نادى به الإمام المهدي والمسيح الموعود سيدنا أحمد عليه السلام، وأنه عانى بسبب ذلك شديد الاضطهاد هو وجماعته من علماء وقته. غير أننا نحيي شجاعة الأستاذ الدكتور أحمد شلبي لقبوله الحق، ومساهمته "في تأصيل الرأي الجديد الذي نرتضيه" على حد قوله).

" بُني الرأي القديم على فهم غير دقيق للآيات والأحاديث التالية:

- قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا

لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء ١٥٧-١٥٨).

- وقوله:﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (آل عمران٥٥)
- ما ورد في البخاري ومسلم من أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينْزل فيكم ابن مريم حاكما عادلا مقسطا، يكسر الصليب ويقتل الخنْزير....
- ما ورد في مسلم من أن عيسى سينْزل في آخر الزمان فيقتل المسيح الدجال.

مناقشة هذه الأدلة وردها:

ويناقش جمهور المفكرين المسلمين هذه الأدلة فيقولون إن عيسى بعد أن نجا من اليهود عاش زمنا حتى استوفى أجله، ثم مات ميتة عادية ورُفعت روحه إلى السماء مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء، وقد ورد النص برفع عيسى- مع أن روحه سترفع بطبيعة الحال لأنه نبي- تكريما لمكانته بعد التحدي الذي واجهه من اليهود، فذكر الله نجاته، ثم مكانته التي استلزمت رفع روحه.

ويقولون عن الآية الأولى﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ إنها تحقيق الوعد الذي تضمنته الآية الثانية ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فإذا كان قوله تعالى ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ خلا من ذكر الوفاة والتطهير واقتصر على ذكر الرفع فإنه يجب أن يُلاحظ فيها ما ذُكر في قوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ...﴾ جمعًا بين الآيتين.

ويرى هؤلاء العلماء أن الرفع معناه رفع المكانة وقد جاء الرفع في القرآن بهذا المعنى كثيرا، قال تعالى:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ﴾ (سورة النور الآية ٣٦)

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ﴾ (سورة الأنعام الأية ٨٣)

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (سورة الانشراح الآية الرابعة)

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (سورة مريم الآية ٥٧)
﴿يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ والَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (سورة المجادلة الآية ١١)

وإذن فالتعبير بقوله ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وقوله ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ كالتعبير في قولهم: لحق فلان بالرفيق الأعلى، وفي ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ (سورة التوبة الآية ٥٥) وفي ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (سورة القمر الآية ٥٥)، وكلها لا يُفهم منها سوى الرعاية والحفظ والدخول في الكنف المقدس (الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت: الفتاوى ص٥٦).

وهناك آية كريمة أقوى دلالة من آيات الرفع، ولكنها مع هذا لا تعني سوى خلود الروح لا الجسم، وهي قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَاهُمْ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٦٩)

فمع أن الآية قررت أنهم أحياء فليس معنى هذا حياة الجسم، فجسم الشهـيد قد وُوري التراب، ومـع أنها قـررت أنهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وأنهم ﴿يُرْزَقُونَ﴾... فليس المقصود هو العندية المكانية، ولا الرزق المادي، وإنما المقصود تكريم الروح بقربها من الله قرب مكانة والاستمتاع باللذائذ استمتاعا روحيا لا جسمانيا.

وعن الحديثين يجيب الباحثون بإجابتين:

أولا: هما من أحاديث الآحاد وهي لا توجب الاعتقاد، والمسألة هنا اعتقادية كما سبق.

ثانيا: الحديثان ليس فيهما كلمة واحدة عن رفع عيسى بجسمه، وقد فُهِمَ الرفع من نزول عيسى، فاعتقد بعض الناس أن نزول عيسى معناه أنه رُفِعَ وسينْزِل، وهكذا قرر هؤلاء أن عيسى رُفِعَ لمجرد أن في الحديثين كلمة ينْزِل، مع أن اللغة العربية لا تجعل الرفع ضرورة للنّزول. فإذا قلت نزلت ضيفا على فلان، فليس معنى هذا أنك كنت مرتفعا

ونزلت. وإذا رجعنا إلى مدلول هذه الكلمة (نزل – وأنزل) في القرآن الكريم، وجدنا أنه لا يتحتم أن يكون معناها النّزول من ارتفاع، بل قد يكون معناها: جعل، أو قدَّر، أو وقع، أو منح، قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ (سورة الحديد الآية٢٥) أي جعلنا في الحديد قوة وبأسا.

وقال: ﴿وَقُل رَّبِّي أَنزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (سورة المؤمنون الآية٢٩) أي قدِّر لي مكانا طيبا.

وقال: ﴿فإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (سورة الصافات الآية١٧٢) أي وقع.

وقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ (سورة الزمر الآية السادسة) أي منحكم وأعطاكم.

وهكذا يتبين لنا أن كلمة ينْزل في الحديثين – لو صح هذان الحديثان– ليست إلا بمعنى يجيء، ومن الممكن أن يحيي الله عيسى ويرسله على شريعة محمد قبل قيام القيامة، وليس ذلك بمستبعد قط على الله، والاستنتاج الذي قال به هؤلاء خروج بالكلمات عن مدلولها، فالرفع ليس من كلمات الحديث الشريف بل من تفكير بعض قارئي الحديث وليس من حقهم أن يضيفوا إلى الحديث ما ليس منه وما لا تستدعيه ألفاظه.

(تعقيب: لقد خان التوفيق الأستاذ الدكتور في قوله: "ومن الممكن أن يُحيي الله عيسى ويرسله على شريعة محمد قبل قيام القيامة"، ليس لأن هذا الإحياء مستبعد على الله، ولكن لأنه يتعارض مع كلام الله تعالى في كتابه العزيز. فهو الذي قال:

﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ (الزمر:٤٣)

وقال: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء:٩٦)

وقال: ﴿وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون:١٠١)

وقال عن أهل الجنة: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾ (الدخان:٥٧)

فرجوع الميت إلى هذه الحياة.. رجوعا جسديا حقيقيا بحيث يستأنف الميت حياته في هذه الدنيا ويتزوج ويولد له.. أمر يتعارض مع ما قرره وما قدّره الله تعالى. أما ما كان يبدو في الماضي قبل نزول القرآن أنه رجوع لتحقيق معجزة يريد الله تعالى أن يحققها على يد بعض أنبيائه، فهذا أمر يختلف لأنه يمكن أن يتم عن طريق الكشف والرؤيا، فلا يُعد رجوعا حقيقيا، وقد أوضح القرآن الأمر ومنع رجوع الموتى ليستأنفوا حياتهم في الدنيا. ولو كان من الممكن أن يعود أحد إلى الحياة لكان من الأوْلى أن يعود سيد البشر الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين).

ثم نستأنف الآن كلام الدكتور أحمد شلبي:

"وهناك آيتان اختلف المفسرون في تفسيرهما، وجاء في بعض ما قيل عنهما أنهما تدلان على نزول عيسى في آخر الزمان، وهاتان الآيتان هما:

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (النساء١٥٩).

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ (الزخرف٦١).

فعن الآية الأولى يرى بعض المفسرين أن الضمير في ﴿بِهِ﴾ وفي ﴿مَوْتِهِ﴾ عائد على عيسى ويكون المعنى على ذلك عندهم أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ بعيسى قبل أن يموت عيسى أي سيؤمنون به عند عودته آخر الزمان، ولكن هذا مردود بما ذكره مفسرون آخرون من أن الضمير في ﴿بِهِ﴾ لعيسى وفي ﴿مَوْتِهِ﴾ لأهل الكتاب، والمعنى أنه ما من أحد من أهل الكتاب يدركه الموت حتى تتكشف له الحقيقة عند حشرجة الروح فيرى أن عيسى رسول ورسالته حق، فيؤمن بذلك، ولكن حيث لا ينفعه إيمان (الشهيد سيد قطب: في ظلال القرآن ج٦ص١٤).

وأما عن الآية الثانية: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ...﴾ فيرى بعض المفسرين أن الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ راجع إلى محمد ﷺ أو إلى القرآن،

على أنه من الممكن أن يكون راجعا -كما يقول مفسرون آخرون- إلى عيسى لأن الحديث في الآيات السابقة كان عنه. فالمعنى وإن عيسى لعلم للساعة، ولكن ليس معنى هذا أن عيسى سيعود للنّزول بل المعنى أن وجود عيسى في آخر الزمان (نسبيا) دليل على قرب الساعة وشرط من أشراطها، أو أنه بخلقه بدون أب، أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث.

وعلى كل حال فنُزول عيسى في آخر الزمان على فرض حدوثه ليس معناه رفعه حيا بجسمه كما سبق القول، ثم إن الدليل إذا تطرق له الاحتمال سقط به الاستدلال كما يقول علماء الأصول، وفي هذه الأدلة أكثر من الاحتمال، بل فيها اليقين عند الأكثرين." (ص٥٦-٦١)

ثم يستطرد الأستاذ الدكتور أحمد شلبي في نفس المرجع السابق فيقول:

"رفع روح عيسى لا جسمه:

ونجيء الآن لإيراد بعض التفاصيل والأدلة التي ترى أن عيسى عليه السلام مات كما مات كل الأنبياء والصالحين وغيرهم، وأن جسمه قد دفن كما دفنت أجسام الأنبياء وغيرهم، وأن الذي رُفع هو روحه:

وبادئ ذي بدء أذكر أن ندوة كبيرة أقامتها مجلة "لواء الإسلام" في أبريل سنة ١٩٦٣ عن هذا الموضوع، وقد اشترك فيها مجموعة من العلماء الأفذاذ، واتفق الجميع على مبدأين مهمين هما:

١- ليس في القرآن الكريم نص يلزم باعتقاد أن المسيح عليه السلام قد رفع بجسمه إلى السماء.

٢- عودة عيسى عليه السلام جاءت بها أحاديث صحاح، ولكنها أحاديث آحاد، وأحاديث الآحاد لا توجب الاعتقاد، والمسألة هنا اعتقادية فلا تثبت بهذه الأحاديث (عدد ذي الحجة ١٣٨٠هـ أبريل١٩٦٣ ص٢٦٣).

وسنقتبس مما قاله هؤلاء العلماء بعد قليل عن موت عيسى ودفنه وصعود روحه إلى بارئها مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء.

وعلى كل حال فالعلماء الذين يرون أن الذي رفع هو روح عيسى لا جسمه يعتمدون أساسا على الآيات القرآنية التالية:

٣- ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ (آل عمران ٥٥).

فهذه الآية تذكر بوضوح ما سبق أن ذكرناه، أي وفاة عيسى وتطهيره وحمايته من أعدائه، وتجعل عيسى ضمن أتباعه إلى الله مرجعهم.

٤- ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِه: أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة ١١٧).

وواضح من الآية وفاة عيسى ونهاية رقابته على أتباعه بعد موته وترك الرقابة لله.

٥- وقوله تعالى حكاية عن عيسى:

﴿وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾

والآية واضحة الدلالة على أن عيسى ككل البشر يولد ويموت ويبعث، وكل ما يخالف ذلك تحميل للفظ فوق ما يحتمل.

وقد اشترك في هذا الرأي كثير من العلماء في العصور الماضية وفي العصر الحديث، وفيما يلي نسوق بعض تفاسير لهذه الآيات الكريمة كما نسوق آراء العلماء الأجلاء.

يقـول الإمام الرازي (التفسير الكبير للرازي) في تفسير الآية الأولى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي مُنهي أجلك، ﴿وَرَافِعُكَ﴾ أي رافع مرتبتك ورافع روحك إليّ، ﴿وَمُطَهِّرُكَ ﴾أي مخرجك من بينهم، ومفرّق بينك وبينهم، وكما عظّم شأنه بلفظ الرفع إليه خبّر عن التخليص بلفظ التطهير، وكل هذا يدل على المبالغة في إعلاء شأنه وتعظيم منْزلته، ويقول في معنى قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد بالفوقية،

الفوقية بالحجة والبرهان. ثم يقول: واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفعه في قوله: ﴿وَرَافِعُك﴾ هو رفع الدرجة والمنقبة لا المكان والجهة، كما أن الفوقية في هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة والمكانة.

ويقول الألوسي (انظر روح المعاني للألوسي) أن قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ معناها على الأوفق أني مستوف أجلك، ومميتك موتا طبيعيا، لا أسلط عليك من يقتلك، والرفع الذي كان بعد الوفاة هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصا وقد جاء بجانبه قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مما يدل على أن الأمر تشريف وتكريم.

ويرى ابن حزم (الفصل في الأهواء والملل والنحل -عند الكلام عن المسيحية) وهو من فقهاء الظاهر: إن الوفاة في الآيات تعني الموت الحقيقي، وإن صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له، وإن عيسى بناء على هذا قد مات.

وقد تعرّض الأستاذ الإمام محمد عبده إلى آيات الرفع وأحاديث النّزول، فقرر الآية على ظاهرها، وأن التوفي هو الإماتة العادية، وأن الرفع يكون بعد ذلك وهو رفع الروح (إقرأ تفسير المنار عند شرح الآيات السابقة).

ويقول الأستاذ الشيخ محمود شلتوت (الفتاوى ص٢ وما بعدها) أن كلمة "توفى" قد وردت في القرآن كثيرا بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها، ولم تستعمل في غير هذا المعنى إلا بجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر، ثم يسوق عددا كبيرا من الآيات استُعمِلت فيه هذه الكلمة بمعنى الموت الحقيقي، ويرى أن المفسرين الذين يلجأون إلى القول بأن الوفاة هي النوم أو أن في قوله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيك وَرَافِعُك﴾ تقديما وتأخيرا، يرى أن هؤلاء المفسرين يحمِّلون السياق ما لا يحتمل، تأثرا بالآية: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ وبالأحاديث التي تفيد نزول عيسى ويرى على ذلك بأنه لا داعي لهذا التفكير، فالرفع رفع مكانة، والأحاديث لا تقرر الرفع على الإطلاق.

ويقول فضيلته إنه إذا استدل البعض بقوله تعالى: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية٤٥)، على أن عيسى رفع إلى محل الملائكة المقربين، أجبناه بأن كلمة ﴿الْمُقَرَّبِينَ﴾ وردت في غير موضع من القرآن الكريم دون أن تفيد معنى رفع الجسم. قال تعالى:

٦- ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (سورة الواقعة الآيتان ١٠-١١).

٧- ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ (سورة الواقعة الآيتان ٨٨-٨٩).

٨- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (سورة المطففين الآية ٢٨).

أما السيد محمد رشيد رضا، فقد أضاف إلى هذه الدراسة نقطة جديدة هي أن مسألة الرفع بالجسم والروح هي في الحقيقة عقيدة النصارى، وقد استطاعوا بحيلة أو بأخرى دفعها تجاه الفكر الإسلامي كما استطاعوا إدخال كثير من الإسرائيليات والخرافات، وفيما يلي نص كلام هذا الباحث الكبير: ليس في القرآن نص صريح على أن عيسى رُفع بروحه وجسده إلى السماء، وليس فيه نص صريح بأنه ينْزل من السماء، وإنما هي عقيدة النصارى، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الإسلام بثَّها في المسلمين (تفسير المنار ج١٠ من المجلد الثاني والعشرين).

ويضيف هذا الباحث قوله: وإذا أراد الله ﷻ أن يصلح العالم فمن السهل أن يصلحه عل يد أي مصلح ولا ضرورة إطلاقا لنُزول عيسى أو واحد من الأنبياء (تفسير المنار الجزء الثالث).

(تعقيب: وهذا بالضبط هو ما قال به سيدنا أحمد عليه السلام، فليس الله تعالى بعاجز عن أن يخلق نبيا حتى يضطر إلى الابقاء على حياة واحد من الأنبياء القدماء، و لم تخلُ أمة سيد الخلق وأتباع المصطفى ﷺ من أن يكون بينهم من يليق بمهمة

إصلاح العالم حتى يستلزم الأمر نزول نبي كان قد بُعث إلى قوم آخرين).
ثم نستأنف الجزء المقتبس من كتاب د. أحمد شلبي:

"ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي: ليس في القرآن نص قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه وعلى أنه حيٌّ الآن بجسمه وروحه، والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله، كما قال تعالى في إدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، فحياة عيسى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء (نقلا عن كتاب الفتاوى للشيخ شلتوت ص٧٤).

ويقول الأستاذ عبد الوهاب النجّار (قصص الأنبياء ص٥١١): إنه لا حجة لمن يقول بأن عيسى رُفع إلى السماء لأنه لا يوجد ذكر للسماء بإزاء قوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وكل ما تدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم إلى مكان لا سُلطة لهم فيه، وإنما السلطان فيه ظاهرا وباطنا لله تعالى، فقوله تعالى: ﴿إِلَيَّ﴾ هو كقول الله عن لوط: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ (سورة العنكبوت الآية ٢٦) فليس معناه إني مهاجر إلى السماء بل هو على حد قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ..﴾ (سورة النساء الآية ١٠٠).

ويقول الأستاذ الشهيد سيد قطب (في ظلال القرآن الجزء الثالث ص٨٧) عند تفسير الآية الأولى من الآيات الثلاث السابقة:

لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية ففعل، ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده، وطهره من مخالطة الذين كفروا، ومن البقاء بينهم وهم رجس ودنس.

ونجيء الآن إلى الباحث الأستاذ محمد الغزالي وله في هذا الموضوع دراسة مستفيضة نقتبس منها بعض فقرات بنصوصها:

٩- أميل إلى أن عيسى مات، وأنه كسائر الأنبياء مات ورُفع بروحه فقط، وأن جسمه في مصيره كأجساد الأنبياء كلها: وتنطبق عليه الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (سورة الزمر الآية ٣٠) والآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران ١٤٤)

وبهذا يتحقق أن عيسى مات (لواء الإسلام العدد السابق ص ٢٥٤).

١٠- ومن رأيي أنه خير لنا نحن المسلمين وكتابنا (القرآن الكريم) لم يقل قولا حاسما أبدا أن عيسى حي بجسده، خير لنا منعا للاشتباه من أنه وُلد من غير أب، وأنه باق على الدوام مما يُرَوّج لفكرة شائبة الألوهية فيه، خير لنا أن نرى الرأي الذي يقول إن عيسى مات، وإنه انتهى، وإنه كغيره من الأنبياء لا يحيا إلا بروحه فقط، حياة كرامة وحياة رفعة الدرجة.

١١- وأنتهي من هذا الكلام إلى أني أرى من الآيات التي أقرؤها في الكتاب أن عيسى مات، وأن موته حق، وأن موته كسائر النبيين (المرجع السابق ص ٢٥٥).

ويثير الأستاذ صلاح أبو اسماعيل نقاطا دقيقة تتصل بالرفع فيقول: إن الله ليس له مكان حِسّي محدود حتى يكون الرفع حسّيا، وعلى هذا ينبغي تفسير الرفع على أنه رفع القدر وإعلاء المكانة، ثم إن رفع الجسد قد يستلزم أن هذا الجسد يمكن أن يُرى الآن وأنه يحتاج إلى ما تحتاج إليه الأجسام من طعام وشراب ومن خواص الأجسام على العموم، وهو ما لا يتناسب في هذا المجال (المرجع السابق ص٢٥٨).

وأحب أن أجيب على من قال إن في مقدور الله أن يوقف خواص الجسم في عيسى، بأن إيقاف خواص الجسم بحيث لا يُرى ولا يأكل ولا يشرب ولا يهرم.... معناه العودة إلى الروحانية أو شيء قريب منها، وذلك قريب أو متفق مع الرأي الذي يعارض رفع عيسى بجسمه.

وبعض الناس يقولون إن عيسى رُفع بجسمه وروحه، فإذا سئلوا: إلى أين؟ وما العمل في خواص الجسم؟ قالوا لا نتعرض لهذا. وهو رد ليس - فيما نرى- شافيا.

ونعود إلى الأستاذ صلاح أبو اسماعيل الذي يتساءل قائلا:

إذا كان رفع عيسى رفعا حسّيا معجزة، فما فائدة وقوعها غير

واضحة أمام معاندي المسيح عليه السلام وجاحدي رسالته؟ وأنا أعتقد أن كلمة ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ تعني وعدا من الله بنجاة عيسى من الصلب ومن القتل كما وعد محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يعصمه من الناس (المرجع السابق ص٢٥٩).

وبعد.. لقد أثيرت هذه المسألة منذ سنين في فتوى أجاب عليها الأستاذ المراغي والأستاذ شلتوت كما رأينا، وقد قامت ضجة على إثر إذاعة هذه الفتوى، شأن كل جديد يخرج للناس. ومرّ الزمن ورجحت هذه الفكرة وأصبحت شيئا عاديا يدين بها الغالبية العظمى من المثقفين، وطالما وقف كاتب هذه السطور يرفع صوته بها في قاعات المحاضرات بأعرق جامعة إسلامية في العالم وهي جامعة الأزهر وبغيرها من الجامعات وقاعات المحاضرات، وكان الناس يتقبلون هذه الآراء قبولا حسنا، والذي أرجوه أن يرفق المعارضون في تلقي الآراء الجديدة، وأن يفحصوها بروح هادئة.

والله يهدينا سواء السبيل.

ونختم هذا البحث بأن نقرر أن الاعتقاد بأن عيسى رفع بجسمه وروحه اعتقاد متأثر بالفكر المسيحي الذي يرى أن عيسى هو الإله الابن نزل من السماء ثم رفع ليعود للجلوس بجوار الإله الآب. أما المسلمون الذين يعتقدون أن الله واحد، وأنه في كل مكان، وليس جسما، فكيف يوفّقون بين هذا وبين رفع عيسى ليكون بجوار الله؟ فالله –مرة أخرى– في كل مكان. ولو بقي عيسى على الأرض لكان مع الله أيضا. فكيف يوفقون بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ (الأنبياء:٣٤).

* * *

وينتهي بذلك الجزء الذي اقتبسناه من كتاب الأستاذ الدكتور أحمد شلبي، وهو غني عن التعليق أو التعقيب إلا ما سبق بيانه. غير أننا نود أن نلفت أنظار القراء الكرام إلى الأيدي الخفية التي تعمل في الظلام، ولعل القارئ الذكي لا

يخفى عليه إدراك أصحاب تلك الأيدي الخفية التي لا تعمل إلا في الظلام. فمن هي تلك القوى العالمية التي يهمها أن تنتشر فكرة حياة المسيح في السماء؟ ومن هي تلك القوى التي تعمل ليلا ونهارا على نشر فكرة حياة المسيح في السماء؟ إنها المسيحية العالمية. وسواء اتفقت الفرق المسيحية في العالم أو اختلفت، فإنها تعلم تماما أنها إذا سمحت لمن يقول بوفاة المسيح وفاة طبيعية مثل سائر البشر أن ينشر أفكاره بين الناس، فإن هذا سوف يؤدي حتما إلى وفاة المسيحية أيضا. ولذلك فإن المعركة تجري حامية الوطيس، وقد جنّدت المسيحية العالمية كل أسلحتها وذخيرتها لخوض هذه المعركة، فإنها بالنسبة لها معركة حياة أو موت. وعلى جميع أولئك المسلمين الذين يدينون بتلك العقيدة الفاسدة، وعلى جميع أولئك العلماء الأفاضل الذين لا يزالون يتمسّكون بتلك العقيدة وينشرونها بين الناس، على جميع هؤلاء أن يستيقظوا من سباتهم ويدركوا أنهم.. ربما بغير قصد وبحسن نية.. يلعبون دورا خطيرا أُعدّ لهم من حيث لا يشعرون.

إننا نهيب بالقارئ الكريم أن ينظر إلى ما يجري في العالم من حوله، ونحن هنا لا ندين أحدًا ولا نتهم أحدًا جزافا، وإنما نود أن نسأل: لماذا تتزعم السعودية الحملة للدعوة إلى حياة المسيح في السماء؟ لماذا تنفق السعودية ملايين الدولارات والريالات البترولية على طبع ونشر الكتب التي تُروّج لهذه العقيدة الفاسدة؟ لماذا تستحضر السعودية العديد من العلماء ورجال الدين، من مختلف البلاد العربية والإسلامية، وتقوم لهؤلاء بعمليات غسيل العقول وتعمير الجيوب، حتى يرددوا ما أفتى به مفتي السعودية الأعظم الشيخ بن باز، بأن كل من يقول بوفاة المسيح قد كفر وخرج عن الإسلام؟

إن من حقنا أن نسأل.. ومن حق كل مسلم شريف أن يسأل.. لمصلحة من تقوم السعودية بهذا الدور؟ إن السعودية بتاريخها القصير معروفة تماما لكل من له دراية بحوادث التاريخ الحديث. فحين رفض ابن الرشيد حاكم نجد أن

يتعاون مع الإنجليز ضد تركيا المسلمة، ساعد الإنجليز تلك العصابات التي جاءت من العراق واستولت على شرق الحجاز، وباستمرار المساعدة من الإنجليز استطاعت تلك العصابات أن تفرض سلطانها على جميع الأراضي الحجازية، وغيرت اسم الحجاز إلى السعودية نسبة إلى اسم العائلة التي كانت تتزعم تلك العصابات. ومن المعروف والثابت والمدوّن في التاريخ أن تلك العائلة كانت تحكم على أسنّة الأسلحة البريطانية، وكانت تتقاضى مرتبا سنويا من الخزينة الإنجليزية.

وبغروب شمس الإمبراطورية البريطانية، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ومع تصاعد النجم الأمريكي في سماء السياسة العالمية، عمل الأمريكان على إزاحة بريطانيا وفرنسا من أماكن نفوذهما والحلول مكانهما، ولكن ليس عن طريق احتلال الأرض كما كانت تفعل قوى الاحتلال القديمة، وإنما عن طريق إقامة ومساندة نظم الحكم التي تدين بالطاعة والولاء للسادة الأمريكان.

ويبدو أنه لم يكن من الصعب على حكام السعودية أن ينتقلوا بولائهم الذي كان للسادة القدامى إلى السادة الجدد. ومن المعروف تماما أنه إذا كانت إسرائيل تُعتبر الولاية رقم ٥١ بين الولايات الأمريكية، فإن السعودية تُعتبر الولاية رقم ٥٢، من حيث ارتباط مصالحها بالمصالح الأمريكية. ولقد ظهر واضحا للجميع في حرب الخليج أن أمريكا على استعداد للتضحية بدماء أبنائها دفاعا عن السعودية، ليس فقط حرصا على أن يستمر ضخ البترول السعودي وعائده إلى الخزائن الأمريكية، ولكن أيضا لأن السعودية هي الخادم المخلص الأمين الذي يعمل في العالم الإسلامي لحساب ولحماية المصالح الأمريكية.

ولا شك أن أمريكا تطمع في السيطرة على العالم الإسلامي من خلال السعودية، وذلك عن طريق إقامة المنظمات والروابط والجماعات الإسلامية التي تنشئها وتمولها السعودية، مثل رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة الدول

الإسلامية، والعديد من الجماعات الإسلامية التي تعمل في الساحة الإسلامية اليوم. ومن خلال هذه المنظمات والجماعات، تستطيع أمريكا حماية مصالحها.. السياسية والدينية، وفرض سيطرتها على العالم الإسلامي من خلف العباءة السعودية التي تظهر بالمظهر الإسلامي، وبذلك فإن العالم الإسلامي بأجمعه لا يدور بباله أنه يتبع أمريكا ويحافظ على المصالح الأمريكية، وإنما يظن أنه يتوافق مع السعودية التي يقول ملكها إنه خادم الحرمين.

ولقد اتضحت اللعبة تماما أثناء الغزو السوفيتي لأفغانستان، إذ سرعان ما رأينا رابطة العالم الإسلامي ومنظمة الدول الإسلامية قد عبّأت كل إمكاناتها، وأطلقت السعودية صيحات الكفاح للدفاع عن المسلمين في أفغانستان، ورددت رابطة العالم الإسلامي دعاوي الجهاد في سبيل الله عالية مدوية، وخرج علماء الرابطة يجوبون البلاد لجمع المجاهدين المسلمين من الشباب الذي غرروا به وزينوا له أنه يجاهد في سبيل الله. ولم يعرف هؤلاء الشباب أنهم كانوا يدافعون عن المصالح الأمريكية، وأنهم بذلوا دماءهم خدمة لمصالح أمريكا التي كان يهمها أن تحارب النفوذ السوفيتي في أفغانستان باستخدام دماء الشباب المسلم. حتى إذا تم لهم ما أرادوا وخرج السوفيت من أفغانستان، سعوا بالدس والوقيعة بين فصائل المجاهدين حتى يقتل بعضهم بعضا، وساندوا جماعة طالبان لتستولى على الحكم، وهي الجماعة التي أغلقت مدارس البنات في أفغانستان بحجة أن تعليم البنات يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي!!.

أما حينما قُتل المسلمون في البوسنة، وحينما انتُهك شرف النساء في البوسنة، وحينما أُخِذ أطفال البوسنة المسلمين إلى إسرائيل وإلى الإرساليات المسيحية، رأينا رابطة العالم الإسلامي تلوذ بالصمت الرهيب، ومنظمة الدول الإسلامية تكتفي بالاجتماع والإدانة داخل قاعات الاجتماعات، واختفت تماما صيحات الكفاح ودعاوي الجهاد في سبيل الله التي كانت تنطلق عالية مدوّية أيام الغزو السوفيتي لأفغانستان، وكأن الكفاح والجهاد يجوز في

أفغانستان ولا يجوز في البوسنة، أو بمعنى آخر.. الجهاد في سبيل الله لا يجوز إلا إذا تعرضت المصالح الأمريكية للخطر!

إننا لسنا هنا في معرض الحديث عن أمور السياسة، فليس هذا غرض الكتاب، ولكن كان لا بد من إلقاء نظرة على مجريات الأمور في العالم حتى يفهم القارئ من أولئك الذين يروّجون لعقيدة حياة المسيح في السماء، ولأي غرض هم يفعلون ذلك، وخدمة لمصالح من. إن كوكبة من العلماء المتنوّرين في مصر قاموا في أوائل العقد السادس من القرن العشرين بدراسة تلك العقيدة الزائفة، وانتهوا إلى أنها تخدم المصالح المسيحية، وأنها تسربت إلى مفاهيم المسلمين من خلال الأيدي المسيحية التي تعمل في الظلام. فليكن القارئ إذن على حذر حتى لا يقع من حيث لا يدري في شَرَكِ هؤلاء، عن طريق دعاتهم الذين يختفون وراء العباءة الإسلامية، ويرفعون الشعارات الإسلامية، ويدّعون خدمة الحرمين.

وليس معنى هذا أن السعودية تخلو من العلماء الأفاضل والمفكرين الشرفاء، ولكن كثيرا ما ينخدع الشرفاء بما يبدو من نبل المقصد، وكثيرا ما يظن العلماء الأفاضل أنهم يدافعون عن آراء السلف الصالح. ويغيب عن الجميع تلك الأيدي الملوثة الخفية التي تلعب في الظلام.

إننا نحيي الأستاذ الدكتور أحمد شلبي على شجاعته في نشر الرأي الذي رآه صائبا ومتفقا مع الكتاب العزيز، ونحيي تلك الكوكبة من العلماء الذين شاركوه الرأي الصائب، ولا يسعنا في نهاية هذا البحث القيّم إلا أن نضم صوتنا إلى صوته.. ونهيب بالمعارضين للجماعة الإسلامية الأحمدية أن يترفقوا في تلقي الآراء الجديدة، وأن يفحصوها بروح هادئة، والله يهدينا وإياهم سواء السبيل.

* * *

المبحث الثاني

ختم النبوة

إن موضوع ختم النبوة.. واعتبار كون نبوة سيدنا محمد ﷺ هي النبوة التي لا يمكن أن تأتي في ظلها أي نبوة أخرى.. هو من الموضوعات التي ما زالت تستعر على أشدها بين جمهور المسلمين وبين أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية. وإننا نرجو من حضرات العلماء الأفاضل.. ومن جمهور المسلمين عامة.. أن يزنوا الأمور بميزان العقل والمنطق، في ظل ما جاء في كتاب الله تعالى وفي سُنّة رسوله، وألا يتسرعوا بالإدانه والتكفير، مثلما فعل المولويون المتعصبون أيام الإمام المهدي عليه السلام في قضية وفاة المسيح بن مريم عليه السلام، ثم بعد مضي ردح من الزمن.. أقر العلماء المتنورون، والنخبة المثقفون، بصحة الرأي الذي نادى به سيدنا أحمد عليه السلام.

ويتركز الخلاف في موضوع ختم النبوة حول الآية الوحيدة التي وردت في سورة الأحزاب وهي قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب:٤١)

ولا بد من التنويه هنا بأن سيدنا الإمام المهدي عليه السلام كان يؤمن كل الإيمان بأن رسول الله ﷺ كان بحق خاتم النبيين، وفي ذلك كتب يقول:

"وبعزة الله وجلاله إني مؤمن مسلم، وأؤمن بالله وكتبه ورسله وملائكته والبعث بعد الموت، وبأن رسولنا محمدا المصطفى ﷺ أفضل الرسل وخاتم النبيين." (حمامة البشرى، الخزائن الروحانية ج ٧ ص١٨٤)

وكذلك قال ما تعريبه:

"إن التهمة التي تُلصَق بي وبجماعتي أننا لا نؤمن بكون رسول الله ﷺ خاتَم النبيين، إنما هي افتراء عظيم علينا. إن القوة واليقين والمعرفة والبصيرة التي نؤمن بها ونتيقن منها بكون النبي ﷺ خاتم الأنبياء، لا يؤمن الآخرون بجزء واحد من المائة ألف جزء منها." (الملفوظات ج١ ص٣٤٢)

وقد شرح سيدنا أحمد رأيه في موضوع ختم النبوة فقال:

"اعلموا أننا نؤمن بأن القرآن هو آخر الكتب ونهاية الشرائع، ولا نبي بعده إلى يوم القيامة بمعنى أن يكون صاحب شريعة أو يتلقى الوحي دون واسطة متابعة النبي ﷺ بل إن هذا الباب مغلق إلى يوم القيامة، أما نوال نعمة الوحي بالمتابعة النبوية فأبوابه مفتوحة إلى يوم القيامة. ولن ينقطع أبدًا ذلك الوحي الذي هو ثمرة الاتباع النبوي. أما النبوة التشريعية أو النبوة المستقلة فقد انقطعت، ولا سبيل إليها إلى يوم القيامة، ومن قال إني لست من أمة محمد ﷺ وادّعى أنه نبيّ صاحب الشريعة أو من دون الشريعة وليس من الأمة فمثله كمثل رجل غمره السيل المنهمرُ فألقاه وراءه ولم يغادر حتى مات. وتفصيل ذلك هو أنه حيثما بشّر الله تعالى أن النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء أشار هنالك أيضًا أنه ﷺ نظرًا إلى روحانيته بمنــزلة أب لأولئك الصلحاء الذين يتم تكميل نفوسهم بواسطة المتابعة، والذين يُشرّفون بالوحي الإلهي والمكالمة مع الله، كما يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾." (تعليق على مناظرة بين الشيخ البطالوي والشيخ الجكرالوي، الخزائن الروحانية ج ١٩ ص ٢١٣- ٢١٥)

وعلى هذا.. فإن الخلاف بين الجماعة الإسلامية الأحمدية وبين غيرهم من المعارضين، ليس خلافا على كون رسول الله ﷺ خاتم النبيين، فكلا الفريقين يؤمن ويقر ويعترف بأن محمدا ﷺ كان بحق خاتم النبيين، وإنما الخلاف ليس إلا في معنى هذه الجملة التي جاء ذكرها في كتاب الله في سورة الأحزاب، وذكر

ﷺ في حديث شريف أنها صفة تكريم، أعطيت له وحده تفضيلا على سائر الأنبياء والمرسلين، ضمن صفات ستٍّ لم يؤتها أحد من الأنبياء السابقين، بل اختصه بها الله تعالى تكريما لشأنه، وقد عدّدها ﷺ وذكر منها قوله: "وخُتِم بي النبيون".

لهذا.. لا يستطيع مسلم يؤمن بكتاب الله تعالى وسُنّة رسوله الكريم، أن ينكر كون رسول الله خاتم النبيين، وقد أوضح سيدنا أحمد عليه السلام هذا الأمر تمام الإيضاح. ورغم ذلك.. فإن الذين يعارضون الجماعة الإسلامية الأحمدية، لا يكفون عن اتهامهم بأنهم لا يؤمنون بأن رسول الله ﷺ خاتم النبيين، وهي تهمة باطلة، وفرية كاذبة، يبرأ منها المسلمون الأحمديون براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

وأما لماذا يشتد الخلاف بين الجماعة الإسلامية الأحمدية وغيرهم من طوائف المسلمين حول هذا الموضوع، فذلك لأن الجماعة الإسلامية الأحمدية ترى في معنى "خاتم النبيين" رأيا ويرى غيرهم رأيا آخر. والجدير بالذكر أن الرأي الذي تراه الجماعة الإسلامية الأحمدية يتفق تماما مع رأي العديد من علماء الأمة الإسلامية منذ نشأتها وعلى مدى تاريخها الطويل، فأفراد الجماعة ليسوا مبتدعين ولا خارجين على ما تعارفت عليه الأمة، ولا ينكرون ما هو معروف من الدين بالضرورة، وإنما ينكرون ما فيه تعارض واختلاف لكلام الله تعالى، وما ليس فيه إعلاء وتكريم لشأن رسوله ﷺ.

والآن.. فلنحاول أن نفهم قوله تعالى في سورة الأحزاب:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب:٤١)

إن الله تعالى ينفي عن محمد ﷺ أنه كان أبا لأحد من الرجال في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، واستعمال حرف الاستدراك

﴿وَلَكِن﴾ بعد نفي الأبوة الجسدية يؤكد على إثبات الأبوة الروحية الشاملة بكونه ﴿رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. ولا شك أن من مقتضى الأبوة الروحية وجود الأبناء الروحيين الذين يكونون بمثابة الوارثين لفضل خاتم النبيين، وعلى ذلك فإن هذه الأبوة الروحية الشاملة تمنع أن يأتي بعده نبي مستقل عنه، أي يكون قد حاز على تلك الدرجة، ووصل إلى ذلك المقام، بدون اتباعه ﷺ، فهذا النوع من النبوة قد انسد بابها، وانفرط عقدها، وانتهى أجلها، وانقطع زمانها.

ومن المعروف أن حرف الاستدراك "لَكِن" يُستخدم لينفي شيئا ويُثبت شيئا آخر من نفس الجنس، أي أنه لا بد أن تكون هناك علاقة اشتراك بين المنفي قبل حرف الاستدراك وبين المثبت بعده، كما في قوله تعالى:

﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٧)

فهنا ينفى الله عماية.. ويُثبت عماية أخرى، فالعماية هي العلاقة المشتركة بين المنفي والمثبت. كذلك في قولك: "ما هذا أحمر ولكنه أخضر" نفي لون واثبات لون آخر، فاللون هو العلاقة المشتركة بين المنفي والمثبت، ولذلك لا يجوز أن يُقال: "ما هذا أحمر ولكنه حصان". فليس هناك من علاقة بين اللون والحيوان اللهم إلا إذا كان الحصان أحمر اللون، فتتواجد بذلك علاقة الاشتراك بين الألوان.

وفي الآية التي نحن بصددها.. آية ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، نرى أن حرف الاستدراك ﴿وَلَكِن﴾ يسبقه نفي كون رسول الله أبا لأحد من الرجال.. ويتبعه إثبات كونه رسول الله، وليس ثمة علاقة ظاهرة بين الأبوة المنفية والرسالة المثبتة، اللهم إلا إذا كان المقصود من إثبات الرسالة هو إثبات أبوته الروحية لكل المؤمنين، وبذلك تتأكد العلاقة المشتركة بين الأبوة الجسدية المنفية وبين الأبوة الروحية المثبتة. وبهذا يستقيم المعنى.. خاصة وقد ذكرت

السورة نفسها في أولها أن زوجاته ﷺ هن أمهات للمؤمنين:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب:٧)

وإذا كانت أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنين، فمن الأوْلى أن يكون هو أبا للمؤمنين. وهكذا تتضح الحكمة من استخدام حرف الاستدراك ﴿وَلَكِن﴾ في الآية الكريمة، وأن الغرض من استخدامه هو الاستدراك من نفي الأبوة الجسدية وإثبات الأبوة الروحية بكونه رسول الله.

وقد كان الاستدراك في الآية واجبا لتقرير الأبوة الروحية، لأن نفي الأبوة الجسدية يُفهم منه أنه ﷺ أبتر لا ولد له. وكان العرب يُعَيِّرون الرجل إذا كان أبتر بغير ولد من الذكور، ولذلك فقد ردّ القرآن الكريم في سورة الكوثر على أعدائه ﷺ وأكد لهم أنه ليس بأبتر.. بل إن عدوه هو الذي يكون أبتر، فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ (الكوثر:٤). ولما كان نفي الأبوة الجسدية في الآية التي نحن بصددها ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ قد يُفهم منه أنه كان أبتر، وهذا يتعارض مع آية سورة الكوثر التي تنفي كونه أبتر، لذا كان من المحتم استخدام الاستدراك للتأكيد على بيان أبوته الروحية، فكونه ﴿رَسُولَ اللهِ﴾ يثبت أنه الأب الروحي لأمته، وكونه ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ يحمل أيضا معنى الأبوة الروحية الشاملة التي تعني استحالة وجود نبي مستقل عنه، يصل إلى هذا المقام العظيم من النبوة بدون أن يكون من أبنائه الروحيين، وبغير أن يكون من أتباعه الميامين، الذين يجدون الفضل من الله من خلال طاعتهم الكاملة لله تعالى واتباعهم لسُنة رسوله. وبهذا ينقطع كل احتمال في أن يأتي أي نبي من الأنبياء الأولين، الذين خلوا من قبل رسول الله ﷺ، فإن هؤلاء جميعا حصلوا على مقام النبوة بفضل الله الخالص، ولكن ليس بفضل اتباعهم لسُنة رسول الله ﷺ، وهؤلاء هم إخوة لرسول الله ﷺ ولكنهم ليسوا أبناءه، بل إن أبناءه هم أتباعه المخلصون، الذين ينالون الهَدْيَ منه، ويستضيئون بنوره، ويكونون ظلا له

وتجليا لأنواره، وبذلك يكونون مطبوعين بختم خاتم النبيين، فهو لكونه خاتم النبيين.. قد ختم أولئك التابعين له وطبعهم بختم نبوته، فنبوتهم ليست شيئا مستقلا ولا منفصلا عن نبوته ﷺ، بل إنها نبوته التي أينعت وأثمرت وآتت أكلها بإذن ربها.

وفي ذلك يقول سيدنا أحمد ما تعريبه:

"إن الله ﷻ قد جعل النبي ﷺ صاحب الخاتَم، أي وهبه، لإفاضة بركاته الروحانية، خاتَمًا لم يوهب لأحد من الأنبياء مطلقًا، لذلك فقد سمي بخاتم النبيين بمعنى أن اتّباعه يمنح كمالات النبوة، وتربيته الروحانية توصل الإنسان إلى مقام النبوة. ولم يؤت هذه القوة القدسية أحدٌ من النبيين سواه." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية ج ٢٢ ص ١٠٠ الهامش)

كذلك كتب يشرح دعواه وما أعلنه عن نفسه فقال:

"لقد حزت هذا الشرف بسبب اقتدائي للنبي ﷺ فقط. لو لم أكن من أمته ﷺ ولو لم أقتد به لما نلت شرف المكالمة والمخاطبة أبدا حتى ولو كانت أعمالي مثل سائر جبال الدنيا لما حزت هذا الشرف للمكالمة والمخاطبة إطلاقا، لأن النبوات بكل أنواعها قد انقطعت ما عدا النبوة المحمدية. لا يمكن أن يأتي نبي بشرع جديد، ويمكن أن يأتي نبي بغير شريعة بشرط أن يكون من أمة النبي ﷺ أولا. فبناء على ذلك أنا نبي ومن أمته ﷺ أيضا." (التجليات الإلهية، الخزائن الروحانية ج٢٠ ص٤١١-٤١٢)

ولتوضيح معنى النبوة المستقلة والنبوة التشريعية والنبوة غير التشريعية نقول: إن النبوة قبل الإسلام كانت كلها نبوة مستقلة. وكانت هذه النبوة المستقلة تنقسم إلى قسمين: نبوة تشريعية ونبوة غير تشريعية. وكلا القسمين كان يختاره الله تعالى بفضله المحض، دون اشتراط اتباع سُنّة أي نبي من الأنبياء الذين سبقوه، وهذا ما يعنيه الاصطلاح:"نبي مستقل" أو "النبوة المستقلة".

والنبوة التشريعية هي التي يختار الله فيها نبيا (مستقلا) ويؤتيه شرعا يحكم به بين الناس، ويكون اختيار الله لذلك النبي اختيارا مباشرا بفضله تعالى، دون

التزام النبي باتباع سُنة أحد من الأنبياء الذين سبقوه. وكمثال على هذا النوع من الأنبياء نذكر موسى عليه السلام الذي آتاه الله شريعة التوراة، وسيد الخلق أجمعين ﷺ الذي آتاه الله شريعة القرآن، فكلاهما آتاه الله شرعا، وكلاهما كان نبيا مستقلا.

والنبوة غير التشريعية هي التي يختار الله فيها نبيا (مستقلا) ولكن لا يؤتيه شرعا، وإنما يتبع الشريعة التي سبق أن أنزلها الله تعالى، ويكون اختيار الله لذلك النبي اختيارا مباشرا أيضا بفضله تعالى، دون التزام النبي باتباع سُنة أحد من الأنبياء. وكمثال على هذا النوع من الأنبياء نذكر هارون عليه السلام وغيره من أنبياء بني إسرائيل الذين لم يؤت الله أحدا منهم شريعة، وإنما كانوا جميعا تابعين لشريعة التوراة، وهي الشريعة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام. وقد تم اختيار كل منهم بخالص فضل الله، ودون اشتراط اتباع أحدهم لسُنة موسى عليه السلام.. إذ لم تكن لموسى عليه السلام سُنة ملزمة يجب اتباعها كما هو شأن سُنة رسول الله ﷺ.

وعلى هذا.. فإن جميع الأنبياء الذين جاءوا في هذه الدنيا.. منذ آدم إلى سيدنا محمد، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.. كانوا أنبياء مستقلين، والنبوة التي كانت معروفة في العالم كانت نبوة مستقلة.. أي أن الله تعالى كان يختار النبي اختيارا مباشرا دون اشتراط اتباع ذلك النبي لسُنة أحد من الأنبياء الذين خلوا من قبله. وهذا النوع من النبوة المستقلة قد انتهى ببعث سيد الخلق ﷺ، إذ أنه وحده هو الرسول الذي شرّفه الله تعالى فقضى أن تكون سُنّته ﷺ هي التفسير العملي لتشريع كتابه العزيز، فهو النبي الوحيد الذي له سُنة ملزمة الاتباع، من أنكرها أو تركها فقد ترك جزءا من الشريعة. وعلى هذا.. فإن النبوة المستقلة.. أي تلك التي يختار الله فيها نبيا مستقلا غير تابع لسُنة أحد من الأنبياء.. قد انتهت ببعثة الرسول ﷺ.

وحيث إن التشريع قد اكتمل في كتاب الله القرآن وبيّنته سُنة نبيه ﷺ فقد

انتهت كذلك النبوة التشريعية.. أي تلك التي يختار الله فيها نبيا ويوحي إليه بشرع جديد. وعلى هذا.. فإن جميع أشكال النبوة التي كانت معروفة قبل بعث سيدنا محمد ﷺ قد انتهت.

ولكن.. لما كانت النبوة نعمة كبرى من نعم الله تعالى.. بل هي أعظم النعم الروحانية قاطبة.. ولما كان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين، ولم تكن بعثته سببا لحرمان أمته من أي نعمة نالتها الأمم السابقة، فقد شاء الله تعالى.. بخالص فضله ورحمته.. أن يهب الأمة.. التي جعلها خير أمة أخرجت للناس.. نوعا جديدا من النبوة التي لم تكن معروفة من قبل.. وهي النبوة التابعة. والنبوة التابعة هي نبوة غير تشريعية.. أي نبوة لا ينـــزل من الله فيها تشريع جديد، بل يلتزم فيها النبي التابع بالشريعة الإسلامية الكاملة.. لا يُنقص منها حرفا ولا يُضيف إليها أمرا. ولا يهب الله تعالى هذا النوع الفريد من النبوة التابعة إلا لمن كان تابعا لسُنة خير الرسل ﷺ، فكل باب للرحمة قد انغلق إلا باب ذلك النبي الأعظم، وكل نبوة قد انتهت إلا نبوة ذلك الرسول الأكرم، لأنها هي النبوة التي كتب الله لها أن تبقى وتدوم إلى قيام الساعة. ومن بركاتها أنها تمهد السبيل للمؤمن الصادق الذي يتشرف بطاعة الله تعالى والتمسك بسُنة رسوله ﷺ أن يصل إلى مقام النبوة، إذا شاء الله تعالى اختياره لهذا المقام. أما بدون طاعة الله تعالى، وبغير طاعة رسول ﷺ والسير على نهجه والتمسك بسُنته، فلا يمكن أن يصل أحد إلى هذا المقام، ولا يمكن أن يختار الله تعالى أحدا ليكون نبيا على هذا المقام مهما كان عمله، ومهما عظم جهاده، ومهما زاد فضله، ما لم يكن من بين أتباع الرسول ﷺ.

إن النبوة القائمة على طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ، التي لا تأتي بشرع جديد، وإنما تلتزم بكل ما جاء في شرع محمد ﷺ، هي النوع الوحيد.. والجديد.. من النبوة التي لم تكن بطبيعة الحال موجودة قبل بعثة رسول الله ﷺ، وإنما هي من بركات النبي الأعظم ﷺ يُسبغها الله تعالى إذا شاء على أتباع

رسوله الكُمّل المخلصين. وهي تلك النبوة بعينها التي أعلنها سيدنا أحمد عليه السلام بصفته الإمام المهدي والمسيح الموعود، فهو تابع من أتباع محمد ﷺ، وشرّفه الله تعالى باختياره لهذا المقام، لفضل طاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ.

هذا النوع من النبوة في حقيقة الأمر لا يعدو أن يكون سوى انعكاس وتجلٍّ لنبوة الرسول ﷺ وامتداد لها، وظل من ظلالها، ونور من أنوارها، وقبس من أضوائها، وهدى من هداها. هذا النوع من النبوة مثل القمر الذي يستمد نوره من الشمس.. فلو لم تكن الشمس لما أضاء القمر مهما بلغ حجمه وجَرمه. هذا النوع من النبوة لا يحط من شأن الرسول ﷺ كما لا يحط ضوء القمر من نور الشمس، لأن القمر لا يضيء إلا بفضل نور الشمس. وهذا النوع من النبوة لا يتناقض بتاتا مع كون رسول الله آخر الرسل وخاتم النبيين، فهو آخر جميع أنواع النبوات التي كانت في الدنيا من قبله، ولكن الله تعالى اختصه بنوع جديد وفريد من النبوة لم يهبه لأحد غيره من الأنبياء، وكان ذلك أحد أسباب تفضيله على كل الأنبياء السابقين، فذكر ﷺ أن الله تعالى فضَّله على النبيين بست خصال ذكر منها قوله: "وخُتم بي النبيون." فهو بمجيئه قد أغلق كل باب للرحمة إلا بابه هو، وانتهت كل النبوات السابقة إلا نبوته هو، وانقضى كل فضل إلا فضله هو. اللهم صل عليه وعلى أتباعه الكاملين الصادقين إلى يوم الدين يا رب العالمين.

إن كتاب الله القرآن يؤيد هذا النوع الفريد من النبوة، بل ويحض المؤمنين على الدعاء لنوال مقامها. وفي سورة الفاتحة.. علمنا الله تعالى الدعاء:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

وألزمنا الله تعالى أن نقرأ هذا الدعاء في كل ركعة من كل صلاة، وإن كل مؤمن مخلص من أتباع محمد ﷺ ليدعو بهذا الدعاء العظيم ما لا يقل عن ثلاثين مرة في اليوم الواحد باعتبار عدد ركعات الفروض والسنن والنوافل. فأي

النعم هذه التي حض الله المؤمنين أن يدعوه لكي ينالوها، ومَن أولئك الذين أنعم الله عليهم والذين ساروا على الصراط المستقيم فاستطاعوا بفضل الله أن ينالوا تلك النعم؟ إن القرآن العظيم يجيب على هذه الأسئلة فيقول:

﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۞ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٧١-٧٢)

إن الله تعالى بنفسه يحث المؤمنين في سورة الفاتحة أن يدعوه دائما.. ويكرروا الدعاء في كل ركعة من صلاتهم لكي ينالوا البركات والنعم التي نالها النبيون والصديقون والشهداء والصالحون كما هو مذكور في سورة النساء، وعلى ذلك فمن المستحيل أن يأمر الله عباده أن يدعوه لينالوا نعمة معينة.. ثم يُغلق هو باب تلك النعمة، ويحرم منها عباده المؤمنين، ويجعل نوالها مستحيلا. وحينما نضع دعاء سورة الفاتحة مع آية سورة النساء جنبا إلى جنب، يتضح لنا أن نعمة معيّة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين من الأمم السابقة هي من النعم التي شرّف الله بها هذه الأمة أيضا.

ولا يظنن أحد أن المقصود من معيّة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من الأمم السابقة، هو مجرد مصاحبتهم في الجنة فقط دون نوال درجاتهم التي حصلوا عليها في الدنيا، فإن هذا ظلم عظيم للأمة التي وصفها الله تعالى في القرآن بأنها خير أمة أخرجت للناس. وتفسير الآية الكريمة بهذا الشكل يعني أن أقصى ما يمكن أن يصبو إليه المؤمنون من أمة محمد ﷺ، وأعلى مقام يمكن أن يصلوا إليه نتيجة طاعتهم الله وطاعة الرسول.. هو أن يتمتعوا بمعيّة ومصاحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من الأمم السابقة، ولكن دون أن يكون من بينهم أحد من النبيين أو الصديقين أو الشهداء أو الصالحين، ودون أن ينال أحد منهم في الدنيا درجة النبيين أوالصديقين أوالشهداء أوالصالحين،

كما نالها المؤمنون من الأمم السابقة!! فأي ظلم أكبر من هذا يمكن أن يوصف به وعد الله؟

إن بعض المعارضين لدعوة سيدنا أحمد عليه السلام قـــد فسر لفظ ﴿مَعَ﴾ في الآية الكريمة بهذا الشكل الذي يغمط المؤمنين كل فضل وكل نعمة. وحسب رأيهم.. يكون جزاء من يطع الله والرسول هو أن يتمتع في الجنة بصحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من الأمم السابقة، ولكن دون أن ينال أيّا من تلك الدرجات أو إحداها، فلا يكون من بينهم النبيون أو الصديقون أو الشهداء أو الصالحون. والبعض يقول إنه من الممكن نوال درجة الصديقين ودرجة الشهداء ودرجة الصالحين، ولكن لا يمكن نوال درجة النبيين، وكأن الله تعالى، وحاشا لله، قد أخطأ في ذكر درجة النبيّين مع الدرجات الثلاث الأخر. إن هذا التفسير لهو عدوان على كلام الله العزيز، وبخس شديد لوعده العظيم لعباده الطائعين له ولرسوله الكريم. كذلك فإنه يتعارض مع استخدام الحرف ﴿مَعَ﴾ الذي استخدمه الله تعالى بمعنى "من" في هذه الآية وفي آيات أخرى كثيرة، فهو لا يعني المصاحبة فحسب.. وإنما يعني أيضا نوال نفس النعمة أو النعم.. ونفس الدرجة أو الدرجات.. التي يدعو لنوالها المؤمنون. فقد علّم الله تعالى عباده دعاءً آخر في سورة آل عمران يقول فيه:

﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ (آل عمران:١٩٤)

فهنا استخدم الله تعالى نفس الحرف ﴿مَعَ﴾، ولكن من الواضح تماما أنه لا يعني توفنا بمعية الأبرار، أو توفنا في الوقت الذي تتوفى فيه الأبرار، أو توفنا في معيـــة وصحبة الأبرار دون أن نكـــون منهم، بل ﴿تَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ أي توفنا ونحن من الأبرار.

* * *

وقد أكد القرآن الكريم على مجيء الأنبياء من بين الأمة الإسلامية فقال:

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَآ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأعراف:٣٦-٣٧)

فهنا يخاطب القرآن بني آدم، ويقول إنه لا بد وأن يأتيهم رسل منهم يقصون عليهم آيات الله تعالى. وبطبيعة الحال فإنه لا يخاطب أولئك الذين ماتوا قبل بعثة الرسول ﷺ، وإنما يخاطب هؤلاء الذين كانوا على قيد الحياة حينما نزلت هذه الآية.. وكل من سوف يولد بعدها إلى يوم القيامة. ويقول جلال الدين السيوطي في كتاب "تفسير الإتقان في علوم القرآن" في تفسير هذه الآية:

"فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم"

أي أنه رغم أن الخطاب موجه إلى ﴿بَنِي آدَمَ﴾ إلا أنه خاص بالأمة الإسلامية، فإن الأمة الإسلامية داخلة ضمن بني آدم، وكذلك فإن مجيء الرسل من غير الأمة الإسلامية ممتنع، حيث إن محمدا ﷺ قد سد هذه النعمة عن كافة الناس إلا عن أتباعه. وقد وجّه الله تعالى الخطاب في نفس السورة، وفي نفس السياق، واستخدم نفس لفظ ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، ولكنه يشمل الأمة الإسلامية فقط، كما في قوله تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف:٣٢)

كذلك يقول تعالى:

﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران:١٨٠)

في هذه الآية يظهر أثر حرف الاستدراك "لكن" الذي يُستعمل لنفي شيء وإثبات شيء آخر من نفس الجنس، وذلك كما سبق توضيحه. والخطاب في الآية موجه للمؤمنين: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، وهنا ينفي الله ﷻ إطلاع المؤمنين على الغيب، ثم يستدرك باستخدام حرف "لكن". وعلى ذلك، وحيث إن نفي الاطلاع على الغيب هو ما استُدرك منه، فإن ما يأتي بعد "لكن" يكون إثبات الإطلاع على الغيب أو على بعض منه، وهو أن الله يجتبي ويختار من رسله من يشاء، وهكذا تكون هناك علاقة اشتراك بين المنفي قبل "لكن" وبين المثبت بعدها. وكأن الله تعالى يقول إنه لن يترك المؤمنين على حالهم الذي هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، وحيث إن هذا التمييز بين الخبيث والطيب سوف يتم في المستقبل.. أي إنه أمر من أمور الغيب.. فالله يقول إنه لن يطلع المؤمنين على أمور الغيب، ولكنه يكتفي بأن يطلعهم على أمر هام من أمور الغيب، وهو أنه في المستقبل سوف يختار ويجتبي من رسله من يشاء، ويرسله إلى هؤلاء المؤمنين من أمة محمد ﷺ لكي يميز بين الطيب والخبيث منهم، فمن يؤمن ويتقي فله أجر عظيم، ومن ينكر ويكفر فقد عصى ربه وحاد عن طريقه القويم.

* * *

إن الآيات التي تشير إلى بعثة الأنبياء في الأمة الإسلامية كثيرة ومتعددة، ولكن البعض من بين علماء المسلمين قد وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه علماء الأمم السابقة، حين ظنوا أن نبيهم الذي بُعث إليهم هو النبي الأخير، الذي لن يبعث الله من بعده رسولا. ويشير كتاب الله العزيز إلى قِدَم هذا المسلك فيقول:

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ

يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ (غافر:٣٥)

ويشير كتاب الله الحكيم أيضا إلى أنه حينما يأتي مبعوث الله فعلا.. فإن البعض يظن أن الله تعالى لن يبعث أحدا، فيخبرنا سبحانه عن ذلك في سورة الجن بقوله:

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا﴾ (الجن:٨)

والله تعالى يقص علينا هذه الأمور لتكون موعظة وهدى للمتقين، فلا نقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه من سبقنا من الأمم، لأن إرسال الرسل أمر لا يختص به أحد إلا الله ﷻ، فهو أمر من أمور السيادة الإلهية، وهو من صفات الذات الربانية التي تتجلى حسب مشيئة الله تعالى، ولذلك يُنحي الله باللائمة على الذين ما قدروا الله حق قدره.. فيبين لهم قدره سبحانه بأن يعدد لهم صفاته التي لا يشترك فيها مع الله أحد، فيقول:

﴿مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ (الحج:٧٥-٧٧)

هنا يوضح ﷻ بصيغة الفعل المضارع.. الذي يدل على الحال والاستقبال.. أن الله تعالى وحده هـــو الذي يتصف بأنه ﴿يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ كما أنه وحده الذي ﴿يَعْلَمُ﴾ في الحال والاستقبال ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾. وكما أن علمه هذا مستمر ولن ينقطع.. كذلك فهو ﴿يَصْطَفِي﴾ في الحال والاستقبال ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾، وسوف يستمر أيضا هذا الاصطفاء ولن ينقطع.

* * *

وغني عن البيان تكرار القول هنا.. أن استمرار بعث الرسل من الناس قد انحصر بعد ظهور رسول الله ﷺ في نوع فريد من الأنبياء الذين لا يوحي إليهم

الله بشرع جديد يخالف أو يناقض شرع سيد الخلق ﷺ، ولا يصطفيهم الله تعالى إلا إذا بلغوا كمال الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ. ومهمة هذا النوع الفريد من الأنبياء هي هداية الناس إلى صراط العزيز الحميد، وإلى سبيل رسوله الكريم، وإنذار الأمم التي ضلت لتهتدي إلى طريق التوحيد القويم، ولذلك.. فإن كتاب الله تعالى يتساءل مستنكرا عن داعي العجب لدى بعض الناس حين يسمعون عن دعوة داع ونذير من عند الله تعالى فيقول:

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (يونس:٣)

ثم يبين سبحانه بكل قوة أنه هو الذي يقرر إرسال الرسل، وهو الذي يبعث من يشاء، وهو الذي يُنــزل عليه الملائكة والروح.. أي جبريل عليه السلام.. لكي يقوم بإنذار الناس وحضهم على تقوى الله، فيقول تعالى:

﴿يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (النحل:٣)

وأيضا قوله تعالى:

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ﴾ (غافر:١٦)

ومن الواضح أن الله تعالى استعمل هنا أيضا صيغة الفعل المضارع ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ﴾ و ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ ليدل كذلك على استمرار تنْزيل الملائكة والروح في الحال والاستقبال.

* * *

إن هذا النوع الفريد من النبوة التي قضى الله سبحانه ببقائه واستمراره، واشترط لنواله كمال طاعته تبارك وتعالى وطاعة رسوله ﷺ.. هو ذلك النوع من النبوة التي تعظم شأن رسول الله، وتقر بخاتميته وكمال شريعته، فهي نبوة

تابعة وليست ناسخة أو مبطلة، وهي نبوة تشهد بعلو شأن المنهل الذي تنهل منه وهو سيد الخلق أجمعين. فلولا وجوده لما وُجد ذلك النوع الفريد من النبوة. لذلك.. فحين دلل الله تعالى على صدق رسوله ﷺ ذكر أنه الرسول الأوحد الذي شهدت له نبوة سابقة، كما تشهد له نبوة تالية، بينما يذكر الله تعالى نفس الدليل في حق بعض الأنبياء الآخرين، بغير أن يصحبه شهادة من سبقه أو من تلاه من الأنبياء.

ففي سورة هود الآية ٢٩ يقول تعالى على لسان نوح عليه السلام:

﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّي وَءَاتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾

وفي نفس السورة الآية ٦٤ يقول تعالى على لسان صالح عليه السلام:

﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾

ومن الواضح هنا أن الاستدلال على صدق النبي يقوم على أنه على بيّنة من ربه، وأن الله تعالى قد آتاه رحمة من عنده.

وأما رسول الله ﷺ الذي اصطفاه الله تعالى، والذي لم يأته رحمة فحسب.. بل جعله رحمة للعالمين.. فقد دلل على صدقه في نفس السورة بأنه كان أيضا على بينة من ربه، شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء الذين يصطفيهم الله تعالى، إلا أن الله قد ميزه وفضله بأن جعل من دلائل صدقه أن يتلوه شاهد من عند الله تعالى يشهد على صدقه، كما شهد على صدقه أيضا موسى عليه السلام في كتابه، فقال تعالى:

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ (هود:١٨)

أي إن محمدا ﷺ كان على بينة من ربه، ويتلوه شاهد منه.. أي يأتي بعده شاهد منه.. أي من أتباعه، إذا اعتبرنا أن الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يعود إلى محمد ﷺ، أو يأتي بعده شاهد من الله تعالى.. إذا اعتبرنا أن الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يعود

إلى ﴿رَبِّهِ﴾. وكلمة ﴿يَتْلُوهُ﴾ في هذا السياق لا تعني "يقرأه" كما قال بعض المفسرين، ولكنها من تلا يتلو، كما يُقال: ''جاء فلان يتلوه فلان''، أي أنه أتى بعده، وكما في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا﴾. وفي الآية التي نحن بصددها في سورة هود.. يدلل الله تعالى ويقدم هذا البرهان على صدق رسوله الأعظم ﷺ بأنه على بيّنة من ربه، ولكن حتى لا يظن الناس أنه ﷺ يتساوى في هذا مع غيره من الأنبياء الذين جاء ذكرهم في نفس السورة، وذكر الله عنهم أهم كانوا أيضا على بيّنة من رهم، أراد سبحانه أن يُبرز مكانة رسوله الأكرم ﷺ، فأكد على أنه هو وحده الذي يتميز بأن يتلوه شاهد من الله تعالى يشهد على رفعة مقامه وعظمة شأنه، كما سبق أن شهد بذلك أيضا موسى عليه السلام في كتابه الذي أشار فيه إلى مجيء ذلك النبي العظيم.. ذي الجاه والسلطان، الذي لا نهاية لملكه ولا ناسخ لشريعته ولا مبطل لدينه.

ولكن.. أليس من طبائع الأمور أن يشهد النبي الذي يتلو نبيا سبقه في أمة على صدق ذلك النبي الذي جاء من قبله؟ إن واقع الأمر في أمة بني إسرائيل يؤكد لنا أنه إن لم يشهد النبي على صدق النبي الذي سبقه فلن يؤمن به أحد من أتباع ذلك النبي، بل إن عدم شهادته تدل على كذبه، حيث إنه يسلب النبوة عن نبي سبقه، آمن به الناس من قبله. وعلى هذا.. فما هي أهمية أن يذكر الله تعالى شهادة ذلك الشاهد الذي يتلو رسول الله ﷺ؟ والجواب على هذا هو أن أهمية الشاهد تعود إلى كونه يتلو رسول الله ﷺ، بمعنى أن هذا المجيء في حد ذاته دليل على عظمة سيدنا رسول الله. فبعد انتهاء جميع أنواع النبوات السابقة ببعثة رسول الله ﷺ، لا يمكن أن يأتي بعده هذا الشاهد إلا من خلال النبوة التابعة، التي لا يمنحها الله تعالى لأي إنسان مهما علا قدره وصلح عمله إلا إذا كان من أتباع سيدنا رسول الله. فبمجيء هذا الشاهد يتحقق عمليا مدى عظمة مقام رسول الله، ومدى تفرده وحده من دون الأنبياء جميعا بهذه النبوة التابعة له، والتي بالتالي تشهد له وتقر بعظمة مقامه.

لقد انتهت كل إمامة سابقة لأنها كانت تختص بالزمن الماضي فقط، أما إمامة رسول الله ﷺ فهي الإمامة الباقية المستمرة إلى يوم القيامة، وإمامة الشاهد الذي يتلوه هي إمامة تابعة له، تنهج منهجه وتستظل بظله، وليست إلا قبسا من أنواره وفضلا من أفضاله، ولذلك فهي تشهد له وتقر بطاعته وتأتمر بأمره وتستن بسنته. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى من اهتدى بهديه وشهد بفضله إلى يوم الدين.

إن هناك الكثير من الآيات القرآنية الدالة على استمرار هذا النوع الفريد من النبوة غير التشريعية في الأمة الإسلامية، وقد نشرت الجماعة الإسلامية الأحمدية الكثير من الكتب بلغات متعددة لمعالجة هذا الموضوع، وبتفصيل وإيضاح كاملين، ويمكن للقارئ الذي يتطلع إلى الاستزادة أن يرجع إلى تلك الكتب والنشرات، فالموضوع طويل.. وخطير.. ولا يمكن الإحاطة بكل جوانبه في هذا البحث المختصر. غير أننا لا نستطيع أن نغفل في هذا السياق ذكر بعض الآيات التي تدل بدلالة قاطعة على خطأ الفكرة التي انتشرت بين عامة المسلمين، ومؤداها أن النبوة بجميع صورها وأشكالها قد انتهت.

ولا ضير من تكرار القول هنا مرة أخرى، أننا نقر ونعترف بانتهاء النبوة التشريعية، لأن التشريع اكتمل بنُزول القرآن الكريم حسب قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (المائدة:٤)

وعلى ذلك.. فلا يمكن أن يأتي رسول بدين أو تشريع يغاير الإسلام لقوله تعالى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٦)

ولذلك فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية تتفق مع كافة المسلمين من جميع

الطوائف الأخرى على أن نبوة التشريع قد انتهت، ولا نبوة تشريعية.. ولا وحي تشريعي.. بعد رسول الله ﷺ.

وينحصر الخلاف بين الجماعة الإسلامية الأحمدية وبين غيرها من بعض الطوائف الإسلامية، حول إمكان مجيء رسول من عند الله تابع للشريعة الإسلامية، وخاضع لسُنة رسول الله ﷺ. وهنا يمكن تقسيم الطوائف الإسلامية الأخرى إلى قسمين: الأغلبية العظمى منهم تقول بجواز مجيء رسول من عند الله، وهو عيسى بن مريم، الذي سيأتي في آخر الزمان تابعا للشريعة الإسلامية.. عاملا بها.. وداعيا إليها. والأقلية منهم تقول بعدم مجيء أحد على الإطلاق.. فلا مهدي منتظر، ولا مسيح موعود، ولا نبي مشرع أو غير مشرع إلى يوم القيامة.

والجماعة الإسلامية الأحمدية تنتهج نهجا وسطا بين هذين الرأيين، فهي ترى أن النبوءات التي ذكرها رسول الله ﷺ عن الإمام المهدي، وعن نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان، إنما تتعلق برجل واحد من أمة محمد ﷺ، يشابه عيسى بن مريم في الفضل، فيُطلق عليه اسمه. وهذا الأسلوب.. أي إطلاق اسم شخص ما على من يشابهه.. أسلوب عربي استعملته العرب، وأقره العلماء من المسلمين، واستعمله القرآن الكريم حين أطلق اسم "المَلَك" على سيدنا يوسف عليه السلام، واستعمله رسول الله ﷺ حين ذكر عن زوجاته أنهن صواحب يوسف.

وحين أخبر رسول الله ﷺ أمته عن المهدي المنتظر وعن المسيح الموعود، وذكر أنهما شخص واحد كما جاء في حديث ابن ماجه: "لا مهدي إلا عيسى"، وكما جاء في مسند ابن حنبل عن عيسى بن مريم أنه يأتي "إماما مهديا" فإن رسول الله ﷺ قد أدى بذلك أمانة التبليغ إلى قومه تحقيقا للميثاق الذي أخذه الله تعالى من كل الأنبياء، وأوضحه سبحانه وتعالى في سورة آل عمران حيث قال:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّين لَمَآ ءَاتَيْتُكُمْ مِّن كِتَاب وَحِكْمَة ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۞ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران:٨٢-٨٣)

ويتبين من هاتين الآيتين الكريمتين أن الله تعالى قد أخذ من النبيين.. جميع النبيين.. ميثاقا أطلق عليه اسم ميثاق النبيين. وهنا يجدر التنويه بأنه حين يأخذ الله من النبيين ميثاقا فإنه يُلزم به أتباعهم أيضا، ولهذا يحذر الله تعالى أولئك الأتباع.. أنه إن لم يلتزموا بهذا الميثاق فإنهم سيكونون من الفاسقين: ﴿فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. ومن طبائع الأمور ومنطقها أن الأنبياء لا يتولون عن الوفاء بميثاقهم مع الله ولا يخلفون عهودهم معه، فلا يمكن أن يكون منهم الفاسقون. ولكن أمم الأنبياء هم الذين يحتمل أن يتولوا عن الالتزام بذلك الميثاق، فحذرهم الله تعالى أن من يتولى منهم عن الميثاق فأولئك هم الفاسقون.

ثم نعود إلى الميثاق لنفهم شروطه والتزاماته. ففي هذا الميثاق.. ميثاق النبيين.. يقول تعالى إنه إذا أنزل على الأنبياء وعلى أممهم الكتاب والحكمة، ثم جاءهم رسول من عند الله تعالى مصدق لما معهم، فإن من واجبهم الذي يُلزمهم به الله تعالى أن يؤمنوا بذلك الرسول إيمانا أكيدا، وينصروه نصرا معززا، وأن الذي يتولى عن هذا الالتزام يكون من الفاسقين.

وتحقيقا لهذا الميثاق كان كل نبي يقوم بإبلاغ قومه عن الرسول المقدّر في علم الله تعالى أن يأتي إلى قومه، ويبلغهم على وجه الخصوص عن سيدنا محمد ﷺ الذي سوف يبعثه الله تعالى إلى كل الأقوام. وحيث إن رسول الله ﷺ كان هو صاحب الشريعة التي تنسخ كل شريعة أخرى، وهو صاحب الدين الذي لايقبل الله دينا سواه، لذلك فقد أخبر كل نبي قومه عن صفات وعلامات

ذلك النبي الأعظم، حتى إذا جاء زمن رسول الله ﷺ استطاع أتباع كل الأنبياء السابقين أن يتعرفوا عليه ويتبعوه ويدخلوا في طاعته. ولما كانت جميع أنواع النبوات السابقة قد انتهت بمبعث رسول الله ﷺ، ولم يبق منها سوى ذلك النوع الفريد من النبوة غير التشريعية وغير المستقلة.. أي النبوة التابعة لنبوة رسول الله ﷺ، فقد قدّر الله تعالى أن يأخذ هذا الميثاق.. ميثاق النبيين.. من رسول الله ﷺ حتى يلتزم به أتباعه متى جاء ذلك المبعوث المنتظر.. في آخر الزمان. ولهذا فقد أدّى الرسول ﷺ الأمانة، وبلغ الرسالة، وأخبر قومه عن المسيح الموعود والإمام المهدي المنتظر، وأمرهم أن من يلق منهم ذلك الإمام فليُقرؤه منه السلام، وحثهم على أن يأتوه ويبايعوه ولو حبوا على الثلج، وذلك تحقيقا لميثاق النبيين الذي يلزمهم بأن يؤمنوا به وينصروه.

ولا يخفى على الملمين باللغة العربية أسلوب التأكيد الذي استعمله الله تعالى بشأن هذا الميثاق في قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾، وهو كما لا يخفى على من له إلمام ومعرفة بأساليب اللغة العربية.. أنه قمة أسلوب التأكيد.. حيث استعمل الله تعالى "لام" التأكيد و "نون" التأكيد في كل من فِعْلي الإيمان والنصر ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾. وهذا للدلالة على أهمية الإيمان بذلك المبعوث وضرورة نصرته، وإن أي تقصير في هذا الإيمان والنصر، إنما هو بمثابة تولٍ وانصراف عن الإلتزام بهذا الميثاق، مما يؤدي إلى الفسوق.

ويزعم بعض المفسرين أن هذا الميثاق.. ميثاق النبيين.. قد أخذه الله تعالى من جميع الأنبياء السابقين فقط، وأن غرض هذا الميثاق هو الإيمان برسول الله حين مجيئه، وعلى ذلك فإن هذا الميثاق في رأيهم لم يؤخذ من رسول الله ﷺ لأنه حسب زعمهم لن يأتي بعده نبي ولا رسول، وبالتالي فليس هناك حاجة لأخذ هذا الميثاق منه أو من أتباعه.

ولكن كتاب الله الحكيم يُكذب هذا الزعم وينقضه، ويؤكد على أن الله قد أخذ من النبيين ميثاقهم، ثم يذكر.. للتأكيد.. أسماء الأنبياء من أولي العزم

الذين أخذ الله منهم ذلك الميثاق على وجه الخصوص، فيقول تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّين مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۞ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب:٨-٩)

ويشير اللفظ ﴿مِنْكَ﴾ بدلالة قاطعة إلى الرسول ﷺ تأكيدا على أن هذا الميثاق قد أخذه الله تعالى أيضا من الرسول ﷺ وبالتالي فقد التزم به أتباعه.

وحين يتضح الحق.. فإن أصحاب النفوس السوية يسارعون إلى قبوله والالتزام به، وأما الذين في قلوبهم مرض فإنهم يحاولون الهروب من الحق وانكاره، ولذلك فإن بعض الناس يزعم أن ميثاق النبيين الذي ذكره الله تعالى في سورة آل عمران، يختلف عن الميثاق الذي أخذه من النبيين وذكره في سورة الأحزاب. وللرد على هؤلاء نقول: إن مادة كلمة (ميثاق) وردت ٢٥ مرة في الكتاب العزيز، وكلمة (النبيين) وردت ١٦ مرة، ولكن كلمة (ميثاق) وكلمة (النبيين) لم يقعا سويا في الكتاب العزيز كله سوى مرتين اثنتين فقط.. مرة في سورة آل عمران ومرة في سورة الأحزاب، أي أن الله تعالى لم يتحدث بتاتا عن ميثاق النبيين، و لم يذكر شيئا بالمرة عن ميثاق النبيين، في كل آيات وسور القرآن الكريم، سوى في هذين الموضعين فقط. فمن يزعم أن ميثاق النبيين المذكور في سورة آل عمران يختلف عن ميثاق النبيين المذكور في سورة الأحزاب، فإن عليه يقع عبء إثبات ذلك الاختلاف. فإن لم يفعل.. ولن يستطيع أحد أن يثبت ذلك.. فليتق الله ربه، وليكن على حذر، حتى لا يُعدّه الله تعالى من الفاسقين.

* * *

وقبل الانتهاء من هذا المبحث، يجدر بنا أن نتناول بالشرح تلك الأحاديث التي قد يفهم منها البعض بطريق الخطأ انتهاء النبوة بجميع صورها وأشكالها. كذلك يجدر بنا التنويه بأهمية القاعدة المتفق عليها وهي أن آيات القرآن الكريم

يقينية قطعية الثبوت، ولا شيء يساويها في قطعيتها، ولا حديث يجاريها في يقينيتها. وإذا صادفنا حديثا منسوبا لرسول الله ﷺ ولكن يبدو أنه يتعارض أو يختلف مع آيات القرآن، فعلينا أن نفسر الحديث بما يتفق مع القرآن، لا أن نفسر القرآن بما يتفق مع الحديث. أما إذا كان من المستحيل التوفيق بين القرآن والحديث.. فالواجب يحتم علينا أن ندع الرواية جانبا ونأخذ بما يقوله القرآن، لأن للقرآن الأولوية والأسبقية فوق أي حديث آخر، ولأن كل حديث يختلف ويتعارض مع آيات الذكر الحكيم.. هو حديث حتما مكذوب، لأن رسول الله ﷺ.. وهو الذي لا ينطق عن الهوى.. لا يمكن أن يقول شيئا مخالفا أو معارضا لكلام الله تعالى.

ومن الأحاديث التي كثيرا ما يجيء ذكرها في هذا المجال قول رسول الله ﷺ: "لا نبي بعدي". ومن المعروف أنه قال ذلك حين أراد الخروج لغزوة تبوك واستخلف سيدنا علي بن أبي طالب على المدينة أثناء غيابه. وقد كان سيدنا عليّ رضي الله عنه حزينا لحرمانه من التواجد في الصفوف الأولى للقتال مع رسول الله ﷺ، وأظهر اكتئابه لتخلفه مع النساء والأطفال، فأراد الرسول أن يُسَرّي عنه فقال له: "يا عليّ.. أما ترضى أن تكون مني بمنْزلة هارون من موسى.. غير أنه لا نبي بعدي". (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) وفي رواية أخرى قال ﷺ: "إلا أنك لست بنبي." (مجمع الزوائد، كتاب المناقب، أبواب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه باب جامع في مناقبه رضي الله عنه)

وبدون فهم الظروف التي قيلت فيها هذه الجملة.. فإنها تبدو للوهلة الأولى كأنها غير مترابطة، إذ يقارن الرسول ﷺ في أول الجملة منْزلة هارون من موسى ويماثلها بمنْزلة عليّ منه، ثم يقول إنه لا نبي بعده. وإن المرء ليعجب من إقحام موضوع عدم وجود أنبياء بعد رسول الله في موضوع المقارنة بين منـــزلة عليّ من الرسول وتماثلها بمنـــزلة هارون من موسى. ولكن العجب يزول ويختفي حين نعرف أن كلا من موسى وهارون عليهما السلام كان

نبيا، وأن موسى حين استخلف هارون.. خلفه هارون أثناء غيبته وهو نبي. وقد أراد رسول الله ﷺ أن يُوَضح وجه المماثلة في استخلافه لعليّ كرم الله وجهه.. واستخلاف موسى لهارون عليهما السلام، فبيّن ﷺ أن وجه المماثلة ينحصر في عملية الاستخلاف نفسها، ولكنه لا ينسحب على المماثلة بين نبيين، أو كون عليّ قد صار نبيا بعد خروج الرسول إلى تبوك.. كما كان هارون نبيا بعد خروج موسى لميقات ربه. ومن هنا جاءت الجملة: "غير أنه لا نبي بعدي".. لتوضيح أن عليا رضي الله عنه لن يكون نبيا بعد خروج الرسول ﷺ. فليس المقصود هنا أبدا نفي النبوة بجميع صورها وأشكالها بعد بعثة رسول الله ﷺ. وسياق الحديث يدل بوضوح على أن "البعدية" المذكورة هنا هي بعدية محدودة، وهي تشير إلى ما بعد خروج الرسول ﷺ إلى تبوك وليست هي البعدية المطلقة. وهذه البعدية المحدودة ذكرها القرآن في حق موسى عليه السلام في قوله تعالى:

﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (طه:٨٦)

فالفتنة التي وقع فيها قوم موسى.. من بعده.. إنما كانت من بعد ذهابه لميقات ربه واستخلافه هارون عليه السلام، وليس من بعد انتهاء حياته أو من بعد وفاته. وكذلك.. الجملة التي جاءت في حديث رسول الله ﷺ: "غير أنه لا نبي بعدي" تشير البعدية فيها إلى ما بعد ذهابه إلى تبوك واستخلافه سيدنا عليّ رضي الله عنه، ولا تشير إلى ما بعد حياته إلى يوم القيامة.

ومن الأحاديث التي تُذكر كذلك في هذا المجال قوله ﷺ: "إني آخر الأنبياء."

وهنا أيضا لا بد من فهم سياق الحديث حتى يمكن فهم المقصود من هذه العبارة. وقد ورد في هذا الشأن قوله ﷺ: "فإني آخر الأنبياء ومسجدي هذا آخر المساجد." ويتضح من هذا السياق أن الأخروية المذكورة هنا ليست

أخروية مطلقة، وإنما هي أخروية تختص بالدين وبالشريعة. فحيث إن الدين الإسلامي هو آخر الأديان، وشريعة القرآن هي آخر الشرائع، يكون رسول الله ﷺ هو آخر ذلك النوع من الأنبياء الذي يأتي بدين من عند الله، والذي يأمره الله تعالى بشرع جديد للناس. وبهذا المفهوم يكون رسول الله ﷺ هو آخر الأنبياء المشرعين وليس آخر الأنبياء على الإطلاق، بل إذا حدث وجاء للأمة نبي فإنه يأتي تابعا له، ملتزما بشريعته، طائعا لسُنته. وللتأكيد على هذا المعنى أضاف الرسول ﷺ قوله: "ومسجدي هذا آخر المساجد"، وهو لا يعني بالطبع أن مسجده هو آخر المساجد التي تُبنَى على الإطلاق، وإنما هو النمط الأخير للمساجد التي يُعبد الله تعالى فيها، وإذا حدث أن بُني مسجد آخر بعده فإنه لا بد أن يُبنى على نفس نمط مسجد رسول الله ولا يكون مخالفا أو مغايرا له. وبالتالي فإنه إذا جاء نبي.. فإنه لا بد وأن يكون تابعا لرسول الله ﷺ، ولا يكون مخالفا أو مغايرا له.

ومن الأحاديث التي كثيرا ما يأتي ذكرها في هذا المجال ما أخرجه الشيخان عنه ﷺ أنه قال: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين." (البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ)

وقد فهم بعض المفسرين قوله ﷺ: "وأنا خاتم النبيين" على أنه يعني كونه آخر الأنبياء الذي لا يأتي بعده نبي على الإطلاق. ولكن سياق الحديث يدل على أن رسول الله ﷺ كان يتحدث عن بيت الشريعة أو بيت الدين الذي كان يضيف إليه كل نبي لبنة، ولكن ظل هذا البيت ناقصا إلى أن جاء سيد الخلق صاحب أكمل الشرائع فاكتمل البيت على يديه، وبلغ الدين إلى منتهاه، فلا أحد يستطيع أن يضيف بعده شيئا، ولا حاجة لنبي يُغير من ذلك البيت الذي اكتمل بناؤه.

وإذا افترضنا أن جملة "خاتم النبيين" تعني آخر الأنبياء ونهايتهم.. فهي تعني أن رسول الله ﷺ هو آخر الأنبياء الذين آتاهم الله شرعا لاستكمال بناء بيت الدين، أما وقد اكتمل بناء البيت.. فلا يأتي بعد رسول ﷺ نبي بشرع آخر إلى يوم القيامة. وأما النبي التابع لشرع رسول الله، فهو لا ينقض ذلك البيت ولا يغير من شكله وأركانه، وإنما يجدد البناء فيبدو جميلا جذابا، بعد أن علاه تراب الخلافات الدينية، وشوهته أوساخ الإسرائيليات والروايات الدخيلة، وغير سوء الفهم من شكله وجماله.

ومن المعروف في اللغة العربية أن هذا التركيب: "خاتم النبيين" إنما يستعمل للمدح وبيان فضل الموصوف وعلو درجته ورفعة مقامه، ولكنه لا يدل بتاتا على أنه الآخر أو النهاية، اللهم إلا إذا كان يعني آخر الدرجة عُلوًا ونهاية المقام رفعةً، ولذلك فقد ذكره رسول الله ﷺ في سياق تفضيله على سائر الأنبياء فقال: "فُضلت على الأنبياء بست: أُوتيتُ جوامع الكلم ..... وأُرسِلتُ إلى الخلق كافة وبيَ خُتم النبيون."

وفي حديث آخر خاطب فيه عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: "أنا خاتم الأنبياء وأنت يا عليّ خاتم الأولياء" (التفسير الصافي عن آية خاتم النبيين ص١١١). ومن الواضح أن رسول الله ﷺ يذكر هنا هذا التركيب ليدل على الأفضلية والنهاية في المقام، وليس النهاية في الزمن، إذ لم يقل أحد أن هذه الأمة سوف تخلو من وجود الأولياء بعد عليّ رضي الله عنه.

وقد استعمل العرب وعلماء المسلمين هذا التركيب على سبيل المدح لبيان التفضيل وليس لبيان النهاية الزمنية، فقال الشاعر:

فُجعَ القَرِيضُ بخَاتَمِ الشُّعَرَاءِ وَغَدِيرِ رَوْضَتِهِ حَبِيب الطَّائِي

وهنا يُوصَف الشاعر حبيب الطائي بأنه خاتم الشعراء، وهو أسلوب لبيان التفضيل، وليس لبيان أنه آخر الشعراء الذي لا يمكن أن يأتي بعده شاعر إلى يوم القيامة. وكذلك استعمل علماء المسلمين تعبير: خاتم المفسرين، خاتم

المحققين، خاتم المجتهدين، ووُصف ابن سيناء بأنه خاتم الأطباء، وكلها أساليب تدل على أن الموصوف هو أكمل الموصوفين، ولا تدل أبدا على أنه آخرهم ونهايتهم من حيث الزمان. ولعل السيدة عائشة رضي الله عنها، قد أدركت بثاقب بصرها ما يمكن أن تثيره جملة "لا نبي بعدي" من سوء فهم فقالت: "قولوا إنه خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده" (تكملة مجمع بحار الأنوار ص٨٥). وهذه الجملة التي وردت في ذلك الكتاب منذ مئات السنين، ليست بالطبع من تأليف أو وضع الجماعة الإسلامية الأحمدية، وإنما ذكرها مؤلف الكتاب نقلا عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، وهي تدل بدلالة واضحة على أن معنى "خاتم النبيين" لا يعني بتاتا أنه لا نبي بعده أبدا على الإطلاق إلى يوم القيامة.

كذلك.. حين مات ابراهيم ابن رسول الله ﷺ، وكان ذلك بعد خمس سنوات من نزول سورة الأحزاب التي وُصف فيها رسول الله بأنه ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، حدث أن قال رسول الله ﷺ: "لو عاش إبراهيم لكان صديقا نبيا" (ابن ماجه- كتاب الجنائز). وقد فسر العلماء قول رسول الله عن إبراهيم بأنه لو كان قد عاش وصار نبيا لكان نبيا تابعا لشرعه، وبهذا لا تكون نبوته ناقضة لقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، إذ أن المقصود من هذا التعبير هو ألا يكون بعده نبي ينسخ شرعه أو لا يكون من أتباعه ولا من أمته. (راجع كتاب موضوعات كبير ص٦٩ للإمام ملا علي القاري).

وقد أخذ بهذا الرأي والتفسير الكثير من علماء الأمة الإسلامية، وعلى ذلك فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية لم تنكر ما عُرف من الدين بالضرورة، ولم تخرج على أي إجماع للأمة، ولم تبتدع رأيا شاذا لم يقل به أحد غيرها، وفيما يلي بعض الآراء التي تتفق مع رأي الجماعة الإسلامية الأحمدية، والتي أعلنها علماء الأمة في الأزمان الغابرة، قبل أن يبعث الله تعالى سيدنا أحمد عليه السلام.

يقول محي الدين بن العربي:

"فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله ﷺ إنما هي نبوة التشريع لا مقامها، فلا شرع يكون ناسخا لشرعه ﷺ، ولا يزيد في حكمه شرعا آخر، وهذا معنى قوله ﷺ إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي، أي لا نبي بعدي يكون على شرع يخالف شرعي، بل إذا كان.. يكون تحت حكم شريعتي، ولا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرع يدعوهم إليه، فهذا هو الذي انقطع وسُدّ بابه، لا مقام النبوة." (الفتوحات المكية - المجلد الثاني- ص ٣)

وجاء في كتابه "فصوص الحكم" صفحة ١٣٤-١٣٥:

"وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة، وفي محمد ﷺ قد انقطعت، فلا نبي بعده يعني مُشرّعا أو مُشرّعا له، ولا رسول وهو المشرّع، دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة. ألا إن الله لَطَفَ بعباده، فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها، وأبقى لهم التشريع في الاجتهاد."

ويقول الإمام عبد الوهاب الشعراني في كتاب "اليواقيت والجواهر" صفحة ٣٩:

"اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد ﷺ، إنما ارتفع نبوة التشريع فقط، فقوله ﷺ لا نبي بعدي ولا رسول بعدي أي ما ثم من يُشرّع بعدي شريعة خاصة".

ويقول عبد الكريم الجيلاني في كتابه "الإنسان الكامل" ص ١١٥:

"فانقطع حكم نبوة التشريع بعده، وكان محمد ﷺ خاتم النبيين، لأنه جاء بالكمال ولم يجئ أحد بذلك."

ويقول المحدث شاه ولي الله الدهلوي في كتاب "التفهيمات الإلهية" الجزء الثاني:

"وخُتم به النبيون.. أي لا يوجد بعده من يأمره الله سبحانه بالتشريع على الناس".

ويقول محي الدين بن العربي في كتابه "الفتوحات المكية" الجزء الثاني، باب

:٧٣

"فإن النبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق، وإن كان التشريع قد انقطع، فالتشريع جزء من أجزاء النبوة".

وقال الإمام مُلاّ على القاري في كتاب "الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة" ص ١٩٢:

"قلت، ومع هذا لو عاش إبراهيم وصار نبيا، وكذا لو كان عمر نبيا لكان من أتباعه عليه الصلاة والسلام، كعيسى والخضر وإلياس عليهم السلام، فــلا يُناقض قولَه تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، إذ المعنى أنه لا يأتي نبي بعده ينسخ ملته ولم يكن من أمته".

وفي كتاب "الفتوحات المكية" الجزء الأول ص٥٧٠:

"فقطعنا أن في هذه الأمة من لحقت درجته درجة الأنبياء في النبوة عند الله لا في التشريع".

وجاء ما يلي للعلامة جار الله في كتاب: "حروف في أوائل السور" ص ١٣٢:

"ومعنى هذه الآية الكريمة الثالثة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ﴾ رسولا من الأميين، وبعث في آخرين رسلا من آخرين، فكل أمة لها رسول من نفسها، وهؤلاء الرسل هم رسل الإسلام في الأمة، مثل أنبياء بني إسرائيل هم رسل التوراة في بني إسرائيل".

وقال الزرقاني في شرح المواهب اللدنية الجزء الثالث ص ١٧١:

"قال القاضي أبو بكر بن العربي قال علماؤنا سُمي سراجا لأن السراج الواحد يؤخذ منه السرج الكثيرة، ولا ينقص من ضوئه شيئا".

وجاء في كتاب "إكمال الدين" ص٣٧٥:

"فالهداة من الأنبياء والأوصياء لا يجوز انقطاعهم ما دام التكليف من الله عز وجل لازما للعباد".

وجاء في كتاب: "الصافي في شرح الأصول الكافي"، الجزء الثالث الفصل الثاني ص١٤٢:

"عن أبي الحسن عليه السلام قال ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولا إلاّ بنبوة محمد ووصية علي". يقصد بأبي الحسن الإمام أبو الحسن موسى الكاظم.

ويتضح من المراجع المذكورة أن هذا المعنى يشترك فيه كل من علماء أهل السُنة وعلماء أهل الشيعة على السواء، وهذا الشرح والتفسير الذي جاء به علماء المسلمين من قبل، هو نفس الشرح والتفسير الذي تأخذ به الجماعة الإسلامية الأحمدية، كما بيّنه سيدنا الإمام المهدي عليه السلام.. وهو الإمام الحكم العدل الذي أقامه الله تعالى ليفصل في كل القضايا الخلافية بين المسلمين، فأية غرابة في هذا الرأي؟ ولماذا لا يقبله علماء هذا الزمان فيكونون سببا لهداية الناس، بدلا من تكفيرهم وإخراجهم من الإسلام؟

* * *

ولعل السؤال الذي قد يطرأ على بال بعض القراء هو: لماذا لا يكون التعبير: "خاتم النبيين" يعني نهاية جميع أشكال النبوة على الإطلاق؟ ولماذا لا يكون رسول الله ﷺ هو آخر النبيين فعلا ولن يأتي بعده نبي آخر إلى يوم القيامة؟

والإجابة البسيطة على مثل هذا التساؤل هو أن ذلك يتعارض مع ما قال به الرسول ﷺ، ويخالف ما ذكره القرآن الكريم. وقد رأينا فيما سبق بعض الآيات الكريمة التي تدل على استمرار نوع فريد وخاص من النبوة غير التشريعية التابعة لنبوة محمد ﷺ، كما أوضح رسول الله ﷺ بكل جلاء مجيء الإمام المهدي والمسيح الموعود وذكر أنهما شخص واحد بقوله: "لا مهدي إلا عيسى" (ابن ماجه)، وبقوله: "يوشك أن ينـــزل المسيح.... إماما مهديا وحكما عدلا...." (مسند احمد بن حنبل). ثم وصف رسول الله ﷺ المسيح الموعود بأنه "نبي الله" أربع مرات في حديث طويل ذكره الإمام مسلم في صحيحه، وقد أجمع علماء المسلمين على أنه حين يأتي المسيح الموعود فإنه

سيكون نبيا تابعا لشريعة محمد ﷺ، ولكنهم اختلفوا.. فمنهم من قال إن ذلك المسيح الموعود هو رجل من الأمة الإسلامية، يشابه عيسى بن مريم في الفضل، ويماثله في الأحوال الخصال والصفات، ولذلك يُطلق عليه اسمه.. وهذا هو الرأي الذي تؤيده الجماعة الإسلامية الأحمدية. والبعض من العلماء ظن أن الشخص الموعود هو نفس عيسى بن مريم، الذي ذكر عنه القرآن أنه كان رسولا إلى بني إسرائيل، وهنا اختلف العلماء في شأنه.. فمنهم من قال إنه لم يمت وإنه صعد إلى السماء وإنه سينـــزل منها، ومنهم من قال إنه مات ولكن الله سوف يحييه مرة أخرى. وكل هذه الآراء تُعارض كتاب الله الفرقان كما أوضحنا في المبحث الأول عن وفاة المسيح ﷺ.

* * *

بقي سؤال نريد أن نهمس به في أذن أخواننا من المسلمين الذين يناصبوننا العداء، ويصموننا بالكفر والفسوق والخروج من الإسلام، ويعلم الله أننا بُرآء من كل ما يصفون.

إننا نقول لهم:

نحن وأنتم نؤمن أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..

ونؤمن أنه من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين..

ونؤمن أن كتاب الله القرآن هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه تنزيل العزيز الحميد..

ونؤمن أن شريعة الإسلام هي آخر الشرائع وأعظمها وأكملها..

ونؤمن أن سُنة رسول الله ﷺ واجبة الاتباع وملزمة لكل الأمة..

ونؤمن أن رسول الله ﷺ هو آخر الأنبياء الذين آتاهم الله شرعا..

ونؤمن أنه لا يمكن أن يأتي بعد رسول الله نبي أو رسول بشرع يخالف

شرع الإسلام..

ونؤمن بأنه لا يمكن أن يختار الله أحدا لمقام النبوة دون أن يكون من أتباع ذلك النبي الأعظم ﷺ..

كل ذلك نشترك نحن وأنتم سويا في الإيمان به..

والبعض منكم يقول بمجيء نبي في آخر الزمان سبق إرساله إلى بني إسرائيل هو عيسى بن مريم عليه السلام..

والبعض منكم ينفي مجيء أي نبي على الإطلاق..

ونحن نقول إن نبي آخر الزمان هو نفسه الإمام المهدي وهو رجل من أتباع محمد ﷺ ومن أمته..

فإذا وضعنا هذا الخلاف جانبا، وافترضنا.. مجرد افتراض.. أن الله قد بعث فعلا رجلا من أتباع محمد ﷺ ومن أمته.. وأعلن هذا الرجل للعالم أجمع أن الإسلام هو الدين المقبول عند الله تعالى ولا من دين سواه.. وأن الرسول ﷺ هو أفضل وأعظم الرسل أجمعين، وقد بعثه الله رحمة للعالمين، وأنه لا نجاة لأحد إلا إذا كان من أتباعه المخلصين، وأن كتاب الله القرآن هو الكتاب الحق الذي يقود المرء إلى صادق الإيمان، ويهدي السالك إلى سبيل الرحمن، ولا نجاح ولا فلاح لأحد بغير الاهتداء بهدي ذلك الكتاب الفرقان..

فهل بعثة ذلك الرجل تكون خيرا للإسلام ونصرا له أم تكون شرا له وطعنا فيه؟

أفيدونا.. وخبرونا.. لماذا إذن تُعادوننا؟

إذا افترضنا.. مجرد افتراض.. مجيء ذلك النبي الذي يدعو الناس جميعا من كل الأديان إلى الإيمان بنور الإسلام.. ويقول إن الإسلام وحده هو الدين القويم.. وإن رسول الله ﷺ هو الرسول الرؤوف الرحيم.. وإن كتاب الله الفرقان هو الكتاب الوحيد الذي يهدي للتي هي أقوم ويرشد المؤمنين إلى الصراط المستقيم..

فهل مجيء ذلك النبي يُنقص من شأن الإسلام أم يرفع من قدر ذلك الدين العظيم؟

أفيدونا.. وخبرونا.. لماذا إذن تُعارضوننا؟

إذا افترضنا.. مجرد افتراض.. مجيء نبي يقول إنني ما بلغت هذا المقام، وما اختارني الله تعالى نبيا إلا لأني التزمت بطاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله الأكرم ﷺ، ولو كانت أعمالي مثل الجبال، ولو بلغت تلك الأعمال من السمو ما بلغته قمم الجبال الشاهقة.. ولم أكن من أتباع رسول الله ﷺ لما أفادتني كل تلك الأعمال، ولما حققت شيئا، لأني لم أصل إلى ما وصلت إليه إلا بفضل من الله تعالى، وبفضل التزامي واتباعي لسُنة رسوله الأعظم والأكمل ﷺ..

فهل مجيء ذلك النبي يُنقص من شأن رسول الله ﷺ أم يدل على علو شأنه وسمو مقامه؟

أفيدونا.. وخبرونا.. لماذا إذن تُكفروننا..

إن هذا هو بالضبط ما قاله الإمام المهدي مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية.. الذي بشّرنا رسول الله ﷺ بمجيئه، وحث المسلمين على مبايعته واتباعه، لأنه يسير على درب رسول الله ﷺ، فطريقه هو طريق الرسول الكريم، وصراطه هو الصراط المستقيم، وسبيله هو سبيل الحق القويم، فطوبى لمن عرف الحق ونال اليقين، واتبع داعي الله وكان من المؤمنين المخلصين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

المبحث الثالث

صدق الإمام المهدي عليه السلام

حين يُطرح موضوع صدق الإمام المهدي للبحث والمناقشة.. نسمع الكثير من الآراء التي تذكر أعمالا معينة يقوم بها الإمام المهدي، حسب ما جاء في العديد من الأحاديث النبوية. وهناك صورة عامة مرسومة في أذهان الناس، مستخلصة من مجموعة الأحاديث التي وردت في هذا الشأن عن الإمام المهدي والمسيح الموعود في آخر الزمان. ورغم وجود الكثير من التناقضات والاختلافات في هذه الأحاديث.. إلا أن الصورة المتوقعة للإمام المهدي بصفة عامة تكاد تكون واحدة، وهي أنه سوف يقود المسلمين ويحكم الدنيا، ويحارب الكفر وينتصر عليه، ويفيض المال في زمانه حتى لا يقبله أحد، وأنه سوف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. وعلى ذلك.. إذا جاء من يدّعي أنه الإمام المهدي، و لم ير الناس وقوع هذه الأمور على يديه.. فإنه يوصم بالكذب والدجل والافتراء، ولا يهتم أحد بالنظر في دعواه أو الاستماع إلى قوله وبرهانه.

هذا المسلك الذي يسلكه أكثر الناس في هذا الشأن يجانبه الصواب، وهو حتما لا يقود الإنسان إلى معرفة الحق بل يقود إلى الضلال، وذلك لأن هذا المسلك يعتمد على معيار واحد فقط، ويتناسى معايير أخرى أكثر أهمية. هذا المسلك يبحث في دليل واحد فحسب، ويتغاضى عن دلائل أخرى أكثر دقة. هذا المسلك يحصر اهتمامه في مظهر واحد، ويهمل مظاهر أخرى أكثر وضوحا.

ولتوضيح الأمر نسوق مثالا للتجارب التي يقوم بها التلاميذ في المدارس للتعرف على مسحوق من المساحيق مجهولة الهوية. فإذا أُعطى التلميذ مسحوقا أبيض، وطُلب إليه تعريف هذا المسحوق فيمكن القول بأنه طحين القمح،

وذلك بالاعتماد على شكله ولونه الظاهري فقط، دون استخدام وبحث وتطبيق التجارب التأكيدية الأخرى، التي تحدد بالضبط وبكل دقة نوعية هذا المسحوق. بينما إذا حاول التلميذ الاستعانة بكل هذه التجارب الأخرى، لتبين له أن المسحوق الأبيض ليس سوى مسحوق الطباشير، أو ملح مطحون، أو رمل مصحون، أو حجر الرخام الأبيض المسحوق. وهذا هو خطأ الاعتماد على صفة واحدة فقط وإهمال الصفات الأخرى، وعدم الأخذ بكل التحليلات اللازمة للتأكد من نوعية المسحوق المجهول. وهذا بالضبط هو نفس المسلك الذي يسلكه الناس عامة في الاعتماد على مظهر واحد، أو دليل واحد، من أدلة صدق الإمام المهدي، دون الاعتداد بكل الأدلة الأخرى، وبغير اعتبار للمعايير المتعددة التي لا بد من أخذها في الاعتبار حتى نصل إلى الحقيقة كاملة.

إن الأمم السابقة التي ضلت طريقها، ورفضت الإيمان بالأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى إليها، إنما كان ضلالها بسبب نفس هذا المسلك الذي اتبعته تلك الأمم فيما مضى، والذي يتبعه عامة المسلمين اليوم في موضوع الإمام المهدي. إن الأمم السابقة اعتمدت على تحقق بعض النبوءات بصورة معينة، رسموها في أذهانهم، وتخيلوا تحققها حسب تصورهم، فلما لم تتحقق توقعاتهم بالصورة التي تخيلوها.. رفضوا الإيمان برسلهم فضلوا الطريق.

ونسوق مثالا لهذا ما حدث عند بعثة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إلى اليهود.. إذ كان الناس في ذلك الوقت يعيشون في ظروف مشابهة تماما للظروف التي يعيشها المسلمون اليوم، وكان في كتبهم الكثير من النبوءات التي تتحدث عن مجيء المسيح الموعود به لهم، والمخَلِّص الذي كانوا في انتظاره. وكان اليهود يعيشون تحت احتلال الرومان كما كان المسلمون يعيشون تحت احتلال الدول الغربية. وكانت النبوءات تتحدث عن مخَلِّص يأتي ليقيم مملكة عظيمة لليهود، كما تتحدث النبوءات عن إمام مهدي يأتي ليقيم مملكة عظيمة

للمسلمين. كانت النبوءات عند اليهود تتحدث عن إمام يقود اليهود وينتصر على أعدائه وأعدائهم، وبالمثل هناك نبوءات عن إمام مهدي يقود المسلمين وينتصر بهم على أعدائهم. كانت النبوءات عند اليهود تتحدث عن إمام يأتي بالمال والثروة لليهود، وبالمثل هناك نبوءات تتحدث عن إمام مهدي يفيض المال في زمنه حتى لا يقبله أحد.

فماذا حدث في زمن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؟

لقد جاء المسيح المنتظر لليهود.. ولكنهم لم يؤمنوا به وحاولوا أن يقتلوه ويصلبوه!!

لماذا حدث هذا؟ كانت النبوءات موجودة، وكانوا يعرفونها، وكانوا في انتظار نبيهم الموعود، فماذا حدث؟

لم يحقق المسيح عليه السلام لليهود الصورة التي رسموها في أذهانهم عنه.. فرفضوا أن يؤمنوا به وكذبوه.

كان اليهود ينتظرون مخلّصا يقيم لهم مملكة عظيمة فجاءهم عيسى بن مريم عليه السلام يقول لهم: مملكتي ليست من هذا العالم. لقد تصوروا من النبوءات التي كانت بين أيديهم أن المسيح سيقيم لهم مملكة عظيمة في هذا العالم لأنهم فسروا تلك النبوءات تفسيرا حرفيا، وفهموها على أنها تعني مملكة مادية في هذه الدنيا، فجاء هو ليقول إن المملكة الموعودة هي مملكة الآخرة، التي يبنيها الإنسان في هذه الدنيا بأعماله الصالحة.

كان اليهود ينتظرون ملكا يقودهم في الحرب لقتال أعدائهم الرومان.. فجاءهم عيسى بن مريم يدعو إلى السلام ويقول أحبوا أعداءكم، وصلوا من أجل المسيئين إليكم.

كان اليهود ينتظرون قائدا ينتقم من أعدائهم ويقضي عليهم، فجاءهم عيسى عليه السلام يقول من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر.

كان اليهود ينتظرون نبيا يحررهم من ذل العبودية للحكم الروماني،

فجاءهم عيسى عليه السلام ليحررهم من ذل العبودية للإثم والمعصية.

كان اليهود ينتظرون مخَلِّصا يخلصهم من دفع الضرائب، التي كان يفرضها عليهم قيصر وكانت تثقل كاهلهم، فجاء المسيح عليه السلام يقول لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

كذلك كان اليهود ينتظرون نزول إلياس النبي من السماء قبل أن يأتي المسيح المنتظر، فجاء المسيح عليه السلام يقول لهم إن يوحنا (يحيى عليه السلام) الذي وُلد على الأرض، هو إيليا المزمع أن يأتي.

وهكذا كان عيسى بن مريم عليه السلام مخيبا لآمال اليهود.. لأنهم لم يجدوا فيه ما توقعوه، ولم يحقق هو لهم ما كانوا ينتظرونه، مما تصوروا أنه سوف يتحقق حسب مفهومهم وتفسيرهم لكل النبوءات التي كانت بين أيديهم.

وليس الخطأ من جانب عيسى عليه السلام، وإنما كان الخطأ من جانب اليهود، لأن النبوءات تحتمل تفسيرا حرفيا كما أنها تحتمل تفسيرا معنويا، وهم أخذوا بالحرفية وتمسكوا بها، فرفضوا الإيمان بالمخَلِّص الذي أرسله الله إليهم.. ولا يزالون حتى الآن في انتظار مسيحهم الموعود!

وحين جاء رسول الله ﷺ كان اليهود أيضا ينتظرون مجيئه، وكانوا يتوقعون أنه سوف يقودهم في الانتصار على أعدائهم من الأوس والخزرج، وكثيرا ما كان اليهود يتفاخرون بقرب ظهور الرسول الأعظم، ويقولون للأوس والخزرج إنهم سوف يطردونهم خارج يثرب حين يأتي زمان ذلك النبي العظيم. ولعل أقوال اليهود هذه كانت من العوامل التي شجعت الأوس والخزرج على الإيمان برسول الله ﷺ حين سمعوا به في مكة قبل أن يؤمن به اليهود حتى يكون لهم قدم السبق عليهم.

ولكن.. لماذا رفض اليهود قبول رسول الله ﷺ؟

لأنهم فسروا النبوءات التي تتحدث عن مجيء ذلك النبي العظيم تفسيرا خاطئا.

تقول إحدى تلك النبوءات:

"**أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به**" (سفر التثنية الإصحاح ١٨ فقرة ١٨)

فالنبوءة تتحدث عن نبي مثل موسى عليه السلام.. أي يأتي بشريعة من عند الله، ويجعل الله كلامه في فمه.. أي إنه لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى، وهو من إخوة بني إسرائيل .. أي من بني إسماعيل، ولكن اليهود فهموا هذه العبارة على أنها تنطبق على إخوتهم من بني إسرائيل وليس من بني إسماعيل، فكان أن ضلوا الطريق ورفضوا رسولهم الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

ويذكر لنا القرآن في هذا الشأن نبوءة على لسان عيسى بن مريم عليه السلام تختص برسول الله ﷺ.. إذ يقول تعالى في سورة الصف:

﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف:٧)

ولا شك أن "أحمد" هو اسم من الأسماء الصفاتية لرسول الله ﷺ ولكنه ليس اسمه الذي كان يناديه به الناس، وليس اسمه الذي ذكره الله تعالى في القرآن، وليس اسمه الذي أطلق عليه منذ مولده، وليس اسمه الذي جاء في كلمة الشهادة، وليس اسمه الذي يُذكر في الأذان وفي الإقامة.. إن ذلك الاسم هو محمد وليس أحمد. فلماذا ذكر عيسى بن مريم اسم صفة لرسول الله ﷺ ولم يذكر اسمه الحقيقي: محمد؟

إن النبوءات لا تتحقق أبدا بحرفيتها الواضحة الظاهرة، لأن النبوءات تتعلق بالغيب، والإيمان بالغيب جزء من متطلبات الإيمان.. والإيمان الحقيقي يُبنَى على الفكر والتدبر، ولذلك فقد جعل الله تعالى الإيمان بالغيب هو أول علامات المتقين، فقال في أول سورة البقرة:

﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾

أما قبول الحقائق الواضحة التي لا تتطلب الفكر والتأمل فلا يُسمَّى إيمانا، فلا يقول أحد إنه يؤمن بأن الشمس تطلع من المشرق وتغرب في المغرب.. فهذه حقيقة واضحة يعرفها كل الناس، ولا تتطلب الفكر أو التدبر، وإذا أنكر إنسان هذه الحقيقة فإنه لا يكفر بقضية إيمانية، ولا يسميه الناس كافرا، وإنما قد يقولون عنه إنه ناقص العقل. فالحقائق الواضحة لا يُثاب المرء عليها إذا قبلها، ولا يُعاقَب عليها إذا رفضها. وأما القضايا الإيمانية التي تتطلب الفكر وتقوم على التدبر، فهي التي يُثاب المرء على قبولها ويُعاقَب على إنكارها. ولنأخذ قضية وجود الله مثلا.. إن وجود الله من أعظم الحقائق، ومع ذلك فهو يتطلب إعمال الفكر ويُبنَى على التدبر، ولذلك فهو قضية إيمانية يُثاب المرء على الإيمان بها أو يُعاقب إذا أنكر وجود الله. ولكن لا يثاب المرء ولا يعاقب إذا صدق أو كذب مواعيد قيام القطارات أو مواعيد وصولها.. أو النشرات الجوية عن حالة الطقس.. حتى ولو كانت بظهر الغيب.. فهذه ليست قضايا إيمانية تتطلب الفكر والتدبر.

وعلى هذا.. إذا كانت جميع النبوءات التي تتعلق بمجيء نبي من الأنبياء، سوف تتحقق بنفس حرفيتها الظاهرة الواضحة.. لفقدت على الفور خاصيتها الإيمانية، ولصارت حقائق يصدقها الجميع.. الصالح منهم والطالح.. المؤمن منهم والكافر.. وبهذا فإنها لا تكون غيبا. فالغيب كما ذكرنا جزء من الإيمان، والإيمان يتطلب الفكر والتدبر. وحيث إن الأنباء والنبوءات التي تتعلق بمجيء مبعوث من عند الله هي فعلا جزء من الغيب.. فإنه من المحتم ألا تتحقق بحرفيتها الظاهرة الواضحة. وهذا هو ما حدث لليهود مع عيسى بن مريم عليه السلام، وهو نفس ما حدث عند بعث رسول الله ﷺ، وهو ما يحدث الآن عند بعث الإمام المهدي عليه السلام.

إن الخطأ في تفسير النبوءات التي تتعلق بالمستقبل أمر وارد، وقد وقع فيه الأنبياء أنفسهم.. الذين يتلقون تلك الأنباء الغيبية. ولنأخذ سيدنا نوحا عليه السلام

مثالا على ذلك.. لقد فهم من وعد الله بنجاة أهله من الغرق أن جميع أفراد أسرته سوف ينجـــون، فلما غـــرق ابنه قال لربه: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ (هود:٤٦) فأخبره الله تعالى أن وعد النبوءة ينطبق على أهله المؤمنين فقط، وأما غير المؤمنين فلا يُعَدّون من أهله فلا يشملهم الوعد. وهذا رسول الله ﷺ.. جاءته الأنباء من الله تعالى أنه سوف يهاجر إلى أرض بها نخيل، فظن أنه ذاهب إلى اليمامة بينما قضى الله تعالى أن يذهب إلى يثرب. كذلك رأى الرسول ﷺ في رؤيا أنه يدخل مع المؤمنين المسجد الحرام، ورؤيا الأنبياء وحي، وقد جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم حيث يقول تعالى:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ﴾ (الفتح:٢٨)

وذهب رسول الله ﷺ في كوكبة من أصحابه ليدخل مكة حسب الوعد المذكور، فمنعه أهل مكة. وأراد المسلمون الحرب معتمدين على حتمية تحقق النبوءة بالشكل الذي فهموه، ولكنه ﷺ عارض الحرب، وعقد معاهدة مع أهل مكة على العودة دون دخول مكة، وقال إن الله لم يحدد أن موعد تحقق النبوءة سيكون في ذلك العام أو في وقت لاحق.

وهكذا نرى أن الاعتماد على تحقق الأنباء الغيبية بشكلها الظاهر، وبحرفيتها الواضحة، قد يؤدي إلى الخطأ. والمسلك الأمثل في هذا الشأن هو أن نترك كيفية تحقق تلك الأنباء ومواعيد تحققها إلى الله ﷻ، فإنها في مجملها سوف تتحقق، ولكننا لا ندري كيفية تحققها، ولا نعرف زمن تحققها، ولا نعلم بأي شكل من الأشكال يمكن تحققها.

ومن هنا كان خطأ المسلك الذي يقوم برسم صورة معينة لكيفية تحقق تلك الأنباء الغيبية، وتطبيق هذه الصورة المتخَيلة على كل من يدّعي أنه المبعوث المنتظر.. هكذا فعل اليهود فضلوا.. وهكذا يفعل عامة المسلمين

اليوم.

كيف السبيل إذن لمعرفة مبعوث الله تعالى؟ وهل نقبل كل من يدّعي أنه الإمام المهدي؟ وهل نستجيب لكل من يقول أنه مبعوث من عند الله؟

كلا بالطبع. فهناك دلائل ومعايير ثابتة وعامة.. لا تتعلق بشخص معين، ولا تتوقف على تحقق نبأ ما بشكل أو بآخر، وهذه الدلائل والمعايير في عموميتها يمكن تطبيقها على جميع الأنبياء والرسل.. وخاصة على سيد الخلق أجمعين ﷺ. ومن هنا جاءت قوة هذه الدلائل، وثقل وزن تلك المعايير. فإن الدليل الذي يُثبت صدق رسول الله ﷺ لا بد وأنه يُثبت صدق كل نبي آخر، والمعيار الذي يحقق نبوة رسول الله ﷺ لا شك أنه يحقق كذلك نبوة أي مبعوث آخر.

وتزخر كتب الجماعة الإسلامية الأحمدية التي عالجت هذه الموضوعات بالكثير من تلك الدلائل والمعايير، وهناك الكثير من المطبوعات والشرائط المسموعة والمرئية التي تبحث في هذه النقاط الهامة، ويمكن لمن يريد بحث الأمر بتفصيله الرجوع إلى تلك المراجع، والتي يمكن طلبها من الجماعة التي انتشرت مراكزها الآن في مائة وخمسين دولة* من دول العالم، ونكتفي في هذا المبحث بأن نعرض ثلاثة أو أربعة من تلك الدلائل على القارئ الكريم.

حين يريد الله تعالى أن يختار أحد عباده لمقام النبوة.. فإنه سبحانه يُهيِّء المناخ الملائم، ويبني الأساس المتين لهذا الاختيار، حتى من قبل أن يولد ذلك العبد. ومنذ لحظة ولادته يتولاه الله تعالى بعنايته ورعايته، ويحفظه من كل شر، ويؤدبه بأدبه، ويقيه من ارتكاب السيئات والوقوع في المعاصي، ويُهَيء فكره وعقله لفعل الخيرات، ويحبب إليه الأمور الطيبة، ويُكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، ويطهر قلبه ووجدانه، ويمنحه القوة على تحمل المشاق، والقدرة على القيام بأعباء المسؤولية

* أما الآن في عام ٢٠٠٦م فقد توطدت الجماعة بفضل الله تعالى في ١٨٢ قطرا من أقطار العالم. (الناشر)

التي سيلقي بها على عاتقه، ويؤهله لأداء الأمانة التي سيضعها على أكتافه. هذا ما فعله الله تعالى مع موسى عليه السلام كما يقول تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي.... وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ۞ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه: ٤٠-٤٢)

وكما فعل الله تعالى مع موسى.. هكذا فعل أيضا مع سائر الأنبياء. وقد قال رسول الله ﷺ: "أدَّبني ربي فأحسن تأديبي" (كنـــز العمال المجلد ١١ الفصل ٣ في فضائل متفرقة تنبيء عن التحدث بالنعم..رقم ٣١٨٩٥) ولهذا فقد قال عنه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٥)، وقد أعده الله تعالى للمهمة الكبرى.. التي قام بها رسول الله ﷺ خير قيام.. فقال له في أول البعثة: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (المزمل:٦). وهكذا كانت حياة رسول الله ﷺ.. حتى قبل الدعوى.. قائمة على الطهر والصدق والأمانة وجميع مكارم الأخلاق.

وحين أمره الله تعالى بإعلان دعوته.. ذهب رسول الله ﷺ إلى جبل الصفا، ونادى على القبائل، فاجتمعوا إليه فقال: "لو أني أخبرتكم أن وراء هذا الجبل جيشا يريد أن ينقضّ عليكم فهل أنتم مصدقيّ؟ قالوا: ما عهدنا عليك كذبا.. فأنت الصادق الأمين. قال: فإني رسول الله إليكم". وهكذا استعمل رسول الله ﷺ هذا الدليل الذي يتعلق بطهارة حياته، واستقامة أمره، وصلاح خلقه، وقيامه على الصدق.. قبل إعلان الدعوى.. ليؤكد على قومه أنه مبعوث فعلا من عند الله.. وأن هذه الدعوى ليست كذبا أو افتراءً على الله تعالى.

وقد فعل رسول الله ﷺ هذا واستند إلى هذا الدليل الهام، امتثالا لأمر الله تبارك وتعالى الذي قال فيه:

﴿قُل لَّوْ شَآءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلآ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُـــرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (يونس:١٧)

وهنا يلفت الله تعالى أنظار المعارضين والمخالفين إلى طهارة حياة رسول الله ﷺ طوال فترة إقامته بين ظهرانيهم لمدة أربعين سنة من قبل الدعوى، وكيف أنه عاش هذا العمر الطويل دون أن ينطق بكذبة واحدة على أي مخلوق. وبالتالي.. فليس من المعقول أن من لا يكذب على إنسان طوال عمره.. يتحول فجأة بعد أن بلغ من العمر أربعين سنة.. ويكذب على الخالق ويقول افتراء عليه إنه يوحي إليه. إن صدق رسول الله ﷺ قد ثبت لكل من تعامل معه، وقد صار مثالا لأقرانه حتى إنه كان معروفا بينهم باسم الصادق الأمين.

وقد حدث نفس الأمر مع سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام الذي حفظه الله تعالى.. من قبل الدعوى.. من سوء العمل وكذب الحديث وارتكاب الخطايا. ولذلك فقد تحدى قومه وقال: "من منكم يبكتني على خطية؟ فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي؟" (انجيل يوحنا- ٨: ٤٦)، وهنا أيضا يلفت المسيح عليه السلام أنظار قومه إلى صلاح أمره وحسن خلقه وأدبه الذي أدبه به ربه.

كذلك كان الحال مع سيدنا مرزا غلام أحمد.. الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.. إذ لفت الله تعالى أنظار أقرانه.. عن طريق الوحي الذي أوحاه إليه.. إلى طهارة حياته منذ نعومة أظفاره، معتبرا ذلك دليلا على صدقه، وبرهانا على مصداقيته. وقد استعمل الله سبحانه وتعالى نفس الألفاظ التي استعملها في حق رسول الله ﷺ والتي جاء ذكرها في كتابه العزيز، ولكنه أنزلها مرة أخرى على سيدنا أحمد عليه السلام، فقال:

[قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ. وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الْقُرْآنِ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ. وَلَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ. قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى. وَإِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ] (تذكرة ص٢٤٥)

كذلك نجد شهادة أصدقائه وأعدائه على السواء، بأنه عاش طوال حياته متمسكا بأهداب الصدق، ومستمسكا برباط التقوى. وعلى سبيل المثال..

نسوق شهادة المولوي محمد حسين البطالوي.. زعيم فرقة أهل السُنة، والذي صار عدوا لدودا للإمام المهدي بعد إعلان دعواه، إذ كتب في مجلته "إشاعة السنة" تقريظا لكتاب "البراهين الأحمدية" ووصف مؤلفه سيدنا مرزا غلام أحمد بهذه الكلمات:

"إن مؤلف البراهين الأحمدية.. في شهادة أصدقائه وأعدائه على السواء.. قد أقام حياته على شريعة الإسلام، وإنه تقي وورع، والله حسبه".

وكما استدل رسول الله ﷺ بطهارة حياته وتمسكه بالصدق قبل الدعوى.. كذلك استدل الإمام المهدي عليه السلام بطهارة حياته أيضا، وبُعده الكامل عن أي خطية أو معصية، فقال ما تعريبه:

"إنَّكم لعمري لا يمكنكم أنْ تتــهموني بكذب أو افتراء أو خداع في أوائل حياتي بينكم، فتحسبون أنّ من كان هذا شأنــه من عادة الكذب والافتراء لا يبعد أنْ يكون قد اختلق هذا الأمر من عنده. ألا فهل منكم من أحد ينتقد شيئًا من شؤون حياتي؟ وما ذلك إلا فضل منــه عز وجل أنَّــه أقامني على التقوى منذ نعومة أظفاري! وإن في ذلك لآية للمتفكرين." (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية ج٢٠، ص٦٤)

وإن المرء ليجد سجلا حافلا من الأدلة التي تؤيد هذه العبارة، وقد سبق ذكر بعض منها في الصفحات السابقة، ويكفي أن نذكر هنا أنه لم يستطع أحد بتاتا أن يتهمه بأنه قد نطق ولو بكذبة واحدة طوال حياته. ولا يُعقل ولا يُتصور أن من كان هذا شأنه في التمسك بالصدق في جميع الأحيان، وفي كل المناسبات، وفي كل الظروف، وفي جميع أدوار وأطوار حياته، فإنه.. رغم كل هذا.. يمكن أن يرتكب هذه الخطيئة العظمى، فيفتري على الله الكذب ويدّعي زورا أنه يتلقى الوحي من الله تعالى. ولو لم يكن الأمر كذلك.. لما أمر الله تعالى رسوله الصادق الأمين أن يذكر هذا الدليل لقومه برهانا على صدقه.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُــرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (يونس:١٧)

حقا.. أفلا يعقلون؟

* * *

إن سيدنا أحمد.. الإمام المهدي عليه السلام.. بدأ يتلقى الوحي من الله تعالى في أوائل الستينيات من القرن التاسع عشر، ولكن زاد نزول الوحي عليه وصار يأتيه بشكل منتظم ومتصل بعد وفاة والده عام ١٨٧٦، وكان إذ ذاك قد بلغ أربعين سنة، واستمر نزول الوحي عليه إلى أن انتقل إلى جوار ربه في ٢٦ مايو (أيار) ١٩٠٨، وعلى هذا فإن فترة نزول الوحي استمرت أكثر من ثلاثين عاما.

وقد اتفق جميع علماء المسلمين، واجتمعت كلمتهم، وانعقد إجماعهم، على أن مصير من يفتري على الله الكذب هو الدمار والهلاك والخيبة والخسران، وذلك حسب وعد الله تعالى الذي ذكره في كتابه العزيز:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ (النحل:١١٧)

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ (الأنعام:٩٤)

﴿وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ (طه:٦٢)

ولإثبات صدق رسوله الأعظم ﷺ.. ذكر الله تبارك وتعالى وعيدا لكل مفتر كذاب يتقوّل على الله ويدّعي كذبا أنه أوحى إليه فقال:

﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ۞ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞

فَمَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة: ٣٩-٤٨)

هنا يعدد الله تعالى دلائل صدق التنـــزيل الذي يتنـــزل على رسول الله ﷺ، فيقول إن هذا التنْزيل ليس بقول شاعر، وليس بقول كاهن، بل هو تنـــزيل من رب العالمين. والدليل على ذلك أنه لو كان هذا الشخص الذي أُنزل عليه الذكر، قد تقوّل على الله بعض الأقاويل، فكذب على الله أو افترى عليه، وادّعى كذبا نزول الوحي عليه.. لأخذه الله باليمين، أي لأخذه بالعقاب الشديد أخذ عزيز مقتدر، فأنزل عليه عقابا أليما يكشف كذبه ويفضح سره ويُبين افتراءه. وهذا العقاب هو أن الله تعالى يُسلط عليه من يُهلكه.. أي يقطع منه الوتين، والوتين هو الشريان الذي يحمل الدم إلى القلب، وقطعه كناية عن الموت والهلاك. ولن يستطيع أحد منكم أن يحجز عنه هذا العقاب، لأن هذا قدر الله الذي قدّره لكل كاذب يفتري على الله الكذب.

وقد قدّر الله تعالى هذه العقوبة في الدنيا لمن يفتري على الله الكذب، كما جعل له في الآخرة عقوبة أخرى أيضا، وذلك حتى لا ينخدع به الناس ويصدقوه، فيكون سببا في ضلالهم وحيادهم عن الطريق المستقيم.

وقد يحدث أن يتوهم إنسان غلبه جنون العظمة فيدّعي كذبا أنه إله.. ولكن الله تعالى لم يتوَعّد مثل هذا الإنسان بعقاب مماثل في الدنيا والآخرة، بل اكتفى بعذابه في الآخرة فقط، وذلك لأن دعوى الوحي تحتمل الصدق والكذب، وأما دعوى الألوهية فلا تحتمل الصدق أبدا، بل هي في ذاتها دليل كذب مدّعيها. فمن يصدق إنسانا عاجزا يدّعي لنفسه الألوهية، يكون هو نفسه المسؤول عن جريرته. ولهذا فقد ذكر تعالى أن عقاب مدّعي الألوهية سيكون جهنم في الآخرة فقال:

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ

نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٣٠)

وأما مدّعي الوحي الكاذب، فقد توعده الله تعالى بأن يسلط عليه من يُهلكه ويقطع دابره، حتى لا ينخدع أحد بدعواه الكاذبة. أما إذا كان مدّعي الوحي صادقا في دعواه، وكان الله تعالى هو الذي يوحي إليه فعلا.. كما كان الحال مع رسول الله ﷺ، فإن الله تعالى يؤيده وينصره، رغم أن العالم كله يقف أمامه، ويعارضه ويخالفه ويحاربه، ويحاول بكل وسيلة أن يقضي عليه، ولكن تأييد الله تعالى يتنـــزل عليه، وتكلؤه رحمته، وتحيطه حفاظته، وتتولاه عنايته.

ومن رحمة الله تعالى أنه لا يُنْزل عقابه على مدّعي الوحي الكاذب فور نطقه الكذب، وإنما يمهله بعض الوقت حتى يتوب ويرجع عن كذبه ويعود عن افترائه. فإن فعل.. فإنه سبحانه يتوب عليه ولا ينْزل عليه عقابه، كما حدث مع طُليحة بن خويلد الأسدي، الذي كان قد ادّعى النبوة كما فعل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي، ولكنه تاب عن ذلك وحسُن إسلامه، فكان يحارب في صفوف المسلمين.

وأما من يُصرّ على أنه يتلقى الوحي من الله تعالى، ويستمر في إصراره على ذلك، ويواصل إعلان ذلك الوحي على الناس، ويدعوهم للإيمان به، فإن كان كاذبا فإن الله لا محالة يوقع به عقابه، ويُسلط عليه من يهلكه ويقضي عليه.. كما حدث مع مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح الكاهنة.. وهو ما حدث مع كل من ادّعى الوحي كذبا سواء في العصور القديمة أو الحديثة. وأما إذا لم ينْزل عقاب الله تعالى على من يدّعي تلقي الوحي، رغم إصراره واستمراره وتواصله في إعلان ذلك الوحي على الناس ودعوتهم إليه، فقد اتفق العلماء على أن هذا دليل صدقه وبرهان تأييد الله له.. تماما كما حدث مع رسول الله ﷺ، إذ أنه أعلن أنه يتلقى الوحي من الله تعالى، وأصر عليه، واستشهد بالله عليه، واستمر على ذلك الإصرار لمدة تقرب من ثلاثة وعشرين

عاما. ومع ذلك.. فلم يُسلط الله عليه من يقتله أو يهلكه، بل كان يؤيده ويحفظه، وفي ذلك أعظم دليل على صدقه ﷺ.

كذلك فقد أعلن سيدنا أحمد عليه السلام أنه كان يتلقى الوحي من الله تعالى، وتواصل نزول الوحي عليه منذ منتصف العقد السابع في القرن التاسع عشر، واستمر هو يعلن على الملأ هذا الوحي لمدة زادت عن الثلاثين عاما كما سبق بيانه، ومع ذلك.. وبرغم محاولات أعدائه المتكررة للتخلص منه.. فلم يُسلط الله عليه من يقتله أو يهلكه. أليس في ذلك أعظم دليل على صدقه عليه السلام، كما كان ذلك دليلا على صدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام؟

لقد كان الوحي الذي يتلقاه الإمام المهدي عليه السلام، يحمل في ذاته أدلة صدقه، ويحتوي على براهين نزوله من عند عالم الغيب والشهادة، فقد كان يحتوي على النبوءات المتعددة التي تحققت أثناء حياته، وتحقق البعض منها حتى بعد وفاته. كذلك كانت كلمات الوحي التي تلقاها تحتوي على موعظة وحكمة، وتبشير وإنذار، ووعد ووعيد، للأتباع والأعداء على السواء، وكلها كانت تتحقق بشكل يخرج عن تدبير البشر، ولا يمكن أن يتحقق إلا بإرادة رب العالمين.

لقد كانت عناية الله تعالى دائما تحيط الإمام المهدي عليه السلام، وتولاه الله تعالى بحفظه ورعايته، ونجاه من كل سوء، وكان سيدنا أحمد عليه السلام آمنا كل الأمن من العقاب الذي قضى سبحانه وتعالى أن يأخذ به كل كذاب مفتر على الله، وفي هذا أعظم دليل على صدقه عليه السلام.. كما ذكر الكتاب العزيز أنه أيضا الدليل على صدق التنْزيل على الرسول الكريم ﷺ.

* * *

لقد بعث الله تعالى إلى الدنيا الكثير من الأنبياء، وفي كل مرة كان الناس يتلقون مبعوث الله بالصد والعدوان، ويصمونه بالكذب والبهتان، ويتآمرون عليه ليقتلوه أو يخرجوه من المكان، ولكن الله تعالى كان يحفظ أنبياءه، ويصون

رسله، ويؤيد مبعوثيه، ثم يُنْزل العذاب والعقاب على المخالفين والمعارضين.

لقد تآمر الناس على نوح عليه السلام فقالوا يهددونه:

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (الشعراء: ١١٧)

وأراد الناس الانتقام من إبراهيم عليه السلام فقالوا:

﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُم إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء:٦٩)

وحاول الناس التخلص من شعيب فقالوا له:

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ (الأعراف:٨٩)

وهكذا كان دأب الناس دائما مع مبعوث السماء:

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر:٦)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَو لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (إبراهيم: ١٤)

ولكم حاول الناس أن يقتلوا رسول الله ﷺ.. لقد تآمروا على حياته في مكة، ثم راحوا يحاربونه في المدينة، وكان يهود المدينة والمنافقون يتربصون به، ومع ذلك فقد أوحى إليه سبحانه أنه سوف يعصمه من الناس، ولن يستطيع أحد منهم أن يقتله، فقال:

﴿يَآ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٨)

وإن هذه العصمة الإلهية لحياة الرسول ﷺ التي استمرت طوال عمره الشريف، والتي تجلت في نجاته من القتل بيد أعدائه، لهي خير دليل على أنه كان صادقا في دعواه.

كذلك كان الله تعالى يؤيد عبده الإمام المهدي عليه السلام، ويحفظه من كيد أعدائه. وبشَّره عن طريق الوحي بأنه سوف يحفظه من الناس.. تماما كما وعد

رسول الله ﷺ، بل لقد أنزل الله تعالى على عبده الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بشارات في كلمات تشابه تلك التي وعد بها رسوله الأكرم ﷺ بأن يعصمه من الناس فقال:

[يَرْحَمُكَ رَبُّكَ وَيَعْصِمُكَ مِنْ عِنْده وَإِنْ لَمْ يَعْصِمْكَ النَّاسُ. يَعْصِمُكَ اللهُ مِنْ عِنْدِهِ وَإِنْ لَمْ يَعْصِمْكَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِينَ]

(تذكرة ص٢٤٣)

نعم.. إن بعض المتشككين والمتهكمين قد يقولون إن كل كذاب ودجال ومدّع يستطيع أن يفتري على الله كل ما يُصَوِّره له خياله المريض ورأيه السقيم، ويستطيع مثل ذلك الإنسان أن يختلس من كتاب الله بعضا من الآيات التي أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم وينسبها إلى نفسه زورا وبهتانا.

نعم.. قد يفعل ذلك أحد الكذابين الدجالين، ولكن.. ماذا يفعل الله تعالى بذلك الإنسان؟ هل يتركه وشأنه؟ هل يؤيده بنصره ويعزه بعزته.. أم يُنْزل عليه عقابه ويُظهر كذبه ويفضح افتراءه ويكشف دجله ويجعله عبرة لكل من يعتبر؟

لقد أعلن سيدنا الإمام المهدي عليه السلام أن الله سوف يعصمه من الناس، حتى ولو لم يعصمه أحد من أهل الأرض.. فماذا حدث؟ لقد كذبه الناس وعارضوه، واتهموه بالكفر والخروج عن الدين، وأصدر علماء السوء من قادة الفرق الإسلامية فتاواهم بارتداده عن الدين، وأحلوا قتله وأهدروا دمه، واعتبروا اغتياله عملا عظيما يودي بفاعله إلى الجنة بغير حساب. وقد كانت حياته عليه السلام معَرَّضة لكل الأخطار.. كان يعيش في قرية صغيرة لم يكن بها مركز للشرطة، ولم يوجد بها ولا شرطي واحد لحفظ الأمن والنظام، ولم يكن هناك أية قوة عسكرية بأي شكل من الأشكال، ولم يطلب الإمام المهدي أية حماية من السُلطة، ولم يعين أحدا من أتباعه لحراسته، ولم يقم باتخاذ أي تدبير لتوفير الحفاظة والسلامة له.

كان يذهب إلى المسجد لأداء الصلوات الخمس مع عامة الناس، وكان يمكث في المسجد بعد الصلاة لمقابلة الزائرين الذين كانوا يتوافدون إليه من مختلف الجهات، ومن كل مناح الحياة، وكان يقضي مع الناس وقتا طويلا يجيب على أسئلتهم.. ويعظهم.. ويتلو عليهم آيات ربه.. ويعلمهم الكتاب والحكمة ومكارم الأخلاق، ويجعلهم ربانيين.

كان يذهب قبل الظهيرة لممارسة رياضة المشي الحثيث، وكان يسير لأميال عديدة، وكثيرا ما كان يذهب في صحبة بعض أتباعه الذين لم يمنعوا أحدا من الوصول إليه أو الحديث معه. كذلك كان من وقت لآخر يسافر إلى هذه المدينة أو تلك، وينتقل من هذا المكان إلى ذاك، وكان مُعَرَّضا خلال تلك الأسفار والانتقالات إلى كل الأخطار التي يتعرض لها المسافر، بل إنه كان يتعرض لأخطار أخرى بالنظر إلى حملات العداء الشديد، التي كان يشنها عليه أعداؤه، وخاصة من المولويين والقسيسين وقادة الآرية والهندوس. ومع كل هذا.. فإن الحفاظة الربانية كانت دائما معه، وكانت العناية الإلهية تحفظه دائما وأبدا من كل سوء، وحقق الله تعالى وعده بأنه سبحانه وتعالى هو فعلا الذي يعصمه من الناس. فهل هذا شأن الله تعالى مع الدجالين والكذابين الذين يفترون على الله الكذب؟

إن الحفاظة الإلهية هي من الأمور التي قدّرها الله تعالى لأنبيائه.. إلا ما شاء سبحانه. وقد تحدى أولئك الأنبياء أقوامهم.. أن كل تدابيرهم وكل خططهم وكل مؤامراتهم سوف تبوء بالفشل والخسران، ولن يتمكن الأعداء من القضاء على الأنبياء الذين وعد الله بالحفاظ عليهم. فقال نوح عليه السلام مخاطبا قومه:

﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ ۞ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ (يونس:٧٢-٧٤)

هنا يعلن نوح ﷺ أنه لم يفعل شيئا إزاء مؤامرات قومه سوى أنه توكل على الله. وأما أعداؤه فعليهم أن يجمعوا أمرهم، ويستعينوا بتدابير شركائهم، ولا يكن أمرهم عليهم غمة، بل تتفق كلمتهم وتتوحد إرادتهم، ثم يقضون ويقررون هلاكه، ثم لا يُنظرونه ولا يؤجلون تدبيرهم ولا يتركون له ملجأ أو مهربا. ثم يبين سبحانه وتعالى أنهم كذبوه، فكان أن نجّاه الله من كل تدابيرهم، وعصمه من كل سوء، وحفظه من كل شر.

كذلك وجّه الله تبارك وتعالى مثل هذا التحدي إلى أعداء رسول الله ﷺ، وبشر رسوله بالنصر في الدنيا وفي الآخرة فقال:

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ (الحج:١٦)

وهذا أيضا ما حدث مع الإمام المهدي ﷺ.. فقد بشره ربه بتأييده، وبأنه سيمزق أعداءه كل ممزق، وبأنه سيكون معه في كل حين.

ونقتبس فيما يلي بعض الفقرات مما أوحى به الله تعالى إليه:

[إِنِّي مُهِينٌ مَّنْ أَرَادَ إِهَانَتَكَ وَإِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. يَا أَحْمَدُ بَارَكَ اللهُ فِيكَ. مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَآؤُهُمْ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ. قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا. كُلُّ بَرَكَةٍ مِّنْ مُّحَمَّدٍ ﷺ فَتَبَارَكَ مَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمَ. وَقُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي. وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ...

بُشْرَى لَكَ يَا أَحْمَدِي. أَنْتَ مُرَادِي وَمَعِي. غَرَسْتُ كَرَامَتَكَ بِيَدِي. أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا. قُلْ هُوَ اللهُ عَجِيبٌ. يَجْتَبِي مَن يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ. لاَ

يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ. وَإِذَا نَصَرَ اللهُ الْمُؤْمِنَ جَعَلَ لَهُ الْحَاسِدِينَ....... الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ. قُلْ هَذَا فَضْلُ رَبِّي وَإِنِّي أُجَرِّدُ نَفْسِي مِنْ ضُرُوبِ الْخِطَابِ وَإِنِّي أَحَدٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ. يُرِيدُونَ أَن يُّطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ واللهُ يُتِمُّ نُورَهُ وَيُحْيِي الدِّينَ. نُرِيدُ أَن نُّنَزِّلَ عَلَيْكَ آيَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَنُمَزِّقُ الأَعْدَاءَ كُلَّ مُمَزَّقٍ. حُكْمُ اللهِ الرَّحْمَنِ لِخَلِيفَةِ اللهِ السُّلْطَانِ]
(تذكرة ص٢٣٧-٢٤١)

ولأن الإمام المهدي عليه السلام كان على بينة من ربه، وكان على يقين من تأييده ونصره، فقد تحدّى أيضا المخالفين والمعارضين قائلا ما تعريبه:

"أقول للمشايخ المعارضين وندمائهم نصيحة لله إن السب والشتم ليس من شيمة الشرفاء. فإن كانت هذه هي سجيتكم فهذا شأنكم. أما إذا كنتم تعتبرونني كاذبًا فبإمكانكم أيضًا أن تدعوا عليّ مجتمعين في المساجد أو فرادى، وابغوا استئصالي بالتضرع والابتهال، فإذا كنت كاذبًا فلا بد أن تستجاب تلك الأدعية التي تقومون بها دومًا. ولكن تذكروا أنكم لو دعوتم بشدة حتى تُجرّح ألسنتكم، وتخروا ساجدين بالتضرع والابتهال حتى تهترئ أنوفكم، وتتآكل حلقات العيون وتسقط الرموش من كثرة الدموع، وتضعف بصارتكم بسبب كثرة البكاء، ولو تعرضتم في نهاية المطاف لنوبات الصرع من جراء الضعف الدماغي الشديد وأصبتم بماليخوليا، فلن تُقبل تلك الدعوات لأنني بعثت من الله.... اعلموا أنه لا يموت أحد على الأرض ما لم يُكتب له الهلاك في السماء. إن روحي تتسم بذلك الصدق الذي نُفح به إبراهيم عليه السلام، فإن لي مع الله تعالى نسبة إبراهيمية. لا أحد يعرف سرّي سوى الله. إن المعارضين عبثًا يُهلكون أنفسهم. إنني لست تلك الشجرة التي يمكن أن تُستأصل بيدهم.... اللهم! ارحمْ هذه الأمة، آمين. (أربعين رقم ٤، الخزائن الروحانية ج ١٧ ص٤٧٢- ٤٧٣)

ثم يقول في موضع آخر:

"إنني على يقين تام بأني لن أحتاج أحدا من دون الله حتى أغادر هذه الدنيا. فهو الذي سيعصمني من شر كل عدو، فالحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، هو وليي في الدنيا والآخرة، وهونعم المولى ونعم النصير. وإنني على يقين تام بأنه سينصرني ولن يُضيعني، وإن نهضت الدنيا كلها وصارت في معاداتي أسوأ من الوحوش الضارية، فمع ذلك سوف يعينني الله وينصرني، وإني لن أُدفن في قبري خائبا خاسرا، لأن ربي معي في كل خطوة أخطوها، وإنني معه". (ضميمة براهين أحمدية، الخزائن الروحانية ج ٢١ص ٢٩٤)

ويقول أيضا:

"لا يعلم أحد ما في قلبي مثلما يعلمه الله ﷻ. ولو تركني الناس جميعا فإنه تعالى سوف يخلق قوما آخرين يكونون رفقائي. إن العدو الغبي يظن أن أمري سوف يفسد بمكائده وخططه، وتتفرق الجماعة، ولكن ذلك العدو السفيه لا يدري أن ما تقرر في السماء لا تقدر الأرض على محوه. إن الأرض والسماء ترجفان أمام ربي. إن الله هو ذاك الذي يُنْزل عليّ وحيه القدسي ويُطلعني على أسرارٍ غيبية. ولا إله إلا هو، ولا بد أن يهبَ لهذه الجماعة نموًّا وازدهارا إلى أن يميز الله الخبيث من الطيب." (نفس المرجع السابق ص ٢٩٤-٢٩٥)

فهل هذه العبارات تخرج من أفواه الكذابين؟ وإذا خرجت.. فهل يترك الله هؤلاء الكذابين دون أن يأخذهم بعذاب أليم، وينتقم منهم انتقام الجبارين؟

وهل يمكن أن يفيض وجدان المفترين بهذا اليقين؟ وإذا كان.. فهل يحقق الله مساعي المفترين ويكتب لهم النصر على أعدائهم ويبارك في دعوتهم وينشر جماعتهم في أنحاء الأرضين؟

ألا إن في ذلك لآيات للمتفكرين..

* * *

ومن دلائل صدق المبعوث الإلهي أن الله تعالى يوحي إليه ببعض الأنباء الغيبية.. تأييدا له وتحقيقا لقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن:٢٧-٢٨)

وتتحقق بعض هذه الأنباء أثناء حياة المبعوث، ويتحقق البعض منها بعد وفاته، ليتبين أن الله تعالى هو الذي يحقق ما سبق وأنبأ به عبده، حتى بعد أن غادر مبعوث الله مسرح الحياة وانتقل إلى جوار ربه.

وغني عن البيان أن طبيعة تلك الأنباء الغيبية تكون من الغرابة بمكان.. حيث يصعب تصديق إمكان تحققها، فهي ليست من الأمور العامة التي كثيرا ما تحدث في حياة الناس.. كاحتمال السفر القريب، أو وقوع خير مرتقب، أو حدوث شر متوقع. ويمكن أن نذكر مثالا على تلك الأنباء الغيبية التي تحققت في زمن رسول الله ﷺ حين غُلبت الروم في حربهم مع الفُرس، فأعلن رسول الله ﷺ الوحي القرآني الذي تلقاه من الله تعالى مؤكدا انتصار الروم بعد هزيمتهم، وأن هذا الانتصار سوف يتم في بضع سنين.. أي في فترة زمنية لا تقل عن ثلاث سنين ولا تزيد عن تسع. صحيح أن كل جيش مهزوم يداعبه الأمل أنه سوف ينتصر في المعركة القادمة، ولكن رسول الله ﷺ لم يكن طرفا في القتال، ولا كان له ارتباط مع المنتصر أو المهزوم، وكان يبعد مئات الأميال عن مسرح الحوادث، ولم يكن له تأثير يؤدي من قريب أو من بعيد إلى هزيمة أي جيش أو انتصاره. ورغم كل هذا.. فقد تحققت نبوءته إثباتا لصدقه، وتأكيدا على أن مصدرها هو الله تعالى عالم الغيب.. الذي لا يُظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول.

ونروي هنا بعض الأمثلة من الأنباء الغيبية التي أعلنها الإمام المهدي عليه السلام تحقيقا لنفس المبدأ الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز.. أي أنه سبحانه هو

عالم الغيب، وأنه لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول.

كان من ضمن الوحي الذي تلقاه سيدنا أحمد عليه السلام في المراحل الأولى من بعثته الشريفة، هذا الوحي الذي تلقاه باللغة الأردية: (إِنِّي سَأُبَلِّغُ دَعْوَتَكَ إِلَى أَقْصَى أَنْحَاءِ الأَرْضِ)، وقد ذكرنا فيما سبق الظروف والأحوال التي كانت سائدة في المنطقة خلال حياته عليه السلام، وحين تلقى هذا الوحي لم يكن يملك من الوسائل.. بل إنه لم يكن حتى يستطيع أن يستخدم الوسائل الأولية البسيطة المتاحة.. لتبليغ دعوته في حدود المنطقة التي تقع فيها قاديان نفسها. ومع ذلك فإننا نرى اليوم أن دعوته قد بلغت فعلا إلى أقصى أنحاء الأرض، وتأسست فروع الجماعة التي أنشأها بأمر من الله.. حول الكرة الأرضية في مختلف البلدان والأقطار، بلغت حتى كتابة هذه السطور (١٩٩٦) مائة وخمسين دولة*. ولو كانت تلك النبوءات من افتراء دجال أو من خيال كذاب، لكان اسمه قد امحى تماما، وسقط في بئر النسيان والإهمال منذ وقت طويل، فهكذا كان مصير الكذابين والمفترين على الله. وأما نبوءة سيدنا أحمد عليه السلام فإنها تتحقق وتترسخ وتزداد وضوحا يوما من بعد يوم.

ونلفت نظر القارئ الكريم إلى الفترة التي تبتّل فيها سيدنا أحمد عليه السلام في هوشياربور، والتي تلقى فيها عدة نبوءات من الله تعالى، ولعله من الأوفق للقارئ أن يرجع إلى الفصل الرابع من هذا الكتاب ليطلع على تفاصيل هذه النبوءة العظيمة. ويمكن أن نلخص فيما يلي ما احتوته تلك النبوءة من أنباء عن أمور الغيب التي لا يمكن أن يطلع عليها أحد إلاّ من أطلعه صاحب الأمر وعالم الغيب والشهادة.

كانت النبوءة تشير إلى أنه سوف يعيش أمدا طويلا لأنه سوف يرى نسلا

---

* أما الآن في عام ٢٠٠٦م فقد توطدت الجماعة بفضل الله تعالى في ١٨٢ قطرا من أقطار العالم. (الناشر)

بعيدا، وأن الله تعالى سوف يُنعم عليه بالذرية الصالحة، وأنه سوف يرزقه بولد يكون له شأن عظيم، وأن نسله لن ينقطع من الأرض أبدا، بل إن الله تعالى سوف ينشر نسله في بلاد كثيرة، وأن نسل كل فروع أقربائه سوف ينقطع إلا إذا تابوا وصدقوه، وأن الله سوف يُبلغ دعوته إلى أقصى أطراف الأرض، وأن اسمه لن ينمحي أبدا من على وجه الأرض، وأن كل من يتمنى هلاكه سوف يموت خائبا وتحبط أعماله، وأن الله تعالى سوف يزيد أعداد أصحابه المخلصين ويبارك حياقم وما يملكون، وسوف ينمو عددهم وتكون لهم الغلبة على المسلمين الآخرين الذين يحسدونه ويعاندونه، وإنه سيكون بمنــزلة أنبياء بني إسرائيل، وأن الله تعالى سوف يضع محبته في قلوب ملوك ونبلاء حتى إلهم سيتباركون بثيابه. وقد تضمنت هذه النبوءة العظيمة تحديا من الله تعالى إلى كل من ينكرون ويعارضون الحق.. ألهم إذا كانوا في شك من عبده، وكانوا ينكرون فضل الله وإحسانه الذي أنعم به عليه، فعليهم أن يأتوا بآية في أنفسهم مثل آية الرحمة هذه إن كانوا من الصادقين، فإن لم يأتوا بآية.. وأكد على ألهم لن يستطيعوا أن يأتوا بآية.. فعليهم أن يتقوا النار التي أُعِدّت للعصاة والكاذبين والخاطئين.

كان هذا ملخص لما احتوته تلك النبوءة العظيمة والبشارة الكريمة من أنباء يستحيل على أي بشر معرفتها إلاّ إذا جاءت من عند عالم الغيب، الذي لا يُظهر علي غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول. لقد تلقى سيدنا أحمد عليه السلام هذه البشارة المباركة في عام ١٨٨٦، في الوقت الذي لم تكن له فيه أي جماعة، ولا كان يعرف أنه سوف يكون الإمام المهدي المنتظر، ولا كان يظن أن الله تعالى سيجعله مثيلا لعيسى بن مريم، ولا كان يدري أن في شخصه ستتحقق النبوءات عن نزول المسيح، بل إنه كان يظن كغيره من عامة المسلمين أن عيسى بن مريم سوف ينْزل من السماء. وفي الوقت الذي تلقى فيه هذه البشرى برؤية نسل بعيد ومولد غلام له شأن عظيم، كان قد تزوج

من سيدة جليلة لم يكن يعرف بعد ما إذا كانت ولودا أو عقيما، بل إنه هو نفسه كان قد فقد القوة للزواج بسبب الأمراض التي كان يعانيها حتى شفاه الله تعالى، فكيف يمكن له بعد مرور عام وشهرين على زواجه أن يعلن أنه سوف يُرزق بالذرية الصالحة، وأن نسله سوف ينتشر في أنحاء الأرض، وأن نسل فروع أقربائه سوف ينقطع إلا إذا تابوا وصدقوه؟ ولو كان كل ذلك رجما بالغيب، وخيالات إنسان يفتري على الله الكذب، فكيف حقق الله تعالى كل هذه الأكاذيب والخيالات؟

نعم.. لقد كذب المنجمون ولو صدقوا، ولكن الأمر هنا ليس مجرد تنجيم، فإن المنجمين لا يقولون إنهم يتلقون وحيا من الله تعالى، وإنما يقولون إنهم يرون وقوع الأحداث التي يخبرون عنها، فهم قد يصدقون وقد يكذبون، وإذا صدقت تنبؤاتهم في بعض الأمور فإنها تكذب في أمور أخرى. أما هذه النبوءة العظيمة التي أعلنها سيدنا أحمد ، ونسبها إلى وحي الله تعالى.. أي أنه جعله سبحانه شاهدا عليه وحَكَمًا بينه وبين مخالفيه ومعارضيه.. فقد تحققت بكل كلماتها، وبجميع دقائقها، بل إنها قد انتهت بالتحدي لجميع أولئك الذين ينكرون الحق ويعارضونه، أن يأتوا بآية في أنفسهم كمثل هذه الآية التي أعلنها سيدنا أحمد ، واشتملت كلمات الوحي من الله تعالى على أن أحدا لن يستطيع أن يأتي بمثل هذه الآية. والآن.. بعد مرور أكثر من مائة عام على إنشاء الجماعة الإسلامية الأحمدية، قد ثبت تاريخيا وظهر واقعيا أن أحدا لم يجرؤ على قبول هذا التحدي، ولم يستطع أحد إظهار آية مثل آية الرحمة هذه، التي ذكرها سيدنا أحمد .

إن الإمام المهدي تلقى من الله تعالى مئات بل ألوفا من النبوءات التي كانت تتحقق على رؤوس الأشهاد. ولا بد من الرجوع إلى كتب الجماعة الإسلامية الأحمدية للإلمام بهذه النبوءات وتفاصيلها، غير أننا في هذه العجالة نذكر تلك النبوءة التي ذكرها الإمام المهدي والتي تختص بقرب انتشار وباء

الطاعون في الهند، ثم ما تضمنته هذه النبوءة من وعد الله تعالى لعبده الإمام المهدي أن الله تعالى سوف يحفظه هو وكل من في داره من ويلات هذا المرض الفتاك. وقد تحقق كل نبأ ذكره الإمام المهدي في هذا الشأن.. فجاء الوباء وانتشر في الهند.. وبالذات في البنجاب، وكان يحصد المئات من الأرواح في كل يوم. والطريف أن بعض أعداء الإمام المهدي قد تنبأ بأن الله سوف يهلكه بالطاعون، ولكن الله تعالى خيب ظنهم وحفظ عبده، وهلكوا هم بالطاعون، ولم يحدث لأي فرد من أولئك الذين كانوا يقيمون في داره أن وقع فريسة لهذا المرض اللعين. وسوف نتعرض لتلك الأمور بالتفصيل فيما بعد إن شاء الله.

* * *

من أدلة صدق المبعوث الإلهي أيضا أن الله تعالى يؤيده بأمور خارقة للعادة.. وهي ما تُعرف بالآيات والمعجزات، وليست معجزات الأنبياء من صنف أعمال الشعوذة، أو الخدع التي يقوم بها بعض الناس ويوهمون المتفرجين أنهم يقومون بأمور خارقة للعادة. ويظن بعض الناس أن المعجزة يجب أن تكون أمرا لا يمكن أن يتحقق عادة، ولكن هذا الظن غير صحيح.. فالمعجزة يمكن أن تكون أمرا من الأمور العادية ولكنها تتحقق في ظروف غير عادية.

ونضرب على ذلك مثالا لما حدث لرسول الله ﷺ أثناء هجرته مع أبي بكر ودخولهما الغار.. كانت آثار أقدامهما متجهة إلى الغار، ولكن فور دخولهما جاءت العنكبوت وبنت بيتها على فتحة الغار، وتصادف أن كان هناك عش حمامة، كانت هي الأخرى على وشك أن تضع بيضتها التي باضتها أيضا بعد دخولهما، فلما جاءت قريش.. ورأوا بيت العنكبوت.. ورأوا بيض الحمامة.. انصرفت أذهانهم عن النظر داخل الغار، رغم أن قصّاص الأثر قال إن محمدا إما أن يكون داخل الغار، أو إنه صعد إلى السماء. ومع ذلك لم يهتم أحد بالنظر داخل الغار بسبب بيت العنكبوت وبيض الحمامة. وكانت هذه إحدى

المعجزات التي وقعت لرسول الله ﷺ لكي ينقذ الله تعالى عبده ورسوله من أيدي أعدائه. والمعجزة هنا هي في التوقيت الذي توالت فيه الأحداث.. وإلا فإن العنكبوت تبني بيتها في أي مكان.. وهذا أمر عادي، والحمامة تضع بيضها في عشها الذي تبنيه .. وهذا أيضا أمر عادي، ولكن أن تحدث هذه الأمور في ذلك التوقيت بالذات، بعد دخول رسول الله وصاحبه، وقبل وصول مشركي قريش.. هو ما جعل من هذه الأمور العادية معجزة خالدة، كانت سببا في نجاة رسول الله ﷺ من موت محقق.

ومن معجزات الرسول أيضا أنه أوتي بلاغة الحديث.. وهو الأمّي الذي لم يتعلم فنون اللغة وآدابها، ولم يحضر مجالس الأدب وندوات الشعر. وخلال مستهل حياته التي قضاها في رعي الغنم أو في أعمال التجارة.. لم تكن لديه الفرصة ليتعلم أصول اللغة وحسن أسلوبها، ومع ذلك فقد آتاه الله تعالى بلاغة الحديث، حتى إن كلامه ﷺ كان أبلغ الحديث بعد القرآن، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: "أوتيت جوامع الكلم".

ورغم أنه لا يُشترط للأنبياء أن تتشابه معجزاتهم.. إلا أن من معجزات الإمام المهدي عليه السلام أيضا أن الله تعالى أعطاه بلاغة الأسلوب، وغزارة المعاني، والقدرة الفائقة على الكتابة في اللغات الثلاث التي كان يكتب فيها، وهي اللغة الأردية والفارسية والعربية. وأما اللغة العربية فلم يكن يعرف منها إلا مبادئها، وتعلم منها في صغره ما يمكنه من قراءة القرآن. وكما سبق بيانه.. إنه لم يتعلم في المدارس أو المعاهد، ولم يتلق علوما في الجامعات، وإنما استحضر له والده بعض المعلمين الذين كانت قدراتهم محدودة، ومواهبهم مغمورة، وعلومهم محصورة، وفطنتهم مطمورة. ولما أعلن دعوته.. ودعا الناس إلى الإسلام وإلى نهج رسول الله وسُنته.. عيّره علماء المسلمين لجهله بأصول اللغة وأساليبها، وقالوا: كيف لهذا الذي هو مهين ولا يكاد يُبين أن يفهم أسرار القرآن ويحيط بعلوم الفرقان، وهو الذي لا يعلم من اللغة إلا قشورها، ولا يدري من أدبها إلا سقط متاعها؟ فكان أن شكَى

الإمام المهدي لربه قصوره في علوم اللغة، وقِصَر باعه في الإحاطة بأساليبها وفنونها، فعلّمه الله تعالى أربعين ألفا من مصادر اللغة العربية في ليلة واحدة، واستطاع بعد ذلك أن يكتب الكتب في هذه اللغة الكريمة، وتحدى مخالفيه أن يكتبوا أمامه أو يجاوروه في كتاباته، ولكنهم فرّوا من التصدي، وهربوا من التحدي، ومن تصدى له نال الخزي والهوان، وباء بالفشل والخسران، وسوف نتعرض لكل هذه الأمور بالتفصيل فيما بعد إن شاء الله.

* * *

هذه هي بعض المعايير والدلائل التي يُستدل بها على صدق مدّعي النبوة أو على كذبه، وهي لا تتوقف على تحقق نبوءة معينة بشكل خاص أو عام، وإنما تتعلق بحقائق منطقية وضوابط عقلية. وكما نرى.. إنها جميعا تنطبق على رسول الله ﷺ وتؤيد صدق نبوته. فإذا انطبقت نفس هذه المعايير على أحد من الناس.. كانت بلا شك دليلا على صدقه كما كانت دليلا على صدق رسول الله ﷺ. وإذا لم تنطبق.. كانت حتما دليلا على كذبه وافترائه على الله.

ويمكن تلخيص تلك المعايير فيما يلي:

المعيار الأول يتعلق بطهارة حياة المدّعي قبل إعلانه الدعوى، ومدى تمسكه بالصدق والتقوى، وشهرة أمره بين الناس بالصلاح والورع وطاعة الله تعالى. فمن كان هذا أمره.. ومن لا يُسَوِّغ لنفسه أن يكذب على مخلوق.. لا يمكن أن يتحَوَّل في يوم وليلة ليكذب على الخالق.. فيدّعي كذبا أنه يتلقى وحيا من الله تعالى. وهذا المعيار يؤيده قول الله ﷻ:

﴿قُل لَّوْ شَآءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلآ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (يونس:١٧)

والمعيار الثاني هو حياة مدّعي النبوة بعد إعلانه الدعوى وإصراره على أنه

يتلقى الوحي من الله تعالى، واستمراره في دعوة الناس إلى ذلك الأمر مدة طويلة، كما كان شأن رسول الله ﷺ الذي استمر يعلن على الناس تلقيه وحي الله تعالى لمدة ثلاثة وعشرين عاما. ورغم تواصل مدّعي النبوة في دعواه فإن الله تعالى لا يُنْزل عليه عقابه، ولا يحل عليه عذابه، ولا يُسلط عليه من يقتله أو يهلكه، ليفضح ستره ويكشف كذبه. ويستمر ذلك المدّعي على قيد الحياة حتى يأتيه الأجل الذي قدّره له ربّه، فيتوفاه الله تعالى كما يتوفى الأنبياء والصالحين، فلا يقتله أحد من خلقه، ولا يُهلكه الله تعالى في بضع سنوات من إعلان دعوته. وهذا المعيار يؤيده قول الله ﷻ:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ۞ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة:٤٦-٤٨)

والمعيار الثالث هو العصمة الربانية التي يعد الله بها مبعوثه الصادق، ويحجبها عن كل مفتر كذاب، ويحاول الناس بكل وسيلة أن يقضوا على المبعوث الإلهي فلا ينالون إلا الخسران، ويسعون كل مسعى لاستئصاله فيأبى الله إلا أن يعصمه من عنده، ويحفظه بخالص فضله وعنايته. وهذا المعيار يؤيده قول الله ﷻ:

﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٨)

المعيار الرابع لمعرفة الصادق والكاذب هو أن الله تعالى يكشف عن بعض غيبه لمبعوثه ونبيه ورسوله، فيخبره من أمور الغيب ما يتحقق أثناء حياته، فيكون دليلا على صدقه، وآية من الله على تأييده. ومنها ما يتحقق بعد وفاته، فيكون شهادة من الله تعالى على مصداقيته، وبرهانا من عالم الغيب على حقيقة أمره. وقد ذكر الإمام المهدي عليه السلام ألوفا من الأنباء الغيبية التي تحقق أكثرها أثناء حياته، ولا يزال البعض منها يتحقق الآن، ولعل أعظم تلك الأنباء ما يتعلق بمستقبل الإسلام، وحتمية انتصاره وانتشاره في العالم أجمع في خلال

ثلاثة قرون من الزمان انقضى منها القرن الأول. وهذا المعيار يؤيده قول الله ﷻ:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن:٢٧)

والمعيار الخامس في بيان صدق مبعوث الله تعالى هو في الآيات التي يؤيده الله تعالى بها، والمعجزات التي يجريها الله تعالى على يديه، بشكل يبرهن لكل مخلص أمين يبتغي الحق.. أن الله تعالى يقف إلى جانب ذلك المبعوث ويؤيده ويعينه ويؤازره.

وكما ذكرنا من قبل.. إن كتب الجماعة الإسلامية الأحمدية زاخرة بتفاصيل هذه الأمور، ومن يبتغي الاستزاده يستطيع أن يجد بغيته في عشرات الكتب والنشرات التي نشرتها الجماعة.

* * *

بقي أن نجيب على سؤال هام.. لعله ما زال يفرض نفسه على أذهان القراء الكرام:

إن المعايير التي ذكرناها في هذا المبحث لم تتعرض للنبوءات التي ذكرها رسول الله ﷺ عن الإمام المهدي، فماذا عن أمر هذه النبوءات؟ وإذا كانت الجماعة الإسلامية الأحمدية هي فعلا الجماعة المباركة التي أنشئت بأمر من الله تعالى، وإذا كان مؤسسها هو فعلا الإمام المهدي.. فلماذا لم تتحقق تلك النبوءات التي تتحدث عن انتصار الإسلام وظهوره على الدين كله؟

نعم.. لقد وعد رسول الله ﷺ بأن الإمام المهدي سوف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما مُلئت ظلما وجورا، كذلك وعد بأن الله تعالى سوف يُهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام. ولكن يجب أن نفهم تلك الوعود في ضوء الوعود التي يعد الله تعالى بها أنبياءه الصادقين.

لم يحدث في تاريخ البشرية بأكمله أن بعث الله تعالى نبيا ليهب الناس الملك

السياسي، والزعامة القومية، والغلبة المادية، ويملأ جيوبهم بالأموال والخيرات، وهم على ما هم عليه من البعد عن الله تعالى.. تمزقهم الخلافات الدينية، وتفرقهم المشاحنات السياسية، وتوقع بينهم عداوات الأطماع الدنيوية. إن هذه ليست مهمة الأنبياء.. وإن كان يقوم بها بين الحين والحين بعض القادة والثوار الذين يقودون الانقلابات العسكرية أو الثورات الشعبية.

إن مهمة الأنبياء.. في المقام الأول.. هي إقرار عبادة الله تعالى في الأرض. وأول أمر من الله تعالى ذكره القرآن الكريم كان في سورة البقرة، وهو قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:٢٢)

ولإقرار عبادة الله تعالى أرسل سبحانه جميع الأنبياء والرسل لهذا الغرض، كما يقول ﷻ:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّة رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ﴾ (النحل:٣٧)

وقد فصّل الله تعالى هذا الأمر فقال عن أنبيائه:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِه فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ﴾ (المؤمنون:٢٤)

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِه اعْبُدُوا اللّهَ﴾ (العنكبوت:١٧)

﴿وَإِلَى عَاد أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ﴾ (هود:٥١)

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ﴾ (هود:٦٢)

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ﴾ (هود:٨٥)

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللّهَ﴾ (المائدة:٧٣)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٢٦)

ثم يأتي النداء الذي حمله رسول الله ﷺ إلى الناس كافة:

﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:٢٢)

وهذا هو نفس النداء الذي يرفعه اليوم الإمام المهدي عليه السلام لإحياء الدين فيقول بلسان القرآن للذين آمنوا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُم وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج:٧٨-٧٩)

وعبادة الله تعالى التي من أجلها أرسل الله تعالى كافة أنبيائه ورسله.. كما أرسل في زماننا هذا الإمام المهدي عليه السلام.. ليست هي فقط صلوات تُركع وآيات تُتلى وشعائر تُؤدى وحج يُشد إليه الرحال ومسابح يُذكر عليها اسم الله بالتسبيح والتهليل. نعم.. إن كل هذه الأمور هي وسائل تعين الإنسان على عبادة الله تعالى، ولكن ليست هي في ذاتها العبادة، وإن أطلق عليها مجازا لفظ العبادة.

فما هي العبادة إذن؟

العبادة هي معرفة الله تعالى ومحبته، والتقرب إليه، والتخلق بأخلاقه، والاتصاف بصفاته، والاصطباغ بصبغته.. فيكون الإنسان رحيما كما أن الله رحيم، ويكون غفورا كما أن الله غفور، ويكون عفوا كما أن الله عفو، ويكون ودودا كما أن الله ودود. وهكذا.. تتجلى في الإنسان الصفات الربانية فيكون إنسانا ربانيا، وهذا معنى قوله ﷺ: "تَخَلقوا بأخلاق الله"، وهذا هو الملخص الكامل لبعثته ورسالته الذي عبّر عنه ﷺ حين قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم

الأخلاق".

إن عبادة الله معناها أن يكون الإنسان إنسانا ربانيا، وهذا هو الغرض من بعثة الأنبياء وإرسال الرسل كما يقول تعالى:

﴿مَا كَان لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (آل عمران:٨٠)

وتحويل النفوس البشرية التي كانت تعيش في دنيا قد امتلأت ظلما وجورا.. إلى نفوس ربانية تملأ الأرض قسطا وعدلا.. ليس من الأمور التي تحدث في أيام أو في سنوات. إن الذين يتصوَّرون أن الإمام المهدي عليه السلام سوف يملأ الأرض قسطا وعدلا.. وأن الله سوف يُهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام.. بينما المسلمون على ما هم عليه من فُرقة، واختلاف الرأي، والبعد عن الله تعالى.. إنما هم واهمون. إن هذا يتعارض تماما مع سُنّة الله تعالى، ويتناقض مع ما قرره سبحانه في كتابه الحكيم حيث يقول:

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١٢)

إن وعود الله تعالى بالنصر النهائي للإسلام لا بد وأن تتحقق حتما، ولكنها لا تتحقق بين عشية وضحاها. نعم.. إنها تتحقق في زمن المبعوث، ولكن هذا لا يعني أنها لا بد وأن تتحقق في حياته. وهذا هو الفرق الكبير الذي يغفله معظم الناس، فيتصورون أن كل هذه النبوءات عن الإمام المهدي لا بد وأن تتحقق في حياته.. بينما لم يذكر رسول الله أبدا أنها سوف تتحقق في حياته.. وإنما في زمنه. إن حياة النبي هي تلك الفترة التي يعيشها في هذه الدنيا، وأما زمنه فهو تلك الفترة التي تبدأ منذ اختياره للمهمة التي أقامه الله تعالى من أجلها، إلى أن يأتي بعده نبي آخر بشريعة أخرى، فينتهي زمنه ويبدأ زمن النبي الجديد. وقد انتهى زمن الأنبياء جميعا عند بعث رسول الله ﷺ.

وتعالوا نرى كيف كانت تتحقق وعود الغلبة والانتصار للأنبياء..

لقد جاء موسى عليه السلام إلى قومه.. يعدهم بأن الله سيجعلهم ملوكا، ويمكنهم من إنشاء مملكة عظيمة في الأرض المقدسة. فمتى تحقق هذا النبأ؟ لم يتحقق في حياة موسى عليه السلام، بل إن موسى عليه السلام نفسه قد مات من قبل أن يضع قدمه في الأرض المقدسة. ولكنه أنشأ جماعة من المؤمنين..مرت عليهم أعوام وأعوام.. حتى إذا ما انقضت ثلاثة قرون من بعد موسى عليه السلام، تحقق الوعد، وأسس بنو إسرائيل مملكة قوية في الأرض المقدسة، وصلت إلى أوج مجدها في زمن داود وسليمان عليهما السلام. وهكذا تحقق الوعد الإلهي.. في زمن موسى عليه السلام وليس في حياته، لأن زمنه يمتد إلى زمن بعثة رسول الله ﷺ.

كذلك كان الأمر بالنسبة لعيسى عليه السلام.. فقد وعده الله تعالى بأنه سيجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، فمتى تم تحقيق هذا الوعد الإلهي؟ لقد أنشأ عيسى عليه السلام جماعة من المؤمنين كانت قلة من المستضعفين في الأرض، عانوا من اضطهاد اليهود والرومان العناء الشديد. كانوا يُقتَّلون ويُصَلَّبون، ويُحرقون بالنيران ويُلقى بهم إلى الوحوش المفترسة. واستمر ذلك الاضطهاد مدة ثلاثة قرون، حتى إذا جاء القرن الرابع ودخل الإمبراطور قسطنطين في المسيحية، توقف اضطهاد أتباع المسيح وتحقق الوعد الإلهي.. في زمن المسيح وليس في حياته.. حيث يمتد زمنه أيضا إلى زمن بعثة رسول الله ﷺ.

ولا يختلف الأمر مع سيد البشر وخاتم النبيين ﷺ، فإن الله قد بعثه للناس كافة ليكون نذيرا ورحمة للعالمين، وأمره أن يبلغ رسالته للناس أجمعين، ووعده بأنه سبحانه سيجعل لدينه الغلبة والانتصار على الأديان كلها، وأكد له أن الحق سوف يعلو ويظهر، وأن الباطل سوف يزول ويزهق. فهل تحققت تلك الوعود والأنباء في العالم أجمع وبالنسبة للناس كافة؟ هل تم انتصار الإسلام على اليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية وغيرها من أديان الأرض؟ هل ظهر الحق وعلا وزهق الباطل واندثر من الدنيا؟ لقد مات رسول الله ﷺ ولم يخرج دين الإسلام من نطاق شبه الجزيرة العربية. نعم.. إن رسول الله ﷺ حقق

انتصارا عظيما على أعدائه في مكة والطائف، وفي خلال قرون ثلاثة كان الإسلام قد انتشر من الأندلس في أوربا إلى حدود الصين في آسيا. ولكن رسول الله لم يكن رسولا إلى مكة والطائف فحسب أو إلى أوربا وآسيا فقط، بل كان رسولا إلى الإمبراطورية الرومانية، والإمبراطورية الفارسية، وإلى الهند، والصين، واليابان، وإلى الهنود الحمر من سكان أمريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية، وإلى سكان أستراليا، وهذه القارات الثلاث لم يكن قد تم اكتشافها بعد في ذلك الوقت. ولا يجرؤ أي عاقل أن يتخذ من عدم تحقق تلك النبوءات والوعود في حياة الرسول، دليلا على عدم بعثته ﷺ مثلما يحاول بعض الناس اليوم أن يتخذوا من عدم تحقق امتلاء الأرض بالقسط والعدل، دليلا على عدم بعثة الإمام المهدي الطَّيْلاً.

وحقيقة الأمر أن زمن رسول الله ﷺ يمتد إلى يوم القيامة لأنه جاء بآخر الشرائع وخاتم الأديان، ولن يأتي بعده نبي ينسخ شريعته أو يبطل دينه، وعلى هذا فإن دينه باق لكل زمان ومكان، وزمنه ﷺ مستمر إلى يوم القيامة، وكل الوعود المتعلقة بانتصار الإسلام وظهور الحق وزهوق الباطل، سوف تتحقق في زمنه وليس في حياته.

كذلك فإن هذه الوعود التي ذكرها رسول الله ﷺ عن الإمام المهدي سوف تتحقق.. ولكن في زمنه.. وليس في حياته، فحيث إنه من أتباع رسول الله ﷺ وخادم من خدامه.. فإن زمنه هو زمن سيده ومولاه.. ويستمر كذلك إلى يوم القيامة.

وقد أنشأ الإمام المهدي الطَّيْلاً جماعة من المؤمنين، تتولى العمل والسعي والجهاد لتحقيق وعد الله تعالى. وهذه الجماعة ليست حزبا سياسيا يبغي السلطة ويتطلع إلى الحكم، فإن الحكم وسلطانه في أيدي الكثير من أهل الأرض، بل هو في أيدي الكثير من المسلمين، فماذا فعلوا به؟ إن تغيير الواجهات السياسية لا يغير شيئا من المأساة التي يعيشها المسلمون. ماذا فعلت

إيران لخدمة الإسلام.. هل يبدو أن الإيرانيين اليوم أقرب إلى تحقيق أهدافهم لنشر الإسلام في العالم.. منهم يوم أن تحولت إيران إلى الحكم الإسلامي؟ ماذا فعل السودان لخدمة الإسلام.. هل يبدو أن السودانيين اليوم أقرب إلى تحقيق أهدافهم لنشر الإسلام في العالم.. منهم يوم تحول السودان إلى الحكم الإسلامي؟ ماذا فعلت باكستان لخدمة الإسلام.. هل يبدو أن الباكستانيين اليوم أقرب إلى تحقيق أهدافهم لنشر الإسلام في العالم.. منهم يوم أن قامت دولة باكستان، وهي التي لم تقم إلا على الإسلام؟ إننا إذا سألنا وكررنا نفس السؤال بالنسبة لكل الدول الإسلامية، لكان الجواب أيضا متكررا.. مهما كان ذلك الجواب.

إن تغيير الحكم بدون تغيير نفوس المحكومين وأخلاقهم، لا طائل منه، ولا خير فيه للإسلام. إذ لا بد أن يغير الناس ما بأنفسهم حتى يغير الله من أحوالهم، ومن غير المعقول أن يُطلب إلى الناس الذين يعيشون في عالم قد ملأه الظلم والجور، وانتشر فيه الإثم والفساد، أن يغيروا هم بأنفسهم.. ما بأنفسهم، فلو كان بإمكانهم أن يفعلوا ذلك لفعلوه خلال الأربعة عشر قرنا الماضية، وها هو كتاب الله وسُنة رسوله بين أيديهم طوال هذه القرون الخالية، ولكنهم مع ذلك لا يزدادون إلا فرقة وتشتتا، ولا يكتسبون إلا خلافا ونزاعا، ولا ينمو بينهم إلا العداوة والبغضاء والشحناء. فماذا ينقصهم؟

ينقصهم الإمام.. الحَكَمُ العدل.. الذي يجمع شملهم، ويُوَحد كلمتهم، ويغير ما بنفوسهم، ويصلهم بالله تعالى. ولذلك.. كان من رحمة الله تعالى على هذه الأمة أن أرسل الإمام المهدي، ليدعو من كان يعيش في ظلام الكفر إلى نور الإسلام، ويدعو المسلمين الذين مزقتهم الأحقاد والخلافات إلى طريق رسول الله وإلى مكارم الأخلاق.. أي يدعو الناس جميعا إلى العبادة الحقيقية.. عبادة الله تعالى.

إن هذا الأمر لن يتم في سنوات قليلة، وإن مئات السنين في عمر الشعوب

وعمر الدنيا لهي برهة من الزمن، وها قد أنشأ الإمام المهدي عليه السلام جماعة المؤمنين.. فماذا حققت هذه الجماعة المباركة في القرن المنصرم؟

لقد قامت الدنيا كلها ضد هذه الجماعة المباركة، وحاولوا القضاء عليها بكل ما في وسعهم من قوة، ولكنها تزداد قوة وتقدما.. تمتص الصدمات وتكتسب منها قوة وطاقة جديدة.. تخوض غمار المحن والابتلاءات وتخرج منها أصلب عودا وأشد عزما.. يغتالون الأبرياء من أفرادها غدرا وغيلة، فينضم إليها الألوف والملايين من الأفراد الجدد.. يحكمون على أفرادها بالسجن ظلما وجورا، فيجعل الله لهم سبيلا.. يصمون أفرادها بالكفر ويخرجونهم من الإسلام زورا وبهتانا، فيبارك الله تعالى في أعمالهم وأقواتهم وأرزاقهم.. يحاولون أن يخرجوهم من أرضهم ويطردوهم من بلادهم، فيدخلهم الله تعالى مدخلا يرضونه في بلاد غيرها.. يهدمون مساجدهم ويخربون بيوتهم، فيمكنهم الله تعالى من بناء أضعاف أضعاف ما خربوه.. يفرضون عليها تعتيما إعلاميا، حتى لا يعلم الناس من أمرها شيئا، فيُهيء الله لها قناة فضائية لكي تصل بها إلى كل مكان من الأرض.

ويكفي أن ينظر المرء إلى أحوال العالم الإسلامي اليوم، وإلى أحوال الجماعة الإسلامية الأحمدية، ليرى كيف أن الله تعالى يقف إلى جانب هذه الجماعة الصادقة المخلصة، ويؤيدها بروح من عنده، لأنها جماعة الإمام المهدي عليه السلام. فعلى الرغم من أن العالم الإسلامي يجمع العديد من الدول التي تملك الجيوش، وتملك من مصادر الطاقة والمعادن والخامات والبترول القدر الكبير، وفاض المال فيها حتى إن دولة واحدة مثل السعودية.. يدخل في خزينتها مع مطلع كل شمس مبلغ مائتي مليون دولار من إنتاجها للبترول، ومع هذا فقد رأينا كيف كان المسلمون يموتون جوعا في الصومال، ورأينا كيف يموت المسلمون في البوسنة على أيدي الصرب، الذين يقتلون الرجال، ويغتصبون النساء، ويعتدون على الأطفال، بينما يقف العالم الإسلامي بأجمعه، وبكل قواته، وبكل إمكاناته،

كأنه مغلول الأيدي مقيد الأطراف، فاقد القدرة على الحركة، بل إنه قد فقد القدرة على النطق والكلام. وحتى إذا ما استنكر وشجب، وأدان واعترض، فلا يكترث أحد باستنكاره، ولا يلتفت أحد إلى شجبه، ولا يهتم أحد بإداناته، ولا يأبه أحد باعتراضاته. فالعالم أجمع يعلم أن هذه الدول الإسلامية قد صارت كما وصفهم سيد الخلق ﷺ: "غثاء كغثاء السيل".

وفي الجانب المقابل نرى الجماعة الإسلامية الأحمدية.. على قلة مواردها.. تمشي من نصر إلى انتصار، ومن عزة إلى إكرام، ومن نجاح إلى تقدم، حتى إنها أرست أركانها في قارات العالم السِّت، وأسست مراكزها في مائة وخمسين دولة* من دول العالم. وكانت هي الجماعة الإسلامية الوحيدة التي كان لها سبق إنشاء أول مسجد في العديد من البلدان والعواصم الأوربية، كما أقامت المدارس وبنت المستشفيات وزودتها بالأطباء في الدول الأفريقية. وقامت بترجمة معاني القرآن الكريم إلى خمسة وخمسين لغة*، وتم فعلا طبع ونشر القرآن الكريم المترجم إلى هذه اللغات. وقامت كذلك بترجمة مختارات من القرآن الكريم، ومختارات من الأحاديث الشريفة، ومختارات من أقوال الإمام المهدي، وتم نشر هذه الترجمات في حوالي مائة لغة.. هذا عدا الآلاف المؤلفة من الكتب والنشرات والمجلات والمطبوعات التي تقوم الجماعة بنشرها في جميع أنحاء العالم. أضف إلى ذلك ألوف المساجد التي بنتها الجماعة على أرض القارات السِّت لنشر الإسلام بين ربوعها. وأخيرا.. تم بفضل الله تعالى إقامة قناة فضائية، تبث برامجها لمدة ٢٤ ساعة يوميا، ويغطي إرسالها جميع أنحاء المسكونة.. من اليابان شرقا إلى سواحل المحيط الباسفيكي غربا، ومن سيبريا شمالا إلى جنوب أفريقيا

* أما الآن في عام ٢٠٠٦م فقد توطدت الجماعة بفضل الله تعالى في ١٨٢ قطرا من أقطار العالم. (الناشر)

* أما الآن في عام ٢٠٠٦م فقد تمكنت الجماعة من نشر ترجمة معاني القرآن الكريم إلى ٦٢ لغة. (الناشر)

وأمريكا اللاتينية جنوبا. نعم.. إن الله تعالى قد أغدق على الدول الإسلامية الكثير من النعم والخيرات والثروات، ولكن رغم كل هذه الثروات.. فلن تستطيع أية دولة منها.. ولا حتى منظمة الدول الإسلامية.. ولا رابطة العالم الإسلامي.. أن تزعم بأنها قامت بمثل هذا العمل الذي قامت به هذه الجماعة المباركة.. جماعة الإمام المهدي عليه السلام.

غير أن أعظم الأعمال قاطبة، التي تفخر بها هذه الجماعة المباركة، هو الدعوة إلى الله تعالى، وتغيير نفوس الخلق وإيصالها بالله تعالى. نعم.. إنك لا تهدي من أحببت.. ولكن الله يهدي من يشاء، ولكن على المرء أن يسعى، وعليه أن يكدّ ويكدح.. ثم على الله التوفيق. لقد أعدت الجماعة كوكبة من الدعاة أرسلتهم في العشرينيات إلى أدغال أفريقيا، وإلى الشرق الأوسط، وإلى أوربا، وإلى أمريكا، وإلى دول آسيا. وراح هؤلاء يدعون الناس إلى عبادة الله تعالى، وإلى التخلق بأخلاق الله، وإلى التحلي بمكارم الأخلاق، فهذا هو طريق رسول الله، وهذا هو الإسلام الصحيح الذي ارتضاه الله للناس دينا.

ومنذ ما يقرب من مائة عام.. حين بدأت هذه الجماعة بداية متواضعة.. في ركن من بيت متواضع من مدينة لدهيانه، كان عدد أوائل الذين انضموا تحت لوائها لا يزيد عن عدد الصحابة الكرام الذين خرجوا في غزوة بدر.. أي حوالي ٣١٣ فردا، ولكنهم.. حسب تقدير تعدادهم منذ عشرين سنة.. كانوا قد بلغوا عشرة ملايين. ولو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم.. ولكن الله ألف بينهم. فرغم أن من بين أفرادها الأبيض والأسود.. والأوربي والأفريقي.. والأسيوي والأمريكي.. جاءوا جميعا من مختلف الأديان، فمنهم من كان يدين بالهندوسية.. ومنهم من كان يدين بالبوذية، ومنهم من كان يدين باليهودية، ومنهم من كان يدين بالمسيحية، بالإضافة إلى من جاءوا من بين المسلمين المخلصين، فقد صار الجميع الآن تظللهم راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكلهم.. يعتصمون بحبل الله.. جميعا.. ولا يتفرقون.. بل توحدت كلمتهم،

واتفق أمرهم، واتحدت إرادتهم، وكلهم يدينون بالولاء والطاعة لقائد واحد.. وإمام واحد.. هو خليفة الإمام المهدي عليه السلام، وهو حاليا (١٩٩٦) سيدنا مرزا طاهر أحمد.. الخليفة الرابع للإمام المهدي.. أيده الله تعالى بنصره العزيز.. وبارك في عمره وأمره*.

إن الطريق ما زال طويلا، ولكن الجماعة بفضل الله تعالى تقترب اقترابا حثيثا من الهدف، وتستطيع العين المخلصة التي ترى بنور الله أن تشاهد في الغرس الذي يبدو اليوم صغيرا في أعين الناس.. ملامح الشجرة الباسقة الوارفة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.. تلك هي شجرة جماعة المؤمنين.. جماعة الإمام المهدي عليه السلام.

لذلك.. فقد أكد الإمام المهدي عليه السلام.. على أن انتصار الإسلام وظهوره على الدين كله سوف يتحقق.. بمشيئة الله تعالى.. قبل أن ينقضي القرن الثالث من بعثته فقال:

"اسمعوا جيدًا أيها الناس جميعًا! إنه لمما أنبأ به خالقُ السماوات والأرض أنه سوف ينشر جماعته هذه في البلاد كلها، ويجعلهم غالبين على الجميع بالحجة والبرهان. ولسوف تأتي أيام، بل إنها لقريبة، حين تكون هذه هي الجماعة الوحيدة التي تُذكَر في العالم بالعز والشرف. إن الله سوف يبارك في هذه الجماعة والدعوة بركاتٍ كبرى خارقة للعادة، ويخيِّب كلَّ من يفكر في القضاء عليها، وسوف تستمر هذه الغلبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..... ولن ينقضي القرن الثالث بدءا من هذا اليوم .....حتى لن يكون في العالم إلا دين واحد وإمام واحد. لقد جئت لأبذر البَذرةَ، وقد زُرِعتْ تلك البَذرة بيدي،

* لقد انتقل حضرته إلى جوار ربه في التاسع عشر من شهر إبريل (نيسان) عام ٢٠٠٣م فإنا لله وإنا إليه راجعون. ونحن الآن (٢٠٠٦م) في عهد سيدنا مرزا مسرور أحمد الخليفة الخامس للإمام المهدي.. أيده الله تعالى بنصره العزيز.. وبارك في عمره وأمره. (الناشر)

ولسوف تنمو الآن وتزدهر ولن يستطيع أحد أن يعرقل نموها." (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية ج ٢٠، ص ٦٦-٦٧)

* * *

والآن..

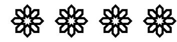
السؤال إليك أيها القارئ الكريم..

أين تقف اليوم؟

وأين ستقف غدا..

أمام رب العالمين..

في يوم الموقف العظيم؟



الفصل السابع

يصلحه الله في ليلة

الفصل السابع

يصلحه الله في ليلة

جاء في الحديث الشريف عن الإمام عليّ كرّم الله وجهه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المهدي منا أهل البيت يُصلحه الله في ليلة". رواه أحمد بن حنبل (٨٤/١)، وابن ماجه (٤٠٨٥)، وأبو نعيم في "الحلية" (١٧٧/٣)، والعقيلي في "الضعفاء" (٤٧٠)، وابن عدي في "الكامل" (١٨٥/٧)، وحسّنه الألباني في "الصحيحة" (٢٣٧١).

وقد اختلف العلماء في شرح هذا الحديث وتفسير معنى قوله ﷺ: "يصلحه الله في ليلة"، فقالوا إنه يحتمل في ذلك معنيين:

أحدهما: أن يكون المراد بذلك أن الله يُصلحه للخلافة.. أي يُهيئه لها.

والثاني: أن يكون مفتقرا إلى بعض الكفاءات الضرورية لإنجاز المهمة الملقاة على عاتقه، فيسد الله هذا النقص في ليلة واحدة ويجعله قادرا على ذلك قدرة كاملة، وهذه هي معاملة الله تعالى مع جميع أنبيائه إذ يعلّمهم من عنده علوما لا يعلّمها غيرهم فلا يعرفونها. وإن الأنبياء هم تلاميذ الله الرحمن، وهو مصدر علمهم وفضلهم، إذ يعلّمهم بواسطة الوحي فيتفوّقون على الجميع. ويرى الحافظ ابن كثير رحمه الله أن معنى قوله: "يصلحه الله في ليلة" أي يتوب عليه ويُوَفقه، ويُلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك (انظر نهاية البداية والنهاية). وقال القاري في "المرقاة": "يصلحه الله في ليلة" أي يُصلح أمره، ويرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة واحدة من الليل، حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها (انظر مرقاة المفاتيح).

لقد أشار إلى ما سبق ذكره كتاب: "المهدي المنتظر وأدعياء المهدية"، من

جمع وترتيب الأستاذ محمد بيومي (راجع الفصل الرابع ص٢٣). ونحن لا نرى ما يستدعي الخلاف بين العلماء في معنى هذا الحديث، ولعل ذلك الخلاف قد نشأ عند بعض الأفاضل من العلماء الذين تحرّجوا القول باحتمال وجود أمر من الأمور في الإمام المهدي عليه السلام يقتضي أن يصلحه الله تعالى، وأنه سبحانه سوف يُصلح ذلك الأمر في ليلة من الليالي. وافتراض وجود ما يستدعي الإصلاح في الإمام المهدي عليه السلام لا يحطّ من علوّ قدره، ولا يقدح في عِظَم شأنه، ولا ينال من جلال منزلته.

وكما أخبرنا رسول الله ﷺ في حديث "يصلحه الله في ليلة".. فإن الإمام المهدي عليه السلام سوف يفتقر إلى أمر من الأمور حين يبعثه الله تعالى، ولكن الله سبحانه سوف يُصلح ذلك الأمر في ليلة، كما أوضح ذلك رسول الله ﷺ. والله تعالى هو الذي يُصلح أمور أنبيائه ورسله، حتى يكون ذلك آية لهم، تبين صدقهم وتدل على تأييد الله لهم.

إن موسى عليه السلام كان يعلم أن لسانه لا ينطلق حتى عيّره فرعون بأنه: ﴿لا يَكَادُ يُبِينُ﴾، فدعا موسى ربَّه وقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (طه:٢٦-٢٩)، فشرح الله صدره وأنطق لسانه حتى صار من فرسان البيان في بلاط فرعون كما يتبين من القرآن الكريم من خلال مناظراته مع فرعون.

ومن المعلوم أيضا أن رسول الله ﷺ لم يكن شاعرا ولا أديبا، ولم يشترك في مجالس الأدب ومحافل الحكماء والشعراء، فعلّمه الله تعالى من لدنه أعلى مراتب الحكمة والبلاغة في القرآن، وآتاه أسمى درجات العلم والعرفان، وأسبغ عليه أجمل اللآلئ ودرر البيان، حتى صار ذلك النبي الأمّي أبلغ البلغاء، وأفصح الفصحاء، وأحكم الحكماء، وأعظم الأدباء، وصار كلامه أبلغ الكلام بعد

القرآن، فقال متحدثا بنعم الله عليه وبما فضله الله تعالى على غيره من النبيين: "... وأوتيت جوامع الكلم."

والإمام المهدي أيضا كان يُعاني من نفس هذا الأمر، فلم يكن له في مجال الأدب ريادة، ولا كان له في مضمار البيان سيادة. نعم إنه درس في حداثة سِنّه من اللغة العربية وقواعدها ما يُمكّنه من قراءة القرآن، ولكنه لم يتبحّر في علومها، ولا انغمس في بحورها، ولا خطا بقدميه في مسالكها ودروبها. و لم تكن العربية هي لغته التي يتحدث بها، ولا لسانه الذي ينطق به. و لم يُسافر إلى أي بلد عربي، و لم ينْزل في منازل العرب وساحاتهم، ولا أقام بين العرب أو البدو أو جاور خيامهم ومساكنهم.

ولما أعلن عن دعوته، ودعا الناس إلى بيعته، وأخبرهم بأن الله قد اصطفاه ليكون الإمام المهدي المعهود، وجعله المسيح الموعود، فراح يدعو القاصي والداني، ويكتب الكتب وينشر المقالات، فإذا بالمشايخ والمولويين المتعصبين، وعلماء زمانه من الأدباء والحاذقين، أخذوا يُعيّرونه بعدم قدرته على سبر أغوار اللغة العربية، وسخروا منه كما سخر أسلافهم السابقون من الأنبياء المكرمين، وظنوا أنهم بعلمهم وأدبهم خير من المرسلين، فقالوا كما يذكر القرآن الكريم على لسان فرعون اللئيم:

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف:٥٣)

وهكذا تشابهت القلوب والأقوال، وتماثلت النفوس والأفعال، غير أن ذلك لم يُغير من حقيقة الأمر شيئا، و لم يُبدّل من واقع الحال أمرا. فالإمام المهدي لم يكن بالفعل من علماء اللغة العربية، فلم يكن له أن يرد على انتقادات مُخالفيه، ولا أن يُجادل الأدباء والبلغاء من بين مُعارضيه. و لم يكن له من ملجأ يلجأ إليه سوى الله تعالى، الذي خلقه وهو أعلم بحاله وحاجته، وهو العليم الحكيم الذي يؤتي علمه من يشاء، ويهب الحكمة لمن أراد. فألقى بنفسه

بين يدي خالقه، وراح يدعو منعمه وكافله ورازقه، وأخذ يتوسل إلى مولاه وحِبِّه وبارئه، أن يؤتيه علوم هذه اللغة العربية، ويجعله أبلغ من كل بلغاء عصره، وأوحد أدباء زمانه.

واستجاب الله تعالى لتضرّعاته، وسمع لكل توسّلاته، وأصلحه في ليلة، وعلّمه أربعين ألفا من جذور اللغة العربية ومصادرها في ليلة واحدة، تماما كما سبق وأخبرنا رسول الله ﷺ، حتى صار بفضل ربه كما أراد أن يكون نابغة الأدباء، وإمام البلغاء.

ولما تحقق وعد رسول الله ﷺ، كتب هو يصف تلك المعجزة التي أنعم بها الله عليه فقال:

"ومن آياتي أنه تعالى وهب لي ملكة خارقة للعادة في اللسان العربية، ليكون آية عند أهل الفكر والفطنة. والسبب في ذلك أني كنت لا أعلم العربية إلاّ طفيفا لا تُسمّى العلمية، فطفق العلماء يقعضون ويكسرون عود خبري ومخبرتي، ويتزرّون على علمي ومعرفتي، ليُبرّؤن العامة مني ومن سلسلتي. وشهروا من عندهم أن هذا الرجل لا يعلم صيغة من هذه اللسان، ولا يملك قراضة من هذا العقيان. فسألت الله أن يُكمّلني في هذه اللهجة، ويجعلني واحد الدّهر في مناهج البلاغة. وألححت عليه بالابتهال والضراعة، وكثر إطراحي بين يدي حضرة العزّة، وتوالى سؤالي بجهد العزيمة، وصدق الهمة، وإخلاص المهجة. فأُجيب الدعاء، وأُتيتُ ما كنتُ أشاء، وفُتِحت لي أبواب نوادر العربية، واللطائف الأدبية، حتى أمليتُ فيها رسائل مبتكرة، وكتبا محبّرة، ثم عرضتها على العلماء، وقلت يا حزب الفضلاء والأدباء.. إنكم حسبتموني أُمّيًّا ومن الجهلاء، والأمر كان كذلك لولا التأييد من حضرة الكبرياء، فالآن أُيّدتُ من الحضرة، وعلّمني ربّي من لدنه بالفضل والرحمة، فأصبحت أديبا ومن المتفرّدين. وألّفتُ رسائل في حُلل البلاغة والفصاحة، وهذه آية من ربي لأولي الألباب والنصفة،

وعليكم حُجّة الله ذي الجلال والعزّة. فإن كنتم من المرتابين في صدقي وكمال لساني، والمتشككين في حسن بياني وتبياني، ولا تؤمنون بآيتي هذه وتحسبونها هذياني، وتزعمون أني في قولي هذا من الكاذبين.. فأتوا بكتاب من مثلها إن كنتم صادقين. وإن كان الحق عندكم كما أنّكم تزعمون، فسيُبدي الله عزّتكم ولا تُغلبون ولا ترجعون كالخاسرين. فلا يُعاتبكم بعده مُعاتب، ولا يزدريكم مُخاطب، ويستيقن الناس أنكم من الأمناء ومن الصالحين. وإن كنتم لا تقدرون عليه لقلة العلم والدّهاء، فانهضوا وادعوا مشهورين منكم بالتكلم والإملاء، والمعروفين من الأدباء. وإني عرضت عليكم أمرا فيه عزة الصادق وذلّة الكاذب، وسينال الكاذبين خزيٌ ونصبٌ من العذاب اللازب، فاتقوا الله إن كنتم مؤمنين.

فما كان لهم أن يأتوا بمثل كلامي، أو يتوبوا بعد إفحامي، وظهرت على وجوههم سواد وقحول، وضمر وذبول، وغشيهم حين وإحجام، وجهلوا كل ما صلفوا ولم يبق لهم كلام. وجاءني حزب منهم تائبين، وكثير حق عليهم ما قال خاتم النبيين، عليه الصلاة والتحيات من رب العالمين. ثم اعلموا يا حزب السامعين.. إن هذه آية استفدته من روحانية خير المرسلين بإذن الله رب العالمين." (نجم الهدى، الخزائن الروحانية ج١٤ ص ١٠٧-١١٣)

ثم يقول في موضع آخر:

"وإن كمالي في اللسان العربي، مع قلة جهدي وقصور طلبي، آية واضحة من ربي، ليُظهر على الناس علمي وأدبي. فهل من معارض في جموع المخالفين؟ وإني مع ذلك عُلّمت أربعين ألفا من اللغات العربية، وأُعطيتُ بسطة كاملة في العلوم الأدبية، مع اعتلالي في أكثر الأوقات، وقلّة الفترات، وهذا فضل ربّي أنه جعلني أبرع من بني الفُرات، وجعلني أعذب بيانا من الماء الفرات. وكما جعلني من الهادين المهديين، جعلني أفصح المتكلمين. فكم من مُلَحٍ أُعطِيتُها، وكم من

عذراء عُلّمتُها، فمن كان من لسن العلماء، وحوى حسن البيان كالأدباء، فإني أستعرضه لو كان من المعارضين المنكرين.
وقد فُقت في النظم والنثر، وأُعطيت فيها نورًا كضوء الفجر، وما هذا فعل العبد، إنْ هذا إلاّ آية رب العالمين. فمن أبى بعد ذلك وانزوى، وما بارزني وما انبرى، فقد شهد على صدقي ولو كتم الشهادة وأخفى." (أنجام آتهم، الخزائن الروحانية ج ١١ ص٢٣٤-٢٣٥)

ولكن المعارضين والمخالفين الذين رانت على قلوبهم العماية، لم يشهدوا ويُقرّوا بعظمة شأن هذه الآية، وراحوا يشيعون بين العوام والناس، ويوسوسون لهم كما يفعل الوسواس الخنّاس، أن كتابات سيدنا أحمد في اللغة العربية، لا ترقى إلى مستوى الكتابات الأدبية، وهي عارية من المُلَحِ الإنشائية، وخالية من الروائع البلاغية، وأهم لو شاءوا أو أرادوا، لنمّقوا صحفا مثلها بل أكثر بلاغة، ولكتبوا كتبا صنوها بل أجمل صياغة. وهكذا شابهوا بأقوالهم وأفعالهم أولئك الذين اعترضوا على بلاغة القرآن الكريم، فأنكروها قائلين:

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَآ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال:٣٢)

ولكنهم أبدًا لا يقولون، ولمفترياتهم لا يؤيدون، وعلى دعاواهم لا يُبرهنون. وكان هذا هو أيضا شأن المخالفين للإمام المهدي عليه السلام، فتحدّاهم أن يُناضلوه في هذا المضمار، أو يُنازعوه في الكتابة والحوار، ودعاهم أن يكتبوا بإزائه ويكتب هو أمامهم، حتى يتجلى صدقه ويظهر كذب دعواهم. وفي ذلك كتب يقول:

".... يا حسرة على الذين يذكرونني بإنكار، لِمَ لا يأتونني في مضمار، يشهقون في مكانهم كحمار، ولا يخرجون كمُمار. إن هم إلاّ كعودٍ ما له ثمر، أو كنخل ليس عليه تمر، ثم مع ذلك يخدعون الجاهلين. إن هم إلاّ كدارٍ خربة، أو جُدرانٍ منقضّة، يُعَلّمون الناس ما لا يعملون،

ويقولون ما لا يفعلون. خَبَت نارُهم، وتوارى أُوَارُهم، وختم الله على قلوبهم، وأبادهم بعد شحوبهم، فتراهم كأموات غير أحياء ساقطين."
(المرجع السابق: ص ٢٣٥- ٢٣٦)

فلما وخزهم التحدّي، وخافوا من السقوط والتردّي، وعلموا أنهم ليسوا سادة هذا المضمار، ولا أمن لهم من الفضيحة والعار، ولا نجاة لهم من السقوط والعثار، راحوا يزعمون ويروّجون، كما زعم من قبلهم السابقون، أن ما يكتبه الإمام المهدي ليس من تأليفه وخط قلمه، ولا هو من ثمار فضله وأدبه وعلمه، بل إن بعض العرب والشاميين هم الذين كانوا يكتبون له هذه الصحف المزوّقة، وهم الذين كانوا يُملون عليه تلك العبارات المنمّقة، ولا طَوْلَ لهم بمجاراة العرب في الإنشاء، ولا سبيل لهم للتفوق على الشاميين في الإملاء. وهكذا أقرّوا من حيث لا يدرون بعظمة شأن كتابات الإمام المهدي العربية، واعترفوا وأنوفهم راغمة بسمو أساليبه الأدبية، وشابهوا قوما سبقوهم في الكفر والضلال، فأرادوا أن يتساووا معهم في الحال وفي القال.

وقديما.. حين زعم السابقون في اعتراضهم على إعجاز القرآن أنه ليس بكلام معجز، وأنهم لو شاءوا لقالوا مثله.. تحدّاهم الله تعالى في القرآن أن يأتوا ببعض السور المفتريات إن كانوا صادقين، فلما أدركوا أنهم عاجزون عن قبول التحدّيات، اضطرّوا للاعتراف بعظمة هذه الآيات. ولكنهم زعموا أن هذه الآيات ليست من تأليف محمد ﷺ، لأنهم كانوا يعلمون أنه أمّي لم يتعلم القراءة والكتابة، وليس له علم بتلك الوقائع التي يذكرها القرآن. وبدلا من أن يعترفوا بأن الله تعالى هو مصدر تلك الحقائق، راحوا يزعمون أنها من تأليف علماء آخرين، على دراية بتلك الحقائق من الكتب السابقة، وهم الذين يُملونها عليه بكرة وأصيلا. وفي ذلك يقول تعالى:

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾
(الفرقان: ٦)

فالسابقون أيضا اضطروا للاعتراف بعظمة إعجاز القرآن، رغم أنهم كانوا في أول الأمر يستهزئون ويسخرون، ويزعمون أنهم لو شاءوا لقالوا مثله. وكذلك كان هذا هو شأن المخالفين والمعارضين الذين اضطروا للاعتراف ببلاغة الإمام المهدي الإعجازية، ولكنهم بدلا من أن يُقرّوا بأن الله تعالى هو الذي وهب عبده الإمام المهدي هذا الإعجاز.. راحوا ينسبونه إلى العرب من أهل الشام وأهل الحجاز، وأضلهم الكفر والعناد فنسوا فضل الله العلاّم، وفي ذلك يقول الإمام المهدي عليه السلام:

".... ثم من اعتراضات العلماء وشبهاتهم التي أشاعوها في الجهلاء، أنهم قالوا إن هذا الرجل لا يعلم شيئا من العربية، بل لا حظ له من الفارسية، فضلا من دخله في أساليب هذه اللهجة، ومع ذلك مدحوا أنفسهم وقالوا إنّا نحن من العلماء المتبحّرين. وقالوا إنه كل ما كتب في اللسان العربية من العبارات المحبّرة، والقصائد المبتكرة، فليس خاطره أبا عذرها، ولا قريحته صدف لآليها ودُررها، بل ألّفها رجل من الشاميين، وأخذ عليه كثيرًا من المال كالمستأجرين، فليكتب الآن بعد ذهابه إن كان من الصادقين.

فيا حسرة عليهم! إنهم لا يستيقظون من نُعاس الارتياب، ولا يُسرحون النواظر في نواضر الصدق والصواب، ولا ينتهجون مهجة المنصفين. وتركوا الله لأشاوي حقيرة، وأهواء صغيرة، فإلامَ يعيشون كالمتنعّمين؟ يُصأصئون كما يُصأصئُ الجرو ولا يستبصرون، ويُضاهي بعضهم بعضا في الجهل فهم متشابهون. وإذا قيل لهم تعالوا إلى حقٍ ظهر، وقمرٍ بهر، فتشمئز قلوبهم ويهربون مستنفرين. أولئك الذين هتك الله أسرارهم، وكدّر أنظارهم، فتراهم كالعمين. يريدون أن يُفسدوا في الأرض عند إصلاحها وجزّءوا الأمانة والدين.

أتنفعهم أقوالهم إذا سُئل ما أفعالهم؟ أو يفيدهم إفنادهم إذا ظهر فسادهم؟ أو يُبرّءون مع كونهم من الفاسقين؟ لا يتّقون عالِم سريرتهم، ولا

ينتهون عن صغيرتهم ولا كبيرتهم، ويعثون في الأرض معتدين. يتركون أوامر الله ولا يكترثون، ويتبعون زهوَهم ولا يُبالون، ويسعون إلى السيئات ولا ينتهون. أيظنون أنهم يُتركون في الدنيا ولذّاتها، ولا يُقادون إلى الحاقّة ومُجازاتها، ولا يُؤخذون كالمفسدين؟ أيحسبون أنهم ليسوا بمرآى رقيبهم، ولا بمشهد حسيبهم، ألا يعلم الله ما يجترحون كالخائنين؟

يلجون غابة الشيطان، ويذرون حديقة الرحمن، ويمرّون بالحق مستهزئين. وإذا قيل لهم اقبلوا الحق كما قبل العلماء، وأتوني كما أتى الأتقياء، صعّروا خدودهم كالمستكبرين. وقالوا لولا ألّف بعد الشامي كتابًا، إن كان صادقًا لا كذابًا، فليأتنا الآن بكتاب بعده إن كان من المؤلّفين.

فجئنا الآن لنؤتيهم نظيرها، بل كبيرها، والله موهن كيد الكاذبين. وقد ألّفنا هذه الرسالة، ورتّبناها كما رتّبنا الرسائل السابقة لندحض حجتهم، ونقطع أرومتهم، ونمزّق معاذير المبطلين. وإن هذا مني في العربية كآخر الكتب، وأودعتها من مُلَحِ الأدب، والأشعار النخب، ليكون صاتا لدفع صخب الصاخبين، ولنهدم دار المفترين من بنيانها، وندوس جيفة وجودهم في مكانها، ولنلطم على وجوه المجترئين." (المصدر السابق ص٢٣١-٢٣٤)

وهكذا كان تحدّي الإمام المهدي عليه السلام لاذعًا واضحًا، ولكن هروب المخالفين وسكوتهم كان عملاً فاضحًا. فأرسل الإمام المهدي إلى كلٍّ من مخالفيه الذين كانوا يدّعون الأدب والبلاغة، ويتفاخرون بأمور الفصاحة وشؤون الصياغة، فكتب يقول:

"…. وكان في هذه الديار تسعة رهط من الأشرار، وكانوا مفسدين في الأرض ولا ينتهجون مهجّة الخيار، وما كانوا صالحين. ووجدتهم في الكبرياء والإباء، كالجملة المتناسبة الأجزاء، أو كأمراض متشابهة في الخبث والإيذاء، ورأيت كلهم من المعادين المعتدين.

فمنهم رجل أمرتسري يُقال له "الرّسل البابا"، إنه امرؤ لا يعرف صدقا ولا صوابا، وكذب بآياتنا كِذابا. وخالطه زمر من السفهاء، فقعدوا بحذاء شمس كالحرباء، وقالوا إنّا نريد أن نُعارضك كالأدباء، ولكنّا لا نجيئك كما تريد، بل آتنا كالغرباء، وإذا جئت فنبارز كالمعارضين." (المرجع السابق ص٢٣٦)

وهكذا أرادت تلك المجموعة من العلماء برئاسة "الرسل البابا" أن تتحدى الإمام المهدي الطَيْ‍ﻻِ، وهم يعلمون مُسبّقًا أن العلماء الكبار لا يذهبون إلى من يتحداهم، بل على المتحدي أن يأتي صاغرا إلى مجلسهم ومنتداهم. فكانوا يتوقّعون أن يأنف الإمام المهدي من الذهاب إليهم في عقر دارهم كما أنهم يأنفون، وبذلك يقولون إننا تحدّيناه وهو الذي رفض التحدّي، وهرب من ساحتنا وخاف من التصدّي. ولكن الإمام المهدي كتب يقول:

"فعفتُ المسعَى في أوّل نظري إلى الجهلاء، وأخذتني أنَفَة أن أحضر مجلس الحمقاء، ثم رأيت أن لا تعنيف، على من يأتي الكنيف، فقبلتُ كل ما قالوا، وملتُ إلى ما مالوا، وكتبت إليهم أني أقبل أن أكتب مناضلاً في ندوتكم، فعليكم أن تكتبوا مثل ما أكتب أمام مُقلتكم، أو أسمعوني ما أكتب كما زعمتم كمال درايتكم، فصمتوا وسكتوا كأنهم من الميتين." (المرجع السابق ص٢٣٦-٢٣٧)

وهكذا كانت مفاجأة عُمرهم.. أن الإمام المهدي الطَيْ‍ﻻِ قد قبلَ أن يذهب إليهم في مجلسهم، ويُناضلهم في مكان ندوتهم، ثم تحدّاهم أن يكتبوا أمامه كما يكتب هو أمام أعينهم، فإن أبوا ذلك فعليهم على الأقل أن يقرأوا أمام الملأ من الحاضرين ما يكتبه هو، ويُسمعوه كما يُسمعوا المشاهدين ما خطّه بقلمه أمام نواظرهم، بدون أن يُخطئوا في القراءات، وبغير أن يغلطوا في نطق الكلمات. ولكنهم كانوا يعلمون أنهم كاذبون، وأنهم في الباطل سادرون، وللحق كارهون، وأنهم حتما في النضال مخذولون. وقال الإمام المهدي الطَيْ‍ﻻِ:

"وقد أُشيع بعده الاشتهار، وأُفشي الأخبار، وأمضضناهم وأحفظناهم

فصمتوا كرجل ألثغ، وسكتوا كالذي على تُرب الهوان مرّغ، فانقلبنا عنهم كالمنصورين. فيا حسرة على الرسل البابا! إنه ما خاف ربًّا توّابا، ورأى ذُلاً وتبابا، وإنه شبّ نارا، ثم أخمدها خوفا واضطرارا، وجال في شجون، ثم خاف مخلب منون، ونسى كل مجون، ومع ذلك ما ترك سير المتكبرين." (المرجع السابق ص٢٣٧)

ثم يُتابع الإمام المهدي عليه السلام ذكر العلماء الذين كانوا يتطاولون عليه، وكانوا قبل أن يصلحه الله في ليلة ويُعلمه اللغة العربية.. يتفاخرون عليه بعلمهم وأدهم، ثم زعموا بعد ذلك أن الشاميين والعرب هم الذين يكتبون له الكتب والقصائد والأشعار، فكتب يقول:

"ومن التسعة الذين أشرتُ إليهم رُجَيْل يقال له "أصغر"، وإنه يزعم في نفسه كأنه أكبر، ويزدريني مفتريا من غير استحياء، ويسبّني في محافل وأملاء، فستعلم كيف يُجعل من الأصغرين. إنه يتّبع الهوى، ولا يجرى طلقًا مع التقوى، يريد أن يفضّ ختوم الشهوات ولو بالجنايات، ويجتني قطوف اللذّات ولو بالمحرّمات، وكذلك تأهّبت له الرفاق، وازداد من المنافقين النفاق، واستحكم في الطباع الذميمة، حتى سبق إخوانه في النميمة، وَمَا أرى مَدحرة لشيطانه، إلاّ أن أدعوه لامتحانه، فأُقبلُ عليه إقبال الطالب المناضل، ليتبين أمر الجاهل والفاضل، وإنه كان يطلبني لوغاه، فاليوم نرضيه بما يهواه، وقد خاطبته من قبل ذات العويم، لأُزيل ما علا قلبه كالغيم، فقلت آتني كالرائد، وتمتع من الموائد، فإن كنت رأيناك كسحاب مطير، أو ثبت معك من البلاغة كمير، فنؤمن بك وبحسن بيانك، ونشيع صفات علو شانك، فيسوغ لك بعده أن تغلطنا في إملائنا، وتأخذ أغلاط إنشائنا، كما أنت تظن كالجاهلين الغافلين. ومع ذلك نحسبك أنك ذو مقول جريّ، ونابغة كلام عربيّ، ويجوز لك ما لا يجوز لغيرك من ازدراء، والطعن على إملاء، وتُحمد عند الناس كالفاضلين المؤدبين.

وأما طراز ازدرائك، قبل إثبات علمك وعلائك، فما هذا إلاّ لبوس سفيه يترك الحياء، وعادة ضرير لا يرى الأضواء، فيحسب النهار المنير ظلاما، والوابل جهاما. وإن كنت من رجال هذا المضمار، ووليجة أهل هذه الدار، فَأَرِنا كمال إنشائك قبل ازدرائك، وَأْتِ بكتاب كمثل هذا الكتاب، ثم اجعل بيني وبينك حَكَمًا أحدًا من أُولي الألباب. فإن شهد الحكم على كمالك، وحسن مقالك، وظنّ أنّك جئت بأحسن من كلامي، وأريت نظاما أجمل من نظامي، فلك من بعد أن تتخذ جدّي عبثا، وتجعل تبري خبثا، وأن تحسب درّي الغُرّ كليلٍ دامس، وبياني الواضح كطريق طامس، وتشيع عثاري في العالمين. وإن لم تفعل.. ولن تفعل.. فاتّق لعن اللاعنين." (المصدر السابق ص٢٣٨-٢٤٠)

"…. ومن المعترضين المذكورين، شيخ ضال بطالويّ، وجار غويّ، يُقال له "محمد حُسَيْن"، وقد سبق الكلَّ في الكذب والميْن. وإنه أبى واستكبر، وأشاع الكبر وأظهر، حتى قيل إنه إمام المستكبرين، ورئيس المعتدين، ورأس الغاوين. هو الذي كفرني قبل أن يُكفر الآخرون، واعترض على كتبي وأظهر جهله المكنون. فقال إن تلك الكتب مشحونة من الأغلاط، وساقطة في وحل الانحطاط، وليست كماء معين، وإن هذا الرجل من الجاهلين. وكل ما يوجد في كتبه من مُلَحها وقيافيها، فليس قريحته حجر أثافيها، بل تلك كلم خرجت من أقلام الآخرين.

فقلت يا شيخ النوكَى، وعدوّ العقل والنُهَى، إن كتبي مبرّأة مما زعمتَ، ومنَزّهة عما ظننتَ، إلاّ سهو الكاتبين، أو زيغ القلم بتغافل مني لا كجهل الجاهلين. فإن قدرتَ أن تُثبتَ فيها عثارًا، فخذ مني بحذاء كل لفظ غلط دينارًا، واجمع صريفًا ونُضارًا، وكن من المتمَوّلين. وهذا صلة تلائم هواك، وتقر به عيناك، وتستريح به رجلاك، فتنجو من السفر الدائم، ولا تتيه كالشحّاذ الهائم، وتقعد كالمتنعّمين. وتَغْنَى به عن جعائل أخرى، ومكائد شتّى، وإشاعة عدوّ السُنّة، ووعظ الدّجل

والفرية، وتعيش كالمستريحين.
بيد أني أريد أن أرى قبله ريّا فصاحتك، وأشاهد ريح بلاغتك، لأفهم أنك من علماء هذه الصناعة، ومن أهل تلك الصَّوْلة، ولست من الجاهلين المحجوبين العمين ....
ووالله إني أستيقن أنه لا يقدر على إملاء سطر أو سطرين، وكل ما يقول يقول من المين، بل لا أظن أنه يقدر على فهم مقالي، ويُبيّن في المجلس فحواء أقوالي، وإنه من الكاذبين ....
وإني أُيّدتُ من الله القدير، وأُعطيتُ عجائب من فضله الكثير. ومن آياته أنه علّمني لسانًا عربية، وأعطاني نكاتًا أدبية، وفضلني على العالمين المعاصرين. فإن كنتَ في شك من آيتي، وتحسب نفسك حُدَيّ بلاغتي، فتحام القال والقيل، واكتب بحذائي الكثير أو القليل. وجدّد التحقيق ودع ما فات، وبارز في موطن وعيّن له الميقات، وعليَّ وعليك أن نحضر يوم الميقات بالرأس والعَين، ونناضل في الإملاء كالخصمَين. فإن زدتَ في البلاغة وحسن الأداء، وجئتَ بكلام يسر قلوب الأدباء، فأتوب على يدك من كل ما ادّعيتُ، وأحرق كل كتاب أشعتُه أو أخضيتُ، ووالله إني أفعل كذلك فانظر إني أقسمتُ وآليتُ. فارحم الأمة المرحومة، وعالج الفتن المعلومة، فإن الفتن كثرت، والآفات ظهرت، وكُفّر فوج من المسلمين من غير حق، والألسن فيهم طالت، فقم رحمك الله ولا تقعد كالمنافقين.
ألا تستيقن أنك من العلماء الراسخين، والأدباء القادرين؟ ثم مع هذا تعلم أن الله مؤيّد الصادقين، ومخزي الكاذبين، والله مولى أهل الحق ولا مولى للمفترين. وإن لم تقدر على المقابلة، ولم تقم للمناضلة، فرضيتُ بأن تُسمعني ما أكتب من العبارات الأنيقة، والجمل الرشيقة، وكفاني لو فُزتَ بهذه الطريقة، وأظهرتَ ما قلتُ على الحاضرين.
ولكني جرّبتك مذ أعوام، إنك لا تقوم في مقام، ولا تريد قطع خصام، وتَنْحَت في آخر الأمر حيَلاً واهية، ومعاذير منسوجة كاذبة، وتفر

كالمحتالين. فعليك أن لا تحتال كأيام سابقة، وتحضر على الميقات في رياغة مقررة، فإن كنتَ غالبا وفاء أمرك إلى غلبة ورشاد، فأخفض لك جناح انقياد، وأتوب على يديك باعتقاد، كالذي ققل من ضلال إلى سداد. فألْفِتُ اليوم وجهي إليك يا أبا المراء، وإلى إخوانك من العلماء، وأدعوكم إلى مأدبتي الجفلا، وأُبلّغ دعوتي إلى أهل الحضارة والفلا، فعليكم أن لا تُعرِضوا عن هذه الدعوة، كما أبيتم ذات مرة في الأيام السابقة، فإن هذا يقضي بين الصادقين والكاذبين، وتتجلّى منه آية ربّ العالمين، وتستبين سبيل المجرمين.

بيد أني لا أظن أن تحضروا لفصل هذه القضية، والرجاء منقطع منك ومن أمثالك في هذه الخطّة، فكأني أستنْزل العصم من المعاقل، أو أطلب الولد من الثاكل، أو أستقري الدهن من الحديد، أو أبغي الطيب من الصديد، وأرى أني أرجع إليكم كالخاطئين، وأُضيّع وقتي في سؤالي من المحرومين. وإني لم أفعل ذلك لو لم يكن مقصدي إتمام الحجة، وإظهار الحق على الخاصّة والعامّة. وإني أدعوكم أوّلاً إلى المباهلة، فإن لم تقبلوا فأدعوكم إلى أن يجيئني أحدٌ منكم لرؤية آيتي ويلبث عندي إلى السنة الكاملة، وإن لم تقبلوا فأدعوكم إلى المناضلة في العربية، بالشريطة المذكورة والآتية، وإن لم تستطيعوا فُرادى فُرادى، فما أُضَيّق الأمر على من عادَى، بل آذَن لكم أن يجلس بعضكم بالبعض كالناصرين." (المرجع السابق ص٢٤١-٢٥٠)

وهكذا كان التحدّي واضحًا بلا مراء، وظاهرًا جليًّا بغير خفاء، لكل العلماء المعارضين والمخالفين من الأدباء، ولكنهم فرّوا من المناضلة والمحاورة، كما يفر الظبي الرعديد من القسورة، فتحقق بذلك وعد رب العالمين، لعباده المؤمنين والمرسلين. إنه سبحانه هو الذي ينصر الصادقين، ويُعز أهل الحق من المتقين، ويهزم أهل الباطل من المفترين، ويخزي الكاذبين الملعونين. ولقد سبقت كلمته لعباده الأبرار، وأصفيائه الأطهار، أن لهم دائما الغلبة والفوز

والانتصار، ولأعدائهم الهزيمة والخسار والاندحار، والفشل والتباب والتبار، والمهانة والخزي والانكسار، والذلّ واللعنة والاحتقار، وللكاذبين دائما عقبى النار. فسبحان الذي أوفى وعده، ونصر بفضله عبده، وهزم أحزاب العلماء المستكبرين وحده. وطوبى لمن رأى آيات رب العالمين، وسارع إلى قبول الحق المبين، ودخل في زمرة جماعة الصادقين المخلصين.

* * *

لم يكن الأمر مجرد التفوق في البلاغة والبيان، ولكن الأهم هو الإحاطة بعلوم القرآن، والتفاضل في الخبرة بدروب الحكمة ومسالك العرفان، فإن التفسير الصحيح للقرآن أمر لا يعطيه الله تعالى إلاّ لمن زكّى نفسه وطهرها وكان من الصادقين المطهرين، فقد قال تعالى عن القرآن الكريم إنه في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون. ولذلك تحدّى سيدنا أحمد عليه السلام جميع المخالفين والمعارضين، من الأدباء والعلماء والمولويين، أن يكتبوا تفسيرا لسورة الفاتحة، وهي سبع آيات، في سبعين يوما. وذكر سيدنا أحمد أن العلماء يستطيعون أن يساعدوا بعضهم البعض في هذا المجال، ولهم أن يستعينوا بالعلماء والأدباء العرب إذا شاءوا، ولكنه أكّد على أنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بتفسير مثل تفسيره بأية حال، وأنهم سوف ينهزمون جميعا في هذا النضال.

ولكن الباطل لا يريد أن يستسلم بسهولة، وإذا بواحد من أولئك المغرورين الذين يريدون أن يظهروا أمام العامة كأنهم أدباء وفضلاء، وهم ليسوا سوى جهلاء وخبثاء، واسمه المولوي مهر علي، ذهب إلى مدينة لاهور التي تبعد حوالي سبعين ميلا (١١٥ كيلومتر) من قاديان، وأشاع أنه يقبل التحدي، ولكنه اشترط شرطا غريبا، وهو أن يتباحثا أولا قبل كتابة التفسير، ثم يحكم على المباحثة واحد من العلماء الذي كان من أشد أعداء سيدنا أحمد عليه السلام. وطبعا كان يعلم أن سيدنا أحمد لن يقبل هذه الشروط، فيشيع بين الناس أنه

هرب من المواجهة.

وكتب سيدنا أحمد تفسيرا رائعا لسورة الفاتحة، سمّاه: "إعجاز المسيح"، ليكون المعجزة التي تقف دائما شاهدة على فضل الله عليه، وعلى أنه فعلا من عند الله تبارك وتعالى، الذي علّمه وأدّبه وآتاه العلم والحكمة. وكتب في مقدمته هذا التحدّي الذي وجّهه إلى المولوي مهر علي وغيره من العلماء، ولنقتطف بعض ما كتبه سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه في هذا الشأن:

"فحاصل القول.. إن البيان والمعارف من معجزاتي، وإن مرهفاتي آياتي وكلماتي. وكنت دعوت بعض أعدائي لإراءة هذه المعجزة، لعل الله يشرح صدورهم أو يجعل لهم نصيبًا من نور المعرفة. فقلت إن كنتم تنكرون بإعجازي، وتصولون عليّ كالغازي، وتظنون أنكم أُعطيتم علم القرآن، وبلاغة سحبان، فتعالوا ندع شهداءنا وشهداءكم، وعلماءنا وعلماءكم، ثم نقعد مقابلين، ونكتب تفسير سورة مرتجلين، منفردين غير مستعينين. فما كان أحدٌ منهم أن يقبل الشرط المعروض، ويتبع الأمر المفروض، ويقعد بحذائي، ويُملي التفسير كإملائي. بل جعلوا يكيدون ليطفئوا النور، ويُكذبوا المأمور.

وكان أحدٌ منهم يُقال له مهر عليّ، وكان يزعم أصحابه أنه الشيخ الكامل والولي الجليّ. فلمّا دعوته بهذه الدعوة، بعد ما ادّعى أنه يعلم القرآن وأنه من أهل المعرفة، أبى من أن يكتب تفسيرا بحذاء تفسيري، وكان غبيّا ولو كان كالهمداني أو الحريري، فما كان في وسعه أن يكتب كمثل تحريري. ومع ذلك كان يخاف الناسَ، وكان يعلم أنه إن تخلّف فلا غلبة ولا حجاسَ، فكاد كيدًا وقال إني سوف أكتب التفسير كما أشير، ولكن بشرط أن تُباحثني قبله بنصوص الأحاديث والقرآن، ويُحَكّمُ من كان لك عدوًّا وأشد بُغضًا من علماء الزمان. فإن صدّقني وكذّبك بعد سماع البيان، فعليك أن تُبايعني بصدق الجنان، ثم نكتب التفسير ولا نعتذر ونترك الأقاويل، وإنّا قبلنا شرطك وما زدنا إلاّ

القليل. هذا ما كتب إليّ وطبعه وأشاع بين الأقوام، واشتهر أنه قبل الشرائط وما كان هذا إلاّ كيدا لإغلاط العوام.

ولمّا جاءني مكتوبه المطبوع، وكيده المصنوع، قلت إنّا لله ولعنتُ ما أشاع، وتأسّفتُ على وقت ضاع. ثم إنه استعمل كيدًا آخر، ورحل من مكانه وسافر، ووصل لاهور، وأثار النقع كالثور، وأرجفت الألسنة أنه ما جاء إلاّ ليكتب التفسير في الفور. فلمّا رأيت أنهم حسبوا الدودة ثعبانا، والشوكة بستانا، قلت في نفسي أن نذهب إلى لاهور فأي حرجٍ فيه، لعل الله يفتح بيننا ويسمع الناس ما يخرج من فينا وفيه. فشاورتُ صحبتي في الأمر، وكشفتُ عندهم عن هذا السر، واستطلعتُ ما عندهم من الرأي، وسردتُ لهم القصة من المبادي إلى الغاي، فقالوا لا نرى أن تذهب إلى لاهور، وإن هو إلاّ محل الفتن والجور. وقد تبيّن أنه ما قبل الشروط، وأرى الضمور والمقوط، وتشحّط بدمه وما رأى سبيل الخلاص إلاّ الشحوط، وهمط وغمط، وما ذبح كبش نفسه وما سمط وما قمط. وإنّا سمعنا أنه ما جاء بصحة النيّة، وليس فيه رائحة من صدق الطوية، هذا ما رأينا والأمر إليك، والحق ما أراك الله وما رأيت بعينيك.

وكذلك كانت جماعتي يمعنونني ويردعونني، ويُصرّون عليّ ويكفّونني، حتى تلوّيت عما نويتُ، وحُبّب إليّ رأيهم فقبلتُ وما أبيتُ، وتركتُ ما أردتُ، وطويتُ الكشح عمّا قصدتُ. ثم طفق المخالفون يمدحونه على فتح الميدان، ويطيرونه من غير جناح العرفان، وكانوا يكذبون ولا يستحيون، ويتصلّفون ولا يتقون، ويفترون ولا ينتهون، وينسبون إليه بحار محامد ما استحقها، وأبكار معارف ما استرقها. وكانوا يسبّونني كما هي عادة السفهاء، ويذكرونني بأقبح الذكر وبالاستهزاء. ويقولون إن هذا الرجل هاب شيخنا وخاف، وأكله الرعب فما حضر المصاف، وما تخلّف إلاّ لخطب خشَّى وخوف غَشَّى، ولو بارز لكلمه الشيخ بأبلغ الكلمات، وشبَّح رأسه بكلام هو

كالصَفات في الصِفات. وكذلك كانوا يهذرون، ويستهزءون بي ويسبّون.

ووالله لا أحسب نفسي إلاّ كميْتٍ تُرِّبَ، أو كبيتٍ خُرِّبَ، والناس يحسبونني شيئًا ولستُ بشيء، وما أنا إلاّ لربي كفَيء. وما كان لي أن أبارز وأدعو العدا، ولكن الله أخرجني لهذا الوغى، وما رميتُ إذ رميتُ ولكن الله رمى. ولي حِبٌّ قدير وإعانته تكفيني، ومتُّ فظهر الحِبُّ بعد تجهيزي وتكفيني، ووهب لي بعد موتي كلامًا كالرياض، وقولاً أصفى من ماء يسيح في الرضراض، وحجة بالغة تلدغ الباطل كالنضناض، وكلها من ربي وما أنا إلاّ خاوي الوفاض، وأُمرتُ أن أنفق هذه الأموال على الأوفاض، وأن أرُمَّ جدران الإسلام قبل الانقضاض. ومن بارزني فقد بارز الله رب العالمين، وما جئتُ إلاّ بزي المساكين، وما أجيز حزنا من حولي، ولا بطنًا من جولي، بل معي قادر يواري عيانه، ويُري برهانه. فلأجل ذلك تحامت العدا عن طريقي، وقطّعت النحور والأعناق من منجنيقي، وما لأحد بمقاومتي يدان، ويدي هذه تعمل تحت يد الله الرحمان. نزلت عليّ بركات هي حرز للصالحين، فجمعتُ بها لنفسي التحصين والتحسين.

ومن نوادر ما أُعْطى لي من الكرامات، أن كلامي هذا قد جُعل من المعجزات، فلو جَهّز سلطانٌ عسكرًا من العلماء، ليبارزوني في تفسير القرآن، ومُلح الإنشاء، فوالله إني أرجو من حضرة الكبرياء، أن يكون لي غلبة وفتحٌ مبينٌ على الأعداء. ولذلك بثثتُ الكتب وأشعتُ الصحف النخب في الأقطار، وحثثتُ على هذه المصارعة كل من يزعم نفسه من أبطال هذا المضمار، وما كان لأحد من علماء هذه الديار، أن يُبارزني فيما دعوتهم بإذن الله القهّار....

وما حملني على ذلك إلاّ قصد إفشاء كذب هذا المكّار، فإنه مكر مكرًا كُبَّارًا وأظهر كأنه من العلماء الكبار، وادّعى أنه يعلم القرآن، وفاق الأقران، وحان أن يَغلب ويُعان. والغرض من تفسيري هذا تفريق

الظلام والضياء، وإراءة تضوّع المسك بحذاء جيفة البيداء، وإظهار خدع الخادع ومواساة الرجال والنساء، والإشفاق على العُمي ومُتّبعي الأهواء، وقضاءُ خطبٍ كان كحق واجب ودَيْن لازم لا يسقط بدون الأداء. فهذا هو الأمر الداعي إلى هذه الدعوة، مع قلّة الفرصة، ليكون تفسير الفرقان فرقانا بين أهل الهدَى وأهل الضلالة. ولولا التصلّف وتطاول اللسان، وإظهار شجاعة الجنان من هذا الجبان، لمررتُ بلَغوِه مرور الكرام، وما جعلته غرض السهام، ولكنه هتك ستره بيديه، فكان منه ما وَرَدَ عليه....

ولا يخفى أن القادر على تفسير القرآن، يفرح كل الفرح عند السؤال عن بعض معارف الفرقان، فإنه يعلم أن وقت إشراق كوكبه جاء، وحان أن يُعرَف ويُخزي الأعداء، فلا يحزن ولا يغتمّ إذا دُعِي لمقابلة، ونودي لمناضلة، بل يزيد مسرّة ويحسبها لنفسه كبشارة، أو كتفاؤل لإمارة. فإن العالم الفاضل لا يُقَدّرُ حق قدره، إلاّ بعد رؤية أنوار بدره، ولا يخضع له الأعناق بالكلية، إلا بعد ظهور جواهره المخفية.

وإنّا اخترنا الفاتحة لهذا الامتحان، فإنها أمّ الكتاب ومفتاح الفرقان، ومنبع اللؤلؤ والمرجان، وكوكنة لطير العرفان. وليكتب كلٌّ منّا تفسيرها بعبارة تكون من البلاغة في أقصاها، وتُنير القلب وتُضاهي الشمس في بعض معناها، ليرى الناس من اقتعد منّا غارب الفصاحة، وامتطى مطايا الملاحة. وليُعرَفَ أريبٌ حداه العقلُ إلى هذا الأرب، ويُعلَمَ أديبٌ ساقه الفهم إلى رياض العرب. وليُضمِرُ كلّ منّا لهذا المراد، كل ما عنده من الجياد، ويفري كل طريق من الوهاد والنجاد، بزاد اليراع والمداد، ليشاهد الناس مَنْ تُداركه العناية الإلهية، وأخذ بيده اليد الصمدية. ومن كان يزعم نفسه أنه هو العالم الربّاني، فليس عليه بعزيز أن يكتب تفسير السبع المثاني، مع رعاية مُلَح الأدب وشوارد المعاني. ثم إني أرخيتُ له الزمام كل الإرخاء، ووسّعتُ له الكلامَ لتسهيل الإنشاء، وكتبتُ من قبلُ في صحيفة أشعتُها، ونميقة إليه

دفعتها، أن ذلك الرجل الغُمُرَ، إن لم يستطع أن يتولى بنفسه هذا الأمر، فله أن يُشرك به من العلماء الزُّمُر، أو يدعو من العرب طائفة الأدباء، أو يطلب من صلحاء قومه همّة ودعاء لهذه اللأواء. وما قلتُ هذا القول إلاّ ليعلم الناس أنهم كلهم جاهلون، ولا يستطيع أحدٌ منهم أن يكتب كمثل هذا ولا يقدرون.....

ثم من المُسَلّم أن الله يُربي عقول الصالحين، ويُسعدهم بالهداية إلى طرق الروحانيين، ويُذكّرهم إذا ما ذهلوا معارف كلام الله القدّوس، ويُنــزل السكينة عند الزلزال على النفوس، ويؤيّدهم بروحٍ منه، ويُعضد بالإعانة على الإبانة، ويتولى أمورهم ويُميّزهم بالحصاة والرزانة، ويصرفهم من السفاهة، ويَعصمهم من الغواية، ويحفظهم في الرواية والدراية. فلا يقفون موقف مندمة، ولا يرون يوم تندّم ومنقصة، ولا تغرب أنوارهم، ولا تخرب دارهم. منابعهم لا تغور، وصنائعهم لا تبور، ويُؤَيّدُون في كل موطن ويُنصرون، ويُرزَقون من كل معرفة ومن كل جهل يُبعدون. ولا يموتون حتى تُكَمّل نفوسهم فإذا كُمّلت فإلى ربهم يُرجعون، فإن الله نورٌ فيميل إلى النور، وعادته البَدور إلى المبدور.

ولمّا كانت هذه عادة الله بأوليائه، وسُنّته بعباده المنقطعين وأصفيائه، لزم أن لا يرى عبده المقبول وجه ذلّة، ولا يُنسب إلى ضعفٍ وعلّة، عند مقابلةٍ من أهل ملّة، ويفوق الكل عند تفسير القرآن بأنواع علم ومعرفة. وقد قيل إن الوليّ يخرج من القرآن والقرآن يخرج من الوليّ، وإنّ خفايا القرآن لا يظهر إلاّ على الذي ظهر من يَدَيِ العليم العليّ.

فإن كان رجلٌ مَلَكَ وحده هذا الفهمَ الممتاز، فمثله كمثل رجل أخرج الرُكاز، وما بذل الجهد وما رأى الارتماز، فهو وليّ الله وشأنه أعظم وذيله أرفع من همز الهمّاز، ولمز اللمّاز، وما أُعطَى هذا الوليّ الفاني من معارف القرآن كالجَهَاز، فهو معجزة بل هو أكبر من كل نوع

الإعجاز. وأيّ معجزة أعظم من إعجازٍ قد وقع ظل القرآن، وشابه كلام الله في كونه أبعد من طاقة الإنسان؟ وليس هذا الموطن إلاّ للمتّقين، ولا تُفتح هذه الأبواب إلاّ للصالحين، ولا يمسّه إلاّ الذي كان من المُطَهّرين، وإن الله لا يهدي كيد الخائنين....

ومن لم يعلم القرآن وما أوتي البيان، فهو شيطان أو يُضاهي الشيطان، وما عرف الرحمان. وما كان لفاسق أن يبلغ هذه المنية العليّة، ولو شحذ إليها النفس الدنيّة. بل هو يختار طريق الفرار، خوفا من هتك الأسرار، وظهور العثار. وكذلك فَعَلَ هذا الرجل الكائد، والْمُزَوِّرُ الصائد، فانظروا كيف زوّر، وأرى التهوّر، وقال لبّيْتُ الدعوة وما لبّى، وقال عبّيتُ العسكر للخصام وما عبّى. وما بارز بل خدع وخبّ، وإلى جُحرهِ أبّ، وتراءى مَخيفا ضعيفا، وكان يُري نفسه رجلاً ببّا، وأخلد إلى الأرض وشابه الضبّ، وما صعد وما ثبّ، وجمع الأوباش وما دعا الربّ، وحقّرني وشتم وسبّ، وتبع الحيَل وما صافى الله وما أحبّ، وما قطع له العُلَق وما جبّ، وقال إني عالم والآن نجم علمه أزبّ، وكلّ ما دبّر تبّ.

وإن كان عالمًا فأي حرج على عالم أن يُفسّر سورة من سور القرآن، ويكتب تفسيره في لسان الفرقان، بل يُحمد لهذا ويُثنى عليه بصدق الجنان، ويُعلَم أنه من رجال الفضل والعلم والبيان، ويُشكر بما ينفع الناس من معارفٍ عُلّم من الرحمان. فلذلك أقول إنه من كان يدّعي ذُرَى المكان المنيع، فليبذل الآن جهد المستطيع، ويُثَبّت نفسه كالضليع. ولا شكّ أن إظهار الكمال من سيرة الرجال، وعادة الأبطال، لينتفع به الناس وليُخرَجَ به مسكينٌ من سجن الضلال. ولا يرضى الكامل بأن يعيش كمجهول لا يُعرف، ونكرة لا تُعَرّف. وإن الفُضُل لا تتبيّن إلاّ بالبيان، ولا يُعرف الشمس إلاّ بالطلوع على البلدان.

وإني ألزمتُ نفسي أن أكتب تفسيري هذا في إثبات ما أُرسِلتُ به من الحضرة، وأن أفتح هذه الأبواب بمفاتيح الفاتحة، مع لطائف البيان

ورعاية المُلَح الأدبية، والتزام الفصاحة العربية. ومن المعلوم أن نمق الدقائق الدينية، والرموز العلميّة، والإيماضات والإشارات، مع توشيح العبارات، وترصيع الاستعارات، والتزام محاسن الكنايات، وحسن البيان ولطائف الإيماءات، أمرٌ قد عُدّ من المعضلات، وخطبٌ حُسبَ من المشكلات، وما جمع هذين الضدّين إلاّ كتاب الله مظهر الآيات البينات، وماحي الأباطيل والجهلات. وإنّ الشعراء لا يملكون أعنّة هذه الجياد، فتنتشر كلماتهم انتشار الجراد، ولكني سألتُ الله فأعطاني، وجئته عطشان فأرواني، فنحن الموفّقون، ونحن المؤيّدون. تُواتينا الأقلام، كأنها السهام أوالحسام، ولنا من ربنا كلام تام، وظل ظليل، فكل رداء نرتديه جميل، ولنا جبلّة لا تبلغها الجُهّال، وقوّةٌ لا تُعجزها الأثقال، وحالٌ لا تُغَيّرها الأحوال، وربٌّ لا تُرَدّ من حضرته الآمال.

فحاصل الكلام إني من الله وكلامي من هذا العلاّم، وإني كتبتُ دعواي ودلائلها في هذا الكتاب، لأُسعف الخصم بحاجته وأُنجّيه من الاضطراب. فإن الخصم كان يدعوني إلى المباحثات، بعد ما دعوته لنمق التفسير في حلل البلاغة ومحاسن الاستعارات. فلمّا لويتُ عذاري وتصدّيت لاعتذاري من المناظرات، حمل إنكاري على فراري من هذه الغزاة، وما كان هذا إلاّ كيدًا منه وحيلةً للنجاة، ليستعصم من اللائمين واللائمات. وكان يعلم أن إعراضي كان لعهدٍ سبق، وما كنتُ كعبدٍ أبق، ولكنه طلب الفرار بهذه المعاذير الكاذبة، لعل الناس يفهمونه بطلَ المضمار ومُتمّ الحجة، فأردنا الآن أن نُعطيه ما سأل ولا نردّه بالحرمان، ونُجَلّي مطلع صدقنا بنور البرهان، ونقطع معاذيره كلها بسيف البيان، لعلّ الله يجلو به صدأ الأذهان، ويُفَهّم ما لم يفهموه قبل هذا الميدان. فهذا هو السبب الموجب لنمق الدعوى والدلائل، لئلا يبقى عذر للسائل.

وإن هذا التفسير جمع المباحثات، مع اللطائف والنِكات، فاليوم أدرك الخصم كل ما طلب منّا في حُلل المناظرات، مع أنه ترك طرق

الديانات، وتصدى للأمر بأنواع الاهتضام والخيانات، وبقي دَيْنُنا فعليه أن يقضي الدَيْن كرد الأمانات. وإني عاهدتُ الله أن لن أحضر مواطن المباحثات، وأشعتُ هذا العهد في التأليفات، فما كان لي أن أنكُث العهود، وأعصي الربّ الودود. فلأجل ذلك أغلقتُ هذا الباب، وما حضرت الخصم للبحث ولو عيّبني واغتاب، وإني كلّمته كالخليط فكَلِمني بالتخليط، وقد دعوتُه من قبل ففرّ من شوكتي، ثم دعوتُ فهابَهُ هيبتي، وهذه ثالثة ليتم عليه حجّة الله وحُجّتي. إنه مال إلى الزُمر وملنا إلى الذَّمَار، وإن المعارف منّا كبعوث جُمّروا على الثغور من قِبَلِ ملك الديار.

ثم اعلموا أن رسالتي هذه آية من آيات الله رب العالمين، وتبصرة لقوم طالبين، وإنها من ربي حجة قاطعة وبرهان مبين. كذلك، ليذيق الأفّاكين قليلا من جزاء ذنوبهم، ويُرِي الناس ما ترشّح من ذَنوبهم، ويُجنّبهم بمعجزة قاهرة ويزيل اضطجاع الأمن من جنوبهم، ويستأصل راحة كاذبة من قلوبهم.

والحق، والحق أقول، إن هذا كلام كأنه حسام، وإنه قطع كل نزاع وما بقى بعده خصام، ومن كان يظنّ أنه فصيح وعنده كلام كأنه بدر تام، فليأت بمثله والصمتُ عليه حرام. وإن اجتمع آباؤهم وأبناؤهم، وأكفاؤهم وعلماؤهم، وحكماؤهم وفقهاؤهم، على أن يأتوا بمثل هذا التفسير، في هذا المدى القليل الحقير، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ كالظهير. فإني دعوتُ لذلك وإن دُعائي مُستجاب، فلن تقدر على جوابه كُتّاب، لا شيوخ ولا شاب.

وإنه كنْز المعارف ومدينتها، وماء الحقائق وطينتها، وقد جاء ألطف صُنعًا، وأرقّ نسجًا، وأكثر حكمًا، وأشرف لفظًا، وأقلّ كلمًا، وأوفر معنًى، وأجلى بيانًا، وأسنى شأنًا. وما كتبتُه من حولي، وإني ضعيف وكمثلي قولي، بل الله وألطافه أغلاق خزائنه، ومن عنده أسرار دفائنه. جمعتُ فيه أنواع المعارف ورتّبتُ، وصففّت شوارد النِّكات وألجمت.

من عرفه عرف القرآن، ومن حسبه كذبًا فقد مان. فيه باكورة العرفان، ودقائق الفاتحة والفرقان. فيه بلاد الأسرار وحصونها، وسهل الحقائق وحزونها، وعيون البصيرة وعيونها، وخيل البراهين ومتونها، وذلك من بركات أمّ الكتاب. وما اطّلعتُ عليها إلاّ بعد تفهيم ربي التوّاب، فإنها سورة لا تُطوى عرصتها بإنضاء المراكب، ولا يبلغ نورَها نورُ الكواكب. ولمّا كان الظالمون نسبوني إلى الهزيمة، أعوَزني فريَتهم هذه إلى تفسير سورة الفاتحة، لأُخلّص نفسي من النواجذ والأنياب، فإن صول الكلاب أهون من صول المفتري الكذّاب.
وهذا من فضل الله ورحمته ليكون آية للمؤمنين، وحسرة على المنكرين، وحجّة على كل خصم إلى يوم الدين، وهدًى للمتقين. وليعلم الناس أن الفوز بصدق المقال، لا بالتصلّف كالجهال، والفتحَ بطهارة البال، لا بِعَذِرَةِ الأقوال، التي هي كالأبوال، وصلاح الحال بسلاح العلم والكمال، لا بالاحتيال والاختيال. فويلٌ للذين قصدوا الفتح بالمكائد، ورصدوا مواضعها كالصائد، وإن هو إلاّ من أحكم الحاكمين، وينصر من يشاء ويُكفّل الصالحين. فيندمل جريحهم، ويستريح طليحهم، ولا تركد ريحهم، ولا تَخْمُدُ مصابيحهم. ومنصوره يُملأ من علم الفرقان ولسان العرب، كما يُملأ الدلو إلى عقد الكرب، وإنه أنا ولا فخر، وإن دعائي يذيب الصخر، وإنّ يومي هذا يوم الفتح ويوم الضياء، بعد الليلة الليلاء.
اليوم خرس الذين كانوا يهذرون، وغُلّت أيديهم إلى يوم يبعثون. وكنتُ أطوف حول هذه الأوراق، كسائل يطوف في السكك والأسواق. فأراني الله ما أراني، وسقاني ما سقاني، فوافيتُ دروبها كما هداني، وأُعطَى لي ما سألتُ، وفُتح عليّ فحللتُ. وكل ما رقّمتُ فهو من أنفاس العلاّم، لا من أفراس الأقلام، فما كان لي أن أقول إني أعلم من غيري، أو زاد منهم سيري، ولا أقول إن روحي التفّ بأرواح فتيان كانوا من الأدباء، أو غالت نفسي جميع نفائس الإنشاء. ولا أدّعي أني انتهيت

إلى فناء منتهى الأدب، أو أكلتُ كل باكورة من المعاني النخب، بل دعوتُ مُخدّراته فوافتني فتياته، فقبلهن فتاه مفترّة شفتاه متهللاً مُحيّاه. فلا تستطلعوني طِلع أديب، وما أنا في بلدة الأدب إلاّ كغريب. وكل ما ترون مني فهو من تأييد ربي، ومن حضرةٍ ألقيتُ بها جِراني وحملتُ إليها إربي، وإنه في العُقبى وهذه حِبّي، وإني مسيحه وحماري حمارة حفظه ولطفه قُتبي. ولولا فضل الله ورحمته لكان كلامي ككلم حاطب ليل، أو كغثاء سيل.

ووالله إني ما قدرتُ على هذا بقريحةٍ وقّادة، بل بفضل من الله وسعادة. وإن هذه المخدّرة ما سفرت عن وجهها بيدي القصيرة، ولكن بفضل الله وعناياته الكثيرة. فإنه رأى الإسلام كسقيم في موماةٍ، فيه رمق حياة، ساقطًا على صلاتٍ كقذائف فلوات، وعلاه صغار، وعليه أطمار، فأدركه كإدراك عهادٍ، لسنةٍ جماد، ورحض وجهه وأزال وسخ مئين، وصب عليه الماء المعين. فبعث عبدًا من عباده لإتمام الحجة، وأودع كلامه إعجازًا ليكون ظلاً للمعجزة النبوية، عليه ألوف الصلاة والتحية. ولا يمس منه منقصة شأن كلام رب الكائنات، فإن الكرامات أظلال للمعجزات. وكذلك دمّر الله كل ما دمّر العدا كالصائد، وهدم كل ما بنوا من المكائد، وأبطل كل ما حققوا مكيدةً، وأخّر كل ما قدموا حربةً، وعطّل كل ما نصبوا حيلة، وهدّم كل ما أشادوا بروجًا مشيدة، وأطفأ كل ما أوقدوا نارًا، وأغلق الدروب كلما أرادوا فرارًا. فما كان بوسعهم أن يبارزوا كأبطال المضمار، أو يخرجوا من هذا السجن بتسوّر الخنادق والأسوار. وما قدّموا قدمًا إلاّ رُجعوا بأنواع النكال، حتى جاء وقت هذا التفسير الذي هو آخر نبل من النبال، وإنّا كمّلناه بفضل الله ذي الجلال، وجاء أرسى وأرسخ من الجبال، وصار كحصن حصين بُني بالأحجار الثقال، وإنه بلغ حدّ الإعجاز من الله الفعّال، وإنه محفوظ من قصد العدوّ المدحور الضّال، وانتصفنا به من العِدا بعض الانتصاف، وكسرنا خيامًا ضربوها وقبابا نصبوها في

المصاف.
وكان هذا الأمر صعبا ولكن الله ألان لي شديدًا، وأدنى إليّ بعيدًا، ونقل العدوّ من السعة إلى المضايق، وأعمى أبصاره وصرف همته عن العلوم الحقايق، وألقى الرعب في قلوبهم، وأخذهم بذنوبهم، فنبذوا سلاحهم، وتركوا لقاحهم، وأنفدوا وجاحهم، وقوّضوا قبابهم، ونثلوا جعابهم، ونفضوا جرابهم، وأروا من العجز أنيابهم. وأُذن لهم أن يأتوا بجميع جنودهم من خيلها ورجلها، وحفلها وجحفلها، وزمرها وقوافلها، فصاروا كميت مقبور، أو زيت سراج احترق وما بقي معه من نور. وسكّتنا من بارز من صغيرهم وكبيرهم، وأوكفنا من نهق من حميرهم. فما كانوا أن يتحركوا من المكان، أو يميلوا من السِنة إلى السنان، بل جرّبنا من شرخ الزمن إلى هذا الزمان، أن هؤلاء لا يستطيعون أن يبارزونا في الميدان، وليس فيهم إلاّ السب والشتم قاعدين في الحجرات كالنسوان. يفرّون من كل مأزق، ويتراءى أطمارهم من تحت يلمق، ثم لا يقرّون ولا يتندّمون، ولا يتقون الله ولا يرجعون. فهذا التفسير عليه سهم من سهام، وكَلْمٌ بكلام، لعلهم يتنبّهون، وإلى الله يتوبون.
وإنّا شرطنا فيه أن لا يجاوز فريق منّا سبعين يومًا، ومن جاوز فلن يُقبل تفسيره ويستحق لومًا. وكذلك من الشرائط أن لا يكون التفسير أقل من أربعة أجزاء، وهذه شروط بيني وبين خصمي على سواء، وقد شهرناها من قبل وبلّغناها إلى الأحباب والأعداء، بعد الطبع والإملاء. والآن نشرع في التفسير بعون الله النصير القدير، ورتبناه على أبواب لئلاّ يشق على طُلاّب. ومع ذلك سلكنا مسلك الوسط ليس بإيجاز مُخلّ، ولا إطنابٍ مُملّ، وإنه له عن هذا العاجز كالعجزة، وأُخرج من رحم القدر برحم من الله ذي العزّة، في أيام الصيام وليالي الرحمة. وسمّيتُه "إعجاز المسيح في نمق التفسير الفصيح".
وإني أُرِيتُ مبشرةً في ليلة الثلاثاء، إذ دعوتُ الله أن يجعله معجزة للعلماء، ودعوتُ أن لايقدر على مثله أحدٌ من الأدباء، ولا يُعطى لهم

قدرة على الإنشاء. فأجيب دعائي في تلك الليلة المباركة من حضرة الكبرياء، وبشّرني ربي وقال: [منعه مانع من السماء]. ففهمت أنه يشير إلى أن العدا لا يقدرون عليه، ولا يأتون بمثله ولا كصفتيه، وكانت هذه البشارة من الله المنّان، في العشر الآخر من رمضان، الذي أنزل فيه القرآن، ثم بعد ذلك كُتب فيه هذا التفسير، بعون الله القدير.

رب اجعل أفئدة من الناس تهوي إليه، واجعله كتابًا مُباركًا وأنزل بركات من لدنك عليه، فإنّا توكلنا عليك، فانصرنا من عندك وأيّدنا بيديك. وكفّل أمرنا كما كفلتَ السابقين من الصالحين، واستجب هذه الدعوات كلها وإنّا جئناك متضرعين، فكن لنا في الدنيا والدين. آمين."

(إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية ج ١٨ ص٢٣-٧٠)

هكذا كان التحدّي واضحا: "... وإن اجتمع آباؤهم وأبناؤهم، وأكفاؤهم وعلماؤهم، وحكماؤهم وفقهاؤهم، على أن يأتوا بمثل هذا التفسير، في هذا المدى القليل الحقير، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ كالظهير. فإني دعوتُ لذلك وإن دُعائي مُستجاب."

وغني عن البيان طبعا أن نقول إن أحدًا لم يجرؤ على قبول التحدّي، لا من علماء الهند ولا من العرب. وقد طُبع ونُشر هذا الكتاب الفريد خلال سبعين يوما في رمضان عام ١٣١٨ هجريا الموافق شهر فبراير (شباط) ١٩٠١، أي في العام الأول من القرن العشرين، ومع ذلك فإن هذا القرن يكاد أن ينقضي وما زال التحدّي قائما، وما زال فشل المخالفين ثابتا واضحا، وسوف يظل كذلك إلى يوم الدين، لأن الله يُخزي الكذابين والمفترين، وينصر عباده الصادقين المخلصين، فهل بعد ذلك من شك في صدق الإمام المهدي.. إمام المتقين الصادقين؟

* * *

لم يكن الأمر بالنسبة لسيدنا أحمد عليه السلام هو مجرّد كتابة المقالات أو الكتب باللغة العربية، وليس الغرض أن يُبيّن علوّ باعه ونور يراعه، بل كان يؤكد

على أن من آتاه الله علوم القرآن، وحكمة الفرقان، فلا بد أن يـــؤتيه أيضا علوم اللغـــة العربيـــة. وفي أواخر القرن التاســـع عشـــر (١٨٩٥)، كتب مقدّمة كتاب أراد أن يخصصه لكشف سرّ من الأسرار التي علّمه الله تعالى إياها من القرآن الكريم، وهي أن اللغة العربية أمّ اللغات، وأنها اللغة التي علّمها الله تعالى لآدم عليه السلام، وأن اللغات الأخرى جميعها قد اشتُقّت وتفرّعت من اللغة العربية، وحيث إنها لغة ربّانية.. فقد أنزل الله تعالى كتابه القرآن في هذه اللغة الرفيعة، وجعل آخر شرائعه بنفس اللسان الذي بدأ به الوحي على آدم عليه السلام.

وقد انشغل سيدنا أحمد بأمور الدعوة التي كلّفه الله بها، فكتب بعد هذه المقدّمة ما يقرب من خمسين كتابا باللغة العربية والأردية، فلم يستطع إكمال هذه المقدمة للكتاب الذي أسماه: "منن الرحمن". غير أنه قد جاء من بين أتباعه الكرام، من أمسك بالخيط الذي قدّمه سيدنا أحمد عليه السلام، وراح يتتبّع اللغات وأصولها ومنابعها، فاستطاع أن يثبت نشوء الكثير من اللغات.. الحديثة والقديمة.. من اللغة العربية، تماما كما أكّد على ذلك الإمامُ المهدي عليه السلام. وكان اسم هذا العالم الجليل: محمد أحمد مظهر، رحمه الله وطيّب ثراه، وقد كرّمه المركز العالمي لسير الخالدين International Biographical Center, Cambridge, United Kingdom، ومنحه جائزة: "رجل العام العالمي" لعام ١٩٩٢/ ١٩٩٣ International Man of the Year ، إذ إنه نشر ٤٧ كتابا تناول في كل كتاب منها لغة من اللغات المعاصرة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والعبرية والسنسكريتية وغيرها، وأثبت نشوءها من اللغة العربية بتتبع أفعالها وأسمائها ومقاطعها، وقد اعترف الكثير من علماء اللغات بأهمية أعمال هذا الرجل، التي يعود كل الفضل فيها إلى ما ذكره الإمام المهدي، وما تلقاه من الله سبحانه وتعالى.

وفيما يلي نقتطف بعض الباقات من الجمل التي احتوتها المقدمة الفريدة التي

كتبها سيدنا أحمد الطَيِّلاً:

"الحمد لله الرب الرحمان، ذي المجد والفضل والإحسان، خلق الإنسان، علّمه البيان، ثم جعل من لسانٍ واحدة ألسنةً في البلدان، كما جعل من لون واحد أنواع الألوان، وجعل العربية أُمًّا لكل لسان، وجعلها كالشمس بالضوء واللمعان. هو الذي نطق بحمده الثقلان، وأقرّ بربوبيته الإنس والجان، تسجد له الأرواح والأبدان، والقلب واللسان يحمدان. سبحان ربنا رب ما يوجد وما يكون وكان، يفعل ما يشاء وكل يوم هو في شان. يُسبّح له كل ناطق وصامت، ويبغي رحمه كل زائغ وسامت، وهو رب العالمين. له الحمد والمجد وهو مولى النعم في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على رسوله سيد الرسل، ونور الأمم، وخير البريّة، وأصحابه الهادين المهتدين، وآله الطيبين المطهّرين، وجميع عباد الله الصالحين.

أما بعد.. فيقول عبد الله الأحد، أحمد.. عافاه الله وأيّد، إني كنت مولعًا من شرخ الزمان، بتحقيق المذاهب والأديان، وما رضيتُ قط ببادرة الكلمات، وما قنعتُ بطافي من الخيالات، ككل غبيّ أسير الجهلات، ومحبوس الخزعبلات، وما أصررتُ على باطل ككل جهول ضنين. وما حرّكني إلى أمر إلاّ أعين التحقيق، وما جرّني إلى عقيدة إلاّ قائد التعميق، وما فهّمني إلاّ ربي الذي هو خير الْمُفهّمين. وإنه كشف عليّ أسرارًا من الحقائق، وأنزل عليّ عهاد المعارف والدقائق، وأعطاني ما يُعطي المخلصين.

فلما وجدت الحق بفيضانه، ورُبّيتُ بلبانه، رأيتُ شكر هذه الآلاء، في أن أموّن خدمة الدين والشريعة الغرّاء، وأُرِي الناس نور الدين المتين، وأُرِي ملكوته بعساكر البراهين، وأراعي شؤون صدوق أمين.

وما هذا إلاّ فضل ربي، إنه أراني سبل الصادقين، وعلّمني فأحسن تعليمي، وفهّمني فأكمل تفهيمي، وعصمني من طرق الخاطئين. وأوحى إليّ أن الدين هو الإسلام، وأن الرسول هو المصطفى السيد

الإمام، رسول أُمّيّ أمين. فكما أن ربنا أحد يستحق العبادة وحده، فكذلك رسولنا المطاع واحد لا نبي بعده، ولا شريك معه وأنه خاتم النبيين. فاهتديتُ بهداه، ورأيت الحق بسناه، ورفعتني يداه، وربّاني ربّي كما يُربي عباده المجذوبين. وهداني وأدراني، وأراني ما أراني، حتى عرفتُ الحق بالدلائل القاطعة، ووجدت الحقيقة بالبراهين الساطعة، ووصلتُ إلى حق اليقين.

فأخذني الأسف على قلوب فسدت، وأنظار زاغت، وعقول فالت، وآراء مالت، وأهواء صالت، وأوباء شاعت من إفساد المفسدين. ورأيتُ أن الناس أكبّوا على الدنيا وزينتها، فلا يصغون إلى الملّة وأدلّتها، ولا ينظرون إلى نضارها ونضرتها، ويُعرضون كأنهم مرتابون وليسوا بمرتابين، ولكنهم آثروا الدنيا على الدين. لا يقبلون لِعَمْيِهِم دقائق العرفان، ولا يرون علاء البراهين. وكيف وإنهم يؤثرون سبل الشيطان، ويُصرّون على التكذيب والعدوان، ولا يسلكون محجّة الصادقين. فطفقتُ أدعو الله ليؤتيني حُجّة تفحم كفرة هذا الزمان، وتناسب طبائع الحدثان، لأُبَكّت سفهاءهم وعقلاءهم بأحسن البيان، وتتم الحجّة على المجرمين. فاستجاب ربي دعوتي، وحقق لي منيتي، وفتح عليّ بابها كما كانت مسألتي ومُراد مهجتي، وأعطاني الدلائل الجديدة البيّنة، والحجج القاطعة اليقينية، فالحمد لله المولى المعين.

وتفصيل ذلك أنه صرف قلبي إلى تحقيق الألسنة، وأعان نظري في تنقيد اللغات المتفرّقة، وعلّمني أن العربية أمّها، وجامع كيفها وكمّها، وأنها لسان أصليّ لنوع الإنسان، ولغة إلهامية من حضرة الرحمان، وتتمّة لخلقة البشر من أحسن الخالقين.

ثم عُلّمتُ من كلام الله ذي القدرة، أن العربية مخزن دلائل النبوّة، ومجمع شواهد عظمة هذه الشريعة، فخررتُ ساجدًا لخير المنعمين. وقادني داعي الشوق إلى التوغّل في العربية، والتبحّر في هذه اللهجة، فوردتُ لجّتها بحسب الطاقة البشرية، ودخلتُ مدينتها بالنصرة الإلهية،

وشرعتُ الاختراق في سُبلها ومسالكها، والانصلاتَ في طرقها وسككها، لأستعرف ربيبة خدرها، وأذوق عصيدة قِدْرِها، وأجتني ثمار أشجارها، وأُخرِجُ دُرَرَ بحارها، فصرتُ بفضل الله من الفائزين.
ولم يفتني بها مطلعٍ، ولا خلا مني مرتعٍ، ورأيت نضرتها، ورعيتُ خضرتها، وأُعطيتُ من ربي حظًّا كثيرا، ودخلا كبيرا في عربي مبين. حتى إذا حُصِّلَت لي دُرُرُها ودَرّها، وكُشِفَ عليّ معدنها ومقرّها، وأراني ربي أنها وحي كريم، وأصل عظيم لمعرفة الدين، وأن شهبها ترجم الشياطين. ومع ذلك رأيت لُغاتٍ أخرى كخضراء الدمن، ووجدتُ دارها خربة وأهلها في محن، ووجدتها شادّة الرحال للطّعن كالمتغرّبين. فأُلقي في رَوعي أن أُؤلّف كتابا في هذا الباب، وأضع الحق أمام الطلاّب، وأُحسِنُ إلى الخلق كما أَحسَن إليّ رب الأرباب، لعل الله يهدي به نفسًا إلى أمور الصواب، وما أبتغي به إلاّ رضا الرّب الوهّاب، وهو مقصودي لا مدح العالمين.
وإني ما أخرجتُ شيئا من عيبتي، فبأي حق أطلب محمدتي، ووالله ما خرَجَت من فمي كلمة، وما انكشفت عليّ حقيقة إلاّ بتفهيمه، وما علمتُ شيئا إلاّ بتعليمه، والله يعلم وهو خير الشاهدين. فلا تثن عليّ بصالحٍ في هذه الخطّة، واشكروا الله فإن كلها من حضرة العزّة، هو الذي أحسن إليّ وهو خير المحسنين." (منن الرحمن، الخزائن الروحانية ج ٩ ص ١٤٥-١٦٨)

ثم يذكر بعد هذا انفطار قلبه بسبب انصراف الناس عن الاهتمام بالدين ودراسة القرآن الكريم فيقول:

"... وكان قلبي يقلق، وكادت نفسي تزهق، لو لم يكن معي قوي متين. وإنه مولانا ولا مولى للكافرين، وإنه يجيب دعاءنا ويسمع بكاءنا ويأتينا إذا أتيناه مضطرين. وكذلك إذا خوّفني هجوم الآفات، وأرعدني ضعف المسلمين والمسلمات، فبكيت في وقت من الأوقات، ودعوتُ ربي قاضي الحاجات، وناديتُ مولاي كالمتضرّعين. وقلتُ يا رب أنت

ملجأنا في كل حين، ونحن إليك نشكو وأنت أحكم الحاكمين، فلا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ولا تُحمّلنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. فاستجاب لي ربي وأعطاني إربي، ونصرني وهو خير الناصرين. فكنتُ يومًا أتذكر قلّة البعاع، وأرتعد كاللعاع، وأقلق في هذه الأحزان، وأقرأ آيات القرآن، وأفكر فيها بجهد الجنان، وأزجي نضو التدبّر والإمعان، وأدعو الله أن يهديني طرق العرفان، ويُتم حجّتي على أهل العدوان، ويتلافى ما سلف من جور المعتدين.

فبينما أنا أفتش كالكميش، وقد حميَ وطيس التفتيش، وأنظر بعض الآيات، وأتوسّم فحواء البيّنات، إذا تلالأت أمام عيني آية من آيات الفرقان، ولا كتلألؤ درر العمان. فإذا فكّرتُ في فحوائها، واتّبعتُ أنواع ضيائها، وأجزتُ حمى أرجائها، وأفضيتُ إلى فضائها، وَجَدتُها خزينة من خزائن العلوم، ودفينة من السرّ المكتوم. فهزت عطفي رؤيتها، وتجلّت لي كجمرة قُوّتها، وأصبى قلبي نضارها ونضرتها، واغتالت العدا كريهتها، وسرَت مهجتي صرّتها، فحمدلتُ وشكرتُ لله رب العالمين. ورأيت بها ما يملأ العين قرّة، ويعطي من المعارف دولة، ويسرّ قلوب المسلمين. وعُلّمتُ من سرّ اللغات ومثواها، وزُوّدتُ من فص الكلمات ونجواها، وكذلك أُعطيتُ من أسرارٍ عليا ونِكاتٍ عظمى، ليزيد يقيني ربي الأعلى، وليقطع دابر المعتدين.

وإن كنتَ تحب أن تعرف الآية وصولها، فاقرأ: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، وإن فيها مدح القرآن وعربي مبين. فتدبّرها كالعاقلين، ولا تمر بها مرور الغافلين. واعلم أن هذه الآية تُعظّم القرآن والعربية ومكّةَ، وفيها نورٌ مزّق الأعداء وبكّتَ، فاقرأها بتمامها، وانظر إلى نظامها، وفتش كالمستبصرين. وإني تدبرتها فوجدت فيها أسرارًا، ثم أمعنتُ فرأيت أنوارًا، ثم عمّقتُ فشاهدتُ مُنَزّلاً قهّارًا رب العالمين.

وكُشف عليّ أن الآية الموصوفة، والإشارات الملفوفة، تهدي إلى فضائل العربية، وتشير إلى أنها أمّ الألسنة، وأن القرآن أمّ الكتب السابقة، وأن مكّة أمّ الأرضين. فاقتادني بروق هذه الآية، إلى أنواع التنطس والدراية، وفهمتُ سرّ نزول القرآن في هذا اللسان، وسرّ ختم النبوّة عل خير البريّة وختم المرسلين.

ثم ظهرت عليّ آيات أخرى، وأيّد بعضها بعضا تترًا، حتى جرّني ربي إلى حق اليقين، وأدخلني في المستيقنين. وظهر عليّ أن القرآن أمّ الكتب الأولى، والعربية أمّ الألسنة من الله الأعلى، وأما الباقية من اللغات فهي لها كالبنين أو البنات. ولا شك أنها كمثل ولدها أو ولائدها، وكل يأكل من أعشارها وموائدها، وكل يجتنون فاكهة هذه اللهجة، ويملأون البطون بتلك المائدة، ويشربون من تلك اللجة، ويتخذون لباسًا من هذه الحلّة، فهي مُربية أعارها الدَّست، واختار لنفسها الدست. وأما اختلاف الألسنة في صور التركيب، فليس من العجيب، وكذلك الاختلاف في التصريف واطراد المواد، ليس من دلائل عدم الاتحاد، ولولا اختلاف بهذا القدر في التركيبات، لامتنع تغاير يوجب كثرة اللغات، فإن وجود التراكيب المختلفة، هو الذي غيّر صور الألسنة، وهو السبب الأول للتفرقة. فلا يسوغ لمعترض أن يتكلم بمثل هذه الكلمات، وأين منتدحة هذه الاعتراضات؟ فإنها مُصادرة ومن الممنوعات. وكفاك أن الألسنة كلها مشتركة في كثير من المفردات. وما أوغلتُ بل سأريك كأجلى البديهيات، فاستقم كما سمعت ولا تكن من المخطين ...." (المرجع السابق ص١٨٠-١٨٥)

"... وأمّا تفصيل آيات تؤيد آية أم القرى، وتبيّن أن العربية أم الألسنة، وإلهام الله الأعلى، فمنها آية من الله المنّان، في سورة الرحمن، أعني قوله: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ علَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ فالمراد من البيان اللغة العربية، كما تشير إليه الآية الثانية، أعني قوله تعالى: ﴿عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾. فجعل لفظ المبين وصفا خاصّا للعربية، وأشار إلى أنه من صفاته الذاتية، ولا

يشترك فيه أحد من الألسنة كما لا يخفى على المتفكّرين. وأشار بلفظ ﴿الْبَيَانَ﴾ إلى بلاغة هذا اللسان، وإلى أنها هي اللسان الكاملة، وأنها أحاطت كلما اشتدّت إليه الحاجة، وتصوبت مطرها بقدر ما اقتضت البلدة، وفاقت كل لغة في إبراز ما في الضمائر، وساوى الفطرة البشرية كتساوي الدوائر، وكل ما اقتضته القوى الإنسانية، وابتغته التصورات الإنسية، وكل ما طلبه حوائج فطرة الإنسان، فيحاذيها مفردات هذه اللسان، مع تيسير النطق وإلقاء الأثر على الجنان، فاتّبع ما جاءك من اليقين.

ثم سياق هذه الآية يزيدك في الدراية، فإنه يدل بالدلالة القطعية على ما قلنا من الأسرار الخفيّة، لتكون من الموقنين. فتفكّر في آية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، فإن الغرض فيها ذكر القرآن، والحث على التلاوة والإمعان، ولا يحصل هذا الغرض إلاّ بعد تعلم العربية، والمهارة التّامة في هذه اللهجة، فلأجل هذه الإشارة قدّم الله آية: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، ثم قفاه آية: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، كأنه قال المنّة منّتتان: تنْزيل القرآن وتخصيص العربية بأحسن البيان، وتعليمها لآدم لينتفع به نوع الإنسان، فإنها مخزن علوم عالية، وهدايات أبدية من المنّان، كما لا يخفى على المتدبّرين.

فالحاصل أنه ذكر أوّلا نعمة الفرقان، ثم ذكر نعمة أخرى التي هي لها كالبنيان، وأشار إليها بلفظ البيان، ليُعلم أنها هو العربي المبين. فإن القرآن ما جعل البيان صفة أحد من الألسنة من دون هذه اللهجة، فأي قرينة أقوى وأدلّ من هذه القرينة لو كنتم متفكّرين. ألا ترى أن القرآن سمّى غير العربية أعجميّا، فمن الغباوة أن تجعلها للعربية سميّا، فافهم إن كنت زكيًّا، ولا تكن من المغرضين، والنص صريح وما ينكره إلاّ وقيح من المعاندين.

ومنها ما قال ذو المجد والعزّة، في آية بعد هذه الآية، أعني قول الله الحنّان:﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾. فانظر إلى ما قال

الرحمن، وفكّر كذي العقل والإمعان، وتذكّر كالمسترشدين. فإن هذه الآية تؤيد آية أولى، ويفسر معناها بتفسير أجلى، كما لا يخفى على المفكّرين. وبيانه أن الشمس والقمر يجريان متعاقبين، ويحملان نورا واحدا في اللونين. وكذلك العربية والقرآن، فإنهما تعاقبا واتّحدا البروق واللمعان، أمّا القرآن فهو كالشارق المنير، والعربية كالبدر المستنير، ومع ذلك ترى العربية أسرع في المسير، وأجرى على لسان الصالح والشرير، وما كانت شمس القرآن أن تدرك هذا القمر، وكذلك قدّر الله هذا الأمر وأنهما بحسبان، ويجريان كما أُجرِيا ولا يبغيان، بحسابٍ مقدّرٍ من الرحمن. فترى أن القرآن يجري برعاية أنواع الاستعداد، ويكشف على الطالب أسرار المعاد، ويُربي الحكماء كما يُربّي السفهاء، ويعلم العقلاء كما يعلم الجهلاء، وفيه بلاغ لكل مرتبة الفهم، وتسلية لكل أرباب الدّهاء والوهم، وساوى جميع أنواع الإدراك، من أهل الأرض إلى أهل الأفلاك، وإنه أحاط دوائر فهم الإنسان، مع التزام الحق وإقامة البرهان، وإنه نور تام مبين. وأمّا اللغة العربية فحسبانها أنها تجري تحت مقاصد القرآن، وتتم بمفرداتها جميع دوائر دين الرحمان، وتخدم سائر أنواع التعليم والتلقين...." (المرجع السابق ص١٨٨-١٩٢)

"واعلم أن للعربية، وصحيفة القدرة، تعلّقات طبعية، وانعكاسات أبدية، كأنهما مرايا متقابلة من الرحمان، أو توأمان متماثلان، أو عينان من منبع تخرجان وتصدغان، فانظر ولا تكن كالعمين. فهذه نصوص قاطعة، وحجج يقينية على أن العربية هي اللسان، والفرقان هو النور التام، الفرقان! ففكر ولا تكن من الغافلين. ومن فكر في القرآن وتدبر كلمات الفرقان، ففهم أن هذا قد ثبت من البرهان، وما كتبناه كالظانين، بل أوتينا علما كنور مبين.

ثم اعلم يا طالب الرشد والسداد، أن التوحيد لا يتم إلاّ بهذا الاعتقاد، ولا بد أن نؤمن بكمال الوثوق والاعتماد، بأن كل خير صدر من رب

العباد، وهو مبدأ كل فيض للعالمين. ومن المعلوم عند ذوي العرفان، أن طاقة النطق والبيان، من أعظم كمالات نوع الإنسان، بل هي كالأرواح للأبدان، فكيف يُتَصور أنها ما أُعطيت من يد المنّان؟ كلا.. بل هي تتمّة الخلقة البشرية، وحقيقة الأرواح الإنسيّة، وإنها من أعظم نعم حضرة الأحدية. ولا يتم التوحيد إلاّ بعد هذه العقيدة، أيرضى مُوَحّدٌ بأمرٍ فيه نقص حضرة العزّة، أو فيه شرك كعقائد المشركين؟ وإن الذين يعرفون الله حق العرفان، يعلمون أنه في كل خير مبدأ الفيضان، وأنه موجد الموجودين. ولا يتكلمون، كالدّهريين والطبيعيين، أولئك الذين أوتوا حظّا من المعرفة، وسُقوا من كأس توحيد الحضرة، وجُعلوا من الفائزين. وإن ربنا كامل من جميع الجهات، ولا يُعزَى إليه نقص في الذات أو الصفات، وإنه حميد لا يفرط إليه ذمّ، وقُدّوسٌ لا يلحقه وصم، وهذا هو محجة الاهتداء، ومشرب الأولياء والأصفياء، وصراط الذين أنعم الله عليهم، وسبيل الذين نوّر عينيهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

فوالله الذي هو ذو الجلال والإكرام، إن البشر ما وجد كمالا إلاّ من فيضه التام، وهو خير المنعمين. أم يقولون أن نعمة النطق ما جاءت من الرحمن، وما كان معطيها خالق الإنسان؟ فهذا ظلم وزور وغلوّ في العدوان كالشياطين. وتلك قوم ما قدروا الله حق قدره، وما نظروا إلى شمسه وبدره، وما فكروا أنه هو رافع كل الدّجَى، وأنه خالق الأرض والسماوات العلَى، خلق الإنسان ثم أنطقه ثم هدَى، وما من نعمة إلاّ أعطَى، فهذا هو ربنا الأعلَى، وخالقنا الأغنَى. وسعَت نعَمُه ظاهرنا وباطننا، وأحاطت آلاؤه أبداننا وأنفسنا. هو الذي خلق الإنسان، وأتم الخلق وزان، وأكمل الإحسان، فكيف يُظَنّ أنه ما علّم البيان؟ أتظن أنه قدر على خلق البشر، وما قدر على الإنطاق وإزالة الحصر، أو كان من الغافلين؟ أفأنت تعجب ههنا من قدرة رب العالمين؟ وترى أنه قوي متين، وأنه خالق الجوهر والعرض، ومُنَوّر السماوات

والأرض، ومجيب دعوة الدّاعين. فهل لك أن تتوب إليه وتميل، وتتحامى القال والقيل؟ والله يحب الصالحين.

فلما ثبت أن ربنا هو نور كل شيء من الأشياء، ومنير ما في الأرض والسماء، ثبت أنه المفيض من جميع أنحاء، وخالق الرقيع والغبراء، وهو أحسن الخالقين. وإنه أعطى العينين، وخلق اللسان والشفتين، وهدى الرضيع إلى النجدين، وما غادر من كمالٍ مطلوب، إلاّ أعطاها بأحسن أسلوب. فمن الغباوة أن تظن أن النطق الذي هو نور حقيقة الإنسان، ومناط العبادة والذكر والإيمان، ما أُعطى مع الخلقة من الرحمن، بل وجده البشر بشق النفس وجهد الجنان، بعد تطاول أمد وامتداد الزمان، وهل هذا إلاّ افتراء الكاذبين؟ ومن آمن بالذي له كمال تام في الذات والصفات، وفيوض متنوعة لأهل الأرض والسماوات، وعرف أنه مبدأ الفيوض من جميع الجهات، يؤمن بالضرورة بأنه أعطى كل شيء خلقه وما غادر شيئا من الكمالات، وهو مفيض كل فيض احتاجت إليه طبائع المخلوقات بحسب الاستعدادات. وما نعب غُرابٌ إلاّ بتعليمه، وما زأر أسدٌ إلاّ بتفهيمه. هو منبع كل خير وفيضان، ومُعَلّم كل نطقٍ وبيان، وكذلك كان شأن رب العالمين. أتزعم أنه ربّى الإنسان كرجل عاجز من إكمال التربية؟ لا.. بل ربّاه بأيدي القدرة التامّة، حتى وهب له لقب الخليفة، وكمّله بكمال الفضل والرحمة، وأعطى له ما لم يُعْطَ أحدٌ من المخلوقين. وإنه هو الله الذي يُربّي الأشجار بتربية كاملة، حتى يجعلها دوحًا ذات عظمة، ويزينها بزهر وأنواع ثمرة، وأظلال باردة ممدوة تسرّ الناظرين. فما زعمك أنه خلق الإنسان خلقا غير تام، وما بلّغه إلى مقام فيه كمال نظام، وتركه ناقصا كاللاغبين؟

ثم العلوم التي توجد في مفردات اللسان العربية، تشهد بالشهادة الجلية، أنها ليست فعل أحدٍ من البريّة، وأنها من خالق السماء والأرضين. ولا يختلج في قلبك أن الإنسان لا يتولّد ناطقا متكلّمًا، بل

يجد هذا الكمال متعلّمًا، كما نشاهد بالحق واليقين. فإن هذا الإيراد عليك لا لك، فأصلح حالك، ولا يغفل بالك كالنائمين. فإنّك إذا قبلتَ أن النطق لا يحصل إلاّ بالتعليم، فلزمك أن تقبل أن البشر الأول ما فهم إلاّ بالتفهيم، فأقررتَ بما أنكرتَ إن كنت من المتفكرين. وقد جرّب الناس، وتظاهر الخبرة والقياس، أن الأطفال المتولّدين، لو يتركون غير متعلّمين، ولا يعلمهم لسانهم أحدٌ من المعلّمين، فلا يقدرون على نطق، ولا يجيبون المنطقين، بل يبقون كبكم صامتين. فأي دليل أوضح من هذا لمن طلب الحق وهو أمين، وما اتّبع سبل الضالين؟ فجاهِدْ حق الجهاد، وفكر كأهل الرشاد، ولا تستعجل كالمعرضين.

ومن أجلى البديهيات، أن آدم خُلق من يد رب الكائنات، وما كان أحدٌ معه من المعلمين والمعلمات. فثبت أن معلمه كان خالق المخلوقات، أفلا تؤمن بقدرة قوي متين؟ أفلا تعلم أن وجود البريّة، ظلّ لصفة الربوبية؟ وبها كان ظهورهم في هذه النشأة، وكان النطق من تتمة خلق الإنسان، فكيف يُجوّز الخداج للذي ظهر من يدي الرحمن؟ أتزعم أن الله الذي نفخ روحه فيه، ما كان قادرًا أن يُنطِق فيه؟ ما لك لا تفكر كالمسترشدين؟" (المرجع السابق ص١٩٥-٢٠٢)

ولو لم يك ضيق المجال لاسترسلت في سرد الأدلة التي ساقها سيدنا أحمد عليه السلام على أن اللغة العربية هي أم اللغات، وحبذا لو رجع القارئ إلى هذه المقدّمة القصيرة التي كتبها الإمام المهدي بأسلوب عربي شائق وجميل ليرى قبسًا من النور الذي علّمه إياه رب العالمين. ويستطيع القارئ الأريب الذي ينظر إلى هذه الأمور بنور الله تعالى، أن يرى أن هذا العلم والعرفان الذي أنعم الله تعالى به على عبده الإمام المهدي عليه السلام، لا يمكن أن يناله أحد من الكذابين أو المتقوّلين على الله والمفترين، بل هو فضل محض من رب السماوات والأرضين، يؤيد به الصادقين المخلصين، ويعين به الأولياء والمرسلين.

* * *

وقبل أن نأتي إلى نهاية هذا الفصل، لا بد أن نذكر القول الفصل، الذي يبين كيف كانت معرفة الإمام المهدي عليه السلام باللغة العربية معجزة بالغة، جعلت منه أديبا نابغة، فلم يك ذلك من فعل إنسان ولا تدبير جان، بل كان مِن فضل الله المنّان، علّمه إياها خالق الإنسان الذي علّمه البيان.

كان ذلك عام ١٩٠٠ في يوم الحادي عشر من أبريل (نيسان)، الموافق العاشر من شهر ذي الحجة عام ١٣١٧ هجريا، وكان ذلك هو يوم عيد الأضحى المبارك. وفي اليوم السابق.. أي صباح يوم عرفة، أرسل عليه السلام إلى مولانا الحاج نور الدين رسالة ذكر له فيها أنه يريد أن يقضي كل يوم عرفة وليلة العيد في الدعاء له ولأحبّائه من أفراد الجماعة، وطلب منه أن يرسل إليه أسماء كل الحاضرين الموجودين في ذلك الوقت حتى يذكرهم خلال الدعاء. وفي صبيحة يوم العيد المبارك، ذكر الإمام المهدي عليه السلام للشيخ عبد الكريم، أن الله تعالى قد أمره أن يلقي خطبة العيد باللغة العربية. وبعد أداء صلاة العيد، استعد سيدنا أحمد لإلقاء خطبة العيد، فأشار إلى كل من مولانا نور الدين والشيخ عبد الكريم أن يدنوا منه لكتابة الخطبة. ثم استهل الخطبة وقال: "يا عباد الله..."، ثم قال: "اكتبوا الآن واسألوني فورا ما لم تفهموا وإلاّ تذهب عني هذه الكلمات". واستطرد سيدنا أحمد عليه السلام في إلقاء الخطبة ارتجالا، وكل من الحاج نور الدين والشيخ عبد الكريم يدوّن كل كلمة تخرج من فمه حتى انتهت الخطبة. وقام الشيخ عبد الكريم بترجمتها إلى اللغة الأردية لكي يفهمها الحاضرون من المصلين. وقد ذكر سيدنا أحمد عليه السلام، أن إلقاء هذه الخطبة المرتجلة بنجاح تام، كان آية من آيات استجابة الأدعية التي دعا بها ليلة يوم العيد. وأثناء قراءة الترجمة الأردية، فاضت منه مشاعر الحمد والشكر لله تعالى، فخر ساجدا وسجد معه الحاضرون كلهم، وكان عددهم زهاء مائتين. ولما رفع سيدنا أحمد رأسه من السجدة قال: لقد رأيت لفظ: "مبارك" مكتوبا بحروف حمراء، وكان ذلك آية القبول من الله تعالى.

وقد أشار أيضا في كتابه: "حقيقة الوحي" إلى هذه الخطبة الإلهامية، فذكر أن الله قد أوحَى إليه في صباح يوم عيد الأضحى أن يخطب باللغة العربية، وأن الله قد وهبه القوة لذلك. وتلقى أيضا وحيا باللغة العربية يقول: [كَلاَمٌ أُفْصِحَتْ مِنْ لَدُنْ رَبٍّ كَرِيمٍ]. وقال كذلك ما تعريبه:

"…. فعندئذ قمتُ بعد صلاة العيد لإلقاء خطبة العيد بالعربية، والله يعلم أني أُعْطيتُ قوة من الغيب، وكان لساني ينطلق ارتجالا بخطاب عربي فصيح يفوق كل ما أملك من قوة. وما أحسب أن رجلا من البشر يستطيع أن يُلقي مثل هذا الخطاب الطويل البليغ - بدون أن يكون مسجلا عنده في الأوراق - بغير أن يوحَى إليه ذلك وحيا …. سبحان الله! إن عينا نضّاخة من الغيب كانت تتدفّق عندئذ، ولم أكن أشعر ساعتئذ أنني أنا الذي أتكلم، أم أن ملاكا من الملائكة يتكلم بلساني، لأنني كنت أعرف أنه لا دخل لي في هذا الكلام، وكانت الجمل المصوغة بصياغة محكمة تخرج من لساني بصورة تلقائية. وكل جملة كانت لي آية بيّنة…" (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية ج٢٢ ص٣٧٦)

والآن.. ننقل إلى القراء الأفاضل نص هذه الخطبة الإلهامية التي ألقاها سيدنا أحمد عليه السلام مرتجلا في يوم عيد الأضحى فقال:

"يَا عِبَادَ اللهِ.. فَكِّرُوا فِي يَوْمِكُمْ هَذَا يَوْمِ الأَضْحَى، فَإِنَّهُ أُودِعَ أَسْرَارًا لأُولِي النُّهَى. وَتَعْلَمُونَ أَنَّ فِي هَذَا اليَوْمِ يُضَحَّى بِكَثِيرٍ مِنَ العَجْمَاوَاتِ، وَتُنْحَرُ آبَالٌ مِنَ الجِمَالِ وَخَنَاطِيلُ مِنَ البَقَرَاتِ، وَتُذْبَحُ أَقَاطِيعُ مِنَ الغَنَمِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّ الكَائِنَاتِ. وَكَذَلِكَ يُفْعَلُ مِن ابْتِدَاءِ زَمَانِ الإِسْلاَمِ، إِلَى هَذِهِ الأَيَّامِ.

وَظَنِّي أَنَّ الأَضَاحِي فِي شَرِيعَتِنَا الغَرَّاءِ، قَدْ خَرَجَتْ مِنْ حَدِّ الإِحْصَاءِ، وَفَاقَتْ ضَحَايَا الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ مِنْ أُمَمِ الأَنْبِيَاءِ، وَبَلَغَتْ كَثْرَةُ الذَّبَائِحِ إِلَى حَدٍّ غُطِّيَ بِهِ وَجْهُ الأَرْضِ مِنَ الدِّمَاءِ. حَتَّى لَوْ جُمِعَتْ دِمَاؤُهَا وَأُرِيدَ إِجْرَاؤُهَا لَجَرَتْ مِنْهَا الأَنْهَارُ، وَسَالَتِ البِحَارُ، وَفَاضَتِ الغُدْرُ وَالأَوْدِيَةُ الكِبَارُ.

وَقَدْ عُدَّ هَذَا العَمَلُ فِي مِلَّتِنَا مِمَّا يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَحُسِبَ كَمَطِيئَةٍ تُحَاكِي البَرْقَ فِي السَّيْرِ وَلُمْعَانِهِ. فَلأَجْلِ ذَلِكَ سُمِّيَ الضَّحَايَا قُرْبَانًا، بِمَا وَرَدَ أَنَّهَا تَزِيدُ قُرْبًا وَلُقْيَانًا، كُلَّ مَنْ قَرَّبَ إِخْلاَصًا وَتَعَبُّدًا وَإِيمَانًا. وَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ نُسُكِ الشَّرِيعَةِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِالنَّسِيكَةِ. وَالنُّسُكُ الطَّاعَةُ وَالعِبَادَةُ فِي اللِّسَانِ العَرَبِيَّةِ. وَكَذَلِكَ جَاءَ لَفْظُ النُّسُكِ بِمَعْنَى ذَبْحِ الذَّبِيحَةِ، فَهَذَا الاشْتِرَاكُ يَدُلُّ قَطْعًا عَلَى أَنَّ العَابِدَ فِي الحَقِيقَةِ، هُوَ الَّذِي ذَبَحَ نَفْسَهُ وَقُوَاهُ، وَكُلَّ مَنْ أَصْبَاهُ، لِرِضَى رَبِّ الخَلِيقَةِ. وَذَبَّ الهَوَى، حَتَّى تَهَافَتَ وَانْمَحَى، وَذَابَ وَغَابَ وَاخْتَفَى. وَهَبَّتْ عَلَيْهِ عَوَاصِفُ الفَنَاءِ، وَسَفَتْ ذَرَّاتِهِ شَدَائِدُ هَذِهِ الهَوْجَاءِ.

وَمَنْ فَكَّرَ فِي هَذَيْنِ المَفْهُومَيْنِ المُشْتَرَكَيْنِ، وَتَدَبَّرَ المَقَامَ بِتَيَقُّظِ القَلْبِ وَفَتْحِ العَيْنَيْنِ، فَلاَ يَبْقَى لَهُ خَفَاءٌ وَلاَ مِرَاءٌ، فِي أَنَّ هَذَا إِيمَاءٌ، إِلَى أَنَّ العِبَادَةَ المُنْجِيَةَ مِنَ الخَسَارَةِ، هِيَ ذَبْحُ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ، وَنَحْرُهَا بِمُدَى الانْقِطَاعِ إِلَى اللهِ ذِي الآلاَءِ وَالأَمْرِ وَالإِمَارَةِ، مَعَ تَحَمُّلِ أَنْوَاعِ المَرَارَةِ، لِتَنْجُوَ النَّفْسُ مِنْ مَوْتِ الغَرَارَةِ. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الإِسْلاَمِ، وَحَقِيقَةُ الانْقِيَادِ التَّامِّ. وَالمُسْلِمُ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَلَهُ نَحَرَ نَاقَةَ نَفْسِهِ وَتَلَّهَا لِلْجَبِينِ، وَمَا نَسِيَ الحَيْنَ فِي حِينٍ.

فَحَاصِلُ الكَلاَمِ.. أَنَّ النُّسُكَ وَالضَّحَايَا فِي الإِسْلاَمِ، هِيَ تَذْكِرَةٌ لِهَذَا المَرَامِ، وَحَثٌّ عَلَى تَحْصِيلِ هَذَا المَقَامِ، وَإِرْهَاصٌ لِحَقِيقَةٍ تَحْصُلُ بَعْدَ السُّلُوكِ التَّامِّ. فَوَجَبَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ كَانَ يَبْتَغِي رِضَاءَ اللهِ الوَدُودِ، أَنْ يَفْهَمَ هَذِهِ الحَقِيقَةَ وَيَجْعَلَهَا عَيْنَ المَقْصُودِ، وَيُدْخِلَهَا فِي نَفْسِهِ حَتَّى تَسْرِيَ فِي كُلِّ ذَرَّةِ الوُجُودِ، وَلاَ يَهْدَأَ وَلاَ يَسْكُنْ قَبْلَ أَدَاءِ هَذِهِ الضَّحِيَّةِ لِلرَّبِّ المَعْبُودِ. وَلاَ يَقْنَعْ بِنَمُوذَجٍ وَقِشْرٍ كَالجُهَلاَءِ وَالعُمْيَانِ، بَلْ يُؤَدِّي حَقِيقَةَ أَضْحَاتِهِ، وَيَقْضِي بِجَمِيعِ حَصَاتِهِ، وَرُوحِ تُقَاتِهِ رُوحَ القُرْبَانِ. هَذَا هُوَ مُنْتَهَى سُلُوكِ السَّالِكِينَ، وَغَايَةُ مَقْصَدِ العَارِفِينَ، وَعَلَيْهِ

يَخْتَتِمُ جَمِيعُ مَدَارِجِ الأَتْقِيَاءِ، وَبِهِ يَكْمُلُ سَائِرُ مَرَاحِلِ الصِّدِّيقِينَ وَالأَصْفِيَاءِ، وَإِلَيْهِ يَنْتَهِي سَيْرُ الأَوْلِيَاءِ.

وَإِذَا بَلَغْتَ إِلَى هَذَا فَقَدْ بَلَّغْتَ جُهْدَكَ إِلَى الانْتِهَاءِ، وَفُزْتَ بِمَرْتَبَةِ الفَنَاءِ، فَحِينَئِذٍ تَبْلُغُ شَجَرَةُ سُلُوكِكَ إِلَى أَتَمِّ النَّمَاءِ، وَتَصِلُ عُنُقُ رُوحِكَ إِلَى لُعَاعِ رَوْضَةِ القُدْسِ وَالكِبْرِيَاءِ، كَالنَّاقَةِ العَنْقَاءِ، إِذَا أَوْصَلَتْ عُنُقَهَا إِلَى الشَجَرَةِ الخَضْرَاءِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ جَذَبَاتٌ وَنَفَحَاتٌ وَتَجَلِّيَاتٌ مِنْ الحَضْرَةِ الأَحَدِيَّةِ، لِيَقْطَعَ بَعْضَ بَقَايَا عُرُوقِ البَشَرِيَّةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ إِحْيَاءٌ، وَإِبْقَاءٌ وَإِدْنَاءٌ، لِلنَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ الرَّاضِيَةِ المَرْضِيَّةِ الفَانِيَةِ، لِيَسْتَعِدَّ العَبْدُ لِقَبُولِ الفَيْضِ بَعْدَ الحَيَاةِ الثَّانِيَةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُكْسَى الإِنْسَانُ الكَامِلُ حُلَّةَ الخِلاَفَةِ مِنَ الحَضْرَةِ، وَيُصَبَّغُ بِصِبْغِ صِفَاتِ الأُلُوهِيَّةِ، عَلَى وَجْهِ الظِّلِّيَّةِ، تَحْقِيقًا لِمَقَامِ الخِلاَفَةِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ يَنْزِلُ إِلَى الخَلْقِ لِيَجْذِبَهُمْ إِلَى الرُّوحَانِيَّةِ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ الأَرْضِيَّةِ، إِلَى الأَنْوَارِ السَّمَاوِيَّةِ، وَيُجْعَلُ وَارِثًا لِكُلِّ مَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَأَهْلِ العِلْمِ وَالدِّرَايَةِ، وَشُمُوسِ القُرْبِ وَالوِلاَيَةِ، وَيُعْطَى لَهُ عِلْمُ الأَوَّلِينَ، وَمَعَارِفُ السَّابِقِينَ، مِنْ أُولِي الأَبْصَارِ وَحُكَمَاءِ المِلَّةِ، تَحْقِيقًا لِمَقَامِ الوِرَاثَةِ.

ثُمَّ يَمْكُثُ هَذَا العَبْدُ فِي الأَرْضِ إِلَى مُدَّةٍ شَاءَ رَبُّهُ رَبُّ العِزَّةِ، لِيُنِيرَ الخَلْقَ بِنُورِ الهِدَايَةِ. وَإِذَا أَنَارَ النَّاسَ بِنُورِ رَبِّهِ أَوْ بَلَّغَ الأَمْرَ بِقَدْرِ الكِفَايَةِ، فَحِينَئِذٍ يَتِمُّ اسْمُهُ وَيَدْعُوهُ رَبُّهُ وَيُرْفَعُ رُوحُهُ إِلَى نُقْطَتِهِ النَّفْسِيَّةِ. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الرَّفْعِ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ. وَالمَرْفُوعُ مَنْ يُسْقَى كَأسَ الوِصَالِ، مِنْ أَيْدِي المَحْبُوبِ الَّذِي هُوَ لُجَّةُ الجَمَالِ. وَيُدْخَلُ تَحْتَ رِدَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ، مَعَ العُبُودِيَّةِ الأَبَدِيَّةِ، وَهَذَا آخِرُ مَقَامٍ يَبْلُغُهُ طَالِبُ الحَقِّ فِي النَّشْأَةِ الإِنْسَانِيَّةِ. فَلاَ تَغْفَلُوا عَنْ هَذَا المَقَامِ يَا كَافَّةَ البَرَايَا، وَلاَ عَنِ السِّرِّ الَّذِي يُوجَدُ فِي الضَّحَايَا، وَاجْعَلُوا الضَّحَايَا، لِرُؤْيَةِ تِلْكَ الحَقِيقَةِ كَالمَرَايَا، وَلاَ تَذْهَلُوا عَنْ

هَذه الوَصَايَا، وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذينَ نَسُوا رَبَّهُمْ وَالَمنَايَا.

وَ قَدْ أُشيرَ إِلَى هَذَا السِّرِّ المَكْتُوم، في كَلاَمِ رَبِّنَا القَيُّوم، فَقَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ الصَّادقيْنَ: ﴿قُل إِنَّ صَلاَتي وَنُسُكي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتي لله رَبِّ العَالَمينَ﴾. فَانْظُرْ كَيْفَ فَسَّرَ النُّسُكَ بلَفْظ المَحْيَا وَالمَمَات، وَأَشَارَ به إِلَى حَقيقَة الأَضْحَاة، فَفكِّرُوا فيه يَا ذَوي الحَصَاة. وَمَنْ ضَحَّى مَعَ علم حَقيقَة ضَحيَّته، وَصدْق طَويَّته، وَخُلُوص نيَّته، فَقَدْ ضَحَّى بنَفْسه وَمُهْجَته، وَأَبْنَائه وَحَفَدَته، وَلَهُ أَجْرٌ عَظيمٌ، كَأَجْر إِبْرَاهيمَ عنْدَ رَبِّه الكَريم. وَإِلَيْه أَشَارَ سَيِّدُنَا المُصْطَفَى، وَرَسُولُنَا المُجْتَبَى، وَإِمَامُ المُتَّقينَ، وَخَاتَمُ النَّبيِّينَ، وَقَالَ وَهُوَ بَعْدَ الله أَصْدَقُ الصَّادقينَ: إِنَّ الضَّحَايَا هيَ المَطَايَا، تُوصلُ إِلَى رَبِّ البَرَايَا، وَتَمْحُو الخَطَايَا، وَتدْفَعُ البَلاَيَا. هَذَا مَا بَلَغَنَا منْ خَيْر البَريَّة، عَلَيْه صَلَوَاتُ الله وَالبَرَكَات السَّنيَّة، وَإِنَّهُ أَوْمَأَ فيه إِلَى حكَم الضَّحيَّة، بكَلمَات كَالدُّرَر البَهيَّة.

فَالأَسَفُ كُلَّ الأَسَف أَنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَعْلَمُونَ هَذه النِّكَات الخَفيَّة، وَلاَ يَتَّبعُونَ هَذه الوَصيَّة، وَلَيْسَ عنْدَهُمْ مَعْنَى العيد، منْ دُون الغُسْل وَلَبْس الجَديد، وَالخَضْم وَالقَضْم مَعَ الأَهْل وَالخَدَم وَالعَبيد، ثُمَّ الخُرُوج بالزِّينَة للتَّعْييد كَالصَّناديد. وَتَرَى الأَطَائبَ منَ الأَطْعمَة مُنْتَهَى طَربهمْ في هَذَا اليَوْم، وَالنَّفَائسَ منَ الأَلبسَة غَايَةَ أَربهمْ لإِرَاءَة القَوْم، وَلاَ يَدْرُونَ مَا الأَضْحَاةُ، وَلأَيِّ غَرَض يُذْبَحُ الغَنَمُ وَالبَقَرَاتُ.

وَعنْدَهُمْ عيدُهُمْ منَ البُكْرَة إِلَى العَشيِّ، لَيْسَ إِلاَّ للأَكْل وَالشُّرْب وَالعَيْش الهَنيِّ، وَاللِّبَاس البَهيِّ، وَالفَرَس الشَّريِّ، وَاللَّحْم الطَّريِّ. وَمَا تَرَى عَمَلَهُمْ في يَوْمهمْ هَذَا إِلاَّ اكْتسَاءَ النَّاعمَات، وَالمَشْطَ وَالاكْتحَالَ وَتَضْميخَ المَلبُوسَات، وَتَسْويَة الطُّرُر وَالذَّوَائب كَالنِّسَاء المُتَبَرِّجَات، ثُمَّ نَقَرَات كَنَقْرَة الدَّجَاجَة في الصَّلاَة، مَعَ عَدَم الحُضُور وَهُجُوم الوَسَاوس وَالشَّتَات، ثُمَّ التَّمَايُلَ إِلَى أَنْوَاع الأَغْذيَة وَالمَطْعُومَات، وَمَلء البُطُون

كَالنَّعَمِ وَالعَجْمَاوَات، وَالمَيْلَ إِلَى المَلاَهِي وَالمَلاَعِب وَالجَهَلاَت، وَسَرْحِ النُّفُوسِ فِي مَرَاتِعِ الشَّهَوَات. وَالرّكُوب عَلَى الأَفْرَاسِ، وَالعَجَلِ وَالعَنَاس، وَالجمَالِ وَالبغَالِ وَرقَاب النَّاس، مَع أَنْوَاعٍ مِّنَ التَّزْيينَات، وَإِفْنَاءِ اليَوْم كُلَّه كُلّه فِي الخُزَعْبيلاَت، وَالهَدَايَا منَ القلاَيَا، وَالتَّفَاخُرَ بلُحُومِ البَقَرَات وَالجَدَايَا، وَالأَفْرَاحِ وَالمَرَاحِ، وَالجَذَبَات وَالجمَاحِ، وَالضِّحْكَ وَالقَهْقَة، بِإِبْدَاءِ النَّوَاجذ وَالثَّنَايَا، وَالتَّشَوُّقَ إِلَى رَقْصِ البَغَايَا، وَبُوسهنَّ وَعنَاقهنَّ، وَبَعْدَ هَذَا نطَاقهنَّ. فَإِنَّا لله عَلَى مَصَائب الإِسْلاَم، وَانْقلاَب الأَيَّام.

مَاتَت القُلُوبُ، وَكَثُرَت الذُّنُوبُ، وَاشْتَدَّت الكُرُوبُ. فَعنْدَ هَذه اللَّيْلَة اللَّيْلاَء، وَظُلُمَات الهَوْجَاء، اقْتضَى رَحْمُ الله نُورَ السَّمَاء. فَأَنَا ذَلكَ النُّورُ، وَالمُجَدِّدُ المَامُورُ، وَالعَبْدُ المَنْصُورُ، وَالمَهْدي المَعْهُودُ، وَالمَسيحُ المَوْعُودُ. وَإِنِّي نَزَلتُ بمَنْزِلَة مِّنْ رَّبِّي لاَ يَعْلَمُهَا أَحَدٌ مِّنَ النَّاس، وَإِنَّ سرِّي أَخْفَى وَأَنْأَى منْ أَكْثَر أَهْلِ الله فَضْلاً عَنْ عَامَّة الأُنَاس. وَإِنَّ مَقَامي أَبْعَدُ منْ أَيْدي الغَوَّاصينَ، وَصُعُودي أَرْفَعُ منْ قيَاسِ القَائسينَ. وَإِنَّ قَدَمي هَذه أَسْرَعُ منَ القلاَص في مَسَالك رَبِّ النَّاس. فَلاَ تَقيسُوني بِأَحَد وَّلاَ أَحَدًا بي وَلاَ تُهْلكُوا أَنْفُسَكُمْ بالرَّيْب وَالعَمَاس. وَإِنِّي لُبٌّ لاَ قشْرَ مَعَهُ، وَرُوحٌ لاَ جَسَدَ مَعَهُ، وَشَمْسٌ لاَ يَحْجُبُهَا دُخَانُ الشِّمَاس. وَاطْلُبُوا مثْلي وَلَنْ تَجدُوهُ وَإِنْ تَطْلُبُوهُ بالنِّبْرَاس. وَلاَ فَخْرَ وَلَكنْ تَحْديثٌ لِّنعَم الله الَّذي هُوَ غَارسٌ لهَذَا الغرَاس. وَإِنِّي غُسلتُ بمَاء النُّور وَطُهِّرْتُ بعَيْنِ القُدْسِ منَ الأَوْسَاخ وَالأَدْنَاس، وَسَمَّاني رَبِّي أَحْمَدَ فَاحْمَدُوني وَلاَ تَشْتمُوني وَلاَ تُوصلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى الإِبْلاَس. وَمَنْ حَمدَني وَمَا غَادَرَ منْ نَّوْعِ حَمْد فَمَا مَانَ، وَمَنْ كَذَّبَ هَذَا البَيَانَ فَقَدْ مَانَ، وَأَغْضَبَ الرَّحْمَنَ، فَوَيْلٌ لِّلَّذي شَكَّ، وَفَسَخَ العَهْدَ وَفَكَّ، وَلَوَّثَ بطَائف مِّنَ الجنِّ الجَنَانَ.

وَإِنِّي جِئْتُ مِنَ الحَضْرَةِ الرَّفِيعَةِ العَالِيَة، لِيُرِيَ بِي رَبِّي مِنْ بَعْضِ صِفَاته

الجَلاَليَّة وَالجَماليَّة. أَعْنِي دَفْعَ الضَّيْر، وَإفَاضَةَ الخَيْر، فَإنَّ الزَّمَانَ كَانَ مُحْتَاجًا إلَى دَافِعِ شَرٍّ طَغَى، وَإلَى رَافِعِ خَيْرٍ انْحَطَّ وَاخْتَفَى. فَاقْتَضَت العنَايَةُ الإلَهيَّةُ أَنْ يُعْطَى الزَّمَانُ مَا سَأَلَ بلسَان الحَال، وَيُرْحَمَ طَبَقَاتُ النِّسَاء وَالرِّجَال. فَجَعَلَني مَظْهَرَ المَسيح عيسَى ابْن مَرْيَمَ لدَفْع الضَّرِّ وَإبَادَة مَوَادِّ الغَوَايَة، وَجَعَلَني مَظْهَرَ النَّبيِّ المَهْديِّ أَحْمَدَ أَكْرَمَ لإفَاضَة الخَيْر وَإعَادَة عهَاد الدِّرَايَة وَالهدَايَة، وَتَطْهير النَّاس منْ دَرَن الغَفْلَة وَالجنَايَة. فَجئْتُ في الحُلَّتَيْن المَهْزُودَتَيْن المُصَبَّغَتَيْن بصبْغ الجَلاَل وَصبْغ الجَمَال، وَأُعْطيتُ صفَةَ الإفْنَاء وَالإحْيَاء منَ الرَّبِّ الفَعَّال.

فَأَمَّا الجَلاَلُ الَّذي أُعْطيتُ فَهُوَ أَثَرٌ لبُرُوزي العيسَويِّ منَ الله ذي الجَلاَل◈، لأُبيدَ به شَرَّ الشِّرْك المَوَّاج المَوْجُود في عَقَائد أَهْل الضَّلاَل، المُشْتَعل بكَمَال الاشْتعَال، الَّذي هُوَ أَكْبَرُ منْ كُلِّ شَرٍّ في عَيْن الله عَالم الأَحْوَال، وَلأَهْدمَ به عَمُودَ الافْترَاء عَلَى الله وَالافْتعَال.

وَأَمَّا الجَمَالُ الَّذي أُعْطيتُ فَهُوَ أَثَرٌ لبُرُوزي الأَحْمَديِّ منَ الله ذي اللُّطْف وَالنَّوَال، لأُعيدَ به صَلاَحَ التَّوْحيد المَفْقُود منَ الأَلسُن وَالقُلُوب وَالأَقْوَال وَالأَفْعَال، وَأُقيمَ به أَمْرَ التَّدَيُّن وَالانْتحَال. وَأُمرْتُ أَنْ أَقْتُلَ✸ خَنَازيرَ الإفْسَاد وَالإلحَاد وَالإضْلاَل، الَّذينَ يَدُوسُونَ دُرَرَ الحَقِّ تَحْتَ النِّعَال، وَيُهْلكُونَ حَرْثَ النَّاس وَيُخَرْبُونَ زُرُوعَ الإيمَان وَالتَّوَرُّع وَالأَعْمَال. وَقَتْلي هَذَا بحَرْبَة سَمَاويَّة لاَ بالسُّيُوف وَالنِّبَال، كَمَا هُوَ زَعْمُ المَحْرُومينَ منَ الحَقِّ وَصدْق المَقَال، فَإنَّهُمْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا كَثيرًا مِّنَ الجُهَّال.

وَإنَّ الحَرْبَ حُرِّمَتْ عَلَيَّ وَسَبَقَ لي أَنْ أَضَعَ الحَرْبَ وَلاَ أَتَوَجَّهَ إلَى

◈ حاشية: قد قلت غير مرة إني ما أتيت بالسيف ولا السِّنان، وإنما أتيت بالآيات والقوة القدسية وحسن البيان، فجلالي من السماء لا بالجنود والأعوان. منه

✸ اللفظ لفظ الحديث كما جاء في البخاري، والمراد من القتل إتمام الحجة وإبطال الباطل بالدلائل القاطعة والآيات السماوية لا القتل حقيقة. منه.

القتَال، فَلاَ جهَادَ إلاَّ جهَادُ اللِّسَان وَالآيَات وَالاسْتدْلاَل. وَكَذَلكَ أُمرْتُ أَنْ أَمْلأَ بُيوتَ المُؤْمنينَ وَجُرُبَهُمْ منَ المَال، وَلَكنْ لاَ باللُّجَيْن وَالدَّجَّال، بَل بمَال العلم وَالرُّشْد وَالهدَايَة وَاليَقين عَلَى وَجْه الكَمَال، وجَعْل الإيمان أَثْبَتَ من الجبال وَتَبْشير المُثْقَلينَ تَحْتَ الأَثْقَال.

فَبُشْرَى لَكُمْ قَدْ جَاءَكُمُ المَسيحُ، وَمَسَحَهُ القَادرُ وَأُعْطيَ لَهُ الكَلاَمُ الفَصيحُ، وَإنَّهُ يَعْصمُكُمْ مِّنْ فرْقَة هيَ للإضْلاَل تَسيحُ، وَإلَى الله يَدْعُو وَيَصيحُ، وَكُلَّ شُبْهَة يُزيلُ وَيُزيحُ. وَطُوبَى لَكُمْ قَدْ جَاءَكُمُ المَهْديُّ المَعْهُودُ، وَمَعَهُ المَالُ الكَثيرُ وَالمَتَاعُ المَنْضُودُ. وَإنَّهُ يَسْعَى ليَرُدَّ إلَيْكُمُ الغنَى المَفْقُودَ، وَيَسْتَخْرجِ الإقْبَالَ المَوْعُودَ. مَا كَانَ حَديثٌ يُّفْتَرَى، بَل نُورٌ مِّنَ الله مَعَ آيَات كُبْرَى.

أَيُّهَا النَّاسُ.. إنِّي أَنَا المَسيحُ المُحَمَّديُّ، وَإنِّي أَنَا أَحْمَد المَهْديُّ. وَإنَّ رَبِّي مَعي إلَى يَوْم لَحْدي منْ يَوْم مَهْدي. وَإنِّي أُعْطيتُ ضرَامًا أَكَّالاً، وَمَاءً زُلاَلاً، وَأَنَا كَوْكَبٌ يَمَانيٌّ، وَوَابلٌ رُوحَانيٌّ. إيذَائي سنَانٌ مُذَرَّبٌ، وَدُعَائي دَوَاءٌ مُجَرَّبٌ. أُري قَوْمًا جَلاَلاً، وَقَوْمًا آخَرينَ جَمَالاً. وَبيَدي حَرْبَةٌ أُبيدُ بهَا عَادات الظُّلم وَالذُّنُوب، وَفي الأُخْرَى شَرْبَةٌ أُعيدُ بهَا حَيَاةَ القُلُوب. فَاسٌ للإفْنَاء، وَأَنْفَاسٌ للإحْيَاء.

أَمَّا جَلاَلي فَبمَا قُصدَ كَابْن مَرْيَمَ اسْتيْصَالي، وَأَمَّا جَمَالي فَبمَا فَارَتْ رَحْمَتي كَسَيِّدي أَحْمَدَ لأَهْدي قَوْمًا غَفَلُوا عَن الرَّبِّ المُتَعَالي. أَفَأَنْتُمْ تَعْجَبُونَ، وَإلَى الزَّمَان وَضَرُورَته لاَ تَلتَفتُونَ؟ أَلاَ تَرُونَ إلَى زَمَان احْتَاجَ إلَى الرَّبِّ الفَعَّال، ليُريَ لقَوْم صفَةَ جَلاَله وَلقَوْم صفَةَ الجَمَال؟ وَقَد ظَهَرَت الآيَاتُ، وَتَبَيَّنَت العَلاَمَاتُ، وَانْقَطَعَت الخُصُومَاتُ. فَمَا لَكُمْ لاَ تَنْظُرُونَ؟ وَانْكَسَفَت الشَّمْسُ وَالقَمَرُ في رَمَضَانَ فَلاَ تَعْرفُونَ. وَمَاتَ بَعْضُ النَّاس بنَبَأ مِّنَ الله وَقُتلَ البَعْضُ فَلاَ تُفكِّرُونَ. وَنَزَلَتْ لي آيٌ كَثيرَةٌ فَلاَ تُبَالُونَ. وَشَهدَتْ ليَ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَالمَاءُ وَالعَفَاءُ، فلاَ تَخَافُونَ.

وَتَظَاهَرَ لِيَ العَقْلُ وَالنَّقلُ وَالعَلاَمَاتُ وَالآيَاتُ، وَتَظَاهَرَت الشَّهَادَاتُ وَالرُّؤْيَا وَالْمُكَاشَفَاتُ، ثُمَّ أَنْتُمْ تُنْكِرُونَ. وَإِنَّ لَهَا شَانًا عَظِيمًا لِّقَوْمٍ يَّتَدَبَّرُونَ. وَطَلَعَ ذُو السنينَ، وَمَضَى منَ هَذه المائَة خُمْسُهَا إلاَّ قَليلٌ مِّنْ سنينَ، فَأَيْنَ الْمُجَدِّدُ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ وَنَزَلَ منَ السَّمَاء الطَّاعُونُ، وَمُنعَ الحَجُّ وَكَثُرَ الْمَنُونُ، وَاخْتَصَمَ الفرَقُ عَلَى مَعْدَن مِّنْ ذَهَبٍ وَّهُمْ يُقَاتِلُونَ. وَعَلاَ الصَّلِيبُ، وَأَضْحَى الإِسْلاَمُ يَسيبُ وَيَغِيبُ، كَأَنَّهُ الغَرِيبُ، وَكَثُرَ الفسْقُ وَالفَاسقُونَ. وَحُبِّبَ إِلَى النُّفُوسِ الخَمْرُ، وَالقَمْرُ وَالزَّمْرُ، وَتَرَاءى الزَّانُونَ الْمُجَالحُونَ وَقَلَّ الْمُتَّقُونَ. وَتَجَلَّى وَقْتُ رَبِّنَا وَتَمَّ مَا قَالَ النَّبِيُّونَ، فَبِأَيِّ حَديث بَعْدَهُ تُؤْمنُونَ؟

أَيُّهَا النَّاسُ.. قُومُوا لله زُرَافَات وَّفُرَادَى فُرَادَى، ثُمَّ اتَّقُوا اللهَ وَفَكِّرُوا كَالَّذي مَا بَخلَ وَمَا عَادَى. أَلَيْسَ هَذَا الوَقْتُ وَقْتَ رُحْمِ الله عَلَى العبَاد، وَوَقْتَ دَفْعِ الشَّرِّ وَتَدَارُك عَطْشِ الأَكْبَاد بالعهاد؟ أَلَيْسَ سَيْلُ الشَّرِّ قَدْ بَلَغَ انْتهَاءه، وَذَيْلُ الجَهْلِ طُوِّلَ أَرْجَاؤُه، وَفَسَدَ الْمُلكُ كُلُّهُ وَشَكَرَ إِبْليسُ جُهَلاَءَه؟ فَاشْكُرُوا اللهَ الَّذي تَذَكَّرَكُمْ وَتَذَكَّرَ دينَكُمْ وَمَا أَضَاعَه، وَعَصَمَ حَرْثَكُمْ وَزَرْعَكُمْ وَلُعَاعَه، وَأَنْزَلَ الْمَطَرَ وَأَكْمَلَ أَبْضَاعَه، وَبَعَثَ مَسيحَهُ لدَفْعِ الضَّيْرِ، وَمَهْدِيَّهُ لإِفَاضَة الخَيْرِ، وَأَدْخَلَكُمْ في زَمَان إِمَامكُمْ بَعْدَ زَمَان الغَيْر.

أَيُّهَا الإِخْوَانُ.. إِنَّ زَمَانَنَا هَذَا يُضَاهي شَهْرَنَا هَذَا بالتَّنَاسُب التَّامِّ، فَإِنَّهُ آخرُ الأَزْمنَة وَإِنَّ هَذَا الشَّهْرَ آخرُ الأَشْهُر منْ شُهُورِ الإِسْلاَم، وَكلاَهُمَا قَرِيبٌ مِّنَ الاخْتتَام. في هَذَا ضَحَايَا وَفي ذَلكَ ضَحَايَا، وَالفَرْقُ فَرْقُ الأَصْلِ وَعَكْسُ الْمَرَايَا، وَقَدْ سَبَقَ نَمُوذَجُهَا في زَمَنِ خَيْرِ البَرَايَا. وَالأَصْلُ ضَحيَّةُ الرُّوحِ يَا أُولي الأَبْصَار، وَإِنَّ ضَحَايَا الجَدَايَا كَالأَظْلاَل وَالآثَار. فَافهَمُوا سرَّ هَذه الحَقيقَة، وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بهَا وَأَهْلُهَا بَعْدَ الصَّحَابَة. وَإِنَّكُمُ الآخَرُونَ مِنْهُمْ، أُلحقْتُمْ بهِمْ بِفَضْلٍ مِّنَ الله وَالرَّحْمَة. وَإِنَّ سلسلَة الأَزْمنَة

خُتِمَتْ عَلَى زَمَانِنَا مِنْ حَضْرَةِ الأَحَدِيَّةِ، كَمَا خُتِمَتْ شُهُورُ الإِسْلاَمِ عَلَى شَهْرِ الضَّحِيَّةِ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ مَخْفِيَّةٌ لأَهْلِ الرَّايِ وَالرُّؤْيَةِ. وَإِنِّي عَلَى مَقَامِ الخَتْمِ مِنَ الوِلاَيَةِ، كَمَا كَانَ سَيِّدِي المُصْطَفَى عَلَى مَقَامِ الخَتْمِ مِنَ النُّبُوَّةِ. وإِنَّهُ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَأَنَا خَاتَمُ الأَوْلِيَاءِ، لاَ وَلِيَّ بَعْدِي، إِلاَّ الَّذِي هُوَ مِنِّي وَعَلَى عَهْدِي. وَإِنِّي أُرْسِلتُ مِنْ رَبِّي بِكُلِّ قُوَّةٍ وَبَرَكَةٍ وَعِزَّةٍ، وَإِنَّ قَدَمِي هَذِهِ عَلَى مَنَارَةٍ خُتِمَ عَلَيْهَا كُلُّ رِفْعَةٍ. فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا الفِتْيَانُ، وَاعْرِفُونِي وَأَطِيعُونِي وَلاَ تَمُوتُوا بِالعِصْيَانِ. وَقَدْ قَرُبَ الزَّمَانُ، وَحَانَ أَنْ تُسْأَلَ كُلُّ نَفْسٍ وَتُدَانُ. البَلاَيَا كَثِيرَةٌ وَلاَ يُنجِيكُمْ إِلاَّ الإِيمَانُ، وَالخَطَايَا كَبِيرَةٌ وَلاَ تَذُوبُهَا إِلاَّ الذَّوَبَانُ.

اتَّقُوا عَذَابَ اللهِ أَيُّهَا الأَعْوَانُ، وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ. فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَ الغَافِلِينَ وَالَّذِينَ نَسُوا المَنَايَا، وَسَارِعُوا إِلَى اللهِ وَارْكَبُوا عَلَى أَعْدَى المَطَايَا، وَاتْرُكُوا ذَوَاتِ الضَّلَعِ وَالرَّذَايَا، تَصِلُوا إِلَى رَبِّ البَرَايَا. خُذُوا الانْقِطَاعَ الانْقِطَاعَ لِيُوهَبَ لَكُمُ الوَصْلُ وَالاقْتِرَابُ، وَكَسِّرُوا الأَسْبَابَ لِيُخْلَقَ لَكُمُ الأَسْبَابُ، وَمُوتُوا لِيُرَدَّ إِلَيْكُمُ الحَيَاةُ أَيُّهَا الأَحْبَابُ.

اليَوْمَ تَمَّتِ الحَجَّةُ عَلَى المُخَالِفِينَ، وَانْقَطَعَتْ مَعَاذِيرُ المُعْتَذِرِينَ، وَيَئِسَ مِنْكُمْ زُمَرُ المُضِلِّينَ وَالمُوَسْوِسِينَ، الَّذِينَ أَكَلُوا أَعْمَارَهُمْ فِي ابْتِغَاءِ الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُمْ حَظٌّ مِنَ الدِّينِ، بَلْ هُمْ كَالعَمِينَ. فَاليَوْمَ أَنْقَضَ اللهُ ظُهُورَهُمْ وَرَجَعُوا يَائِسِينَ. اليَوْمَ حَصْحَصَ الحَقُّ لِلنَّاظِرِينَ، وَاسْتَبَانَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ. وَلَمْ يَبْقَ مُعْرِضٌ إِلاَّ الَّذِي حَبَسَهُ حِرْمَانٌ أَزَلِيٌّ، وَلاَ مُنْكِرٌ إِلاَّ الَّذِي مَنَعَهُ عُدْوَانٌ فِطْرِيٌّ. فَنَتْرُكُ هَؤُلاَءِ بِسَلاَمٍ، وَقَدْ تَمَّ الإِفْحَامُ، وَتَحَقَّقَ الآثَامُ. وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا فَالصَّبْرُ جَدِيرٌ، وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمْ خَبِيرٌ."
(الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية ج١٦ ص٣١-٧٣)

* * *

كانت هذه هي خطبة العيد الذي ارتجلها سيدنا أحمد ﷷ، وقد آثرتُ أن أنقلها للقارئ كاملة حتى يرى بنفسه.. ثم يحكم لنفسه.. ما إذا كان من الممكن أن يخرج هذا الكلام من شفتي دجّال كذّاب مُفتر على الله تعالى، ولكي يُدرك القارئ أيضا عظمة رسول الله ﷺ الذي أخبرنا منذ أربعة عشر قرنا أن الله تعالى سوف يُصلح الإمام المهدي في ليلة، وما يُصلحه الله لا بد وأن يكون متميّزًا بالعظمة والسموّ، ويلمح الإنسان السويّ فيه قدرة الله ويُشاهد إعجازه الخارق. لَكَم أُوتي النبيّون من معجزات وخوارق، ولكنها جميعها زالت وانقضت واندثرت، إلاّ معجزة رسول الله ﷺ، وهي البلاغة التي آتاها الله إيّاه في القرآن وفي جوامع الكلم، رغم أنه كان الأمّي الذي ما تعلّم وما قرأ وما حفظ قول الشعراء وكلام البلغاء. ولمّا كان الإمام المهدي ﷷ نبيّا خادما وتابعا لسيد المرسلين، فقد آتاه الله تعالى أيضا معجزة البلاغة بهذا الشكل الخارق، وأصلح عيبه في ليلة، مع أنه كان الأمّي بالنسبة للغة العربية، ما تعلّم أدبها وآدابها، وما غاص في بحورها ولا ارتقى إلى قممها، ولكن الله على كل شيء قدير.

إن بعض المتشككين قد يتصوّر أن الأمر لم يكن سوى تدبير خفي، أو لعله من أمور السحر، أو ربما كان يكتب له في الخفاء، بعض المستأجرين من العرب البلغاء. ولكن هؤلاء ينسون أن هذه التصورات الخاطئة، هي نفسها التي ظنّها المشركون في القرآن، حين استهزءوا به في أول الأمر وقالوا لو شئنا لقلنا مثل هذا، فلما صفعهم التحدّي أن يقولوا مثله، قالوا إنها أساطير الأوّلين اكتتبها فهي تُملَى عليه بكرة وأصيلا، فلما تبيّن لهم أن لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين، قالوا إنه السحر وفعل الشيطان. إن هؤلاء وأمثالهم لا تملك لهم من الله شيئًا، فهم كما قال الله تعالى عنهم:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا فِي السَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۞ لَقَالُوا إِنَّمَا

سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَل نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحجر:١٥-١٦)

ولكننا نخاطب أولئك المخلصين الذين آتاهم الله العقل والبصيرة والرشاد، وكساهم لباس التقوى والحكمة والسداد، ولا يريدون أن تكون لهم أعين لا يبصرون بها، وعقول لا يفهمون بها. ونقول لهؤلاء: إذا كان الأمر ليس سوى تدبير خفيّ من فعل البشر، فأين فعل الله تعالى الجلي؟ ولماذا لم يكشف الله تعالى هذا التدبير الخفي؟ ولماذا لم يفضح أمره ولم يهتك سرّه ولم يُبيّن حقيقته للناس؟ وسبحانه الذي لا يُعجزه شيء وتحيط قدرته بالسماوات والأرض؟

وقد يقول البعض إن البلاغة أمر من الأمور العادية.. وقد يؤتاها المؤمن والكافر على السواء، وكم كان الشعراء والأدباء على قدر عظيم من البلاغة في عصور الجاهلية، فلا تدل بلاغتهم بالضرورة على أنها معجزة من عند الله، أو أن لهم مقاما روحانيا خاصا من دون الناس. فإذا كان سيدنا أحمد قد تمتّع بموهبة البلاغة، فشأنه في ذلك شأن الموهوبين من بقية الناس، من أمثال الفنانين والموسيقيين والمؤلّفين والشعراء والأدباء، وهؤلاء تجدهم في كل لغة وكل لسان، وفي كل ملة وكل دين.

فمثلا.. كان شيكسبير موهوبا بدرجة الإعجاز في فن الأدب والقصص والشعر. وكان موتسار موهوبا بدرجة الإعجاز في التأليف الموسيقي، حتى إنه كتب سيمفونيات موسيقية عندما كان عمره خمس سنوات. وليوناردو دافنتشي كان موهوبا بدرجة الإعجاز في الرسم، حتى إنه رسم من اللوحات الفنية الكثير، ومن بينها لوحة الموناليزا التي يُقال إن أحدًا لا يستطيع أن يرسم الابتسامة التي رسمها دافنتشي على وجه المرأة في تلك اللوحة. ولكن هذا كله لا يعني أن كل هؤلاء الموهوبين قد أنزل الله عليهم معجزات، أو أوحى إليهم تلك المواهب.

ورغم وجاهة الاعتراض وما يبدو من مصداقيته ومعقوليته، إلاّ أنه يفتقد

عاملا حاسمًا في القضية التي نحن بصددها. فإن شيكسبير وموتسار ودافنتشي، وغيرهم من الأدباء والفنانين والموهوبين بوجه عام، لم يدّعوا بتاتا أن هذه الموهبة قد وهبها الله إيّاهم بناء على دعائهم وطلبهم إياها من الله تعالى. كذلك فإنهم.. رغم عظمتهم التي لا ينكرها أحد.. لم يَتحَدّوا من خالفهم ومن عارضهم أن يأتوا بمثل ما أتوا هم به. و لم يُعلنوا أبدا أن هذه الموهبة التي أعطاها الله لهم، لم يعطها إيّاهم إلاّ ليدلل على صدقهم، ويبرهن على حقيقة دعواهم. و لم يمسك الله أيدي وألسنة مخالفيهم ومعارضيهم، فيفشلوا في الإتيان بمثل ما أتوا به، أو حتى بما يقاربه في البراعة والإتقان. وهذا هو الفارق الأكبر بين الإنسان العادي الذي وهبه الله تعالى موهبة من المواهب، وبين الإنسان الذي اختاره الله تعالى، وجعله نبيّا وأيّده بموهبة من المواهب، لتكون دليلا وبرهانا على صدق دعواه، وعلى أن الله فعلا قد اصطفاه واجتباه. وإن لم يكن الأمر كذلك، لسقطت على الفور معجزة القرآن الكريم، ولانهار من أساسه التحدي الذي تضمنه الكتاب الحكيم، والذي وجّهه الله تعالى للمخالفين والمعارضين من الثقلين أن يأتوا بمثل هذا الكتاب القويم، ولقيل إن بلاغة القرآن، لم تكن سوى موهبة من المواهب التي يمكن أن يؤتاها الإنسان، دون أن تكون بالضرورة من وحي الرحمن، فهل يقبل هذا القول عاقل؟ وهل يكون المعترض محقا أم على باطل؟

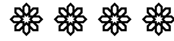
إن الله تعالى يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات والخوارق، ولكن الكثير من هذه المعجزات والخوارق لا يراها إلا من كان حاضرا لحظة وقوعها، وبعدها لا تكون المعجزات إلاّ روايات يتناقلها الناس، وأحاديث يؤمن بها المؤمنون ويرفضها المخالفون الذين لم يروها رأي العين. أما معجزة القرآن الكريم فهي معجزة باقية بقاء الزمن، وكذلك المعجزة اللغوية التي آتاها الله تعالى سيدنا أحمد في اللغة العربية. إنها باقية في كل يوم تشرق فيه شمس، ومستمرة في كل آن يتنفس فيه إنس، ويستطيع كل من آتاه الله البصر والبصيرة، أن يراها

ويتأكد من وقوعها دون ريب وحيرة، وقد قدّمنا للقارئ منها نبذة في هذا الفصل، فتبين بذلك سمو القول الفصل، واتضحت عظمة الكلام الجزل، وبان الجد من الهزل، وظهرت معجزة البلاغة والإنشاء، فطوبى لمن آمن بمبعوث السماء، واتّبع إمام الصلحاء، وخاف مقام ربه كالأتقياء، أولئك عليهم صلوات من ربهم ذي الآلاء، وأولئك هم المهتدون بآيات الأنبياء، فنُعْمَى لهم جنة الخلد والسعادة في دار البقاء.

لقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم كثيرا من أخبار النبيين الصادقين، الذين أيدهم سبحانه بالآيات والمعجزات، وكذلك ذكر لنا علامات الكاذبين والمفترين والمزوّرين. وبعد أن اطّلع القارئ الكريم على هذا الفصل، وبعد أن أدرك كيف أصلح الله تعالى الإمام المهدي في ليلة، وعلّمه أربعين ألفا من جذور اللغة العربية، وبعد أن رأى القارئ بنفسه كيف كتب سيدنا أحمد عليه السلام بهذا الأسلوب العربي المعجز، الذي يصعب بل يكاد يستحيل على أحد من بين الكُتّاب والأدباء أن يكتب به الآن، وبعد أن اطّلع القارئ على نبذة من كتابات سيدنا أحمد بما تحتويه من علم وعرفان، وبعد أن شاهد التحدّي الذي وجهه سيدنا أحمد إلى مخالفيه أن يكتبوا مثل كتاباته، أو حتى يقرأوا ما كتبه هو بدون أن يُخطئوا في القراءة، وكيف أنه أذن لهم أن يُساعد بعضهم البعض، بل سمح لهم أن يستعينوا بمن شاءوا من الأدباء العرب، وبعد ما تبيّن للقارئ ما أضفاه الله تعالى عليه من علوم تفسير القرآن، وعلوم اللغة العربية، واستنباطه من آية معينة أن اللغة العربية هي أم اللغات التي كانت منشأ لكل اللغات الموجودة في العالم، وإثباته بالحجة والدليل والبرهان على أن الله تعالى هو الذي علّم الإنسان هذه اللغة المباركة، وبعد أن قرأ القارئ بنفسه تلك الخطبة الإلهامية التي ارتجلها سيدنا أحمد عليه السلام في صبيحة عيد الأضحى المبارك، وأدرك القارئ وفهم ما تحتويه من علم وعرفان، بعد هذا كله.. على القارئ أن يقرر ما إذا كانت كل هذه الأمور يمكن أن تجتمع في الكذابين المفترين المزوّرين حسب ما علّمنا الله تعالى

في القرآن، أم أنها ليست إلاّ من سمات الصادقين الطيبين المرسلين، كما أرشدنا الله تعالى في الفرقان.

أيها القارئ الكريم.. أنت وحدك الذي لك أن تُجيب على هذا السؤال، بوحي من ضميرك وقلبك ووجدانك، بما في ضميرك من خشية الله، وبما يحمله قلبك من إيمان بالله، وبما يغمر وجدانك من رغبة في معرفة الحق واتّباع أمر الله. كذلك يمكن لك أن تجيب على هذا السؤال من منطلق التعامي عن رؤية الحق، والتصامم عن سماع صوت العقل، والتجاهل لكل منطق وبرهان. وفي أي من الحالتين.. فإنك وحدك الذي تحكم لنفسك أو عليها، وعسى الله تعالى أن يُوَفقك إلى ما فيه خيرك وصلاحك، ويرشدك ويهديك إلى ما فيه نجاتك وفلاحك.



الفصل الثامن

مباحثات ومساجلات

الفصل الثامن

مباحثات ومساجلات

كان سيدنا أحمد عليه السلام كثيرا ما يُعبّر عن حُزنه الشديد.. وكثيرا ما كان يذكر أن ما يعصر قلبه من شدة الأسى.. هو عقيدة تأليه المسيح التي وضعتها الكنيسة المسيحية. وكان يود من أعماق وجدانه أن يجد وسيلة ما.. يحسم بها ذلك الموضوع حتى يتخلص الجنس البشري بأكمله من تلك الفرية الشنيعة. ولم يكن يترك أي فرصة تُتاح له دون أن يُبيّن الحق للناس، ويشرحه شرحا وافيا على الأساس الذي قدمه القرآن الكريم، وأيضا على أساس الكتب المقدسة التي يؤمن بها المسيحيون أنفسهم، وكذلك على أساس من العقل والمنطق السليم. وكلما قام بتفنيد عقيدة ألوهية المسيح التي لا تقوم على أساس ولا على منطق.. فإنه كان حريصا أشد الحرص على تبيان أنه شخصيا.. وحسب توجيهات وتعاليم القرآن الكريم.. يؤمن بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام باعتباره نبيا صالحا من عند الله تعالى، وأنه.. بهذه الصفة.. يُكِنُّ له كل الحب والاحترام.

ولم يكن ذلك الأسى الذي يشعر به سيدنا أحمد عليه السلام.. لمجرد أن المسيحيين يدينون بعقيدة تختلف عن دين الإسلام الذي جاء هو يدعو إليه. فالإسلام يحترم حرية الآخرين في العقيدة، حتى ولو كانت عقيدة خاطئة، فيقول تعالى:

﴿قُلْ يَآ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ .... لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (سورة الكافرون)

ويقول:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف:٣٠)

كذلك فقد حضّ الله تعالى على عدم إيذاء المشاعر الدينية للآخرين، بل إنه منع من توجيه الإهانة أو السباب إلى الآلهة الباطلة التي يعبدها الناس من دون الله فقال:

﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:١٠٩)

ولكن مع هذا.. كان لا بد لسيدنا أحمد ﷺ من إعلان الحقيقة، ولا مناص له من قول الحق والدعوة إليه، فالغرض إذن لم يكن عداءً لهذا القوم أو لذاك من أهل الأديان، وإنما كان الغرض هو توضيح الحق ودعوة الناس إليه.

وعلى هذا فإن مهمة كسر الصليب المنوط بها المسيح الموعود ﷺ، ليس الهدف منها جرح مشاعر المسيحيين، ولا الاستهزاء بمعتقداتهم، بل الهدف منها هو الدفاع عن المسيح نفسه، وتبرئته من التهمة الشنيعة التي ألصقها به اليهود.. ووافقهم فيها المسيحيون.. وإن اختلفت أسباب كل منهم، غير أن النتيجة في الحالتين كانت واحدة: وهي أن المسيح ﷺ.. بموته على الصليب والعياذ بالله.. قد صار ملعونا مثل الشيطان اللعين. لذلك.. فقد كان قلب سيدنا أحمد ﷺ ينفطر حزنا وأسى على المسيحيين الذين أسلموا عقولهم لهذه العقائد الباطلة بغير تفكر ولا تدبر.

وكان المبشرون المسيحيون من ناحية أخرى يقومون بحملات ضارية.. ليس فقط لنشر عقائد الكنيسة المسيحية ودعوة الناس لقبولها والاقتناع بها.. وإنما لمهاجمة العقائد الإسلامية، والتهجم على الدين الإسلامي، والتهكم على القرآن الكريم، وانتقاد الرسول الأعظم ﷺ انتقادا يُدمي القلوب، ويَفطر النفوس، ويصيب المؤمن بالغثيان، بسبب الأساليب الملتوية والأكاذيب والافتراءات التي كانوا يصمون بها رسول الله ﷺ، وهو الذي كان أحرص

الناس على نجاتهم وهدايتهم إلى طريق الله المستقيم.

وفي عام ١٨٩٣ استطاعت مجهودات الكنيسة المسيحية أن تحرز تقدما ملحوظا في جانديالا Jandiala وهي بلدة في قطاع أمرتسر. وقد أثار ذلك قلق السكان المسلمين، وجعلهم يتماسكون سويا، ويتّحدون جميعا لمواجهة تلك الأخطار التي تهدد دينهم. وفي الاجتماعات التي كانت تعقدها الكنيسة في الهواء الطلق.. من حين لآخر في تلك البلدة.. بغرض التبشير بالمسيحية، كان المسلمون يثيرون بعض الأسئلة المحرجة، مما جعل سلطات الإرسالية التبشيرية المشرفة على تلك المنطقة تتوَجس بعض القلق، وأفضوا بتلك المخاوف إلى الأب الدكتور هنري مارتن كلارك.. المسؤول عن الإرسالية الطبية في قطاع أمرتسر. فكتب الأب الدكتور هنري مارتن كلارك إلى أحد المسلمين المقيمين في جانديالا، يقترح عليه عقد مباحثة علنية بين مندوبين عن كل من الجانبين، وذلك حتى يمكن للطرفين أن يقررا أي الأديان هو الدين الصحيح.

ولما وصل هذا الخطاب إلى المرسل إليه، كتب بدوره خطابا إلى سيدنا أحمد عليه السلام، بتاريخ ١١ إبريل (نيسان) ١٨٩٣، يطلب إليه أن يمثل المسلمين في المناظرة المزمع عقدها. وعلى ذلك.. فقد تبادل سيدنا أحمد مع الأب هنري مارتن كلارك بعض المراسلات، ومن خلالها تم الاتفاق على عقد مناظرة عامة في مدينة أمرتسر، في المدة من ٢٢ مايو (أيار) إلى ٣ يونيو (حزيران) ١٨٩٣. وفي هذه المناظرة تقرر أن يقوم سيدنا أحمد عليه السلام بتمثيل المسلمين، ويقوم عبد الله آتهم بتمثيل الإرسالية المسيحية. واتفق الطرفان على أن تُقام المناظرة في مكان إقامة الأب هنري مارتن كلارك في أمرتسر، كما اتُّفِق على أن تتناول المناظرة موضوعات: صدق الإسلام، وصدق القرآن، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيضا موضوع ألوهية عيسى بن مريم عليه السلام.

كان عبد الله آتهم واحدا من علماء المسلمين، الذين أسلموا عقولهم للمبشرين المسيحيين، وافتتنوا بضلالاتهم ودعاياتهم، فكان أن دخل المسيحية وصار أيضا من علمائها. ولعل ذلك ساعده في الحصول على وظيفة مرموقة في الحكومة، قضى فيها بعض الوقت حتى بلغ سن التقاعد، ومن بعدها تفرّغ تماما للدعوة إلى المسيحية، فكان يُلقي المحاضرات عن المسيحية، ويكتب المقالات تمجيدا لها ودفاعا عنها، ودعوة للمسلمين الآخرين للدخول فيها. وعلى هذا فقد كان عبد الله آتهم من أنشط الدعاة المسيحيين، الذين ارتفع صوتهم وعلا شأنهم في مجال الدعوة إلى المسيحية.

وقبل انعقاد المناظرة بأسبوعين، كتب سيدنا أحمد عليه السلام إلى عبد الله آتهم، فذكر أن المناظرة قد تكون مجرد مناقشة أكاديمية، وقد يستفيد منها بعض الناس، ولكنها ليست الوسيلة الحاسمة التي تدل على صدق دين من الأديان. ولهذا.. فإنه يقترح أن يتوجه طرفا المناظرة إلى الله تعالى بالدعاء، لكي يُظهر سبحانه من لدنه آية لتأييد الفريق الذي يكون على الحق، ولكن الدكتور كلارك لم يوافق على ذلك الاقتراح. وأثناء عقد المناظرة كرر سيدنا أحمد اقتراحه مرة أخرى، وبينما كان الدكتور كلارك ما زال مصمما على عدم الموافقة.. فإن عبد الله آتهم اتخذ موقفا أكثر ليونة، وذكر أنه رغم تحفظه من عدم اشتراكه شخصيا في الدعاء.. فإنه لا مانع لديه أن يدعو أحمد بما يشاء.

واستمرت المناظرة لمدة خمسة عشر يوما.. تم خلالها كتابة صحائف طويلة في الاجتماعات التي عُقدت بين الطرفين.. تناولت الموضوعات التي اتفق الطرفان على بحثها في كل يوم من أيام المناظرة. وكان يتم قراءة تلك الصحائف وتبادلها بين الفريقين. وقد ضمّن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام آخر صحيفة له الإعلان التالي:

"عندما دعوت الله تعالى بكل تضرع وابتهال، وسألته أن يحكم في هذا الأمر، وقلت إننا لسنا سوى بشر ضعفاء، وبدون حكمك لا نستطيع أن

نحقق شيئا.. فأعطاني ربي هذه الآية بشارة منه، مؤدّاها أن الفريق الذي يتبع الباطل عمدا.. من بين الفريقين ويترك الإله الحق ويؤله الإنسان العاجز، فإن مصيره أن يُلقى في الهاوية خلال خمسة عشر شهرا.. باعتبار شهر واحد إزاء كل يوم من أيام المناظرة، وأنه سيلقى ذلا وهوانا كبيرين شريطة ألا يرجع إلى الحق. وأما الذي على الحق.. ويؤمن بالله الحق.. فإنه بذلك سوف ينال الإكرام .... والآن فإني أسأل المندوب المحترم (أي عبد الله آتهم) أنه إذا تحققت هذه الآية فهل تقبلها كدليل قاطع وكنبوءة من لدن الله تعالى ظهرت بحسب رغبتك أم لا؟ ألا تكون حينئذ برهانا قويا على أن رسول الله ﷺ، الذي وصفتَه في كتابك "أندروناي بايبل" بأنه الدجّال، إنما هو رسول صادق؟" (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية ج٦ ص٢٩١-٢٩٣)

كان لتلك الكلمات أثرا مفزعا كوقع الصاعقة على عبد الله آتهم، وكأن يدا خفية من ظهر الغيب قد ألقت في قلبه رعبا قاتلا، فانتابته رعدة لم يستطع إخفاءها عن أعين الموجودين، وشحب لون وجهه وأصابته غُصّة، فرفع يديه بمحاذاة أذنيه علامة الاستسلام، وأخرج لسانه وحرك رأسه كعادة أهل البلاد، ليبين أنه لم يكن يقصد الإساءة إلى رسول الإسلام، ثم كرر نطق الكلمات: "إنني أتوب.. إنني أتوب.. إنني لم أقصد أبدا توجيه أية إهانة، ولم أصف النبي مطلقا بأنه دجّال. "

(Mirza Ghulam Ahmad of Qadian, by Iain Adamson. Elite International Publication Ltd. Page 83 Ed. 1989)

وبعد انتهاء المناظرة انزوى آتهم تماما واختفى من الحياة العامة، ولم يُلق أي محاضرة أو خطاب عام، ولم يكتب كلمة واحدة ضد الإسلام أو ضد رسول الإسلام ﷺ. وكان ينتقل للإقامة من مكان إلى مكان، وأصيب بهَوَس ورعب من بعض الخيالات التي كانت تطارده، واستولى عليه إحساس بالخوف من الموت، وكانت تلك الخيالات والأوهام تسبب له عذابا شديدا ورعبا قاتلا.

واستمر الحال كذلك إلى أن انقضت مدة الخمسة عشر شهرا.

وبعد انقضاء تلك المدة.. بدأ بعض الناس يثيرون الاعتراضات ضد سيدنا أحمد الطَيْلاً، ويتهمونه بأن نبوءته لم تتحقق.. وهي تلك التي ذكرها عن هلاك عبد الله آتهم في خلال خمسة عشر شهرا، باعتبار أنه هو الفريق الذي يتبع الباطل. ونسي هؤلاء أن النبوءة كانت مشروطة بالشرط: "إذا لم يرجع إلى الحق". وقد أقر آتهم علنا أمام الناس أنه قد تاب، وأنه لم يكن يقصد الإساءة إلى الإسلام أو إلى رسوله الكريم ﷺ، وأنه خلال الخمسة عشر شهرا امتنع تماما عن إلقاء الخطب، و لم يتفوّه بكلمة واحدة و لم يخط حرفا واحدا بيديه، لا ضد الإسلام ولا دفاعا عن المسيحية، بل إنه انزوى تماما عن الحياة العامة. كذلك نسي المعترضون رحمة الله الواسعة التي تنال المذنب الآثم، إذا توقف عن ارتكاب الإثم وتاب إلى الله تعالى، حتى ولو كانت تلك التوبة توبة مؤقتة يعود بعدها الآثم إلى ارتكاب الإثم مرة أخرى. ولكن البشر يحكمون على الأمور بمنظارهم الضيق.. فما كادت الشهور الخمسة عشر تنقضي، وعبد الله آتهم ما زال على قيد الحياة، إلا وأقاموا الضجيج والاعتراض على أن النبوءة لم تتحقق، رغم أنهم رأوا كيف كان آتهم يعاني من الخوف والرعب، وينتقل للإقامة من مكان إلى مكان كالفأر المذعور، ورغم أن النبوءة كانت مشروطة بالرجوع إلى الحق.

وفي ٥ سبتمبر (أيلول) عام ١٨٩٤ أصدر الإمام المهدي الطَيْلاً منشورا أتبعه بمنشور آخر بعد أربعة أيام، شرح فيه خلفية الظروف المحيطة بالنبوءة التي كان قد أعلنها عند نهاية المناظرة، وذكر أن إقرار آتهم بالتوبة أمام الملأ عند سماعه النبوءة، وموقفه السلبي الغير فعّال بعد ذلك الذي لم يتلفظ فيه بكلمة أو بحرف واحد، ضد الإسلام أو دفاعا عن المسيحية طيلة مدة الخمسة عشر شهرا، ليدل بدلالة واضحة على أنه قد رجع إلى الحق، وغيّر من مسلكه تجاه

الإسلام. وذكر سيدنا أحمد عليه السلام أنه إن لم يكن ذلك صحيحا.. فليتقدم عبد الله آتهم ويُعلن هذا ويُقسم على ذلك، فإن فعل.. فإنه حتما سوف يلقَى الموت في خلال عام واحد من يوم إعلان قسمه. وأضاف سيدنا أحمد أنه إذا أقسم آتهم على أنه لم يرجع إلى الحق، ثم بقي رغم ذلك على قيد الحياة بعد مرور اثني عشر شهرا.. فإن سيدنا أحمد سوف يدفع له مكافأة قدرها ألف من الروبيات، كاعتراف منه وإقرار بالهزيمة.

لم ينطق عبد الله آتهم بحرف، ولم يرد على إعلانات المسيح الموعود عليه السلام.. لا بالرفض ولا بالقبول. حينئذ أرسل سيدنا أحمد خطابات بريدية مسجلة إلى كل من عبد الله آتهم، والأب الدكتور هنري مارتن كلارك، والأب عماد الدين، يدعو فيها آتهم أن يحلف اليمين، ويطلب من الأب كلارك والأب عماد الدين أن يُقنعاه بذلك. وقد كتب الدكتور كلارك يقول إن آتهم ليس على استعداد لأن يحلف اليمين. حينئذ نشر سيدنا أحمد إعلانا آخر بتاريخ ٢٠ سبتمبر (أيلول) عام ١٨٩٤، يدعو فيه آتهم أن يحلف اليمين، ووعده بجائزة قدرها ألفان من الروبيات إذا حلف اليمين. وأرسل آتهم خطابا إلى سيدنا أحمد يقول فيه إنه مازال مسيحيا وإنه لا يؤمن بالإسلام. فأصدر سيدنا أحمد منشورا آخر بتاريخ ٥ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٨٩٤، رد فيه على كثير من الاعتراضات التي أثارها بعض الناس، ثم تحدى آتهم مرة أخرى أن يُقسم في اجتماع عام بأنه خلال الخمسة عشر شهرا لم يُغير مسلكه بتاتا تجاه الإسلام.

ولم يرُد آتهم على ذلك التحدي أيضا، إلا أنه كتب في صحيفة "نور أفشان" الصادرة بتاريخ ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٨٩٤، وهي صحيفة مسيحية، أنه من غير المسموح به أن يحلف اليمين إلا في الأمور المتعلقة بالقضايا التي تُنظر أمام المحاكم، وأنه لا يستطيع أن يحلف اليمين في أية مناسبة أخرى.

واعترف بأنه قد اعتراه الخوف في خلال مدة الخمسة عشر شهرا، ولكنه ادّعى أن ذلك الخوف كان بسبب خشيته من أن يُدبر مرزا غلام أحمد أو أحد أتباعه أمر مقتله.

وأصدر سيدنا أحمد عليه السلام منشورا آخر في ٢٧ أكتوبر (تشرين الأول)، أكد فيه على أنه لا هو.. ولا أحد من أتباعه.. يهتم بمقتل آتهم، لأن هذا أمر يتقرر في السماء، ولا يكون من تدبير البشر. وقد ضاعف المكافأة المعروضة على آتهم إلى أربعة آلاف روبية، وذكر كذلك أن حلف اليمين في سبيل الله تعالى أمر لا يتعارض مع التعاليم المسيحية، وأضاف أن الله تعالى لن يترك آتهم طويلا دون عقاب، حتى ولو لم يحلف اليمين، لأنه حاول أن يخدع العالم بصمته وبإصراره على رفض القسم.

وفي ١٣ سبتمبر (أيلول) عام ١٨٩٥ نشرت صحيفة "نور أفشان" المسيحية مقالا، ذكرت فيه أنه قد انقضى اثنا عشر شهرا وما زال آتهم على قيد الحياة. ورغم أن الصحيفة تعلم جيدا أن مدة الإثني عشر شهرا تبدأ منذ أن يحلف آتهم اليمين، وحيث إنه لم يحلف فليس هناك مدة محددة، غير أن هذا كان أسلوب المبشرين المسيحيين، الذين يريدون أن يثيروا العامة ضد المسيح الموعود عليه السلام بألاعيبهم الملتوية، وفي نفس الوقت يظهرون بمظهر الساذج الذي يريد أن يستفسر فقط عن سبب عدم هلاك آتهم. والعجيب أن الكثير من المسلمين يقعون ضحايا هذا الشرَك والخداع، ويُصدقون الدعايات المسيحية، وينساقون وراءها بدون تدبر وبغير تفكير. وقد أصدر المسيح الموعود عليه السلام منشورا للرد على هذا المقال، يقول فيه إنه لم تتحدد أي فترة زمنية لنُزول العقاب على آتهم، حيث إنه لم يحلف اليمين كما طُلب منه.

وفي ديسمبر (كانون الأول) عام ١٨٩٥ تحدث أحد المبشرين المسيحيين.. واسمه فتح مسيح.. إلى أحد أصحاب أحمد عليه السلام، وقال إن آتهم لم يحلف

اليمين لأن أحمد ليس من رجال الدين الرسميين، وليس له سوى حفنة من الأتباع. وفي الحال أصدر سيدنا أحمد منشورا آخر، دعا فيه فتح مسيح أن يحدد العدد الذي يُقنع آتهم بحلف اليمين، وإذا أراد التماسا موقعا عليه من ألف أو ألفين أو ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من المسلمين، فإنه على استعداد لترتيب ذلك بشرط إقناع آتهم أن يحلف اليمين.

ولكن بالطبع لم تكن هذه غير محاولة أخرى للاصطياد في الماء العكر، من جانب المبشرين المسيحيين في محاولتهم لنشر تلك الأفكار بين المسلمين.. للإقلال والحط من مقام وشأن المسيح الموعود عليه السلام.. زاعمين أنه ليس سوى رجل بسيط لا شأن له، وليس له سوى حفنة صغيرة من الأتباع، وبالتالي فكل ما يفعله أو يقوله يجب ألا يؤخذ على محمل الجد، أي بمعنى آخر.. يجب ألا يستمع الناس لمرزا غلام أحمد ولا يصدق أحد كلامه.

ورغم كل المحاولات المتكررة لإقناع آتهم بحلف اليمين، فإنه أصر إصرارا عنيدا على موقفه ولم يتزحزح عنه، مما يدل على أن الرعب كان يعتريه خَوْفًا وفَرَقًا من العقاب الإلهي، وفزعا من أن يقصف الموت عمره إذا حلف اليمين كذبا. ومع هذا فقد دهمه الموت فجأة فمات قبل مرور سبعة أشهر في فيروزبور، ودفن هناك غير مأسوف عليه.

* * *

كانت المناظرة التي عُقدت بين المسيح الموعود عليه السلام وبين عبد الله آتهم فرصة كبيرة للكشف عن خواء وزيف الادعاء القائل بألوهية يسوع كما تنشره الكنيسة المسيحية. كذلك فقد أتاحت المناظرة المجال للدفاع عن الإسلام وشرح جمال عقائده ومنطقية تعاليمه. وقد تسبب ذلك في نكسة شديدة لمجهودات الكنيسة التبشيرية في كل أنحاء البنجاب، وبالذات في أمرتسر، حيث يرأس الإرسالية التبشيرية فيها الدكتور هنري مارتن كلارك.

وقد وقعت حادثة طريفة خلال عقد المناظرة دبّرها الدكتور كلارك وزملاؤه، ولكن تدبيرهم انقلب عليهم، وجلب لهم الخزي وأصابهم بالخجل، وأوضح أن نظرتهم للأمر كله كانت تفتقد الأمانة والمصداقية، و لم تكن المسألة بالنسبة لهم سوى محاولة للاستهزاء والسخرية بسيدنا أحمد ؑ. فقد حدث في أحد الأيام أن دبّر الجانب المسيحي حضور ثلاثة من الأشخاص، أحدهم أعرج، والثاني أعمى، والثالث أصم. ولما بدأ الاجتماع تظاهروا بأنهم يريدون أن يختبروا صدق دعوى المسيح الموعود برؤية آية على يديه. وقالوا إن يسوع كان يشفي الأعرج والأعمى والأصم بواسطة لمسة من يده، وحيث إن أحمد يدّعي أنه هو المسيح الموعود المماثل ليسوع المسيح.. فإنه يستطيع أن يشفي هؤلاء الأشخاص بنفس الطريقة. ثم أضافوا أنهم لتسهيل الأمر على المسيح الموعود، فإنهم قد أحضروا ثلاثة أشخاص حتى يقوم أحمد بشفائهم أمام الناس.

كان المبشرون المسيحيون يتصوَّرون أنهم بهذا التدبير قد أحرجوا المسيح الموعود ؑ، وأنهم قد وضعوه في موقف عصيب لا يستطيع الفكاك منه، وأنهم بهذه الحيلة التي دبّروها قد حاصروه في ركن لا مفر له منه. ولو كان سيدنا أحمد ؑ رجلا مدّعيا أو كذابا أو مفتريا على الله لأسقط في يده، ولأخذ يتعلل بعلل واهية، ويعتذر بأعذار تافهة، حتى يخرج من هذا المأزق. ولكن الرجل الصادق الذي يؤيده الله تعالى لا يخاف بأسا ولا رهقا. ولذلك فقد كانت دهشة المبشرين المسيحيين كبيرة حين رد عليهم المسيح الموعود، بكل اتزان ودون أن يعتريه أي حرج على الإطلاق.. وقال لهم إن الأناجيل هي التي تزعم أن يسوع قد قام بتلك المعجزات، وإن تلك الأناجيل نفسها تقول إن أتباع يسوع الذين يؤمنون به يستطيعون القيام بعمل معجزات مماثلة، وحسب نفس هذه الأناجيل.. فإن يسوع بنفسه يقول إنه إذا كان في قلوبهم

ولو مثقال حبة خردل من إيمان، فإنهم يستطيعون شفاء المرضى بلمسة من أيديهم، بل إنهم يستطيعون أن يقولوا للجبل أن ينتقل من مكانه فينتقل. وشكرهم سيدنا أحمد عليه السلام على أنهم قد أتاحوا فرصة عظيمة لإثبات صدق دينهم حسب ما يقوله الإنجيل، فإذا كان ما قاله يسوع في الإنجيل صحيحا، وإذا كانوا هم مؤمنين صادقين بيسوع، فإنهم يستطيعون بلمسة من أيديهم شفاء هؤلاء الرجال الثلاثة، الذين رتّبوا هم بأنفسهم حضورهم في ذلك الاجتماع. أمّا هو.. فلم يدّع بتاتا أن لديه القدرة على شفاء المرضى بلمسة من يده، وعلى ذلك فليس عليه إثبات شيء لم يدّعيه. وقد بُهت المبشرون المسيحيون لرد المسيح الموعود عليه السلام، وبسرعة راحوا يدبرون أمر التخلص من الرجال الثلاثة الذين كانوا قد أحضروهم من قبل.

* * *

بعد انتهاء المناظرة أثيرت الكثير من التساؤلات حول مسلك آتهم تجاه الإسلام، وعما إذا كان قد تأثر فعلا من أثر النبوءة التي أعلنها المسيح الموعود عليه السلام. ولما مات آتهم في ٢٧ يوليو (تموز) ١٨٩٦ وتبعه موت بانديت ليكهرام في ٦ مارس (آذار) ١٨٩٧ تماما كما سبق أن أعلنه المسيح الموعود عليه السلام بدقة بالغة، أثار ذلك حفيظة كل من الهندوس والمسيحيين. وفي منتصف عام ١٨٩٧.. ونظرا لتصدي سيدنا أحمد عليه السلام لكل من الفريقين دفاعا عن الإسلام.. كان كل من الفريقين يتحرّق غيظا وسخطا ضد سيدنا أحمد عليه السلام. وسعى هؤلاء بالوقيعة وتأليب المسلمين ضد سيدنا أحمد، واستعملوا جميع الوسائل المتدنية، وغير الشريفة، ليحاربوه ويعزلوه عن الجماهير. وكانت الذمم تُشترى بثمن بخس، وكان الجهّال من المولويين المسلمين فريسة سهلة، يسهل قيادها وتوجيهها من حيث لا يشعرون. ثم كان هناك أيضا المشايخ المتعصبّون، الذين يرفضون أيّ جديد، ولا يتبعون إلاّ ما وجدوا عليه آباءهم

وأجدادهم، حتى ولو كان هذا الجديد هو ما يقول به القرآن ويصرح به رسول الله ﷺ، لذلك فقد أفتى هؤلاء بكفر سيدنا أحمد، وأهدروا دمه، وأعلنوا أن اغتياله يُعد عملا عظيما يُدخل مرتكبه الجنة بغير حساب.

وفي هذا الجو المشحون بالعداء الشديد والسخط الحانق على سيدنا أحمد، دبّر الأب الدكتور هنري مارتن كلارك مكيدة للتخلص من سيدنا أحمد، يجلب بها عليه العار والمهانة، ويزيحه من الطريق إلى الأبد، مما يبين بوضوح افتقار أولئك المبشرين المسيحيين إلى التمسك بالمبادئ الأخلاقية السامية، ويدلل على أنهم لا يحملون بين جنوبهم ضميرا يمنعهم من التآمر الدنيء، وارتكاب أحط الأعمال عن طريق استعمال غيرهم من الناس، حتى يظهروا هم بالمظهر البريء والمتحضر.

ولم يُدرك الأب كلارك في ذلك الوقت أنه كان يتآمر ضد مبعوث الله تعالى، الذي وعد سبحانه أن يعصمه ويحفظه ويدافع عنه ويدفع عنه كل أذى، ويهين من أراد إهانته حسب الوحي الذي أنزله على عبده المسيح الموعود عليه السلام والذي يقول:

[إِنِّي مُهِينٌ مَنْ أَرَادَ إِهَانَتَكَ، وَإِنِّي مُعِينٌ مَنْ أَرَادَ إِعَانَتَكَ]

ورغم أن المكيدة التي دبرها الأب كلارك قد لاقت قبولا واستحسانا من أوساط الآرياسماج والهندوس، كما نالت التأييد أيضا من بعض المشايخ المسلمين الذين أعماهم التعصب المقيت، غير أن كل هذا لم يخفف من أثر المهانة الشديدة والازدراء الذي صُبّ على رأس الأب كلارك حين انكشفت مكيدته وانفضحت جريمته. وإليكم ما حدث:

في أول أغسطس (آب) عام ١٨٩٧، تقدم الدكتور هنري مارتن كلارك بشكوى إلى محكمة قطاع أمرتسر، متهما سيدنا أحمد عليه السلام بأنه قد تآمر على قتله. وتأييدا لهذا الاتهام الخطير.. أحضر شابا مسلما اسمه عبد الحميد ليؤيد

أقواله. وأدلى الشاب فعلا بشهادته بعد أن حلف اليمين.. أن مرزا غلام أحمد قد حرّضه على أن يذهب إلى أمرتسر، ويغتال الدكتور هنري مارتن كلارك. وعلى أساس هذه الشهادة.. أصدرت نيابة قطاع أمرتسر أمرا بالقبض على سيدنا أحمد، وأرسلت الأمر إلى نيابة قطاع گورداسپور، الذي تقع فيه قاديان ويقيم فيها المسيح الموعود عليه السلام. وسرعان ما أدركت نيابة أمرتسر عدم اختصاصها، فحوّلت شكوى دكتور كلارك إلى قطاع گورداسپور، وطلبت النيابة إعادة إرسال الأمر بالقبض على سيدنا أحمد، الذي صدر من نيابة أمرتسر، وعدم تنفيذه لانتفاء الاختصاص. ولكن لم يستطع أحد الاستدلال على أمر القبض هذا لإعادته إلى محكمة أمرتسر، فهو لم يصل إلى نيابة گورداسپور، ولا يعلم أحد أين وكيف ومتى ولماذا اختفى ذلك الأمر.

أصدر قاضي قطاع گورداسپور.. مستر إم. دابليو. دوجلاس Mr. M. W. Douglas إخطارا إلى سيدنا أحمد بالمثول أمام المحكمة، لتقرير ما إذا كان الأمر يقتضي حبسه على ذمة القضية. وقد مَثلَ سيدنا أحمد عليه السلام أمام المحكمة في ١٠ أغسطس (آب)، واستمعت المحكمة إلى شهادة عبد الحميد وبعض الشهود الآخرين. واستمرت تلك الإجراءات حتى يوم ١٣ أغسطس (آب)، وتبيّن القاضي أثناء ذلك وجود تناقض بين شهادة عبد الحميد أمام نيابة أمرتسر، وبين أقواله التي أدلى بها أمامه. ولم يقتنع القاضي بمصداقية عبد الحميد في أداء الشهادة، واكتشف أن عبد الحميد كان يقيم تحت إشراف الإرسالية المسيحية في مدينة "بطالا"، ولم يكن تحت إشراف سيدنا أحمد. ولما كانت شهادته تتسم بالتناقض، وبها الكثير من الثغرات التي تثير العديد من التساؤلات.. فقد أمر القاضي دوجلاس أن يتولى مدير البوليس التحقيق معه واستجوابه لاستخلاص الحقيقة فيما حدث.

وبدأ المستر لو مارشاند Mr. Le Marshand مدير البوليس في القطاع

التحقيق مع عبد الحميد، وكان قد بدأ يُسجل جزءا من أقواله حين انفجر عبد الحميد باكيا، ووقع على أقدام مستر لو مارشاند، واعترف بأنه قد شهد شهادة زور بناء على تحريض بعض المبشرين المسيحيين، فقد كانوا يحيطون به، ووضعوه تحت مراقبتهم لعدة أيام، ووعدوه ببعض الأموال، ولكن عبد الحميد كان في حالة من البؤس الشديد، بسبب الشهادة التي أدلى بها، حتى إنه فكر في الإقدام على الانتحار.

ولما انعقدت المحكمة.. أعاد عبد الحميد الإدلاء بأقواله، وذكر الحقيقة كاملة، وأرشد عن الذين حرّضوه، فاتجهت أصابع الاتهام إلى الأب الدكتور هنري مارتن كلارك. وهكذا استطاع القاضي دوجلاس أن يكشف هذه المؤامرة التي دبّرها المبشرون المسيحيون، وأدرك أن التهمة الموجهة إلى سيدنا أحمد تهمة باطلة ولا أساس لها من الصحة، وعلى هذا فقد قضى برفض الدعوى، وأعلن براءة ساحة سيدنا أحمد عليه السلام. وأخبره أنه من حقه أن يتقدم بشكوى إلى المحكمة ضد الدكتور مارتن كلارك، للاتهام الباطل المزيف الذي وجهه له. ولكن سيدنا أحمد.. بكل عزّة وترفع وكرامة الأنبياء.. أجاب بأنه ليس لديه أية رغبة لأن يشتكي الدكتور كلارك أمام أية محكمة أرضية، وإنما شكواه مرفوعة أمام محكمة السماء، بين يدي القاضي الأعظم سبحانه وتعالى.

وقد مات الدكتور كلارك فجأة أيضا قبل مرور ثلاث سنوات على هذه الواقعة وذلك في ١٦ مايو (أيار) عام ١٩٠٠ فذهب حيث سبقه القس عبد الله آتهم من قبل، غير مأسوف عليه هو الآخر.

* * *

كان القس ألفريد ليفروي يشغل منصب بيشوب Bishop مدينة لاهور عاصمة البنجاب. وكان يُلقي الخطب بأسلوب الدعاة المسيحيين المتحمسين، وكان معروفا بأنه يضمر العداء الشديد للإسلام والمسلمين، حتى إن بعض

مواقفه في هذا الصدد جاء ذكرها في كتاب صدر عنه في بريطانيا اسمه: "حياة ومكاتبات جورج ألفريد ليفروي" الذي ألفه هـــ.هـــ.مونتجمري، ونشرته في لندن شركة لونجمانز وجرين عام ١٩٢٠.

وكان الأسقف يتقن اللغة العبرية واللغة العربية واللغة الفارسية كما كان يتحدث اللغة الأردية بطلاقة. وكان متحدثا بارعا له تأثير فعّال على مستمعيه، وقد تم تعيينه في منصب الأسقف عام ١٨٩٩. وخلال ربيع عام ١٩٠٠، وفي أوائل فصل الصيف من ذلك العام.. ألقى الأسقف عدة خطابات عامة في أماكن متعددة من مدينة لاهور، ذكر فيها أن يسوع المسيح وحده من دون كل الأنبياء الآخرين.. وخاصة رسول الإسلام (ﷺ).. كان هو الوحيد الذي بلا خطية، بينما ارتكب الباقون الكثير من الذنوب والخطايا.

ولم يكن خافيا بالطبع مدى الحب العظيم الذي يُكنّه سيدنا أحمد عليه السلام تجاه رسول الله ﷺ، وكيف أنه لا يطيق أن يسمع كلمة واحدة تنال من هذا الإنسان الكريم الذي كان رحمة للعالمين، والذي كان يذكره دائما بالشكر والثناء عليه في جميع كتاباته وفي أشعاره وفي أحاديثه، ويقول إن كل خير أصابه، وكل نعمة أنعمها الله تعالى عليه، إنما هي بفضل طاعته واتباعه لهذا النبي العظيم. ولذلك.. ما أن وصل إلى مسامعه ما قاله ورردده الأسقف ليفروي في أنحاء لاهور عن رسول الله ﷺ، حتى راح يتصدى بسرعة للدفاع عن حبيبه. فأصدر منشورين في ٢٥ مايو (أيار) عام ١٩٠٠ لتوزيعهما على الناس في نفس اليوم المزمع فيه أن يُلقي الأسقف ليفروي محاضرته بعد الظهر. وبعد المحاضرة.. طلب الحاضرون من نيافة الأسقف أن يُعلق على الموضوعات التي تناولها المنشوران. ولكن الأسقف تحاشى الإجابة معتذرا بأن الموضوعات التي تناولتها المنشورات موضوعات جديدة بالنسبة له، وأنه رآها اليوم للمرة الأولى. مع أن المنشورين كانا يعالجان نفس الموضوعات التي كان

نيافة الأسقف قد تحدث عنها في الاجتماعات السابقة. وفي نهاية المنشور الثاني كتب سيدنا أحمد عليه السلام يقول إنه إذا كان نيافة الأسقف مخلصا في مجهوداته، وإنه يريد فعلا إظهار الحق للناس، فعليه أن يُعلن أنه على استعداد لعقد مباحثة عامة مع المسلمين للمقارنة بين محمد ويسوع، لمعرفة أيهما أعظم من حيث العلم الإلهي الذي وهبه الله لكل منهما، ومن حيث الأسوة الحسنة التي قدمها كل منهما للناس، ومن حيث التأثير الروحي لكل منهما في أتباعه وأعدائه على السواء.

وقد وجّه عدد كبير من المسلمين خطابا إلى نيافة الأسقف، يدعونه فيه إلى قبول عقد مباحثة علنية مع حضرة مرزا غلام أحمد على مدى خمسة أيام، وتتناول خمسة موضوعات يترتب عليها بيان صدق الإسلام أو المسيحية، واقترحوا القواعد الواجب اتباعها في عقد هذه المباحثة، والتمسوا من نيافة الأسقف أن يوافق.. ولو من أجل يسوع الذي يؤمن به.. على عقد هذه المباحثة، حتى يمكن إتاحة الفرصة لمن يريد أن يعرف الحق أن يختار طريق الحق.

وقد علّقت الصحيفة الإنجليزية اليومية البيونير The Pioneer التي تصدر من مدينة إله أباد قائلة:

"إن ذلك الخطاب الموجه إلى نيافة الأسقف يحمل توقيعات لعدد كبير من وجهاء المسلمين، ويكفي قراءة الأسماء الأولى من التوقيعات ليتبين الاهتمام الكبير في المجتمع المحمدي لعقد هذه المباحثة."

وفي ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٠٠ أرسل الأسقف ردا على الرسالة المذكورة عدّد فيها بعض الأسباب.. أو الأعذار.. لعدم استطاعته قبول الاشتراك في تلك المباحثة المقترحة، وكان أحد تلك الأعذار قوله:

"إن مرزا صاحب.. بإطلاقه على نفسه لقب مسيح.. فإنه بدون أي وجه حق، وبغير أي سُلطة، قد اغتصب لنفسه ذلك الاسم الذي نُدعَى

به نحن المسيحيون، والذي نُكِن له أعلى تقدير وأعظم احترام، كما أنه يُشكل في رأيي إهانة بالغة لمن أقدسه وأعبده باعتبار أنه ربي ومولاي. فكيف يمكن لي الموافقة على الالتقاء معه بشكل ودّي؟"

وقد تم توجيه خطاب آخر إلى نيافة الأسقف في ١٠ يوليو (تموز) ١٩٠٠ ذكر فيه الراسل ما يلي:

"إن نيافتك قد امتنعت عن المقابلة مع مرزا غلام أحمد بشكل ودّي، باعتبار أنه يُلقّب نفسه بلقب المسيح، الذي يوَقره المسيحيون ويعبدونه، ويتخذونه إلها وربّا لهم. وحتى لو كان الأمر كما يظن نيافة الأسقف، فإن هذا لا يُشكل سببا للكراهية والبغض، وتوقف علاقات الوُد. وإن هذا التصرف الذي يدفعك إليه هذا البغض، لا يليق أن يصدر من أتباع أي دين، ناهيك عن أتباع الدين المسيحي، وخاصة أحد رجالات الكنيسة البارزين، الذي ليس من واجبه فقط الامتثال لوصايا إنجيل متّى المذكورة في إصحاح ٥: ٤٤، ولكن عليه أن يقوم بتعليم تلك العقائد للسواد الأعظم من الناس، وينشرها بين الأوساط غير المسيحية. ولكني أؤكد لكم على أن مرزا صاحب لا يدّعي أبدا أنه يسوع المسيح بنفسه، وإنما هو شخص جاء مثيلا لذلك النبي في أحواله وصفاته وأخلاقه، تماما كما جاء يوحنا *(أي يحيى عليه السلام)* مثيلا لإيليا النبي. وبالإضافة.. فإن المسلمين أيضا يُوَقرون المسيح عيسى بن مريم باعتباره نبيا عظيما، وإن مرزا صاحب باعتباره في مقدمة المسلمين من أهل زمانه، فإنه أيضا يحترمه ويوَقّره، بينما هناك الملايين من الناس من غير المسلمين والمسيحيين، لا يعتبرونه نبيا، ولا يعترفون حتى بصدقه، مما يُعتبر إهانة كبرى لمقامه. ومع هذا فإني أعتقد أن نيافتكم كثيرا ما اتصلتم وتعاملتم وتحادثتم مع هؤلاء الأشخاص، ولا أظن أن نيافتكم قد عبرتم عن مشاعر البغض لهم، كما عبرتم عنها في خطابكم تجاه مرزا صاحب".

وفي نهاية الخطاب ذكر الكاتب:

"حينما ذُكِر هذا الموضوع أمام مرزا صاحب وسُئل عما إذا كان امتناع نيافتكم عن مقابلته بشكل ودي، يجعله هو أيضا يبادلكم مشاعر الكره والبغضاء التي أبديتموها نحوه، فأجاب بما يلي:

"إنني لا أناصب أحدا العداء في هذا العالم، وأنا لا أبغض الناس ولكن أبغض العقائد الزائفة الخاطئة التي يؤمنون بها. وأما فيما يتعلق بالأفراد.. فإن مشاعري تجاههم هي مشاعر العطف ورجاء الخير لهم. فكيف أعتبر أحدا من أعدائي.. خاصة وإنه يشغل مركزا مرموقا بين أتباع دينه، ويحتل مقاما عاليا نظرا لمكانته وعلمه؟ إنني أحبه.. رغم أني لا أحب معتقداته. ولكن بغضي لهذه العقائد، هو بسبب إضفاء الصفات الإلهية على البشر، ونسب الأخطاء والضعف البشري لرب الكون. إنني لا أمانع مطلقا في مقابلة نيافة الأسقف في اجتماع وُدي، لأنه من الممكن لكل فريق أن يستفيد من ثمرات ذلك الاجتماع، حيث إن بذور الإخلاص لا بد وأن تحمل ثمارا طيبة. إن من أَوْلى واجبات الإنسان المصلح أو المبشر، أن يستقبل بكل بِشْرٍ وترحاب، أولئك الذين يؤمنون بأفكار مغايرة لما يؤمن به هو. وفي الحقيقة.. إنني لن أكون فقط قد ضللتُ وبعدتُ عن أداء مهمتي كمصلح ديني، بل إنني أكون.. في نفس الوقت.. قد وجهت ضربة قاتلة إلى كل مبادئ الأخلاق، لو أنني اعتبرت أولئك الناس من أعدائي.. الذين هم بالأَوْلى في حاجة إلى الشفقة عليهم، لأنهم.. ولسوء حظهم.. قد سقطوا في هوّة الخطأ. إن مثل هذا التصرف من جانبي سوف يحرم أعدادا كبيرة من الناس من أن يسمعوا تلك الحقائق الربانية النبيلة التي من واجبي أن أبلغها للجميع. ويقول القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ *(التوبة:١٢٨)*، أي أننا أرسلنا إليكم رسولا يمتلئ قلبه بالعطف عليكم، حتى إنه يعزّ عليه ويُحزنه ما يصيبكم من قلق

ومكاره، كما لو كانت تخصه هو شخصيا، وهو دائما حريص عليكم وعلى راحتكم وسعادتكم. وأيضا يقول تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ *(الشعراء:٤)*. وتشير هذه الآية إلى المعنى الحقيقي للتضحية بالحياة، الذي يقوم به الأنبياء لإصلاح أحوال أقوامهم. هذه هي الآيات التي أتّبعُها وأعمل بمقتضاها، ويمكن للمرء أن يفهم من ذلك.. بكل سهولة.. حقيقة مشاعري تجاه أولئك الذين يعتبرون أنفسهم أعداء لي."

ورغم هذا الخطاب الذي تم إرساله إلى لأسقف.. إلا أنه لم يُغير موقفه، وكتب في ١٢ يوليو (تموز) ١٩٠٠ يقول:

"لقد استلمت خطابكم، ولكن ليس عندي ما أغيره ولا ما أضيفه على الأسباب التي سبق لي أن ذكرتها في خطابي السابق، الذي اعتذرت فيه عن دعوتكم لي لإجراء أي مباحثة مع مرزا غلام أحمد."

وقد علقت بعض الصحف على مسلك نيافة الأسقف ليفروي، واعتذاره عن عقد المباحثة كما طُلب منه، ونقتطف فيما يلي بعض العبارات من صحيفتين محايدتين إحداهما الديلي تلغراف الهندية الصادرة بتاريخ ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٠٠ التي قالت:

"على صفحة أخرى يجد القارئ منشورا يُعتبر من أكثر التحديات الدينية إثارة، وهو صادر في هذا البلد من المدرسة الإسلامية التي تتبع مرزا غلام أحمد القادياني، ومُوَجه إلى بيشوب لاهور. وسبب كونه مثيرا، أنه مُقَدم بروح من الصدق والإخلاص. إن مرزا غلام أحمد هو رئيس قاديان، وحسب كلمات التحدي.. فإنه لا يُعلن أنه المسيح المنتظر فحسب، وإنما يُثبت دعواه بدلائل وبراهين متعددة، وقد أثبت أنه هو الموعود المنتظر الذي جاء ذكره في القرآن وفي الكتاب المقدس. ويبدو أن أتباع هذه الشخصية الفريدة يبلغون حوالي ثلاثين ألفا، يتواجدون في مختلف أنحاء العالم، ويرغب أصحابه وأتباعه أن

يتم عقد مباحثة مستفيضة ومتنورة مع نيافة بيشوب لاهور، حول مصداقية المسيحية والإسلام. وكان نيافة الأسقف قد ألقى عدة محاضرات هناك، وكان قد أقنع عددا كبيرا من المحمديين *(يقصد المسلمين)* أنه متحدث بارع، لا يرقى أحد من أهل هذه البلاد إلى مستواه في العلوم الدينية. وإن معلوماته الواسعة، ومعرفته باللغة العربية والفارسية والأردية.. وأساليبه الودودة المتنورة.. كلها تُعد أسبابا لاختياره للمباحثة مع بطل الإسلام. وقد صيغ التحدي المقدم إليه بكلمات مهذبة رصينة، مما يدل على رغبة أكيدة لعقد المباحثة بين الطرفين.. على أساس من الاحترام المتبادل.. تتناول المقارنة بين مزايا المسيحية والإسلام. ويأمل أولئك الذين تقدموا بهذا التحدي.. وهم أعداد غفيرة من مختلف البلاد.. أن يوافق نيافة الأسقف من أجل اسم يسوع المسيح على عقد هذه المباحثة.

وفي رأينا أن نيافة الأسقف سيكون قد أحسن صُنعا لو قَبِل التحدي، فإن الزعم بالتقدمية والفوقية بدون إثبات ذلك في مباحثة علنية يُعد خطأ بالغا. كما أن من حق من تقدم بهذا التحدي أن يعتبر القضية قد حُسمت لصالحه، حيث إن الطرف الآخر لم يجرؤ على الدفاع عن معتقداته. كذلك فكَون مرزا غلام أحمد القادياني ليس هو المسيح الموعود الذي جاء ذكره في القرآن وفي الكتاب المقدس.. يجب ألا يعتبر سببا لامتناع نيافة الأسقف عن عقد المباحثة معه. فإن هذا الموضوع ليس من الموضوعات التي تتناولها المباحثة، ولكن من الممكن لنيافة الأسقف أن يُقنع خصمه بخطأ دعواه إذا ما قبل التحدي.

وفي حقيقة الأمر.. إن رغبة المسلمين أن يتولى مسيحهم مباحثة نيافة الأسقف، لَيُعتبر تقديرا منهم لغزارة علمه، واعتباره أعلى سُلطة دينية في الهند. وبالإضافة.. فإننا لا نرى كيف أن عقد مثل هذه المباحثة يمكن أن يُكلف نيافة الأسقف إضاعة وقته الثمين؟ إذ أن من واجبه ألا يدع فرصة كهذه تفلت من بين يديه، دون أن ينتهزها لإسكات أولئك

الذين يعارضونه، وللرد عليهم وعلى أفكارهم. خاصة وأن المطلوب منه أن يُثبت أي من الديانتين.. الإسلام أو المسيحية.. هي الديانة الصحيحة والحية، وأي التعاليم التي يحتويها كل من القرآن والكتاب المقدس.. هي التعاليم الأعظم والأكثر تطبيقا من الناحية العملية. إننا نود أن نرى ذلك التحدي يخرج إلى حيز التنفيذ لأن الموضوع على جانب كبير من الأهمية."

وعلقت صحيفة إنديان سبكتيتور Indian Spectator على رفض الأسقف ليفروي قبول التحدي فقالت:

"يبدو أن بيشوب لاهور قد انسحب بأسلوب يتسم بالتسرع أكثر مما يتسم بالكرامة، إذ إنه لم يقبل التحدي الذي كان هو بنفسه من أسباب إثارته. فإن نيافته قد دأب منذ وقت طويل.. وأخذ على عاتقه.. أن يُبين لمستمعيه المحمديين أن يسوع هو فعلا المسيح الصادق. وقد وجّه التحدي إليه مرزا غلام أحمد.. وهو الذي كنا قد نشرنا في بعض مقالات سابقة، البعض من ادعاءاته التي يقول فيها إنه مسيحٌ أيضا. والآن.. قد يكون مرزا غلام أحمد مجرد مدّع كاذب، أو لعله يُصدّق فعلا ما يدّعي به، وفي أيّ من الأحوال فإننا لا نرى سببا يمنع نيافة الأسقف، من عقد المباحثة معه.

إن نيافته يذكر أن مرزا غلام أحمد يتسبب في إهانة بالغة، وازدراء كبير للمسيح، بسبب ادّعائه أنه المسيح المنتظر. وقد قام اليهود منذ ألفي عام بصلب يسوع المسيح لأنهم اتهموه بنفس الاتهام. إنهم أيضا شعروا بالإهانة والازدراء لأنه أطلق على نفسه اسم المسيح. كذلك فإنه من الغريب حقا ما ذكره نيافة الأسقف، أن الغالبية العظمى من المحمديين، ينظرون بكثير من الازدراء إلى مرزا غلام أحمد، بسبب ادعاءاته بأنه هو المسيح المنتظر، ويستدل بذلك على كذب هذه الادعاءات. ولكن حينما سأل بيلاطس *(الحاكم الروماني الذي تولى محاكمة المسيح عليه السلام)* اليهودَ المجتمعين عمّن يريدون إطلاق سراحه

في عيد الفصح: يسوع أو بربّاس؟ أجمعوا كلهم على إطلاق سراح اللص المجرم بربّاس. فهل كان هذا المسلك يُثبت أن ادعاءات السيد المسيح لم تكن تقوم على أساس؟

إننا لسنا من أتباع مرزا غلام أحمد، وبالطبع فإننا لن نجعل لادعاءاته مكانة أعلى من تلك التي ليسوع المسيح، ولكننا نعترض على المنطق الذي يحاول نيافة الأسقف الاستناد عليه في إجراء مباحثة دينية. وإذا حدث أن العالم الإسلامي بأجمعه قد أيّد ادعاءات المرزا.. فهل كان ذلك يغير من رأي الأسقف في مصداقيته؟ إن المعتقدات الدينية في هذا البلد تمر بحالة من الذوبان والفناء، ومن الأحرى بأولئك الحريصين على المسيحية، أن يروا تلك المعتقدات تتبلور وتتركز حول الحق، وألاّ يتبعوا من الأساليب ما يتنافى مع الطبائع الطيبة."

* * *

وهكذا نرى أن المبشرين المسيحيين بكل ما أوتوه من علوم ومعارف.. ومهما بلغت درجاتهم ومراكزهم التي يشغلونها.. كانوا يخشون منازلة سيدنا أحمد ؑ. لم يكن الأسقف ليفروي يجهل ما كان يكتبه المسيح الموعود ؑ من مقالات، يُفند فيها المعتقدات المسيحية الباطلة، ويدافع عن المسيح بن مريم ؑ دفاعا مجيدا بإثبات أنه لم يمت على الصليب موت اللعنة الذي أُلصق به.. ولم يكن يخفى عليه الكتب التي نشرها سيدنا أحمد، وأوضح فيها جمال التعاليم الإسلامية وعظمتها، وتفوّقها على تعاليم جميع الأديان الأخرى.. ولم يكن يجهل كذلك نتائج المباحثات التي أجراها مبشرون مسيحيون آخرون مع سيدنا أحمد ؑ.. ولذلك فإنه كان يخشى لقاءه في مباحثة علنية، وأخذ يتعلل بالعلل الواهية، ويسوق الأعذار الهزيلة. وإن هربه المهين من عقد تلك المباحثة، لأبلغ دليل على أن المسيح الموعود ؑ قد كسر الصليب، الذي لم يستطع أحد أن يقيمه أو يدافع عنه بدليل أو برهان، ولا بعقل أو منطق، ولا بحجة أو سند، مما

اضطر أولئك المبشرين المسيحيين أن يلتجئوا إلى أساليب التآمر الخسيس، ويستعملوا المسلمين أنفسهم، في محاولاتهم للقضاء على سيدنا أحمد وعلى جماعته المباركة، فكانت الكذبة الكبرى التي صدقها المسلمون، كما سنرى في الفصل الثالث عشر من فصول هذا الكتاب إن شاء الله.

ورغم انسحاب بيشوب لاهور من عقد المباحثة العلنية، ورغم تجنب المبشرين المسيحيين عقد أية مباحثة مع المسيح الموعود عليه السلام، إلا إنه لم يتوان في إظهار حقائق الإسلام العظمى، ودحض وكشف زيف العقائد الخاطئة التي افتراها رجال الكنيسة عبر الأزمان الغابرة، والتي جاء المبشرون المسيحيون من كل حدب وصوب لينشروها بين المسلمين في أصقاع الأرض.

وفي ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٠١ أعلن سيدنا أحمد عليه السلام، عن إصدار مجلة شهرية باللغة الإنجليزية، اسمها مجلة "مقارنة الأديان" Review of Religions، والتي كان يُشرف على تحريرها بكل جدارة مولانا محمد علي.. المفكر الإسلامي المعروف. وتخصصت هذه المجلة في عرض تعاليم الإسلام لأهل الغرب، والرد كذلك على الاعتراضات التي يثيرها المبشرون المسيحيون ضد الإسلام. وقد لاقت هذه المجلة تقديرا واحتراما في كل من إنجلترا وأمريكا. وكتبت مجلة هلال ليفربول في عام ١٩٠٣ تقول:

"إن مجلة مقارنة الأديان تجمع الكثير من المقالات الرائعة، كما أنها تحتوي على تفنيد علمي، ورد منطقي، على كل الاعتراضات التي عادة ما يُثيرها المسيحيون، الذين لا يعلمون الكثير عن الإسلام وعن نبي الإسلام. ونحن لم نعثر على شيء مشابه، مكتوب بهذه المهارة ويخدم هذا المجال."

وقد كتب مستر محمد الكسندر راسل وب.. أول أمريكي دخل الإسلام بسبب كتابات المسيح الموعود عليه السلام فقال:

"إنني على يقين أن هذه المجلة سوف تكون وسيلة فعالة في تصحيح

الفكر الديني في كثير من الدوائر، وأعتقد كذلك أنه على المدى الطويل ستتمكن هذه المجلة من إزالة العوائق التي أقامها الجهل في طريق الحق."

ولقد صدقت توقعات مستر محمد راسل.. إذ لا تزال هذه المجلة تقوم بواجبها حتى اليوم خير قيام.

ومن التعليقات الطريفة كان ذلك التعليق الذي نشرته مجلة أسرة الكنيسة The Church Family وكانت لسان حال الكنيسة الإنجليكية. وتعود طرافة التعليق إلى أنه يُبين مدى القلق الشديد، الذي أظهرته المجلة، من التصدي لكل ما يُكتب أو يُنشر ضد الإسلام، بشكل يُهدد العقائد المسيحية نفسها، وبأسلوب لم ير رجال الدين والكنيسة مثيلا له من قبل. يقول التعليق:

"إننا لن نحاول بأي وسيلة الرد على ما يُنشر تحت توجيه مرزا غلام أحمد، وإلاّ فإنه سيقوم بنشر ما لا حصر له من المقالات ضد المسيحية.. الأمر الذي قد يؤدي إلى هدم تأثير الكتاب المقدس وإزالة أثره تماما."

ورغم طرافة هذا التعليق، إلا أننا نرى كيف أنه يُبين المخاوف التي استشعرها رجال الدين المسيحي، وقلقهم البالغ من وجود سيدنا أحمد عليه السلام في ساحة النضال.. حتى أولئك الذين يقطنون بعيدا عنه في بريطانيا على بُعد آلاف الأميال. كما أنه يُوَضح يقينهم بأن أي هجوم على الإسلام، أو أي انتقاص يوجهونه إلى سيد الخلق ﷺ، أو أي نقد يثيرونه ضد كتاب الله القرآن، سوف يُقابل بوابل من الشهب الثاقبة، التي تنهال على رؤوسهم، وتحرق كل تطاولاتهم، كما تدمر أيضا الأسس التي يستندون عليها في ديانتهم وعقائدهم. ولا يحتاج الأمر كثيرا من الذكاء، لاستنتاج أن هؤلاء لم يكونوا ليستسلموا بسهولة للهزيمة، أو ينسحبوا تماما من الساحة، ويتركوها خاوية سائغة لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود. ولم يكن في جعبتهم أي سلاح

من فكر، أو دليل من عقل، أو برهان من منطق، ليستعملوه في حربهم الخاسرة. فكان لا بد من التآمر، واستعمال أسلحة أخرى غير شريفة.. تماما كما حاول الأب الدكتور هنري مارتن كلارك أن يزيح المسيح الموعود من طريقه، بوسائل الغش والخداع وتزييف الحقائق، فكانت الكذبة الكبرى التي سوف نتحدث عنها بإسهاب في الفصل الثالث عشر إن شاء الله.

* * *

ولعل المسمار الأخير الذي دقه المسيح الموعود عليه السلام، في نعش العقائد الباطلة التي كان يُروّجها المبشرون المسيحيون، هو الكتاب الذي نشره في ٢٥ إبريل (نيسان) عام ١٨٩٩ بعنوان: "المسيح الناصري في الهند". وقد أوضح في هذا الكتاب كيف أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.. بعد أن نجّاه الله تعالى من الموت على الصليب الذي أراده له يهود عصره.. قد هاجر من فلسطين، وذهب للبحث عن "خراف بيت إسرائيل الضالة". فهو كان يُعلن دائما أنه بُعِثَ إلى بني إسرائيل.. تماما كما وصفه القرآن بأنه كان:

﴿رَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

وكما أكد على ذلك بقوله في الإنجيل:

"**لم أرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة.**" (إنجيل متّى ١٥:٢٥)

ولكن قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة لم تكن كلها تعيش في فلسطين عندما جاء المسيح، بل كانت قبيلتان فقط هما اللتان تعيشان هناك، بينما انتشرت القبائل العشر الأخرى، في منطقة العراق وإيران وأفغانستان وشمال الهند في كشمير. وكان ذلك حين غزا الملك نبوخذنصّر ملك بابل أرض فلسطين حوالي عام ٥٨٧ قبل الميلاد، وقضى على ما تبقى من دولة إسرائيل التي قضى الآشوريون على الجزء الشمالي منها في عام ٧٢٢ قبل الميلاد، وحطم نبوخذنصّر هيكل سليمان، وأخذ بني إسرائيل في الأسر، وحملهم إلى

بابل ليعملوا في السُّخرة، فقد كانت تلك هي وسيلة الحصول على الأيدي العاملة في ذلك الوقت. ولكن الإسرائيليين تحالفوا مع أعداء البابليين وهم الفرس، وحين غزا الملك كورش ملك مادي وفارس، مملكةَ بابل، كان بنو إسرائيل هم الطابور الخامس، الذين اعتمد عليهم الملك كورش في تقويض المقاومة البابلية من الداخل. وقد كافأهم الملك كورش، وسمح للبعض منهم بالعودة إلى فلسطين، وأذن لهم بإعادة بناء الهيكل مرة أخرى. فعادت قبيلتان منهم إلى فلسطين، بينما انتقلت معظم القبائل الأخرى من العراق.. أرض بابل.. إلى الشرق في مملكة مادي وفارس (وتشمل إيران وأفغانستان وشمال الهند)، ليعيشوا تحت حكم الملك كورش الذي كان رجلا صالحا ومشهورا بالعدل.

ولما جاء المسيح عليه السلام في فلسطين، أخبره الله تعالى بما يُدبره له اليهود، كما أخبره بأن عليه أن يُهاجر من فلسطين، ويذهب إلى بقية الخراف الضالة من بيت إسرائيل، لذلك فقد قال عليه السلام.. كما جاء ذلك في الإنجيل:

"ولي خراف أُخَر.. ليست من هذه الحظيرة.. ينبغي أن آتي بتلك أيضا فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد." (إنجيل يوحنا ١٠: ١٦)

وبعد المحاولة الفاشلة لصلب سيدنا عيسى عليه السلام، خرج من فلسطين مهاجرا، حتى لا يقع مرة أخرى في أيدي اليهود والرومان، وذهب إلى الشرق للوصول إلى بقية قومه الذين أُرسله الله إليهم، حتى يُبلغهم بقرب تأسيس ملكوت الله على الأرض.. أي بقرب بعث رسول الله ﷺ وتأسيس دين التوحيد في الأرض. ويبدو أنه قد لاقى نجاحا في دعوته بين قومه، الذين كانوا يسكنون تلك المناطق، حتى إنهم جميعا كانوا في انتظار ظهور الإسلام. ولعل ذلك كان السبب في سرعة انتشار الإسلام أيضا في تلك المناطق. وقد عاش عيسى بن مريم عليه السلام يؤدي رسالته، إلى أن بلغ من العمر مائة وعشرين عاما، كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في حديث له لفاطمة، في مرضه

الذي توفي فيه:

"إن جبريل كان يُعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني بالقرآن العامَ مرتين، وأخبرني أنه لم يكن من نبي إلا عاش نصف الذي قبله، وأخبرني أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة، ولا أراني ذاهبا إلا على رأس ستين." (المواهب اللدنية المجلد الأول ص ٤٢)

وكان عيسى ؈ قد استقر به المقام في كشمير بشمال الهند، حيث توفاه الله ودُفن بها، وأرشد المسيح الموعود ؈ إلى قبره الموجود حتى الآن، في شارع خانيار بمدينة سرينجر عاصمة كشمير. وقد زار كاتب هذه السطور القبر المذكور في عام ١٩٨٠، واستمع إلى روايات أهالي المنطقة عن هذا القبر، وشاهد كذلك بعض السجلات التاريخية القديمة، والمخطوطات التي ورد فيها اسم عيسى ؈. وقد برهن المسيح الموعود ؈، على أن المدفون في هذا القبر هو المسيح عيسى بن مريم ؈، ومعه أحد التلاميذ. وقدم على ذلك العديد والكثير من الأدلة المستقاة من الإنجيل، ومن القرآن، ومن الأحاديث النبوية، ومن السجلات التاريخية، ومن العلم الإلهي الذي علمه الله تعالى إياه.

وقد أحدث الكتاب الذي نشره المسيح الموعود ؈، دويا هائلا في الأوساط المسيحية وغير المسيحية على السواء. وتم ترجمة الكتاب إلى الإنجليزية تحت عنوان: Jesus In India، ونُشر في أوربا وفي أمريكا، وما زال الكتاب يثير اهتمام الكثيرين من الباحثين والمفكرين. وهو بلا شك يعتبر آية بيّنة على صدق المسيح الموعود ؈، لأنه يبين كيف أن الله تعالى قد كشف له عن بعض أمور الغيب، التي تتعلق بالماضي أيضا، كما يفعل سبحانه مع أنبيائه ورسله، فالغيب لا يتعلق بالمستقبل فقط، وإنما يشمل كذلك ما غاب في الماضي، كما فعل ﷻ مع رسول الله ﷺ، حين أوحى إليه أن جسد فرعون قد نجا، وأنه محفوظ ليكون آية لمن يأتي من بعده، فقال عن فرعون:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ

عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس:٩٣)
حقا.. إن كثيرا من الناس عن آيات الله لغافلون!!



Blank

الفصل التاسع

بركات الدعاء

الفصل التاسع

بركـــات الدعـــاء

كان سيدنا أحمد ؑ يحاول أن يشرح للناس المهمة الأساسية التي أرسله الله تعالى من أجلها.. وهي إيصال الإنسان إلى العتبة الإلهية، وجعْله متصلا بالله ﷻ اتصالا وثيقا، حتى يصطبغ الإنسان بالصبغة الإلهية فيصير إنسانا ربانيا. ولكي يصل الإنسان إلى هذا الهدف، لا بد له من أن يُسْلم نفسه لله تعالى، وأن يُخضِع أهواءه ورغباته لإرادة الله، مستسلما تماما لمشيئته، وطائعا لكل أوامره، وفي ذلك يقول عز وعلا:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٧)

والوصول إلى الله تعالى والاتصال به، ليس بالأمر السهل الذي يمكن للمرء أن يقوم به بغير هاد يهديه الطريق. وخيرُ هاد بعثه الله تعالى لهداية الناس هو سيد الخلق محمد المصطفى ﷺ، فكان خير أسوة يتأسى به الإنسان الذي يبتغي وصال ربه، وفي ذلك قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢٢)

إن العبد المخلص الذي يطلب رضاء خالقه، ويبتغي حبه ووده.. لا بد له من اتّباع القدوة المثلى لكل البشر، فهو النور الذي أحب اللهَ تعالى كما لم يحبه إنسان آخر، فأحبه الله تعالى حبا لم يحبه أحدا من خلقه، وجعله الوسيلة وآتاه الدرجة الرفيعة، وقضى أن من كان مخلصا حقا في حب الله تعالى فعليه

أن يتّبع ذلك النبي الأكرم ﷺ، فقال تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣٢)

وحين ظهر سيدنا أحمد عليه السلام على مسرح الأحداث.. كان الناس عامة قد ابتعدوا تماما عن نور الله، ونور القرآن، ونور رسوله الأكرم. فكان لا بد من بعث ذلك الهادي الذي أرسله الله تعالى إلى الأميين العرب، فمنحهم حياة الإيمان بعد الكفر والطغيان، وقادهم إلى طريق الرحمن الرحيم، بعد أن كانوا أتباع الشيطان الرجيم، وهداهم إلى سبيل الحق المبين، بعد أن كانوا في الظلمة من الغاوين. وقد أوفى الله تعالى بوعده الذي قضى فيه أن يكون لرسول الله بعثتان: بعثة في الأولين وبعثة في الآخرين، كما جاء ذلك في سورة الجمعة:

﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رَسُولاً منْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته ويُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكتَابَ وَالحكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا من قَبْلُ لَفي ضَلاَلٍ مُبِينٍ ۞ وَآخَرِينَ منْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكيمُ﴾ (الجمعة:٣-٤)

وقد علمنا في مقدمة هذا الكتاب أن المقصود بالبعثة الثانية لرسول الله ﷺ هو ظهور رجل من أتباعه، يشابه في صفاته وأسمائه وأخلاقه، حتى لكأنه هو بنفسه وقد بُعث من جديد.. ذلك هو الإمام المهدي.. سيدنا مرزا غلام أحمد، عليه وعلى مُطاعه أفضل الصلاة وأزكى السلام. ولذلك فقد أوحى الله تعالى إليه بنفس الكلمات التي أوحاها من قبل إلى رسوله الأكرم ﷺ، فقال:

[قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ]

ولكن أعداء الحق في كل آن لا يريدون أن يروا نور الحق. وكما كان علماء بني إسرائيل في عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هم ألدّ أعدائه.. كذلك كان علماء الأديان جميعها في عهد المسيح الموعود والمهدي المعهود هم أيضا من ألدّ أعدائه. وراح هؤلاء يناقشونه ويجادلونه بالباطل ليدحضوا به

الحق، وأخذوا يألبون عليه عامة الناس ويبثون الكراهية والبغض له ولأتباعه. وراح هو يحاول أن يشرح لهم أنه لم يأت إلا لخيرهم وهدايتهم، وأن اتباعه هو في حقيقة الأمر اتباع لرسول الله ﷺ، وطاعته هي في الواقع طاعة الله تبارك وتعالى، ولكنهم أبوا إلا الصد والتكذيب والتكفير، وردّوا بالسبّ واللعن والتحقير.

لذلك فكّر سيدنا أحمد عليه السلام في طريق يُبين به لهم مقدار قربه من الله تعالى، وكيف أن الله تبارك وتعالى قد اتخذه وليا وجعله خليفته في الأرض، وأيده بروح القدس، وصافاه وصادقه وودّه وأحبه كما يحب الصديق صديقه، وأنه سبحانه يستجيب لدعائه ويسمع لتضرعاته، وأنه لو كان والعياذ بالله من الكذابين المفترين، لما أكرمه الله تعالى باستجابة دعائه، ولما شرّفه الله عز وعلا بتحقيق أدعيته ورغباته. لذلك طبع في شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٨٩١ منشورا سماه: "آسماني فيصلة" أي القرار السماوي، ودعا فيه جميع معارضيه من مختلف الأديان أن يتفقوا على أسلوب يمكن به أن يُظهر يقينا صدق دعواه. واقترح لذلك أربع وسائل جعلها اختبارا يُبين ما إذا كان الله يستجيب دعاءه فعلا، وعلى ذلك فهو عنده من المكرمين، أم لا.

اقترح سيدنا أحمد عليه السلام تكوين هيئة من عدة أفراد تتولى الإشراف على هذا الاختبار، ويكون مقرها لاهور عاصمة البنجاب، ويُنتخب أعضاء الهيئة المشرفة بموافقة كل من الطرفين: أي سيدنا أحمد ومعارضيه، ويكون قرار الهيئة بالإجماع أو بأغلبية الآراء.

وتقضي الخطة أن تتولى الهيئة المشرِفة إعداد قوائم بأسماء ومواصفات لأشخاص يعانون من كوارث وقعت بهم في شكل مصائب خطيرة نزلت بهم أو أمراض مستعصية أصابتهم. ويمكن لأي شخص من أتباع أي دين من الأديان، أن يرسل اسمه ومواصفات الكارثة التي أصابته إلى هذه الهيئة، ويطلب إدراج

اسمه في القوائم التي تُعدها الهيئة بأسماء هؤلاء المصابين. ويُفتح باب قبول طلبات إدراج الاسماء في هذه القوائم لمدة شهر أو أكثر، حسبما تراه الهيئة مناسبا. وفي نهاية تلك المدة تُعد الهيئة صورا من هذه القوائم، تحتوي على أسماء ومواصفات الكوارث التي يعاني منها المصابون المذكورون. وفي يوم معين يتم تحديده.. تُوَزّع هذه القوائم على كل من يشترك في هذا الاختبار أمام سيدنا أحمد. ويُطلب من المصابين الذين قدموا أسماءهم أن يحضروا بأنفسهم، حتى يمكن للمشتركين في هذا الاختبار أن يتأكدوا من حالاتهم المستعصية. وتقوم الهيئة بعمل قرعة على المصابين المدرجة أسمائهم في القوائم، ثم توزعهم حسب القرعة على كل المشتركين في الاختبار. وتسجل الهيئة اسم كل مشترك في الاختبار، وأسماء الأشخاص الذين تم توزيعهم عليه بالقرعة، وتحفظ صور هذه القوائم في مكتب الهيئة.

وقد أعلن سيدنا أحمد أنه سوف يتولى دفع كل النفقات المطلوبة لإتمام هذا الاختبار، ودفع نفقات دعوة المصابين للحضور في اليوم الذي يتم تحديده، للمثول أمام المشتركين في الاختبار.

ولكي يظهر من هذا الاختبار صدق الصادق أو كذب الكاذب من بين المشتركين مع سيدنا أحمد.. يتجه كل فرد منهم بالدعاء إلى الله تعالى أن يرفع من على المصابين في القائمة التي نالها بطريق القرعة، كل ما يعانونه من مرض أو غم أو مصيبة أصابتهم، ويستمر الدعاء لمدة عام. وتقوم الهيئة بإعداد تقرير عما يحدث من تقدم خلال فترة هذا الاختبار. وإذا حدث أن توفي أحد المشتركين في هذا الاختبار خلال تلك الفترة.. أي قبل انقضاء مدة العام المحددة لهذا الاختبار.. وقبل أن يتبين بوضوح وجلاء نجاحه أو فشله في هذا الاختبار، فإن وفاة المشترك تقوم دليلا على فشله في الاختبار. إذ يعني هذا أن الله تعالى بقضائه الخاص، قد أزاحه من استكمال الاشتراك في هذا الاختبار

تدليلا على كذبه. وسوف يتم تحديد نتيجة الاختبار على حسب أحوال الغالبية العظمى من المصابين بالأمراض والكوارث في كل قائمة. وقد أوضح سيدنا أحمد أنه لنجاح هذا الاختبار، لا بد وأن يكون هناك عدد كبير من المصابين في كل قائمة.. وإلا فإن نتيجة الاختبار قد لا تكون قاطعة وحاسمة. فمثلا إذا لم يكن هناك سوى فردين أو ثلاثة في كل قائمة، فإنه من الجائز أن يكون مصابهم مما سبق بشأنه قضاء الله تعالى، ولا يمكن رد القضاء عن هؤلاء مهما كان الدعاء. صحيح إنه لا يرد البلاء إلا الدعاء كما قال رسول الله ﷺ، ولكن هذا لا يكون في جميع الأحوال على الإطلاق. إن الإنسان الصالح يُعرف بتقبل الله تعالى للأغلبية العظمى من أدعيته، وليس بالضرورة أن يتقبل الله كل دعاء من أدعيته، وهذه قاعدة معروفة ولا خلاف عليها.

وكتب سيدنا أحمد يقول:

لقد اقترحت إدراج أسماء أشخاص يعانون من مصائب مختلفة، وذلك حتى تتجلى الرحمة الإلهية في صور متعددة، وبذلك يستطيع الناس من ذوي الطبائع المتباينة أن يصلوا إلى تقدير النتائج من وجهات نظر متعددة.

وإنني أعد.. بل إنني أقسم على ذلك.. بأنه إذا ثبت فشلي في هذا الاختبار، فسوف أتولى بنفسي إعلان هذا الفشل وأقر بكذبي، ولن يكون هناك من داع آخر لأي فرد من أولئك الذين يعارضونني أن يحكموا عليّ بالكفر والدجل. وفي هذه الحالة أكون مستحقا لكل تحقير وازدراء وإهانة، ولسوف أعترف في اجتماع عام تعلن فيه نتائج الاختبار.. أنني لم أُرسَل من عند الله تعالى، وأنني كاذب في كل ما دعوت إليه. ولكنني على إيمان يقيني بأن الله تعالى لن يُقدّر لي هذا المصير، ولن يسلمني لهذا الفشل. وإذا رفض رجال الدين الذين أوجه لهم هذا التحدي أن يعلنوا قبولهم له، فإن كل إنسان مخلص يبحث عن الحق بإخلاص لن يؤيد مسلكهم هذا، وسيكون هذا أمرا مثيرا للأسف

الشديد. (ملخص من آسماني فيصلة (أي الحُكم السماوي) ص ١٦-٢١).

وإنه لمن المؤسف حقا أن أحدا ممن كانوا يعارضون سيدنا أحمد الطَّيْلاً.. والذين توجه إليهم بهذا التحدي.. لم يجرؤ على النّزول أمامه إلى ميدان الدعاء. وبهذا الفشل المزري بعدم قبول التحدي، وبانسحابهم من التصدي له، فقد أقرّوا.. من حيث لا يريدون الإقرار.. بصدقه، واعترفوا.. من حيث لا يريدون الاعتراف.. بمصداقيته وبحقيقة دعواه.

ثم نسأل أولئك الذين يُعارضون سيدنا أحمد اليوم، ونخاطب قلوبهم وعقولهم.. هل رأوا أحدا منذ بدء الخليقة إلى هذا اليوم، كان كذابا مفتريا على الله تعالى، ثم يدعو قومه الذين يخالفونه ويعارضونه إلى امتحان يكون الله تعالى وحده هو الشاهد والحَكم فيه؟ وهل يجرؤ الكذاب الذي يفتري على الله الكذب أن يدعو قومه إلى اختبار تتوقف نتيجته على استجابة الله لدعائه؟ ثم.. ألا يسأل هؤلاء المعارضون أنفسهم.. لماذا لم يقبل أحد الاشتراك في هذا الاختبار لو كانوا حقا على يقين بأن الله تعالى لن يستجيب لدعاء سيدنا أحمد؟

* * *

إن هناك الكثير من الوقائع التي يصعب عدها أو حصرها في حياة سيدنا أحمد الطَّيْلاً.. استجاب الله تعالى فيها دعاءه بشكل خارق للعادة، وقد ذكر سيدنا أحمد الكثير من هذه الوقائع في كتبه.

ونود هنا أن نلفت نظر القارئ إلى المرحلة التي تبتل فيها والتي قضاها أثناء إقامته في هوشياربور، والتي أعلن في نهايتها أن الله ﷻ بخالص فضله وإحسانه قد استجاب لأدعيته، وبشره ببشرى عظيمة عن مولد غلام يحبُوه الله تعالى بقدرات ذهنية وعقلية وأخلاقية وروحانية على أعلى درجة وأسمى مقام. وقد وُلد بالفعل هذا الغلام المبارك يوم ١٢ يناير (كانون الثاني) عام ١٨٨٩، وتجلى بكل وضوح تحقق كل ما جاء في النبوءة التي كان قد تلقاها سيدنا

أحمد العَلِيْـلا في عام ١٨٨٦ بخصوص مولد هذا الغلام خلال حياته الطيبة العَلِيْـلا، وقد أشرنا فيما سبق إلى هذه النبوءة في الفصل الرابع من هذا الكتاب. هذا.. وقد صار ذلك الغلام الموعود، وهو مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه، الخليفة الثاني للإمام المهدي العَلِيْـلا. وقد اختاره الله تعالى لهذه المسؤولية حينما بلغ من العمر الخامسة بعد العشرين.. أي في شرخ شبابه، وظل يقود جماعة المؤمنين لمدة زادت عن الخمسين عاما، انتشرت فيها الجماعة بفضل ربها في العديد من بلدان القارة الإفريقية والأوربية والأسوية.

* * *

وكان من ضمن الوحي الذي تلقاه سيدنا أحمد العَلِيْـلا في المراحل الأولى هذا الوحي باللغة الأردية:

[إني سأبلغ رسالتك إلى أقصى أنحاء الأرض]

وقد ذكرنا فيما سبق الظروف والأحوال التي كانت سائدة في المنطقة خلال حياته العَلِيْـلا، وحين تلقى هذا الوحي لم يكن يملك من الوسائل.. بل إنه لم يكن حتى يستطيع أن يستخدم الوسائل الأولية البسيطة المتاحة.. لتبليغ رسالته في حدود المنطقة التي تقع فيها قاديان نفسها. ومع ذلك فإننا نرى اليوم أن رسالته قد بلغت فعلا إلى أقصى أنحاء الأرض، وتأسست فروع الجماعة التي أنشأها بأمر من الله.. حول الكرة الأرضية في مختلف البلدان والأقطار، بلغت حتى الآن (١٩٩٦) مائة وخمسين دولة*. ولو كانت تلك النبوءات من افتراء دجّال أو من خيال كذّاب لكان اسمه قد انمحى تماما، وسقط في بئر النسيان والإهمال منذ وقت طويل، فهكذا كان مصير الكذابين والمفترين على الله، وأما نبوءة سيدنا أحمد العَلِيْـلا فإنها تتحقق وتترسخ وتزداد وضوحا يوما

* أما الآن في عام ٢٠٠٦م فقد توطدت الجماعة بفضل الله تعالى في ١٨٢ قطرا من أقطار العالم. (الناشر)

بعد يوم.

* * *

حدث في الأيام الأولى للدعوة أن شابا يسمى عبد الكريم كانت قد أرسلته أمه الأرملة من حيدرآباد في جنوب الهند إلى قاديان للدراسة الإسلامية. ولسوء الحظ.. فقد عقره كلب مسعور، وكان أن بعثوا به على وجه السرعة إلى مدينة "كاصولي" لكي يُعالج هناك في معهد "باستير"، ويحصّن ضد مرض الكَلَب الخطير. وبعد أن انتهى من مرحلة العلاج عاد الشاب إلى قاديان لاستئناف دراسته. وحدث بعد عدة أيام من وصوله إلى قاديان، أن بدأت تظهر عليه أعراض مرض الكَلَب، فأرسلوا برقية إلى مدير معهد "باستير" في كاصولي تصف الأعراض التي ظهرت، وسألوا عما يمكن أن يفعلوه من أجل علاجه. وجاء الرد في برقية أرسلها مدير المعهد يقول فيها:

"للأسف لا يمكن عمل شيء لعبد الكريم"

وأبلغوا سيدنا أحمد بحالة الشاب وتطور ظهور أعراض المرض عليه، فلما وصلت البرقية من معهد "باستير" تقتل كل أمل في إمكانية علاج الشاب المسكين.. تأثر سيدنا أحمد وحزن.. شفقة على عبد الكريم، وعلى أمه الأرملة التي كانت تعيش على بعد آلاف الأميال من قاديان، واتجه إلى الله تعالى بالدعاء من أجل شفاء عبد الكريم. ولم تمض لحظات منذ أن بدأ سيدنا أحمد في الدعاء، إلا وتوقفت أعراض المرض وبدأت حالته في التحسن، وقبل مرور أربع وعشرين ساعة.. كانت أعراض المرض قد اختفت تماما، واستعاد صحته كاملة، حتى إنه عاد إلى المدرسة لاستئناف دراسته، وعاش بعد ذلك عمرا طويلا.

ومن المعروف في الدوائر الطبية أنه إذا ظهرت أعراض مرض الكَلَب على المريض فإنه لا يمكن علاج ذلك المريض، ومصيره المحتوم هو الموت. ومنذ

سنوات قليلة حدث أن تُوفيت شقيقة كاتب هذه السطور بهذا المرض اللعين، بعد أن عقرها هي وابنتها كلب مسعور وهما في قاعة الانتظار بمطار القاهرة!! ورغم أنهما قد تلقتا العلاج اللازم، إلا أن الأم توفيت بينما نجح العلاج مع الابنة. فحتى سنوات قريبة كان من المستحيل علاج مريض ظهرت عليه أعراض ذلك المرض الخبيث، إلى أن حدثت حالة في الولايات المتحدة الأمريكية لطفل عقره كلب مسعور، وحينما بدأت أعراض المرض في الظهور عليه أمكن علاجه ببعض الأدوية والعلاجات التي اكتُشفت حديثا. ولكن حدوث حالة الشفاء تلك التي وقعت في الولايات المتحدة، لا يؤثر بالطبع في معجزة الشفاء التي وقعت لعبد الكريم في القرن التاسع عشر، والتي لم تكن بسبب علاجه بالأدوية الحديثة، وإنما كانت نتيجة محضة لدعوات وتضرعات سيدنا أحمد عليه السلام.

* * *

إن الله سبحانه وتعالى كثيرا ما يستجيب لدعوات أنبيائه حتى تتجلى صفاته القدسية، ويعلم الناس أنه تبارك وتعالى هو الإله المتصف بكل الجلال والكمال، وهو الذي يحيي ويميت. وقد حدث أن ميان عبد الرحيم خان خالد، ابن خان محمد على خان الذي كان عم صاحب السمو الأمير نواب "ماليركوتلا" الذي اتخذ قاديان مقرا له، قد سقط مريضا بحمّى التيفود. وكان يُشرف على علاجه اثنان من الأطباء، كما كان يُشاركهما حضرة مولانا نور الدين الذي كان طبيبا بارعا، حتى إنه كان الطبيب الخاص لمهراجا "جامون وكشمير". ورغم الإشراف الطبي واستمرار العلاج إلا أن الحالة كانت تسوء باستمرار. وأخيرا.. أعلن الأطباء أنه لا جدوى من العلاج، وأنه ليس أمام الغلام المريض سوى ساعات قليلة، وأنه لا يمكن شفاء المرض بعد أن وصل إلى تلك المرحلة.

وحين وصل ذلك النبأ الحزين إلى سيدنا أحمد عليه السلام، دخل إلى حجرة

صغيرة تسمى "بيت الدعاء"، وراح يدعو الله تعالى أن يمن بالشفاء على هذا الغلام، ولكنه تلقى من الله وحيا يفيد أن الموت قد تقرر، وقد فهم من هذا أن الدعاء لن يُجدي في هذه الحالة. حينئذ تضرّع سيدنا أحمد إلى الله تعالى أنه إذا كانت مرحلة الدعاء قد انقضت، فإنه يتشفع لدى الله تعالى أن يمد حياة الغلام. وهنا تلقى وحيا يقول: [مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَعُ عنْدَه إلاَّ بإذْنه]. ويقول سيدنا أحمد الطَّيِّلاً إنه بعد أن تلقى ذلك الوحي من الله تعالى توقف فورا عن الدعاء، ولكن وحيا آخر جاء يقول: [إنَّكَ أَنْتَ الْمُجَاز]، أي أن الله تعالى أذن له أن يتشفع لديه. وعلى هذا فقد تشفع سيدنا أحمد لحياة الغلام. وحينما خرج من غرفته أعلن أن الغلام سوف يعيش، حيث إن الله تعالى قد قبل شفاعته. وبالفعل.. بدأ الغلام في التحسن منذ تلك اللحظة، وتماثل للشفاء تماما في أيام قليلة.

* * *

ولعل بعض المتشككين يظن أن هذه الحالات التي استجاب فيها الله تعالى دعاء عبده الإمام المهدي الطَّيِّلاً، واستجاب أيضا شفاعته، قد اقتصرت على أفراد من الجماعة الإسلامية الأحمدية، وعلى ذلك فلعلها لا تكون حقيقية، حيث لا يوجد من يشهد على صحتها من خارج الجماعة. ولكن لا يغيب عن البال أن كل ما كان يحدث في زمن سيدنا أحمد الطَّيِّلاً كان يُنشر بين الناس، وكان هو أحرص الناس على نشر هذه الواقعات حتى يُثبت تأييد الله له ويُظهر استجابته سبحانه لأدعيته. وقاديان كان يسكنها الكثير من الهندوس والسيخ، بالإضافة إلى الكثير من المسلمين. ولو لم تصح واقعة من الوقائع.. لملأ الناس الدنيا صخبا وضجيجا، ولاستدل الأعداء على عدم صدق سيدنا أحمد مستشهدين بتلك الوقائع التي تم نشرها، كما فعلوا ذلك فيما يختص ببعض الأنباء التي لم يفهموا كيفية تحقيقها. ولكنهم فيما يختص بتلك الوقائع التي ذكرناها، نجد أنهم سكتوا كما يسكت سكان القبور، وصمتوا كما

يصمت الحجر الأصم، وذلك لأنهم يعلمون يقينا أن هذه الوقائع صحيحة بلا أدنى شك.

وإن المجال ليضيق هنا عن ذكر كل الواقعات والمناسبات التي استجاب الله تعالى فيها لدعاء عبده المسيح الموعود الطَّيْلا. غير أنه من الضروري الإشارة إلى واقعة أخرى تختص بشخص لم يكن من أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية، ولا كان من أتباع سيدنا أحمد الطَّيْلا، ولا كان حتى من سكان قاديان. وكان سيدنا مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ، الخليفة الثاني لسيدنا الإمام المهدي الطَّيْلا، قد ذكر هذه الواقعة في خطاب ألقاه في مؤتمر الأديان الذي عُقد بمدينة لندن عام ١٩٢٤. وكان حضرته قد زار لندن في ذلك العام لوضع الحجر الأساسي لمسجد لندن، وهو أول مسجد يُقام في تلك المدينة، وقد نُشر الخطاب باللغة الإنجليزية في صورة كتاب اسمه: "الأحمدية أي الإسلام الصحيح". قال حضرته إن هذه الواقعة تختص بشخص اسمه "عطاء محمد"، وكان يعمل في وظيفة محصل للضرائب، وقد حكى ذلك الشخص بنفسه ما وقع له فقال ما تعريبه:

"قبل أن أكون أحمديا، وكنت أعمل كمحصل الضرائب في "وينجوان" بمقاطعة كورداسبور، وكان "القاضي نعمة الله" البطالوي كثيرا ما يحدثني عن المسيح الموعود الطَّيْلا، ولكني لم أكن أعير ما يقوله أي اهتمام. وفي إحدى المرات، حينما ألحّ عليّ بكلامه، قلت له إنني سوف أكتب إلى سيده المرزا، وأطلب منه أن يدعو لي بخصوص أمر ما، فإذا استجاب الله لدعائه، فسوف أتيقن أنه صادق في دعواه، وسوف أؤمن به.

وبالفعل كتبت إلى "حضرة صاحب" خطابا ذكرت فيه أنه لما كان يدّعي بكونه مسيحا ووليا من أولياء الله، فلا بد أن يكون مستجاب الدعاء. ولذلك فقد طلبت منه أن يدعو الله لي أن يرزقني بصبي يكون

جميل الشكل وذكيا، وأن يأتي ذلك المولود من الزوجة التي أريد أن تنجب لي. ثم ذكرت في آخر الخطاب أن لي ثلاث زوجات لعدة سنوات، ولكني لم أرزق بأي مولود من أي واحدة منهن، وأني أرغب أن يأتي المولود من زوجتى الكبرى سنا، (وكان يعني أنها لما كانت كبيرة السن فإن الأمل أضعف أن يأتي منها مولود). وتلقيت جوابا كتبه المرحوم المولوي "عبد الكريم صاحب" (الذي كان من كبار جماعة سيدنا أحمد ؊، وكان يقوم في بعض الأحيان بشؤون السكرتارية)، يقول فيه إن "حضرة صاحب" قد دعا الله تعالى بشأني، وإن الله سوف يرزقني بمولود صبي وجميل وذكي من زوجتي التي أرغب أن تنجب لي، ولكن بشرط أن أتوب توبة زكريا.

يقول المنشي عطا محمد إنني كنت في تلك الأيام أعيش حياة فُجْر وغواية، وكنت مدمنا على شرب الخمر، كما أني كنت معتادا على الرشاوي. ولما ذهبت إلى المسجد لأسأل الشيخ عما هو المقصود من توبة زكريا، استولت الدهشة على الناس وقالوا كيف يدخل المسجد شيطان مثلي، ولم يستطع شيخ المسجد أن يجيب على سؤالي. ثم سألت المولوي "فتح دين" من "دهرم كوت"، وكان أحمديا، فأخبرني أن توبة زكريا تعني أنني يجب أن أتخلى عن حياة الإباحية، وأن آكل الحلال وأن أواظب بانتظام على أداء الصلوات والصوم، وأن أكثر من التردد على المسجد. وعلى ذلك.. فقد فعلت بحسبه فتوقفت عن معاقرة الخمر، وامتنعت عن أخذ الرشاوي، وانتظمت في أداء الصلوات والصوم.

وبعد أن مر حوالي أربعة أو خمسة شهور على هذا الحال، دخلت منْزلي ذات يوم لأجد زوجتي الكبرى قد استولى عليها البؤس الشديد وهي تبكي بكاءً مرًّا. فلما استفسرت منها عن سبب حزنها وبكائها، قالت: لقد سبق أن تزوجت عليّ زوجتين أُخْرَيين لأنني لم أنجب لك مولودا، والآن قد حدثت مصيبة جديدة، وهي أن حيْضي قد انقطع، وبذلك فقد انقطع كل

أمل في الإنجاب. كان أخوها في تلك الأيام مساعد مفتش في الشرطة بمدينة أمرتسر، فطلبَت مني أن أرسلها إلى أخيها في أمرتسر حتى تنال العلاج الطبي اللازم. فاقترحتُ عليها أن تستشير القابلة التي تُولّد النساء في القرية لكي تعالجها، وبالفعل استجابت لنصيحتي ودعت القابلة لكي تفحصها. وبعد أن فحصتها القابلة.. قالت لها وهي مذعورة إنها لن تمسها مرة أخرى ولن تصف لها أي دواء، حيث إن الله - في رأيها- قد نسي أنها عاقر، (أي حيث إنها ظلت عاقرا طوال هذه السنين، ولكن لأنه يوجد الآن ما يشير إلى أنها حامل، فلا بد أن يكون الله قد نسي أنها عاقر!- بحسب رأيها). وعلى هذا فقد خرجت القابلة من المنْزل وهي تقول إن الله قد نسي أن هذه السيدة عاقر، فقلت لها إنه لا يصح لها أن تقول ذلك، لأنني طلبت من "مرزا صاحب" أن يدعو لي، وأظن أن ما حدث هو نتيجة دعائه.

بعد مرور فترة من الزمن تبينت آثار الحمل كاملة، فبدأت أقول للناس إنها سوف تلد صبيا وسيكون جميلا جدًّا. وتعجب الناس لهذا وقالوا إنه إذا وقع هذا الأمر بالفعل فإنها ستكون حقا معجزة عظيمة. وفي النهاية.. وضعت زوجتى مولودا ذات ليلة.. كان صبيا وكان أيضا جميلا. وعلى الفور جريت إلى "دهرم كوت" حيث يقيم أقاربي، وأخبرتهم بنبأ الولادة. ولما سمع الناس الخبر أسرع الكثير منهم على الفور إلى قاديان ليدخلوا في الجماعة، ولكن البعض منهم لم يذهب. وأيضا دخل كثير الناس من "وينجوان" في الجماعة بسبب هذه الواقعة المعجزة، وبطبيعة الحال فقد دخلت أنا أيضا في الجماعة. وقد أسميت الصبي "عبد الحق". إنها حقا معجزة، لأنني كنت قبل هذا متزوجا لمدة اثني عشر عاما ومع ذلك لم أرزق بمولود واحد طيلة هذه السنوات".

(مترجم عن كتاب: الأحمدية أي الإسلام الصحيح ص١٩٤-١٩٦)

* * *

ويحضر كاتب هذه السطور في موضوع استجابة الدعاء واقعة طريفة

حكاها له أحد أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية في مصر. وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن ما يُنعم الله به على أنبيائه لا يكون حكرا ووقفا عليهم فقط. لأنهم يرَبّون أتباعهم التربية الروحانية الصحيحة، ويأخذون بأيديهم إلى عتبة مولاهم ﷻ، فتتجلى على هؤلاء الأتباع جميع تلك النعم التي تتجلى على النبي، من تلقي الوحي واستجابة الدعاء وغيرها. وإن كانت.. بالنسبة لكل فرد.. تختلف وتتباين حسب طاقة كل إنسان، ومدى قربه من الله تعالى، وهي بلا شك أقل وقوعا للأتباع منها للنبي. غير أن الأتباع المخلصين يستقون من عين الينبوع، ويذوقون من نفس الزاد الإلهي الذي يؤتيه الله تعالى لأنبيائه. ولو لم يكن الأمر كذلك، لما كان هناك فرق بين الأنبياء وبين أولئك الذين آتاهم الله تعالى مواهب معينة خارقة بالنسبة لغيرهم من الناس. فهناك الكثير من الناس ممن آتاهم الله القدرة على شفاء الأمراض، ولكنهم لا يستطيعون أن يجعلوا غيرهم يشفي الأمراض. وهناك الكثير من الناس ممن آتاهم الله القدرة على رؤية أمور في الغيب، تتحقق في أكثر الأحيان، ولكنهم لا يستطيعون أن يجعلوا غيرهم يرى أيضا أمور الغيب. أما الأنبياء.. فهم بفضل الله وعونه يجعلون أتباعهم يذوقون بأنفسهم من نفس الخوان الرباني الذي يتزوّدون هم منه.

والواقعة الطريفة التي رواها أحد الأحمديين المصريين، وهو المرحوم الحاج عبد الحميد خورشيد، الذي كان أول مصري يزور قاديان في الهند عام ١٩٣٦، هي أنه لما تشرف بمقابلة سيدنا المصلح الموعود.. حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ؓ.. الخليفة الثاني لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ؑ، والذي جاءت بشأن ولادته نبوءة من الله تعالى ذكرناها في الفصل الرابع من هذا الكتاب بعنوان "البشرى والبشير".. قال له الحاج عبد الحميد خورشيد إنه كان قد تزوج منذ خمسة عشر عاما، ولكن زوجته ظلت عاقرا،

إذ إنها لم تحمل أبدا طوال هذه السنين. وطلب منه أن يدعو الله له لكي يرزقه تعالى بالذرية، فأخبره المصلح الموعود بأنه سوف يدعو الله له.

وقد قضى المرحوم عبد الحميد خورشيد في الهند بعضا من الوقت إلى أن حان موعد سفره وعودته إلى مصر، فذهب لكي يودّع حضرة المصلح الموعود. وقبل أن يغادر الحاج عبد الحميد خورشيد مكان الاجتماع، أخبره حضرة المصلح الموعود بأنه قد دعا الله تعالى له أن يرزقه بالذرية، وأن الله تعالى قد استجاب الدعاء، وأنه سوف يرزقه بجلال الدين وشمس الدين وعائشة.

وكاد قلب الحاج عبد الحميد خورشيد يقفز من صدره للفرحة التي استولت عليه، إذ ها هو الله تعالى قد استجاب لدعاء سيدنا المصلح الموعود، وسوف يرزقه بالذرية بعد انقضاء خمسة عشر عاما على زواجه. وكان يعُد الأيام والساعات التي تفصله عن مصر، إلى أن وصل أخيرا المركب الذي كان يستقله إلى ميناء السويس، واستقبله الكثير من الأهل هناك، وأخذوه إلى منْزله في القاهرة.

كان من عادة الناس في تلك الأيام.. في الثلاثينيات.. أن يستقبلوا العائد من سفر إلى مكان بعيد بإقامة الزينات وإطلاق الزغاريد وغيرها من مراسم الاستقبال، وكان من العادة أن يأتي جميع أهل الحي من رجال ونساء للتهنئة بسلامة الوصول. ولذلك فقد كان منْزل الحاج عبد الحميد خورشيد، الذي كان يقطن إحدى المناطق الشعبية، يعج بالناس من أهل الحي، حتى إنهم أقاموا سرادقا خارج المنْزل لاستقبال الرجال، وخُصص المنْزل بأكمله لاستقبال "الحريم".

وما أن وصل الحاج عبد الحميد خورشيد إلى مكان الاستقبال، وسلّم على الضيوف والمستقبلين، إذا به يختفي عن الأنظار. إذ إنه تسلل خلسة إلى داخل

المنْزل، ودخل إلى مكان "الحريم"، وأخذ بيد زوجته التي كانت تجلس بين النساء، وأسرّ لها بلهجته المصرية العامية: "تعالي يا وليّة نحقق نبوءة سيدنا المصلح الموعود."

وبعد مرور بضعة أشهر، تبين أن زوجته قد حملت بالفعل، فكان يقول للناس إن الجنين الذي في بطنها هو جلال الدين. وقد أخبره بعض الأصدقاء من الأحمديين أنه ليس من المستحسن أن يتولى هو تفسير النبوءة بالشكل الذي يفهمه، فقد يرزقه الله تعالى بالأنثى أولا. ولكنه كان على يقين عجيب بأن النبوءة لا بد وأن تتحقق بنفس الترتيب الذي ذكره له حضرة المصلح الموعود. وبالفعل وضعت زوجته صبيا سماه جلال الدين، ثم وضعت صبيا آخر سماه شمس الدين، ثم وضعت الأنثى فسماها عائشة.

لقد كان جلال الدين صديقا لكاتب هذه السطور، ولكن الله تعالى توفاه حينما بلغ نيفا وعشرين عاما. وأبدى الحاج عبد الحميد خورشيد ثباتا عجيبا عند وفاته، وكان يقول إنه كان أمانة من الله تعالى وإنه سبحانه قد استرد أمانته. وأغلب الظن أن شمس الدين وعائشة ما زالا حتى الآن على قيد الحياة.

* * *

إن من أهم سمات المؤمن الصادق هي أن يكون مستجاب الدعاء، غير أن استجابة الدعاء ليست بالأمر السهل الذي يمكن أن يناله كل من أراد وكل من شاء. إن استجابة الدعاء هي في حقيقة الأمر بيد الله تعالى، وهو وحده الذي يقرر ما إذا كان يريد أن يستجيب لدعاء عبده أم لا يستجيب. وهو أحيانا يتفضل بخالص جوده وكرمه باستجابة الدعاء، تكريما لعبده المخلص الذي سلك دروب الصدق والوفاء، واستجاب لدعاء ربه ونداء السماء. وفي ذلك يقول تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

(البقرة:١٨٧)

كما أنه أحيانا أيضا يستجيب لعبده المضطر الذي يحلّ به البلاء، وتضيق عليه الدنيا وتكتنفه الظلمات السوداء، ويعرف أنه لا ملجأ له إلا الله ذو الفضل والعطاء، ويرفع إليه أكف الضراعة والدعاء، فيكشف تعالى عنه السوء ويبدّل حاله بالخير والنعماء. وفي هذا يقول تعالى في كتابه العزيز:

﴿أَمَّن يُجيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَليلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل:٦٣)

وفي هذه الآية الكريمة يشير الله تعالى إلى أن استجابة الدعاء تُعتبر دليلا على وجود الله، ولا شك أن الدعاء هو إحدى الوسائل الفعالة للوصال الرباني، ولا يمكن أن تكون هناك علاقة بين الإنسان وخالقه بغير الدعاء، ولذلك يأمر الله تعالى نبيه في الكتاب العزيز أن يبلغ الناس بقوله:

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَآؤُكُمْ﴾ (الفرقان:٧٨)

غير أنه حين بُعث سيدنا أحمد ، كان عامة الناس قد فقدوا كل وصال بالله تعالى، وكانوا يؤمنون بانقطاع الوحي بكل صوره وأشكاله، وبالتالي فليس هناك من سبيل للاتصال بين الرب والعبد. وكانت أدعيتهم لا تزيد عن ترديد كلمات معينة، دون أن يكون لهذه الكلمات أثر على النفس أو تأثير على الروح. وكثيرا ما كان الناس يرددون كلمات الأدعية التي يحفظونها، حتى بدون أن يفهموا معنى تلك الأدعية، وبغير أن يُدركوا مدلولات كلماتها.

أما الطبقة المثقفة في ذلك الوقت، فقد خلبت لبّها الثقافة الغربية الحديثة، وافتتنت بالفلسفات المعاصرة. ومع دخول الإنجليز إلى الهند واستيلائهم عليها، وهجوم المبشرين المسيحيين الذي صاحب استيلاء الإنجليز على الهند، واندحار الإسلام أمام هجمات أعدائه من آرية وهندوس وسيخ وقساوسة ومبشرين، ومع ضعف وتخاذل المولويين وتمسكهم بالكثير من الخرافات والإسرائيليات

والأساطير التي تسيء إلى هذا الدين العظيم، لم تجد الطبقة المتعلمة من بديل سوى أن تتقبل الفلسفات الغربية الواردة إليها، بل إنها أقبلت على تلك الفلسفات بكل حماس، بعد أن رأت فيها البديل المعقول لكل الخرافات التي كان المولويون يُلصقونها بالدين. ومن هنا ظهر بعض القادة من بين طبقات المثقفين، الذين كانوا يحاولون أن يجدوا توافقا بين الدين والعلم الحديث، ويريدون أن يُوَفقوا بين ما يقوله الدين وما تقوله النظريات العلمية والفلسفية الحديثة.

ولما كان هؤلاء القادة المثقفون على غير هَدي كامل من الله تعالى، ولم يتلقوا منه وحيا يرشدهم إلى الحق الكامل، كما كان الحال مع سيدنا أحمد عليه السلام، فقد اصطدم هؤلاء القادة المثقفون بالكثير من العقائد والأفكار الدينية التي ظنوا أنها تختلف مع الفكر الجديد الوافد إليهم، ولذلك أحس هؤلاء أنه لا بد لهم أن يتنازلوا عن الكثير من تلك العقائد، ويفلسفوا تلك الأفكار بما يتلاءم مع الفلسفات الحديثة.

كان على رأس هؤلاء القادة المثقفين السير سيد أحمد خان، وصاحب السعادة أمير علي، وكان الأول يمثل الفكر السُني بينما كان الثاني يمثل الفكر الشيعي. كان لكل من هذين العالمين الفذين الكثير من الكتب والمؤلفات التي لاقت رواجا واستحسانا بين طبقات المثقفين في شبه القارة الهندية، بل وانتشرت تلك الأفكار التي كانت تُعتبر أفكارا تقدمية.. في الوطن الإسلامي كله.

وقد ذكر أحد الكُتّاب الإنجليز عن السير سيد أحمد خان أنه كان لا يرى فرقا في القدسية بين الكتاب المقدس والقرآن المجيد، وكلاهما فيه آثار أيدي الإنسان. كذلك كان يرى السير أحمد خان أن التعاليم التي جاءت في القرآن.. جاءت إلى أقوام كانت في حضيض التأخر الثقافي والحضاري والأخلاقي،

ولذلك فإن هذه التعاليم لا تصلح الآن للمجتمعات المتحضرة. وكان من بين الكتب التي نشرها السير سيد أحمد خان كتاب "تحرير في أصول التفسير"، الذي ذكر فيه الأصول الجديدة في رأيه التي ينبغي أن يُفهم بها القرآن في عصر العلم والتقدم. كذلك كان له كتاب آخر يسمى "الدعاء والاستجابة"، وفيه ذكر السير أحمد خان أن الدعاء هو مجرد شكل من أشكال العبادة التي يلجأ إليها العابد في أوقات الشدائد والأزمات بدافع غريزي. وعلى هذا فإن الدعاء في رأيه لا يؤدي إلى الاستجابة المطلوبة، ولا يحقق الغرض الذي يرغب الداعي في تحقيقه، وذلك لأن الله تعالى لا يتدخل في مجريات القوانين الطبيعية التي وضعها، وكل شيء يتحقق حسب هذه القوانين التي قدّرها الله تعالى، ولن يغير الله تقديره بسبب الدعاء.

ولما كانت تلك الآراء التي نشرها السير سيد أحمد خان على نقيض تام مع تعاليم الإسلام الذي ذكر رسوله العظيم في قوله الكريم: ''لا يرد البلاء إلاّ الدعاء''، وأن: "الدعاء مخ العبادة"، وكما سبق ذكره.. أكد الله تعالى على أهمية الدعاء بقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَآؤُكُمْ﴾ (الفرقان:٧٨)، لذلك فقد تصدّى له سيدنا أحمد عليه السلام، ونشر في عام ١٨٩٣ كتابا سمّاه "بركات الدعاء"، تناول فيه الكتابين اللذين نشرهما السير أحمد خان بالنقد والتعليق، لإزالة سوء الفهم الذي نشأ في أذهان الناس بسبب هذين الكتابين.

وقد بيّن سيدنا أحمد عليه السلام الأخطاء التي وقع فيها السير أحمد خان، وأوضح أن الله تعالى يستجيب فعلا لدعاء عبده، وأن الدعاء يحقق فعلا الاستجابة المطلوبة، وأنه يساعد على تحقيق الغرض الذي يدعو العبد لتحقيقه. وقد أوضح سيدنا أحمد عليه السلام أن الدعاء بالنسبة للشخص الذي يدعو.. كمثل الدواء بالنسبة للشخص المريض. فإذا صح زعم السير أحمد خان أن كل أمر من الأمور يتم حسب تقدير معين لا سبيل لتغييره، فلماذا تُعالج الأمراض إذن؟

ولماذا يلجأ الإنسان إلى الدواء ما دام أمر شفائه كان مقدّرا سواء استعان الإنسان بالدواء أم لم يستعن؟ فإن لم يكن للدعاء أثر في أمر التقدير الإلهي، فإن علم الدواء، وصناعة الأدوية، وكل العلوم المتصلة بها، يجب أن يتخلى عنها الإنسان ويتخلص منها ويُلقي بها في سلة المهملات. وإذا كان كل شيء قد سبق تقديره، فلماذا يحاول الإنسان معالجة المرض؟ وقد خرج سيدنا أحمد عليه السلام من هذه المناقشة بنتيجة حتمية وهي إذا كان الدعاء لا أثر له بسبب التقدير الإلهي، فإن الدواء أيضا لا أثر له بسبب نفس هذا التقدير الإلهي، وبطبيعة الحال.. فإن أي عاقل وأي مثقف لا يمكن أن يقول بأن الدواء لا أثر له في شفاء الإنسان.

وقد شرح سيدنا أحمد عليه السلام فلسفة الدعاء، وأوضح أن التقدير الإلهي الذي خلق الله تعالى القوانين الطبيعية لتحقيقه، لا يعني أبدا أن الله تعالى قد صار أسيرا لهذه القوانين، وأنه سبحانه لا يستطيع أن يُغيّر هذه القوانين إذا شاء ذلك. نعم إن الله تعالى لا يُغير قوانينه حسب مشيئة الإنسان وتبعا لهواه، ولكن الله تعالى هو صاحب الأمر، وهو الذي يُقدّر تحقيق كل شيء، وإذا قال إن الدعاء يمكن أن يغير أثر التقدير الإلهي الذي يتحقق عن طريق القوانين الطبيعية، فهذا أمر يُعتبر أيضا من تقديره تعالى، تماما كما أنه جعل الدواء سببا لتغيير أثر القوانين الطبيعية التي تسبب المرض للإنسان.

ثم تعرّض سيدنا أحمد عليه السلام إلى تفنيد الأصول التي ساقها السير أحمد خان لتفسير القرآن، وذكر هو الأصول الصحيحة لتفسير القرآن، وقال إن الوسيلة السابعة لتفسير كتاب الله العزيز هي الوحي والإلهام، اللذان لم يذكر عنهما السير أحمد خان أي شيء، بل إنه لا يعتقد حتى في إمكان تلقي العبد المؤمن للوحي والإلهام من الله تعالى. وقد فند كذلك الآراء التي تقول بأن الوحي والإلهام ليسا سوى حالة من حالات إفراز العقل البشري، وأنهما ليسا في

الحقيقة والواقع اتصالا حقيقيا ومحادثة بين الله وبين الإنسان.

وقال سيدنا أحمد عليه السلام في كتابه ما تعريبه:

"..... إن الله تعالى قد أرسلني لإصلاح هذا الزمان حتى أزيل من أذهان المسلمين المفاهيم الخاطئة التي لا يمكن أن تزول بغير التأييد الخاص من الله تعالى، وحتى أقدم للمنكرين الدليل على وجود الإله الحي الحق القدير، ولكي أبرهن ببراهين جديدة على حقيقة وعظمة دين الإسلام، .....، إن القول الذي يدّعي بأن باب تلقي الوحي الذي يتشرف به الأولياء والأبرار قد أُغلق الآن، وأن الآيات والمعجزات لا يمكن وقوعها الآن، وأن الدعاء لا يمكن له أن يُستجاب الآن، لهو قول يؤدي إلى الهلاك لا إلى الأمن والسلام. لا تردوا فضل الله تعالى، فانهضوا، وجرّبوا، واختبروا..... وإنه لمن المفيد للسير سيد أحمد أن يتذكر يوم آخرته، فيأتي إليّ ويعيش في صحبتي لبضعة شهور. وحيث إني مبعوث من الله تعالى وبشير منه، فإني أعِدُ بأني سوف أدعو الله تعالى له حتى يطمئن قلبه، وإني لأرجو أن يريه الله تعالى آية تقضي في لحظة واحدة على صنم القوانين الطبيعية الذي أقامه السير سيد، ولقد حدث الكثير والكثير حتى الآن مما يتعارض مع تلك القوانين الطبيعية في نظر السير سيد". (بركات الدعا، الخزائن الروحانية ج٦ ص٢٤-٣٢)

هكذا تصدّى سيدنا أحمد عليه السلام لكل الأفكار الخاطئة التي كانت تنتشر بين الناس، سواء كان الذين ينشرون تلك الأفكار هم الطبقة الجاهلة من المولويين، أو الطبقة المتعلمة من المثقفين، أو طبقة علماء الدين الذين اتّبعوا مسالك علماء القرون الوسطى، فأخذوا عنهم كل ما وصل أيديهم دون تحقيق وتمحيص، وبغير تفنيد لكل الإسرائيليات والروايات التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي غزت كتب التفسير حتى صار المرء يقرأ في تلك الكتب الكثير من التفاسير التي تتناقض مع ما أنزل الله تعالى في كتابه العزيز من الحكم والآيات المحكمات.

وقد رأى سيدنا أحمد عليه السلام أن ينشر كتابا يجمع فيه كمالات الإسلام، ويبين فيه حقيقة وعظمة التعاليم الإسلامية، فكتب في عام ١٨٩٢ كتابه المعروف باسم: "مرآة كمالات الإسلام"، وقد انتهى منه ونشره في شهر فبراير (شباط) عام ١٨٩٣، وكان هذا الكتاب هو أول كتاب يُطبع في مطبعة أقيمت في قاديان. كان الكتاب يقع في حوالي ٧٥٠ صفحة، وهو أول كتاب أيضا احتوى ملحقا باللغة العربية يبلغ حوالي ٢٥٠ صفحة، وقد وجّه سيدنا أحمد عليه السلام هذا الكتاب إلى علماء الهند وأفغانستان وفارس وتركيا وتركستان، وإلى العلماء العرب في مصر والشام والعراق والحجاز.

كان المولوي محمد حسين البطالوي في ذلك الحين يجوب عرض البلاد وطولها ليجمع توقيعات علماء الهند وفتاواهم على كفر سيدنا أحمد وخروجه من الإسلام، بينما كان هذا الكتاب الذي نشره سيدنا أحمد هو الدليل الناصع على أنه لم يكن من أحد سواه يستطيع أن يُقدم كمالات الإسلام كما قدمها هو، ولا من كاتب من الكُتاب أو عالم من العلماء يستطيع أن يشرح جمال الإسلام كما شرحه هو. والسر في ذلك أنه حينما كان يكتب عن الإسلام.. لم يكن يكتب بقلم الواصف أو الباحث، وإنما كان يكتب بقلم المجرّب والخبير، الذي يعلم تماما ما يتكلم عنه. إن أغلب العلماء في وقته كانوا يتخذون الدين حرفة وصناعة، يتكسّبون منها، تماما كما يتكسّب أصحاب الحرف من حرفهم، ولذلك فقد تلاشى كل أثر لهؤلاء العلماء على قلوب العامة من الناس، مما جعلهم صيدا سهلا في أيدي المبشرين المسيحيين، وفريسة ضعيفة في أيدي أعداء الإسلام من آرية وهندوس، وضحية مقهورة من ضحايا الفكر الحديث والفلسفات المعاصرة.

كانت هناك الكثير من الوقائع التي يتناقلها الناس عن مسلك أولئك المولويين، ومنها أن رجلا من الهندوس كان قد درس بعض التعاليم الإسلامية

وأُعجب بها، فذهب يزور أحد المولويين ليستزيد من المعرفة عن الإسلام، فوجده يشرب الخمر في بيته وهو في حالة من السكر الشديد، فاستنكر مسلكه وسأله كيف يشرب الخمر وهو من علماء الإسلام، فقال له بغير اكتراث: "أرني واحدا من العلماء لا يشرب الخمر". ومن تلك الوقائع أيضا كانت قصة ذلك الإسكافي الذي يقوم بصنع الأحذية، وكان يستمع إلى موعظة من أحد المولويين عن الأخلاق الإسلامية العالية التي يجب أن يتحلى بها المرء، وكان هذا المولوي في تعامله مع الناس أبعد ما يكون عن الأخلاق الإسلامية العالية، التي يحض الناس على التخلق بها، فقال له الإسكافي: "إن عليك أن تستعمل أنت أولا كل هذه الأخلاق التي تتحدث عنها قبل أن تقدمها للناس"، فرد عليه المولوي قائلا: "وهل تستعمل أنت كل الأحذية التي تقوم بصنعها قبل أن تقدمها للناس؟"

إن الأمر كان.. وللأسف لا يزال.. عند الكثير ممن يتصدّى للدعوة إلى الإسلام، لا يخرج عن كونه صناعة أو حرفة من الحرف، ووسيلة من الوسائل لكسب العيش، والحصول على ما يقيم الأوَد. وكثيرا ما نسمع تلك الجملة التي شاع استعمالها بين أولئك الذين يقولون ولا يفعلون: "هذه نقرة وتلك نقرة أخرى".

أما سيدنا أحمد عليه السلام فكان المثال الحي لكل الأخلاق الإسلامية التي يدعو إليها، وهو لم يكن يدعو للتمسك بتلك الأخلاق فحسب، بل كان يُبين كيفية النجاح في التخلق بتلك الأخلاق. لم يكن يتحدث عن وجوب طاعة الله فحسب، بل كان يشرح الوسائل التي تعين الإنسان على النجاح في طاعة الله. لم يكن يدعو الناس إلى الإسلام فحسب، بل كان يُبين جمال وكمال الإسلام بشكل يجذب الإنسان المخلص إلى هذا الدين العظيم. لم يكن يدعو إلى التمسك بكتاب الله فحسب، بل كان يُقدم للناس تلك الدرر والكنوز التي

يحتويها القرآن، ويبين لهم الحِكم والمعارف التي يفيض بها الفرقان، حتى إن صاحب الفطرة السليمة لا يسعه إلاّ أن ينهل بشوق من هذا المنهل العذب، ويغترف بنهم من هذا النبع الفياض.

وفي كتاب "مرآة كمالات الإسلام".. قدّم سيدنا أحمد عليه السلام المرآة التي ينظر فيها المرء فيرى كمالات الإسلام، ويدرك عظمة تعاليمه، ويستيقن من تفوّق أحكامه وبراهينه. لقد ألقى ضوءا ساطعا على علاقة الله بالإنسان، ووصف المقام الروحاني العظيم الذي يمكن أن يصل إليه الإنسان. كذلك فقد شرح معاني الكلمات التي كثيرا ما يستعملها السالكون في سيرهم الروحاني نحو الله تعالى، ويعبرون بها عن اتحاد إرادتهم بإرادة الله عز وجل، حتى لكأن الله تعالى قد تجلى فيهم، فشرح معنى كلمة "ابن الله" التي استخدمها المسيح عيسى ابن مريم في الإنجيل، وتحدث عن الروح القدس الذي يحل في الإنسان، وبيّن ما هو المقصود من أن يكون الإنسان إنسانا ربانيا. كذلك فقد شرح معنى الشر وأسبابه، وأوضح أيضا مهام الملائكة وخصائصها، كما فسر فلسفة وأسباب القَسَم في القرآن، وأوضح لماذا يُقسم الله تعالى بأشياء هي دونه في المكانة والمقام. وقد فسر سيدنا أحمد عليه السلام الكثير من الآيات القرآنية بأسلوب خلاب جميل، وشرح شرحا وافيا موضوع المحادثة والمخاطبة الربانية بين الله وبين الإنسان، وردّ وفند كل الاعتراضات التي سيقت في هذا الشأن.

ونود في هذا الفصل أن ننقل إلى القارئ الكريم نبذة مما كتبه سيدنا أحمد عليه السلام في هذا الكتاب عن علاقة الله تعالى بالإنسان، وحيث إن الأصل قد كُتب باللغة الأردية التي يجهلها كاتب هذه السطور، فإنه اضطر للاستعانة بالترجمات الإنجليزية ليترجم منها إلى العربية، ومعنى هذا أن ما يقدمه للقارئ هو ترجمة عن ترجمة من الأصل، ولذلك فمن الأفضل أن يُقال إن هذه كلمات كاتب هذه السطور التي يقدّمها تعبيرا عن المعاني السامية التي جاءت

في كتاب مرآة كمالات الإسلام. وعلى هذا.. فإن كل خير يصل إلى القارئ، لهو بلا أدنى شك ثمرة هذا الكتاب العظيم الذي كتبه سيدنا أحمد عليه السلام، وأي خطأ أو قصور في التعبير، إنما هو بسبب عجز كاتب هذه السطور الذي لم يستطع أن يقرأ الأصل في لغته الأردية.

كان سيدنا أحمد عليه السلام يشرح معنى قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:١١٢)

يقول سيدنا أحمد عليه السلام إن المعنى الحرفي لكلمة أسلم هو بمعنى أعطى، كأن يستأمن الإنسان أحدًا على أمانة، أو أسلم بمعنى أنه سعى من أجل السلام، أو أسلم من الاستسلام بمعنى أنه أسلم أمره إلى غيره ورضخ وتخلى عن إرادته وتنازل عن مطلبه ودعواه.

أما معنى الإسلام الذي يُبينه الله تعالى في الآية الكريمة فهو أن المسلم هو من يُسلم نفسه تماما لله تعالى، ويُكرّس كل حياته من أجله عز وجل، ومن أجل تنفيذ مشيئته وتحقيق إرادته والحصول على رضاه؛ وهو الذي يكون ملتزما بالأعمال الصالحة ومرتبطا بها برباط وثيق من أجل وجهه سبحانه، ويضع كل قواه.. وكل مواهبه.. وكل إمكاناته.. وجميع ما أعطاه الله.. وكافة ما أنعم به عليه.. في سبيله تبارك وتعالى. وبمعنى آخر.. فإن المسلم هو من يكون لله بكامل قلبه وقالبه.. خالصا لله تعالى فيما يتعلق بإيمانه وعمله.

ولكي يكون الإنسان بكامل قلبه وقالبه خالصا لله تعالى فيما يتعلق بإيمانه، فإن عليه أن يوقن بأنه لم يخلق إلاّ لكي يعرف الله تعالى، ويطيعه، ويحبه، ويسعى لنوال رضاه.

ولكي يكون الإنسان بكامل قلبه وقالبه خالصا لله تعالى فيما يتعلق بأعماله، فإن هذا يعني أن يقوم الإنسان.. لا لغرض سوى الحصول على رضاء

الله تعالى.. بفعل الصالحات من الأعمال الطيبة التي يقوم بها الإنسان باستخدام كافة جوارحه التي أعطاه الله إياها، والتي تتعلق بجميع القوى المختلفة التي وهبها الله تعالى للإنسان، وأن يؤدّي هذه الأعمال بحماس وإخلاص نابعين من أعماق القلب، تماما كما لو كان ينظر إلى وجه الله تعالى، وكأنه يراه بالفعل في مرآة طاعته ﷻ.

إن هذه الآية تقول إن من يكون إيمانه الطاهر بالله تعالى، وأعماله التي يقوم بها في سبيله ﷻ، قائمة على هذه المحبة، والذي يؤدي الطيبات من الأعمال بحماس ونشاط ينساب من نفسه انسيابا طبيعيا، فإنه يكون مستحقا لحسن الأجر والثواب من الله تعالى، وإن مثل هؤلاء الناس لا يعانون من الحزن أو من الخوف، أي إنهم يصلون إلى مقام النجاة في حضن الله تعالى. وذلك لأن الإنسان حينما يكون بكامل قلبه وقالبه خالصا لله تعالى، ومؤمنا به بكل صفاته وأسمائه الحسنى؛ حينما تتوحد إرادته مع إرادة الله تعالى ولا تحيد عنها قيد أنملة، ويكون رضاه كله في رضا الله.. لا يميل عنه قدر شعرة؛ وحينما لا يقوم بفعل الصالحات والطيبات من الأعمال وهو يشعر بثقلها، بل يشعر بدافع من الحب والوداد لله تعالى ينساب به لتأدية تلك الأعمال الطيبة، حتى إنه يشعر بسعادة في تأديتها، ويجد لذة في القيام بها، فإنه في هذه الحالة يكون قد وصل إلى مقام النجاة الحقيقية، وهذا هو مقام الفوز العظيم. إن الفوز العظيم الذي يناله الإنسان في الحياة الآخرة، ليس إلا تجليا لهذا المقام الذي يناله الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وهو ذاك المقام الذي يراه الإنسان ويبدو له متمثلا في جنة الحياة الآخرة. وباختصار.. فإن حياة الإنسان في جنة المأوى تبدأ في نفس وذات هذا العالم الذي نعيش فيه، كما تنبت في هذا العالم أيضا جذور الحياة الجهنمية للإنسان الذي يحيا حياة الإثم والمعصية، ويعيش أعمى في هذه الدنيا.

وعلى هذا فإن كل إنسان آتاه الله تعالى عقلا وإدراكا، يستطيع أن يرى في

هذه الآية الكريمة المذكورة عاليه، أن الإنسان يمكن أن يكون مُسلما حقيقيا عندما يكون بكل ذاته، وبكل جوارحه، وبكل قدراته المادية والروحانية؛ خالصا لله تعالى، ومُكرّسا نفسه في خدمته وتحقيق أوامره؛ أي عندما يُعيد ويُسْلِمُ إلى المعطي الحقيقي كل ما تلقاه منه على سبيل الأمانة؛ وعندما لا يكون مُسلما فقط فيما يختص بالإيمان، وإنما تتجلى في مرآة أعماله وأفعاله، صورة كاملة وجميلة للإسلام الحقيقي.

وبمعنى آخر.. يكون الإنسان مُسلما بكل معنى هذه الكلمة.. عندما تكون يداه وقدماه، ويكون قلبه وعقله، ويكون ذكاؤه وفكره، ويكون غضبه وشفقته، وتكون حواسه المادية والروحية، ويكون شرفه وجاهه، وراحته ورضاه، وكل ما فيه وما له، ظاهرا وباطنا، من أعلى طرف في شعر رأسه إلى أدنى ظفر في أصابع قدميه، بكل نياته، وبكل أفكاره، وبكل رغباته؛ متّبعا لإرادة الله تعالى، تماما كما تتبع الأطراف من أيد وأرجل وغيرها جسدَ الإنسان، وتلتزم بإرادته. وباختصار.. فإن المسلم الحقيقي هو الذي يصل إخلاصه وولاؤه وتعبّده إلى الحد الذي يكون فيه كل ما له.. لا يكون له، بل يكون لله تعالى؛ وتكون جميع حواسه وجوارحه وملكاته ومواهبه موظفة بأكملها ومستعملة ومخصصة في خدمة أغراض الله تعالى، تماما كما لو أنها كانت هي بعينها جوارح الله تعالى.

ومرة أخرى.. إن الدراسة العميقة لهذه الآية الكريمة المذكورة عاليه، تؤدي بنا إلى استخلاص أن إسلام النفس لله تعالى، الذي هو في حقيقته جوهر دين الإسلام، إنما يكون على نوعين: النوع الأول هو إسلام النفس لله تعالى بمعنى أن الإنسان يجعل الله سبحانه وحده هو الغاية الحقيقية لعبادته، ومقصود رغباته، وهدف محبته، وأن لا يكون هناك أي شريك آخر في هذه العبادة، ولا في هذه المحبة، ولا في الخوف من الله تعالى؛ وأن يحدو المرءَ الأملُ والرجاءُ

دائما في أن يُعظم الله تعالى ويعبده بجميع قلبه، وأن يكون المرء مستسلما لكافة حالات التواضع والخضوع التام لأوامر الله وقوانينه وللتقدير الإلهي، وأن يجعل المرء نفسه على علم تام بالحقائق القدسية التي هي السبيل لمعرفة قدرات الله الواسعة وملكوته العظيم، والتي هي وسيلة الهداية لإدراك أفضاله العميمة وإحساناته الكريمة.

أما النوع الثاني من إسلام النفس لله تعالى، فيعني أن يُكرّس الإنسان نفسه لخدمة مخلوقات الله تعالى ونفعهم، وأن يحمل عنهم أثقالهم، وأن تفيض في قلبه عاطفة الشفقة عليهم، حتى إنه ليكون على أتم الاستعداد أن يتحمل البلاء والكروب والمصائب، لكي يزيل عن الآخرين آلامهم وأحزانهم.

ويتبيّن مما قيل حتى الآن أن معنى "الإسلام" هو معنى عظيم، وأنه مقام يعلو ويسمو فوق كل مقام. وإذا أردنا أن نُعَبر عن المسلم التعبير الحقيقي، فإننا نقول إن أحدا لا يستحق أن يوصف بهذا اللفظ الجليل، إلاّ إذا أسلم لله تعالى كل ذاته بكل قواها ورغباتها ونواياها، وأخضع تماما كل أنانيته وكينونته بجميع علائقها وروابطها لله تعالى، وكرّس نفسه بكليتها في سبيله ﷻ. إن المرء يستحق أن يوصف بأنه "مسلم"، بكل ما في هذه الكلمة من معان، فقط حينما يعتري حياة اللامبالاة بالمعصية وعدم الاكتراث بارتكاب الاثم التي يحياها تغيير كامل وشامل، فتتلاشى تماما كل أهوائه ورغباته، ويهبه الله تعالى حياة جديدة، تكون من الطهر والقدسية بمكان، حتى إنه لا يكون فيها من شيء سوى طاعة الله تعالى، والشفقة على خلقه ﷻ.

وطاعة الله تعني أن المرء يكون على أتم الاستعداد لأن يُقاسي الذل والهوان، من أجل أن يرفع عاليا عظمة وعزة ووحدانية الله تعالى؛ وأن يكون على أكمل الاستعداد لأن يموت ألف مرة، من أجل أن يُحيي الإيمان في أحدية الله تعالى؛ وأن يكون قادرا على أن يقطع يده بيده الأخرى.. وأن يفعل ذلك بصدر

منشرح.. إذا ما كان فيه طاعة لأمر الله تعالى؛ ويكون التزام المرء بأوامر الله عز وعلا، ورغبته الأكيدة في نوال رضا الله تبارك وتعالى، أمرا يجعل الإثم والمعصية تبدو وكأنها نار وحمم ولهيب متأجج، يحرق كل من اقترب منه، أو كالسم المميت الذي ينأى عنه الإنسان بل يفر منه ولا يقربه. وباختصار.. إن المسلم الحقيقي هو من تنازل عن كل رغبة من رغباته من أجل الله تعالى؛ وهو ذاك الذي يكون على قدم الاستعداد لتحمل كل الجروح العميقة والآلام المبرحة حتى يصل إلى الله تعالى؛ وهو الذي يقطع تماما كل علائق الدنيا وروابطها، تدليلا وبرهانا على صدق علاقته بالله تعالى.

وأما أن يضع المرء نفسه في خدمة خلق الله تعالى، فمعنى ذلك أنه فقط من أجل وجه الله ﷻ، وبرغبة أكيدة لا تشوبها شائبة من مصلحة شخصية ولا فائدة معنوية، بل تنبع من الشفقة المحضة الخاصة لخير الناس، فإنه يساعد جميع خلق الله في قضاء كل ما يحتاجون إليه، ويحقق لهم الخير بكل الطرق الممكنة، ويمد يد المساعدة لكل من كان في حاجة إلى المساعدة، ويبذل في سبيل ذلك كل ما وسعه، وكل ما أعطاه الله تعالى من مواهب وقدرات.

إن إسلام النفس هذا لله تعالى، بكل ما تحويه هذه الكلمة من معانٍ، يكون بالفعل إسلاما لوجه الله، فقط حينما يتم إخضاع كل أعضاء المرء وتسخير جميع قدراته وملكاته في طاعة الله تعالى. تماما كما لو أن هذه الأعضاء وتلك الملكات والقدرات قد صارت وسائل ربانية في يد الله تعالى، يتصرف فيها ويستعملها من وقت لآخر في تحقيق مشيئته وإظهار فعله، أو كما لو كانت هذه الأعضاء والقدرات بمثابة المرايا التي يتجلى فيها كل ما يشاؤه سبحانه تبارك وتعالى.

حينما تصل طاعة المرء لله تعالى وتحقيق مشيئته سبحانه إلى هذا الحد من الكمال، فإن الإنسان يستطيع أن يصف ذلك المرء.. الذي انغمر تماما في مياه

طاعة الله.. بأن قدرة ذلك المرء، وهو في تلك الحالة، إنما هي من قدرة الله تعالى: فيمكن وصف عينه التي يبصر بها بأنها عين الله تعالى، ولسانه الذي يتكلم به بأنه لسان الله تعالى، ويده التي يبطش بها بأنها يد الله تعالى، وأذنه التي يسمع بها بأنها أذن الله تعالى، وقدمه التي يمشي بها بأنها قدم الله تعالى. فإن كل هذه الأعضاء التي لا تتحرك إلاّ بعد أن تكون قد تشبعت بمشيئة الله تعالى، قد صارت في حقيقة الأمر.. كما لو أنها قد أصبحت الصورة التي تتجلى من خلالها المشيئة الإلهية، وبهذا يوصف المرء بأنه على صورة الله تعالى. والسبب في ذلك هو أنه كما أن أعضاء وأطراف الإنسان تطيعه في كل أمر يشاؤه، فكذلك بالنسبة للإنسان الذي بلغ مراتب الكمال، والذي وصل إلى أعلى مقاماته، فإنه يصل أيضا إلى أن يكون متحدا اتحادا كاملا وتاما مع إرادة الله تعالى ومع مشيئته، وتكون عظمة الله تعالى وجلاله ووحدانيته وربوبيته وإرادته ورضاه، عزيزة وحبيبة إلى نفس ذلك الإنسان، كما هي بالنسبة لله تعالى. وعلى هذا.. فإن تلك الطاعة العظمى لله ﷻ، وتلك الخدمة لخلقه التي يُسَخِّر الإنسان نفسه في سبيلها من أجل وجه الله تبارك وتعالى، لهي التي تُشَكِّل جوهر الإسلام. ولا يمكن للمرء أن يصل إلى ذلك المقام إلاّ بعد أن يقضي تماما على كينونته وأنانيته ومحبته لهذه الدنيا، وحتى تكون قد تلاشت تماما جميع أهوائه، وجميع شهواته، وجميع رغباته، ومشيئته التي تخص ذاته.

المراتب الثلاث

تقول الآية القرآنية الكريمة: بلى! من أسلم وجهه لله تعالى، أي أخضع نفسه كلها لأمر الله، وهو محسن.. أي أن له بالله تعالى اتصالا وثيقا حتى إنه يمكن أن يُقال إنه يرى الله تعالى أثناء عبادته؛ فإن له أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وتشير هذه الآية الكريمة إلى المراتب الثلاث الهامة التي يبلغ الإنسان فيها

كمال الخير، وهي مرتبة "الفناء"، أي فناء النفس؛ ومرتبة "البقاء"، أي مرتبة الحياة الكاملة النقية؛ ومرتبة "اللقاء"، وهي المرتبة التي يلقى الإنسان فيها الله تعالى في هذه الحياة الدنيا.

وتشير الكلمات: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ التي تعني أن يُسلم المرء نفسه تماما لله تعالى.. تشير هذه الكلمات بكل وضوح، إلى أن كل قوانا وجوارحنا، وكل ما هو لنا، يجب أن يُسلم إلى الله تعالى، وأن يُستعمل في خدمته وتحقيق أمره. وتسمى هذه الحالة التي يصل إليها الإنسان بحالة "الفناء"، أي الموت؛ لأن الإنسان الذي يُسلم كل ذاته، وجميع نفسه، ويضع كافة قواه وقدراته تحت إرادة الله تعالى، ويُكرّس كل أمره كلية لتحقيق مشيئته وإرادته تعالى، مع التلاشي التام والاختفاء الكامل لجميع أهوائه الشخصية وأغراضه الذاتية، والتضحية بكل راحة وسعادة له من أجل وجه الله تعالى، فإن هذا الإنسان بغير شك.. يستجلب على نفسه حالة من الفناء، تشبه حالة الموت التي تصيب الجسد، ولذلك سُمّيت تلك الحالة بمرتبة الفناء.

والجملة التي تلي ذلك في الآية الكريمة هي: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، وتومئ هذه الجملة إلى مرتبة "البقاء"، أي البعث من بعد الموت إلى الحياة الطيبة النقية. فإن الإنسان حينما يُبعث على محبة الله تعالى، ولا يأتي بحركة أو سكنة إلاّ بما يتفق مع إرادة الله تعالى، بعد أن يكون قد استطاع أن يتخلص تخلصا كاملا وتاما من آثار نفسه، ونسي بالمرة كل ما يتعلق بأمور شأنه وذاته، وبعد ما يكون قد أخمد تماما كل إراداته الشخصية وأهوائه الذاتية، فإنه بعد ذلك ينال من الله تعالى حياة ثانية تسمى بمرتبة البقاء.

والجمل التالية وهي: ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهي التي تحتوي على وعد الله تعالى بالأجر والثواب، فإنما تشير إلى مرتبة "اللقاء".. أي مرتبة تَوَحّد إرادة الإنسان مع إرادة الله. وهذه هي أعلى

مراتب المعرفة واليقين والثقة بالله ومحبته. إن أجر الإخلاص والإيمان والتفاني في سبيله تعالى وعبادته، ليس أمرا مخفيا أو مستورا أو مشكوكا فيه؛ إنه أمر مؤكد، يقيني، حقيقي، وواقع لا ريب فيه، ولهذا فقد ذُكر كما لو أنه قد وقع فعلا وجرّبه الناس. وفي هذه المرتبة يبلغ الإنسان من اليقين بوجود الله تعالى مبلغا، حتى يمكن أن يُقال إنه يراه فعلا بعينيه. فلا يُصيبه خوف من المستقبل، ولا يمكن أن يخيم الغيب المجهول بظلامه على إيمان هذا الإنسان، ولا يُصيبه حزن في حاضره على ما فات ووقع في الماضي الذي دُفن وغاب وانتهى. إنه يستمتع بكل نعيم روحاني يكون متواجدا معه وفي متناول يده، ويكون قلبه طاهرا خاليا تماما من الإثم والمعصية. لا ينتابه شك ولا ريبة، ولا تصيبه الآلام لتوقعاتٍ لا تتحقق أو لانتظار أمور لا تحدث. وتُسمى هذه الحالة بمرتبة "اللقاء". إن كلمة ﴿مُحْسِنٌ﴾ في الآية الكريمة تشير بكل وضوح إلى هذه المرتبة، لأن معنى الإحسان حسب ما شرحه سيدنا رسول الله ﷺ، يعني تلك الحالة من الكمال، التي يمكن فيها للإنسان أن يكون متّحدا بالله تعالى، حتى لكأنه يراه بعينيه أثناء عبادته.

إن مرتبة "اللقاء" هذه يصل إليها السالك الروحاني حينما تصطبغ إنسانيته بصبغة ربوبية الله تعالى، وتتلاشى الإنسانية تماما وتختفي كُلّية تحت رداء الألوهية، تماما كما أن النار تصهر الحديد وتلوّنه بلونها، بشكل يجعل الحديد يظهر وكأنه قد تحوّل إلى نار. وإنه قد يحدث أن تنـــزلق قدم بعض السالكين حينما يرون غيرهم من الواصلين في هذه المرتبة، إذ أنهم يأخذون المظهر على أنه الجوهر، ويتصوّرون الظاهر على أنه الحقيقة.

إن أولياء الله تعالى الذين يصلون إلى هذه المرتبة، وأولئك الذين يتشرفون بلمحة منها، يُسميهم بعض الصوفية "أطفال الله"، لأنهم ألقوا بكل أنفسهم في أحضان الصفات الربانية. وكما أن الطفل في العادة يشابه أباه من ناحية

السِّمات العضوية الظاهرية، فإن السِّمات الجميلة للصفات الربانية تتجلى أيضا.. إلى حدّ ما.. على أولئك الأولياء الكرام، نتيجة لجهادهم في العمل على الاتصاف بصفات الله، والتخلق بأخلاقه ﷻ. إن هذه المسَمّيات، رغم أنها لا تستعمل كثيرا في كتبنا الدينية، فإن بعض من آتاهم الله العلم قد استنبطوها من القرآن الكريم. يقول تعالى في كتابه العزيز:

﴿فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة:٢٠١)

وهذا يُبين بوضوح أن الاستعمال المجازي لهذه التعبيرات ليس بالأمر المحظور كلية، وإلاّ لما كان القرآن المجيد قد استعمل مثل هذه التعبيرات، جاعلا الله تعالى بمثابة الأب للمؤمنين، فيحض المؤمنين على أن يذكروا الله تعالى كما لو كان سبحانه بمثابة آبائهم.

وفي هذه المرتبة.. أي مرتبة "اللقاء".. يحدث أن يقوم الإنسان ببعض الخوارق التي تكون فوق طاقة الإنسان العادي، لأنها تكون تجليات للقدرة الإلهية. فمثلا.. إن سيدنا ومولانا خاتم النبيين ﷺ، رمى بحفنة من الحصى والتراب في وجه المشركين في غزوة بدر، ولكن تلك الحفنة من الحصى كان لها تأثير خارق على العدو، حتى إنه لم تسلم منها عين من أعين المشركين، فأصاب أعينهم العمى، ونالهم الخوف والذعر، واستولى عليهم الهلع والفزع. وإلى هذه المعجزة تشير الآية الشريفة في الكتاب العزيز:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ (الأنفال:١٨)

إن إنسانا لا يستطيع أن يقوم بفعل هذه الخوارق، ولكن قدرة الله المستترة في ذلك الإنسان هي التي قامت بالأداء.

وكذلك هناك معجزة أخرى لرسول الله ﷺ، تجلت بواسطة نفس القدرة الإلهية. لم يصاحب تلك المعجزة دعاء منه لله تعالى، بل إنها تحققت بواسطة أصبعه الشريفة التي ملأتها القدرة الإلهية. وقد قام سيدنا رسول الله ﷺ بعمل

الكثير من هذه الخوارق المماثلة، والتي لم يصحبها دعاء أو تضرع إلى الله تعالى. فقد كان يحدث كثيرا أن يغمس أصابعه الشريفة في قسط من الماء، فيشرب منه جيش بأكمله ومعه الخيل والجمال، ثم يبقى بعد ذلك في القسط ما كان فيه من الماء. وحدث أنه مسّ بأصابعه رغيفين أو ثلاثة، وإذا بها تكفي لإطعام الآلاف من الجوعى. وبارك مرة بشفتيه الشريفتين كمية صغيرة من اللبن الحليب، فإذا بها تكفي عددا كبيرا من الناس. وتفل في بئر كانت مياهه آسنة، فتحوّلت إلى مياه عذبة. وكم من جروح شُفيت بلمسة من يده، وكم من عيون أُخرجت من حدقاتها أثناء القتال أعيدت إلى مكانها بيده الكريمة. وهناك الكثير من الخوارق المماثلة التي قام بأدائها بقدرته الخاصة التي كانت تصاحبها قدرة الله المستترة.

إن البراهموسماجيين*، والفلاسفة ومن يؤمنون بالطبيعة قد يُنكرون هذه المعجزات، وهم لا يملكون من أمرهم شيئا لأنهم لا يستطيعون أن يفهموا كيف يمكن أن تتجلّى الصفات الربانية في الإنسان. وعلى هذا فدعهم يضحكون، لأنهم لم يسبق لهم أن جرّبوا هذه الأمور، ولم يصلوا إلى أي مقام من المقامات الروحانية. إنهم لم يصلوا بعد إلى حالات الكمال، بل هم راضون بأن يقضوا أعمارهم في أحوال النقص والتدني التي هم فيها، حتى يموتوا وهم في نفس حالاتهم هذه.

أمّا المسيحيون فإن حالتهم تدعو إلى الرثاء أكثر من هؤلاء، وهم الذين سمعوا أن المسيح قد قام بعمل بعض المعجزات المماثلة، رغم أنها أقل شأنا وأدنى قدرا، فإذا بهم يتخذونه إلها. ولعلهم ظنوا أن إحياءه الموتى، وإبراءه الأبرص، وشفاءه لبعض المرضى، كان بسبب قوته الذاتية وليس بسبب دعائه وتضرعاته لله ﷻ، وكان هذا في زعمهم هو الدليل على أنه بالفعل ابن الله نفسه. ولكن مما يؤسف له أن

* طائفة من الهندوس الذين لا يؤمنون بالمعجزات (المترجم)

هؤلاء المساكين لا يعلمون أنه إذا كانت مثل هذه المعجزات في ذاتها تكفي لأن تجعل الإنسان إلها، فإن رسولنا الأعظم ﷺ أكثر حقا للألوهية من يسوع المسيح، فإن المسيح لم يقم بعمل المعجزات من النوعية العالية التي قام بها رسول الله ﷺ. إن رسول الله ﷺ لم يقم بعمل الكثير من المعجزات بنفسه فحسب، بل إنه ترك لأتباعه سلسلة طويلة من المعجزات التي يمكن أن تظهر على أيديهم، والتي سوف يستمر ظهورها إلى يوم القيامة. وهذه المعجزات قد تحقق وقوعها في كل زمن وفي كل عصر، حسب مقتضيات الزمن في هذه الدنيا، وإنه لمن الصعب أن تجد مثالا لهذا بين أتباع الأنبياء الآخرين. فمن أشد حمقا ممن جعل الإنسان إلها أو ابن إله لمجرد قيامه بمثل تلك المعجزات! ولو كانت المعجزات تكفي لأن تجعل الإنسان إلها، فهل تكون هناك نهاية لأعداد مثل هذه الآلهة؟

غير أنه يجب أن يؤخذ في الاعتبار هنا أنه رغم أن هذه الآيات والمعجزات تكون من فعل الله نفسه، إلاّ أنها لا تساوي بحال من الأحوال أفعالَ الله تعالى التي يقوم بها بذاته مباشرة، دون توسط أحد من البشر. فإنه لا يليق بمعجزات البشر أن تكون مساوية لأفعال الله. إن خوارق الأنبياء والأولياء قد لا يمكن أن يأتي بمثلها العامّة من الناس، غير أنها ليست من نفس نوعية أفعال الله التي تتجلّى بها مباشرة القدرةُ الإلهية الكاملة. وبمعنى آخر.. فإن المعجزة أو الفعل الخارق الذي يقوم به النبي، يشوبه دائما بعض الضعف والنقص الذي يجعله مختلفا عن أفعال الله المباشرة، وإلاّ كان هناك خطر احتمال أن يقع بعض الناس في خطأ اتخاذ الإنسان العاجز إلها. ولهذا فإن عصا موسى، رغم أنها تحوّلت عدة مرات إلى حيّة تسعى، إلا أنها في النهاية ظلت عصا كما كانت. وطيور المسيح، التي ذكر القرآن الكريم خارقة طيرانها، لم تكن أيضا في نهاية الأمر سوى حفنة من التراب، وليس في القرآن ولا في أية آية منه ما يدل على أن تلك الطيور قد نُفخت فيها الحياة الحقيقية. إن معجزات وخوارق نبيّنا ﷺ هي خير مثال على عظمة القدرة الإلهية، لأنه هو الذي

كان الأكثر كمالا، والأعظم تماما، والأعلى مقاما، والأحسن مثالا للتجلي الإلهي. وعلى هذا.. فمن حيثما نظرنا.. ومن كل ما يبدو من ناحية الظاهر، فإننا لا نستطيع أن نُرجِع معجزاته إلى أي عامل من العوامل البشرية، غير أننا نؤمن أنه هنا أيضا، يجب أن يكون هناك بعض المغايرة الخفيّة بين أفعال الله ﷻ، والأفعال التي تتجلى على أيدي رسوله ﷺ.

والآن.. إن الغرض من كتابة هذه السطور، هو أن نُبين أن الإنسان الذي وصل إلى مرتبة "اللقاء"، لا بد له بالضرورة أن يأتي ببعض الأعمال الربانية وهو في أحسن حالاته في هذه المرتبة. والشخص الذي يقضي شطرا من عمره بالقرب من مثل هذا الرجل الرباني، لا بد له أن يشاهد وقوع مثل هذه الخوارق والمعجزات. لأن ذلك الرجل الرباني، وهو في أحسن حالاته، تصير رحمته هي رحمة الله تعالى، ويكون غضبه هو غضب الله تعالى. وفي كثير من الأحيان، وبدون التوجه بالدعاء أو التضرع إلى الله تعالى، يقول: "فليكن كذا وكذا.." فإذا بذاك الشيء يكون تماما كما أراد. إنه قد يلقي بنظرة غاضبة على شخص ما فيحل غضب الله على ذاك الشخص، وقد ينظر بنظرة شفقة وإحسان إلى آخر فتناله الشفقة والإحسان من الله تعالى. وتماما كما أن قوله تعالى "كن فيكون" يؤدي دائما وأبدا إلى تحقق إرادة الله تعالى، كذلك فإن "كن فيكون" التي يقولها هذا الشخص، وهو في أحسن أوقات حالاته، لا تضيع بغير أن تتحقق.

وكما ذكرت آنفا، إن السبب الحقيقي لوقوع هذه المعجزات الخارقة، هو تجلّي الصفات الإلهية الذي يظهر على ذلك الشخص، الذي يرتبط بالله تعالى برباط خاص وعلاقة وثيقة. فإن مثل هذا الشخص يكون دائما وسيلة وسببا للتجلي الإلهي، لأن الله تعالى الودود والمحبوب الحقيقي، يرفع كل الأستار والحجب عن ذلك الإنسان، ويحتضنه بسبب قربه الشديد له، ويبارك بذلك

كلماته، وحركاته، وطعامه، وثيابه، ووقته، ومكانه، وكل ما هو متعلق به. إن عتبة بيته تمتلئ خيرا وبركة، وتنهمر البركات على باب داره كما ينهمر الغيث، ويستمتع هو دائما بعطر تلك البركات. وحينما يقوم برحلة أو سفر يكون الله تعالى معه بخالص فضله وإحسانه، ويكون في صحبته بكافة نعمه وبركاته، ويعود من كل مكان يذهب إليه ومعه نهر دافق من الأنوار السماوية. وباختصار.. فإن أحدا لا يعرفه حق المعرفة إلاّ الله تعالى.

ولا بد أن يكون من المفهوم بوضوح كامل.. أن الإنسان حين يصل إلى المرحلة التي تفنى فيها نفسه تماما، أي مرتبة "الفناء" عند الصوفية، والتي هي مرتبة "الاستقامة" حسب التعبير القرآني، فإن مرتبتي "البقاء" و "اللقاء" تتبعانها مباشرة. إن "الفناء" يعني النسيان التام للنفس، والإخماد الكامل لجميع الرغبات الإنسانية، والتسليم المطلق للإرادة البشرية وإخضاعها للإرادة الإلهية. وبمجرّد أن يصل الإنسان إلى هذه الدرجة وينال هذه المرتبة، تبدأ على الفور مرحلة "البقاء"، التي تصل إلى أعلى مراحلها حين تستمر وتدوم مرحلة الفناء، أي حين يصير الخضوع لله تعالى أمرا طبيعيا عاديا، وحين تتفتح أزهار الطاعة وتنبت أشجارها من القلب نباتا طبيعيا، وحين نرد كل ما نعتبر أنه لنا وملكنا إلى الله تعالى، حين تكون أحلى المسرات التي تبهج الإنسان، وأطيب اللذائذ التي يسعد بها المرء هي تسبيح الله ودوام ذكره تعالى، وحين تتلاشى الأهواء والرغبات والإرادات الشخصية، وتترك مكانها لإرادة الله ﷻ.

وبعد أن تطورت ونضجت واستقرت المرحلة الثانية، تبدأ المرحلة الثالثة التي تغمر السالك الروحاني، وتسيطر على ذرات وجوده في لحمه وعظامه، حتى تكون جزءا لا يتجزء من طبيعته. فينْزل عليه نور من السماء، ويسطع في كيانه لمعان إلهي يضيء له كل شيء. ويستشعر القلب حلاوة لم يجربها بتاتا من قبل، تكون من أثر لذة حلاوة المحبة التي تغمر الإنسان. ويمتلئ القلب بردا

وسلاما، وبهجة واطمئنانا، وسرورا وحبورا، كما لو أن صديقا حبيبا، كان قد غاب عنا لفترة طويلة، فإذا به يظهر فجأة أمامنا ويحتوينا في أحضانه بشوق ومحبة. وتبدأ كلمات الله القدسية في التنَزّل على هذا الإنسان الرباني، سواء كان واقفا أو جالسا أو نائما أو ماشيا.. كلمات فيها بلاغة وطلاوة، وفيها بركة وحلاوة، وفيها عذوبة وانشراحا يملأ النفس بهجة وسرورا، حتى لكأن نسيما نديا رطبا من نسائم صبح جميل، قد هبّ من روضة تفوح بعطر منعش وعبق جليل.

إن الإنسان ينجذب انجذابا إلى الله تعالى، ويظل في ذكره في كل لحظ وفي كل آن، حتى إن الحياة لبرهة واحدة بغير محبته تعالى، تكون من أبعد المستحيلات بالنسبة له. وهو لا يكون على استعداد فحسب للتضحية بروحه، وماله، وشرفه، وأولاده، وبكل ما يملكه في سبيله تعالى، بل يكون بالفعل قد ضحّى بكل شيء في قلبه. وإذا به يشعر أنه مشدود بقوة ومنجذب بشدة، ولكنه لا يعرف ماذا حدث له. وهو يرى النور الرباني ينتشر ويملأ أرجاء نفسه كما ينتشر في الدنيا نور النهار، فتتدفق منه المحبة بقوة، وينبعث منه الإخلاص بعمق، وينبثق منه التفاني بشدة من أعماق باطنه، ويشعر في كل لحظة كما لو أن الله القدير يتنَزّل على قلبه. وحين تشعرون أنتم أيها المحظوظون، السالكون في هذا السبيل الروحاني، أنكم قد وصلتم إلى هذه المرحلة ونلتم هذا المقام، فلكم أن تسعدوا.. واشكروا الله الحبيب، لأنكم قد وصلتم إلى أعلى درجات الكمال، ألا وهي مرتبة "اللقاء".

والإنسان الذي يصل إلى هذه المرتبة الأخيرة يشعر أنه قد طُهِّر بمياه كثيرة مطهَّرة ومطهِّرة. وحيث إن جميع عروق نفسه قد قُطعت، فإنه يُخلق خلقا جديدا، ويُقام في قلبه عرش الله الأحد الصمد، الذي يستوي عليه دائما وأبدا الله تعالى ذو الجلال والجمال والعظمة والبقاء، بوجهه الصبوح ولمعاته الربانية.

ولكن في نفس الوقت يجب ألا يغيب عن البال أن هاتين المرحلتين الأخيرتين، أي مرحلة "البقاء" و "اللقاء"، ليستا مما يمكن للإنسان أن يحصل عليه بعمله، وإنما هما هبة خالصة من الله تعالى. إن العمل والمجاهدة والسعي يمكن أن يأخذنا إلى مرحلة "الفناء"، وليس إلى ما بعدها. إن معراج السالكين.. والرحلة القدسية لهؤلاء الأتقياء.. تأتي إلى نهايتها في هذه المرحلة، وتتم دائرة الكمالات الإنسانية في هذه النقطة. وحينما يصل الأتقياء إلى هذه المرتبة، فحينئذ.. وعلى الفور.. يهب عليهم نسيم عليل من البركات الربانية، فيأخذهم إلى هذه المراتب من "البقاء" و "اللقاء".

* * *

وهكذا ينتهي هذا الفصل الذي نقلناه من كتاب "مرآة كمالات الإسلام"، ويستطيع كل قارئ يملأ قلبه الإخلاص ومحبة الله تعالى، أن يرى بنفسه، ويستشعر في أعماق ضميره، أن كاتب هذا الفصل ليس من علماء هذا الزمان الذين يكتفون بوصف أحوال غيرهم من الأنبياء والأولياء، وإنما يقدم وصفا لما جرّبه هو بنفسه. فهو يقدم وصف العالم الخبير المجرّب، وليس وصف القارئ والباحث والمفكر. ولعل القارئ قد لاحظ أيضا أنه لم يتكلم بتاتا عن نفسه مباشرة، فبرغم أنه يصف الحالات التي مرّ بها هو بنفسه، إلا أنه دائما يتكلم عن "الإنسان" أو عن "المرء" أو عن "الشخص" الذي يصل إلى هذه الحالة أو ينال تلك المرتبة. إنه لا يتباهى ولا يتعالى على غيره من الناس، ولا يستعرض علمه ويتفاخر بمعلوماته، ولا يتكلف في تواضعه ذلك التكلف البغيض الذي يلجأ إليه بعض العلماء، فتراهم يتحدثون عن أنفسهم ويقولون: أنا وأنا كذا وكذا، ثم يتبعون ذلك بالجملة المعروفة: "وأعوذ بالله من قولة أنا"، وذلك لكي يوحوا إلى المستمع أنهم علماء متواضعون. ولعلهم لا يعلمون أن النفس القويمة، والفطرة السليمة، تستنكر هذا المسلك وتستقبحه، وأن هذه التكلفات

والتصنّعات لا تنفذ إلى قلوب الناس، ومن ثم كانت كلماقم أيضا فارغة خاوية، لا أثر لها على القلوب، ولا تأثير لها في الأفئدة، وإنما هي تدخل في الأذن، وتتسلل مسرعة بالخروج من الأذن الأخرى.

أما سيدنا أحمد عليه السلام فنجد أن لكلماته تأثيرا قويا، فهي تنفذ إلى أعماق القلوب المؤمنة، وتأخذ بمجامع العقول المفكرة، وترتاح إليها النفوس الطاهرة المطهرة، وتهتدي بها الأرواح الصادقة المخلصة. وطوبى لقوم رأوا الحق فآمنوا به، وسمعوا القول فاتّبعوا أحسنه، وعرفوا الطريق فسلكوه، وأدركوا إمام زمانهم فاتبعوه، وسلام على المؤمنين والمخلصين، والحمد لله رب العالمين.



الفصل العاشر

في الشرق آيات

الفصل العاشر

في الشرق آيات

إن الله ﷻ .. حينما يُرسل مبعوثا من لدنه، فإنه يؤيده بالوحي الإلهي، الذي يكون مشتملا على أنباء من الغيب، حتى يظهر للناس أنه بالفعل مبعوث من عند الله تعالى. وليس الغيب الذي يُبينه سبحانه لمبعوثيه من قبيل الأمور التي عادة ما تقع في حياة الناس، والتي كثيرا ما يمكن التنبؤ بها.. من حدوث سفر قريب.. أو نوال خير متوقع، أو الإصابة بشر من الشرور التي كثيرا ما تصيب الإنسان في حياته. إن الغيب الذي يكشفه سبحانه لأنبيائه ورسله يكون من الغرابة بمكان، بحيث إنه يصعب تصديق وقوعه في الوقت الذي يعلنه المبعوث السماوي، وتكون كل الظروف والأحوال السائدة في ذلك الأوان، مخالفة تماما لاحتمال تحقق ذلك الغيب الذي يُعلنه، ومع ذلك.. فإن الأيام تدور.. ويتحقق بالتمام كل ما قاله مبعوث السماء.

والأنباء الغيبية التي يُظهرها الله تعالى لأنبيائه ورسله، يتحقق بعضها أثناء حياة المبعوث السماوي، ليكون آية وتصديقا له من الله تعالى أثناء حياته، ويتحقق بعضها بعد وفاته، أي بعد أن يكون مبعوث الله تعالى قد غادر مسرح الحياة، وذلك حتى يكون ذلك دليلا وبرهانا على صدقه للأجيال التابعة.

ونسوق مثالا على تلك الأنباء الغيبية ما تحقق بعد وفاة سيدنا رسول الله ﷺ، وهي واقعة طريفة حدثت أثناء هجرة الرسول من مكة إلى المدينة.

فحين حاول كفار مكة قتل رسول الله ﷺ، ونجاه الله تبارك وتعالى من إفكهم فخرج مهاجرا مع أبي بكر، جُنّ جنون قريش، فجمعوا قصاصي الأثر ووعدوهم أن من يأتي بمحمد حيا أو ميتا فله مائة ناقة. والناقة عند العرب

كانت أغلى قيمة من الجمل لأنها تلد وتزيد من ثروة صاحبها، والثروة في ذلك الحين كانت تُقَدّر بعدد النوق التي يمتلكها الفرد. وكانت هذه أكبر جائزة وضعتها قريش ثمنا لحياة إنسان، ولذلك فقد تنافس قصاصو الأثر في العثور على محمد وصاحبه.

كان من بين هؤلاء رجل اسمه سُراقَة بن مالك، أخذ يبحث ويتقصّى ويتتبّع الآثار حتى عثر أخيرا على رسول الله وأبي بكر، فوكز فرسه ليسرع في اتجاههما، وكانا قد سلكا طريقا غير مطروق. وحين اقترب منهما سُراقة، إذا بأرجل فرسه تسيخ في الرمال، ووقع سراقة من فوق الفرس. وأدرك سراقة أنه في منطقة من الرمال المتحركة، فأخذ يُعين فرسه على الخروج حتى إذا ما تم له ذلك كان رسول الله وصاحبه قد ابتعدا عن أنظاره. فوكز سُراقة الفرس مرة أخرى ليلحق بهما وهو يُمَني نفسه بالجائزة الكبرى والثروة الطائلة، وحين اقترب منهما إذا بأرجل فرسه تسيخ مرة أخرى ويقع سُراقة للمرة الثانية من على الفرس.

وهنا أدرك سُراقة أنه أمام قوة رهيبة، فانتابه الخوف والرعب، وأخذ يحاول إخراج فرسه من الرمال المتحركة، وقد عزم على أن ينجو بنفسه، ويعود إلى مكة دون أن يؤذي رسول الله وصاحبه. وبعد مدة.. استطاع تخليص فرسه، فركبه ويمم شطر مكة. ولكن نفسه عادت تحدثه بضخامة الجائزة، وشعر أن رسول الله ﷺ في متناول يده، وأنه يستطيع أن يُجهز عليه ثم يقضي بقية عمره في غنًى وسَعَة. فحوّل اتجاه فرسه إلى رسول الله، ووكزه ليسرع في اللحاق به. وفي تلك المرة اقترب سُراقة من رسول الله ﷺ، وهنا خاطبه رسول الله وقال له: "ارجع يا سراقة ولك سوار كسرى"*. وشعر سُراقة بكلمات

* لقد ورد الأمر المذكور في الروايتين التاليتين:
١- عن عمر بن الخطّاب ﷺ لّما جيء بفروة كسرى وسيفه ومنطقته وتاجه وسواريه ألبس

الرسول ﷺ هز كل كيانه، وأدرك أنه لن يستطيع أن ينال منه، فرجع سُراقة دون أن يؤذي رسول الله.

ولكي ندرك مدى عظمة هذه النبوءة، لا بد أن نفهم الظروف التي قيلت فيها، والعناصر المكوّنة لها. فرسول الله ﷺ كان هاربا بدينه من مكة إلى المدينة، ولا يملك من حطام الدنيا شيئا، وليس له من معين أو نصير غير الله تعالى وصاحبه أبو بكر الذي لا يملك هو الآخر من الدنيا شيئا. وكان كسرى هو الملك الذي يجلس على عرش دولة الفرس التي كانت إحدى أقوى دولتين في العالم في ذاك الوقت، وهما الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية. وكان سوار كسرى هو رمز المُلك الذي يتحلى به كسرى حين يجلس على العرش، وهو المثيل لتاج الملك أو خاتم الملك وغيرهما. أما سُراقة فكان واحدا من المشركين. فبأي سلطان يَعِدُ رسول الله ﷺ أن ينال سُراقة رمز الملك لأعظم إمبراطورية على ظهر الأرض، وهو نفسه لا يملك من الدنيا شيئا؟

ولكن.. تعالوا نرى بعد ذلك كيف تتابعت الأحداث.. رجع سُراقة إلى مكة ولم يُخبر أحدا بما حدث له. ووصل سيدنا رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكان عليه أن يُجابه قريشا التي جاءت بجيوشها وخيلها ورجلها للقضاء عليه في المدينة. كانت هناك حرب بين الفرس الروم وكان النصر حليف الفرس حتى صار إمبراطور الفرس على رأس أقوى دولة على ظهر الأرض، وكانت

ذلك كلَّه لسراقة بن مالك وقال: الحمد لله الذي ألبس ثياب كسرى لرجل أعرابي من البادية.

قال الشَّافعي: إنما ألبسه ذلك لأنَّ النَّبيّ ﷺ قال لسراقة - ونظر إلى ذراعيه: "كأنِّي بك وقد لبست سواري كسرى" والله أعلم.

(البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، فصل في ترتيب الأخبار بالغيوب المستقبلة بعده ﷺ)

٢- ... واتبعه سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه الأرض، واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس، وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى. فكان كذلك.

(إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ٢ ص ٤٧٤ دار صادر بيروت)

كل الظروف تشير إلى استحالة تحقق النبوءة. ولكن.. لأن الله تعالى هو الذي أخبر رسوله عن غيبه.. كان لا بد أن تتحقق النبوءة. فكان أن دخل سُراقة في الإسلام وهاجر إلى المدينة، وكان دائما ما يقص تلك الواقعة على المسلمين. وانهزم الفرس من الرومان بعد أن كانوا قد تغلبوا عليهم. ثم مات رسول الله ﷺ وخلفه أبو بكر. ثم مات أبو بكر وخلفه عمر. واعتدى الفرس على الدولة الإسلامية الناشئة، فأرسل عمر بن الخطاب جيشا للدفاع عن الدولة الإسلامية ضد الفرس، وكان الجيش يضم سُراقة بن مالك. وانتصر الجيش الإسلامي وسقطت الإمبراطورية الفارسية، واستولى الجيش المنتصر على غنائم الحرب ونقلوها إلى المدينة. ولما رآها الخليفة رأى من بينها سوار كسرى، وتذكر قول رسول الله لسراقة، فناداه وقال له: أتذكر قول رسول الله: ارجع يا سُراقة ولك سوار كسرى؟

لقد حان الوقت لتتحقق النبوءة. نعم.. بعد ما يقرب من سبعة عشر عاما من بعد الهجرة. إن أقوى دولة على ظهر الأرض قد صارت هباءً، والهارب بدينه صار ملكا، ورغم أنه لم يعد موجودا بنفسه في هذه الدنيا، إلاّ أن الذين تبعوه قد شاهدوا بأعينهم كيف تحققت كلماته، لأنها كانت حقا من وحي الله تعالى.

هذا هو الغيب الذي يكشفه الله تعالى لأنبيائه ورسله، وهو ليس من نوع أمور الغيب التي يخبر بها العرافون وقارئو الكف وضاربو الرمل وغيرهم. كذلك فإن المسألة ليست ذكر نبأ أو نبأين.. أو حتى ذكر بعض الأنباء التي قد تتحقق بطريق الصدفة، ولكن الله تعالى يقول إنه يُظهر على غيبه من ارتضى من رسول، كما يقول تعالى:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾
(الجن:٢٦-٢٧)

والإظهار على الغيب هنا معناه إطلاع الله تعالى نبيَّه على الغيب بكثرة،

والقرآن الكريم يزخر بالأنباء الغيبية التي تحققت ولا تزال تتحقق في عصرنا الحاضر، حتى بعد مرور أكثر من ألف عام على وفاة رسول الله ﷺ. وكذلك هناك الألوف من الأنباء الغيبية التي أوحاها الله تعالى لعبده الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وتحقق الكثير من هذه الأنباء أثناء حياته الشريفة، وتحقق البعض منها بعد وفاته أيضا. وإن المجال ليضيق عن ذكر جميع تلك الأنباء التي تلقاها سيدنا أحمد عليه السلام، ولكن نكتفي فيما يلي بتقديم نموذج من تلك الأنباء التي أظهرها الله تعالى لعبده حسب الوعد القرآني المذكور عاليه.

لقد أشرنا فيما سبق إلى بانديت ليكهرام من مدينة بشاور، الذي كان من أشد المتحمسين دفاعا عن ديانة الآريا سماج، والذي تجاوزت حماسته كل حدود اللياقة والأدب وحسن الخلق.

كان ليكهرام قد خدم في دائرة الشرطة لبضع سنين، ولكنه تقاعد في سن مبكرة، وكرّس نفسه لكتابة مقالات من أحط ما تكون الكتابة. وكانت سمومه موجهة بشكل خاص للتهجم على رسول الله ﷺ، وكان يصف كتاب الله القرآن بألفاظ وضيعة، وكثيرا ما كان يصف الله تعالى بأسلوب يعوزه التقديس والاحترام. وقد حاول سيدنا أحمد أن يدعوه إلى استعمال أسلوب لائق عند الكلام عن مثل تلك الموضوعات الهامة والتي تمس عقائد الملايين من الناس، ولكن بدون جدوى. وأخيرا.. وفي عام ١٨٩٣ أعلن سيدنا أحمد الإعلان التالي بخصوص ليكهرام: (*الكلمات المائلة ليست من أصل النص*)

"…. وليتضح أنني في المنشور الذي أعلنته في ٢٠ فبراير ١٨٨٦ (*وهو التاريخ الذي أعلن فيه عن مولد غلام يتمتع بكفاءات خاصة*) قد اقترحت لــ"إندرمن" المراد آبادي و"ليكهرام" البشاوري.. أنهما إذا أرادا فيمكنني أن أنشر بعض النبوءات المتعلقة بمصيرهما. فقد اعترض إندرمن بعد هذا الإعلان فتوفاه الله تعالى بعد فترة قصيرة، وأما ليكهرام.. فقد أرسل إليّ بطاقة بريدية يخبرني فيها أني أستطيع

أن أنشر عنه ما أشاء، ولن يكون عنده أي مانع في ذلك. وعلى هذا فلما دعوت الله ﷻ بهذا الخصوص تلقيت من الله الوحي التالي نصه: [عِجْلٌ جَسَدٌ لَهُ خُوَارٌ لَهُ نَصَبٌ وَعَذَابٌ]....

ثم لما توجهت إلى الله تعالى اليوم، الذي هو يوم الاثنين ٢٠ فبراير ١٨٩٣، لمعرفة موعد عذاب الله فألقى الله في روعي أنه في خلال ست سنين من اليوم سينال هذا الرجل عذابا عظيما، عقابا له على الأسلوب المتهتك الذي كان يستعمله في حق رسول الله ﷺ. والآن.. بإعلاني هذه النبوءة.. فإني أود أن أخبر كل المسلمين والمسيحيين، وأتباع جميع الأديان الأخرى، أنه إذا لم ينل هذا الشخص في خلال ست سنوات.. من يومنا هذا.. عذابا* يكون مختلفا تمام الاختلاف عن أنواع البلايا التي تصيب الإنسان عادة، بل يكون خارقا للعادة ويتضمن هيبة إلهية واضحة، فيكون من حقكم آنذاك أن تقرروا بأني لست مرسلا من عند الله تعالى، وأنني لا أتكلم بروح منه. وإذا ثبت كذب هذه النبوءة.. فإني سأكون على أتم استعداد أن أعاقب بأي نوع من العقاب وسأكون راضيا بأن يُربط حبل حول رقبتي، وأن أُعلّق مشنوقا على الصليب. وبالإضافة إلى هذا الالتزام الذي ألزمت به نفسي.. فإنه من الواضح أن ثبوت كذب أي شخص فيما يتعلق بنبوءاته يُعتبر في حد ذاته مهانة وخزيا شديدا له....

وما يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن هذا الرجل قد ارتكب في حق رسول الله ﷺ إهانات شديدة ما يقشعر له الأبدان، كما أن كتبه مليئة بعبارات التحقير والإهانة والشتائم، ولا يوجد مسلم لا ينفطر قلبه وكبده انفطارا حين سماعه لمحتويات تلك الكتب. إن هذا الرجل في منتهى الجهل رغم أساليبه المتحذلقة والشريرة، وليس لديه أية معرفة باللغة العربية، ولا

* والآن.. على جميع أولئك الآريين الهندوس أن يتكاتفوا سويا للدعاء لكي ينجو زعيمهم من هذا العقاب.

يستطيع حتى أن يكتب بأسلوب أدبي في اللغة الأردية. إن هذه النبوءة ليست وليدة صدفة، بل إن هذا العبد المتواضع قد تضرّع إلى الله تعالى في هذا الشأن على وجه الخصوص، وتلقيتُ الإجابة التي أعلنتها أعلاه. وهذه النبوءة آية للمسلمين أيضا، وليتهم يدركون الحق وتلين قلوبهم له.

والآن.. فإني أختم هذا الإعلان بذكر الله ذي الجلال والإكرام.. الذي بدأت باسمه العظيم، والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد المصطفى.. أفضل الرسل وخير الورى.. سيدنا وسيد كل ما في الأرض والسماء." (سراج منير، الخزائن الروحانية ج ١٢ ص ١٤-١٦)

وفي قصيدة نشرها سيدنا أحمد في نفس الآونة باللغة الفارسية ذكر فيها ليكهرام وحدّثه فيها قائلا ما ترجمته:

"احذر أيها العدو الجاهل الغبي الضال

وارتعد خوفا أن ينالك السيف القاطع لمحمد"

وكعادة الجهال من كل جنس وفي كل دين.. راح البعض ينتقدون هذه النبوءة في بعض الدوائر، ويقولون إن كل إنسان.. خلال ست سنوات.. يمكن أن يصاب ببعض الأمراض أو الحمى والإسهال، مما لا يدل بالضرورة على تحقق هذه النبوءة في حق ليكهرام. فكان أن كتب سيدنا أحمد يرد على هذه الانتقادات في كتابه: "بركات الدعاء"، فقال:

"إذا لم يحدث.. نتيجة لهذه النبوءة.. سوى الإصابة ببعض الحمى أو بعض الآلام العادية أو الهيضة، ثم استُعيدت الصحة بعدها، فإن هذا لا يُعتبر تحقيقا للنبوءة، وفي هذه الحالة يثبت أن النبوءة ليست إلا مكرا ودجلا، لأنه لا يسلم أحد من تلك الأمور، فإننا جميعا نمرض بين حين وآخر. وحينئذ فإنني حتما أستحق العقاب الذي ذكرته. ولكن.. إذا تحققت النبوءة بشكل يظهر فيه بكل وضوح آثار العذاب الإلهي، فافهموا أنها من عند الله تعالى..... وليس من الصحيح بتاتا أنني أحمل عداوة شخصية تجاه ليكهرام، بل الحق أنني لا أكن عداوة تجاه أي

شخص كان. إن هذا الرجل قد عادى الحق، وتكلم بأسلوب منحط عن أكمل خلق الله تعالى وأطهرهم الذي هو ينبوع كل الحق ومصدره، لذلك فإن الله قد قضى بأن يظهر شرف حبيبه ﷺ في العالم". (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية ج ٦ ص ٢،٤)

وفي ٢ أبريل (نيسان) عام ١٨٩٣ كتب سيدنا أحمد قائلا:

"في هذا الصباح وأثناء غفوة خفيفة، رأيتُني جالسا في حجرة كبيرة مع بعض صحابتي، حين دخل رجل عملاق مرعب الشكل لدرجة وكأن الدم يقطر من وجهه، وجاء ثم وقف أمامي. فلما رفعتُ وجهي إليه، أدركت أنه كائن له جسم ومظهر غريب، كأنه لم يكن آدميا، بل كان أحد الملائكة الغلاظ الشداد. كان مظهره يثير الفزع والرعب في القلوب. وبينما أنا أنظر إليه سألني: "أين ليكهرام؟" وذكر أيضا اسم شخص آخر وسأل عن مكانه. وحينئذ فهمت أن هذا الرجل قد أُسندت إليه مهمة عقاب ليكهرام والشخص الآخر، ولكني لا أذكر الآن اسم ذلك الشخص الآخر، غير أني أذكر أنه واحد من الذين نشرت عنهم إعلانا. وكان هذا في يوم الأحد الساعة الرابعة صباحا، فالحمد لله على ذلك". (المرجع السابق ص ٣٣)

وفي كتابه: "كرامات الصادقين" الذي نشره في الجزء الأخير من عام ١٨٩٣، أعاد سيدنا أحمد عليه السلام التأكيد على فترة الست سنوات المذكورة في نبوءته الخاصة بليكهرام، وفي أحد أشعاره التي نظمها باللغة العربية قال في أحد الأبيات:

وَبَشَّرَنِي رَبِّي وَقَالَ مُبَشِّرًا ... سَتَعْرِفُ يَوْمَ الْعِيدِ وَالْعِيدُ أَقْرَبُ

وقد ذكر أن بيت الشعر هذا يشير إلى ليكهرام، وأن يوم عقابه سوف يكون يوما مقرونا بيوم العيد.

وأما من ناحية ليكهرام فقد أعلن هو الآخر في كتابه (تكذيب براهين أحمدية ص٣١١) أن مرزا غلام أحمد سوف يموت بمرض الكوليرا في خلال ثلاث

سنوات، حيث إنه في رأيه كان كاذبا في دعواه. وغني عن البيان بالطبع أن نذكر أن السنوات الثلاث قد انقضت، و لم يمت فيها سيدنا أحمد لا بمرض الكوليرا ولا بأي مرض آخر.

وفي يوم السبت ٦ مارس (آذار) عام ١٨٩٧.. وكان هذا هو اليوم التالي ليوم العيد.. تعرض ليكهرام لطعنة خنجر من رجل له جسم عملاق. وقد غرس الرجل الخنجر في صدر ليكهرام، ثم أداره في جسده فمزق أحشاءه في أماكن متعددة مما تسبب في تدفق الدم من جسده بشكل غزير. وكانت أمه وزوجته في غرفة مجاورة، فاندفعتا بسرعة إلى غرفة ليكهرام للإمساك بالمعتدي وهما تصيحان وتصرخان لجذب الانتباه ودعوة الناس والجيران. وكان البيت يقع في مكان مأهول بالسكان يتوسط مدينة لاهور العاصمة، وقد وقع الاعتداء على ليكهرام بين الساعة السادسة والسابعة من عصر ذلك اليوم قبل غروب الشمس، حيث يتزاور الناس عادة أو يجلسون أمام بيوتهم. ويُقال إن أم ليكهرام حاولت الإمساك بتلابيب المعتدي، ولكنه ضربها على رأسها بعصا غليظة ثم اختفى.

كان ليكهرام يقيم في الطابق الثاني من منْزله، وكان أمام داره زحمة من الناس، ولكن أحدا لم يلمح القاتل خارجا من المنْزل. و لم يره أحد من الناس الذين اندفعوا داخل البيت بسبب الصياح والصراخ، وبحثوا عنه في كل أنحاء المنْزل ولكنهم لم يعثروا له على أثر. وتدلت أمعاء ليكهرام خارج جسده من أثر الطعنات التي تلقاها، وكانت جروحه تنْزف بغزارة، فنقلوه إلى المستشفى على جناح السرعة، حيث تولى إثنان من الجراحين العناية به بكل المهارة التي أوتياها، وبذلا كل الجهد لتضميد جراحه، فكانا يحاولان وقف نزيف الدم وخياطة الأمعاء الممزقة، ولكن بغير طائل ودون جدوى. ورغم نزيف الدم المستمر.. فإن ليكهرام لم يمت من فوره، بل ظل على قيد الحياة يعاني الآلام

الفظيعة، وكان أثناء تنفسه يصدر أصواتا مثل خوار العجل بسبب جروحه التي أصابته في صدره، وظل يتأوه ويصرخ من شدة الألم حتى منتصف الليل، وبعد ذلك بقليل.. لفظ آخر أنفاسه. وبطبيعة الحال.. لم يُعثر للقاتل على أي أثر.

وقد سببت النهاية المأساوية لليكهرام صدمة فظيعة لأتباع ديانة الأرياسماج، الذين راحوا على الفور يرفعون أصوات الاتهام، بأن هذا الاعتداء القاتل على زعيمهم لا بد وأن يكون قد تم بتدبير من مرزا غلام أحمد، الذي كان قد تنبأ بموت ليكهرام بدقة بالغة، لا يمكن أن تصدر إلاّ عن رجل اشترك بنفسه في تخطيط وتدبير هذه الكارثة. وبناء على شكاواهم واتهاماتهم، قامت شرطة مخفر گورداسبور بمداهمة وتفتيش منْزل سيدنا أحمد في قاديان تفتيشا دقيقا، وكذلك قامت بتفتيش عدة منازل أخرى للعديد من كبار رجال الجماعة الإسلامية الأحمدية في مختلف أنحاء مقاطعة البنجاب. ولكن لم تسفر عمليات التفتيش تلك عن أي أثر يربط من قريب أو من بعيد، أو يثير أدنى شك في تورّط أحد من أفراد الجماعة، أو سيدنا أحمد نفسه، في عملية الاغتيال هذه.

وحيث إن جماعة الآرياسماج قد استمرت في اتهاماتها، بأن سيدنا أحمد هو المتورط في هذا الاغتيال، فقد نشر سيدنا أحمد في ١٥ مارس (آذار) ١٨٩٧ الإعلان التالي:

"إذا كان هناك أحد لا يزال يساوره الشك ولا يزال يعتبرني قد تآمرت على هذا القتل، كما يُشاع في بعض الصحف الهندوسية، فإنني أتقدم باقتراح معقول يمكن به كشف حقيقة هذا الأمر. فليتقدم شخص متشكك ويُقسم أمامي ويقول: "إنني أعلم يقينا أن هذا الشخص له يد في مؤامرة القتل، أو أنه قد تم بناء على توجيهاته، وإذا كانت شهادتي هذه ليست صحيحة فإني أدعو الله القادر أن يصيبني بعقاب يكون جدّ مهيب لا يكون من فعل أي إنسان، ولا يمكن أن يكون ذلك من تخطيط أحد من الناس."

فلو لم يهلك هذا الشخص لمدة عام بعد دعائي عليه، فيَثبُت حينئذ أنني مذنب، وأستحق تلك العقوبة التي يستحقها القاتل. والآن.. إذا كان هناك أحد من الآريا الشجعان.. يريد باتّباع هذا المسلك إنقاذ العالم أجمع من الشكوك.. فليتقدم". (مجموعة الإعلانات ج٢ ص ٣٥٢- ٣٥٣ طبعة لندن ١٩٨٦م)

ولكن.. لم يتقدم أحد لقبول هذا التحدي، ولو تقدم أحد لرأى العالم آية فظيعة أخرى من آيات العقاب الإلهي.

وفي الذكرى السادسة عشرة لاغتيال ليكهرام، كتب أحد زعماء الآرياسماج، وهو "بابو غانس رام" في العدد التذكاري لجريدة: "مسافر آغرا" في يوم ٦ مارس (آذار) عام ١٩١٣ يقول:

"لقد وقعت هذه الجريمة في لاهور عاصمة مقاطعة البنجاب، ولكن الشرطة فشلت تماما في تتبع أثر القاتل. وكانت من مصادفات الأمور أن تحققت نبوءة غلام أحمد، فاستُشهد بانديت ليكهرام، والله وحده هو الذي يعلم إذا كان ذلك عقابا من عنده، أم أنه كان نتيجة لتخطيط البشر".

حقا.. لقد كان اغتيال بانديت ليكهرام خلال المدة المحددة في النبوءة.. وبالشكل الدقيق الذي كان يعلنه سيدنا أحمد من حين لآخر.. آية عظيمة، وخاصة للمجتمع الهندوسي في الهند، وعلى وجه الخصوص لطائفة الآرياسماج. وهي أيضا آية بالغة للعالم بأجمعه، إذ أنها تدل على صدق سيدنا أحمد عليه السلام، وعلى أنه كان بالفعل يتلقى الوحي من الله تعالى، فإن الكاذب الدجال الذي يفتري على الله الكذب لا يمكن أن يحقق الله نبوءاته بهذا الشكل الدقيق.. والعجيب.

* * *

إن الكثير من القراء العرب قد لا يعرفون حقيقة ديانة السيخ، التي لا يتجاوز عمرها خمسمائة عام، أي أنها تأسست بعد الإسلام. وحيث إن

الإسلام هو الدين الأخير الذي ارتضاه الله تعالى للعالم أجمع، وذكر صراحة أنه من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، لذلك.. لم يكن من المعقول أن يرسل الله تعالى دينا آخر بين الهندوس بعد رسول الإسلام ﷺ.

ولكن في نفس الوقت.. إن ديانة السيخ تأمر بتوحيد الله تعالى، والتوحيد هو الذي رفع الإسلام لواءه في العالم، واستمر المسلمون في رفع هذا اللواء بعد رسول الله. فكيف يظهر من بين الهندوس الذين يؤمنون بتعدد الآلهة.. وفيهم من يعبدون التماثيل ويقدسون البقر والثعابين وغيرها من الحيوانات.. من ينادي بالتوحيد، ويكون له دين منفصل عن الإسلام؟

وأطلع الله تعالى عبدَه الإمام المهدي عليه السلام أن بابا نانك.. الذي ينسب إليه أتباعه أنه قد أسس ديانة السيخ.. كان في حقيقة الأمر رجلا من كرام المسلمين الأبرار، وأنه قد اعتنق الإسلام بعد أن كان ينتمي إلى عائلة من الهندوس. ويبدو أن أتباعه قد لاقوا اضطهادا من عامة المسلمين في ذلك الوقت، مما جعلهم ينفصلون عنهم ويستقلون بدينهم الذي أضافوا إليه فيما بعد الكثير من الشعائر والمراسم التي جعلت منه دينا جديدا. ولا غرو أن هؤلاء السيخ كانوا يضمرون للمسلمين كل كراهية وعداء، وقد لاقى المسلمون على أيديهم كل ذلة وهوان حينما اغتصب السيخ الحكم من أيديهم.

وأراد سيدنا أحمد عليه السلام أن يستقصي الأمر، وفي عام ١٨٩٥ علم سيدنا أحمد عليه السلام أن الأثر المقدس العظيم لبابا نانك.. الذي ينسب إليه أتباعه أنه أسس ديانة السيخ التي انتشرت في القرن السادس عشر.. كان محفوظا في معبد موجود في بلدة ديرا بابا نانك في مقاطعة گورداسبور، وكانت تقع على مسافة تقرب من ٢٥ ميلا (٤٠ كيلومتر) من قاديان. وكان ذلك الأثر المقدس

عبارة عن عباءة من القطن، عليها بعض الكتابات المشغولة في قماشها. وتقول روايات السيخ إن هذه العباءة قد نزلت من السماء من عند الله تعالى خصيصا لبابا نانك، وذلك للتدليل على إضفاء الشرف الخاص من الله ﷻ على بابا نانك، وأيضا لغرض حفظه وحمايته من كل الشرور.

وكان بابا نانك قد وُلد في عائلة هندوسية، ولكنه كان في أوائل حياته يميل كثيرا إلى عقيدة التوحيد، وكان يُظهر الكراهية الشديدة لكل ما يتعلق بالشرك بالله أو تعدد الآلهة، وهي أمور كانت مقبولة وسائدة في الديانة الهندوسية. وكلما تقدم به السن كان يبدي احتراما كبيرا لنبي الإسلام ﷺ، وكان يؤمن بأن القرآن الكريم هو فعلا كلام الله تعالى. ومن المعروف عنه أنه سافر كثيرا إلى بلاد عديدة وبعيدة بحثا عن الحقيقية، وتؤيد الروايات السيخية أنه قد أدّى فريضة الحج في مكة المكرّمة.

وحين علم الإمام المهدي سيدنا أحمد عليه السلام عن هذا الأثر المقدس الموجود في ديرا بابا نانك.. واستمع إلى الأقاويل والأقاصيص المتناثرة عن مصدرها السماوي، وعن الكتابات الغريبة المشغولة في نسيجها.. ثارت في نفسه الرغبة في تقصّي حقيقة الأمر، ومعرفة المزيد عن هذه العباءة التي تقدسها طائفة السيخ. فبعث وفدًا مُكوّنًا من أربعة من أتباعه إلى ديرا بابا نانك لبحث الموضوع، ومعرفة حقيقة تلك العباءة، ومدى صدق تلك الأمور المتعلقة بها. ولما عاد الوفد، ذكر أنهم قد نجحوا في إلقاء النظر على تلك العباءة المقدسة.. وأنهم قد استطاعوا أيضا قراءة جميع الكتابات الغريبة المشغولة في نسيج العباءة، حيث إنها كانت جميعها.. لفرط سرورهم.. مكتوبة باللغة العربية. وأنه بالإضافة إلى وجود كلمة الشهادة الإسلامية: 'لا إله إلا الله محمد رسول الله' فإن جميع الكتابات كانت عبارة عن آيات من القرآن الكريم. ولما سمع الإمام المهدي عليه السلام هذا التقرير، استنتج على الفور أن هذه العباءة المقدسة هي

أقوى دليل على أن بابا نانك كان في حقيقة الأمر من أفاضل الصوفية المسلمين، وقد قرر لذلك أن يبحث الأمر، ويتأكد مما هو مكتوب فعلا على تلك العباءة.

وفي ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٨٩٥ اتجه الإمام المهدي عليه السلام بنفسه إلى بلدة ديرا بابا نانك، في صحبة عشرة من أتباعه المخلصين، وزار المعبد الذي يحوي العباءة المقدسة، وطلب من المشرف على الحفاظ عليها أن يمكنهم من رؤية ذلك الأثر المقدس. وقد وجدوا أن هذه العباءة المقدسة كانت ملفوفة فيما يقرب من ثلاثمائة غلاف من الحرير والقطن وأجود أنواع الصوف. وكان بعض تلك الأغلفة يحمل اسم الشخص الذي وهبها لهذا الغرض، مما يؤكد على أن تلك العباءة كانت تشغل مقاما عظيما عند السيخ منذ وفاة بابا نانك. وقد أزيلت تلك الأغلفة.. الواحد تلو الآخر.. بحرص شديد.. وببطء أشد، حيث كان الأمر يحتاج إلى إقناع المسؤول بإتمام ذلك العمل للكشف عن العباءة المقدسة. وكان ذلك الإقناع في بعض الأحيان يكون في شكل عطايا مالية، ليستمر المسؤول في إزالة كل الأغطية والأغلفة من على العباءة المقدسة. واستغرقت هذه العملية أكثر من ساعة، وفي النهاية ظهرت العباءة المقدسة بكل بهائها وجلالها. واتضح أنها مكونة من نسيج مشغولٌ فيه كلمة الشهادة، والكثير من آيات القرآن الكريم، بما فيها آيات سورة الفاتحة بالكامل. ومن ضمن الآيات الأخرى أيضا كانت سورة الإخلاص، وكانت مشغولة أيضا في نسيج القماش. ولم يوجد على العباءة أية كتابات أخرى. وقد بُسطت العباءة أمام أعين الناظرين، وبناء على توجيهات الإمام المهدي، رسم بعض الحاضرين رسما للعباءة المقدسة بكل ما عليها من آيات قرآنية.

وأعلن الإمام المهدي عليه السلام كل ما يختص بهذه العباءة المقدسة، وشرح كل ما يتعلق بها وما عليها من كتابات وآيات قرآنية في كتابه الذي نشره باسم:

"سَتْ بَتْشَنْ" أي القول الحق. وقد أثار نشر ذلك الكتاب اهتماما كبيرا في دوائر السيخ، وبين المهتمين بدراسات علوم مقارنة الأديان. وكان من نتائج نشر كتاب الإمام المهدي عليه السلام، أن بعضا من طائفة السيخ دخلوا في الإسلام، بعد دراسة الأمر دراسة وافية، وانضموا إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية. وقد أدى بعض هؤلاء خدمات عظيمة للإسلام، وما زال أبناؤهم وأحفادهم جنودا مخلصين من جنود الإسلام. وبعد فترة من الوقت علم الإمام المهدي بوجود أثر مقدس آخر لبابا نانك، محفوظ في معبد "جوردوارة" في "جرو هارساهي" في منطقة "فيروزأباد"، فأرسل ثلاثة من أتباعه لاستقصاء الأمر، وقد تبين أن ذلك الأثر المقدس وهو المعروف باسم "بوتهي" كان كتاب الصلاة الخاص ببابا نانك، وقد اكتشفوا أن كتاب الصلاة هذا لم يكن في حقيقة الأمر.. سوى نسخة من القرآن الكريم!!

وهكذا ثبت بالأدلة القاطعة صدق ما أعلنه سيدنا أحمد عليه السلام على نطاق واسع لطائفة السيخ، وللعالم أجمع، أن مؤسس ديانه السيخ.. جُرو بابا نانك.. كان في الأصل رجلا مسلما.

* * *

كان لمجهودات أحد رجالات الهندوس البارزين.. والمهتمين بالشؤون الدينية.. وهو سوامي شوغن شاندره، أثر عظيم في تنظيم وعقد مؤتمر كبير للأديان في مدينة لاهور، وقد تم الاتفاق على عقد ذلك المؤتمر في أيام ٢٦و٢٧و٢٨ من شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٨٩٦. ودُعي إلى هذا المؤتمر مندوبون عن الأديان العظمى في الهند، ليقدموا أبحاثهم التي تتعلق بخمس موضوعات أساسية، يعالجونها من وجهة نظر الأديان التي يمثلها كل منهم. وكانت هذه الموضوعات هي:

(١) حالات الإنسان الطبعية والأخلاقية والروحية.

(٢) الحياة بعد الموت.

(٣) الغرض من حياة الإنسان ووسائل تحقيق ذلك الغرض.

(٤) تأثير أعمال الإنسان في هذه الحياة وفي الحياة الأخروية.

(٥) مصادر معرفة الإله

وكان الإمام المهدي عليه السلام قد جاءته الدعوة للاشتراك في ذلك المؤتمر، وطُلب إليه إعداد بحث عن تعاليم الإسلام فيما يختص بتلك الموضوعات الخمس، وقد وافق حضرته على إعداد البحث، على أن يقرأه أحد صحابته المقربين وهو المولوي عبد الكريم السيالكوتي، حيث إنه كان يتميز بصوت قوي ذي نبرة خاصة. وقد نشر سيدنا أحمد عليه السلام إعلانا قبل خمسة أيام من عقد المؤتمر بعنوان: "نبأ عظيم لمن يبتغي الحق" قال فيه:

بشرى عظيمة لطُلاَّب الحق

في المؤتمر العظيم للأديان* الذي سوف يُعقد في قاعة المدينة بلاهور.. سوف يُتلى مقالٌ لهذا العبد المتواضع يتناول بيان كمالات ومعجزات القرآن الكريم. إنه يفوق الطاقات البشرية؛ وهو آية من آيات الله، وقد سطَرته بتأييد إلهيٍّ خاص. إنه يتضمن من حقائق القرآن ومعارفه ما سوف يُثبت -كالشمس في كبد السماء- أن القرآن حقًّا

* لقد دعا السيد سوامي شوغن تشاندر في إعلانه المنشور الزعماءَ الدينيين المسلمين والمسيحيين والآريين (الهندوس)، وناشدهم بالله أن يبيِّنوا مزايا دياناتهم في هذا المؤتمر. وها نحن نخبر السيد سوامي أننا - احتراما وتبجيلا لهذا القَسم العظيم- على استعداد لتحقيق مطلبه. وسوف يُتلى مقالُنا إن شاء الله في المؤتمر.. لأن الإسلام دين يحضُّ المسلمَ الصادق على الاستجابة الكاملة إذا دُعي إلى عمل ما باسم الله تعالى.

وسوف نرى الآن مدى إخلاص إخوانه الآريين الهندوس لشرف إلههم "برميشور"، ومدى تعظيم القساوسة لإلههم "يسوع"، وما إذا كانوا مستعدين لحضور المؤتمر باسم الإله القدوس العظيم. منه

كلامُ الله وكتابُ رب العالمين. وإنني على يقين مِن أن الذي سوف يستمع للمقال من أوله إلى آخره، وينصت لجوابي على الأسئلة الخمسة.. سيتولد فيه إيمان جديد، وسيلمع بداخله نور جديد، وسيفوز بتفسير جامع لكلام الله القدوس. إن خطابي خالٍ مما يأتي به البشر من كلمات فارغة، ومنــزَّه عن شوائب الهتافات الزائفة.

إن الشفقة الخالصة على بني آدم دفعتني الآن لكتابة هذا الإعلان.. لكي يشاهدوا حُسن القرآن الكريم وجمالَه، ويدركوا كيف أن معارضينا -بظُلمٍ منهم- يحبون الظلام ويكرهون النور.

لقد أخبرني الله العليم عن طريق الوحي أن هذا هو المقال الذي سوف يتغلب على المقالات الأخرى كلها، وأن فيه من نور الحق والحكمة والمعرفة ما سيجعل الأمم الأخرى يندمون ويخجلون.. شريطة أن يحضروا قراءته ويستمعوا له من أوله إلى آخره؛ ولن يستطيعوا أن يخرجوا من كتبهم كمالات كهذه.. سواءً أكان هؤلاء من المسيحيين أو أتباع ديانة "سناتن دهرم" الهندوس أو غيرهم؛ ذلك لأن الله تعالى أراد أن تتجلى عظمةُ كتابه الكريم في ذلك اليوم.

لقد رأيت في عالم الكشف بشأن هذا المقال.. أن يدًا من الغيب حطَّت على قصري، فخرج منه نورٌ ساطع انتشر فيما حوله، ووقع هذا النور على يديَّ أيضا. وعندئذ هتف شخص واقفٌ بجواري بصوت عال. "**الله أكبر، خَرِبَت خَيْبر**". وتفسير هذا الكشف أن القصر يرمز إلى قلبي الذي هو مهبط للأنوار، وأن النور النازل يعني المعارف القرآنية، والمراد من خيبر هو جميع الأديان الفاسدة الخربة التي تشوبها شوائب الشرك والبدعة، والتي رفعت البشرَ إلى مقام الله تعالى؛ أو حطَّت الصفات الإلهية من محلها الأعلى. فقد تكشَّف لي أن انتشار هذا المقال على نطاق واسع.. سوف يكشف زيف الأديان الباطلة، وأن حقَّانية القرآن سوف تنتشر يوما فيوما في الأرض حتى تكتمل دائرتها.

ثم نُقلتُ من حالة الكشف إلى حالة الإلهام.. حيث أُوحيَ إليَّ: "إن الله

معك. إن الله يقومُ أينما قمتَ". وهذا تعبير مجازي يؤكد التأييد الإلهي.

لا أريد الآن أن أكتب أكثر من ذلك.. وإنما أحثُّ الجميع أن يحضروا المؤتمر في أيامه في لاهور.. لسماع هذه المعارف، ولو تكبدوا في سبيل ذلك بعض الجهد والعناء. ولو فعلوا ذلك لنالت عقولهم وإيمانهم من البركات ما يفوق تصورُّهم.

والسلام على من اتبع الهدى.

العبد المتواضع.. ميرزا غلام أحمد،

قاديان في ٢١- ١٢- ١٨٩٦

(مجموعة الإعلانات ج ٢ ص ٢٩٣- ٢٩٥ طبعة لندن ١٩٨٦م)

كان من المفروض أن يُقرأ البحث الذي أعده الإمام المهدي عليه السلام للمؤتمر في يومه الثاني، أي يوم ٢٧ ديسمبر (كانون الأول)، وكان الوقت المخصص له خمس ساعات، بين الساعة ١٠:٣٠ صباحا إلى الساعة ٣:٣٠ بعد الظهر. وقد تقرر أن يقرأ الخطاب المولوي عبد الكريم، وقد استمع الناس له بانتباه بالغ. وفي الساعة الثالثة والنصف.. أي عند نهاية الوقت المقرر.. لم تكن قراءة الموضوع الأول قد اكتملت بعد. ولما كان الموضوع قد أسر انتباه الحاضرين بشكل خاص.. فقد آثر المولوي مبارك علي، الذي كان من المقرر أن يبدأ خطابه في ذلك الوقت، أن يتنازل عن الوقت المخصص له، وأعلن أنه يريد أن يعطي الفرصة للمولوي عبد الكريم لاستكمال قراءة الخطاب الذي أخذ بمجامع القلوب. وقد قوبل إعلانه بترحاب كبير من الحضور الذين كانوا يرغبون في مواصلة الاستماع إلى خطاب الإمام المهدي. ولكن جاءت الساعة الرابعة والنصف، ولم يتم بعد الانتهاء من قراءة إجابة السؤال الأول من الموضوعات الخمس. واقترح البعض أن يمتد موعد الجلسة، التي كان من المقرر أن تنتهي في الرابعة والنصف، إلى أن تنتهي قراءة الموضوع الأول من الخطاب، ووافقت الإدارة المشرفة على عقد المؤتمر أن تمتد الجلسة حتى الساعة الخامسة والنصف،

حيث تم الانتهاء من قراءة الموضوع الأول. ولما كان ما زال جزء كبير من الخطاب لم تُستكمل قراءته بعد، فقد طلب الحاضرون تمديد فترة المؤتمر يوما إضافيا، حتى يمكن قراءة الخطاب بأكمله، وعلى ذلك فقد اتخذت الإدارة الترتيبات اللازمة، لتمديد عقد المؤتمر في جلسة خاصة في يوم ٢٩ ديسمبر (كانون الأول).

وقد اعتُبر الخطاب.. بإجماع كل الآراء.. أنه أعظم ما قُدّم في المؤتمر، تماما كما سبق وأعلن ذلك سيدنا أحمد عليه السلام، وقد تضمن التقرير الرسمي للمؤتمر عبارات الثناء والتقدير لذلك الخطاب الجليل. ونشرت جريدة سيفيل آند ميليتري جازيت في عددها الصادر في ٢٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٩٦ تعليقا على المؤتمر قالت فيه:

> "لقد أثارت محاضرة مرزا غلام أحمد القادياني اهتماما بالغا، والمعروف أنه من أكابر المدافعين عن الدين الإسلامي، وقد احتشد جمع غفير من كل الطوائف الذين جاءوا من كل صوب وحدب، لسماع الخطاب الذي لم يستطع مرزا أن يقرأه بنفسه، فتولى قراءة الخطاب أحد العلماء المقتدرين من أتباعه، وهو المولوي عبد الكريم من سيالكوت. وفي يوم ٢٧ استمرت قراءة الخطاب أكثر من ثلاث ساعات ونصف الساعة، وكان الحضور ينصتون إليه باهتمام بالغ، رغم أنه حتى ذلك الوقت لم ينته الخطاب من معالجة الموضوع الأول. وقد وعد المتحدث أن يقدم بقية الخطاب إذا مُنح الوقت الكافي لذلك، وعلى هذا فقد قرر رئيس المؤتمر واللجنة التنفيذية المشرفة عليه تمديد عقد المؤتمر إلى يوم ٢٩".

وقد نُشرت للخطاب ترجمة باللغة الإنجليزية لاقت ترحيبا واهتماما في الدوائر الأوربية وفي أمريكا. وقد كتب ليو تولستوي.. الأديب والمفكر الروسي المعروف.. تعليقا على بعض كتابات الإمام المهدي عليه السلام فقال:

"إنني أتفق كثيرا مع مقالين أحدهما هو: 'كيف تتخلص من الخطيئة' والآخر هو: 'الحياة الآخرة' فإن الأفكار التي جاءت بهما أفكار عميقة ورصينة".

وعلقت جريدة ثيوصوفيكال نيوز Theosophical News على المقالات التي قدمها الإمام المهدي في المؤتمر فقالت:

"إنها أحسن ما قُدّم وأكثر المقالات التي صادفناها إثارة للانتباه عن الدين المحمدي".

وعلقت جريدة إنديان سبكتيتر Indian Spectator فقالت:

"إنها كانت شرحا وافيا لتعليم القرآن وعُرضت بطريقة مشوقة للغاية ..... ولم يكن هناك ما يمكن الاعتراض عليه، كما أنها لم تحتو على أية دلائل إلا من القرآن."

وكتبت الإنديان ريفيو Indian Review تقول:

"كانت قراءة مفيدة أثارت سرور الحاضرين، وكان الموضوع يتسم بالوضوح، وكان متكاملا وفلسفيا .... مما أثار الإعجاب. إن هذا الكتاب يستحق أن يكون بين يدي كل مسلم، وأيضا في مكتبات أولئك الذين يبتغون أن يعلموا الكثير عن الديانة المحمدية".

وعلقت جريدة سبريتيوال جورنال Spiritual Journal التي تصدر في بوستن بالولايات المتحدة الأمريكية، ولخصت تعليقها على الخطاب فقالت:

"كان الخطاب إنجيلا خالصا".

كما علقت جريدة بريستول تايمز آند ميرور Bristol Times and Mirror التي تصدر في بريطانيا فقالت:

"لقد كان من الواضح أنه لم يكن ذلك شخصا عاديا الذي أدلى بخطابه وكان يخاطب الغرب".

وهكذا.. تحقق ما كان الإمام المهدي عليه السلام قد أعلنه قبل تقديم الخطاب بخمسة أيام.. من أن الله تعالى قد أوحى إليه أن خطابه سوف ينال السبق على

جميع الخطابات التي ستُلقى في المؤتمر. وقد قامت الجماعة الإسلامية الأحمدية بطبع الترجمة العربية لهذا الخطاب الجليل تحت اسم: "فلسفة تعاليم الإسلام" وهو الاسم الذي اختاره سيدنا الإمام المهدي بنفسه، وقد نشرت الجماعة الآلاف من النسخ، حتى تكون في متناول القراء العرب، ويمكن لمن يبتغي الحصول على الكتاب أن يطلبه من مقر الجماعة في أي بلد من البلاد، إمّا مجانا أو نظير رسم رمزي لتغطية مصاريف الطبع والبريد. وحينئذ يمكن للقارئ الذي يبتغي الحق أن يحكم بنفسه على هذا الخطاب الجليل، ويرى مدى صدق كلمات الإمام المهدي، التي تؤكد على أن هذا الخطاب آية من آيات الله، وأنه يشرح الحقائق وجوانب الجمال التي يزخر بها القرآن الكريم، وأنه يقرر كالشمس في رابعة النهار، أن القرآن بكل الحق هو كلمة الله، وأنه كتاب مُنَزّل من عند الله تعالى. ويستطيع الإنسان المخلص.. بعد قراءة ذلك الخطاب الجليل.. أن يُقدّر مدى الجهاد العظيم، الذي قام به الإمام المهدي عليه السلام، لإبراز النواحي الجمالية في القرآن التي تأسر الفؤاد، وتخلب القلوب، وتذيب الوجدان، وتأخذ بيد الإنسان المخلص لتوصله إلى عتبة الله تعالى. وإننا نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن سنة (١٩٩٦) وافقت الذكرى المئوية لهذا الخطاب.

والسؤال الذي يجب أن يُجيب عليه كل قارئ مخلص هو: لو لم يكن مرزا غلام أحمد من الصادقين المخلصين، ولو لم تكن نبوءاته من وحي الله تعالى، فهل يمكن أن يحقق سبحانه هذه النبوءات بهذا الشكل الذي يُجمع عليه الناس؟

* * *

كان صاحبزاده سيد عبد اللطيف من نسل الوليّ المعروف الشيخ أبي الحسن علي الهجويري، وهو المشهور في الهند باسم داتا غنج بخش، والذي ضريحه في مدينة لاهور. وكان منْزل صاحبزاده عبد اللطيف، الذي يُطلق عليه

"سيد كاه".. أي مكان السادة الأشراف من نسل رسول الله.. يقع في مدينة خوست في أفغانستان. وقد كان صاحبزاده عبد اللطيف يُعَدّ في أفغانستان من أشهر علماء عصره، وعلى جانب عظيم من العلم، وكان زعيما دينيا كبيرا، وله مكانة عظيمة بين أتباعه ومريديه. وكان يعيش عيشة الأولياء الصالحين، كما كان يتلقى الوحي من الله تعالى، وكثيرا ما كان الله تعالى ينعم عليه بالرؤى والكشوف الصادقة. فقد كان إنسانا ذا ملكات روحية سامية، وكان له عدد غفير من الحواريين والأتباع في أفغانستان. وكان أيضا يملك الكثير من الممتلكات من عقارات وأراض في خوست بأفغانستان، وفي المنطقة الهندية البريطانية المجاورة لأفغانستان، كما أنه كان يشغل منصبا رفيعا في القضاء. وقد تم اختياره ليكون عضوا في لجنة من شخصين قاما بتمثيل أفغانستان في لجنة الحدود التي شُكّلت في عام ١٨٩٤ لترسيم الحدود بين أفغانستان والهند البريطانية، وهي اللجنة التي عُرفت فيما بعد باسم لجنة دوراند، نسبة إلى سير مُونتيمَر دوراند Montimer Durand الذي كان الممثل البريطاني الرئيسي في اللجنة.

وكان أن تنامَى إلى علم صاحبزاده سيد عبد اللطيف، في وقت متقدم، بعض الأنباء عن ظهور الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. ثم حدث أثناء اجتماعات لجنة الحدود، أن أعطاه أحد المشتركين في اللجنة كتابا من مؤلفات سيدنا أحمد عليه السلام وهو كتاب: "مرآة كمالات الإسلام". وقد تأثر صاحبزاده سيد عبد اللطيف بهذا الكتاب تأثرا بالغا، ترك في نفسه انطباعا بالامتنان والاحترام والتقدير لمؤلفه العظيم.

وبعد أن انتهت أعمال لجنة الحدود.. استطاع صاحبزاده أن يتصل بالإمام المهدي عليه السلام، عن طريق بعض حوارييه الذين كان يرسلهم من وقت لآخر إلى قاديان، ليأتوا إليه بأنباء الإمام المهدي، ويحملوا إليه ما ظهر من الكتب

والنشرات والإعلانات، التي كان ينشرها المسيح الموعود عليه السلام.

كان من بين هؤلاء الحواريين المخلصين المولوي عبد الرحمن، الذي زار قاديان عدة مرات، مبعوثا من صاحبزاده سيد عبد اللطيف، وفي شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٠٠ أرسل صاحبزاده عهد البيعة مبايعا سيدنا الإمام المهدي عليه السلام، وأرسل أيضا بعض الملابس كهدية، حملها مولوي عبد الرحمن وبعض الحواريين الآخرين.

في تلك الآونة كانت بعض حوادث الشغب والاغتيالات ضد البريطانيين المدنيين قد وقعت في مقاطعة فرنتيير Frontier التي بين الهند وأفغانستان، وقُتل فيها بعض البريطانيين المدنيين، وكان ذلك بسبب صيحات الجهاد التي أطلقها الكثير من المولويين. ولكن الإمام المهدي أصدر بعض المنشورات، تدين حوادث الإرهاب والاغتيال، وأوضح أن الجهاد لا يعني اغتيال الناس الأبرياء العزّل من السلاح، وأنه لا يجوز قتال أحد إلا المعتدين، وشرح حقيقة التعاليم الإسلامية فيما يختص بالجهاد. وكان المولوي عبد الرحمن قد اطلع على بعض تلك الإعلانات والمنشورات، واقتنع تماما بما جاء فيها عن حقيقة الجهاد. ولما عاد إلى كابول.. عاصمة أفغانستان.. أخذ يروّج تلك الأفكار بين أبناء بلدته. ووصل الأمر إلى مسامع الأمير عبد الرحمن حاكم أفغانستان، الذي أمر بالقبض على مولوي عبد الرحمن فورا وإيداعه السجن. وفي منتصف عام ١٩٠١ قاموا.. تنفيذا لأمر الأمير.. بخنق عبد الرحمن في زنزانته حتى الموت. وبهذا صار عبد الرحمن أول شهيد في الجماعة الإسلامية الأحمدية، التي قدّر الله لها أن تقدّم الكثير والعديد من الشهداء، في مراحل تاريخها المختلفة. كذلك فإن استشهاده هذا، حقق أحد النبوءات التي كان الإمام المهدي عليه السلام قد تلقاها منذ سنوات عديدة والتي تقول: **[شَاتَانِ تُذْبَحَانِ]**. و لم تمض أسابيع قليلة على استشهاد المولوي عبد الرحمن في سجنه، إلاّ وأصاب الأمير عبد الرحمن شلل تام، ألزمه الفراش بغير

حراك، و لم يلبث أن هلك في ٣ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٠١.

وقبيل نهاية عام ١٩٠٢ خرج صاحبزاده سيد عبد اللطيف من بيته، بعد أن استأذن الأمير الجديد حبيب الله خان، في الذهاب بقصد أداء فريضة الحج عن طريق مدينة لاهور. وكان في نيته كذلك أن يزور قاديان، التي كان يتحرّق شوقا لزيارتها، حتى تتاح له فرصة أن تكتحل عيناه برؤية سيدنا الإمام المهدي بشخصه وذاته. وفعلا وصل إلى قاديان واستقبله الإمام المهدي. وقد سجل الإمام المهدي فيما بعد انطباعاته عند لقائه فقال:

"والذي نفسي بيده.. إنني عندما قابلته وجدت أنه من أكمل المخلصين، وأخلص الطائعين، وأشدّ المصدّقين لدعواي، بشكل لا يمكن أن يتصور أكثر منه. وقد وجدته ممتلئا بحبي كما تمتلئ القارورة بالطيب. ومن الواضح أن قلبه كان يفيض بالنور، كما كان يرتسم ذلك النور على قسمات وجهه". (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية ج ٢٠ ص ١٠)

كان في نية صاحبزاده أن يتوقف في قاديان لعدة أيام، ولكن مقابلته للإمام المهدي عليه السلام، ورؤيته العديد من أفراد الجماعة الذين كانوا موجودين في قاديان في ذلك الوقت، أثرت في نفسه تأثيرا بالغا، حتى إنه أجّل السفر إلى الحجاز في ذلك العام، وبقي في قاديان لعدة شهور.

وكما سبق ذكره.. كان صاحبزاده سيد عبد اللطيف يتمتع بتلقي الرؤَى الصادقة، وله بعض التجارب في تلقي الوحي الإلهي، ولذلك فقد كان باستطاعته فهم مقام الإمام المهدي فهما عميقا. وأدرك بصدق طويته مَدَى علوّ مكانته، ورفعة قدره، حتى إنه لم يكن ليستطيع أن يبتعد عنه قدر لحيظة، ولكن.. كان لا بد من الفراق.. وحين جاء موعد سفره، استأذن من سيدنا الإمام المهدي فأذن له، وخرج معه مُوَدعا، وصاحبه على طريق السفر لعدة كيلومترات. وجاءت لحظة الوداع والفراق.. وكانت ثقيلة على قلبيهما سويا.. وكانت لحظة مريرة بشكل خاص بالنسبة لصاحبزاده سيد عبد

اللطيف، حيث إنه أدرك أنه لا بد وأن يضحّي بحياته في سبيل ما عرفه من الحق عند عودته إلى بلاده. وكان قد أسَرّ لبعض أصحابه، أنه قد تلقى وحيا في الأيام الأخيرة التي قضاها في قاديان يقول: (**قَدِّمْ رَأْسَكَ.. قَدِّمْ رَأْسَكَ**)، وأيضا تلقى وحيا آخر يقول: (**إِذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ**).

وأثناء سفره.. بينما كان لا يزال في الأراضي الهندية.. أرسل صاحبزاده سيد عبد اللطيف خطابا إلى "اللواء" محمد حسين، مدير الشرطة في كابول، يشرح له الأسباب التي اضطرته إلى تأجيل سفره للحج في ذلك العام، وكيف أنه قد تشرف بمقابلة الإمام المهدي ؑ. وطلب منه أن يُبلغ الأمير حبيب الله خان عن قرب موعد وصوله، وأنه يطلب الإذن من الأمير أن يسمح له بزيارته عند حضوره. وأرسل الأمير إليه ما يفيد أنه ينتظر وصوله بفارغ الصبر، حتى يسمع منه شخصيا عن دعوة الإمام المهدي، وعن حقيقة ما شاهده حتى يقبل الحق هو الآخر.

ولما وصل صاحبزاده إلى بلدته خوست، فوجئ بإلقاء القبض عليه، ونقله تحت حراسة مشددة إلى كابول العاصمة، لمقابلة الأمير. وحين وصوله وجد الأمير يستشيط غضبا وحنقا، وبغير أن يسأله إيضاح أي أمر.. حبسه في نفس القلعة التي يقيم فيها الأمير، وأمر أن يجعلوه في حبس منفرد وفي وضع مهين، إلى أن يقرر الأمير في شأنه ما يشاء. وعلى ذلك تم تكبيله بالقيود الحديدية، وربطوه بالأغلال الثقيلة، وألقوه في زنزانة صغيرة، وتركوه هكذا في هذا العذاب لمدة أربعة أشهر. وأخبروه في عدة مناسبات أن الأمير قد قرر أنه إذا ارتد عن إيمانه، وأعلن إنكاره لدعوة مرزا غلام أحمد، وأنكر أنه هو الإمام المهدي والمسيح الموعود، فإنه سوف يُطلق سراحه على الفور، وسوف تُرد إليه جميع حقوقه، وتُعاد إليه كل ألقاب الشرف، ويسترجع جميع المزايا والمقام الرفيع الذي كان يتمتع به من قبل. ولكن صاحبزاده استمر ثابتا على إيمانه،

وكان في كل مرة من تلك المناسبات، يُرسل رده للأمير بأنه رجل حباه الله تعالى بفضله عقلا وذكاء، وآتاه علما واسعا يستطيع أن يُفرّق به بين الحق والباطل، وأنه بعد دراسة وافية وعميقة لهذا الأمر، قد اقتنع تماما بصدق الدعوة، وبأن حضرة مرزا غلام أحمد هو فعلا الإمام المهدي والمسيح الموعود. وقد كان صاحبزاده يدرك بطبيعة الحال.. أنه بتمسكه بهذا الإيمان.. فإنه يُعرّض حياته للخطر، ويجلب الشقاء على نفسه وعلى أهله وعلى عائلته كلها. ولكن التمسك بصدق الإيمان كان لديه أهم من كل مكسب دنيوي، وأعلى وأرفع من كل اعتبار آخر.

كان صاحبزاده يشغل منصبا رفيعا في الدولة، وكان حتى ذلك الوقت يقضي حياته في عزّ ورفاهية، وكانت له أسرة كبيرة، وعزوة عظيمة، وعدد كبير من الأتباع والمريدين. وقد يستطيع المرء أن يتصور مدى الآلام والمعاناة التي كان يكابدها وهو في سجنه، إذ كانت الآلام النفسية التي يشعر بها، لا تقل حدّة عن الآلام الجسدية التي كان يعاني منها، بسبب سوء المعاملة والمهانة التي تعرض لها. ولكن كل ذلك التعذيب النفسي والجسدي لم يفتّ في عضده، ولم يثنه عن عزمه، ولم يُحِدْه قيد أنملة عن طريق الحق الذي عرفه وأيقن تماما بصدقه.

ويبدو أن الأمير نفسه كان على قناعة بأن صاحبزاده لم يرتكب أي جرم يستحق عليه العقاب، وكان يتصور أن المسألة ليست بهذه الجدّية، وأن صاحبزاده سوف يُعلن رجوعه عن تلك العقائد بعد يوم أو يومين. فلمّا طالت المدة عن ذلك، حاول الأمير أن يفتعل المناسبات حتى يُقنع صاحبزاده بالعدول عن رأيه، وبذلك يُعلن العفو الفوري عنه، فقد كان يريد أن يجد مبررا لكي يعامله برفق، ويُخلّصه من تلك الورطة. ولكن الأمير اصطدم اصطداما مباشرا مع المشايخ المتزمتين، الذين كانوا يغارون من صاحبزاده بسبب علمه ومقامه

وكثرة أتباعه، فكانوا يتحيّنون الفرص للإساءة إليه، ووجدوا في إيمانه بدعوة الإمام المهدي الكَلِيْلاً.. الفرصة السانحة للقضاء عليه. كان الأمير يُدرك مدى عداء المشايخ المتزمتين لصاحبزاده، ولذلك فقد حرص على أن يبقيه مسجونا في نفس القلعة التي يقيم فيها، حتى يسهل عليه إقناعه بالعدول عن آرائه ونبذ عقيدته. غير أن مجهودات الأمير المتواصلة في هذا الشأن لم تلق أية استجابة من صاحبزاده.

وبعد مرور أربعة أشهر، طلب الأمير من صاحبزاده أن يَمثل أمامه، فلما مثل بين يديه قال له مؤكدا أمام الملأ، إنه إذا رجع عن عقيدته.. فإنه بذلك يُنقذ حياته، وسوف يستعيد كل مجده وجميع ألقابه ووظائفه، وإن الأمير سوف يُضفي عليه الحرية والشرف العظيم. وأجاب صاحبزاده أنه من المستحيل عليه أن يرجع عن الحق، وأن كل عقاب وكل تعذيب يمكن أن تُنْزله به الحكومة، سوف ينتهي بموته، ولكنه لا يستطيع أن يعصي الله تعالى الذي عذابه أشدّ وأبقى من كل عذاب آخر. ومع ذلك فقد اقترح على المشايخ المتزمّتين، الذين كانوا يناصبونه العداء، أنه على استعداد للدخول معهم في حوار، يشرح فيه أسباب إيمانه، والدلائل التي يستدل بها على صدق الإمام المهدي الكَلِيْلاً، وأنهم إذا استطاعوا الرد على تلك الأسباب وتفنيدها، وإذا استطاعوا نقض هذه الدلائل التي يستدل بها، فهو على استعداد لقبول أي عقاب يُحكم به عليه. وعلى الفور وافق الأمير على اقتراحه، وعيّن خان ملاّ خان وثمانية من المفتين العلماء لهذه المباحثة. واختار المُفتون طبيبا من البنجاب، كان من ألد أعداء الإمام المهدي الكَلِيْلاً، ليكون هو الحكم بين الفريقين!!

وبدأت المباحثة بين الفريقين في المسجد الكبير الساعة السابعة صباحا، وحضر في المسجد جمع غفير من الناس. واشترط العلماء أن تكون المباحثة كتابة، وأن لا يتفوّه صاحبزاده بأي حرف أمام ألناس! ولعلهم كانوا يخشون

أن يسمع الناس كلامه، وأن يدركوا أنه على حق وأهم هم على باطل. ولما انتهى صاحبزاده من كتابة آرائه ودلائله التي يستند عليها سألوه: إذا كنت تؤمن بأن هذا القادياني هو الإمام المهدي والمسيح الموعود.. فماذا تقول عن المسيح عيسى بن مريم حين ينْزل من السماء؟ فأكد صاحبزاده أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لن ينْزل من السماء، لأن الله تعالى قد توفاه كما توفى جميع الأنبياء والرسل، وأن القرآن الكريم يشهد على ذلك. وهنا انفجر العلماء في حنق شديد في التهجم على صاحبزاده، وأعلنوا أنه لم يبق لديهم أي شك في كفره، وأهم سوف يُعدّون فتوى رسمية بإعلان كفره وارتداده عن الدين. وعلى هذا رُفع الأمر إلى الأمير الذي اضطر أن يأمر بإرجاعه إلى السجن في زنزانته، مكبّلا بالأغلال ومثقّلا بالقيود.

وقبل أن يمضي الليل.. كان الْمُفتون قد جهزوا فتوى الكفر، التي قدموها للأمير دون أن يُرفقوا بها النصوص المكتوبة التي قدمها صاحبزاده، مما يدل بدلالة واضحة على أن المفتين لم يستطيعوا الرد على أيّ من دلائله، ولم يتمكنوا من دحض البراهين التي قدمها لهم على صدق الإمام المهدي. ومع هذا فإن الأمير لم يستطع أن يفعل شيئا لصاحبزاده، إزاء إجماع آراء جميع المفتين الذين اشتركوا في المباحثة. ولما كان حكمهم قد صدر بالموت، فقد اضطر الأمير للتصديق عليه ولكن على مضض. ولم يدرك الأمير في ذلك الوقت.. أنه بتصديقه على الحكم وخوفه من مجابهة العلماء المتزمتين.. فإنه قد جعل من نفسه ألعوبة في أيديهم، مما وضعه في المقام الأول من المسؤولية تجاه مقتل رجل بريء، بسبب عقيدته التي لم يستطع أن يدحضها أو يرد عليها أحد. ولا شك أن هذا كان عملا على غير مستوى المسؤولية التي يحملها الأمير، بصفته المسؤول الأول في البلاد، إذ لم يكن هناك ما يدعو أبدا لبقاء صاحبزاده مكبلا بالأغلال لمدة أربعة شهور، دون اتهامه بجريمة محددة، ودون

إعطائه الفرصة للدفاع عن نفسه وتبرئة ساحته. نعم لقد حاول الأمير أن يثنيه عن عزمه عدة مرات.. ولكنه لم يستمع إلى أقواله، ولم ينصت إلى دفاعه عن نفسه. ولما قدّمه للمحاكمة في نهاية الأمر.. إذا جاز أن تُسمى تلك المهزلة محاكمة.. فإنه لم يحضر إلى المسجد بنفسه ليسمع وجهة نظر صاحبزاده، بل تركه مصفدا بالأغلال، ومكبّلا بالقيود، تحت حراسة ثمانية من الحراس، شاهرين سيوفهم حتى يشعر بالخوف والرعب، فلا يستطيع الدفاع عن نفسه. وكل تلك الأمور كانت.. بطبيعة الحال.. ترضي غرور الخصم من العلماء المتزمتين، وذلك استجلابا لرضاهم وتأييدهم، لما كان لهم من نفوذ على تحريك العامة والغوغاء من الناس.

لقد كان الأمير يعلم أن نتيجة تلك المباحثة يمكن أن تؤدي إلى الحكم بإعدام صاحبزاده، فكان عليه أن يستمع بنفسه إلى أقواله. فإما أن يذهب إلى المسجد الكبير، أو على الأقل يقرأ أقواله التي كتبها وقدمها للعلماء. بل لعله كان من الأوْلى به.. إن كان قد قرأ أقواله ثم اقتنع بعد ذلك بحقيقة جرمه.. أن ينشر تلك الأقوال المكتوبة بخط يد المتهم، حتى يُثبت للملأ حقيقة اتهامه واستحقاقه للموت، وحتى يثبت كذلك أن صاحبزاده لم يستطع أن يُقدم أي دليل على صدق الإمام المهدي، وأنه فشل تماما في تبيان أية حجة يمكن الاستناد إليها في إثبات مصداقية المسيح الموعود عليه السلام، ولم يستطع تقديم أي برهان من كتاب الله الحكيم على وفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. كان من الأوْلى به أن يتحرّى الأمر ليعرف أن هناك خلافات كثيرة بين العديد من طوائف المسلمين، وما يعتبره هؤلاء حقا يظنه الآخرون باطلا، وما يؤمن به بعض علماء الفرق الإسلامية يكفر به علماء الفرق الأخرى.. وهكذا. وعلى ذلك.. ومع وجود تلك الخلافات.. كان على الأمير أن يتحرّى عمّا إذا كان يجوز الإفتاء بقتل صاحبزاده أم لا يجوز.. خاصة وأن رسول الله ﷺ قد سبق وأشار إلى ظهور الخلافات في الأمة الإسلامية، وذكر

أن الأمة سوف تنقسم إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة.

في صباح اليوم التالي.. استُدعي صاحبزاده للذهاب إلى مكان يسمى "خانة سلام"، حيث كان جمهور كبير قد احتشد هناك، وغادر الأمير القلعة متجها أيضا إلى "خانة سلام". وفي الطريق.. شاهد الأمير صاحبزاده في أغلاله بين الحرّاس وهم يأخذونه إلى خانة سلام، فسأله الأمير عن نتيجة المباحثة التي تمت بالأمس، وكأنه لا يعلم تلك النتيجة، فلم يرد عليه صاحبزاده. ولكن أحد الحرّاس قال للأمير إنه قد أدين، وحكموا عليه بالكفر والردّة. ولما وصل الأمير إلى خانة سلام، نادى صاحبزاده وقال له: "لقد حكموا عليك بالكفر وقد صرتَ مرتدا، ولكن مع هذا إذا أعلنتَ توبتك الآن، فإنك تستطيع الإفلات من العقوبة". فرد صاحبزاده قائلا: "إنني لا أستطيع أن أتوب عن الحق، ولن ألجأ إلى الغش والنفاق حتى أنقذ حياتي." وحثه الأمير مرات ومرات على أن يرجع عن عقيدته، أو على الأقل أن يعلن فقط أمام الملأ أنه قد تخلى عنها، ووعده بإطلاق سراحه على الفور. وقد رفض صاحبزاده بكل إصرار أن يكون منافقا، وقال إنه لن يتخلى مطلقا عن الحق مهما كانت النتائج. وحينئذ كتب الأمير بيده الأمر الذي يقضي بإعدامه، معتمدا على الفتوى التي أصدرها العلماء بإعدام صاحبزاده عن طريق الرجم حتى الموت. وعُلّق أمر الإعدام حول رقبة صاحبزاده، وأصدر الأمير أوامره أن يثقبوا أنفه، ويضعوا في الثقب حبلا ليجروه منه إلى ساحة الإعدام. وتم تنفيذ تلك الأوامر الوحشية، دون مراعاة للآلام الرهيبة التي كان صاحبزاده يعاني منها. واستمر الحال على هذا المنوال، وهم يقتادونه إلى خارج البلدة، حيث المكان الذي أُعِدّ خصيصا لتنفيذ حكم الرّجم. وكان ذلك بين سخط الناس وسبّهم إياه وتحقيره وازدرائه، تماما كما كان الغوغاء يُعاملون السيد المسيح عليه السلام أثناء جرّه لمحاولة قتله على الصليب. وذهب الأمير أيضا إلى ساحة الإعدام، في صحبة مرافقيه

من أساطين علماء السوء، من قضاة ومُفتين وكبار رجال الدولة.

وفي ساحة الإعدام.. كانوا قد حفروا حفرة كبيرة في الأرض، جعلوا صاحبزاده يقف فيها، ثم ردموها عليه حتى وسطه. كان الأمير حبيب الله خان، وأخوه سردار نصر الله خان، والقاضي الأكبر، وقائد الجند عبد الأحد، يمتطون صهوة جيادهم.. بينما كان بقية الناس واقفين على الأرض. واقترب الأمير بجواده من صاحبزاده، وأخبره أنه إذا رجع الآن عن إيمانه بذلك المسيح القادياني فإنه سوف ينقذ نفسه من الموت، وطلب إليه أن يرحم نفسه، ويرحم أفراد أسرته الذين سيتضرّرون بسببه، وشجّعه على أن يرجع عن إيمانه من أجل أولاده، حتى ولو بأن يهمس في أذن الأمير. ولكن صاحبزاده أكد له أنه لم يكن ليبيع آخرته ليشتري بها دنيا زائلة، وإنه لن يستطيع إنكار الحق لينقذ نفسه، وإنه ما كان ليُغضب الله تعالى بعد ما عرف من الحق، لكي يُرضي أفراد أسرته وأولاده. وحين ذلك صاح القضاة والمفتون وعلماء السوء الحاضرون بأنه كافر ويصر على كفره، ولا عقاب له إلا الموت، وانطلقت الصيحات من هنا وهناك تطالب بدمه. عندئذ طلب الأمير من القاضي الأعظم أن يلقي الحجر الأول، ولكن القاضي قال إن هذا الشرف من حق الأمير فهو ملك البلاد. ولكن الأمير قال إن هذا الحكم الذي يتم تنفيذه، هو حكم القاضي الأعظم، ولذلك فإن عليه أن يلقي الحجر الأول. وحينئذ نزل القاضي الأعظم من على جواده، وصوّب حجرا إلى صاحبزاده، أصابه بقوة شديدة، جعلت رأسه يسقط على صدره، وتلاه الأمير فألقى حجرا، ثم انهالت الحجارة من كل مكان، ومن كل اتجاه، بسرعة شديدة، وبكثافة بالغة، حتى إن تلاًّ صغيرا من الأحجار كان يبدو فوق سطح الأرض. كان ذلك اليوم الحزين الذي نُفذ فيه حكم الإعدام هو يوم ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٠٣.

وكتب الإمام المهدي عليه السلام تعليقا على تلك الحادثة المؤسفة فقال:

"إن الشهادة التي كانت مقدّرة لصاحبزاده عبد اللطيف قد تحققت، وبقي

الآن أن ينال الظالم جزاءه: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى﴾ (طه:٧٥). ومع الأسف أن الأمير قد وضع نفسه تحت طائلة الآية التي تقول: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا...﴾ (النساء:٩٤). وما خاف الله أدنى خوف، وقتل مؤمنا لو بحثوا عن مثيل له في كل أفغانستان لتعذر ذلك.... فقد كان من الذين يضحون بأرواحهم بكل إخلاص وصدق القلب في سبيل الحق والإيمان، ولا يأبهون بالأهل والأولاد.

يا عبد اللطيف! أدعو الله أن يُنْزل عليك ألف رحمة، فإنك قد برهنتَ على صدقك أثناء حياتي، وإنني لا أدري ماذا سيفعل أفراد جماعتي الذين سيأتون من بعدي." (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية ج ٢٠ ص٦٠)

وفي مكان آخر ذكر الإمام المهدي أيضا:

"إن حادثة مقتل صاحبزاده عبد اللطيف، التي تعرّض لها بلا رحمة، لحادثة تنخلع لسماعها القلوب، (وما رأينا ظلما أغيظ من هذا*) ولكن هذه الشهادة ستكون مصدرا للبركات الكثيرة التي سوف تظهر مع مرور الزمن. **وسوف ترى أرض كابول أن هذه الشهادة لا بد أن تؤتي ثمارها ولن يذهب هذا الدم هدرا.** فقد قُتل من قبل أيضا ظلما أحد أفراد جماعتي، وهو الشاب المسكين عبد الرحمن، ولكن الله ظل صامتا. ولكنه لن يبقى صامتا الآن، وسوف تظهر النتائج الوخيمة. وسمعنا أنه.. بعد أن استشهد الشهيد المرحوم رشقا بألوف من الحجارات.. قد انتشر فجأة في كابول وباء الكوليرا وأصاب عددا كبيرا من علية القوم، بما فيهم أقارب الأمير نفسه، فرحلوا عن هذا العالم. ولكن لم يقتصر الأمر إلى هذا الحد فحسب، وذلك لأن هذه

* أورد حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام هذه الجملة العربية داخل النص الأردي. وكأن في هذا إشارة إلى قول الرسول ﷺ عندما وقف على جسد عمه حمزة رضي الله عنه عند استشهاده حيث قال "والله ما وقفت موقفا أغيظ عليَّ من هذا". (الناشر)

جريمة بشعة أرتُكِبَت بلا رحمة ولا شفقة، وبشكل ليس له مثيل في هذا العصر تحت أديم السماء. واأسفاه! أي حماقة تلك التي ارتكبها هذا الأمير.. فجَرّ على نفسه الخراب والدمار بقتله إنسانا بريئا بلا رحمة؟ يا أرض أفغانستان.. فلتشهدي على تلك الجريمة الشنيعة التي ارتُكبت فيك! يا أيتها الأرض التعيسة.. لقد سقطتِ من عين الله تعالى لأنك كنت مسرحا لهذا الظلم العظيم". (المرجع السابق ص ٧٤)

هذا وقد ترك صاحبزاده من بعده أرملة وخمسة من الأبناء، تعرضوا جميعا لاضطهاد فظيع من الحكومة ومن أذناهما، لمدة طالت إلى ربع القرن. ومع هذا فإن جميعهم قد ثبتوا على إيمانهم بفضل الله تعالى، وقد رحل اثنان من أبنائه توفيا بالحمى وهم في سجون أفغانستان. وأخيرا.. استطاعت أرملة صاحبزاده في صحبة ثلاثة من أبنائها وشقيقة لها مع بعض الأحفاد أن ينتقلوا خارج أفغانستان في ٢ فبراير (شباط) عام ١٩٢٦ وذهبوا إلى "بنون".. التي تقع في الهند.. حيث كان لهم هناك بعض الممتلكات.

والآن.. بعد أن تمخضت الأحداث وظهر المكنون في علم الله تعالى.. تعالوا لنرى سويا ماذا أصاب أرض أفغانستان بعد اغتيال صاحبزاده عبد اللطيف. لقد بدأ عقاب الله يتنـــزل على هذه الأرض البائسة، ولا يزال يحل بها. وكانت بداية هذا العقاب هو نفس اليوم الذي ارتُكبت فيه تلك الجريمة الشنعاء.. إذ هبّت في مساء ذلك اليوم.. وبعد غروب الشمس.. عاصفة هوجاء، لم ير الناس لها مثيلا فيما أحدثته من دمار في البلاد. وفي اليوم التالي مباشرة.. انتشر فجأة وباء الكوليرا في كابول العاصمة وفي المناطق المحيطة بها، ونتج عنه وفاة أعداد غفيرة من الناس، واستمر الوباء يحصد أرواحهم كل يوم لمدة أسابيع طويلة. وقد ماتت بسبب ذلك الوباء زوجة السردار نصر الله خان، شقيق الأمير حبيب الله خان، وهلك كذلك أحد أبنائه، وعدد كبير من العائلة الملكية، وكذلك بعض أولئك المفتين الذين اشتركوا في المباحثة مع

صاحبزاده عبد اللطيف، والذين أصدروا فتواهم بكفره.

وكان هناك ثلاثة إخوة من البنجاب في الهند، وهي موطن الإمام المهدي عليه السلام، وكان هؤلاء الإخوة الثلاثة يضمرون العداء الشديد للإمام المهدي، ونتيجة لسعيهم بالوقيعة والدسيسة وتشويه الحقائق وتزييف الوقائع.. استطاعوا أن يؤلبوا مشايخ أفغانستان ضد الإمام المهدي عليه السلام، وبالتالي ضد صاحبزاده سيد عبد اللطيف. وقد تسرّع مشايخ أفغانستان في تصديق كل الاتهامات والافتراءات الباطلة التي أطلقها هؤلاء الأخوة ضد صاحبزاده، دون أن يتحققوا من صحة تلك الاتهامات، وبغير أن يتأكدوا من حقيقة تلك الافتراءات، فلم يُلزموا أنفسهم بقول الله تعالى:

﴿إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:٧)

كان هؤلاء الأخوة هم الدكتور عبد الغني، الذي تولى عملية التحكيم في المباحثة بالمسجد الكبير بين المشايخ وصاحبزاده عبد اللطيف، وكان الأخ الثاني هو المولوي نجف علي، والأخ الثالث هو محمد جراغ. والغريب أن مصير هؤلاء الثلاثة كان السجن.. إذ أن الأمير حبيب الله خان أمر بإيداعهم السجن لمدة أحد عشر سنة بتهمة الخيانة. وقد توفيت زوجة الدكتور عبد الغني وهو في السجن، واغتيل ابنه الأكبر في كابول في وضح النهار، وبعد أن قضى فترة العقوبة المحكوم بها عليه طردوه من البلاد. أما شقيقه الثاني.. المولوي نجف علي.. فقد حكموا عليه بالكفر والارتداد في زمن الأمير نادر شاه، وصدر ضده الحكم بالموت رجما، ولكن بعد أن تدخّل السفير البريطاني في كابول، سمحوا له بمغادرة البلاد. وقد طُرد أيضا شقيقه الثالث محمد جراغ من أفغانستان.

وكان الذي صدّق على حكم الموت الصادر على صاحبزاده سيد عبد

اللطيف.. كل من القاضي عبد الرازق والقاضي عبد الرؤوف، وأولهما كان المدير العام للمدارس، وكان العالِم الذي يتميز بحظوة مرافقة الأمير. فماذا كان مآله؟ حدث أن اتُّهم بارتكاب بعض المخالفات، ولما ثبت جرمه.. جرّدوه من جميع أملاكه.. وقطعوا أطرافه.. يديه ورجليه.. قطعة قطعة.. أمام الملأ.. حتى لم يبق منه سوى صدره وبطنه، ثم سلخوا ما بقي من جلده حتى هلك في ألم وعذاب شديد. وأما القاضي عبد الرؤوف فقد تم اغتياله، وقُتل بلا رحمة في عام ١٩٢٩، وخلفه ابنه القاضي عبد الواسع، الذي لقى نفس مصير أبيه وفي نفس العام.

كان السردار نصر الله خان، شقيق الأمير حبيب الله خان، يلعب دورا خبيثا من وراء الكواليس في إثارة شقيقه الأمير ضد صاحبزاده سيد عبد اللطيف، وكان أيضا حاضرا في ساحة الإعدام، واشترك بنفسه في إلقاء الأحجار عليه، ولكن الأيام دارت عليه واتُّهم بالخيانة العظمى. وفي عهد الأمير أمان الله خان.. أحضروه مكبلا بالأغلال، وألقوا به في غياهب السجن. وقد سببت له تلك الأحداث صدمة عنيفة، أثّرت على قواه العقلية، ولم يلبث طويلا في السجن، إذ إنهم سرعان ما قتلوه وهو في زنزانته، بأن كتموا أنفاسه إلى أن خرجت روحه إلى عذاب أكبر وبئس المصير.

وأما الأمير حبيب الله خان نفسه، فقد أطلق عليه مجهولون الرصاص ليلا في ٢٠ فبراير (شباط) عام ١٩١٩، فقُتل شر قتلة وهو في معسكره في جلال أباد، فدفنوه هناك. وقد هاجم الثوار جلال أباد وحطموا قبره ورجموه بالحجارة. كذلك فقد لقى ابنه سردار حياة الله خان.. مصيرا مؤلما، إذ قاموا بقتله سرا وذلك بأن شنقوه بناء على أوامر من الملك الجديد "باشا ساقوا".

وقد سجل الإمام المهدي عليه السلام، بشيء من التفصيل، الأحداث المحيطة بهاتين الشهادتين.. أي شهادة المولوي عبد الرحمن، وشهادة صاحبزاده سيد

عبد اللطيف.. وذلك في كتابه الذي نشره في عام ١٩٠٤ بعنوان: "تذكرة الشهادتين". وقد وجه في ذلك الكتاب النصيحة إلى أفراد جماعته فقال:

"إنكم إذا استمسكتم بالحق والإيمان فإن الملائكة سوف تُعلمكم، وتتنَزل عليكم السكينة من السماء، وسوف تُؤيَّدون بروح القدس، وسيكون الله تعالى معكم في كل خطوة تخطونها، ولن يستطيع أحد أن يتغلب عليكم. فانتظروا فضل الله تعالى بكل صبر وثبات.. استمعوا إلى الشتائم وكونوا صامتين. تحملوا الضرب والتعذيب وكونوا صابرين. وتجنبوا على قدر الإمكان مقاومة الشر بالشر حتى تكتبوا في السماء من المقبولين". (المرجع السابق ص ٦٨)

وفي نهاية الكتاب كتب سيدنا أحمد الإمام المهدي عليه السلام النداء التالي:

"اسمعوا جيدًا أيها الناس جميعًا! إنه مما أنبأ به خالق السماوات والأرض أنه سوف ينشر جماعته هذه في كل أنحاء العالم، ويجعلهم غالبين على الجميع بالحجة والبرهان، وإن الأيام لآتية، بل إنها لقريبة حين لا يُذكر في الدنيا بالعز والشرف إلا هذه الجماعة. إن الله سوف يبارك هذه الجماعة بركات كبرى خارقة للعادة، ويخيب كل من يفكر في القضاء عليها، وسوف تستمر هذه الغلبة إلى يوم القيامة." (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية ج ٢٠، ص ٦٦)

ما أصدق هذه الكلمات.. خاصة لمن عاش ورأى الأحداث الدامية التي وقعت في أفغانستان.. والتي لا تزال تقع حتى كتابة هذه السطور (١٩٩٦).. في هذه الحروب المشتعلة بين مختلف الجماعات الإسلامية.. والتي يروح ضحيتها في كل يوم الكثير من الأرواح، وتنشر القتل والدمار والخراب على أرض أفغانستان!!

* * *

في ١٥ أبريل (نيسان) عام ١٩٠٥ أعلن سيدنا الإمام المهدي عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه أن العالم سوف يكابد بعد فترة قصيرة.. كارثة عالمية فظيعة،

تنشر الخراب والدمار في العالم كله، ولن تؤثر تلك الكارثة على البشر فحسب.. بل سيعاني منها الحيوان وطيور السماء والأشجار. وأوضح أن أنهارا من الدماء سوف تسيل نتيجة لتلك الكارثة المروعة، وسوف ينتشر الفزع والهلع بين الناس، وأن قيصر روسيا أيضا سيكون في حالة يرثى لها.

ولما كان الإمام المهدي عليه السلام يعلم أنه لم يكن في العالم في ذلك الوقت ما يشير إلى احتمال حدوث هذه الأمور، فقد توقع أن يسرع أعداؤه كعادتهم إلى تكذيبه والسخرية منه. وقد نصح الإمام المهدي أولئك الأعداء بألا يتسرعوا في تكذيب هذا النبأ، وطلب منهم أن يجعلوا أمر صدقه أو كذبه معلقا على تحقق هذه النبوءة أو عدم تحققها. وقد أكد لهم.. بكل اليقين.. أن هذه النبوءة لا بد أن تتحقق على نطاق عالمي لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم، وإن كل ما عليهم أن يفعلوه.. هو أن ينتظروا بعض الوقت لتحققها، متمسكين بأهداب الصبر والتقوى.

ولقد شاهد العالم.. لأول مرة في تاريخه الطويل.. كيف وقعت على حين غرّة الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤ التي راح ضحيتها ثمانية ملايين من القتلى وعشرات الملايين من الجرحى والمشردين. وكيف تسببت الحرب في دمار وخراب لم يعاين العالم له مثيلا منذ بدء الخليقة. كما شاهد العالم أيضا كيف أن قيصر روسيا فقد عرشه في أيام معدودة على حين غرة، وعانى هو وأفراد أسرته الازدراء والتحقير من أفراد شعبه حين قامت الثورة البلشفية في أواخر عام ١٩١٧، وتم إقصاء قيصر روسيا من على عرشه في ١٦ يوليو (تموز) عام ١٩١٨، ثم قُتل في سجنه شرّ قتلة.

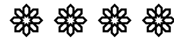
وقد سجل التاريخ تفاصيل كل تلك الأحداث المهولة التي عانى منها العالم، وبالذات تلك المصائب التي كابدها قيصر روسيا وأفراد عائلته. وإن تحقق تلك الأنباء بهذه الدقة البالغة ليدل بلا أدنى شك على صدق كلام الإمام المهدي،

وهو في حد ذاته لهو الدليل الشافي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.. على أن الله تعالى.. وهو عالم الغيب.. قد أطلع الإمام المهدي على تلك الأحداث، وهو الذي أخبره بتلك النبوءات التي ظهر صدقها وتحققت تفاصيلها، بأقوى ما يمكن أن تتحقق به مثل هذه الأنباء، وبأوضح ما تكون الوقائع، وبشكل لم يكن لأي بشر يد في تحقيقه أو في منع وقوعه.

كانت الأحداث تتوالى بشكل لم يخطر على بال أحد، وعلى غير ما كان يتوقعه الناس، وبصورة تدل على أن صاحب المُلك ﷻ، هو الذي يحرك الأحداث ليُظهر صدقَ مبعوثه، ويؤيد قوله الذي أوحاه إليه، حتى بعد أن غادر ذلك المبعوث الدنيا ولم يعد موجودا فيها. فحينما أعلن سيدنا أحمد عليه السلام عن هذه النبوءة.. التي تتعلق بالمصير الفظيع الذي سينتهي إليه أمر قيصر روسيا.. كان القيصر آنذاك في أوج مجده، وفي عز سلطانه. وكان بلا شك أقوى ملوك أهل الأرض في زمانه، وكان بالنسبة لشعبه في مرتبة تشبه مرتبة الآلهة، وكانوا يعتبرونه فوق مستوى البشر، وأعلى قدرا من سائر الناس. كانت أملاكه تفوق ثروة أي إنسان آخر على ظهر الأرض، وكان سلطانه يمتد على مساحة من الأرض تزيد عن مساحة أي دولة أخرى من دول العالم، وكان الغِنى والثراء الذي يتمتع به يفوق كل وصف، ويعلو على كل خيال.

أما سيدنا الإمام المهدي عليه السلام.. فقد كان يقطن في قرية صغيرة، في محافظة متخلفة من محافظات الهند، قرية تكاد تكون معزولة عن العالم الخارجي، لا يصل إليها القطار، ولا يوجد بها حتى مكتب للتلغراف، ولم تكن تربطه أية علاقة بحياة القيصر أو بأملاكه أو بسلطانه. وحين أعلن نبوءته التي نشرها في عام ١٩٠٥ قوبلت بالإهمال التام، وبلا أي اكتراث من جانب الناس الذين اعتبروها خرافات رجل قد بلغ من العمر السنين، واقترب من خرف عجز المشيب. ولما كان هو يتوقع ذلك المسلك من الناس، فقد طلب منهم

الانتظار.. متمسكين بالصبر والتقوى.. إلى أن تتحقق تلك النبوءة. وكرر لهم مرارا أن هذه النبوءة هي من وحي الله تعالى الذي لا يمكن أن يخيب، ولا يمكن لأي تدبير أن يمنع تحققه، وكل ما عليهم هو أن يتمسكوا بالصبر لبضع سنين. ولم تمر تسع سنوات على إعلانه تلك النبوءة حتى انفجرت فجأة ويلات الحرب العالمية الأولى التي هزت العالم هزا عنيفا، وفي أثناء تلك الحرب فقد قيصر روسيا عرشه بشكل لم يكن أحد على ظهر الأرض يتوقع حدوثه. وهكذا.. ثبت صدق الإمام المهدي عليه السلام.. وتحققت كلماته.. وصدق الله وعده، والحمد لله رب العالمين.



الفصل الحادي عشر

وفي الغرب آيات

الفصل الحادي عشر

وفي الغـــرب آيـــات

لم تنحصر دعوة سيدنا أحمد عليه السلام في الهند فقط، أو فيما جاورها من البلاد مثل أفغانستان أو البلاد العربية. و لم تقتصر الآيات التي أظهرها الله تعالى تأييدا لعبده على الشرق فحسب، بل امتد تأييد الله تعالى وظهور آياته إلى الغرب كذلك. وكان الإمام المهدي عليه السلام.. بصفته أيضا المسيح الموعود.. يقف بالمرصاد لكل من تحدثه نفسه بالتهجم على الإسلام، أو على شرف حبيبه وسيـــده محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكان يتصدى كذلك للعقائد الزائفة التي تحط من شأن الله تعالى، وتجعل المخلوق الضعيف إلها أو ابن إله. وقد اخترنا للقارئ حادثتين وقعتا في الغرب.. إحداهما في المملكة البريطانية والأخرى في الولايات المتحدة الأمريكية، لنرى كيف أن الله تعالى أراد أن يبرهن لسكان الغرب أيضا، على صدق عبده المسيح الموعود عليه السلام، حتى يكون ذلك عاملا يساعد أهل تلك البلاد البعيدة عن أرض منشأ الإسلام أن يتعرفوا على هذا الدين العظيم، وليعلموا أن هذا الدين هو فعلا الدين الحق والدين الحيّ، وأن الرب المعبود في هذا الدين هو رب السماوات والأرض.

عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.. كان هناك الكثير من التوقعات بقرب تحقق النبوءات التي يحتويها الكتاب المقدس، من توراة وإنجيل، عن اقتراب نزول المسيح في آخر الزمان. وكانت الكنائس والجماعات الدينية تتحدث عن هذا الموضوع بكل اهتمام، وكان الناس ينتظرون نزول المسيح في أي وقت بل وفي كل لحظة، فكانوا يستعدون للقائه ويترقبون رؤيته. وفي هذا الجو المشحون بالشوق والانتظار والترقب.. يحدث أن يتصور البعض من

الناس أنهم هم المسيح المنتظر، أو أنهم رُسل قد بعثهم يسوع ليمهدوا له الطريق، كما حدث في الماضي حين جاء يوحنا المعمدان يمهد الطريق للمسيح بن مريم عليه السلام. وقد أراد الله تعالى أن يُظهر صدق المسيح الحقيقي الذي اختاره من بين خدام رسول الله ﷺ وجعله مثيلا للمسيح بن مريم عليهما السلام، وأراد أن ينشر ذكره في الغرب كما في الشرق، حتى تقوم الحجة على أهل هذه البلاد، وذلك لكي يعرف الناس.. في الشرق والغرب.. أن الله قد جعل خادما من خدام محمد ﷺ مثيلا لابن مريم الذي اتخذوه إلها من دون الله، فإذا كان هذا هو شأن الخادم.. فما أعظم مقام السيد الذي هو سيد الخلق أجمعين!

كان في بريطانيا.. وفي مدينة لندن العاصمة.. أحد القساوسة يعمل راعيا لكنيسة مشهورة اسمها كنيسة تابوت العهد. كانت هذه الكنيسة في كلابتون Clapton أحد أحياء لندن. وفي يوم ٩ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٠٢ أعلن هذا القس.. واسمه جون هيو سميث بيجوت Rev. John Hugh Smyth Piggot أنه هو يسوع المسيح بن مريم، وأنه قد نزل من السماء حسب وعود الله تعالى. وقد أعلن بيجوت:

"إنني هو نفس يسوع المسيح الذي مات على الصليب، ثم بعد أن قام من الأموات صعد إلى السماء."

كان بيجوت خطيبا مُفَوّها ومتحدثا بارعا، وله قدرة عجيبة على التأثير على مستمعيه والأخذ بلباب عقولهم. وكان الناس يأتون إلى كنيسته، ويزدحمون عليها ليستمعوا إلى مواعظه، وينصتوا إلى تفسيراته عن قرب نزول المسيح من السماء. لذلك.. ما أن أعلن بيجوت هذا الإعلان الغريب، حتى ركع جميع الحاضرين بالكنيسة أمامه وهم يذرفون الدموع، وراحوا يعبدونه ويقدسونه، فقد صدقوا فعلا أنه يسوع المسيح. وقد أحدث إعلان بيجوت دويا شديدا في جميع الأوساط الدينية، كما أنه أثار أيضا عاصفة من المعارضة

والانتقاد لهذه الدعوى الغريبة.

وُلد القس بيجوت عام ١٨٥٢ والتحق بإرسالية الكنيسة الإنجليكية عام ١٨٨٢، وفي عام ١٨٩٢ أقيمت في حي كلابتون Clapton كنيسة، كان قد شيدها رجل اسمه هنري جيمس برنس، ودعا بيجوت ليعظ فيها. وكان بيجوت كثيرا ما يشير في مواعظه إلى النبوءة التي كان أعلنها هنري جيمس برنس، وذكر فيها أنه رسول الروح القدس، وأنه الأقنوم الثالث من الأقانيم الثلاثة المقدسة في المسيحية، كما أنه تنبأ بقرب ظهور المخلص يسوع المسيح. وقد مات برنس في عام ١٨٩٩ ومنذ ذلك الحين كانت مواعظ بيجوت تأخذ اتجاها معينا، إذ كان يؤكد على أن المجيء الثاني ليسوع المسيح قد صار وشيكا على الأبواب، وكان يذكر أنه ربما يكون قد جاء فعلا، ولعله كان موجودا بين ظهرانيهم. وبهذه المواعظ هيأ عقول أعضاء الكنيسة لقبول هنري جيمس برنس، باعتباره الشخص الأول الذي جاء يمهد لقرب نزول يسوع المسيح، وأخيرا ذكر أنه هو بنفسه يسوع المسيح، وقد نزل من السماء وأنه هو الرب الذي يقف أمامهم.

ولما وصلت أنباء دعوى بيجوت إلى الهند، كتب إليه على الفور الدكتور المفتي محمد صادق.. وهو أحد صحابة سيدنا أحمد المسيح الموعود عليه السلام، كما كان أيضا أوّل الدعاة الإسلاميين الذين أرسلتهم الجماعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدعوة إلى الإسلام، وكان يجيد اللغة الإنجليزية.. فكتب يدعو بيجوت إلى الإيمان بالمسيح الحقيقي الذي أرسله الله تعالى، والذي ظهر في قاديان بالهند من بين أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن مستر بيجوت أهمل الخطاب ولم يهتم بالرد عليه، واستمر في دعاويه الكاذبة مدّعيا أنه هو الرب يسوع المسيح.

وحينئذ أعلن المسيح الموعود عليه السلام تحدّيا سافرا لمستر بيجوت، وذكر أنه إذا

قبل مستر بيجوت التحدي فإن الله تعالى سوف يُنـــزل عليه عقابه، وسوف يكشف كذبه وادعاءه. وقد نشرت صحيفة صنداي سيركل Sunday Circle الصادرة في ١٤ فبراير (شباط) التحدي الذي وجهه المسيح الموعود ؑ إلى مستر بيجوت في هذه الكلمات:

"... ثم تبع ذلك التحذير الشديد الذي وجهه مرزا غلام أحمد، والذي ذكر فيه: إن تبجح مستر بيجوت قد أثار غيرة الله، وإن دعوى بيجوت الكاذبة تعتبر إهانة لصفات الله، إذ إنه وهو إنسان ضعيف عاجز، يجعل من نفسه رب القدرة وإله السماوات والأرض. ولذلك فإن ربي وإلهي الذي هو الإله الحق، قد أمرني أن أحذره من العقاب الذي ينتظره. فإذا لم يرجع عن هذا الادعاء المهين، فإنه سرعان ما يواجه المهانة التي سوف تقضي عليه أثناء حياتي بعذاب شديد يحل عليه من عند الله تعالى، ولن يكون هذا العذاب على يد إنسان. إن هذا الإنذار من الله تعالى الذي هو رب السماوات والأرض، فإن غيرته ستدمر ذلك المدّعي، وذلك حتى لا يُدنس أحد الأرض مرة أخرى بمثل هذه الادعاءات والتطاولات الباطلة."

ولكن بيجوت لم يرد بتاتا على هذا التحذير، ولم يقم ليتصدَّى لهذا التحدي، بل التزم الصمت المطبق، ولم يتفوّه بأية كلمة أخرى عن ربوبيته المزعومة، واختفى من لندن تماما وانزوى في بيته الريفي، وسرعان ما نسيه الناس. وبالتراجع عن دعواه.. فقد أفلت بيجوت من الهلاك المحقق، الذي كان سيقع عليه في حياة سيدنا أحمد ؑ، حسب نص الإنذار الذي وجّهه إليه. ومع هذا فقد حلّ عليه غضبٌ من الله تعالى، فسبّب له مهانة شديدة دمّرته تماما في أواخر حياته، فقد تبين أنه كان يعيش علاقة آثمة ويرتكب الزنى، فطُرد من الكنيسة.

وقد كتب مستر سي.تي.بيكركار في مقال نشره عن "المسيح الكاذب" في

صحيفة الإيفننج نيوز The Evening News الصادرة في أول فبراير (شباط) عام ١٩٥٥، فقال:

"في يوليو (تموز) ١٩٠٤ ذهبت فتاة على جانب كبير من الجمال، اسمها روث آن برايس، لتعيش مع سميث بيجوت وزوجته التي كان تزوجها عام ١٨٨٦. وكانت مس برايس إحدى ثلاث أخوات تركهن أبوهن وترك لهن بعض وسائل المعيشة المريحة. وبعد عام جاءت الأنباء بميلاد طفل في البيت الذي يقيم فيه بيجوت، وكان يُطلق عليه اسم (بيت الحب).

وتشير التقارير والمستندات إلى أنه في ٢٣ يونيو (حزيران) عام ١٩٠٥.. وضعت روث آن برايس مولودا، وكان الأب المسجل هو جون هيو سميث بيجوت ويعمل قسيسا، وقد أطلق على الطفل اسم جلوري، الذي يعني المجد.

وفي ٢٠ أغسطس (آب) عام ١٩٠٨، وضعت الأخت روث.. كما صارت تُعرف في ذلك الوقت.. طفلا آخر، ويذكر الموظف في قسم سجلات بريدج ووتر.. مستر سيدني هوك.. أنه قد استُدعي إلى (بيت الحب) وقام بتسجيل المولود الجديد، باعتبار أن الأب هو جون هيو سميث بيجوت، وقد سُمي الطفل باور، وهو يعني القدرة.

وبعد مولد باور.. اتخذ أسقف منطقة باث وويلز إجراء ضد سميث بيجوت، واتهمه بارتكاب الزنى، وقد أدين مستر بيجوت وطُرد من الكنيسة في مارس (آذار) ١٩٠٩. ثم اتجهت أنظار الرأي العام إلى (بيت الحب)، وتبين أن هناك ما يقرب من مائة امرأة يعشن هناك مع حفنة من الرجال. وبعدها عاش بيجوت في ظروف صعبة من العوز والفاقة في بيت ريفي، وفي وحدة قاتلة، إلى أن مات في شهر مارس عام ١٩٢٧."

ولا يحتاج مقال الصحيفة إلى أي تعليق آخر.

* * *

كان جون ألكسندر دوئي رجلا اسكتلنديا، حيث إنه قد وُلد في أيدنبرج عام ١٨٤٧، وكان قد اتجه إلى الدراسات اللاهوتية في مقتبل عمره. وفي عام ١٨٧٢ ذهب إلى أستراليا كرجل دين إكليركي، وذاعت شهرته هناك لقدرته على شفاء المرضى. وفي عام ١٨٨٨ سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث بدأ في إصدار صحيفة سماها "أوراق الشفاء". وفي عام ١٨٩٦ أنشأ حركة دينية، سماها الفرقة المسيحية الكاثوليكية. ثم في عام ١٩٠١ بدأ في بناء مدينة لتكون المقر الرئيسي لحركته الدينية، وكان ذلك في ولاية إلينوي Illinois في الشمال من مدينة شيكاغو، وسماها مدينة صهيون. وقد أنشأ العديد من المصانع في المنطقة التي تقع فيها المدينة، وصار في واقع الأمر.. الملك غير المتوج لمدينة صهيون. وفي نفس العام أعلن عن نفسه أنه إيليا الثالث.. على اعتبار أن إيليا الأول هو النبي اليهودي الذي جاء لبني إسرائيل، وأن يوحنا المعمدان.. أو يحيى عليه السلام.. هو إيليا الثاني الذي ذكرت التوراة أنه يأتي قبل المسيح، ثم إيليا الثالث الذي أعلن دوئي أن قدومه سيكون قبل نزول المسيح من السماء، وزعم أنه هو ذلك إيليا الثالث.

كان دوئي من ألد أعداء الإسلام.. يفيض قلبه بغضا وكراهية للنبي الأكرم ﷺ، وكثيرا ما عبّر في مناسبات متعددة عن تلك العداوة للإسلام في خطبه وفي كتاباته التي كان ينشرها في جريدته: "أوراق الشفاء". وفي إحدى المناسبات ألقى بنفسه خطابا ضمّنه افتراءات ووصفا مشينا للإسلام حيث قال:

"إنني أتفكر في كذب وزيف افتراءات محمد فينتابني الازدراء والامتعاض. فلو أنني قبلت تلك الافتراءات الكاذبة على أنها حقائق، لكان عليّ أن أؤمن بأن في هذا المجمع العظيم.. بل في واقع الأمر.. في كل مكان على ظهر هذه الأرض التي خلقها الله.. لا توجد امرأة

واحدة لها روح آدمية تبقى بعد الموت. إنه سيكون عليّ أن أقبل أنكن.. معشر النساء.. لستن سوى حيوانات بريّة، يمكن أن يستعملكن الرجل لمدة ساعة أو يوم، مثل الدمية التي يلعب بها الطفل ثم يلقي بها. وعلى هذا.. فأنتن ليس لكُن وجود ولا بعث ولا قيامة، وإن هؤلاء الرجال الذين غلبت عليهم الشهوات الحيوانية.. بعد أن يُشبعوا شهواتهم منكن، فإنكن سوف تمتن ميتة الكلاب. هذه ستكون نهايتكن.. فهذه هي ديانة محمد." (أوراق الشفاء الجزء السابع-العدد الخامس عام ١٩٠٠)

وفي مناسبة أخرى ذكر دوئي:

"إنني أحذر الأقوام المسيحية في أمريكا وفي أوربا أن الإسلام لم يمت بعد، وما زالت فيه قوة كبيرة، فيجب القضاء تماما على الإسلام وعلى المحمدية. إن دمار الإسلام لن يتحقق بمجهودات الكنيسة اللاتينية أو الكنيسة اليونانية الضعيفة." (أوراق الشفاء ٢٥ أغسطس- آب ١٩٠٠)

وقد أثارت تلك الكتابات المتدنية عن الإسلام نفس سيدنا أحمد ، وآلمته الأوصاف البذيئة التي وصف بها دوئي نبيَّ الإسلام ﷺ، ورغبتُه التي كان يكررها باستمرار عن أمانيه لتدمير الإسلام والقضاء على المسلمين. ولذلك فقد قرر الإمام المهدي والمسيح الموعود ، أن يكشف زيفه وخداعه للعالم أجمع، وأن يتصدّى له دفاعا عن الإسلام وعن رسوله الأعظم ﷺ، فأرسل إليه التحدي التالي وكان ذلك في عام ١٩٠٢:

"إنني مندهش لمسلك بعض المبشرين المسيحيين الذين درسوا علوم الفلسفة والطبيعة والفلك وغيرها.. ومع ذلك فإنهم يدعون الناس للإيمان بإنسان ضعيف على أنه إله. وقد ظهر حديثا في الولايات المتحدة الأمريكية، رجل يزعم أنه رسول ليسوع.. واسمه دوئي. وهو يزعم أن يسوع.. باعتبار أنه الرب.. قد أرسله في العالم ليدعو الناس إلى عقيدة أنه لا إله إلا يسوع. ولكن.. أي إله ذلك الذي لم يستطع أن يدفع عن نفسه الأذى؟ لقد ذهب مرة إلى شجرة تين، آملا أن يأكل من

ثمارها، ولم يكن يعلم أنه لا يوجد عليها ثمر. وحين سُئل عن ميعاد يوم القيامة، اعترف بأنه يجهل ذلك. ثم.. إنه صار ملعونا، وهذا يعني أن قلبه قد صار دنسا، وأنه ابتعد عن الله، وأنه قد طُرد من رحمة الله. لقد تسلق صاعدا إلى السماء، لأن الآب كان بعيدا عنه بملايين الأميال، وكان من المستحيل تجاوز هذه المسافة بغير صعوده في السماء بجسده المادي. وما أكثر المتناقضات هنا! فمن ناحية يؤكد على أنه هو والآب واحد، ومن ناحية أخرى يضطر إلى قطع ملايين الأميال لكي يتقابل مع الآب. فإذا كان الآب والابن واحدا، فما وجه الضرورة أن يتكبد الابن مشقة التعب والجهد في رحلة طويلة كهذه؟ إن الآب كان من المفروض أن يكون معه حيثما كان، إذا كان من الصحيح أنه هو والآب واحد. وإذا كان الاثنان واحدًا، فعن يمين من جلس الابن؟

والآن فإننا نتوجه إلى دوئي الذي يؤلّه يسوع، ويزعم أنه رسوله، ويقول إن النبوءة المذكورة في سفر التثنية ١٨: ١٥ قد تحققت في شخصه، وأنه كذلك إيليا وأنه رسول الزمان. إنه لا يدرك أبدا أن إلهه المزيف لم يخطر بتاتا على بال موسى ﷺ، وأن موسى قد حض بني إسرائيل مرارا وتكرارا ألا يؤلهّوا أحدا من المخلوقات، سواء من الإنسان أو الحيوان.. في الأرض أو في السماء. وقد ذكّرهم بأن الله قد خاطبهم، مع أنهم لم يروه بأعينهم، لأن ربهم أكبر وأعظم من أن يكون له شكل أو جسد.

ولكن دوئي نبذ إله موسى، واتخذ إلها له أم وأربعة من الإخوة، وأعلن مكررا في صحيفته أن إلهه يسوع قد أخبره أن كل المسلمين سوف يتم القضاء عليهم، ولن يبق منهم ولا فرد واحد.. عدا أولئك الذين يتخذون ابن مريم إلها، ويقبلون دوئي رسولا لهذا الإله المزيف.

إن لدينا رسالة لدوئي.. إن عليه ألا يشغل نفسه كثيرا بالقضاء على جميع المسلمين، فكيف يمكن لهم أن يتخذوا الابن المتواضع لامرأة

مسكينة إلها لهم، خاصة وأنه.. في هذا العصر.. قد تم اكتشاف القبر المدفون فيه إله دوئي في هذه البلاد، وإن المسيح الموعود موجود بينهم.. وهو المسيح الذي كان من المرتقب ظهوره في نهاية الألف السادس وبداية الألف السابع.. والذي تجلت لظهوره العديد من الآيات والعلامات؟ إن ادّعاء دوئي بأن جميع المسلمين سوف يُقضَى عليهم.. ولن ينجو منهم سوى أولئك الذين يتخذون يسوع إلها ودوئي رسولا لهذا الإله.. إنما يُشكل خطرا حتى بالنسبة للمسيحيين الآخرين، الذين يؤمنون بابن مريم كإله، ولكن لا يؤمنون بذلك الرسول المزيف. لقد أعلن دوئي بكل وضوح في الوحي الذي يزعم أنه تلقاه من إلهه، أنه ليس كافيا أن يقبل الناس يسوع كإله، إلا إذا قبلوا دوئي أيضا على أنه إيليا، وأنه رسول الزمان حسب النبوءة المذكورة في سفر تثنية ١٨: ١٥، فهم لن ينالوا النجاة إلا إذا أقرّوا بكل هذا، وإلا فسيصيبهم أيضا الهلاك. وعلى ذلك.. فإن على جميع مسيحيي أوربا وأمريكا، أن يسرعوا بقبول دوئي حتى لا يصيبهم الهلاك. وحيث إنهم قد قبلوا عقيدة سفيهة.. وهي عقيدة ألوهية يسوع، فليس من الصعب عليهم أن يقبلوا عقيدة سفيهة أخرى، وهي أن دوئي رسول لهذا الإله.

أما فيما يختص بالمسلمين.. فنود أن نبين بكل احترام لمستر دوئي، أنه لا داعي مطلقا لتنفيذ وعيده بالقضاء على ملايين المسلمين، فهناك وسيلة بسيطة وسهلة لتقرير ما إذا كان إله دوئي أو إلهنا هو الإله الحق. وهذه الوسيلة هي أنه لا داعي لمستر دوئي أن يكرر مرارا وتكرارا نبوءاته الخاصة بالقضاء على جميع المسلمين، ولكن عليه أن يجعلني أنا وحدي في اعتباره، وأن يصلي ويدعو أن من كان من بيننا نحن الاثنين كاذبا فليمت قبل الآخر. إن دوئي يؤمن بعيسى على أنه إله وأنا أعتبره عبدا ضعيفا ونبي الله. فالقضية إذن هي: من الذي على الحق من بيننا نحن الاثنين؟ إن على مستر دوئي أن ينشر هذا الدعاء، الذي يجب أن يُصدّق عليه على الأقل ألفٌ من الأشخاص. وحين

تصلني نسخة الصحيفة التي نشر فيها هذا الدعاء، فإنني أيضا سوف أدعو الله وسوف أجمع شهادة ألف من الأشخاص على هذا الدعاء إن شاء الله. وأنا على يقين أننا إذا اتبعنا هذه الوسيلة فإن هذا سوف يفتح الطريق أمام مستر دوئي.. وكل المسيحيين.. لمعرفة الحق.

إنني لم أكن البادئ باقتراح هذا الدعاء. إن مستر دوئي بإعلاناته المتكررة، قد وضع نفسه في هذا الموقف، وإن الله الغيور الذي يرى كل هذا، قد حثني على هذا التصدي. ويجب أن يوضع في الاعتبار أنني لست مجرد مواطن عادي من مواطني هذا البلد.. بل إنني أنا المسيح الموعود الذي ينتظره مستر دوئي. والفرق الوحيد هو أن مستر دوئي يقول إن المسيح الموعود سوف يظهر خلال خمسة وعشرين عاما، وأنا أعلن أنه قد ظهر فعلا وأنني هو ذلك المنتظر. إن المئات من الآيات قد تجلت لتأييدي في الأرض وفي السماء، وقد وصل تعداد أفراد جماعتي إلى ما يقرب من مائة ألف ويزداد عددهم باطراد مستمر.

إن مستر دوئي يفخر بأنه قد شفى الآلاف من المرضى باستخدام قدراته الخاصة، ونحن نسأل: لماذا إذن لم يستطع أن يشفي ابنته، وتركها تموت وراح ينعي فقدها؟ ولماذا لم يكن في استطاعته أن يشفي زوجة أحد أتباعه، التي كانت في آلام شديدة أثناء عملية الولادة، واستُدعي دوئي ليكون بجانبها ولكنها ماتت؟ إنه من المعروف أن المئات من الناس هنا في هذا البلد يمارسون فن شفاء بعض المرضى، والكثير منهم قد صاروا خبراء في هذا الفن، ومع ذلك فإن أحدا لا يعترف بأنهم يتمتعون بقوى روحانية خاصة. لهذا فإنه من المدهش أن يقع الأمريكيون السذج في شراك مستر دوئي. هل لأنهم يحملون وزر تأليه يسوع بغير داع.. حتى إنهم حملوا أيضا هذا الوزر الثاني؟

إذا كان مستر دوئي محقا في ادعائه، وكان يسوع هو الإله فعلا.. فإن هذا الأمر يمكن أن يتقرر بموت شخص واحد فقط، ولا داعي للقضاء

على جميع المسلمين في كل أنحاء الأرض. ولكن إذا لم يرد مستر دوئي على هذه الرسالة، ويتقدم بدعائه كما كان يفخر بذلك دائما.. ثم أزاحه الله من هذا العالم قبل موتي.. فإن هذه ستكون آية بيّنة لكل أهل أمريكا. والشرط الوحيد هو ألا يتم موت أحدنا بفعل فاعل من البشر، ولكن يتم الموت بسبب المرض، أو عن طريق صعق البرق، أو بعضّة ثعبان سام، أو بافتراس وحش كاسر. وإنني أعطي مستر دوئي فترة ثلاثة أشهر، ليقرر رأيه عما إذا كان يوافق على طلبي، وأرجو أن يكون من الصادقين.

إن الأسلوب الذي أقترحه هو أن ينْزل مستر دوئي أمامي في ساحة الميدان بإذن إلهه المزيف. إنني رجل قد ناهزت السادسة والستين من عمري، وإنني أعاني من مرض السكر والدوسنطاريا والصداع المزمن وفقر الدم. ولكني أدرك أن حياتي لا تتوقف على حالتي الصحية، ولكنها تتوقف على أمر ربّي الله. وإذا كان إله مستر دوئي المزيف يتمتع بأي قدرة.. فإنه بغير شك سوف يمكنه من الفوز عليّ. وإذا أمكن.. بدلا من القضاء على المسلمين.. تحقيق الغرض الذي يسعى إليه مستر دوئي بتحقيق موتي.. فإنه يكون بذلك قد حقق آية عظيمة، يترتب عليها أن الملايين من الناس سوف يؤمنون بيسوع على أنه إله، ويؤمنون أيضا بدوئي على أنه رسوله. وإنني أؤكد له على أنه إذا كان من الممكن أن نضع كل الازدراء الذي يشعر به مسلمو العالم تجاه إله المسيحية في كفة من كفتي ميزان، ويوضع في الكفة الأخرى الازدراء الذي أشعر أنا به، فإن كفتي سترجح على كفة جميع مسلمي العالم. والحق هو أن عيسى بن مريم عليه السلام هو مني وأنا من عند الله تعالى. ألا بورك من عرفني.. وما أتعس ذلك الإنسان الذي حُجبتُ عن عينيه." (مجلة مقارنة الأديان -أردو- الجزء الأول عدد ٩ ص٣٤٢ إلى ٣٤٨)

لقد أثار هذا التحدي الذي أعلنه المسيح الموعود عليه السلام دويّا هائلا في

الصحافة الأمريكية، وذلك للمكانة الكبيرة التي كان يشغلها دكتور ألكسندر دوئي في المجتمع الأمريكي. وقد تحدثت عنه الصحف الأمريكية حتى إن بعض الصحف والمجلات نشرت ملخصا وافيا لنص كلمات المسيح الموعود عليه السلام. وكان من بين تلك الصحف والمجلات جريدة ليتراري دايجست Literary Digest في عددها الصادر بتاريخ ٢ يونيو (حزيران) ١٩٠٣، وبرلنجتون فري برس Burlington Free Press بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٠٣، وجريدة الكومرشال أدفرتيزر التي تصدر في نيويورك The New York Commercial Advertiser بتاريخ ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٠٣.

أما جريدة الأرجونوت The Argonaut التي تصدر في سان فرانسيسكو في عددها الصادر أول ديسمبر (كانون الأول) ١٩٠٢ فقد نشرت ملخصا للتحدي تحت عنوان: "مسابقة بين الدعاء العربي والإنجليزي"، وأنهت مقالها بما يلي:

"وباختصار فإن مرزا قد كتب إلى دوئي يقول: إنك زعيم فرقة كبيرة، وأنا أيضا لي أتباع عديدون، ومن السهل الوصول إلى قرار يثبت من منا على الحق، وعلى كل منا أن يدعو الله أن يُهلك الكاذب، ويتوفاه أثناء حياة الصادق. ومن يُستجاب دعاؤه يُعتبر من عند الإله الحق". ثم علقت الجريدة قائلة: "إن هذا الأسلوب في واقع الأمر أسلوب معقول جدا وعادل".

ولم تصدر عن دوئي أية إجابة أو استجابة لتحدي سيدنا أحمد عليه السلام، ولكنه أعلن في "أوراق الشفاء" في ١٤ فبراير (شباط) ١٩٠٣:

"إنني أدعو الرب أن يتم في القريب العاجل القضاء على الإسلام حتى يختفي من العالم. استجب يا إلهي لدعائي هذا.. يا رب اقض على الإسلام."

وفي الثالث والعشرين من أغسطس (آب) من نفس العام نشر المسيح

الموعود عليه السلام، رسالة أخرى موجهة إلى مستر دوئي قال فيها:

"إنني لا أدّعي من تلقاء نفسي أنني أنا المسيح الموعود، ولكن الله الذي خلق السماوات والأرض يشهد لي. وقد أظهر.. ولا يزال يُظهر لي.. مئات من الآيات لتأييدي. إنني أقول بكل الحق إن فضله تعالى عليّ، قد زاد أضعافا مضاعفة عن ذلك الفضل الذي أضفاه على المسيح الذي ظهر من قبلي، وقد تجلت سمات وجهه ﷺ في مرآة نفسي، أكثر مما تجلت في مرآة المسيح. وإذا كنت أقول هذا الكلام من عند نفسي فإني أكون من الكاذبين. إنه سبحانه هو الذي يشهد لي، ولا يستطيع أحد أن يصمني بالكذب. إن لي آلافا من الآيات من لدنه تعالى، التي تشهد لي ولا أستطيع عدّها.... وإحدى هذه الآيات هي أنه إذا قبل مستر دوئي التحدي الذي وجهته إليه، ووضع نفسه في مواجهتي، سواء كان ذلك بشكل صريح أو ضمني، فإنه سوف يُغادر هذه الحياة في ألم شديد وعذاب أليم أثناء حياتي.

إن دوئي لم يُعلن حتى الآن موقفه من التحدي الذي وجهته له، ولم يذكر عنه شيئا في جريدته. لذلك فإني أعطيه سبعة شهور بدءا من هذا اليوم ٢٣ أغسطس ١٩٠٣، فإذا ظهر خلال هذه الفترة في موقف معادٍ، ونشر إعلانا في جريدته بأنه قد قبل تماما الخطة التي تقدمت بها، فإن العالم سرعان ما يُشاهد نهاية هذا النّزال. إنني أقترب من السبعين من العمر، وأما دوئي فهو حسب كلامه الذي ذكره بنفسه أقرب إلى الخمسين، ولكنني لا أبالي بهذا الفرق الكبير في العمر بيننا، فإن الأمر لا يتقرر على أساس العمر. إن الأمر كله بين يدي الله تعالى، الذي هو رب السماوات والأرض وهو خير الحاكمين. وإذا تهرّب مستر دوئي من هذا النّزال، فإني أدعو شعوب أمريكا وأوربا ليكونوا شهداء على أن ذلك التهرب يُعد هزيمة له، وفي هذه الحالة يمكن استنباط أن دعواه بأنه إيليا ليست سوى ادعاء زائف وخداع. إنه قد يحاول الهروب من الموت بهذه الحيلة، ولكن عليه أن يدرك أن

هروبه هذا من التحدي، هو في حقيقة الأمر نوع من الموت. وعلى هذا.. كن على يقين بأن الكارثة سوف تحل بكل تأكيد على مدينة صهيون في القريب العاجل."

وأخيرا.. أعلن مستر دوئي في صحيفته "أوراق الشفاء" في شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٠٣:

"يوجد في الهند مسيح محمدي يكتب لي دوما أن يسوع المسيح مدفون في قبر بكشمير، ويسألني الناس لماذا لا أرد عليه الرد المناسب؟ فهل تظنون أن عليّ أن أرد على تلك الحشرات والهوام؟ إنني إذا مددت قدمي سوف أقتلها سحقا. وفي الحقيقة إنني أعطيها الفرصة لكي تطير بعيدا وتتمتع بالحياة."

وبهذا الإعلان الذي نشره دوئي تحددت القضية بينه وبين سيدنا أحمد عليه السلام. وبدءا من تلك اللحظة.. بدأ نجم دوئي البراق في الأفول، وأخذ يعاني من انهيار مستمر في كل شؤونه، وبدأت أحواله الصحية تتدهور وتنتابه الأمراض، كما بدأ أتباعه تساورهم الشكوك فيه، وأخذوا يتساءلون عن حقيقة ادعاءاته، ثم بدأ يواجه المشاكل والمصاعب المالية. وفي عام ١٩٠٥ أصيب بشلل جعله عاجزا عن الحركة، وكان ذلك في قدمه التي ادّعى أنه إذا مدّها فإنه سيسحق بها المسيح الموعود. وقد أوصاه الطبيب المعالج أن ينتقل إلى مكان أكثر دفئا، فأخذوه إلى المكسيك ثم بعد ذلك إلى جاميكا. فترك أمور مدينة صهيون في يد أحد الأشخاص الذين عيّنهم لذلك، ولكن هذا الشخص سرعان ما انقلب ضده. كذلك فقد هجرته زوجته، وتخلى عنه أولاده، واتُّهم بأنه كان على علاقات مشينة تنافي الأخلاق. واستمر دوئي يعاني من تلك الآلام والكوارث والمصائب، التي انصبّت على رأسه وانهالت عليه من كل صوب، إلى أن لفظ آخر أنفاسه وهو مشلول وفي حالة مزرية في ٩ مارس (آذار) عام ١٩٠٧. وبذلك فقد تحققت نبوءة سيدنا احمد المسيح الموعود

الطَيْكِلاً.

وقد كتبت صحيفة دنفيل جازيت Danville Gazette التي صدرت في ٧ يونيو (حزيران) عام ١٩٠٧ تقول:

"لقد تنبأ الرجل القادياني بأنه إذا قبل دوئي التحدي، فسوف يغادر هذا العالم أمام عينيه مثقلا بالهموم والآلام. وإذا تجنب دوئي قبول التحدي، فقد قال المرزا إن النهاية ستؤجل بعض الوقت فقط، ولكن الموت ينتظره على أي حال، وستحل الكارثة بمدينة صهيون. لقد كانت هذه هي النبوءة العظمى: إن صهيون سوف تسقط وسوف يموت دوئي قبل أحمد."

وعلقت صحيفة هيرالد أوف بوستن Herald of Boston في عددها الصادر في ٢٣ يونيو (حزيران) عام ١٩٠٧ فقالت:

"لقد مات دوئي موتا مزريا، بينما تتمزق مدينة صهيون بسبب المنازعات الداخلية."

وهكذا.. مات دوئي شر ميتة.. ودفنوه في أرض مهجورة، فراح في طيّ النسيان. وقد كان من الممكن أن يزول اسم دوئي، وينتهي ذكره تماما من هذه الدنيا، ولكن في تلك الحالة سيكون من الصعب التحقق من صدق نبوءة سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود الطَيْكِلاً. وقد حدث مؤخرا أن أراد مجلس بلدية مدينة صهيون الاحتفال بذكرى إنشاء المدينة، فراحوا يبحثون في السجلات القديمة عمن أنشأها، ولما عرفوا أنه دكتور ألكسندر دوئي.. راحوا يتتبعون السجلات ليتعرفوا على المكان الذي دُفن فيه، وأخيرا اهتدوا إلى مكان قبره. و لم يكن عليه ما يدل على أن دوئي مدفون هناك، فأقاموا شاهدا على القبر كتبوا عليه اسم دوئي. وقد حدث أن زار كاتب هذه السطور مدينة صهيون في عام ١٩٧٣ أثناء حضوره الاجتماع السنوي للجماعة الإسلامية الأحمدية التي أنشأها المسيح الموعود الطَيْكِلاً، وكان ذلك في مدينة ليك فورست Lake Forest في ولاية إلينوي Illinois وهي تقع على مسافة

غير بعيدة من مدينة صهيون، وقد رأى الشاهد المقام فوق القبر، وكان واضحا أنه قد أقيم حديثا.

لقد انتهى ذكر دوئي من العالم، ولم يبق اسمه إلا في السجلات القديمة، وفي بعض كتب الجماعة الإسلامية الأحمدية، التي تتحدث عن تلك الآية العظيمة، والتي أظهرها الله تعالى للدلالة على صدق عبده المسيح الموعود ، تماما كما حفظ القرآن الكريم اسم أبي لهب، ليكون عبرة لمن يتجاسر على معارضة رسل الله وأنبيائه. ولقد انتهت كذلك الحركة التي أنشأها دوئي واندثرت جماعته، فليس لها وجود الآن في أي مكان من العالم، ولا حتى في الولايات المتحدة الأمريكية. أما جماعة الإمام المهدي والمسيح الموعود ، فقد انتشرت في جميع أنحاء العالم، وفي الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، بل وأقامت لها مركزا في نفس مدينة صهيون. فما أعظم ذلك من برهان يقيني على صدق سيدنا أحمد ، وما أعظم ربه الذي أوضح لكل من له عينان أنه حقا رب السماوات والأرض، وعالم الغيب والشهادة.. هو الإله الواحد الأحد.. الذي لم يتخذ صاحبة ولا كان له ولد.. ولم يكن له كفوا أحد. فالحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم أعداء الإسلام وحده.

وقد ذكر سيدنا أحمد ، بأسلوبه العربي الشيّق، ما وقع بينه وبين دوئي، فكتب يقول:

"اعلموا، رحمكم الله، أن من نموذج نصرته تعالى، ومن شهاداته على صدقي، آية أظهرها الله تعالى لتأييدي، بإهلاك رجل اسمه "دوئي". وتفصيل هذه الآية الجليلة، والمعجزة العظيمة، أنّ رجلاً مسمّى بـــ "دوئي"، كان في أمريكة من النصارى المتموّلين، والقسيسين المتكبّرين. وكان معه زهاء مائةِ ألفٍ من المريدين، وكانوا يُطيعونه كالعباد والإماء على منهج اليسوعيّين.

وكان كثير الشهرة في قومه وغير قومه، حتى طَبّق الآفاقَ ذكرُه، وسخّر فوجًا من النصارى سِحْرُه. وكان يدَّعي الرسالة والنبوّة، مع إقرار ألوهيّة ابن مريم، ويسبّ ويشتم رسولنا الأكرم، وكان يدَّعي مقامات فائقة ومراتب عالية، ويحسب نفسه من كلّ نفس أشرفَ وأعظم. وكان يزيد يومًا فيومًا في المالِ والشهرة والتابعين، وكان يعيش كالملوك بعد ما كان كالشحّاذين. فالناظر من المسلمين في ترقّياته، مع افترائه وتقوُّله، إن كان ضعيفًا.. ضلّ وحارَ، وإن كان عَرِيفًا.. لم يأمَن العثارَ. وذلك أنه كان عدوّ الإسلام، وكان يسبّ نبيَّنا خيرَ الأنام، ثمّ مع ذلك صعد في الشهرة والتموّل إلى أعلى المقام، وكان يقول إني سأقتل كلّ من كان من المسلمين، ولا أترك نفسًا من الموحّدين المؤمنين.

وكان من الذين يقولون ما لا يفعلون، وعلا في الأرض كفرعون ونسي المنون. وكان يجعل النهارَ لنهب أموال الناس، والليلَ للكاس، واجتمع إليه جهّال اليسوعيين، وسفهاء المسيحيين، فما زالوا يتعاطون أقداح الضلالة، ويصدّقون من جهلهم دعوى الرسالة. وكان هو عَبْدَ الدنيا لا كَحُرٍّ، وكصدفٍ بلا دُرٍّ، ومع ذلك كان شيطانَ زمانه، وقرينَ شيطانه، ولكن الله مهَّله إلى وقتٍ دعوتُه للمباهلة، ودعوتُ عليه في حضرة العزّة.

وكنتُ أجدُ فيه ريح الشيطان، ورأيت أنه صريع الطاغوت وعدوّ عباد الرحمن، نجّس الأرض ونجّس أنفاس أهلها من أنواع خباثة الهذيان، وما رأيتُ كمثله عمِّيتًا ولا عِفريتًا في هذا الزمان. كان مجنونَ التثليث، وعدوَّ التوحيد، ومصرًّا على الدين الخبيث، وكان ينظر مضرّاتِه كحسنةٍ، ومعرّاتِه كأسباب راحة.

واجتمع الجهّال عليه من الأُمراء وأهل الثروة، ونصروه بمالٍ لا يوجد إلا في خزائن الملوك وأرباب السلطنة. وكان يساق إليه قناطيرُ الدولة، حتى قيل إنّه ملك ويعيش كالملوك بالشأن والشوكة. ولما بلغت دولته منتهاها، تبع نفسَه

الأمّارة وما زكّاها. وادّعى الرسالة والنبوّة من إغواء الشيطان، وما تحامى عن الافتراء والكذب والبهتان. وظنّ أنه أمرٌ لا يُسأل عنه، ويُزجّي حياته في التنعّم والرفاهة، ويزيد في العظمة والنباهة، بل سلك معه طريقَ الكبر والنخوة، وما خاف عذاب حضرة العزّة. ولا شكّ أنّ المفتري يؤخذ في مآل أمره ويُمنع من الصعود، وتفترسه غيرة الله كالأُسُود، ويرى يوم الهلاك والدمار الموعود في كتاب الله العزيز الودُود. إن الذين يفترون على الله ويتقوّلون، لا يعيشون إلا قليلاً ثم يؤخذون، وتتبعهم لعنة الله في هذه وفي الآخرة، ويذوقون الهوان والخزي ولا يُكرَمون. ألم يبلغك ما كان مآل المفترين في الأوّلين؟ وإن الله لا يخاف عقبى المتقوّلين، ويهزّ لهم حُسامه، فيجعلهم من الممزَّقين.

ولما اقترب يوم هلاكه دعوتُه للمباهلة، وكتبتُ إليه أن دعواك باطلٌ ولستَ إلا كذّابًا مفتريًا لجيفةِ الدنيا الدنيّة، وليس عيسى إلا نبيًّا، ولستَ إلا متقوّلاً، ومن العامّة والفِرق الضالّة المضلّة. فاخْشَ الذي يرى كذبك، وإني أدعوك إلى الإسلام والدين الحقّ والتوبة إلى الله ذي الجبروت والعزّة. فإن تولّيتَ وأَعْرضتَ عن هذه الدعوة، فتعالَ نباهلْ ونجعلْ لعنة الله على الذي ترك الحقّ، وادّعى الرسالة والنبوّة على طريق الفِرية. وإن الله يفتح بيني وبينك، ويهلك الكاذب في زمن حياة الصادق، ليعلم الناس مَنْ صدق ومَنْ كذب، ولينقطع النـــزاع بعد هذه الفيصلة.

ووالله، إني أنا المسيح الموعود الذي وُعد مجيئه في آخر الزمن وأيام شيوع الضلالة. وإنّ عيسى قد ماتَ، وإن مذهب التثليث باطل، وإنك تفتري على الله في دعوى النبوّة. والنبوّة قد انقطعت بعد نبيّناﷺ ، ولا كتاب بعد الفرقان الذي هو خير الصحف السابقة، ولا شريعة بعد الشريعة المحمديّة، بَيْدَ أني سُمّيتُ نبيًّا على لسان خير البريّة، وذلك أمر ظلّي مِنْ بركات المتابعة، وما أرى في نفسي خيرًا، ووجدتُ كُلّ ما وجدت من هذه النفس المقدّسة. وما

عني الله من نبوّتي إلا كثرة المكالمة والمخاطبة، ولعنة الله على من أراد فوق ذلك، أو حسب نفسه شيئًا، أو أخرج عنقه من الرِّبْقة النبويّة. وإن رسولنا خاتم النبيين، وعليه انقطعتْ سلسلة المرسلين. فليس حقّ أحد أن يدّعي النبوّة بعد رسولنا المصطفى على الطريقة المستقلّة، وما بقي بعده إلا كثرة المكالمة، وهو بشرط الاتّباع لا بغير متابعة خير البريّة. ووالله، ما حصل لي هذا المقام إلا من أنوار اتّباع الأشعّة المصطفوية، وسُمِّيتُ نبيّا من الله على طريق المجاز لا على وجه الحقيقة. فلا تهيج ههنا غيرة الله ولا غيرة رسوله، فإني أُربَّى تحت جناح النبيّ، وقدمي هذه تحت الأقدام النبويّة. ثم ما قلتُ من نفسي شيئًا، بل اتّبعتُ ما أُوحي إليّ من ربّي. وما أخاف بعد ذلك تهديد الخليقة، وكلّ أحدٍ يُسأل عن عمله يوم القيامة، ولا يخفى على الله خافية.

وقُلتُ لذلك المفتري.. إن كنتَ لا تباهل بعد هذه الدَّعْوة، ومع ذلك لا تتوب مما تفتري على الله بادّعاء النبوّة، فلا تحسبْ أنك تنجو بهذه الحيلة، بل الله يهلكك بعذابٍ شديد مع الذلّة الشديدة، ويخزيك ويذيقك جزاء الفرية.

وكان يراقب موتي وأراقب موته، وكنتُ أتوكّل على الله ناصر الحقّ وحامي هذه الملّة.

ثم أشعتُ ما كتبتُ إليه في ممالك أمريكة إشاعةً تامّةً كاملةً، حتى أُشيعَ ما كتبت إليه في أكثر جرائد أمريكة، وأظنّ أنّ ألوفا من الجرائد أشاعتْ هذا التبليغ، وبلغت الإشاعة إلى عدّة ما أستطيع أن أُحصيها، وليس في القرطاس سعة أنْ أُمْليها. وأمّا ما أُرْسِلَ إليّ من جرائد أمريكة التي فيها ذكرُ دعوتي وذكر المباهلة وذكر دعائي على "دوئي" لطلب الفيصلة، فرأيتُ أن أكتب في الحاشية أسماء بعضها، ليعلم الناس أنّ هذا الأمر ما كان مكتومًا مخفيًّا، بل أشيع في مشارق الأرض ومغاربها، وفي أقطار الدنيا وأعطافها كلّها، شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا. وكان سبب هذه الإشاعة أنّ "دوئي" كان كالملوك

العظام في الشهرة، وما كان رجل في أمريكة ولا في يورُب من الأكابر والأصاغر إلا كان يعرفه بالمعرفة التامّة. وكانت له عظمة ونباهة كالسلاطين في أَعْيُن أهل تلك البلاد، ومع ذلك كان كثير السياحة، يصطاد الناس بوعظه كالصياد. فلذلك ما أبى أحدٌ من أهل الجرايد أن يطبع ما أُرْسل إليه في أمره من مسألة المباهلة، بل ساقهم حرص رؤية مآل المصارعة إلى الطبع والإشاعة. والجرائد التي طُبعتْ فيها مسألة مباهلتي ودُعائي على "دوئي" هي كثيرة من جرائد أمريكة، ولكنّا نذكر على طريق النموذج شيئًا منها في حاشيتنا هذه:*

* (١) شكاكو إنتربريتر– ٨ جون سنة ١٩٠٣م:
ترجمة خلاصة مضمونها: إن الميرزا غلام أحمد رجل من الفنجاب، وهو يدعو "دوئي" للمباهلة. أيظنّ أنه يخرج في هذا الميدان؟ وإن الميرزا يكتب أن "دوئي" مفتر كذّاب في دعوى النبوّة، وإني أدعو الله أن يهلكه ويستأصله كلّ الاستئصال. ويقول: إني على الحقّ، وإن دوئي على الباطل، فالله يحكم بيننا بأنه يهلك الكاذب، ويستأصله في حين حياة الصادق. وإن الميرزا غلام أحمد يقول: إني أنا المسيح الموعود، وإن الحقّ في الإسلام.
(٢) تيليكراف – ٥ جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق بما سبق بأدنى تغيّر الألفاظ.
(٣) أركونات سان فرانسسكو – واحد دسمبر سنة ١٩٠٢م:
مطابق بما سبق بأدنى تغيّر الألفاظ، ومع ذلك قال: إن هذا الطريق طريق معقول ومبنيّ على الإنصاف. ولا شكّ أنّ الرجل الذي يستجاب دعاؤه فهو على الحقّ من غير شبهةٍ.
(٤) لتريري دايجست نيويارك – ٢٠ جون سنة ١٩٠٣م:
ذكر مفصّلا كلّ ما دعوت به "دوئي" للمباهلة، وطبع عكْس صورتي وصورته، والباقي مطابق بما سبق.
(٥) نيويارك ميل أيند أيكسبريس – ٢٨ جون سنة ١٩٠٣م:
عنوان ذكره: "مباهلة المدّعيين"، وذكر دعائي على "دوئي"، ثم ذكر أن الأمر الفيصل هلاك الكاذب في حين حياة الصادق. والباقي مطابق بما سبق.
(٦) هيرلد روتشستر – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: ذكر أن "دوئي" دُعي للمباهلة، ثم ذكر تفصيلا ما سبق من البيان.
(٧) ريكارد بوستن – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٨) أيدورتائيزر – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٩) بايلات بوستن – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م: ذكرني وذكر "دوئي"، ثم ذكر دعاء المباهلة.
(١٠) باث فايندر واشنغتن – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م : ذكر كمثل ما سبق.

وخلاصة الكلام أنّ "دوئي" كان شرّ النّاس، وملعون القلب، ومثيل الخنّاس، وكان عدوّ الإسلام بل أخبث الأعداء، وكان يريد أن يجيح الإسلام حتى لا يبقى اسمه تحت السماء. وقد دعا مرارًا في جريدته الملعونة على أهل الإسلام والملّة الحنيفية، وقال: اللهمّ، أَهْلِكْ المسلمين كلّهم، ولا تُبْقِ منهم فردًا في إقليم من الأقاليم، وأَرِني زوالهم واستيصالهم، وأَشِعْ في الأرض كلّها مذهب

(١١) إنتر أوشن شكاغو – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م: ذكر كمثل ما سبق.

(١٢) ديموكريت كرانيكل روتشستر – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: عنوان ذكره للمباهلة، والباقي مطابق لما سبق.

(١٣) شكاغو: مطابق لما سبق.

(١٤) برلنغتن فري بريس – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(١٥) ووستر سبائي – ٢٨ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(١٦) شكاغو انترأوشن – ٢٨ جون سنة ١٩٠٣م: ذكر دعاء المباهلة.

(١٧) ألبني بريس – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(١٨) جيكسنول تايمز – ٢٨ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(١٩) بالتيمور أمريكن – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٢٠) بفلو تايمز – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٢١) نيويارك ميل – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٢٢) بوستن ريكارد – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٢٣) ديزرت إنجلش نيوز – ٢٧جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٢٤) هيلينا ريكارد – واحد جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٢٥) جروم شاير غزت – ١٧ جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٢٦) نونيتن كرانيكل – ١٧جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٢٧) هيوستن كرانيكل – ٣ جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٢٨) سونا نيوز – ٢٩جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٢٩) ريتشمند نيوز – واحد جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٣٠) جلاسجو هيرلد – ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٣١) نيويارك كمرشل أيدورتائيزر – ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.

(٣٢) دي مارننغ تيلغراف – ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٣م: ذكر دعاء المباهلة وذكر دوئي. منه.

التثليث وعقيدة الأقانيم. وقال أَرْجُو أَنْ أرى موت المسلمين كلّهم وقَلْعَ دين الإسلام، وهذا أعظم مراداتي في حياتي، وليس لي مراد فوق هذا المرام. وكلّ هذه الكلمات موجودة في جرائده التي موجودة عندنا في اللسان الإنكليزية، ويعلمها من قرأها من غير الشكّ والشبهة. فكفاكَ أيُّها الناظر لتخمين خُبث هذا المفتري هذه الكلماتُ، ولذلك سمّاه النبيّ – صلى الله عليه – خنـــزيرًا بما ساءتْ هذا الخبيثَ الطيّباتُ، وسرّتْه نجاسة الشرك والمفتريات.

وقد عرف الناظرون في كلامه توهين الإسلام فوق كلّ توهين، وشهد الشاهدون على ملعونيّته فوق كل لعين، حتى إنه صار مثلاً بين الناس في الشتم والسبّ، وما كان منتهيًا من المنع والذبّ. وإذا باهلتُه ودعوته للمباهلة، ليَظهَر بموت الكاذب صدقُ الصادق من حضرة العزّة، فقال قائل من أهل أمريكة وطبع كلامه في جريدته، وتكلّم بلطيفةٍ رائقةٍ ونُكتةٍ مضحكةٍ في أمر "دوئي" وسيرته، فكتب أنّ "دوئي" لن يقبل مسألة المُباهلة، إلا بعد تغيير شرائط هذه المصارعة، فيقول: لا أقبل المباهلة، ولكن ناضِلوني في التشاتم والتسابّ، فمن فاق حريـــفه في كثرة السبّ وشدّة الشتم فهو صادق، وحريفه كاذبٌ من غير الارتياب. وهذا قول صاحب جريدةٍ كان تقصَّى أخلاقَه، وجَرّب ما يخرج من لسانه وذاقَه. وكذلك قال كثيرٌ من أهل الجرائد، وإنّهم من أعزّة أهل أمريكة ومن العمائد.

ثم مع ذلك إني جرّبتُ أخلاقه عند مسألة المباهلة، فإذا بلغه مكتوبي غضب غضبًا شديدًا واشتعل من النَّخْوة، وأرى أنيابَ ذياب الأجمة، وقال: ما أرى هذا الرجلَ إلا كبعوضة بل دونها، وما دعتني البعوضة بل دعت منونها. وأشاع هذا القول في جريدته، وكفاك هذا لرؤية كبره ونخوته، فهذا الكبر هو الذي حثّني على الدعاء والابتهال، متوكّلا على الله ذي العزّة والجلال.

وكان هذا الرجل صاحب الدولة العظيمة قبل أن أدعوه إلى المباهلة،

وكنت دعوت عليه ليُهلكه الله بالذلّة والمتربة والحسرة. وإنّه كان قبل دعائي ذا السطوة السلطانية، والقوّة والشوكة، والشهرة الجليلة، التي أحاطت الأرض كالدائرة. وكان صاحب الدُّور المنجّدة، والقصور المُشيّدة. وما رأى داهية في مُدّة عمره، ورأى كلّ يوم زيادة زمره. وكان له حاصلاً ما أمكن في الدنيا من الآلاء والنعماء، وكان لا يعلم ما يوم البأساءِ وما ساعة الضرّاءِ. وكان يلبس الديباج، ويركب الهِمْلاج، وكان يظنّ أنه يرزق عمرًا طويلاً غافلاً من سهم المنايا، وكان يزجّي النهار كالمسجودين والمعبودين والمعظَّمين، ويفترش الحشايا بالعشايا. وإذا أنــزل الله قدره ليُصدّق ما قلتُ في مآل حياته، فانقلبت أيّام عيشه ومسرّاته، وأراه الله دائرة السَّوْء، ولُدغ كلَّ لَــدْغٍ مِن حَيَواته، أعني أفاعي أعماله وسيّآته. فعاد الهِمْلاجُ[1] قَطُوفًا[2]، وانقلب الديباج صوفًا، وهلمّ جرّا. إلى أنه أُخرج من بلدته التي بناها بصرف الخزائن، وحُرّم عليه كلّ ما شَيّد من المقاصر ببذل الدفائن، بل ما كفى الله على هذا، وأنزل عليه جميع قضائه وقدره، وحطّ سائر وجوه شأنه وقدره، وانتقل إلى رجلٍ آخر كلُّ ما كان في قبضته، وجمعتْ غياهبَ البُؤْسِ رياحُ نخوته، حتى يئس من ثروته الأولى، وارتضع من الدهر ثديَ عقيمٍ، وركب من الفقر ظهرَ بهيمٍ. ثمّ أخذه بعض الورثاء كالغرماء، ورأى خِزيًا كثيرًا من الزوجة والأحباب والأبناء، حتى إنّ أباه أشاع في بعض جرائد أمريكة أنه زنيمٌ ولدُ الزنا وليس من نُطفته. وكذلك انتسفتْه رِيَاحُ الإدبار والانقلاب، وكمّل له الدهرُ جميعَ أنواع الذلّة، فصار كرميم في التراب، أو كسليم غَرض التباب، وصار كنكرة لا يُعرف، بعد ما كان بكلّ وجاهة يوصف. وانتشر كلُّ مَن كان معه من الأتباع، وما بقي شيء في يده من النقد والعَقار والضِّياع، وبرز كالبائس

[1] الهِمْلاج: الدابّة الحسنة السير في سرعة وسهولة. منه
[2] القطوف: الدابة الضيقة الخطى البطيئة السير. منه

الفقير، والذليل الحقير. غِيضتْ حياضه، وجَفَّتْ رياضه، وخَلَتْ جفانه، ونُحس مكانه، وطُفِئ مصباحه، ورُفعت صياحه، ونُـــزعت عنه البساتين وعيونها، والخيل ومتونها، وضاق عليه سهلُ الأرض وحُزونها، وعادته الأودية وبطونها، وسُلبت منه الخزائن التي ملك مفاتحها، ورأى حروب العدا ومضائقها. ثم بعد كلّ خزي وذلّة فُلج من الرأس إلى القدم، ليرحّله الفالج من الحياة الخبيث إلى العدم. وكان يُنقل من مكان إلى مكان فوق ركاب الناس، وكان إذا أراد التبرّز يحتاج إلى الحقنة من أيدي الأناس. ثمّ لَحِقَ به الجنون، فغلب عليه الهذيان في الكلمات، والاضطراب في الحركات والسكنات، وكان ذلك آخر المخزيات. ثم أدركه الموت بأنواع الحسرات، وكان موته في تاسع من مارج سنة ١٩٠٧م، وما كانت له نوادب، ولا من يبكي عليه بذكر الحسنات.

وأوحى إليّ ربي قبل أن أسمع خبر موته وقال: إني نَعَيْتُ. إنّ الله مع الصادقين. ففهمت أنه أخبرني بموت عدوّي وعدوّ ديني من المباهلين. فكنتُ بعد هذا الوحي الصريح من المنتظرين، وقد طُبع قبل وقوعه في جريدة "بَدْر" و"الحَكَم" ليزيد عند ظهوره إيمان المؤمنين. فإذا جاء وعد ربّنا مات "دوئي" فجأةً، وزهق الباطل، وعلا الحقّ، فالحمد لله ربّ العالمين.

ووَاللهِ لو أُوتيتُ جَبلاً من الذهب أو الدُّررِ والياقوت ما سرّني قطّ كمثل ما سرّني خبرُ موت هذا المفسد الكذّاب. فهل من مُنصف ينظر إلى هذا الفتح العظيم من الله الوهّاب؟

هذا ما نزل على العدوّ اللئيم، من العذاب الأليم، وأما أنا فحقّق الله كلّ مقصدي بعد المباهلة، وأرى آيات كثيرة لإتمام الحُجّة، وجذب إليّ فوجًا عظيمًا من النفوس البررة، وساق إليّ القناطير المقنطرة من الذهب والفضّة، ورزقني فتحًا عظيمًا على كلّ من باهلني من المبتدعين والكفرة. وأنزل لي

آياتٍ* منيرة، لا أستطيع أَنْ أحصيها، ولا أقدر أن أمليها، فاسألوا أهل

* **الحاشية**: إن الله أخبرني بموت "دوئي" مرارًا، وهي بشارات كثيرة، وكلّها طُبع قبل موته وقبل نزول الآفات عليه في جريدة مسمّى بـــ "بدر" وجريدة أخرى مسمّى بـــ "الحَكَم"، فليرجع الناظر إليهما.
فمنها ما أوحي إليّ في ٢٥ دسمبر سنة ١٩٠٢حكايةً عني وهو هذا:
إني صادق صادق، وسيشهد الله لي.
ومنها ما أوحي إليّ في ٢ فروري سنة ١٩٠٣م وهو هذا: سنعْليك. سأكرمك إكرامًا عجبًا. سمع الدعاء. إنّي مع الأفواج آتيك بغتة. دعاؤك مستجاب.
وأوحي في ٢٦ نومبر سنة ١٩٠٣م: لك الفتح، ولك الغلبة.
وأوحي في ١٧ دسمبر سنة ١٩٠٣م: ترى نصرًا من عند الله. إن الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون.
وأوحي إليّ في ١٢ جون سنة ١٩٠٤م: كتب الله لأغلبنّ أنا ورُسلي. كمثلك دُرّ لا يضاع. لا يأتي عليك يوم الخسران.
وأوحي إليّ في ١٧ دسمبر سنة ١٩٠٥م: قال ربّك إنه نازل من السماء ما يرضيك، رحمةً منّا، وكان أمرًا مقضيّا.
وأوحي إليّ في ٢٠ مارج سنة ١٩٠٦م: المراد حاصلٌ.
وأوحي إليّ في ٩ أبريل سنة ١٩٠٦م: نصر من الله وفتح مبين. ولا يُرَدّ بأسه عن قومٍ يعرضون.
وأوحي إليّ في ١٢ أبريل سنة ١٩٠٦م: أراد الله أن يبعثك مقامًا محمودًا.. يعني مقام عزّة وفتح تحمد فيه.
وأوحي في الهندية (ترجمة): أُري ما ينسخ طاقة الدّير.. يعني أُري آية تكسر قوة دير اليسوعيّين.
وأوحي في الهندية في ٧ جون سنة ١٩٠٦م (ترجمة): تظهر الآيتان. إني أريك ما يرضيك. وأوحي في ٢٠ جنوري سنة ١٩٠٦م: وقالوا لست مرسلا. قل: كفى بالله شهيدًا بَيني وبَينكم، ومَن عنده علم الكتاب.
وأوحي في١٠جولائي سنة ١٩٠٦م (ترجمة الهندي): انظرْ.. إني أمطر لك من السماء، وأنبت من الأرض، وأما أعداؤك فيؤخذون.
وأوحي في ٢٣ أكست سنة ١٩٠٦م (ترجمة الهندي): ستظهر آية في أيام قريبة ليقضي الله بيننا.
وأوحي في ٢٧ ستمبر سنة ١٩٠٦م (ترجمة الهندي): السلام عليك أيها المظفّر. سمع دعاؤك. بلجتْ آياتي، وبشّرِ الذين آمنوا بأن لهم الفتح.
وأوحي في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٠٦م: (ترجمة الهندي): الله عدوّ الكاذب، وإنه يوصله إلى جهنّم. أُغرقتْ سفينة الأذلّ. إن بطش ربّك لشديد.
وأوحي في ١ فروري سنة ١٩٠٧م (ترجمة الهندي): الآية المنيرة، وفتْحنا.
وأوحي في ٧ فروري سنة ١٩٠٧م: العيد الآخر، تنال منه فتحًا عظيمًا. دَعْني أقتلْ من آذاك. إن العذاب مربّع ومدوّرٌ. وإنْ يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ.
وأوحي في سابع مارج سنة ١٩٠٧م: يأتون بنعْشه ملفوفًا. نعيت من سابع مارج إلى آخره: يعني يشاع موت ذلك الرجل إلى هذا الوقت. إن الله مع الصادقين. منه.

أمريكة ما صنع الله "بدوئي" بعد دعائي، وتعالوا أُريكم آيات ربي ومولائي، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المشتهر

الميرزا غلام أحمد المسيح الموعود من مقام قاديان، ضلع كورداسبور،
بنجاب ١٥ أبريل سنة ١٩٠٧م"

ولا يحتاج الأمر إلى تعليق آخر.

* * *

لقد حذّر الإمام المهدي العَلِيْ البشرية جمعاء كما حذّر الغرب من الغضب السماوي القادم الذي سوف يكون في صورة حروب تُسبب دمارا مهولا، وقد أشار إلى الحروب باستعمال لفظ الزلازل، حيث إن لفظ الزلازل أعم وأشمل من لفظ الحروب، فالزلازل تعني الهزات الأرضية كما تعني الحروب أيضا، وذلك كما جاء استخدام ذلك اللفظ في القرآن المجيد:

﴿إِذْ جَآءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَاْ ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾ (الأحزاب:١١-١٢)

فقال الإمام المهدي العَلِيْ ما تعريبه:

"تذكروا.. إن الله قد أخبرني عن وقوع الزلازل بشكل عام، فكونوا على يقين أنه كما هزّت الزلازل أمريكا بحسب النبوءة المذكورة فإنها ضربت أوربا أيضا، ولسوف تهز مناطق مختلفة من آسيا كذلك، وسيكون بعضها نموذجا للقيامة، وسوف يهلك الناس بكثرة حتى تفيض الأنهار من الدماء، بل إن طيور السماء وحيوانات الأرض لن تنجو من الموت القادم. وسوف يعم ظهر الأرض دمار شديد ما وقع عليها منذ خَلْق الإنسان. إن كثيرا من المناطق سوف تُدمّر وتغدو كما لو لم يكن يسكنها أحد من قبل. وسيكون كل هذا مصحوبا بكوارث مرعبة

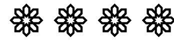
تأتي من الأرض وتنْزل من السماء، حتى إن كل هذه الأمور سوف تبدو غير عادية في نظر كل عاقل، وحتى إن الكتابات العلمية والفلسفية لن تعطي وصفًا لتلك الكوارث المقبلة.

هنالك سوف تطرأ على الناس حالة من الاضطراب فلا يدرون ماذا يمكن أن يحدث. سينجو الكثير، ولكن الكثيرين أيضا سوف يهلكون. إن الأيام قريبة.. بل إني أراها بالوصيد.. حين يرى العالم منظرا مشابها بالقيامة، فلن تقع الزلازل فحسب بل مصائب فظيعة أخرى أيضا سوف تحل بالإنسان.. يقع بعضها من السماء وبعضها من الأرض. كل هذا سوف يحدث لأن البشرية قد تغافلت عن عبادة الإله الحق، وتهافتت على الدنيا بكل قلبها وكل جهدها وكل أفكارها.

إن لم أكن قد أتيت لكان من الممكن أن يتأخر وقوع تلك المصائب بعض الوقت، ولكن بعد مجيئي ظهرت التدابير الخفية لغضب الله تعالى التي كانت خافية منذ أحقاب طويلة، كما يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾. التائبون سوف ينالون الأمان، والذين يخافون قبل (حلول) البلاء سوف يُرحمون. أتظنون أنكم ستأمنون من هذه الزلازل أو تُنقذون أنفسكم بحيلكم؟ كلا! عندما ينــزل بطش الله سوف تبطل المكائد الإنسانية كلها. لا تظنوا أن الزلازل ضربت أمريكا وغيرها وأن بلدكم في مأمن منها. إنني أرى أنكم سوف تواجهون مصيبة أشد منها. يا أهل أوروبا! لستم في مأمن، ويا سكان آسيا لستم أيضا في أمان، ويا سكان الجُزُر! لن يقدر إلهٌ باطلٌ على إسعافكم. إنني أرى المدن تتهدم وأجد العمران خرابًا. إن ذلك الإله الأحد ظل صامتا إلى مدة، ولقد ارتُكِبَتْ المكروهاتُ أمام عينه ولكنه ظل ساكتا، غير أنه سوف يُري الآن وجهه بالجلال، فليسمعْ من كانت لــه أذن واعية أَنَّ ذلك الوقت ليس ببعيد. لقد حاولتُ قصارى جهدي أن أجمع الجميع تحت أمان الله تعالى، ولكن لا بد أن يتحقق ما كان مقدَّرا. إنني أقول صدقا وحقا بأن نوبة هذه البلاد أيضًا قد أوشكت أو

كادت. سوف ترون زمن نوح عليه السلام أمام أعينكم، ولسوف تشاهدون بأم أعينكم أحداثا وقعت على أرض لوط عليه السلام. ولكن الله تعالى بطيء في الغضب. توبوا لتُرحَموا. وإن الذي يهجر الله عز وجل فإنه دُودَةٌ وليس بإنسانٍ، والذي لا يخشى الله فإنه ميِّتٌ وليس بحيٍّ." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية ص٢٦٨-٢٦٩)

لقد كاد القرن أن ينصرم منذ أعلن سيدنا أحمد عليه السلام هذه الكلمات، وقد يكون للناس الذين لم يروا تحققها في زمانه بعض العذر في عدم الإيمان، ولكن المرء يتساءل الآن.. بعد مرور كل هذه السنوات، وبعد أن شاهد الناس تحقق كلمات سيدنا أحمد في حربين عالميتين، وعشرات من الحروب المحلية، حتى بلغ عدد ضحايا هذه الكوارث خلال هذا القرن وحده ما يقرب من.. بل يزيد عن ثلاثمائة مليون نسمة.. ما هو العذر الآن لعدم الإيمان؟



الفصل الثاني عشر

آيات من السماء

الفصل الثاني عشر

آيات من السمــاء

حين يرسل الله تعالى نبيا من الأنبياء، فإنه يؤيّده بالخوارق والمعجزات لكي يوقن الناس في زمنه أنه فعلا نبي مرسل من عند الله. ومهمة الأنبياء السابقين ورسائلهم كلها كانت محدودة زمانًا ومساحةً، أي أنها كانت محصورة في قوم من الأقوام أو قبيلة من القبائل أو بلد من البلدان، كما أنها كانت مؤقتة وليست باقية وخالدة إلى يوم القيامة. فلما بعث الله تعالى سيدَ المرسلين ﷺ بدين الإسلام، قضى سبحانه أن يكون هذا الدين هو الدين الذي لا يحدّه زمن ولا تحصره مساحة، بل هو للناس كافة في كل زمان وفي كل مكان. ولهذا لم يحفظ الله تعالى الأديان السابقة من التغيير والتبديل والتحريف، بينما وعد سبحانه بالحفاظ على الإسلام لأنه الدين الكامل والخاتم والأخير. لذلك نرى أيضا أن المعجزات التي آتاها الله تعالى للأنبياء السابقين جميعا قد اندثرت وضاعت و لم يعد لها أثر. أين سفينة نوح عليه السلام، وأين نار إبراهيم الخليل؟ أين عصا موسى الكليم، وأين أولئك الذين شفاهم المسيح عليه السلام؟ ولكن أعظم المعجزات التي أوتيها رسول الله ﷺ وهي القرآن، لا تزال قائمة وكائنة وموجودة لتكون دليلا على نبوته، ولتقف برهانا ساطعا على صدق رسالته إلى يوم القيامة.

وليس معنى هذا أن رسول الله ﷺ لم يُؤتَ من المعجزات سوى القرآن. نعم.. لو لم يكن لرسول الله أية معجزة أخرى سوى القرآن، لكان هذا كافيًا

لأن يكون دليلا على عظمة شأنه، عند مقارنة القرآن الكريم بمعجزات الأنبياء الآخرين، ومع هذا فقد آتاه الله تعالى ما لا يُحصى من الخوارق والمعجزات. والمعجزة كما ذكرنا تقع من عند الله تعالى تدليلا على صدق نبي بعثه الله، ولهذا فإن من ينتفع بهذه المعجزات، هم أولئك الذين يروها بأعينهم حين وقوعها. وأمّا بعد ذلك.. فإن التابعين يؤمنون بهذه المعجزات لا عن رؤية، ولكن لأنهم سمعوا بها. ولولا أن القرآن قد ذكر سفينة نوح، ونار إبراهيم، وعصا موسى، وشفاء المسيح للأكمه والأبرص، لما آمنّا بهذه المعجزات جميعها.

وحين نقول إن الله تعالى قد آتى رسول الله ما لا يُحصى من الخوارق والمعجزات، فإننا لا نقول ذلك مبالغة ولا تعصّبًا وانحيازًا، وإنما لأنها الحقيقة الواقعة التي نراها بأعيننا. فمن معجزاته ﷺ ما وقع أثناء حياته ورآه معاصروه، بصرف النظر عن إيمان الناس بها أو عدمه، ومنها ما وقع بعد وفاته ورآه التابعون من بعده، ومنها ما لا يزال يقع حتى في عصرنا الحالي.

لقد انشق القمر في عهد رسول الله ﷺ ورآه الناس، سواء كانوا من المؤمنين برسول الله أو من أعدائه من قريش، وذلك حين أشار إلى القمر وقال انظروا.. فشاهد الناس الذين كانوا حاضرين آنذاك انشقاق القمر. لم ينشق القمر بالفعل إلى نصفين.. دخل أحدهما في كُمّ جلباب الرسول وخرج من الكم الآخر كما جاء في بعض الروايات، ولكن الناس الذين كانوا حاضرين في ذلك المكان شاهدوا فعلا أن القمر قد انشق، ولعلهم شاهدوا فعلا أن أحد النصفين قد دخل في كم جلباب الرسول وخرج من الكم الآخر. وليس معنى هذا أن كوكب القمر قد انشق ودخل في كم الرسول، فنحن نعلم أن حجم القمر يساوي ربع حجم الأرض، وبالتالي فإن نصف القمر يساوي ثمن حجم الأرض، فإذا علمنا أن محيط الأرض يزيد عن ٢٤ ألف ميل، وقطرها يقل

قليلا عن ثمانية آلاف ميل، فإن كتلة تساوي ثمن حجم الأرض سوف يبلغ قطرها حوالي ألف ميل ومحيطها حوالي ثلاثة آلاف ميل، ولا يمكن بالطبع لهذه الكتلة الجبارة أن تدخل في كم جلباب الرسول. غير أن هذا لا يمنع أن تكون المجموعة من الأفراد التي كانت في معية رسول الله، قد شاهدت فعلا أن القمر قد انشق كما ذكر القرآن وقوع تلك الظاهرة، والله الذي خلق أولئك الأفراد وأخرجهم من بطون أمهاتهم وأعطاهم القدرة على رؤية الأشياء، والذي جعل موسى يرى العصا كأنها حية تسعى.. لا شك أنه قادر على أن يجعلهم يروا بأعينهم هذه الظاهرة.

ومن معجزات الرسول ﷺ التي تحققت بعد وفاته، ما أخبر به أثناء حفر الخندق حول المدينة، فقد جاء في الروايات أن حجرًا كبيرا اعترض طريق الحفر، فأبلغ المسلمون الأمر إلى رسول الله ﷺ، فضرب الحجر ثلاث ضربات، فانكسر الحجر وأمكن إزاحته من الطريق. والمعجزة في ذلك هي أنه حينما كان يضرب الحجر بمعْوَله تطاير بعض الشرر، كما يحدث عادة في مثل تلك الظروف، ولكن الله تعالى جعل رسوله يرى من خلال هذا الشرر المتطاير أمورًا أبلغ الناس عنها، وهي أنهم سوف ينتصرون على الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية، وسوف ينفقون ثرواتهما في سبيل الله. فالمعجزة ليست في كسر الحجر الذي لم يستطع المسلمون كسره، ولا في تطاير الشرر الذي عادة ما يتطاير حين يُضرب الحجر بالمعوَل، ولكن المعجزة في النبأ الغيبي الذي رآه رسول الله وأخبر عنه، ثم تحقق ذلك النبأ بعد وفاته وبعد مرور العديد من السنوات على تلك الواقعة.

والأنباء الغيبية التي ذكرها رسول الله ﷺ لا حصر لها، وهي تتحقق حينما يشاء الله لها أن تتحقق في وقتها، وكل نبأ منها هو معجزة تشهد على صدق وعظمة وجلالة شأن سيد الأنبياء والمرسلين.

ومن الأنباء الغيبية التي ذكرها رسول الله ﷺ نبأ عن ظهور الإمام المهدي عليه السلام. وفي واقع الأمر.. إن هناك الكثير من الأنباء والروايات عن الإمام المهدي، وأكثرها يقع فيه الاختلاف والتعارض، ويبدو أن ظروف الحكم والسياسة في عصور الدولة الأموية والعباسية والفاطمية، قد أضافت الكثير إلى ما ذكره رسول الله ﷺ عن الإمام المهدي. لذلك يستوجب الأمر للباحث الأمين، أن يكون على جانب كبير من الحرص والحذر، حين التعرض للروايات التي بين أيدينا عن الإمام المهدي، والتي جمع بعضها أهل السُنّة وجمع أكثرها أهل الشيعة. وبدراسة تلك الروايات، يتضح بجلاء أن كل مجموعة من هؤلاء، كانوا يضعون الأحاديث لتنطبق على رجل منهم، فالإمام المهدي أحيانا يكون من نسل فاطمة رضي الله عنها، وأحيانا أخري يكون من نسل العباس عم الرسول، وهو سوف يظهر في بيت المقدس، وأحيانا يظهر في مكة، وأحيانا أخرى يظهر من غار في باطن الأرض، وهكذا.

غير أن هناك نبأ معينا ذكرته كتب أهل السُنّة وكتب أهل الشيعة على السواء، ويربط هذا النبأ ظهور الإمام المهدي بظاهرة فلكية، ليس في مقدور أحد من البشر تحقيقها، ولا التحكم فيها، ولا منع وقوعها. وعلى ذلك.. فلا يمكن لأحد الوضاعين أن يكون قد اخترع هذه الرواية، ولا يمكن لبشر أن يتنبّأ بوقوع هذه الظاهرة كعلامة على ظهور الإمام المهدي، إلاّ إذا كان يعلم الغيب. والله تعالى يقول عن نفسه أنه هو وحده عالم الغيب، وأنه لا يُظهر على غيبه أحدا إلاّ من ارتضى من رسول.

وحيث إن الله تعالى وحده هو عالم الغيب، وحيث إنه لا يُظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول، فإننا نستطيع أن نستخلص قاعدة على جانب كبير من الأهمية تختص **بتحقق** الأنباء الغيبية. فالنبأ الغيبي الذي يذكره رسول الله ﷺ، أو حتى ذلك النبأ الذي يُنسب قوله إلى رسول الله، ولا نعرف

يقينا إذا كان هو قائله أم لا، والذي **يحققه** الله تعالى بحذافيره ولو بعد مرور مدة طويلة من الزمان، لا يمكن أن يكون من اختراع الوضّاعين، وإنما هو حتما من أنباء الغيب التي تلقّاها رسول الله من عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.

وفي أحد كتب الحديث المعروفة.. وهو سنن الدارقطني لصاحبه العالم المشهور علي بن عمر البغدادي الدارقطني، الذي وُلد بعد خمسين عاما من بعد الإمام البخاري، جاء الحديث التالي الذي رواه الإمام الباقر محمد بن علي ﵁. وفي هذا الحديث يحدد رسول الله ﷺ النبوءة العظمى التي تتعلق بظهور الإمام المهدي في آخر الزمان، ويُعين اليوم الذي تتحقق فيه هذه النبوءة، فيقول:

"إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض. تنكسف القمر لأول ليلة (أي أول ليلة من ليالي خسوف القمر) من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه (أي تنكسف في النصف من أيام كسوف الشمس) ولم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض".

ويذكر هذا الحديث أن ظهور الإمام المهدي، يرتبط بوقوع ظاهرة فلكية معينة، وهي وقوع كسوف لكل من الشمس والقمر، في شهر معين بالذات هو شهر رمضان. والمعروف أن خسوف القمر يقع عند منتصف الشهر القمري، أي في ليلة ١٣ - ١٤ - ١٥، وحسب الحديث المذكور يقع خسوف القمر في أول ليلة من ليالي خسوف القمر من شهر رمضان أي ليلة ١٣. كذلك فإن الشمس لا تنكسف إلاّ عند نهاية الشهر العربي، والأيام التي يمكن أن يقع فيها كسوف الشمس هي ٢٧ - ٢٨ - ٢٩، وبحسب الحديث الشريف، فإن كسوف الشمس سوف يقع في منتصف أيام كسوف الشمس، أي يوم ٢٨ من شهر رمضان. ولا يخفَى بالطبع أن ظهور الإمام المهدي يكون مرتبطا باجتماع كسوف الشمس والقمر في شهر رمضان، وفي الأيام المحددة

لكل منهما، وأن هاتين الظاهرتين تكونان علامتين وآيتين على صدق الإمام المهدي الذي لا بد وأن يكون قد ظهر أولا، وأعلن عن نفسه، وذكر أنه الإمام المهدي المنتظر، ثم تقع هاتان الآيتان تصديقا له، فتكونان بمثابة شهادة من السماء ومن خالق السماوات والأرض.

ولما ظهر سيدنا أحمد على مسرح الأحداث في الهند، وأعلن في عام ١٨٩٠- ١٨٩١ أنه الإمام المهدي المنتظر وأنه المسيح الموعود الذي ينتظر المسلمون نزوله، هاجت وماجت ضده طوائف المسلمين والمسيحيين على السواء، وأطلقوا ألسنتهم وأقلامهم بالتطاول عليه سبًّا وشتمًا وتحقيرًا، وحاولوا تأليب الحكومة ضده واستعداء السلطات عليه، وزعموا أن المهدي يحارب غير المسلمين ويقتلهم بالسيف قتلا، مما جعل الحكومة تتوجس منه شرًّا، خاصة وأن الحكومة البريطانية كانت قد عانت كثيرا من المشاكل في السودان، بسبب دعوة محمد أحمد المهدي المعروف بالمهدي السوداني، الذي ادّعى أنه الإمام المهدي المنتظر، وكان يحارب الإنجليز هناك. كذلك قامت في إيران دعوة علي محمد الذي ادّعى أيضا أنه المهدي المنتظر، وأثارت هذه الدعوة الكثير من القلاقل المسلحة، وكانت مصدر قلق للحكومة هناك. ومع نشر فتاوى التكفير وإهدار دم سيدنا أحمد عليه السلام، ودعوة المسلمين إلى مقاطعته هو والحفنة من الناس الذين اتبعوه، صار سيدنا أحمد في شبه عزلة عن العالم. الجميع كانوا يُعادونه، والبعض من ضعاف النفوس من بين القلائل الذين اتبعوه تخلوا عنه وتركوه، مما جعله يشعر بأن الأبواب كلها قد سُدّت في وجهه. غير أن باب الله تعالى هو الذي ظل مفتوحا له على مصراعيه، فلجأ إلى الدعاء والتضرع إلى رب العالمين.

وفي عام ١٨٩٣ نشر كتابا باللغة العربية اسمه: "نور الحق"، رد فيه على المزاعم الكاذبة التي روّجها ضده أحد علماء المسلمين الذين وقعوا فريسة

للتبشير المسيحي فدخلوا في المسيحية، واحتفظوا بأسمائهم الإسلامية، وراحوا يكتبون المقالات وينشرون الكتب ضد الإسلام، وضد رسول الله ﷺ. وفي إعلان للحكومة البريطانية في ذلك الكتاب قال:

"... إن رجلا من الذين ارتدّوا من دين الإسلام، ودخلوا في الملّة النصرانية، أعني النصراني الذي يُسمّي نفسه القسيس عماد الدين، ألّف كتابا في هذه الأيام، لخدع العوام، وسمّاه: "توزين الأقوال"، وذكر فيه بعض حالاتي بافتراءٍ بحتٍ لا أصل له، وقال إن هذا الرجل رجل مفسد ومن أهل العداوة، وإني وجدت في طريقة مشيه آثار البغاوة، وليس من نصحاء الدولة، وأتيقّن أنه سيفعل كذا وكذا، وإنه من المخالفين. فالملخص إنه حثّ الحكومة في ذلك على إيذائي، ومع ذلك فرّغ إناءه في سبيّ وازدرائي، وأفرغ قذر لسانه على بعض أحبّائي، وأكثر القول في ديانتنا المقدسة، وشتم خير الرسل ﷺ وبالغ في التوهين. وتكلّم بكلمات ترتجف منها القلوب، وتهيج في الأفئدة الكروب، وسوف نكتب قليلا منها ونجوب أستار الجاهلين." (نور الحق الجزء الأول، الخزائن الروحانية ج ٨ ص ٣٣-٣٤)

وفي نهاية الكتاب نشر بيانا يخاطب فيه ضمائر المخلصين من الناس قال فيه:

"أيها العزيز.. أقص عليك قصتي إن استمعتَ، وحبّذا أنت لو اتّبعتَ، قد سمعتَ كلام الذين بادروا إلى تكفيري، فأوضح لك الآن معاذيري، وإن شئتَ فكن عذيري أو من اللائمين.

إني امرؤ من المسلمين، أؤمن بالله وكتبه ورسله وخير خلقه خاتم النبيين. لستُ من الذين يجترؤون على خلاف المأثور من خير الكائنات، بل من الذين يخالفون ربهم ويُطهّرون الخطرات. بيد أني أُعطيتُ مقامات الرجال، وعلّمني ربي فهداني إلى أحسن المقال، وجعلني مهديّ الوقت ومن المجددين. فما فهم المكفّرون كلامي، وكفّروني قبل التدبر في مرامي، فقلتُ والله لست بكافر ويعلم ربي

إسلامي. فما تركوا قول التكفير، بل أصرّوا على ما فعلوا وظلموا في التقرير والتحرير، وقالوا كافر كذّاب، ونتربّص عليه العذاب. والله يعلم أنهم من الكاذبين المفترين، أو الجاهلين المستعجلين. أأفتريتُ على الله بعد ما أفنيتُ عمري في مساعي الدين، حتى جاوزت الخمسين؟ وحماني مقلة ربي من سبل الشياطين، وما كانت منيتي في مدة عمري إلاّ حماية دين خير الأنام، وإعلاء كلمة الإسلام، وكفى بالله شهيدا وهو خير الشاهدين." (المرجع السابق ص١٨٣-١٨٤)

وتلا ذلك دعاء وتضرّعات لله تعالى حتى يفتح الله بينه وبين قومه بالحق، ولكي يُبين سبحانه للناس أنه ليس من الكاذبين المفترين، وأنه هو فعلا الإمام المهدي الذي كانوا يترقبونه وينتظرونه، وهو المسيح الموعود الذي كانوا يتطلعون إلى السماء في انتظار نزوله، فقال:

"يا ربّ.. يا ربّ الضعفاء والمضطرّين، ألستُ منك؟ فقل وإنك خير القائلين. كثُر اللعن والتكفير، ونُسبتُ إلى التزوير، وسمعتَ كله ورأيتَ يا قدير، فافتح بيننا بالحق وأنت خير الفاتحين. ونجّني من علماء السوء وأقوالهم، وكِبرهم ودلالهم، ونجّني من قومٍ ظالمين. وأنزِلْ نصرًا من السماء، وأدرِكْ عبدك عند البلاء، ونزِّلْ رجسك على الكافرين. وصرتُ كأذلّة مطرود القوم، ومورد اللوم، فانصرنا كما نصرت رسولك ببدرٍ في ذلك اليوم، واحفظنا يا خير الحافظين. إنّك الربّ الرحيم، كتبتَ على نفسك الرحمة، فاجعل لنا حظًّا منها وأرنا النصرة، وارحمنا وتُب علينا وأنت أرحم الراحمين.

ربّ نجّني مما يقصدون، واحفظني مما يريدون، وأدخلني في المنصورين. ربّ فرّج كربي، وأحسن منقلبي، وأظفرني بقصْوَى طلبي، وأرني أيام طربي، وكن لي يا ربّي، يا عالم همّي وإربي، وصافني وعافني يا إله المستضعفين. كذّبني كل أخ الترّهات، وكفّرني كل أسير الجهلات، وما بقي لي إلاّ أن أنتجع حضرتك، وأطلب عونك

ونصرتك، يا قاضي الحاجات، لعلّك تردّ نهاري بعد أن صغت شمسي للغروب، وضجر القلب من الكروب. ووالله ما تأوّهي لفَوْت أيام السرور، ولا للتنعم والحبور، بل للإسلام الذي صال عليه الأعداء، وأفَلَتْ شموسه وطالت الليلة الليلاء، وظهرت المداجاة في فِرَق الإسلام، والتفرقة في أمّة خير الأنام، وأمّا الكفّار وأحزاب اللئام، فقد انتظموا في سلك الالتئام. والحسرة الثانية أن فينا العلماء والفقهاء والأدباء، ولكنهم فسدوا كلهم وأحاطت عليهم البلاء، إلاّ ما شاء الله. ربّ فارحم وتقبّل منّا دعاءنا، وإليك الشكوى والتجاء. يقولون إنّا نحن أعلام الدين، وعمائد الشرع المتين، ولكني ما أرى فيهم أحدًا كذي مقول جريّ، خادم دين نبينا كمُحبّ وليّ، بل سقطوا في الشهوات والأهواء، والدعاوي والرياء، وما أجد أكثرهم إلاّ فاسقين. وكنت أخال في رَيْق زماني، أنهم أو أكثرهم من أعواني، ولكنهم ولّوا دبرهم عند الابتلاء، وكان هذا قدرًا مقدّرا من حضرة الكبرياء. فالآن أُفرِدتُ كإفراد الذي يبيتُ في البيداء، أو كالذي يقعد في أهل الوبر وسكان الصحراء. فالآن قلّت حيلتي، وضعفت قوّتي، وظهر هواني على قومي وعشيرتي، ولا حول ولا قوّة إلاّ بك يا ربّ العالمين. إليك أنَبْتُ، وعليك تَوكّلتُ، وبك رضيتُ. ربّ فاستر عوراتي، وآمن روعاتي، ولا تذرني فردًا وأنت خير الوارثين. بيدك البذل والعطاء، والعزّ والعلاء، وإذا أتيتَ فلا يأتي البلاء، وإذا نزلتَ فلا ينْزل الضرّاء. وأشهد أن لا إله إلاّ أنت، ولا رافع إلاّ أنتَ، ولا دافع إلاّ أنتَ، عليك توكّلتُ، وبحضرتك سقطتُ، وأنت كهف المتوكلين. أحسن إليّ يا مُحسني ولا أعلم غيرك من المحسنين. وصلّ وسلّم على رسولك ونبيّك محمد وعظّم شانه، وأَرِ الخلق برهانه، إنّا جئناك لدينه باكين. تعلم ما في قلوبنا، وتنظر ما في صدورنا، وإنّا معك طوعًا، وما ندّخر عنك صدقًا وروعًا، وما كنا أن نهتدي لولا أن هديتنا، وما

وجدنا لولا ما أعطيتنا. فلا حمد إلاّ لك، ويرجع إليك كل حمد الحامدين. إنّك ربّ رحيم، وملك كريم، فمن جاءك ووالاك، وأحبّك وصافاك، فلا تجعله من الخائبين. فبشرى لعباد أنت ربهم، وقوم أنت مولاهم، سبقت رحمتك غضبك، ولا تُضيّع عبادك المخلصين، فالحمد لك أولا وآخرا وفي كل حين." (المرجع السابق ص١٨٤- ١٨٦)

هذا هو الدعاء الذي دعاه الإمام المهدي وتضرّع به إلى مولاه، إنه دعاء المضطر الذي يذوب قلبه ووجدانه أملا ورجاء في نصر الله تعالى وتأييده. ونلفت انتباه القارئ إلى جملة من الدعاء يقول فيها: "فانصرنا كما نصرت رسولك ببدر في ذلك اليوم واحفظنا يا خير الحافظين". ولقد استجاب الله تعالى هذا الدعاء، وأنزل نصره للإمام المهدي تحقيقا لما كان رسول الله ﷺ قد قاله منذ ثلاثة عشر قرنا. فحين اكتمل القمر بدرا.. في الليلة الثالثة عشرة من رمضان عام ١٣١١هـ، تحقق نبأ رسول الله ﷺ تأييدا للإمام المهدي عليه السلام، وانخسف القمر كما جاء في الحديث الشريف. وكما نصر الله رسوله في بدر مكانا، كذلك نصر الله الإمام المهدي في بدر زمانا. ثم في يوم ٢٨ من نفس الشهر المبارك انكسفت الشمس، وهكذا وقعت المعجزة الفلكية التي ذكرها رسول الله ﷺ، وأشار إليها القرآن الحكيم في سورة القيامة، واجتمع كسوف الشمس وخسوف القمر في شهر رمضان، وسجلت المراصد الفلكية هذا الحدث، حتى يظل دائما وأبدا مذكورا في السجلات.

وطبع الإمام المهدي الجزء الثاني من كتاب نور الحق، وعلى غلافه:

"الحمد لله الذي أجزل لنا طَوْلَه، وأنجز وعده وأتمّ قَوْلَه، وأرى بعض الآيات، وأفحم المنكرين والمنكرات. فأردتُ أن أُظهر سناه، لمن أَمَّ مسالك هُداه. ولم أخل ينتابني نصر الله الكريم، وعون الله الرحيم، إلى أن ظهرت آية الخسوف والكسوف، من الله الرحمن الرؤوف. فأُلقي في روعي أن أُؤلّف رسالة في هذا الباب، هداية للطلاّب. فألّفتها لله

الأحب الأحق، وجعلتها حصّة من حصَّتي "نور الحق"، ومعها إنعام خمسة آلاف، للذين يلغون كغُداف، والذين يُكذّبون القرآن، ويتّبعون الشيطان، ويتكلمون في بلاغة القرآن، ولا يحسبونه من الله الرحمان. وأردتُ بتأليف هذه الرسالة والحصّة الأولى، أن أُظهر جهالة النوكَى، وضلالة تلك الحمقى، وأكشف خديعتهم على أولي النُّهى، وأُرِي الحق لمن يرى. وبعد ما أزمعت تأليف هذا الكتاب، أُلهِمتُ من رب الأرباب، أن الكافرين والمنكرين لا يقدرون على أن يؤلفوا كتابا مثل هذا في نثرها ونظمها مع التزام معارفها وحِكَمِها. فمن أراد أن يُكذّب إلهامي، فليأت بمثل كلامي، فإن المهدي يُهدَى إلى أمور لا يُهدَى إليها غيره، ولا يدركه مُعاند ولو كان على الهوا سيره، وهذا الكتاب الذي هو ألطف وأدق، سُمّي الحصة الثانية من نور الحق.

هذه رسالة كالعضب الجراز، لإفحام كل من نهض للبراز، وأوّل مخاطبينا بالإطماع في الإنعام، المتنصّرون الذين هم كالأنعام، وعمادهم الذي يُرِي عنقه كالأنعام، وإخوانه الذين يقولون إنّا نحن المولويون الماهرون في العربية والعلوم الأدبية، ثم البطالوي الشيخ محمد حسين مضلّ العوام، بكلمات كالسراب أو كالجهام. ثم بعد هؤلاء، كل مخالف من أهل الأهواء، وكل من قال إني أرضعتُ ثدي الأدب، وحَوَت معرفتي من علوم النخب، مع خلافه في الملّة والمشرب. فالآن ننظرهم.. هل يقومون في الميدان، كقيامهم على منبر الافتراء والعدوان؟ أو يولّون الدبر ويشهدون على أنفسهم أنهم كانوا من **الجاهلين؟**" (نور الحق الجزء الثاني، الخزائن الروحانية ج ٨ ص ١٨٧)

ثم افتتح الكتاب بهذه الكلمات:

"الحمد لله المحسن المنّان، جالي الأحزان، والصلاة والسلام على رسوله إمام الإنس والجان، طيّب الْجَنان، القائد إلى الْجِنان، والسلام على أصحابه الذين سعوا إلى عيون الإيمان كالظمآن، ونُوّروا في

وقت ترويق الليالي بنَيِّرَي إكمال العمل وتكميل العرفان، وآله الذين هم لشجرة النبوّة كالأغصان، ولشامّة النبي كالريحان.

أمّا بعد.. فاعلموا يا معشر الإخوان، وصفوة الخلاّن، أن أيام الله قد قرُبت، وكلمات الله تجلّت، وبدت وظهرت الآيتان المتظاهرتان، وانخسف النّيّران في رمضان، وجاء الماء لإطفاء النيران، فطوبى لكم يا معشر المسلمين، وبشرى لكم يا طوائف المؤمنين." (المرجع السابق ص١٨٨- ١٨٩)

ثم تبع ذلك قصيدة يقول في مطلعها:

غَـــسَا النَّـــيِّرَان هدَايَةً لِّلْكَوْدَن	يَقُولاَن لاَ تَتْرُكْ هُـــدًى وَّتَدَيَّن
وَإِنَّهُمَـــا كَالشَّاهِـــدَيْن تَظَاهَرَا	هُمَا الْعَدْلُ قَدْ قَامَا فَهَلْ من مُّؤْمنِ
وَقَـــدْ فَرَّ قَـــوْمي نَخْوَةً وَّتَعَصُّبًا	وَّأَيْنَ الْمَـــفَرُّ منَ الدَّليلِ الْبَـــيِّن
وَتَرَكُوا حَديثَ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى	فَسَادًا وَّكبْرًا مَّعَ دَعَـــاوِي التَّسَنُّنِ
وَوَاللهِ إِنَّ الْيَـــوْمَ يَـــوْمٌ مُّبَـــارَكٌ	يُذَكِّرُنَا أَيَّامَ نَصْـــرِ الْمُهَـــيْمنِ
وَهَـــذَا عَـــطَاءٌ مِّنْ قَديرٍ مُّكَوِّن	وَفَضْـــلٌ مِّنَ اللهِ النَّصِيرِ الْمُهَوِّن
فَفَاضَتْ دُمُـــوعُ الْعَيْنِ منِّي تَأَثُّرًا	إِذَا مَا رَأَيْتُ حَنَانَ رَبٍّ مُّحْسِنِ

وتبع ذلك بقصيدة أخرى نقتطف منها هذه الأبيات:

ظَهَرَ الخُسُـــوفُ وَفيه نُورٌ وَّالْهُدَى	خَيْـــرٌ لَّنَا وَلخَـــــيْرنَا أَمْـــرٌ بَدَا
هَـــبَّتْ رِيَاحُ النَّصْرِ مِـــنْ مَحْبُوبنَا	مَشْمُولَةً قَدْ بَرَّدَتْ حَـــــرَّ الْعدَا
في لَـــيْـــلَة قُـــدَّتْ ثـــيَابُ غَمَامهَا	بَـــرْقُ الرَّوَاعِـــدُ كَانَ فيهَا مُرْجدَا
قَـــمَرٌ مُّـــعِينُ الصَّـــادقينَ مُـــبَارَكٌ	حَـــكَمٌ مُّـــهِينُ الْكَاذبِـــينَ تَهَدُّدَا
نَـــصْـــرٌ مِّـــنَ اللهِ الْقَرِيبِ بفَضْله	إِنَّ الْمُـــهَـــيْمنَ لاَ يُؤَخِّرُ مَوْعدَا
هَـــذَا مِـــنَ اللهِ الْمُهَـــيْمنِ آيَـــةٌ	لِـــيُبيدَ مَـــنْ تَرَكَ الْهُدَى مُتَعَمِّدَا
فَاسْـــعَـــوْا زُرَافَاتٍ وَّوُحْـــدَانًا لَّهُ	مُتَـــنَدِّمِـــينَ وَبَادرِينَ إِلَى الْهُدَى

ثم قال بعدها:

"وأمّا تفصيل الكلام في هذا المقام، فاعلموا يا أهل الإسلام، وأتباع خير الأنام، أن الآية التي كنتم توعدون في كتاب الله العلاّم، وتُبَشَّرون من سيد الرسل نور الله مُزيل الظلام.. أعني خسوف النـــيِّريْن في شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن، قد ظهر في بلادنا بفضل الله المنّان، وقد انخسف القمر والشمس وظهرت الآيتان، فاشكروا لله وخرّوا له ساجدين.

وإنّكم قد عرفتم أن الله تعالى قد أخبر عن هذا النبأ العظيم في كتابه الكريم، وقال للتعليم والتفهيم:

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۞ يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ *(القيامة:٨-١١)*

فتفكّروا في هذه الآية بقلب أسلم وأطهر، فإنه من آثار القيامة لا من أخبار القيامة كما هو أجلى وأظهر عند العاقلين. فإن القيامة عبارة عن فساد نظام هذا العالم الأصغر، وخلق العالم الأكبر، فكيف يقع في حالة الفك، الخسوف الذي تعرفون باليقين لا بالشك.. علله وأسبابه، وتفهمون مواقعه وأبوابه؟ وكيف يظهر أمرٌ لازمٌ للنظام، بعد فكّ النظام والفساد التام؟ فإنكم تعلمون أن الخسوف والكسوف ينشآن من أشكال نظامية، وأوضاع مقررة منتظمة على أوقات معينة، وأيام معروفة مُبينة، فكيف يُعزَى وقوعها إلى ساعة لا أنساب فيها ولا أسباب، ولا نظام ولا إحكام؟ فانظروا إن كنتم ناظرين.

ثم من لوازم الكسوف والخسوف أن يرجع القمر والشمس إلى وضعهما المعروف، ويعودا إلى سيرتهما الأولى، وفي هويتهما داخل هذا المعنى. وأمّا تكوير الشمس والقمر في يوم القيامة فهي حقيقة أخرى، ولا يُرَدُّ فيهما نورهما إلى حالةٍ أولى، بل لا يكون وقوعه إلا بعد فكّ النظام والفساد التام، وهدم هذا المقام، وما سمّاه الله خسوفا وكسوفا بل سماه تكويرا أو كشط الأجرام، كما أنتم تقرأون في كلام الله العلاّم. فثبت من

هذا الكلام عند الخواص والعوام، أن ما ذكر من الآية، في هذه الآية، فهو يتعلّق بالدنيا لا بالآخرة، وعَزْوِه إلى القيامة بناءً على الرواية خطأ في الدراية، بل هو خبر من أخبار آخر الزمان، وقرب الساعة واقتراب الأوان كما لا يخفى على المتدبّرين.

ويؤيده ما جاء في الدارقطني عن محمدٍ الباقر بن زين العابدين قال: "إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه"، وأخرج مثله البيهقي وغيره من المحدّثين." (المرجع السابق ص١٨٨-١٩٦)

ثم يرد على الذين أثاروا الاعتراضات بأن الحديث ينص على أن ينخسف القمر في أول ليلة من رمضان، وليس في أول ليلة من ليالي الخسوف وهي الليلة الثالثة عشرة. فيبين أن رسول الله، النبي العربي الذي آتاه الله قمة البلاغة وجوامع الكلم، لم يكن ليرتكب هذا الخطأ اللغوي ويُطلق لفظ "القمر" على "الهلال" الذي يظهر في الأيام الثلاثة الأولى من الشهر. فيقول حضرته:

"... فإن عبارة الدارقطني تدل بدلالة صريحة، وقرينة واضحة صحيحة، على أن خسوف القمر لا يكون في أول ليلة رمضان أصلا، ولا سبيل إليه جزما وقطعا، فإن عبارته مقيّدة بلفظ القمر، ولا يُطلق اسم القمر على هذا النَّــيِّر إلاّ بعد ثلاث ليال إلى آخر الشهر، وسمُي قمرا في تلك الأيام لبياضه التام. وقبل الثلاث هلال، وليس فيه مقال. وهذا أمر* اتفق عليه العرب كلهم وجُلّهم إلى هذا الزمان، وما خالفه أحد من أهل اللسان، ولا ينكره إلاّ من فُقدت بصيرته، وماتت معرفته، ولا يخرج كلمة خلاف ذلك من فمٍ إلا من فم غمرٍ جاهل، أو ذي غمر

* قال صاحب تاج العروس: يُسمى القمر لليلتين من أوّل الشهر هلالا، وفي الصحاح: القمر بعد ثلاث إلى آخر الشهر، وقال بعضهم الهلال إلى سبع، وقال أبو إسحاق: والذي عندي وما عليه الأكثر أن يُسمّى هلالا ابن ليلتين، فإنه في الثالثة يتبين ضوؤه. منه

متجاهل، ولا تسمعها من أفواه العاقلين. فإن كنت في شك فارجع إلى القاموس وتاج العروس والصحاح وكتاب ضخيم المسمى لسان العرب، وجميع كتب اللغة والأدب، وأشعار الشعراء وقصائد النبغاء، ولك منّا ألف من الورق المروّج إنعامًا، إن تثبت خلاف ذلك كلامًا. فلا تُحرّف كلام سيد الأنبياء، وإمام البلغاء والفصحاء، واتق الله يا مسكين. ولا تجترئ في شأن أفصح العجم والعرب، ومقبول الشرق والغرب.

أيُفتي قلبك ويرضى سربك، بأن الأعرف الأفصح الذي أُعطى له الجوامع، والكلام الجامع، وجُعلت كلماته كلها مملوءة من غُرر الفصاحة، ودُرر البلاغة، والنوادر العربية، واللطائف الأدبية، واللبوب اللغوية، والحقائق الحكَمية، هو يُبتلَى بهذا العثار، ويترك جزل اللفظ ويختار ركيكا سقْطًا غلطًا غير المختار، بل يخالف مسلّمات القوم ومقبولات بلغاء الديار، ويصير ضحكة الضاحكين؟ ووالله ما يصدر هذا الخطأ المبين والعثار المهين، من فطنة خامدة ورويّة ناضبة، فكيف يصدر من فارس ذلك الميدان، بل سيد الفرسان؟ ما لكم لا تنظرون عزة الله ورسوله يا معشر المجترئين؟ أبخلكم أحبّ إليكم وأعز إليكم من خاتم النبيين؟ ألا تعرفون أن هذا اللفظ في هذا المحل منكَرٌ مجهولٌ لا يُعرف استعماله في كلمات أهل اللسان، وما أورده قطّ بليغ ولا غير بليغ في موارد البيان، وما أخذه عند اضطرار غبي حاطب ليل، فكيف سلطان الفصاحة وسيد خيل؟ وقد سبر بذلك غور عقلكم، ومقدار نقلكم، ومبلغ علمكم وفضلكم، وحقيقة أدبكم، وحديقة حدبكم. فإنكم عزوتم إلى سيد الأنبياء ما لا يُعزى إلى جهول من الجهلاء، تكاد السماوات تنشق من هذا الاجتراء، فاتقوا الله ذا الكبرياء، ولبّوا دعوة الحق تلبية أهل الاهتداء. قد وقع واقع فلا تميلوا إلى المراء، واتبعوا قول النبي الذي إشارته حُكْمٌ، وطاعته غُنمٌ، ولا تكونوا من الأشقياء، ولا يفرط وهمكم إلى الألفاظ من غير دواعي كاشفة الخفاء، بل فتشوا الحقيقة واعرفوا

الطريقة بحسن النيّات، ولا تلاعبوا كالصبيان بالأمور الدينيات. وأي حرج عليكم أن تقبلوا ما بان كالبديهات، وتتركوا طرق الأكاذيب والتمويهات؟ وإنني ناصح أمين، ويراني ربي عالم المخفيات، عارف الصادقين والكاذبين." (المرجع السابق ص ١٩٨-٢٠١)

وردّ على الذين يقولون إن هذا الحديث من الأحاديث الموضوعة فقال:

"... وقال المعاندون والعلماء المتعصّبون إن هذا الحديث ليس بصحيح، بل هو قول كذّاب وقيح، وما لهم بذلك من علم. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا، وكذّبوا ما أظهر الله صدقه وجلّى، ما كان حديثا يُفترى، ولكن عُمّيت عليهم وطُبع على قلوبهم طبعًا.

يا حسرة عليهم! لم ينكرون الحق معاندين؟ ما لهم لا يتّقون يوم الدّين؟ ما لهم لا يُفكرون في أنفسهم أنه حديث قد أنار صدقه، ولا يُصدّق الله قول الكذّابين. وما كان الله ليُطلع على غيبه كاذبا دجّالا عدوّ الصادقين. وقد علمتَ ما جاء في كتاب مبين، وكيف يكذبونه.. وإنّ ظهور صدقه يشهد بشهادة واضحة أنه كلام رسولٍ صدوقٍ أمين.

وكان الإمام محمدٌ الباقر من أئمة المهتدين وفلذة الإمام الكامل زين العابدين. وفي سلسلة الحديث رجال من الصادقين، الذين كانوا يعرفون الكاذبين وكذبهم وما كانوا مستعجلين. وما كان لهم أن يكتبوا حديثًا في صحاحهم وهم يعلمون أنه لا أصل له بل في رواته رجل من الكذّابين الدجّالين. أخلطوا الخبيث بالطيّب بعد ما كانوا على خبثه مستيقنين؟ وإن كان هذا هو الحق فما بال الذين خلطوا قذرًا بالماء المعين متعمّدين؟ وهم كانوا أوّل عالم بأحوال الرواة المفترين. أهم صلحاء عندكم؟ كلا.. بل هم أوّل الفاسقين. ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كان معين روايات الكاذبين؟ أفأنت تشهد أن الدارقطني وجميع رواة هذا الحديث، وناقلوه في كتبهم، وخالطوه في الأحاديث، من أوّل الزمان إلى هذا

الأوان، كانوا من المفسدين الفاسقين، وما كانوا من الصالحين؟ وأنت تجد كتب القوم مملوءة من الحديث الذي سمّيتَه موضوعا في مقالك، مع زيادة علمهم منك ومن أمثالك، ومع زيادة اطّلاعهم على حقيقة اشتبهت على خيالك، فلا تتّبع جذبات نفسك وفكّر كالمتّقين.

أفأنت تشك في حديث حصحصت صحّته وتبيّنت طهارته، أنه ضعيف في أعين القوم، أو هو مورد اللوم، أو في رواته أحد من المطعونين؟ أفذلك مقام الشك أو كنتَ من المجنونين؟ وقد صدّقه الله وأنار الدليل، وبرّأ الرواة مما قيل، وأرَى أنوار صدقه أجلى وأصفى، فهل بقي شك بعد أمارات عظمى؟ أتشكّون في شمس الضحى؟ أتجعلون النّور كالدّجى؟ أتعاميتم أو كنتم من العمين؟ أتقبلون شهادة الإنسان ولا تقبلون شهادة الرحمن وتسعون معتدين؟ أأنت تعتقد أن الله يُظهر على غيبه الكذّابين المفترين المُزَوّرين؟ أتشك في الأخبار بعد ظهور صدقها؟ وإذا حصحص الصدق فلا يشك إلاّ من كان من قوم عادين. وهذا أمر لا يحتاج إلى التوضيح والتعريف، ولا يخفى على الذكيّ الحنيف، وعلى كل من أمعن كالمتدبرين." (المرجع السابق ص٢٠٦-٢٠٨)

ثم ذكر عليه السلام أن هذه الآية لم تجتمع من قبل لرجل يقول بأنه الإمام المهدي المنتظر فقال:

"... ولا شك أن اجتماع الخسوف والكسوف في شهر رمضان مع هذه الغرابة أمر خارق للعادة، وإذا نظرت معه رجلا يقول إني أنا المسيح الموعود والمهدي المسعود، والملهم المرسل من الحضرة، وكان ظهوره مقارنا بهذه الآية، فلا شك أنها أمور ما سُمِع اجتماعها في أوّل الزمان، ومن ادّعى فعليه أن يثبت وقوعه في حين من الأحيان. ثم لما ظهرت هذه الآية في هذه الديار وهذا المقام، ولم يظهر أثر منها في بلاد العرب والشام، فهذه شهادة من الله العلاّم، لصدق دعوانا يا أهل الإسلام. فقوموا فرادى فرادى، واتركوا من بخل وعادى، ثم تفكّروا

ودعوا عنادا، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تفسدوا إفسادا، ولا تعرضوا مستعجلين.
يا عباد الله.. رحمكم الله. اتقوا الله ولا تتكبّروا، وفكّروا وتدبّروا، أيجوز عندكم أن يكون المهدي في بلاد العرب أو الشام، وآيته تظهر في هذا المقام؟ وأنتم تعلمون أن الحكمة الإلهية لا تُبْعِد الآية من أهلها وصاحبها ومحلّها، فكيف يمكن أن يكون المهدي في مغرب الأرض وآيته تظهر في مشرقها؟ فكفاكم هذا إن كنتم من الطالبين.
ثم مع ذلك لا يخفى عليكم أن بلاد العرب والشام خالية عن أهل هذا الادّعاء، ولن تسمع أثرا منه في تلك الأرجاء. ولكنكم تعلمون أني أقول من بضع سنين، بأمر رب العالمين، إني أنا المسيح الموعود والمهدي المسعود، وأنتم تُكفّرونني وتلعنونني وتُكذّبونني، وجاءتكم البيّنات وأُزيلت الشبهات، ثم كنتم على التكفير مُصرّين. أعجبتم أن جاءكم منذر منكم على رأس المائة، في وقت نزول المصائب على الملّة، واشتداد العلّة؟ وكنتم تنظرون من قبل كانتظار الأهلّة. وقد جاءكم في أيام إحاطة الضلالات، وتغير الحالات، بعد ما ترك الناس الحقيقة، وفارقوا الطريقة. ألا تنظرون أو صرتم كالعمين؟ ألا تذكرون ما قال عالم الغيب وهـو أصدق القائلين، وبشّركم بإمام آتٍ في كتابه المبين؟ وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِن الأَوَّلِينَ ۞ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ ولكلٍّ ثلّة إمام، فانظروا هل فيه كلام، فأين تفرّون من إمام الآخِرِين؟" (المرجع السابق ص ٢١٥- ٢١٧)

وذكر سيدنا أحمد الطَّيِّلاً الكثير من الآيات التي يتميز بها هذا الخسوف والكسوف بالذات فقال معدّدا إياها:

"... ثم اعلم أن الله نفث في روعي أن هذا الخسوف والكسوف في رمضان آيتان مُخَوِّفَتَان، لقوم اتّبعوا الشيطان، وآثروا الظلم والطغيان، وهيّجوا الفتن وأحبّوا الافتتان، وما كانوا منتهين. فخَوَّفَهُم الله بهما وكل

من تبع هواه وخان، وترك الصدق ومان، وعصى الله الرحمن، فيتأذّن الله لئن استغفروا ليغفرنّ لهم ويَُرِي المنّ والإحسان، ولئن أبوا فإن العذاب قد حان. وفيها إنذار للذين اختصموا من غير الحق وما اتّقوا الرب الديّان، وتهديد للذي أبى واستكبر وما ترك الحران، فاتقوا الله ولا تعثوا في الأرض مُفسدين.

وما لكم لا تَخافونه وقد ظهرت آية التخويف من ربّ العالمين. وقد ثبت في الصحيحين عن نبي الثقلين وإمام الكونين ﷺ في الدارين، أنه قال لتفهيم أهل الإيمان: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آياته يُخَوّف الله بهما عباده، فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة"، فانظر كيف أوصى سيّد السادات وخاتم النبيين. وفي الحديث إشارة إلى أن تلك الآيتين من الرحمان مخصوصتان لتخويف عصاة الزمان، ولا يظهران إلاّ عند كثرة المعاصي وغلوّ الخلق في العصيان، وكثرة الخبيثات والخبيثين، ولأجل ذلك أمر ﷺ عند رؤيتهما لفعل الخيرات والمبادرة إلى الصالحات، من الصلوات والصدقات .....

وحاصل الكلام.. أن الخسوف والكسوف آيتان مخوّفتان، وإذا اجتمعا فهو تهديد شديد من الرحمان، وإشارة إلى أن العذاب قد تقرر وأُكّد من الله لأهل العدوان. ومع ذلك من خواصهما أنهما إذا ظهرا في زمان، وتجلّيا لبلدان، فينصر الله أهلها المظلومين، ويقوّي المستضعفين المغلوبين. ويرحم قوما أُوذوا وكُفّروا ولعنوا من غير حق فينْزل لهم آيات من السماء، وحمايات من حضرة الكبرياء، ويُخزي المنكرين المعادين، ويحكم بالحق وهو أحكم الحاكمين. ويقضي بين المتشاجرين، ويقطع دابر المعتدين. فتصيبهم خجالة وإحجام، وتندّم وانهزام، وكذلك يجزي الكاذبين. يحب الضعفاء الأتقياء، ويجيح أصل المفسدين الذين يتركون وصايا الحق ومواقعها، ويقفون ما ليس لهم به

علم ويقولون آمنّا بالقرآن وما هم بمؤمنين. يصرّون على أمور لا يعلمون حقيقتها، وأُمِروا بالتزام طرق التقوى فتركوها، وكفّروا إخوانهم المؤمنين. أولئك يئسوا من أيام الله وبشاراتها ونبذوها وراء أبعد المبعدين. وسيعلمون كيف يكون مآل المفتنين الخائنين.

ومن خواص هذين الكسوفين أنهما إذا اجتمعا في رمضان، الذي أنزل الله فيه القرآن، فيشيع الله بعدها العلوم الصادقة الصحيحة، ويبطل البدعات الباطلة القبيحة، ويهوي الناس إلى إمامهم باستعدادات شتّى، وتجري من العلوم الحقة أنهار عظمى، ويتوجه الخلق من القشر إلى اللب، ومن البغض إلى الحب، ومن المجاز إلى الحقيقة، ومن التيه إلى الطريقة. ويتنبه الذين أخطأوا مشربهم من الحق والصواب، ويرجع الذين سرّحوا أفكارهم في مرعى التباب. ويتندم الذين ضاع من أيديهم تعظيم الإمام، ويتطهّر الذين تلطّخوا من أنواع الآثام، ويهيج تلك التأثيرات في قوى الأفلاك، بحكم مالك الإحياء والإهلاك، فيمتلئ العالم من الوحدانية وأنوار العرفان، ويخزي الله حماة الشرك والكذب والعدوان، وتأتي جذبات الله بعد أيّام الضلال، وتجد كل نفس ما يليق بها من الكمال. فمن كان حريّا بمعارف التوحيد، يُعطى له غضٌّ طريّ من حقائق الكتاب المجيد، ومن كان مستعدا للعبادات، يعطى له توفيق الحسنات والطاعات، ويجعل الله مقام المجدد مركز البلاد ومرجع العباد، ويبلّغ أثره إلى أقصى الأرضين .....

اعلموا يا معشر الغافلين أن الله لا يُضيع الدين، وقد جرت سُنّته، واستمرت عادته، أنه إذا جاء زمان الظلام، وجُعِل دين الإسلام غرض السهام، وطال عليه ألسنَةُ الخواص والعوام، واختار الناس طرق الارتداد، وأفسدوا في الأرض غاية الإفساد، فتتوجه القيومية الإلهية إلى حفظه وصيانته، ويبعث عبدًا لإعانته، فيُجدد دين الله بعلمه وصدقه وأمانته. ويحعل الله ذلك المبعوث زكيّا وبالفيوض حريّا، ويكشف عينه

ويهب له علما غضًّا طريًّا، ويجعله لعلوم الأنبياء من الوارثين. فيأتي في حُللٍ تقابل حلل فساد الزمان، وما يقول إلاّ ما علّمه لسان الرحمان، وتُعطَى له فنون من مبدأ الفيضان، على مناسبات فساد أهل البلدان. ثم لا تعجب من أن روحانية القمر تقبل بعض أنوار الله في حالة الانخساف، وروحانية الشمس في وقت الانكساف، فإن هذا من أسرارٍ إلهية، وعجائبات ربانية، فلا تكن من المرتابين.

وربما يختلج في قلبك أن القرآن لا يشير إلى رمضان، فاعلم أن الفرقان ذكره على الطريق المجمل المطوي، وهو كاف للبصير الذكي، ولا حاجة إلى تفصيل وتبيين.

وأما إذا سألت شيئا عن تفصيله، فأعلّمك أقلّ من قليله، فاعلم أن الله تبارك وتعالى أسس نظام الدين من رمضان، فإنه أنزل فيه القرآن، فلما ثبتت خصوصية هذا الشهر المبارك بنظام الدين، وفيه ليلة القدر وهو مبدأ لأنوار الدين المتين، وثبت أن العناية الإلهية قد توجهت إلى نظام الخير في رمضان وأجرت الفيضان، فبان أن الله لا يتوجه إلى إعانة النظام، في آخر أيام الظلام، إلاّ في ذلك الشهر المبارك للإسلام. وقد عرفتَ أن الانخساف والانكساف توجه جمالي وتجلٍّ جلالي، وفيه أنوار لنشأة ثانية، وتبدلات روحانية، وهو لبنة أولى لتأسيس نظام الخير، وتعمير المساجد وتخريب الدير، وتغلب فيه القوى السماوية، على القوى الأرضية، والأنوار المسيحية على الحيَل الدجّالية، ويُرِي الله خلقَه سراجًا وهَّاجًا، فيدخلون في دين الله أفواجا، وكان قدرًا مقضيًّا من رب العالمين." (المرجع السابق ص٢٢٧-٢٣٨)

ويتضح من هذا المقطع أن آية الخسوف والكسوف قد وقعت للإنذار وتحذير المخالفين بأن العذاب: "قد تقرر وأُكّد من الله لأهل العدوان." كذلك فإن هذه الآية تشير إلى أنها مصدر رحمة ونصر للمظلومين والمستضعفين. وأن الذين "أُوذوا وكُفّروا ولُعِنوا من غير حق فينْزل لهم آيات من السماء،

وحمايات من حضرة الكبرياء." وكذلك تشير هذه الآية إلى انتشار العلوم الصحيحة، وأن الناس سوف يدخلون في دين الله أفواجا، ويصل أثر المجدد، أي سيدنا أحمد عليه السلام، إلى أقصى أنحاء الأرضين.

وفي نهاية الكتاب كتب قصيدة أخرى نقتطف منها هذه الأبيات:

فَــدَتْكَ النَّفْسُ يَا خَيْرَ الأَنَامِ ... رَأَيْنَا نُــورَ نَبْــئِكَ فِي الظَّلاَمِ
رَأَيْنَـــا آيَـــةً تَسْقِي وَتَرْوِي ... وَتَشْفِي الْغَافِلِينَ مِنَ السَّـــقَامِ
رَأَيْـــنَا النَّـــيِّرَيْنِ كَمَا أَشَرْتَا ... قَـــد انْـــخَسَفَا لِتَــنْوِيرِ الأَنَامِ
بِحَمْـــدِ اللهِ قَدْ خُسِفَا وَكَانَا ... شَرِيكَيْ مِحَـــــنٍ أَيَّامِ الصِّيَامِ
أَتَانَا النَّصْرُ بَعْدَ ثَـــلاَثِ مِئَة ... وَبَـــعْدَ مُرُورِ مُـــدَّةِ أَلْفِ عَامِ
فَتُوبُوا وَاتَّـــقُوا رَبًّا قَـــدِيرًا ... مَلِيكَ الْخَلْقِ وَالرُّسُـــلِ الْعِظَامِ
أَتَانِي الصَّالِحُونَ فَبَايَـــعُونِي ... وَخَافُوا رَبَّهُمْ يَـــوْمَ الْـــقِـــيَامِ
وَأَمَّا الطَّالِحُونَ فَأَكْفَـــرُونِي ... وَلَعَنُونِي وَمَا فَهِمُـــوا كَلاَمِي
وَأَفْتُـــوا بِالْهَوَى مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ ... وَقَالُوا كَافِـــــرٌ لِلْكُفْرِ كَامِي
وَصَالُوا كَالأَفَاعِي أَوْ ذِئَابٍ ... وَإِنَّ اللهَ لِلصِّـــدِّيقِ حَـــــامِي
لَقَـــدْ كَذَبُوا وَخَلاَّقِي يَرَاهُمْ ... وَلِلشَّـــيْطَانِ صَارُوا كَالْغُـــلاَمِ
فَلاَ وَاللهِ لَـــسْتُ كَكَافِرِينَا ... فَدَتْ نَفْسِي نَبِـــيًّـــا ذَا الْمَقَامِ
وَأَصْبَـــانِي النَّبِيُّ بِحُسْنِ وَجْهٍ ... أَرَى قَلْبِي لَهُ كَالْـــمُـــــسْتَهَامِ
وَذِكْرُ الْمُصْطَفَى رَوْحٌ لِقَلْبِي ... وَصَارَ لِمُهْجَـــتِي مِثْلَ الطَّعَامِ
وَإِنِّـــي سَـــوْفَ يُدْرِكُنِي إِلَهٌ ... عَلِيمٌ قَـــادِرٌ كَـــهْفِي مَرَامِي
أَأَنْتَ تُـــكَذِّبَـــنْ آيَاتِ رَبِّي ... أَأَنْتَ تُعَادِيَنْ سُبُـــلَ السَّلاَمِ
لَنَا مِنْ رَبِّـــنَـــا نُـــورٌ عَظِيمٌ ... نُرِيكَ كَمَا يُرَى بَرْقُ الْحُسَامِ

(المرجع السابق ص ٢٥٦- ٢٥٨)

* * *

هذه هي آية الخسوف والكسوف التي تحققت لتصديق الإمام المهدي عليه السلام. هذه هي معجزة رسول الله ﷺ التي ذكرها منذ ثلاثة عشر قرنا، وحققها الله تعالى إعظاما لشأنه وتدليلا على سُموّ مقامه. فمن ذا الذي يستطيع أن يذكر نبأ من أنباء الغيب، يتحقق بحذافيره بعد هذه المدة الطويلة، إلاّ إذا كان قد تلقّاه من الله تعالى.

ولعل البعض يتصور أن الخسوف والكسوف ليس سوى ظاهرة طبيعية فلكية تحدث من حين لآخر. وهذا صحيح، ولكن الله تعالى يجعل من هذه الظواهر الطبيعية معجزات خارقة. إن من طبيعة العنكبوت أن تبني لها بيتا في أي مكان، ومن طبيعة الحمام أن يضع بيضه في العش الذي يبنيه في المكان الذي يأمن فيه، فهذه كلها ظواهر طبيعية وأمور عادية، ولكن الله تعالى يجعل من هذه الظواهر العادية معجزات خارقة للعادة، حين يشاء سبحانه أن تقع تلك الأمور العادية في ظروف غير عادية، مثلما وقعت حين دخل رسول الله ﷺ الغار مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه أثناء هجرتهما من مكة إلى المدينة. فلحق بهما الكفار إلى أن وصلوا إلى باب الغار، ولكن لما رأى الكفار أن العنكبوت قد بنت بيتها على باب الغار، وأن الحمامة قد باضت هي الأخرى، انصرف ذهنهم عن النظر داخل الغار وغادروا المكان. وهكذا جعل الله تلك الأمور العادية.. أي بيت العنكبوت وبيض الحمامة.. معجزة خالدة لنجاة رسوله الحبيب ﷺ.

كذلك الحال مع الكسوف والخسوف.. إن كلا منهما ظاهرة فلكية.. تقع من حين لآخر في هذا المكان أو ذاك، ولكن هذا الكسوف بالذات يتميّز بارتباطه بظهور رجل يُعلن على الملأ أنه مبعوث من عند الله، وأنه هو الإمام المهدي المنتظر، فرسول الله ﷺ يقول: "إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض..."، أي أن هاتين الآيتين لم تقعا تصديقا لأحد منذ خلق

السماوات والأرض. وليس مقصوده أن الخسوف والكسوف لم يقعا بالشكل الذي جاء في الحديث، ولو كان الأمر يتعلّق بالخسوف والكسوف فقط، لذكرهما رسول الله بصيغة المذكر وقال "لم يكونا"، أي أن الخسوف والكسوف لم يكونا منذ خلق السماوات والأرض، ولكنه قال: "لم يكونا"، والضمير في هذه الصيغة المؤنثة لا يمكن أن يعود إلى الكسوف والخسوف وإنما يعود إلى كونهما آيتين للإمام المهدي.

وهناك أيضا ملاحظة أخرى جديرة بالاهتمام في الحديث المذكور، يشير إليها قول رسول الله: "إن لمهدينا...". فإن رسول الله لا ينسب إلى نفسه وإلى أمته إلاّ كل ما هو عظيم، فإن من شيمة العظيم ألاّ ينتسب ولا ينسب إلى نفسه إلاّ كل عظيم، فقوله: "إن لمهدينا.." يدل قطعا على عِظَم شأن ذلك الإمام المهدي، وعلى عُلوّ مقامه. كذلك فإن هذا التعبير يدل على تفرّده واختصاصه بشخص معين. فإن المعنى العام لكلمة 'مهدي'، يمكن أن ينطبق على كل إنسان يهديه الله تعالى إلى سبيل الرشاد فيكون مهديّا. ولكن.. لكي يؤكد رسول الله ﷺ على اختصاص فرد معين من الأمّة بهذا الوصف، فقد نسب ذلك الإمام المهدي إلى نفسه، إشارة إلى أنه ليس من عامة الناس الذين يهديهم الله تعالى، وإنما هو على مقام عظيم، وشأن رفيع، ودرجة عالية، لا ينالها أحد إلاّ ذلك الإمام المهدي بالذات الذي يقصده رسول الله. كذلك فإن انتساب الإمام المهدي إلى رسول الله ﷺ، يدل على قرب ذلك الإمام من الرسول وحبه الشديد له، كما يشير إلى الرابطة القوية التي تربط بينهما، فقوله: "مهدينا" إنما هو تعبير عن رابطة المحبّة والمودّة التي يُعبّر عنها رسول الله ﷺ نحو الإمام المهدي عليه السلام.

وبالإضافة إلى كل ما سبق، فإن قوله ﷺ: "إن لمهدينا آيتين.." يشير كذلك إلى أن الإمام المهدي سوف يظهر في زمن يتواجد فيه بعض المتنبئين، الذين

يدّعون كذبا أنهم ذلك الإمام المهدي المنتظر، ولكن وقوع الآيتين اللتين ذكرهما رسول الله ﷺ لن يحدث لأي من أولئك المدّعين الكذبة، بل سوف يحدث لتصديق الإمام المهدي الحق، الذي يقصده رسول الله ﷺ ونسبه لنفسه بقوله: "إن لمهدينا آيتين." وهو لم يقل: إن للمهدي آيتين، إذ لو كان اكتفى بقوله إن للمهدي آيتين لما فُهم بالضرورة من كلامه أنه سيكون هناك مدّعون كذبة يدّعون أنهم ذلك المهدي المنتظر. وعلى هذا فمن شروط صدق الإمام المهدي الحق، أن يسبق ظهوره مدّعون كذبة، يدّعي كل منهم أنه الإمام المنتظر.

إن الوضّاعين ومخترعي القصص والأحاديث، لا يمكن أن يخترعوا نبأ يكون من المستحيل ضمان وقوعه بهذا الشكل الذي جاء فيه هذا النبأ. وبدراسة الحديث دراسة وافية، نجد أن هناك الكثير من الشروط التي لا بد من تحققها، فهذا الحديث ليس مجرد نبأ عن كسوفٍ للشمس وخسوف للقمر، وإنما تميز ذلك الحديث بالذات بأن اجتمعت فيه كلٌ العوامل الآتية:

أولا: إن عددا من الناس سوف يدّعون بأنهم الإمام المهدي، ولكن كسوف الشمس وخسوف القمر لن يحدث إلاّ بعد أن يرحل المدّعون الكذبة جميعا عن مسرح الحياة، ولا يبقى سوى الإمام المهدي الصادق، فتقع هذه المعجزة الفلكية في حياته تصديقا له.

وقد حدث في عام ١٨٤٤ أن قام رجل في إيران اسمه علي محمد، وادّعى أنه المهدي المنتظر وأنه الباب الذي يدخل منه السالك إلى حضرة الله تعالى. وكان هذا أول الكذابين الذين أشار إليهم رسول الله، وقد قُتل ذلك المهدي الكذاب عام ١٨٥٠. ثم تبعه مهدي آخر عُرف باسم محمد أحمد المهدي، الذي ظهر في السودان وادّعى أنه المهدي المنتظر عام ١٨٧٩، ولكنه هلك أيضا عام ١٨٨٥، ويُقال إنه قتل بأيدي الإنجليز الذين كان يحاربهم، ويقال إنه مات نتيجة تأثره بجروح أصيب بها في إحدى المعارك. ثم كان هناك بهاء الله،

وكان من أتباع مهدي إيران، ثم انفصل واستقل عنه وقال إنه مظهر الله، ومع أنه لم يدّع النبوة ولم يقل إنه المهدي المنتظر، إلاّ أنه قضى حياته سجينا في سجن عكا بفلسطين حتى مات أخيرا عام ١٨٩٢.

ثم كان سيدنا أحمد الذي أعلن في أوائل الثمانينيات أنه المجدد للقرن الرابع عشر الهجري، ثم أعلن في ١٨٩٠ أنه الإمام المهدي المنتظر وأنه المسيح الموعود، وبعد بضع سنوات من إعلانه عن نفسه، وبعد أن كذبه الناس، وبعد أن سبقه أثناء حياته ثلاثة آخرون من المدّعين كانوا كذبة، فغادروا جميعا مسرح الحياة. حين خلت الدنيا من كل أولئك الذين ادّعوا كذبا أنهم المهدي المنتظر، ولم يبق سوى سيدنا أحمد، وقعت تلك المعجزة الفلكية، وتحققت نبوءة رسول الله ﷺ.

وغني عن البيان القول بأن تحقق هذا الشرط يدل بدلالة قاطعة على أن هذا النبأ العظيم عن الكسوف والخسوف لا يمكن أن يكون من وضع الوضّاعين، فمن غير المعقول أن يجمح الخيال بإنسان إلى درجة أنه يشترط لتحقق نبإ ما أن يسبق تحققه وجود المدّعين الكذبة.

ثانيا: لكي يرى الناس هذه الظاهرة الفلكية، لا بد أن يكون الجو صحوا غير عاصف ولا متراكم السحب، في كل من اليومين اللذين يقع فيهما الكسوف والخسوف. ولكم وقعت مثل هذه الظواهر الفلكية في الأزمنة الماضية دون أن يفطن إليها الناس بسبب تراكم السحب. أما أثناء وقوع هاتين الآيتين في زمن سيدنا أحمد عليه السلام فلم يكن هناك أي حائل يمنع رؤية خسوف القمر أو كسوف الشمس.

ثالثا: إن الإمام المهدي الذي أقامه الله تعالى وأنبأ عنه رسوله ﷺ سوف يُعلن أولا عن نفسه، ويدعو الناس إلى الإسلام الصحيح، ويجدد الدين، ويطهره من العقائد الفاسدة الدخيلة عليه، ومن الإسرائيليات التي تسرّبت إلى

أفهام أتباعه، وبعد أن يُكذبه عامة الناس، تقع المعجزة الفلكية تصديقًا له، وتحقيقا لوعد رسول الله ﷺ.

وهذا ما حدث بالفعل، إذ أعلن سيدنا أحمد عليه السلام أنه الإمام المهدي والمسيح الموعود عام ١٨٩٠، وأعلن أن عيسى بن مريم عليه السلام قد مات مثل بقية الرسل، وأنه كان بشرا مثل بقية البشر، وأنه لم يصعد إلى السماء كما كان شائعا بين الناس في ذلك الوقت، وأن هذه العقيدة من أكبر الأكاذيب، ومن الإسرائيليات التي تسربت إلى أفهام وعقائد المسلمين.

رابعا: إن القمر سوف ينخسف في أول ليلة من ليالي خسوف القمر، أي في الليلة الثالثة عشرة من الشهر العربي، وهذا ما حدث بالضبط.

خامسا: إن لفظ "لأول ليلة" يشير أيضا إلى أن خسوف القمر سوف يتم أول الليلة التي يقع فيها ذلك الكسوف، أي أنه لا يحدث في منتصف الليل ولا في آخر الليل. وقد وقع خسوف القمر في الساعة السابعة واستمر حتى الساعة التاسعة من مساء ليلة الثالث عشر من رمضان.

سادسا: إن الشمس سوف تنكسف في اليوم المنصّف لأيام كسوف الشمس، وهو اليوم الثامن والعشرين من الشهر العربي، وهذا هو ما حدث تماما.

سابعا: إن لفظ "في النصف" يشير أيضا إلى أن كسوف الشمس سوف يتم قبيل منتصف النهار الذي يقع فيه ذلك الكسوف. وقد بدأ كسوف الشمس في الساعة التاسعة والنصف وانتهى في الساعة الحادية عشرة قبيل ظهر ذلك اليوم.

ثامنا: إن كلا من كسوف الشمس وخسوف القمر سوف يقعان في شهر رمضان المبارك. وهو ما حدث تماما.

تاسعا: إن اجتماع الكسوف والخسوف في شهر رمضان يجب أن يحدث في نفس العام، وليس في رمضانين متفرّقين، وذلك تحقيقا لما ذكره القرآن الكريم تأييدا لحديث رسول الله ﷺ عن اجتماع الكسوف والخسوف. يقول تعالى:

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَة ۞ فإذَا بَرقَ الْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۞ يَقُولُ الإنْسَانُ يَوْمَئذ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ (القيامة: ٨-١١)

فقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ يدلّ على اجتماعهما في نفس الشهر لا في رمضانين مختلفين أو متعاقبين. وهذا ما حدث تماما.

عاشرا: إن اجتماع الكسوف والخسوف في الأوقات المحددة، وفي الأيام المحددة، وفي الشهر المحدد، يجب أن يحدث ويُشاهَد في المكان الذي ظهر فيه الإمام المهدي. وقد تم ذلك في الهند عام ١٨٩٤ الموافق عام ١٣١١ الهجري.

حادي عشر: إن شهر رمضان بالذات هو الشهر الذي قد تختلف بدايته من بلد إلى بلد، وعلى ذلك فإن المنطقة التي ظهر فيها الإمام المهدي يجب أن تكون هي النقطة المركزية التي يتحدد فيها ابتداء الشهر، وبالتالي تتحدد أيام الكسوف والخسوف حسب نبوءة رسول الله ﷺ. فمن الممكن أن يُرى الخسوف والكسوف في مكان آخر غير الهند، ولكن بداية رمضان فيه تختلف عن بدايته في المنطقة التي كان فيها سيدنا أحمد عليه السلام، وبالتالي فإن الكسوف والخسوف بالنسبة للآخرين، لن يكون في الأيام التي حددها رسول الله. وقد وقع الخسوف والكسوف في منطقة البنجاب، وهي المنطقة التي تقع بها قاديان، قرية الإمام المهدي عليه السلام، في نفس الأيام التي حدّدها رسول الله ﷺ في النبوءة.

ثاني عشر: حيث إن نبوءة رسول الله ﷺ عن الإمام المهدي هي نبوءة

للعالم أجمع، وحيث إن الإمام المهدي مبعوث للعالم أجمع، وحيث إن مهمّة الإمام المهدي هي نشر الإسلام وإعلاء رايته في العالم أجمع، فإن هذه النبوءة يجب أن تتحقق بشكل يعطيها صبغة عالمية، بمعنى أنها يجب أن تتحقق في الشرق وفي الغرب، حتى تكون آية لسكان العالم أجمع. وقد تم هذا في العام التالي مباشرة أي في عام ١٨٩٥ الموافق ١٣١٢ الهجري في نفس شهر رمضان، وفي نفس الأيام المحددة في النبوءة، باعتبار أن النقطة المركزية هي البلد الذي ظهر فيه الإمام المهدي وهي الهند.

ثالث عشر: إن هذه المعجزة الفلكية ستكون بمثابة إنذار وتحذير من الله تعالى للناس، ودعوة لهم كي يتوجّهوا إليه بالدعاء والاستغفار، وإلاّ فإن عذابا سوف يعم العالم أجمع، بشكل لم تشهده البشرية من قبل في تاريخها الطويل. وقد أشار الإمام المهدي إلى ذلك في قوله المذكور آنفا للمخالفين والمكذّبين بأن العذاب: "**قد تقرر وأُكد من الله لأهل العدوان**". وسوف نتحدّث عن ذلك الموضوع بإسهاب فيما بعد.

رابع عشر: تشير هذه الآية إلى أنها علامة رحمة ونصر للمظلومين والمستضعفين، كما ذكر هذا الإمام المهدي عليه السلام. وليس المقصود هنا بالمظلومين والمستضعفين هم أفراد جماعته فقط، فهؤلاء تشير إليهم الفقرة التالية، وإنما المقصود هو أن المظلومين والمستضعفين في العالم عامة، سوف ينالون الكثير من الحقوق التي كانوا محرومين منها.

وتكفي نظرة واحدة على ما حدث في العالم بعد ذلك لنرى صدق هذه الكلمات، إذ بدأ العمال ينظمون أنفسهم في نقابات طالبت أصحاب الأعمال بحقوقهم المهضومة، ولم يكن هذا يحدث من قبل. كذلك مُنعت تجارة الرقيق من العالم، وتوقّفت عمليات الإغارة على أهل أفريقيا واختطافهم ليعملوا سخرة وعبيدا في العالم الجديد. وهبّت الشعوب التي كانت تحت الاحتلال

تطالب باستقلالها وحريتها، وثار الفلاحون والعمال المضطهدون في روسيا ضد مظالم القيصر، وأطلق كارل ماركس ولينين دعوتهما إلى عمال العالم ليتحدوا تحت لواء الشيوعية التي كان من المفروض أن تكون إنصافا للمظلومين، وحفاظا على حقوق العمال المطحونين. ووُضع في بلاد كثيرة قوانين ودساتير تقرر وتحمي حقوق المواطنين، ولم يعد الحكم فيها حكما مطلقا في يد فرد أو عائلة معيّنة.

ولا شك أن وجود المظلومين والمستضعفين لم ينته تماما من العالم بعد، ولكن عند مقارنة عالم اليوم بعالم ما قبل الخسوف والكسوف، يتبين الفرق الشاسع بين أحوال وحجم ومدى انتشار المظلومين والمستضعفين آنذاك، وبين أحوالهم وأحجامهم ومدى انتشارهم اليوم.

خامس عشر: تشير آية الخسوف والكسوف إلى أن الذين "**أُوذوا وكُفروا ولعنوا من غير حق فينْزل لهم آيات من السماء، وحمايات من حضرة الكبرياء**"، وهؤلاء بالطبع هم الإمام المهدي وجماعته، وسوف نرى فيما بعد كيف تحقق هذا الجزء من النبوءة.

سادس عشر: يشير الإمام المهدي أيضا إلى أن من نتائج آية الخسوف والكسوف هو انتشار العلوم الصحيحة. ويكفي أن يُلقي الإنسان نظرة على تاريخ العالم منذ اختراع العجلة حتى نهاية القرن التاسع عشر، ويرى الكم المهول من العلوم التي انتشرت في العالم، حتى إن الاختراعات الحديثة في وسائل المواصلات، ووسائل الاتصال، ووسائل البناء، ووسائل الحصول على المعلومات، وغيرها، قد غيرت وجه العالم الحديث. ولعله لم يجانب الحقيقة من قال إن العالم قد اكتسب من العلوم في العقود السبعة الأولى من القرن العشرين، أضعاف ما اكتسبه من العلوم في السبعة آلاف عام المنصرمة.

وغني عن البيان أن نذكر أن المقصود أيضا بانتشار العلوم الصحيحة، هو

انتشار العلوم الدينية الصحيحة، والتي جاء الإمام المهدي الطَيْكِلاً ليكون وسيلة نشرها في العالم.

سابع عشر: يذكر الإمام المهدي الطَيْكِلاً، أن من نتائج آية الخسوف والكسوف أن الناس سوف يدخلون في دين الله أفواجا، وسوف يصل أثر المجدد، أي الإمام المهدي، إلى أقصى أنحاء الأرضين. وسوف نرى كيف تحقق هذا الجزء من النبوءة في عهد الإمام المهدي نفسه. ولعله من الجدير بنا أن نشير إلى أن جماعة الإمام المهدي، أي الجماعة الإسلامية الأحمدية، هي أول جماعة إسلامية في العالم يكون لها إذاعة مرئية ومسموعة، تصل إلى جميع أنحاء المعمورة عن طريق الأقمار الصناعية.

ولا شك أن آية الخسوف والكسوف كانت من بركات رسول الله ﷺ الذي أخبرنا عنها منذ أربعة عشر قرنا، وأنها سوف تكون دليلا على صدق الإمام المهدي الطَيْكِلاً، وقد تحققت هذه الآية في عام ١٨٩٤. وبعد مرور مائة سنة بالتمام على تحقق هذه النبوءة.. أي في عام ١٩٩٤، تمت لأول مرة في تاريخ الجماعة البيعة العالمية عن طريق الأقمار الصناعية، ودخل في الجماعة في ذلك العام أكثر من أربعمائة ألف إنسان، يُسَبحون بحمد ربهم رافعين لواء التوحيد، ومستنْزلين البركات على رسول الله ﷺ. وفي هذا العام الحالي الذي يتم فيه كتابة هذه السطور (١٩٩٦) دخل في الجماعة بفضل الله تعالى أكثر من مليون وستمائة ألف إنسان، وتمت أيضا البيعة العالمية عن طريق الأقمار الصناعية، وشاهد وقائعها جميع أفراد الجماعة، التي انتشرت في مائة وأربع وخمسين دولة* من دول العالم (حتى كتابة هذه السطور). إن كل هذا لم

* أما الآن في عام ٢٠٠٦م فقد توطدت الجماعة بفضل الله تعالى في ١٨٢ قطرا من أقطار العالم. (الناشر)

يكن ليحدث أو يتم، لو كانت هذه الدعوة من الشيطان، كما يدّعي الذين يخالفونها ويعارضونها، فإن الله تعالى لا يؤيد الكذابين والمفترين، بل إنه نور الله تعالى الذي يأبى الله إلا أن يتمه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ولن تنته العجائب ولن تتوقف المعجزات، حتى يلمع ذلك النور في جميع أنحاء الأرض، ولسوف تتحقق تلك الأبيات التي ذكرها الإمام المهدي في نهاية منظومته المذكورة آنفا:

وَإِنِّـــي سَـــوْفَ يُدْرِكُنِي إِلَهٌ عَلِيمٌ قَـــادِرٌ كَـــهْفِي مَرَامِي
أَأَنْتَ تُـــكَذِّبَـــنْ آيَاتِ رَبِّي أَأَنْتَ تُعَادِيَنْ سُبُـــلَ السَّلَامِ
لَنَا مِنْ رَبِّـــنَـــا نُـــورٌ عَظِيمٌ نُرِيكَ كَمَا يُرَى بَرْقُ الْحُسَامِ

بقي أن نشير إلى الفقرة الثالثة عشرة والخامسة عشرة المذكورتين آنفا، وكما سبق ذكره أعلاه قال الإمام المهدي عليه السلام:

"... ثم اعلم أن الله نفث في روعي أن هذا الخسوف والكسوف في رمضان آيتان مُخَوِّفَتَان، لقوم اتّبعوا الشيطان، وآثروا الظلم والطغيان، وهيّجوا الفتن وأحبّوا الافتتان، وما كانوا منتهين. فخَوَّفَهُم الله بهما وكل من تبع هواه وخان، وترك الصدق ومان، وعصى الله الرحمن. فيتأذّن الله لئن استغفروا ليغفرنّ لهم ويُرِي المنّ والإحسان، ولئن أبوا فإن العذاب قد حان، وفيها إنذارٌ للذين اختصموا من غير الحق وما اتّقوا الرب الديّان، وتهديدٌ للذي أبى واستكبر وما ترك الحران، فاتقوا الله ولا تعثوا في الأرض مُفسدين."

وقد أكّد رسول الله ﷺ، في حديثه الذي ذكره البخاري (باب الكسوف والخسوف)، على أن الله يخوّف عباده بهذه الظاهرة الفلكية. ولذلك فقد حثّ عند رؤيتها إلى أن يفزع الإنسان إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره، واستن لذلك سُنّة صلاة الكسوف. ووقوع تلك الظاهرة الفلكية آية لتصديق الإمام

المهدي، لا يترك للمخالفين والمعارضين حجة يستندون إليها، ولا عذرا يتمحّكون فيه، ولذلك فهي آية من السماء، تقيم الحجة على المنكرين. إذ ليس في مقدور أحد أن يتحكم في حدوثها، ولا أن يتسبب في وقوعها، ولا أن يمنع تحققها بهذا الشكل. وتحقق الشروط السبعة عشر المرتبطة بها بهذه الدقة.. لا يترك المجال لمن آتاه الله العقل والحكمة، إلاّ أن يرى صدق الإمام المهدي واضحا كالشمس في رابعة النهار.

ولكن.. كان هناك الكثير من علماء السوء الذين فسدت ضمائرهم، وخلبت الدنيا ومغانمها عقولهم، وهؤلاء كانوا يضللون عامة الناس. ثم هناك المبشرون المسيحيون الذين لا يتورعون عن الكذب والدجل، لصرف الناس عن الإسلام، وإبعادهم بكل وسيلة عن الإمام المهدي عليه السلام. وعامة الناس ينقسمون عادة إلى طائفتين: أولئك الذين نالوا قسطا معقولا من العلوم، فهم المتعلمون والمثقفون، وأكثر هؤلاء جذبتهم أمور الدنيا، وشغلتهم الفلسفات والأفكار الغربية الجديدة عن الاهتمام بأمور الدين. والطائفة الأخرى، وهي الأغلبية الساحقة من عامة الناس، هم من لم ينالوا قسطا وافرا من التعليم، وليس أمامهم سوى اتباع غيرهم من القادة العميان، ويظنّون أن الأمان والنجاة في اتّباع السادة والكبراء من رجال الدين، باعتبار أنهم هم الخبراء والعارفون بأمور الدين. ولكن الله تعالى يُدين الانسياق الأعمى وراء السادة والكبراء، ويحكي لنا عن مصير هؤلاء الذي ينتهي بهم إلى جهنم فيقول:

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ۞ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب:٦٧-٦٩)

ومن الناس من يظن أنّ الأمان والنجاة في اتّباع السلف الصالح من الآباء والأجداد، ويرفضون سماع أي أمر يختلف عمّا سمعوه من آبائهم، حتى ولو

كان آباؤهم قد أخطأوا في بعض الأمور، فهم لا يرون هذا الخطأ ولا يعترفون بوجوده، وهؤلاء أيضا يدينهم القرآن الكريم فيقول:

﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّة وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُّهْتَدُونَ ۞ وَكَذَلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلَكَ فِي قَرْيَة مِّنْ نَّذِير إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّة وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ ۞ قُلْ أَوَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۞ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الزخرف:٢٣-٢٦)

ومن الناس من يستنكر الدعوة الجديدة لأنه لم يسمع بها من قبل، فيقولون:

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّة الآخِرَة إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ ۞ أَءُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَاب﴾ (سورة ص:٨-٩)

ولأنهم لم يسمعوا بالدعوة من قبل، فهم يحكمون عليها بالضلال والبطلان، ويرفضون أن يستمعوا إليها، فيكون مآلهم نار جهنم كما يقول الكتاب الحكيم:

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُوا بَلَى قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ كَبِير ۞ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۞ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الْمُلْك:١٠-١٢)

ولعل الإنسان بطبعه يميل إلى أن يكون مع الأغلبية، ويتصرف عادة كما يتصرف الحيوان في القطيع، يمشي حيث يتجه القطيع كله، ولا يحاول أن يفكر تفكيرا مستقلا، يجعله في موضع يختلف فيه عن ''أكثر الناس'' في مجتمعه، ومن هنا جاء تحذير القرآن الحكيم من ''أكثر الناس'' فقال:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ (الأنعام:١١٧)
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:٢٤٤)
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:١٨٨)
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (هود:١٨)
﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾ (الفرقان:٥١)

ورغم هذا التحذير فإن ''أكثر الناس'' يُفضلون دائمًا أن يكونوا في جانب الأغلبية من الناس، حتى ولو قاد ذلك إلى الدمار والهلاك، تماما مثل تلك الحيوانات الصغيرة التي تشبه فأر الحقل، وتعيش في مجموعات كبيرة، وتهاجر من حين إلى حين، لا إلى منطقة معينة، ولكن تظل جموعها منطلقة.. يتّبع كل فرد فيها غيره.. حتى تصل حافة الجبل المطل على البحر، فتقفز جميعها وتهوي إلى حتفها.

ولهذا.. من أجل "أكثر الناس" وعامتهم، أراد الله أن تكون هناك آية أخرى من السماء، آية تكون عذابا وعقابا لأولئك الذين أنكروا الحق وهم يعلمون، وأيضا لأولئك الذين يُفضّلون أن يتّبعوا الأغلبية.. لأنهم لا يعلمون.

وقد رأي سيدنا أحمد عليه السلام رؤيا في ٦ فبراير (شباط) عام ١٨٩٨، أي بعد مرور أربع سنوات على تحقق آية الخسوف والكسوف، ورأى في هذه الرؤيا أن ملائكة الله تغرس في مختلف نواحي البنجاب أغراسا سوداء، قصيرة الطول مهولة المنظر، حالكة اللون قبيحة الصورة. فسأل بعض الملائكة الذين يغرسونها عن ماهيتها، فقالوا هذه أغراس الطاعون الذي سيتفشّى في البلاد. وقد اشتبه عليه الموعد الذي حددته الملائكة لتفشي الطاعون، فلم يتذكر ما إذا كانوا قد قالوا في الشتاء القادم أو في الشتاء الذي يليه.

كذلك كان الإمام المهدي عليه السلام قد تلقى من قبل وحيا يقول: [إِنَّ اللهَ لاَ

يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ]، وتلقى أيضًا وحيًا آخر يقول: [الأَمْرَاضُ تُشَاعُ وَالنُّفُوسُ تُضَاعُ]. وقد فهم من هذا الوحي أن عقاب الله تعالى في صورة مرض أو وباء، يوشك أن ينْزل على المكذبين والمخالفين. فلما طغى المكذبون ونشروا فسادهم في البلاد، دعا الله تعالى أن ينـــزل عليهم عقابه، وقد ذكر ذلك في قصيدة نشرها في أحد كتبه التي كتبها باللغة العربية، ووجّهها إلى أهل مكة المكرّمة، وفي نهاية الكتاب نظم قصيدة طويلة بدأها بهذه الأبيات:

دُمُوعِي تَفِيضُ بِذِكْرِ فِتَنٍ أَنْظُرُ ... وَإِنِّي أَرَى فِتَنًا كَقَطْرٍ يَّـــمْطُرُ
تَـــهُبُّ رِيَاحٌ عَاصِفَاتٌ مُبِيدَةٌ ... وَقَلَّ صَلاَحُ النَّاسِ وَالْغَيُّ يَكْثُرُ
وَقَدْ زُلْزِلَتْ أَرْضُ الْهُدَى زِلْزَالَهَا ... وَقَدْ كُدِّرَتْ عَيْنُ التُّقَى وتُكَدَّرُ
وَمَا كَانَ صَرْخٌ يَصْعَدَنَّ إِلَى الْعُلَى ... وَمَا مِنْ دُعَاءٍ يُسْمَعَنَّ وَيُنْصَرُ
فَلَمَّا طَغَى الْفِسْقُ الْمُبِيدُ بِسَيْلِهِ ... تَمَنَّيْتُ لَوْ كَانَ الْوَبَـــاءُ الْمُتَبِّرُ
فَإِنَّ هَلاَكَ النَّاسِ عِنْدَ أُولِي النُّهَى ... أَحَبُّ وَأَوْلَى مِنْ ضَلاَلٍ يُخَسِّرُ

(حمامة البشرى، الخزائن الروحانية ج٧ ص٣٢٦)

إن الأنبياء عادة يرجون لأقوامهم النجاة من العذاب، ويبذلون قصارى جهدهم حتى يقبل الناس الحق ويُغيّروا ما بأنفسهم فيستجلبون رحمة الله عليهم. ولكن في بعض الأحيان، يخبر الله تعالى أنبياءه عن حتمية وقوع العذاب، لأن الناس لا يريدون أن يُغيروا ما بأنفسهم، بل يتّبعون الأغلبية ويلتزمون جانب ''أكثر الناس''، فلا بد من إنزال العقاب حتى يرى الناس أين الحق وأين الباطل. وحين يدعو النبي على قومه لنُزول العذاب، فإنه لا يفعل ذلك من تلقاء نفسه، وإنما بعد أن يخبره الله تعالى أن العذاب قد تقرر. وقد دعا نوح عليه السلام على قومه فقال:

﴿رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح:٢٧)

ودعا موسى عليه السلام على فرعون وقومه فقال:

﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ (يونس:٨٩)

ودعا رسول الله ﷺ على قومه أن يصيبهم القحط فقال: "اللهم... وابعث عليهم سنين كَسِني يوسف" (البخاري، كتاب الإكراه). لذلك ليس من المستغرب أن يدعو الإمام المهدي عليه السلام على قومه، خاصة وإن الله تعالى قد أنبأه بنُزول العذاب، وذكر هو في منظومته المذكورة عاليه، أن الفسق إذا طغى وصار كالسيل المبيد، يكون هلاك أولئك الفاسقين، في نظر أصحاب العقول والإدراك السليم، أحب وأولى من انتشار الضلال الذي يسبب الخسران.

كان وباء الطاعون في تلك الآونة قد بدأ ينتشر في أقاصي جنوب الهند، واتخذت الحكومة البريطانية إجراءات صحيّة حاسمة لمنع انتشاره، وأعلنت أن البنجاب التي تقع في شمال الهند خالية تماما من المرض. ولذلك، حينما أعلن سيدنا أحمد عليه السلام أن وباء الطاعون سوف ينتشر في البنجاب، قابل الناس إعلانه بالاستهزاء المعتاد، فقد كانوا يثقون في تأكيدات الحكومة الأرضية، ونسوا حاكم السماوات والأرض الذي أخبر نبيّه بقرب نزول العذاب.

وفجأة.. بدأت تظهر حالات الطاعون في البنجاب، ومع غروب شمس كل يوم كانت المستشفيات تتلقى عشرات ثم مئات ثم آلاف الحالات، وانتشر الطاعون بسرعة رهيبة كما تنتشر النيران في العشب الجاف، واتخذت الحكومة البريطانية إجراءات صحية مشددة، ومنعت السفر والانتقال حتى إن الحج مُنع أيضا، ولكن لم تستطع كل الإجراءات الصحية التي اتخذها الحكومة أن توقف انتشار الوباء.

وتلقّى الإمام المهدي عليه السلام وحيًا يقول:

[إِنِّي أُحَافِظُ كُلَّ مَنْ فِي الدَّار، إِلاَّ الَّذِينَ عَلَوْا مِنِ اسْتِكْبَار]

وهذا يعني أن الله تعالى سوف يحفظ كل من في دار الإمام المهدي من لهيب هذا الوباء المدمّر. ثم تلقى وحيا آخر باللغة الأردية بما معناه أن النار خادم لنا بل هي خادم خدّامنا، وهذا يشير إلى أن العصمة من لهيب الطاعون، التي قدّرها الله تعالى للقاطنين في دار سيدنا أحمد عليه السلام، سوف يعطيها أيضا للخدّام المخلصين من أتباع الإمام المهدي عليه السلام.

أمّا علماء السوء والمبشرون المسيحيون وأعداء الإمام المهدي من الهندوس والآريا وغيرهم فلم يرتدعوا، وصدّقوا دعايات الحكومة بأن الوباء سوف يتم القضاء عليه في أيام قليلة، وزعموا أن هذا الوباء قد أرسله الله ليقضي على مرزا غلام أحمد وعلى أتباعه، وأصدر الكثير من العلماء والمولويين نشرات وإعلانات، يتنبأون فيها بهلاك سيدنا أحمد في شهور قليلة.

وأخذ العامة من الناس يرقبون الموقف، فلو كان غلام أحمد كاذبا كما يصفه العلماء، ولو كان دجّالا مفتريا على الله كما يصمه كل المخالفين، فلا بد أن يُهلكه الله تعالى، ولا بد أن يُصيبه وباء الطاعون كما تنبأ بذلك الكثير من العلماء، الذين أصدروا ضده فتاوى التكفير. وأما إذا كان صادقا فسوف يعصمه الله تعالى من هذا المرض الفتاك، ويُحقق بذلك صدقه للناس.

كان من ضمن الإجراءات التي اتخذها الحكومة لمكافحة انتشار المرض، القيام بحملة واسعة لتطعيم المواطنين بالمصل الواقي من الطاعون. فتقدم سيدنا أحمد عليه السلام بطلب إلى الحكومة لإعفائه هو وأتباعه من التطعيم، وذكر عليه السلام أن هذا الوباء القاتل، إنما هو عقاب من الله تعالى للمكذبين والمخالفين، وأنه آية للناس ليروا بها مدى تأييد الله تعالى لعبده الإمام المهدي، وأنه قد وعد بعصمته هو وأتباعه المخلصين، فهم ليسوا بحاجة للتطعيم. وقد أضاف طلبه هذا المزيد من حملات الاستنكار والاستهجان من جانب المعارضين له، وكتبوا الكثير من المقالات ضده يستنكرون مسلكه، وقامت ضجّة كبيرة على

صفحات الصحف والجرائد تنتقد هذا التصرّف وتدينه.

ولأن وباء الطاعون كان ينتشر بشكل سريع في مناطق شاسعة من آسيا وأفريقيا، كان هناك الكثير من الاهتمام العالمي بأخباره، وتناقلت الجرائد العالمية ما أعلنه الإمام المهدي في إشهاراته المختلفة، وذكرت أنه طلب من الحكومة إعفاءه هو وأتباعه من التطعيم. ووصل الأمر إلى مصر، وكان فيها في ذلك الوقت شاب يتزعّم حزبا سياسيا هو "الحزب الوطني"، الذي أنشأه للمطالبة باستقلال مصر من الاستعمار البريطاني، وكان هذا الشاب هو الزعيم المصري المعروف مصطفى كامل باشا، وكان الحزب الوطني يُصدر صحيفة اسمها جريدة "اللواء"، كان يتولّى تحريرها مصطفى كامل باشا. ولما نما إلى علمه أخبار الطاعون، والطلب الغريب الذي تقدم به سيدنا أحمد للحكومة، كتب في جريدة اللواء المصرية مقالا ينتقد فيه مسلكه، ويلومه لعدم الأخذ بالأسباب. ووصل مقال مصطفى كامل باشا إلى سيدنا أحمد ، فكتب كتابا باللغة العربية ردّ فيه على الاعتراضات التي أثارها مصطفى كامل باشا في مقاله، وسوف نذكر فيما بعد مقتطفات من هذا الكتاب الذي أسماه "مواهب الرحمن"، وكان الفصل الأول منه بعنوان: "اللواء وآية من السماء".

مرّت الأيام.. ولم يتحقق ما زعمه علماء السوء عن هلاك سيدنا أحمد بالطاعون، بل الغريب أن واحدا بعد الآخر من هؤلاء العلماء والمولويين أنفسهم.. كان يسقط فريسة للمرض، ثم يودّع الدنيا ملوما محسورا. وبدأ بعض العقلاء من عامة الناس يرون بأنفسهم أن ما يقوله العلماء والمولويون لا يتحقق، بينما يعيش سيدنا أحمد في أمان تام من الطاعون. وشد الكثير منهم الرحال إلى قاديان ليبايعوا الإمام المهدي . ولكن المولويين والمبشرين المسيحيين الذين أعماهم الحقد والغيرة، لم يكفوا عن التطاول عليه، ووجدوا في امتناعه عن التطعيم سببا لتوجيه اللوم والنقد اللاذع إليه.

لم يُفكر هؤلاء للحظة واحدة.. أن هناك إلها قديرا يحوي ملكوته السماوات والأرض، وأنه سبحانه على كل شيء قدير. لم يعلم هؤلاء العميان أنه لو كان سيدنا أحمد.. حسب ظنهم.. كذابا مفتريا على الله تعالى، لأهلكه الله تعالى مهما كان قدْر وكفاءة وتأثير مصل الطاعون. لم يُدرك أولئك الجهال أن سيدنا أحمد كان يُرجع عصمته وحفاظته إلى الله تعالى، ويستدل بذلك على صدقه وحقيقة دعواه، فكيف يكون كاذبًا ويتركه الله تعالى آمنا، بل ويؤيده بهذا الشكل، وهو الذي قال في كتابه العزيز:

﴿وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ (طه:٦٢)

وأكد سيدنا أحمد عليه السلام على أن الله سوف يحفظه هو وأتباعه المخلصين، وأن الأمن والسلام والعصمة في جانبهم وليس في جانب التطعيم، وطلب من مخالفيه أن يصبروا قليلا حتى يحكم الله بينه وبينهم في هذا الأمر.

ومرّت الأيام، وبدأت الشائعات تنتشر عن أخطار المصل الواقي من التطعيم، وقيل إنه يُسبب عقم النساء، وقيل إنه يسلب الرجولة من الرجال، وقيل إنه يسبب الكثير من الأمراض ويُضعف الإنسان. ولكن الإمام المهدي لم يتصرف كالمتلهف على إثبات صدقه، ولذلك لم يلتفت إلى تلك الشائعات، حيث لم تتوافر الأدلة المادية الكافية على صحتها، إلى أن شاء الله تعالى أن يكشف فساد رأي أولئك المولويين، ويفضح خطأ كلامهم، ويُثبت بالدليل القاطع صدق عبده الإمام المهدي عليه السلام. فإذا بالحكومة تعلن أنه قد حدث أن جاءت إحدى الحملات الصحية إلى بعض القرى لتطعيم أهلها ضد الطاعون، وما أن انتهت الحملة من عملها إلاّ وسقط العديد من الأهالي فريسة المرض، ومات البعض منهم. وقد انتشر الخبر بسرعة في البلاد مما اضطر الحكومة إلى إيقاف جميع حملات التطعيم.

وهكذا كشف الله تعالى فساد رأي المولويين، وأظهر آيات تصديقه لسيدنا أحمد عليه السلام، وبسبب كل هذه التطورات، ولظهور كل هذه الآيات، استطاع الكثير من الناس أن يروا نور الحق، فدخلوا في دين الله أفواجا. وتلقى الإمام المهدي وحيا من الله يقول: [وَسِّعْ مَكَانَكَ وَلاَ تَسْأَمْ مِنَ النَّاسِ]. ففهم من ذلك أن الناس سوف يأتون إليه في أفواج وأعداد غفيرة، مسلمين مؤمنين قانتين، تائبين عابدين سائحين، سائرين وركبانا.

ولنذهب إلى كتاب: "مواهب الرحمن" الذي كتبه سيدنا أحمد عليه السلام وردّ فيه على اعتراضات مصطفى كامل باشا، ونرى كيف أوضح عليه السلام كل هذه الأمور.

يقول عليه السلام في الفصل الأول تحت عنوان "اللواء وآية من السماء":

"قد اعترض علينا صاحب "اللواء"، عفا الله عنه وغفر له خطأه الذي صدر منه من غير عزم الإيذاء. قال: وردَت إلينا نشرة باللغة الإنكليزية متضمنة آراء المسيح الذي ظهر في بعض البلاد الهندية، وادعى النبوة، وادعى أنه هو عيسى، ليجمع الناس على دينٍ واحدٍ وليهديهم إلى سبيل التُّقى. وإنه زعم أنّ التطعيم ليس بمفيد للناس، واستدل بآيةٍ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنا﴾، فانظروا إلى سقم هذا القياس.

ثم بعد ذلك قال صاحب اللواء: إن هذا المدعي يزعم أن ترك الدواء هو مناط التوكل على واهب الشفاء. وليس الأمر كذلك.. فإن الاتكال على الله تعالى هو العمل بمقتضى سنّته، التي جرت في خليقته، وقد أُمرنا في القرآن أن ندرأَ الأمراض والطواعين بالمداواة والمعالجات، ولا نجد فيه شيئا مما قال هذا الرجل من الكلِم الواهيات. بل الاتكال بالمعنى الذي يظن هذا المدعي هو عدم الاتكال في الحقيقة، فإنه خروجٌ من السنة الجارية الـمَحْسوسةِ المشهودة في عالَـم الخَلْق، وخلافٌ لآية: ﴿لا تُلْقُوا بِأَيدِيكُم إلى التَّهْلُكَة﴾ (البقرة:١٩٦)

هذا ما قال صاحب "اللواء" وما تَظنَّى. فالأسف كل الأسف عليه أنه اعترض قبل أن يُفتّش وتَجنَّى. ولما قرأتُ ما أشاعَ وأَمْلَى، قلتُ: يا سبحان الله! ما هذا الكذب الذي على مقْوَله جرَى؟ وإني ما تفوهتُ قطُّ بهذا فكيف إليّ هذا القول يُعزَى؟ يطلبني في نياط وأنا على بساط، ويُبيّن ما فُهْتُ به بصورة أُخرى.

فأقول: على رِسْلِك يا فتى.. ولا تَعْزِني إلى قولٍ ما أتعزَّى. ومن حُسْن خصائل المرءِ أن يُحققَ ولا يعتمد على كلّ ما يُروى. فاتق الله يا من يُجرّح جِلْدتي ويُشهّر منقصتي، وتعال أقصّ عليك قصتي، واسمع مني معذرتي، ثم اقض ما أنت قاض، واخطُ خطوة التقى، واسلُكْ سبيل التقوى، ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم ولا تتبع الهوى.

إني امرؤ يكلّمني ربي، ويُعلّمني من لدنه، ويحسن أدبي، ويوحي إلي رحمة منه، فأتّبع ما يُوحى، وما كان لي أَنْ أترك سبيله وأَختارَ طُرقًا شَتّى. وكلّ ما قُلتُ قلت من أمره، وما فعلت شيئًا عن أمري، وما افتريت على ربي الأعلى، وقد خاب من افترى". (مواهب الرحمن، الخزائن الروحانية، ج١٩، ص٢١٩-٢٢١)

ثم بين عليه السلام أن الله لا يتقيد بالأسباب فقال: "أتعجب من هذا؟ فلا تعجب من فعل القدير الذي خلق الأرض والسَّماوات العُلى، وإنه يفعل ما يشاء، ولا يُسأل عما قضى. وعندي منه شهادات كثيرة، وإنه أرى لِي آياتٍ كُبرَى، وله أَسْرارٌ في أنباء وحيه الذي رزقني ورُموزٌ لا تُدركها عقولُ الورى. فلا تُمارِني في ترك التطعيم، ولا تكن كمثل من أغفل الله قلبه فاتّخذ أسبابه إلـــهًا وكان أمره فُرُطًا. ولكلِّ سببٍ إلى ربّنا المُنْتهَى، ويَفْنى السبب بعد مراتب شتَّى. ثم تأتي مرتبة الأمر البحت لا يشار فيه إلى سبب ولا يومى، ويبقى الله وحده وتُقْطَع الأسباب وتُمحى. وليس للأسباب إلا خطواتٌ، ثم بَعْده قدرٌ بَحْتٌ لا يُدْرَك ولا يُرى، وخزائن مخفية لا تُحَدّ ولا تُحْصى، وبحرٌ لا ساحل له، ودَشْتٌ نَطْناطٌ لا يُمْسَح ولا يُطْوى. أعُطّلتِ القدرةُ البحتُ وبقي الأسبابُ؟ تلك إذا قسمة ضيزى!

أَلا تعلم كيف خلق الله آدم وعيسى، وتتلو ذكرهما في القرآن ثم تنسى؟ أنسيت قصة الكليم وفلق البحر العظيم، إذْ أَجاز البحر وأُغرِقَ فرعون اللئيم؟ فبَيِّنْ لنا أي فُلْكٍ كان ركبه موسى؟ وما قص الله هذه القصص عبثًا بل أودعها معارف عُظمى، لتَعلمُوا أنّ قدرة الله ليستْ مُقيّدةً في الأَسباب، وليزداد إيمانكم وتفتح عيونكم وتنقطع عروق الارتياب، ولتعرفوا أن ربكم قديرٌ كاملٌ ما سُدَّ عليه باب من الأبواب، ولا تنتهي قدرته ولا تبلَى. ومن أنكر سعة قدرته وقيّدها بسببٍ لقلة فطنته فقد خرّ مِن ذُرَى الصدقِ وهوى، وكان خروره أصعب وأَدْهى. فلا تسُبّ الذين يتركون بعض الأسباب بأمر الله الوهّاب، ولا تُقيِّدْ سنن الله في دائرةٍ أضيق وأغسى". (المرجع السابق ص٢٢١-٢٢٣)

وبيّن حضرته أن الأسباب مدخل للشرك فقال: "اعلم أن الأسباب أصل عظيم للشرك الذي لا يُغْفَر، وأنها أقرب أبواب الشرك وأوسعها للذي لا يحذر، وكم من قوم أهلكهم هذا الشرك وأردى، فصاروا كالطبعيين والدهريّين، يضحكون على الدّين متصلفين ومستكبرين، كما تشاهد في هذا الزمان وترى. ولا نمنع من الأسباب على طريق الاعتدال، ولكن نمنع من الانهماك فيها والذهول عن الله الفعّال، ومَن تمايل عليها كل التمايل فقد طغى. ثم مع ذلك إن كان ترك الأسباب بتعليم من الله الحكيم، فهِيَ آية من آيات الله الجليل العظيم، وليس بقبيح عند العقل السليم، وقد سمعتَ أمثالها فيما مضى". (المرجع السابق ص٢٢٣-٢٢٤)

وأوضح عليه السلام أن الأسباب خُلقت للأولياء فقال: "واعلمْ أن لأولياء الله بعضَ أفعال لا تدركها العقول، ولا يعترض عليها إلا الجهول. أنسيت قصّة رفيق موسى وهي أكبر من قصّتي كما لا يَخْفَى؟ إنّه قتل نفسًا زكيّةً بغير نفس، ومُنِع فما انتهى، وخرَق السفينة وظُنّ أنه يُغرق أهلها وجاء شيئا إمْرا.

ثم ههنا نكتة لطيفة وهو أنّ الأسباب خُلقت للأولياء، ولو لا وجودهم لبطلت خواص الأشياء، وما نفَع شيء من حيل الأطبّاء، وأنهم لأهل الأرض

كالشفعاء، وأن وجودهم حِرْزُهم، ولولا وجودهم لمات الناس كلّهم بالوباء. فليس الدواء في نفسه شيئا، بل يأتي الفضل من السماء، كما قال لي ربي في وحي منه: "لولا الإكرام لهلك المقام"، وإن في ذلك لعبرة لمن يخشى. ثم جرت عادة الله أنّ بعض الناس يُبْتَلون بكَلِم أوليائه ولا يتدبرون ولا يفهمون، ويُضل الله بهم كثيرا، ويهدي بهم كثيرا، وكذلك قَدَّر وقضى. ولا يَضلّون إلا الذين في قلوبهم كبرٌ فهُمْ لكبرهم ينطَحون، ولا يخافون يوم الحساب، ويصرّون على ما يقولون، وما لهم به علم ولا يتّقون، ويسبّون رسل ربهم بغير علم ويعترضون على قولهم الأَخْفى. ولا يُهْدَونَ إلى نورهم لِشقْوةٍ سبقت، ولذنوب كثرت، ولمعاصٍ بلغت إلى المنتهى. فلا يَرون إلا عيوبهم ولا يُوفَّقون، ويُغشّي الله أبصارهم لئلا يبصروا، ويُصمّ آذانهم لئلا يسمعوا، ويختم على قلوبهم لئلا يفهموا، فينظرون إليهم وهم لا يبصرون. ذلك بما قدمت أيديهم وبما تمايلوا على الدنيا، وداسوا تحت أقدامهم دَار العُقْبى. يسبّون ولا يظلمون إلا أنفسهم ويُبارِزون الله الأغنى. وإنْ سبُّهم إلا حسرةٌ عليهم وحفرةٌ من النّار، فيقربون الحُفرة ظلمًا وطغوى، ومن دنا منها فقد تردَّى". (المرجع السابق ص٢٢٤-٢٢٦)

ثم بين عليه السلام أن الله تعالى قد أرى على يديه أكثر من مائة ألف آية فقال: "يقولون ما رأينا من آية وما رأينا من أمرٍ عجيب. يا سبحان الله! ما هذه الأكاذيب؟ ما لهم لا يخافون أيام الحسيب؟ وقد رأوا منّي أكثر من مائة ألف آياتٍ وخوارقَ ومعجزات، فنَسِيَ كل منهم ما رأى. فكيف إذا سُئلوا يوم القيامة وكُشِفَ ما كتموا، وأتوا ربهم بنفسٍ تتعرَّى؟ وإنّ لعن الصادقين المرسلين ليس بِهَيِّنٍ، فسوف يرون ثمرة ما يبذرون، ويرون من أُخِذَ ومن نجا. وإن الله يأتي ينقُص الأرضَ من أطرافها، فيُري الفاسقين ما أرى في قرونٍ أُولى. وإن لحوم أوليائه مسمومة، فمن أكلها بالاغتياب والبهتان عليهم فقد دعا إليه الردى. وسيبدي السمّ آثاره، ولا يفلح الفاسق حيث أتى. وإن الله غيور لنفوسهم كما هو غيور لنفسه، فلا يترك من عادى، فانتظروا المدى.

وإنّ أشقى الناس من عاداهم وإن أَسْعدَهم من وَالَى". (المرجع السابق ص٢٢٦)

وأكد عليه السلام أنه يقينا من عند الله فقال: "وإنّي والله من عنده، وهو لي قائم، فما رأيك أيها العزيز.. أتقبل أو تأبى؟ وما أنكرني إلا الذي خاف الناسَ، أو كان من الذين يستكبرون، أو ما فكّر حَقَّ فكره، فتخلّفَ مع الذين يتخلّفون، أو لم يصبر على ما ابتلاه به الله، فعثر وصار من الذين يهلكون. ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُم لا يُفتَنون﴾ وقد ردف الابتلاء نفوسَهم وأموالهم وأعراضهم، ليعلم الله أنهم كانوا يصدُقون وما كانوا كحَطَبٍ يتشظى.

ثم اعلم أيها العزيز، أني لستُ كرجل يخالف الأسباب من تلقاء نفسه ويسلك مسلك الحمقى، بل أعلم أن رعاية الأسباب شيء لا يُتْرك ولا يُلْغَى إلا بعد إيحاء الله الوهاب، وما كان لبشر أن يترك الأسباب من غير وحي انجلى. فلا تعجَلْ عليّ من غير بصيرة، ولا تجعلني دَرِيّةً لرماحك وغرضًا لعائر يُرْمَى. إنك لا تعلم دخيلة أمري وخَبِيءَ باطني، فليس لك أن تَزْرِيَ قبل أن تدري، وكذلك من السعداء يُرْجَى.

وقد أرسلني ربّي الذي لا يترك المخلوق سدى. وإنّي والله صدوق وما كُنْتُ أن أتمنّى*، ففَكِّرْ وكذلك من الكرام أتمنَّى◈، ولا تجادِلْني في ترك التطعيم، وقُلْ رَبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا. ولله تصرّفاتٌ في مخلوقه بالأسباب ومن دون الأسباب ويعلمها أولو النهى. بل هذا كاللُّب وذاك كالقَشْر، فلا تقنع بالقشر كالقَدريّة، واطلُبْ سرَّ أقداره ليُعْطَى". (المرجع السابق ص٢٢٦-٢٢٨)

وأوضح عليه السلام بعض صفات الله تعالى وأنه على كل شيء قدير فقال: "إنّ الله يفعل ما يشاء، ولا تُدْركه الأَبْصار، ولا تحدّه الآراء، ولا يحتاج إلى مادةٍ وهَيُولَى. وإنّه قادرٌ على أن يشفي المرضى من غير دواء، ويخلق الوُلْدَ مِنْ غَيْرِ آباءٍ، ويُنْبِت الزرْع مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْقَى. وما كان لدواءٍ

* *أي أفتري: يقال تمنى أي كذب ووضع حديثا لا أصل له. (الناشر)*
◈ *أي أرجو. (الناشر)*

أن ينفع من غير أَمْر ربّنا الأَعْلى. يودع التأثيرَ فيما يشاء، وينـــزع عما يشاء، وله الأمر في الأرض والسماوات العُلَى. ومن لم يؤمن بتصرفه التّام، ولم يعرف أمره الذي لم يأبه ذرّة من ذرّات الأنام، فما قدَره حق قدره، وما عَرفَ شأنه وما اهتدى. ومَن ذا الذي حَدَّ قوانينَ قدرته، أو أحاط علمُه بسُنّته؟ أتعلم ذلك الرجل على الأرض أو تحت الثرى؟

أتقول كيفَ تُبْرَأُ المرضى بغير دواءٍ.. ذلك أَمْرٌ بعيد؟ وقد بَرَأَك الله ولم تكُ شيئًا، ثم يُفني ثم يُعيد، وذاك فعلٌ قد جرى فيك فكيف عنه تحيد؟ فاتق الله ولا تُنكر قدرته العظمى. وإنّ الطاعون تَرمي بشررٍ يُقعِص على المكان، فبأيّ دواءٍ يُرْجى الأمان؟ وإنّ الدواء ظنون، والظنّ لا يغني من الحقّ يا فتيان. أتذكر التطعيم؟ وإنّه شيء لا يغني من لَهَبٍ بسَط جناحه على جميع البلدان، فما عندكم من تدبير يمنع قضاء السماء ويردّ هذا الثعبان. وإنها بليّة ترى القوم منها صَرْعى. وقد ضل الذين زعموا أنهم أحصوا سنن الله وأنهم بقوانينه يحيطون. سبحانه وتعالى عما يصفون! وإن هم إلا كَالعُمْي أو أضَلُّ سبيلا. بل الحق أنّ سُنّته أَرفع من التحديد والإحصاء، وله عادات، فيخرق بعض عاداته للأحبّاء والأتقياء، ويُبدي لهم ما لا يُتصور ولا يُرى. ولولا ذلك لشَقِيَ طُلابُه، ونُكِّرَ جنابُه، ومات عُشّاقه في الحُجبِ والغشاءِ والعمَى. ووالله لولا خرق العادات لضاعت ثمرات العبادات، وماتت عبادُه تحت مكائد أهل المعاداة، ولصَار المنقطعون خاسرين في الدنيا والأخرى، ولضاعت نفوسُهم منَ الهِجْران، وماتوا وما لهم عينان، وما كان أحد كمثلهم أَشقَى. وإنّ الله جَنّتهم وجُنّتهم، وإنهم تركوا له عيشهم وراحتهم، فكيف يتــرك الحبُّ مَن كان له؟ بل يسعى فضله إلى من مشى. والخلق عُمْيٌ كلّهم لا يعرفون أولياءه، فيعرّفهم بآياتٍ يجلّيها كالضحى. ولو لا ترك العادات.. فما معنى الآيات؟ ألا تُفكّرون يَا وُلْدَ المسلمين وأمّةَ نبيِّنا المصطفى عليه سلامُ الله إلى يوم تَرى الناسَ فيه سُكارى ومَا هم بسُكارَى.

وإنّ إلهنا إِلَهٌ واحدٌ قَديمٌ أزَليٌّ، وقد كفَر مَن شَكَّ وبالسوء تَظنَّى. ولكنه مع

ذلك يتجدّد لأَصْفيائه، ويبرُز في حُلَلٍ جديدةٍ لأوليائه، كأنّه إله آخرُ لا يَعْرِفه أحَدٌ من الوَرَى، فيفعَلُ لهم أَفعالاً لا يُرى نظيرُها في هذه الدنيا. ولا يخرق عادته إلا لمَنْ خرَق عادته وتزكَّى، ولا ينـــزلُ لأحدٍ إلا لمن نـــزل من مركب الأمّارة وركِبَ الموتَ لابْتغاء الرضَى، وخرّ على حضرته وأحرق جذبات النفس ومحا. وإنّه يُبدِّل عاداته للمُبدِّلين، ويتجدّد للمتجددين، ويهَب وجودًا جديدا لمن فنَى. وهذا هو المطلوب لكل مؤمن.. ومن لم ير منه شيئا فما رأى. وإنه يتجلّى لِعبادهِ المنقطعين بقُدرةٍ نادرةٍ، ويقوم لهم بعنايةٍ مُبتكرة، فيُري لهم آياتٍ ما مَسَّها أحد وما دنا. وإذا أقبلوا عليه بتضرع وابتهال، سعى إليهم ونجّاهم من كلّ نكال ومنْ كُلِّ مَن آذى. وإذا اسْتفتَحوا بجُهْدهم وإقبالهم على الحضرة، قُضِيَ الأَمْر لهم بخرق العادةِ، وخاب كلّ من آذاهم وما اتّقى. وكيف يستوي وليُّ الله وعدوّه.. ألا ترى؟ الذين طحنتهم رحى المحبّة، ودارت عليهم لِحبّهم أنواعُ دَورِ المصيبة، فهم لا يُهْلكون. ولا يجمع الله عليهم موتين.. موتٌ من يده وموتٌ من يد عدوّه.. لئلا يضحك الضاحكون، وكذلك مِن بدءِ خلقِ العالم قضى. إنْ يُهْلِكهم فهم عباده.. وإنْ ينصُرْهم فما العدوّ وعناده؟ وإنه كتب لهم العزّ والعُلَى. قوم أخفياء تحت ردائه، لا يعرفهم الخلق من دون إدرائه، واللهُ يعرفُ ويرى. فيقوم لهم كالشاهدين، ويُري لهم آياتٍ في الأرضين، ويهدي من يبتغي الهدى. ويتجالد لهم العدا، ويخلق لهم أسبابًا لا يخلق لغيرهم، ويأمر ملائكه ليخدموهم بإيصال خيرهم، فينصر عبده من حيث لا يُحتَسب ولا يُتظنّى". (المرجع السابق ص٢٢٨-٢٣٢)

وتحدث حضرته عمن ينفعه ترك التطعيم فقال: "أتلومني لترك الأسباب مع أنني أُمرتُ من رب الأرباب. فلا أعلم على ما تلومني.. ما لك تُبصر ثم تتعامى. وإني ما أمنع الناس من التطعيم، ولا ينفع تركه إلا إيّايَ ومن اتبعني بقلبٍ سليم، وعملِ عملا صالحًا لرضى الرب الرحيم، وانسلخ من نفسه كما تنسلخ الحيّة من جلدها، وبَعُدَ من كل إثم وأثيم، أولئك الذين حُفظوا من هذا اللظى. أنسيتَ عجائب أمره تعالى في خلقِ المسيح وحفظِ

الكليم وخلقِ يَحْيى؟ أو تزعَمُ أن ربَّنا ليس بربٍّ كان في قـــرونٍ أُولى؟ أتظنّ أنّ موسى عند عبوره من غير السفينة ألقى نفسه وقومه إلى التهلكة؟ ولا بد لك أَنْ تُؤمن بهذه الواقعة، وتقرّ بأنّ موسى ما ركب الفلك وما أوى إلى جَسْرٍ لرعاية الأسباب المعتادة العادية، وتَركَ محلّ الأَمَنة وترَك سُنَن اللهِ وعصَى. ففَكِّرْ أيها الذي سللتَ عليّ المُدى، أليس هذا محل الزراية كما أنت عليّ تتزرّى؟ أتعلم كم من سفائن جمَع موسى على البَحْر لرعاية الأسباب؟ فأَخْرِجْ لنا إن كنت قرأت في الكتاب، ولا تَهِمْ في وادي الهوى. ذلك ما عُلِّمْنا من كتاب الله، فلا أَعْلم إلى أَين تتمشَّى، ومِن أين تتلقَّى. ما نَجِدُ في صُحف الله بيانك وما نَرى". (المرجع السابق ص٢٣٢-٢٣٤)

وقد ذكر عليه السلام أن الكذاب لا يمكن له أن يفتري على الله في مثل هذه الظروف فقال: "أتعجب مِنْ آيات الله، وكان الله على كلِّ شيءٍ مُقْتدِرا؟ أَلا ترى أنّ نار الوباء مشتعلة، وموت الناس كالقلاص متتابعة، والطاعون في الاقتناص لا يغادر ذَكرًا ولا أُنْثَى؟ فلو كنتُ كذوبًا لأخذني رُعب العقوبة، وما اجترأتُ على مثل هذا عند هذه الطوائف المخدوبة والخليقة المشغوبة، ولو كنتُ متقوّلا ومزوّرا لإراءة الكرامة، ما كانت لي جرأة أن أتفوّه بكلمة عند قيام هذه القيامة. وإنّ غضب الله شديد ترتعد منه فرائص المَلأ الأَعْلَى، وما كان لكاذب أَن يَفْتَري على حضرةِ الكِبرياء، في وقتٍ تُرْمَى النّار مِنَ السَّماءِ، ويُقْعَص الناس على المَثْوى، ويُمسي إنسانٌ حيًّا ويصبحُ فإذا هو من الموتى. أَعند هذا القعاص يُفتي العقل أَنْ يقوم أحد كالخَرّاص، ويفتري على قديرٍ يعلم ويرى؟ أليس العذاب قام أمام الأعين وشاع في القُرَى؟ ودُعِيَ الناس من كل قوم لهذا القِرَى؟

وإنِّي **بُشِّرتُ في هذه الأَيّام** مِن ربّي الوهّاب، فآمنتُ بوعده ورَضيت بترك الأسباب، وما كان لي أَن أَعصيَ ربي أو أشكّ فيما أُوحى. ولا أبالي قول الأعداءِ، فإن الأرض لا تفعل شيئًا إلا ما فُعِلَ في السماءِ. وإنّ معي

ربي فما كان لي أن أفكر فكرا، وإنّه بشّرني وقال: "لا أُبقي لك في المخزيات ذكرًا"، وقال: "يعصمك الله من عنده". وهو الولي الرحمـــن، وإنْ يُعْزَ حُسنٌ إلى سوادٍ فيتراءى الحُسنانِ. هذا ربّنا المُستعَان، فكيف نخاف بعده أهل العدوان؟ فلا تُعيّرني على ترك التطعيم، وإنَّ رَبّي بكلّ خَلقٍ عليمٌ.
ألا تعلم ما جرى على أُمّ موسى إذْ أَلْقت طفلها في البحر وقلبها تتشظّى، وآمنتْ بوعد ربها وما وهَنتْ كمَنْ تظنّى؟ أتعلم بأيّ دواءٍ كان عيسى يبرئ الأكمه والمبروص؟ فتصفَّحِ الفرقان والصحيحَينِ وأَرِنا النصوص، أو أَخْرِجْ لنا كتابًا آخر مِنْ كتُبٍ أُولى. أتكفيكَ هذه الشواهد أو نأتيك بأمثالٍ أُخرى؟ فَإِنْ فكّرتَ فيما تلوتُ عليك من الأمثال ذكرا، فستعلم أنّك قد بلَغت منّي عُذْرا، هذا.. وسأكشفُ علَيْكَ أمرًا لم تستطِعْ عليه صبرا". (المرجع السابق ص ٢٣٤-٢٣٦)

بعد ذلك قدّم سيدنا أحمد وصفا لمهمته ودعوته التي أعلنها للناس فقال: "اعلمْ أنّ موضوع أمرنا هذا هو الدعوى الذي عرَضتُ على الناسِ، وقلت إنّي أنا المسيح الموعود والإمام المنتظر المعهود، حكّمني الله لرَفع اختلاف الأُمّة، وعلَّمني من لدنه لأدعو الناس على البصيرة. فما كان جوابهم إلا السبّ والشَّتْم والفحشاءُ، والتكفير والتكذيب والإيذاء. وقد سبُّوني بكل سبٍّ فما رددتُ عليهم جوابهم، وما عبَأتُ بمقالهم وخطابِهم، ولم يزل أمرُ شتمهم يزداد، ويشتعل الفساد، ورأوا آياتٍ فكذّبوها، وآنسُوا علاماتٍ فأنكَروهَا، وصالوا عليّ بمطاعنَ مفتــريَات، ومعائبَ منحوتاتٍ، وأَغرَوا زَمَعَ الناس عليّ للتوهين، ودعوا النصارى لتأييدهم وغيرهم من أعداء الدّين، وأَفتَى علماؤهم لتكفيرنا، وتوالى الإشاعاتُ لتعييرنا، وقطَع العُلَقَ كلُّ مَن آخَى، ومُطِرْنا حتى صارت الأرض سُوّاخَى، وضحِك علينا سفهاؤهم من غير علم وما اتّقوا خَلاقهم، وكاد أن يشقّ ضحكهم أشداقَهم. ورقّصهم العلماء كقرّاد يُرقِّص قرده، ويضحِّك مَن عنده، فتبِعهم الحُمْقى كالـــمُحرّج ومشوا خلفهم كالأعرج خلف الأعرج. وما احتفل محفل، وما انتفض مجلس إلا باللّعن عليّ وعلى المبايعين، وتفسيقِ الصالحين. وما اطّلعنا على حلقة منهم إلا وجدناهم

صخّابين ولاعنين. وإنا مع أتباعنا القلائل أوذينا من أفواجهم كل الإيذاء، وربما وَقَفْنا بين أنياب الموت مِن مكر تلك العلماء، وسِقْنا بهتانًا وظلمًا إلى الحكّام، وأغرى المكفّرون علينا طوائف زمعِ الناس واللئام، ومكروا كل مكر لاستيصالنا ولإطفاءِ أنوار صدق مقالنا، وصُبّت علينا المصائب، وعادانا الحاضر والغائب، فما تزعزعنا وما اضطربنا، وانتظرنا النصر من القدير الذي إليه أَنَبْنا. وفسّقوني وجهّلوني بالكذب والافتراء، وبالغوا في السّبّ إلى الانتهاء، وإني لأجبتهم بقولٍ حقٍ لولا صيانة النفس من الفحشاء. وسعَوا كل السعي لأُبْتَلى ببليّة ويغيَّر عليّ نعمةٌ نلتُها من الرحمن، فخُذِلوا في كل موطنٍ ونكصوا على أعقابهم من الخذلان. وكلما ألقوا علي شبكةَ خديعةٍ مخــترعةٍ، فرَّجها ربي عني بفضل من لدنه ورحمةٍ، وكان آخر أمرهم أنهم جُعلوا أسفلَ السافلين، وانتصفنا مِن كل خصم مهين، مِن غير أن نرافع إلى قضاة أو نتقدم إلى الحاكمين. وأرادوا ذلّتنا، فأصبنا رفعةً وذكرًا حسنًا، وأرادوا موتنا وأشاعوا فيه خبرا، فبشّرَنا ربنا بثمانين سنة من العمر أو هو أكثر عددا، وأعطانا حزبًا ووُلْدًا وسكنا، وجعَل لنا سهولةً في كلِّ أمرٍ، ونجّانا مِن كل غَمْرٍ. وكنت فيهم كأني أتخطّى الحيَواتِ أو أمشي بين سباع الفلوات، فمشى ربي كخفيرٍ أمامي، ولازمني في تلك الــموامي. فكيف أشكر ربي الذي نجاني من الآفات، على كُلولي هذا حسرات". (المرجع السابق ص٢٣٦-٢٣٩)

وأوضح حضرته أن الله لا يؤيد الكاذبين فقال: "يا أسفا عليهم.. إنهم لا يفكرون أن الكاذبين لا يؤيَّدون من الحضرة، ولا يتكلمون بكلام البر والحكمة، ولا يُرزَقون من أسرار المعرفة. وهل تعلم كاذبًا شهدتْ له السماواتُ والأرض بالآيات البَيّنة، واضمحلّت به قوة الشيطان وتخافَتَ صوتُه من السطوة الحقانية، وطفِق يريد الغَيبوبة كحيّةٍ تأوي إلى جُحْرِها عند رَمْيِ الصخرة؟ ثم مع ذلك تدعو ظلمةُ الزمان إمامًا من الرحمن، وقد انقضى من رأس المائة قريبًا من خُمْسها، ودنت الملة لضعفها من رمسها وداست الغفلة قلوب الناس وصار أكثرهم كالكلاب، وتوجّهوا إلى الأموال والعقار والأنشاب، ونسوا حظّهم من

ذوق العبادات، وأقبلوا على الدنيا وزينتها وما بقي الدين عندهم إلا كالحكايات. ومن تأمّلَ في تشتُّت أهوائهم، وتفرُّق آرائهم، علِم بالجزم أنهم قومٌ أُغلِقَتْ عليهم أبواب المعرفة، وانقطع صفاء التعلق بالحضرة، إلا قليل من الذين يدعون الله أن يرفع حُجب الغفلة. ولكن كثيرا منهم نبذوا حقيقة التوحيد من أيديهم وما بقي الإيمان إلا على الألسنة. يسُبّون عبدًا جاءهم في وقته ويحسبون أنهم يُحسنون، وختم الله على قلوبهم فهم لا يفهمون. يظنون أنهم على الحق وما هم على الحق، وإنْ هم إلا يخرصون. تجدهم كأُناس رقود، والمتمايلين على الجحود. خُدعوا عن الحقائق بالرسوم، وشُغلوا عن اليقين بالموهوم. إنهم مروا بنا معترضين قبل إيفاء الموضع حقَّه، ورأوا بَدْرَنا ثم أرادوا شقَّه. وإني جئتهم عند الضرورة الحقة، وفساد الأمة، فكانت أدلة صدقي موجودة في أنفسهم ما رأوها من الغباوة، ثم من الشقوة أنهم ما فكروا في رأس المائة البدرية، التي تختص بالمسيح الموعود عند أهل البصيرة، واتفقت عليها شهادات أهل الكشف والأحاديث الصحيحة، وإشارات النصوص القرآنية". (المرجع السابق ص٢٣٩-٢٤١)

وذكر عليه السلام أن الوباء الذي حل بالناس هو لتنبيه الظالمين فقال: "ولما أصروا على الإنكار أقبلتُ على المنكرين، وقلت: عندي شهادات من الله، فهل أنتم من المتقبلين؟ فجحدوا بها واستيقنتْها أنفسهم. فيا أسفا على القوم الظالمين! هنالك تمنّيت لو كان وباء يُنبه المعتدين، وأُوحيَ إليّ أن الطاعون نازل وقد دعَتْه أعمال الفاسقين. فوالله ما مضى إلا قليل من الزمان حتى عاث الطاعون في هذه البلدان. فعزوه إلى سوء أعمالي، وقالوا: إنا تَطيَّرْنا بك، وضحكوا على أقوالي، وقالوا: إنا من المحفوظين. لا يمسنا هذا اللظى، ولا يموت أحدٌ من علمائنا بالطاعون، فإنا نحن الصالحون وأهل التقى. وأما أنت فستُطعَن وتموت فإنك كَيذُبانٌ. فقلت: كذبتم، بل لنا من الطاعون أمان، ولا تخوّفوني من هذه النيران، فإن النار غلامنا بل غلام الغلمان". (المرجع السابق ص٢٤١-٢٤٢)

كذلك فقد بين حضرته أن الطاعون لا يهلك إلا الأعداء فقال: " فما لبثوا إلا قليلا حتى زاروا الـمنون، ومات بعض أجلّ علمائهم من الطاعون، وكنتُ أخبرت بهذا قبل موت ذلك المطعون، فإن شئت فانظر أبياتا من قصيدتي الإعجازية، التي كتبناها في هذه الصفحة على الحاشية❖، وما نظمت تلك القصيدة إلا لهذا الحزب الذي خذلهم الله بتلك الآية، وما خاطبت إلا إياهم إتماما للحجة، بل سميّتُ بعضهم في تلك القصيدة، لئلا يكون أمري غُمّةً على أهل البصيرة والنصفة. فوالله ما مضى شهر كامل على هذه الأنباء المشاعة، حتى أخذ الطاعون كبيرهم الذي أغرى عليّ أشرار البلدة. وكانوا آذوني مِن كل نهج وبالغوا في الإهانة، وأشاعوا أوراقا مملوّة من السب والفحشاء والبهتان والفِرْية، ومع ذلك طلب مني ألدُّهم قبل هذه الواقعة آيةً كنت وعدتها للفئة المنكرة، وأشاع ذلك في جريدة هندية يسمى بالفيسة، وما طلب مني تلك الآية إلا بالسخرية. فأراه الله ما طلب، وكان غافلا من الأقدار السماوية. كذلك يتجالد الله قوما يعادون أهل الحضرة، وإن في ذلك لعبرة لأهل السعادة. وما كان لبشر أن يفر من الله، فمن حارب أولياءه فقد ألقى نفسه إلى التهلكة. ومن تاب بعد ذلك فيتوب الله عليهم، فإنه كريم واسع الرحمة. وإن لم يكفّوا ألسنتهم ولم يمتنعوا ولم يزدجروا، ويعودوا ويسبّوا ويعتدوا، فيعود الله إليهم ببلية هي أكبر من السابقة. وإنه يُنـزل البلايا بالتوالي، ولا يبالي، فتوبوا إليه يا ذوي الفطنة. وما يفعل الله بعذابكم إن تركتم سبل الفحش والمعصية، والله غفور رحيم." (المرجع السابق ص٢٤٢-٢٤٤)

❖ منقول من صفحة ٥٨ و ٦٣ من كتابي "الإعجاز الأحمدي":

إذا ما غضبنا غاضبَ الله صائلا — على معتد يؤذي وبالسوء يجـهَرُ
ويأتي زمـان كاسـرٌ كلَّ ظالم — وهل يُـهلكنَّ اليومَ إلا المدمّـرُ
وإني لشرُّ الناس إن لم يكن لهم — جـزاء إهانـتهم صغارٌ يصـغّرُ
قضى الله أن الطعن بالطعن بيننا — فـذلك طاعـون أتاهم ليُبصروا

ويستطرد سيدنا أحمد عليه السلام بشرح ما ظهر بعد ذلك من الآيات والمعجزات والتأييدات فيقول: "ثم بعد هذا عَمَّ الطاعون طوائفَ هذه البلاد، ووقع الناس صرعى كالجراد، وافترسهم هذا المرض كالأسد الغضبان، أو كذئب عائث في قطيع الضان. وكم من دارٍ خربت وصال الفناء على أهلها، والأرض زُلزلت وصبّت الآفة على وعرها وسهلها. وما ترك هذا الداء مقاما بل جاب الأقطار، وتقصَّى الديار، ووطئ البدو والحضر، وأدرك كل من حضر، وما غادر أهلَ حُللٍ ولا أطمارٍ، ودخل كل دارٍ، إلا الذي عُصم من رب غفار. وكذلك حضر أفواج منهم مأدبة الطاعون، ورجعوا بمائدة من المنون، وجاؤوا كأضياف دار هذا الوباء، فقدّمت إليهم كأس الفناء". (المرجع السابق ص٢٤٤-٢٤٥)

ثم يشرح حضرته أن الطاعون هو دابة الأرض فيقول: " فالحاصل أن الطاعون قد لازم هذه الديار ملازمة الغريم، أو الكلب لأصحاب الرقيم. وما أظنّ أن يُعدَم قبل سنين، وقد قيل: عمر هذه الآفة إلى سبعين. وإنها هي النار التي جاء ذكرها في قول خاتم النبيين، وفي القرآن المجيد من رب العالمين، وإنها خرجت من المشرق كما رُوي عن خير المرسلين، وستحيط بكل معمورة من الأرضين، وكذلك جاء في كتب الأولين، فانتظر حتى يأتيك اليقين. فلا تسأل عن أمرها فإنه عسير، وغضبُ الرب كبير، وفي كل طرف صراخ وزفير، وليس هو مرض بل سعير. وتلك هي دابّة الأرض التي تكلّم الناسَ فهم يجرحون، واشتد تكليمها فيُغتال الناس ويُقعَصون بما كانوا بآيات الله لا يؤمنون، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَومِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ (الإسراء: ٥٩)، فكذلك تشاهدون. وذلك بأن الناس كانوا لا يتقون، وكانوا يشيعون الفسق في أرض الله ولا يخافون، ويزدادون إثما وفحشاء ولا ينتهون. وإذا قيل: اسمعوا ما أنــزل الله لكم فكانوا على أعقابهم ينكُصون. فأخذهم الله بعقابه هذا لعلهم يرجعون. وترى قلوب أكثر الناس تمايلت على الدنيا فهم عليها عاكفون، وتموجت جذبات

نفوسهم وانفجرت منها عيون. وإذا قيل لهم: لا تعصوا أمر ربكم وأطيعوا مع الذين أطاعونِ، وقد أرداكم الطاعون، قالوا: ما أنت إلا دجال، ولم يحيطوا بأمري علما ولم يصبروا كالذين يتفكرون. وقد رأوا آياتِ السماء وآيات الأرض ثم لا يتقون، بل هم قوم يجترئون. وقد بلغ الزمان إلى منتهاه وتبين أكثر ما كانوا ينتظرون، ثم لا ينظرون". (المرجع السابق ص٢٤٥-٢٤٦)

ثم يتساءل عليه السلام عما إذا كانت هذه الآيات التي يُظهرها الله تعالى هي من علامات الدجالين والكذابين فيقول: "أهذه عَلَمُ الدجاجلة؟ فأرُوني كمثلها إن كنتم تصدقون، أم كنتم أشقياء في كتاب الله فما جعل الله نصيبكم إلا الدجالين. ما لكم كيف تحكمون؟ بل ظهر وعد الله في وقته صدقًا وحقًّا، فبؤسًا للذين لا يقبَلون. قوم لُدٌّ يؤثرون الظلماتِ على النور وهم يعلمون، وكأين من آية رأوها بأعينهم ثم ينكرون. ألم يروا أن الأرض ملئت ظلما وزورا وأن العدا من كل حدب ينسِلون؟

وقال بعضهم: ما رأينا من آية. يا سبحان الله! ما هذه الأكاذيب وتركُ خوف الحسيب؟ وإن فصل القضايا يكون بالشواهد أو الألايا، فأراهم ربي شواهد من الأرض والسماوات، فعمُوا وصمُّوا وما خافوا يوم المكافاة.

ثم أُقسِم بالله الذي خلق الموت والحياة إني لصدوق وما افتريت على الله وما اتّبعتُ الشبهاتِ، وإني أنا المسيح الموعود والإمام المنتظر المعهود، وأُوحيَ إليّ من الله كالأنوار الساطعة، فأذكّر الناس أيامَ الله بالبصيرة. وبُشّرتُ أن وقت البرد قد مضى، وزمان الزهر والثمار أتى، وكاد أن تنجاب الثلوج وتخرج المروج، وحان أن يُنبَذ الذين انتبذوا الحق ظِهْريّا، وملأوا فيما دوّنوه أمرًا فَرِيّا، وكان مَرْجُوًّا منهم أن ينبّهوا هممهم، ويوجّهوا إلى التعاون كلَمَهم، ويساعدوا بما يصل إليه إمكانهم، ويقوم به بيانهم. فخالفونا لا بِسِرِّ القلب بل بجهر اللسان، وحدّوا أَلْسُنَهم إلى حد كان في الإمكان، كأنهم سباع أو حيوات، وكأن ألسنهم رماح أو مرهَفات". (المرجع السابق ص٢٤٦-٢٤٨)

ثم يؤكد حضرته أن الله تعالى لا يؤيد الدجالين فيقول: "وما كان جوابهم إلا أن يقولوا إنه دجال من الدجالين، وما تذكروا مَن درَج من المفترين. أوُضِع لهم قبول في الأرض أو أرى الله لهم من الآي الموعودة للعالمين؟ ومن أراق كأس الكرى، ونصنصَ ركاب السرى، ونظر إلى زمن مضى، فلا يخفى عليه مآل المتقولين. أتعلمون رجلا ورَد حمى الحضرة كالسارقين، ودخَل حرمَ الله كاللصوص الخائنين، ثم كانت عاقبة أمره كالصادقين؟ أتحسبون الافتراء كأرضٍ دَمِثٍ دمَّثها كثير من الخطا، واهتدت إليها أبابيل من القطا؟ كلا.. بل هو سمٌّ زُعافٌ مَن أكَله فقُعص من غير مكثٍ وفنَى. وكيف يستوي رجل خاف مقام ربه فعُلّم من لدنه وأُعطيَ آيات كبرى، ونورا وصلاحا ونُهى، وأُرسلَ إلى خلق الله ليهديهم إلى سبل الهدى.. ورجل آخر يمشي كلصوص في الليل ومال عن الحق كل الميل، وسرَّى إيجاسَ خوفِ الله واستشعارَه، وتسربَلَ لباسَ الافتراء وشعارَه، وقصّر همَّه على الدنيا التي يجتنيها ولا يقصد الآخرة ولا يجتليها؟ كلا.. لا يستويان، وللصادقين قد كتب الفرقان.. وعدٌ من الله الرحمن في كتابه القرآن. فلا حاجة لأعدائي إلى أن يُشرِعوا رماحهم، أو يتقلدوا سلاحهم، أو يكفّروا أو يفسّقوا، فإن هذه كلها من قبيل الفحشاء، وإن الموت منقضٌّ على كل رأس من السماء، فلم لا يختارون سبيل الأتقياء؟ وما في أيديهم إلا الظن، وقد أهلكَ اليهودَ ظنونُهم من قبل هؤلاء، فكفروا بعيسى ابن مريم وخاتم الأنبياء". (المرجع السابق ٢٤٨-٢٥٠)

ثم يشرح عليه السلام أن للصادق والكاذب علامات فيقول: "أتنكرونني بمثل هذه الروايات؟ كلا.. بل تعرفون الصادق والكاذب بالعلامات، وكل شجر يُعرَف بالثمرات. أرأيت سارقا وافى بابَ الإمارة، وسرَق مالا بأعين النظّارة، ثم ما أُخذ بعد هذه الغارة؟ فكيف لا يؤخذ من يغيّر دين الله ويقوّض مبانيه، ويحرف بحسب هواه معانيه، ليبرأَ المسلمون من الحقّ، ويلحقوا بمن يناويه ويَطمِر كالبَقّ؟ أتظنّ هذا الأمر من الممكنات؟ كلا.. بل هو من

المحالات. ولو كان الله لا يغضب على المفتـــرين لضاع الدين، ولم يبق دليل على صدق الصادقين، وارتفع الأمان واشتبه أمر الدين. ولله غيرةٌ كالبحار الزاخرة، والجبال الشامخة، أمواجها ملتطمة، وأفواجها مزدحمة، فيسلّ سيفه على المتقولين، لئلا يتكدر بهم عينُ المرسلين في أعين الجاهلين.

وكل ذلك كتبتُ في الكتب، فردّ العدا ردّ الغضب، فأغلقتُ دونهم الأبواب، وما كلّمتُ أحدا إلا الذي أناب. وكانت أنفاسي متصاعدة لهجوم الحزن، وعبراتي متحدرة تحدُّر القطرات من المزن". (المرجع السابق ص٢٥٠-٢٥١)

ويبيّن عليه السلام أنه تلقى وعدا من الله تعالى بأن يحفظه من الطاعون فيقول: "ثم تَسعَّرَ الطاعون ولا كأوائل الزمان، وكان يأكل قرى وأمصارا كالنيران. هنالك أُوحي إليّ مرة أخرى، وقيل: إن الأمان للذي سكن دارك ولازَمَ التقوى. وأما ألفاظ الوحي فهو قوله تعالى: "**إني أحافظ كلَّ مَن في الدار إلا الذين علَوا من استكبار**"، وقال: "**إني مع الرسول أقوم، وألوم مَن يلوم، أُفطِر وأصوم**"، وقال: "**لولا الإكرام لهلَك المقام**". وكان هذا في أيام إذ الصخور من الطاعون تتواقع، وبلاياها إلى الخلق تتتابع. وبشّرني ربي بأن هذه العصمة آية لك من الآيات، ليجعل فرقانا بينك وبين أهل المعاداة". (المرجع السابق ص٢٥١)

وبين عليه السلام أن الحكومة هي التي أصدرت أمر التطعيم فقال: "ثم بعد ذلك الوحي الذي نـــزل من الله الكريم، صدر من الحكومة حكمُ التطعيم لهذا الإقليم. فما كان لي أن أعرض عن حكم الرحمن، بل كنت أنتظر آية عند هذا التُّكلان، ليزداد جماعتي إيمانا وليكمل العرفان. وطعَنني على ذلك كلُّ من كان يعبد صنم الأسباب، وقالوا: إن في التطعيم خيرا فكيف تـــترك طريق الخير والصواب؟ فأشعت في كتابي "السفينة" أن الطعن لا يَرِدُ عليّ إلا بعد المقابلة، وأما قبلها فليس هو من شأن أهل العقل والفطنة. فلو ثبت في آخر الأمر أن العافية كلها في التطعيم، فلست من الله العزيز الحكيم. وكان هذا

الإعلان أمرا حفظه الصبيان، وعرفه النسوان، وذُكر في الأندية، وورد مجالس الأعزة، وارتفع به الأصوات في الشوارع والأزقّة، حتى وصل الخبر إلى الحكومة. فتعجّبَ كل من سمع مِن توكلنا في هذه النيران المشتعلة. فبعضهم ألحقوني بالمجانين، وبعضهم حسبوني كَخَرِفٍ فارغ من العقل والدين. فسمعنا قول المعترضين، وتوكلنا على الله المعين، وقلت: لا تعيّروني قبل الامتحان، وانتظِروا إلى آخر الأوان.

وسعى الحكومةُ كل السعي لترفع من الخلق هذه العقوبة، وليلفّف المجانيق المنصوبة، ويقوّض الخيام المضروبة. وما كان هذا إلا نار من السماء، فكلما أرادوا إطفاءها زادت نيران الوباء، وأحاطت بالأقطار والأنحاء. وأنعم الله علينا بالعصمة من هذه النار، وعصم كل مؤمن تقيّ كان في الدار. وما اختتم الأمر إلى ذلك، بل ظهرت مضرة التطعيم بالمقابلة، وزجَّينا الأيام بالخير و**العافية.**" (المرجع السابق ص٢٥١-٢٥٣)

كان من نتيجة نزول كل هذه الآيات من السماء أن توافد الناس على الإمام المهدي ﷺ، ودخلوا في دين الله أفواجا، حتى بلغ عددهم إلى مائة ألف أو يزيدون، بعد أن كان عددهم في أول الأمر يقرب من أربعين، فكتب سيدنا أحمد فصلا عن "التعليم للجماعة"، حتى تستفيد به تلك الجموع من الوافدين الجدد، فكتب يقول:

"لا يدخل في جماعتنا إلا الذي دخل في دين الإسلام، واتّبع كتابَ الله وسُننَ سيدنا خير الأنام، وآمن بالله ورسوله الكريم الرحيم، وبالحشر والنشر والجنة والجحيم. ويعِد ويقرّ بأنه لن يبتغي دينا غير دين الإسلام، ويموت على هذا الدين.. دين الفطرة.. متمسكا بكتاب الله العلام، ويعمل بكل ما ثبت من السنّة والقرآن وإجماع الصحابة الكرام. ومن ترك هذه الثلاثة فقد ترك نفسه في النار، وكان مآله التباب والتبار.

فاعلموا أيها الإخوان أن الإيمان لا يتحقق إلا بالعمل الصالح والاتقاء،

فمن ترك العمل متعمدا متكبرا فلا إيمانَ له عند حضرة الكبرياء. فـاتقوا الله أيها الإخوان وابدُروا إلى الصالحات، واجتنبوا السيئات قبـل الممـات. ولا تغرَّنّكم نضرة الدنيا وخُضرتها، وبريق هذه الدار وزينتهـا. فإنهـا سـراب ومآلها تباب، وحلاوتها مرارة وربحها خسارة. وإن الصاعدين في مراتبهـا يشابهون دَرِيّةَ الصَّعْدة، والراغبين في شوكتها يضاهئون مجروحَ الشـوكة. ومَن تمايَلَ على خيرها فهو يبعد من معادن الخيرات، ومن دخل في سراتها فهو يخرج من الصراط. وإن نورها ظلمات، ونجدتها ظلامات. فلا تميلـوا إليها كل الميل، فإنها تُغرق سابحها ولا كالسيل. ولا تقصدوها قصدَ مُشـيحٍ فارغٍ من الدين، ولا تجعلوها إلا كخادم في سـبل الملـة لا كالخَـدِين. ولا تطمَعوا كل الطمع في أن تكونوا أغنى الناس رحيبَ الباع خصيب الرِّبـاع، ولا تنسوا حظّكم من دينكم فلا تُعطَون ذرة من ذلك الشعاع. وإن الدنيا أكلت آباءكم وآباء آبائكم، فكيف تترككم وأزواجكم وأبناءكم؟

ولا تتخذوا أحدًا عدوًّا من حقدِ أنفسكم كالسفهاء، وطهِّروا نفوسـكم مـن الضغن والشحناء. ولا تنكُثوا العهود بعد ميثاقها، ولا تكونوا عبيدَ أنفسكم بعد استرقاقها، وكونوا من عباد الله الذين إذا حالفوا فما خالفوا، وإذا وافقوا فمـا نافقوا، وإذا أحبّوا فما سبّوا. ولا تتبعوا الشيطان الرجيم، ولا تعصوا ربكـم الكريم، وإن متّم بالعذاب الأليم.

كونوا لله أطوعَ من الأظلال، وأصفى من الزلال، وتَواصَـوا بالأفعـال لا بالأقوال. وتَحامَوا اللسان، وطهِّروا الجنان. وإذا تنازعتم فرُدُّوه إلى الإمـام، وإذا قضى قضيتكم فارضوا بها واقطعوا الخصام، وإن لم ترضوا فأنتم تؤمنون بالألسن لا بالجنان، فاخشوا أن تحبَط أعمالكم بما أصررتم على العصيان.

تيقّظوا أن لا تضلّوا بعد أن جاءكم الهدى، وكونوا لربكم وآثـروا الـدين على الدنيا، ولا تكونوا كالذين لا يخافون الله ويخـافون عبـاده، ويتبعـون أهواءهم وينسون مراده. يبتغون عند أبناء الدنيا عزة، وما هي إلا ذلة.

أنتم شهداء الله فلا تكتموا الشهادة، وأخبِـروا عبـاده أن النـار موقـودة

فاتقوها، والديار موبوءة فاجتنبوها. وإن الدنيا شاجنة، وأُسودُها مفترسة، فلا تجُولوا في شجونها، وامنعوا نفوسكم من جرأتها ومجونها، وزَكُّوها وبيِّضوها كاللُّجَين، ولا تتركوها حتى تصير نقيّة من الدَّرَن والشَّين. وقد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دسّاها. ولا تتّكئوا على البيعة من غير التطهر والتزكية، ولستم إلا كهاجنٍ من غير عُدّةِ الفطرة، ولا تطلبوا عين المعرفة من الذين لم يُعطَوا عين البصيرة. واعتلِقوا بي اعتلاقَ الزهر بالشجرة، لتصلوا من مرتبة النَّور إلى مرتبة الثمرة.

اتقوا الله.. اتقوا الله يا ذوي الحصاة، ولا تكونوا كمن لوى عِنانه إلى الشهوات، ولا تنسوا عظمة رب يرى تقلُّبَكم في جميع الحالات. وإن الله لا يحب إلا قلوبا صافية، ونفوسا مطهرة، وهِممًا مُجِدّة مُشيحة. فمتى تنفَون هذا النمط تضاهئون في عينه السقَطَ. فإياكم والكسلَ وعيشةَ الغافلين، وأَرْضُوا ربكم قائمين أمامه وساجدين غير مستريحين، وحافِظوا على حدوده وكونوا عبادا مخلصين. ولْيَسْرِ عنكم همُّكم بذِكرِ كريمٍ هو مهتمّكم. وكيف يسري الوسنُ إلى آماقكم، وليس توكُّلكم على خلاقكم عند إشفاقكم؟

اتبعوا النور ولا تؤثروا السُّرَى، وانظروا إلى وجه الله ولا تنظروا إلى الورى. اشكروا حكام الأرض ولا تنسوا حاكمكم الذي في السماء. ولن ينفعكم ولن يضركم أحد إلا إذا أراد ربكم، فلا تبعُدوا من ربكم يا ذوي الدهاء. ترون كيف تُوضَع في الخَلق السيوف، ويتتابع الحتوف، وترون صَولَ القَدَرِ وتبابَ الزُّمَرِ. فعليكم أن تأووا إلى ركن شديد، وهو الله القوي ذو العرش المجيد. كونوا لله وادخلوا في الأمان، ولا عاصمَ اليوم من دونه يا فتيان. ولا تخدعوا أنفسكم بالحيل الأرضية، والأمر كله بيد الله يا ذوي الفطنة. ولا تتركوا بَونًا بينكم وبين الحضرة، يكُنْ بَونٌ منه وتهلكوا بالذلة. اقطعوا رجاءكم من غير الرحمن، يرحَمْكم ويخلُقْ لكم من عنده ما يُنجي من النيران. أرى في السماء غضبا فاتقوا يا عباد الله غضب الربّ، وابتغوا فضلَ مَنْ في السماء ولا تُخلِدوا إلى الأرض كالضبّ. بالغوا في الطلب،

وأَلِحُّوا في الأَرَب، لتُنجوا من الكرب.

ترون في هذا الزمان قومين: قوما فرّطوا وقوما أفرطوا مع العينين، وخلَطوا الحق بخلط الصدق والمَين. أما الذين فرّطوا فهم أناس لا يؤمنون بالمعجزات، ولا يؤمنون بالوحي الذي ينزل بزيّ الكلام اللذيذ من رب السماوات. ولا يؤمنون بالحشر والنشر ويوم القيامة، ولا يؤمنون بالملائكة. ونحَتوا من عندهم قانون القدرة وصحيفة الفطرة، وليس عندهم من الإسلام إلا اسمه، ولا نراهم إلا كالدهرية والطبيعية. وأما الذين أفرطوا فهم قوم آمنوا بالحق وغير الحق وجاوزوا طريق الاعتدال، حتى إنهم أقعدوا ابن مريم على السماء الثانية بجسمه العنصري من غير سلطان من الله ذي الجلال، واتّبعوا الظنون وليس عندهم علم وإنْ هم إلا في الضلال. فهذان حزبان خرج كلاهما من العدل والحزم والاحتياط، وأخذ أحدهما طريق التفريط والآخر طريق الإفراط.

ثم جاء الله بنا فهدانا الطريق الوسط الذي هو أبعد من سبل الخناس، فنحن أمةٌ وسطٌ أُخرجتْ للناس. والزمان يتكلم بحاله، أن هذا هو المذهب الذي جاء وقتُ إقباله. وترون بأعينكم كيف جذَبْنا الزمان، وكيف فتَحْنا القلوب ولا سيفَ ولا سنانَ. أهذه من قوى الإنسان؟ بل جذبةٌ من السماء فينجذب كل من له العينان. يمسي أحد منكرا ويصبح وهو من أهل الإيمان. أهذه من قوى الإنسان؟

شهد القمرانِ بالكسوف في رمضان. أهذه من قوى الإنسان؟

وكنت وحيدا، فقيل سيُجمع عليك فوج من الأعوان، فكان كما قال الرحمن. أهذه من قوى الإنسان؟

وسعى العدا كل السعي ليُجيحوني من البنيان، فعلَونا وزدنا ورجعوا بالخيبة والخسران. أهذه من قوى الإنسان؟

ومكر العدا كل مكر لأُحبَسَ أو أُقتَلَ ويخلو لهم الميدان، فما كان مآل أمرهم إلا الخذلان والحرمان. أهذه من قوى الإنسان؟

ونصرني ربي في كل موطن وأخزى أهل العدوان. أهذه من قوى

الإنسان؟

وبشرني ربي بالامتنان، وقال: "يأتيك مِن كلِّ فَجٍّ عميــقٍ"، وأنـــا إذ ذاك غريب في زوايا الخمول والكتمان. فوُضع لي القبول بعد طويل من الزمان، وأتاني الأموال والتحائف من الديار البعيدة وشاسعة البلــدان. فمُلئــت داري منها كثمار كثيرة على أغصان البستان. ووالله لا أســتطيع أن أحصــيها ولا يطيق وزنها ميزانُ البيان. وتمّتْ كلمة ربي صدقا وحقا، ويعرف هذا النبــأ ألوف من الرجال والنساء والصبيان. أهذه من قوى الإنسان؟

وخاطبني ربي وقال: "يأتون مِن كل فجٍّ عميقٍ، فلا تُصعِّرْ لِخَلْقِ الله ولا تَسْأَمْ من كثرة اللقيان. وأنا إذ ذاك كنت كسَقَط لا يُذكَر ولا يُعرَف وكشيء لا يُعبَأ به في الإخوان. فأتى عليّ زمان بعد ذلك أن أتاني خَلق الله أفواجــا وأطــاعوني كغلمان، ولولا أمر ربي لسئِمت من كثرة اللقيان. أهذه من قوى الإنسان؟

وإنه آتاني كلماتٍ أُفصِحتْ من لدنه، فما كان لأحد مــن العــدا أن يــأتي بمثلها، وسلب منهم قوة البيان. أهذه من قوى الإنسان؟

ودُعيتُ لأُباهِل بعض الأعداء، فإذا تعاطَينا كأسَ الدعاء، واقتدحنا زِنــادَ المباهلة في العَراء، ألحَقَ الله بنا بعده عساكرَ من أهل العقل والعرفان، وفتح علينا أبواب النَّعماء من الرحمن، وزاد أعزّة جماعتنا إلى مائــة ألــف بــل صاروا قريبا من ضعفها إلى هذا الأوان، وكــانوا إذ ذاك أربعــين نفــرا إذ خرجنا إلى أهل العدوان. وردَّ الله عدُوّي المباهِلَ كل يــوم إلــى الخمــول والخذلان. أهذه من قوى الإنسان؟

فالآن يا إخواني الذين تحلَّوا بالفَهْمِ، وتخلَّوا من الوهم، اشــكروا المنــان، فإنكم وجدتم الحق والعرفان، وتبوأتم مقام الأمان، وكونوا شهداء لي عند أبناء الزمان. ألستم شاهدين على آياتي، أم لكم شبهة في الجنان؟ وأي رجل مــنكم ما رأى آية مني، فأجيبوا يا فتيان؟ وإني أُعطيتُ معارف من ربي، ثم علّمتكم وصقَلت بها الأذهان، وما كان لكم بحلِّ تلك العُقَدِ يَدانِ.

ووالله إني امرؤ أنطَقَني الهدى، ونطَّق ظهري وحــيٌ يــوحى، فوجــدتُ

الراحة في التعب والجنةَ في اللظى، فمَن آثر الموت فسـيحيا. فـلا تبيعـوا حياتكم بثمن بخس، ولا تنبُذوا من الكفّ خلاصةَ نَضٍّ، ولا تكونوا من الذين على الدنيا يتمايلون، ولا تموتوا إلا وأنتم مسلمون. إنـي اختـرت لله موتًـا فاختاروا له وَصَبًا، وإني قبلت له ذبحًا فاقبلوا له نصبًا. واعلموا أنكم تُفلحون بالصدق والإخلاص والاتقاء، لا بالأقوال فقط يا ذوي الـدهاء. وإن الفـلاح منوطٌ بِمُقُوطكم كل الـمناط، ولن تدخلوا الجنة حتى تلِجوا في سَمِّ الخِيـاط. فامتحِضوا حَزْمَكم للتقاة، واختبِطوا لإرضاء ربكم فـي زوايـا الحجـرات والفلوات. اقضوا غريمَكم الدَّينَ لئلا تُسجنوا، وأدُّوا الفرائض لـئلا تُسـألوا، واستَقْرُوا الحقائق لئلا تخطئوا، ولا تَزْدروا لئلا تُزْدروا، ولا تُشـدِّدوا لـئلا تُشدَّدوا، وارحموا يا عباد الله تُرحَموا، وكونوا أنصار الله وبادِروا." (المرجـع السابق ص٣١٥-٣٢٥)

وسرد الإمام المهدي عليه السلام تفصيل بعض الآيات التي ظهرت في السنوات الثلاث الأخيرة التي تكاثر فيها اتباعه فقال: "الله الله! له المجد والكبرياء، ومنه القدر والقضاء، تسمع حُكْمَه الأرض والسماء، وتطيعه الأعيان والأفياء، والظلمات والضياء. يعطي الفهمَ من يشاء، ويسلب ممن يشاء. سبحانه وتعالى.. أظهر علاءنا وحطَّ أعداءنا. شموسهم كُوِّرتْ، ونجومهم انكدرت، وجبالهم نُسفت، وحبالهم مُزّقت، وأشجارهم اجتُثّت، وأنوارهم طُمست. كادوا كيدا، وكاد الله كيدا، فجعَل كلَّ من نهض للصيد صيدا. ألم تر إلى الذين أنكروا آياتي، وفتنوا المؤمنين وصالوا على عِرضي وحياتي.. كيف أذاقهم الله عذاب الحريق، وجعَل بيننا وبينهم فرقانا وغادرهم كالغريق؟ وكذلك جعل لكل عدو نصيبا من الذلة، ذلك بما عصوا أمر ربهم وقاموا للمقابلة. وعرض عليهم الآيات كالقسطاس المستقيم، والمعيار القويم، فأعرضوا عنها كالضنين اللئيم، فسوف يعلمون إذا رجعوا إلى الله العليم. وليس بحاجة أن نكتب ههنا تلك الآيات، فنكتفي بآيات ظهرت في هذه السنوات". (المرجع السابق ص٣٣٦-٣٣٧)

الآية الأولى هي تحقق الوعد بزيادة عدد الأتباع، كما قال: " فمنها أن الله كان وعدني وعدا أشعتُه في كتابي "البراهين"، وقد مضت عليه مدّةٌ أزيدَ من عشرين، وكان خلاصة ما وعد أنه لا يذَرني فردا كما كنت في ذلك الحين، ويأتي بأفواج من المصدقين المخلصين. ولا يتركني وحيدًا طريدًا كمثل الكاذبين المفترين، بل يجمع على بابي جنودا من الخادمين. يأتون بأموال وتحائف من ديار بعيدة، ويبلغ عِدّتهم إلى حدّ لم يُعْطَ عِلمَه المتفرسون من الأغيار والمحبّين، ولم يُرَ مثله في سنين. ولم يكن إذ ذاك لديّ محفل ولا احتفال، وما كان يجيء لِهَوَى ملاقاتي رجل ولا رجال، بل كنت كمجهول لا يُعرَف، ونكرةٍ لا تتعرف. وكنت مُذْ فتحتُ عيني وفجرتُ عيني أُحِبُّ الزاوية، لأروِّي النفسَ بماء المعارف وأنجي من العطش هذه الراويةَ. فمضى عليّ دهر في هذه الخلوة لا يعرفني أحد من الخواصّ ولا من العامّة. وكنت في هذا الخمول، حتى تجلّى عليّ ربي وبشّرني بالقبول، وقال: "أرُدّ إليك كثيرا من الورى، بعد ما كفّروك وصاروا من العدا، لا مبدِّلَ لكلماته ولا رادّ لما قضى". وأُفردتُ إلى مدة قدّرها الله لي من الحكمة، وغلَب العدا وأشاعوا فتاوى تكفيري في الأسواق والأزقّة. ثم أُلقِيَ في رُوعي، فأشعتُ أن وقت النصر أتى، وجاء أوان الزهر وانجاب الثلوج من الزُّبى، وأشعتُ أن آية الله تظهَر إلى ثلاث سنين، وأُنصَرُ بنصر عجيب من رب العالمين، وإنْ لم أُنصَرْ ولم تظهر آية فلست من المرسلين.

فلما سلَخْنا رمضان، وتمّ ميقات ربنا الرحمن نظرنا إلى تلك الزمان، فإذا آيات أُلْحِقَ بعضُها بالبعض كَدُرَرٍ ومرجانٍ، فشكرنا ربنا على هذا الإحسان، وكيف نؤدّي حق شكره ومن أين يأتي قوة البيان؟ طوبى لصبحٍ جاء بفتح عظيم، وحبّذا يومٌ سوَّد وجهَ عدو لئيم. إنا ابتسمنا بابتسام ثغر الصباح، وبشَّرنا ضوؤُه بانتشار الجناح، وظهرت الآيات وأقام الله الدليل، وكشف

الحقيقة وطوى القال والقيل، وكفى الله مخلوقَه سيلَ الفتن ومَعرّتَه، وردَّ عنهم مضرّتَه. وكنت أُقيّدُ لحظي بآيةِ كثرة الجمع، وأُرهِفُ أذني لوقت هذا السمع، وأستطلع منه كمثل عَطاشى من الماء، ومظلمين من الضياء، حتى وصـــلني الأخبار من الأطراف والأنحاء القريبة والبعيدة، وتبـــين أن جماعتنـــا زادت على مائة ألف في هذه الأعوام الثلاثة، مع أنها كانت زهاء ثلاث مائة فـــي الأيام السابقة، بل لم يكن أحد معي في يوم أشعت هذا النبأ فـــي "البـــراهين الأحمدية". فخررت ساجدا للحضرة، وفاضت عيني برؤية هذه الآيـــة. ووالله جاءني فوج بعد فوج في هذه السنوات، وكدتُ أن أسأم مـــن كثـــرتهم لـــولا أُمرتُ من رب الكائنات.

وكم من مُعادِيّ جاءني وهم يتنصّلون من هفوتهم، ويتندمون على فَوهتهم. وكم من غالٍ انتهَوا عن جنون ومجونٍ، وتابوا وصاروا كدُرٍّ مكنون. والـــذين كانوا أكثروا اللغط، وتركوا الصواب واختاروا الغلط، أراهم الآن يبكون فـــي حجراتهم، ويبلّون أرض سجداتهم، وأبكي لبكاء عينيهم، كما كنت أبكي عليهم. دخل الله في قلوبهم، ونجاهم من ذنـــوبهم، واســـتخلص صياصـــيَهم، ومَلَـــكَ نواصيَهم. ونظر الله إليهم ووجدهم قائمين على الصالحات، فجعلهم أبرياء من التبِعات. كذلك أرى جذبة سماوية في قوتها، وجبروت الله في شوكتها. وكـــل يوم يُقتاد العاصي، ويُستدنى القاصي. وأرى حزبي قد وضح لهم الحق كافترار ثغر الضوء، وغمرهم الله بنواله بعد البَوء. فأي شيء خلّصهم مـــن النعـــاس، وكانوا لا يمتنعون بالفاس، وكانوا لا يعبأون بإلماعي، ولا يفكّرون في أمـــري بل يعافون بَعاعي، فجذبتْ بعضَهم الرؤيا الصالحة، وبعضَهم الأدلّةُ القطعيـــة. كذلك صرت اليوم راعيَ أقاطيع، وكل سعيد آتاني القلب المطيع.....

وإن كنتم في شك من هذه الآية، فأتوا بمثلهـــا مـــن القـــرون القديمـــة أو الجديدة، وأخرِجوا لنا ما عندكم من المثال، في هـــذا النصـــر مـــن الله ذي الجلال. ولكن عليكم أن تأخذوا نفوسكم بهذا الالتزام، أن لا تخرجـــوا مـــن مماثلة المقام. وأرُوني رجلا وعد كمثلي على بناء الوحي من الحضرة، فـــي

أيام الغربة والوحدة، ثم كذّبه العدا ونهضوا للمقابلة، وجهدوا جهدهم لإعدامه بكل نوع من الحيلة، ولم يكن الزحام يَسفر عنه في حين من الأحيــان، ولــم يبق مكيدة إلا واستعملوها كالسيف والسنان، ومع ذلك بلغت جماعته من نفس واحدة إلى مائة ألف وانتشرت في البلدان. وإني كُفِّرتُ مرة من أقلام القضاة، وأخرى سِقْتُ إلى المحاكمات، ثم ما كان مآل أمرنا إلا الفتح وزيادة الجماعة مِن فرد واحد إلى مائة ألف أو أكثر من هذه العِدّة. فأرُوني كمثلها إن كنــتم تحسبونها تحت القدرة الإنسانية. ووالله إني أعطيكم ألفا من الدراهم المروّجة، صلةً مني عند غلبتكم في هذه المقابلة، وهذا وعد منـــي بالحلفــة. وإن لــم تفعلوا.. ولن تفعلوا.. فليس لكم إلا صلة اللعنة، إلى يوم القيامــة. أتنكــرون آيات الله بغير حق، ثم لا تأتون بمثلها وتسقطون على مكانتكم كالجيفة؟ ويل لكم ولهذه العادة!" (المرجع السابق ص٣٣٧-٣٤٥)

والآية الثانية هي آية الطاعون كما يبيّن ذلك حضرته فيقول: "ومن آياتي التي ظهرت في هذه السنوات، هو أني أشعت قبل الوقت أن الطــاعون ينتشر في جميع الجهات، ولا يبقى خِطّة من هذه الخِطط المبتلاة بالآفات، إلا ويدخلها كالغضبان، ويعيث فيها كالسِّرحان. وقلت: قد كُشف عليّ من ربـــي سرٌّ مكنون، وهو أن أرضا من أرضين لا تخلو من شجرة الطاعون وثمــرة الــمنون. "**الأمراض تُشاع والنفوس تُضاع**". ذلك بأن الله غضــب غضــبا شديدا، بما فسَق الناس ونسوا ربًّا وحيدًا. فجهّز الله جيشَ هذا الداء، ليــذيق الناس ما اكتسبوا من أنواع الجريمة والفحشاء. فانتشر الطاعون بعد ذلك في البلاد، وجعل ذوي الأرواح كالجماد، ودخَل مُلْكَنا هذا وتَدَيَّرَه بقعةً، وتَخَيَّــرَ الإماتةَ حرفةً، فإن شئت فاقرأ ما أشعتُ في جميع هذه البلاد، ثم استحيِ واتق الله رب العباد". (المرجع السابق ص٣٤٥-٣٤٦)

والآية الثالثة هي موت أعدائه، إذ يقول: "ومن آياتي التي ظهرت في

هذه المدة، موت* رجال عادَوني وآذوني وعزَوني إلى الكفَرة، وسبّوني على المنابر وجرّوني إلى الحكومة. فاعلم أن الله كان خاطبني وقال:

[يَا أَحْمَدِي أَنْتَ مُرَادِي وَمَعِي. أَنْتَ وَجِيهٌ فِي حَضْرَتِي. اخْتَرْتُكَ لِنَفْسِي وَسِرُّكَ سِرِّي. وَأَنْتَ مَعِي وَأَنَا مَعَكَ. وَأَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةٍ لاَّ يَعْلَمُهَا الْخَلْقُ. إِذَا غَضِبْتَ غَضِبْتُ، وَكُلُّ مَا أَحْبَبْتَ أَحْبَبْتُ. إِنِّي مُهِينٌ مَّنْ أَرَادَ إِهَانَتَكَ، وَإِنِّي مُعِينٌ مَّنْ أَرَادَ إِعَانَتَكَ. إِنِّي أَنَا الصَّاعِقَةُ. تُخْرَجُ الصُّدُورُ إِلَى الْقُبُورِ. إِنَّا تَجَالَدْنَا فَانْقَطَعَ الْعَدُوّ وَأَسْبَابه].

ثم بعد ذلك آذاني رجل بغير حق اسمه "محمد بخش" وجرّني إلى الحكومة، فصار لوحي ربي.. أعني "تجالَدْنا"..كالدّريّة، ومات بالطاعون وانقطع خيط حياته بالسرعة، وكنتُ أشعتُ هذا الوحي في حياته وأنبأته به فما بالَى ومضى بالسخرة.

ثم بعد ذلك قام رجل لإيذائي اسمه "محمد حسن فيضي"، وكان أعدى أعدائي، وسبني وشتمني وسعى لإفنائي وإخزائي، ولعنني حتى لعنه ربي وردّ إليه ما عزا إلى نفسي. فما لبث بعده إلا قليلا من الأيام، حتى رأى وجه الحِمام. وكنت كتبت في كتابي "الإعجاز"، ملهَمًا من الله الذي يجيب المضطرّ عند الارتماز: "من قام للجواب وتنمَّرَ، فسوف يرى أنه تندَّمَ وتدمَّرَ". فجعل الفيضي نفسه دريّةَ كلِّ وحي ذكرتُ، وغرضَ كلِّ إلهام إليه أشرتُ، حتى أسكته الموت من قاله وقيله، وردّه إلى سبيله.

وكذلك صار "نذير حسين الدهلوي" دريّةَ وحي الله: "تخرج الصدور إلى القبور"، فإنه كان أوّل من كفّرني وآذاني وفرّ من النور. وكانت سنة وفاته:

* **الحاشية**: وكان منهم رجل مسمى برسل بابا الأمرتسري، وقد أشعت قبل موته في "الإعجاز الأحمدي" أنه يموت بعض علماء تلك البلدة من الطاعون، فمات بعده رسل بابا في أمرتسر، وإنه آية ظهرت في هذه السنوات. ففكروا يا ذوي الحصاة. منه

"ماتَ ضالٌّ هائما" (١٣٢٠هـ) بحساب الجُمل، ومات ناقصا ولم يُصِبْ حظًّا من الكُمّل". (المرجع السابق ص٣٤٦-٣٤٨)

والآية الرابعة التي أظهرها الله تعالى له، وهي ذيوع شهرته في البلاد، فكتب يقول: "ومن آياتي شهرة اسمي بالإكرام والتكرمة، في هذه السنوات الموعودة. وإن الله كان خاطبني وبشرني بإكرامي وقبولي في زمن البأس، وقال: "**أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تُعان وتُعرَف بين الناس**"، وقال: "**يحمدك الله من عرشه**"، وبشّرني بحمد الأناس. وبعد ذلك سعى العدا كل السعي ليُعدِموني ويُلحقوني بالغبراء، ووقع أمري في خطر عظيم من الأعداء، فأيّدني ربي في هذه السنوات المباركة، وشهّر اسمي إلى الديار البعيدة. وهذا أمر لا ينكره أحد إلا الذي ينكر النهار مع رؤيته الأشعة الساطعة". (المرجع السابق ص٣٤٨-٣٤٩)

والآية الخامسة هي معجزة تعليمه اللغة العربية وآدابها، إذ يقول عليه السلام: "ومن آياتي كتبٌ ألّفتها في العربية، في تلك المدة المشتهرة، وجعلها الله إعجازا لي إتماما للحجة. وأولها "إعجاز المسيح" ثم بعد ذلك "الهدى"، ثم "الإعجاز الأحمدي" وهو معجزة عظمى. وكنت فرضت للمخالفين صلةَ عشرة آلاف، إن يأتوا كمثل "الإعجاز الأحمدي" في عشرين يوما من غير إخلاف. فما بارز أحد للجواب، كأنهم بُكْمٌ أو من الدواب. ومع تلك الصلة، لعَنتُ الصامتين الساكتين المتوارين في الحجاب، وأحفظتُهم به لكي يتحركوا لجواب الكتاب، فتوارَوا في حجراتهم، وما نعلم ما صنع الله بقلوبهم، مع إطماع مني وإعناتهم". (المرجع السابق ص٣٤٩)

والآية السادسة هي تحقق نبأ هزيمة كرم الدين، فكتب يقول: "ومن آياتي ما أنبأني العليم الحكيم، في أمر رجل لئيم وبهتانه العظيم، وأوحى إلي

أنه يريد أن يتخطف عِرضك، ثم يجعل نفسه غرضك. وأراني فيه رؤيا ثلاث مرات، وأراني أن العدو أعدَّ لذلك ثلاثة حماما لتوهين وإعنات. ورأيت كأني أُحضرتُ محاكمة كالمأخوذين، ورأيت أن آخر أمري نجاة بفضل رب العالمين، ولو بعد حين. وبُشِّرتُ أن البلاء يرد على عدوي الكذاب المهين. فأشعت كل ما رأيت وأُلهمت قبل ظهوره في جريدة يسمى "الحَكَم"، وفي جريدة أخرى يسمى "البدر"، ثم قعدت كالمنتظرين.

وما مرّ على ما رأيت إلا سنة فإذا ظهَر قدر الله على يد عدو مبين اسمه "كرم الدين". وإنه هو الذي رغِب لإحراقي في نار تُضرَم، وضرارٍ يُعزَم، وأراد أن يسلب أمننا، وطمع في عرضنا، لنُعدَم كل العدم. وأراد أن يجعل نهارنا أغسى من ليلة داجيةِ الظُلَم، فاحمةِ اللمم. فنَحَتَ من عنده استغاثة، وأعدَّ لأفراس الوكالة أثاثة، وجُمِعت الأحزاب وشُمِّرَ الثياب، ليرمي كلهم من قوسٍ واحدِ السهامَ، ونسوا القدير العادل العالم المقسط الذي لا يجهل أوصاف الإنصافٍ، ومن ذا الذي يرضَع عنده أحلافَ الخِلاف؟ وإنه هو معنا فكيف نتأذى من شرير؟ وكيف يولّي عيشٌ نضير؟...." (المرجع السابق ص٢٥٠-٢٥١)

وختم حضرته هذا الفصل بنداءً للناس أن يقبلوا مبعوث السماء فقال: "أيها الناس.. لم لا تعرفون الذي جاءكم من الرحمن، وقد جُمِعَ لكم أول المائة وآخر الزمان؟ الشمس والقمر خُسِفا في رمضان، وظهرت الدابّة التي تكلّم الناس، وهذه هي التي أنبأ بها القرآن، فما لكم لا تعرفون من جاءكم من الرحمن؟ وستعرفونني، وأفوض أمري إلى الله وعليه التكلان.

الحمد لله الذي وهب لي على الكبر أربعة من البنين، وأنجز وعده من الإحسان، وبشّرني بخامس في حين من الأحيان. وهذه كلها آياتٌ من ربي يا أهل العدوان. سبحانه وتعالى عما تظنون، فاتقوه وقد نزل وهو غضبان."
(المرجع السابق ص٣٦٠)

* * *

ولا يحتاج الأمر إلى تعليق آخر بعد هذه الكلمات الغرّاء، غير أننا نلفت أنظار القارئ إلى أن انتشار الطاعون بصورة الوباء، كان عقابا وآية كبرى من السماء، لَمّا رفض الناس أن يؤمنوا بالإمام المهدي عليه السلام بعد ظهور آية الخسوف والكسوف من الله ذي الآلاء، وهذه أيضا كانت آية عظمى من السماء، وبرهانا لأولي الألباب والعقلاء. وليس معنى انتهاء الوباء، أن الكفر قد انتهى وتوقف فساد الدهماء، أو أن القساوسة وأهل السوء من العلماء، قد امتنعوا عن تضليل عامة الناس في جميع الأرجاء والأنحاء. ولذلك فقد حذر إمامُ الأصفياء، من عصيان الله ومحاربة الأولياء، وإلا فسوف يتوالى العقاب ونزول البلاء، فقال كما سبق ذكره آنفا في هذا الإملاء:

"... فمن حارب أولياءه فقد ألقى نفسه إلى التهلكة. ومن تاب بعد ذلك فيتوب الله عليهم، فإنه كريم واسع الرحمة. وإن لم يكفّوا ألسنتهم ولم يمتنعوا ولم يزدجروا، ويعودوا ويسبّوا ويعتدوا، فيعود الله إليهم ببلية هي أكبر من السابقة. وإنه يُنــزل البلايا بالتوالي، ولا يبالي، فتوبوا إليه يا ذوي الفطنة. وما يفعل الله بعذابكم إن تركتم سبل الفحش والمعصية، والله غفور رحيم."

فماذا حدث بعد ذلك؟ إن الشيطان لم يكن ليستسلم بسهولة ويترك قبضته التي يضل بها الناس، بل استسلم أكثر الناس لدعوة الشياطين من القساوسة وعلماء السوء، ولذلك فقد استمر العذاب وتوالى نزول البلايا بشكل لم تشهده البشرية من قبل في تاريخها الحافل الطويل. ففي سالف الأيام.. كان عذاب الله يقع على أقوام الأنبياء حين يُصرّون على تكذيبهم ورفضهم اتّباع مبعوثي السماء. ولم يكن هؤلاء الأقوام في أغلب الأحيان سوى قرية بُعث فيها النبي، أو قبيلة أرسل الله إليها رسولا، فكان ضحايا ذلك العذاب في أكثر

تلك الوقائع لا يتعدّى بضع الآلاف من الناس، فلم تكن المدن في تلك الأزمنة واسعة ضخمة يسكنها أعداد كبيرة من الناس، و لم يكن الأنبياء يُبعثون إلى العالم أجمع، بل كانوا يأتون إلى قرية أو قبيلة أو إلى بلد صغير.

وأمّا في عصرنا الحديث، زمن الإمام المهدي ، فقد تحوّل الزمان، وتغيرت الظروف، وصارت البشرية جميعها تعيش على كوكب الأرض وكأنها في قرية واحدة، وتضاعف عدد سكان العالم بشكل لم يحدث من قبل في تاريخ البشرية. ولذلك كان العذاب المقدّر نزوله بعد تكذيب الإمام المهدي، في شدّته.. وانتشاره.. واتساع آثاره.. بشكل لم تر البشرية له مثيلا من قبل.

ويكفي أن ننظر إلى أحوال العالم قبل الخسوف والكسوف وبعده.. فقد كانت البشرية تعاني من حين لآخر من ويلات وباء هنا أو مرض هناك، ولكن الأوبئة والأمراض التي وقعت في العالم بعد وقوع الخسوف والكسوف قد زادت في أعداد ضحاياها، ومدى انتشارها، وتنوّعها، عن كل تلك الأوبئة التي وقعت في تاريخ البشرية بأكمله، سواء بالنسبة لعدد الضحايا الذين ماتوا بسبب تلك الأوبئة، أو بالنسبة لعدد الضحايا الذين وقعوا فريسة لتلك الأمراض، أو بالنسبة لحجم ومساحة المناطق التي انتشرت فيها هذه الأوبئة، أو بالنسبة إلى نوعية وتعدد أنواع الأمراض، ومنها ما لم يكن معروفا في العالم من قبل. لقد حصد وباء الطاعون في حياة الإمام المهدي مليونين من البشر، ثم تلاه وباء الأنفلونزا الذي عمّ العالم وقضى على عشرين مليونا من الضحايا في عام واحد، ثم تلا ذلك أوبئة وأمراض أخرى مثل شلل الأطفال، والكوليرا، والملاريا، والجدري، والسرطان، وأمراض القلب، والأمراض الجنسية، والأمراض النفسية، ووباء الإدمان على المخدّرات والكحوليات، وأمراض أخرى لم يكن يعرفها الإنسان من قبل مثل مرض العصر الحديث، وهو الإيدز الذي يُقال عنه إنه طاعون العصر، ويُقدّر عدد ضحاياه في نهاية هذا القرن بما

لا يقل عن مائة مليون من البشر في مختلف أنحاء العالم.

كذلك كانت البشرية تعاني دائما من الحروب الطوال، ولكن الحروب التي وقعت بعد آية كسوف الشمس والقمر فاقت في شدّتها وآثارها وأهوالها وخرابها ودمارها كل حروب البشرية في تاريخها السابق، سواء كان ذلك في أنواع أسلحة الدمار التي استخدمت فيها، أو في عدد الضحايا من القتلى والجرحى والمشردين، أو في عدد المساكن والمباني والمعدّات التي خُرّبت وهُدّمت وأصابها الدمار والتبار. لقد رُوّع العالم ببلايا لم يكن لها مثيل، ورجفت راجفة الحرب العالمية الأولى، وتبعتها رادفة الحرب العالمية الثانية، فكانت القلوب يومئذ واجفة، أبصارها خاشعة. وبلغ ضحايا هاتين الحربين أكثر من مائة مليون من البشر بين قتيل وجريح ومشرد، وأما عن الخسائر في المعدات والدمار الذي أصاب المباني والمنشآت، فليس في العالم من قبل مجال للمقارنة معه. أضف إلى هذا جميع الحروب الصغيرة والمحلية التي اشتعلت، والثورات الشعبية التي اندلعت، والانقلابات العسكرية التي انقلبت، مما بلغ ضحاياه سبعين مليونا من البشر، بل يزيد.

وبالإضافة إلى كل ذلك.. يأتي الخراب والدمار وضحايا الزلازل والبراكين والعواصف المدمّرة، والفيضانات والمجاعات، والانهيارات الاقتصادية التي عمّت العالم في هذا القرن الأخير بشكل لم يحدث له مثيل من قبل.

هكذا تحققت نبوءة الكسوف والخسوف التي ذكرها رسول الله ﷺ.. لم يكن الأمر مجرد ظاهرة فلكية ينكسف فيها الشمس أو القمر، وإنما كانت آية من آيات السماء. ولم يكن الإمام المهدي عليه السلام مجرد داعية يبتغي تكوين حزب من الأحزاب، أو يزيد المسلمين فُرقة، أو يضيف لعدد فِرَقهم فِرقة، ولكنه كان نذيرا مبينا، بعذاب أليم، لمن خالف وأعرض عن دعوة الحق واليقين. وكان بشيرا أمينا، بنعيم مقيم، لمن أراد أن يهتدي إلى طريق الله المستقيم.

ونختم هذا الفصل بالدعاء الذي كتبه الإمام المهدي الطَّيْلاً في نهاية كتابه "إعجاز المسيح" (الخزائن الروحانية ج١٨ ص٢٠٢-٢٠٤) والذي يقول فيه:

"... قل إن هدى الله هو الهدى، فله الحمد وهو المولى، وهو ربي في هذه وفي يوم تُحشرُ كل نفس لتُجزَى. ربّ انزل على قلبي، وأظهر من جيبي بعد سلبي، واملأ بنور العرفان فؤادي. ربّ أنت مرادي فآتني مرادي، ولا تُمتني موت الكلاب، بوجهك يا رب الأرباب. ربّ إني اخترتك فاخترني، وانظر إلى قلبي واحضرني، فإنك عليم الأسرار، وخبير بما يُكتَم من الأغيار. ربّ إن كنتَ تعلم أن أعدائي هم الصادقون المخلصون، فأهلكني كما تُهلَكُ الكذّابون، وإن كنتَ تعلم أني منك ومن حضرتك، فقم لنصرتي فإني أحتاج إلى نصرتك. ولا تُفَوّض أمري إلى أعداء يمرّون عليّ مستهزئين، واحفظني من المعادين والماكرين. إنّك أنت راحي وراحَتي، وجَنّتي وجُنّتي، فانصرني في أمري واسمع بكائي ورُنّتي. وصلّ على محمد خير المرسلين، وإمام المتّقين، وهَبْ له مراتبَ ما وَهبتَ لغيره من النبيين. ربّ أعطه ما أردت أن تُعطيني من النعماء، ثم اغفر لي بوجهك وأنت أرحم الرحماء." آمين.



الفصل الثالث عشر

الكذبة الكبرى

الفصل الثالث عشر

الكذبة الكبرى

رأينا فيما سبق كيف أن انهزام المبشرين المسيحيين في ساحة النضال أمام سيدنا أحمد عليه السلام كان سببا في اشتعال نار الحقد والكراهية في نفوسهم تجاهه، وكيف أن سموم الإفك والبغض قد ملأت قلوبهم إزاءه، وأعماهم التعصب المقيت عن رؤية الحق، الذي كان يحاول سيدنا أحمد.. بكل ود وبكل محبة.. أن يدعوهم إليه. ولم يكن في جعبتهم ما يدافعون به عن العقائد الباطلة، ولا من برهان يؤيدون به الأفكار الزائفة. فلم يكن أمامهم بدّ من الاحتيال بأساليب الخداع، ولا مناص من استعمال وسائل الدس والوقيعة، ومن هنا كانت الكذبة الكبرى التي نجحوا في حبك أطرافها، وتثبيت أسسها، ودق أسافينها بين المسلمين أنفسهم، الذين ساعدوهم.. ولا يزالون.. وهم لا يعلمون. ولو فكر المسلمون اليوم قليلا.. لرأوا أنهم ما زالوا ضحايا لتلك الكذبة.. التي ما فتئت تستولي عليهم من حيث لا يشعرون.

غير أنه لا بد من الإيضاح هنا.. والتأكيد على أن سيدنا أحمد عليه السلام قد شرح مرارا وتكرارا، أنه لا يَكره أحدا من خلق الله تعالى، وإنما يكره أعمالهم الفاسدة، وهو لا يُعادي المبشرين المسيحين لمجرد أنهم يختلفون عنه في الدين، وإنما لتطاولهم على دين الإسلام، ولسبّهم سيد الخلق وخير الأنام، وفي ذلك يقول:

"... وإنّا أُمرنا أن نُتم الحجة بالرفق والحلم والتؤدة، ولا ندفع السيئة بالسيئة، إلاَّ إذا كثر سبّ رسول الله، وبلغ الأمر إلى القذف وكمال الإهانة، فلا نسُبُّ أحدا من النصارى، ولا نتصدى لهم بالشتم والقذف وهتك الأعراض، وإنما نقصد شطر الذين سبُّوا نبينا ﷺ، وبالغوا فيه

بالتصريح أو الإيماض، ونُكرم قسوسا لا يسُبون ولا يقذفون رسولنا كالأراذل والعامة، ونُعظم القلوب النّزهة عن هذه العذرة، ونذكرهم بالإكرام والتكرمة. فليس في بيانٍ منّا حرف ولا نقطة يكسر شأن هذه السادات، وإنما نرد سبّ السّابّين على وجوههم جزاءً للمفتريات." (نجم الهدى، الخزائن الروحانية ج ١٤ص٧٩ - ٨٠ الحاشية)

ويتضح جليّا من هذا النص أن سيدنا أحمد عليه السلام يحترم القساوسة الذين لا يسبّون رسول الله، ويذكرهم بالإكرام والتكرمة، وهذا الاحترام لا يخص القساوسة فحسب، بل هو لجميع العلماء من كافة الأديان، كما يبين ذلك النص التالي من كتاب آخر:

"... ونزّهنا كتابنا هذا عن ازراء الأخيار الذين هم على دين من الأديان، ونعوذ بالله من هتك العلماء الصالحين، وقدح الشرفاء المهذبين، سواء كانوا من المسلمين أو المسيحيين أو الآرية، بل لا نذكر من سفهاء هذه الأقوام إلاّ الذين اشتهروا في فضول الهذر والإعلان بالسيئة. والذي كان هو نقي العرض عفيف اللسان، فلا نذكره إلاّ بالخير ونُكرمه ونعزّه ونحبّه كالإخوان، ونسوّي فيه حقوق هذه الأقوام الثلاثة، ونبسط لهم جناح التحنن والرحمة، ولا نعيب هؤلاء الكرام تصريحًا ولا تعريضًا رعاية للأدب." (لجة النور، الخزائن الروحانية ج ١٦ص ٤٠٩)

الخلفية التاريخية

وقبل أن نخوض في تفاصيل هذه الكذبة الكبرى، نود أن نوضح للقارئ الكريم شيئا عن ظروف المسلمين التي كانت سائدة في الهند بصفة عامة، وفي البنجاب بصفة خاصة، حيث وُلد وعاش سيدنا أحمد عليه السلام. فبعد أن ضعفت حكومة المسلمين في الهند، ووقع بين أمرائهم الشقاق، وكثرت المؤامرات فيما بينهم، بدأ نجمهم في الأفول، وأخذ نجم الهندوس والسيخ في الصعود. وفي مقاطعة مثل البنجاب.. كانت حالة المسلمين على أسوأ ما يكون.. إذ حُرّم

على المسلمين أداء شعائرهم الدينية، ومُنع المؤذن من رفع صوته بالأذان، وأصاب المسلمين اضطهاد عظيم على يد الهندوس والسيخ. وكتب الإمام المهدي يصف تلك المرحلة، فقال ما تعريبه:

"يعلم المعمّرون إلى الستين أو السبعين جيدا أنه قد مرّ علينا عهد السيخ الحافل بأنواع الآفات التي ترتعد لذكرها الفرائص، وتتخلع لهولها القلوب. فقد حُرِّم على المسلمين يومذاك القيام بالعبادات والشعائر الدينية التي كانت أحب وأعز شيء إلى نفوسهم، وكان من المحظور أن يرفع أحد صوته بالأذان الذي نستهل به صلاتنا، ولو جهر المؤذن بالتكبير سهوا قُتل فورا، كما أنهم تدخلوا في أمور المسلمين المتعلقة بالحلال والحرام، وحدث مرة أن قُتل خمسة آلاف من المسلمين في قضية ذبح بقرة." (تقرير حول الاجتماع للدعاء، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٦٠٥)

ويصف تلسي رام في كتابه "عادات السيخ" الحالة كما يلي:

"في أوائل أمرهم كانت عادة السيخ الإغارة والنهب والقتل، وسلب ما تقع عليه أيديهم وتوزيعه فيما بينهم، وكان لهؤلاء القوم مع المسلمين عداوة شديدة، فكانوا لا يسمحون لهم برفع الصوت بالأذان، واستولوا على مساجدهم."

ويقول السيد أحمد البريلوي المجاهد الإسلامي الأفغاني في كتاب "سوانح أحمدي"، وهو الذي كان يجاهد ويحارب السيخ إلى أن استشهد بأيديهم:

"ذهبنا أثناء سفرنا في بلاد البنجاب إلى بئر لنشرب الماء، فألفينا بعض النسوة من السيخ يستقين. ولما كنا لا نعرف لغة القوم، وضعنا أيدينا على الفم إشارة إلى أننا نريد أن نشرب الماء. فتلفتت النسوة حولهن وقلن بالأفغانية: إننا بنات مسلمات أفغانيات من القرية الفلانية والناحية الفلانية، وإن السيخ كانوا قد أغاروا على قريتنا وساقونا عنوة."

وورد في كتاب دائرة المعارف السيخية Encyclopedea of Sikh

:Literature

"لقد كان السيخ يبغضون المسلمين أشد البغض، وقد قُتل من المسلمين على أيديهم أعداد كبيرة.. من الرجال والنساء والأطفال.. بغاية القسوة، ودُمِّرت عليهم قراهم تدميرا كاملا، وانتهكوا حرمة النساء، وهدموا المئات من مساجدهم." (ص ١٢٧)

وفي نشرة "ترغيب الجهاد" التي نشرها أحد المسلمين يقول فيها:

"حَكَمَ السيخ في لاهور وغيرها من المدن مدة من الزمان، فتجاوزت مظالمهم كل الحدود، فقد قتلوا ألوفا من المسلمين وأذاقوهم الذل والهوان، ومنعوا الأذان وحرموا عليهم ذبح البقر. وتجاوزوا الحدود حتى بلغ السيل الزبى، فنهض السيد أحمد البريلوي رحمه الله للذود عن الدين القويم، وحشد حوله لفيفا من المسلمين، وذهب بهم إلى بشاور وكابول حيث أيقظ المسلمين من غفلتهم، ولبى دعوته للجهاد عدة آلاف من المسلمين.

ونظرا لهذه الأمور الخطيرة.. أعلن حضرته الجهاد على السيخ في ٢١ من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٨٢٦، فحالفه النجاح في غزواته، ولكنه ما لبث أن استشهد بأيدي السيخ في عام ١٨٣١."

كان كل ذلك قبل ولادة سيدنا أحمد عليه السلام، بينما كان الإنجليز يتولون إدارة بعض المناطق من البنجاب فيما وراء مدينة لدهيانه وسائر أنحاء الهند. ويقول مؤلف "سوانح أحمدي" حكاية عن الغازي الشهيد السيد أحمد البريلوي:

"كان سيد أحمد الشهيد البريلوي -رحمة الله عليه- من المناطق الهندية التابعة للإنجليز، اتجه إلى إقليم "سرحد" (قرب الحدود الأفغانية) لمحاربة السيخ. ويقول كاتب سيرته السيد محمد جعفر التهانيسري:

"سأله سائل: تسافر هذه المسافة البعيدة لمحاربة السيخ، لم لا تحارب هنا الإنجليز الحاكمين لهذه البلاد والمنكرين للإسلام، فتنْتزع منهم البلاد؟

فقال: لا شك أن الحكومة الإنجليزية كافرة بالإسلام، ولكنها لا تظلم المسلمين، ولا تمنعهم من أداء عبادتهم وواجباتهم الدينية. ونحن نقوم تحت حكومتهم بواجب التذكير وتبليغ الدين علنا، وإنها لا تتصدى لنا ولا تمنعنا أبدا. وإن واجبنا الحقيقي إنما هو نشر التوحيد الإلهي وإحياء سُنن سيد المرسلين ﷺ، ونحن نؤدي هذا الواجب في هذه البلاد بدون أي مانع. فلأي سبب نحارب الحكومة الإنجليزية، ونسفك الدماء من الجانبين مخالفين بذلك أحكام الإسلام؟." (سوانح أحمدي كلان، ص٧١)

وقد بسط الإنجليز نفوذهم على كل البنجاب بين عامي ١٨٤٦ و ١٨٤٩، وكان سيدنا أحمد في ذلك الوقت بين سن الحادية عشرة والرابعة عشرة من عمره. وكان السير أحمد خان في ذلك الحين قاضيا في مدينة دلهي. وقد استتب الأمن في بلاد البنجاب بعد استيلاء الإنجليز عليها، وتوقفت مذابح المسلمين التي كانت تتم على أيدي السيخ، ومُهّدت الطرق وأنشئت المرافق العامة، وبُنيت المدارس والمستشفيات في المدن الكبيرة. ويقول سيدنا أحمد عليه السلام عن تلك الأيام ما معناه:

"سمعت أن الإنجليز لما احتلوا هذه البلاد في أول الأمر أذّن مؤذن بصوت عال في مدينة هوشياربور. وبما أن الهندوس والسيخ كانوا حديثي العهد بالإنجليز.. فأمسكوا المؤذن وذهبوا به إلى المتصرف البريطاني في حشد كبير من الناس، بينهم رؤساء الهندوس وكبار تجارهم، وشكوا إليه أن عجينهم وأوانيهم قد تنجست بسبب أذانه. فاستغرب الإنجليزي غاية الاستغراب أن يكون للأذان هذا التأثير الغريب في المأكولات، وطلب من مساعده أن يُجرب تأثير الأذان في المأكولات على حد زعمهم حتى يقضي في الأمر. فأمر المؤذن أن يعيد الأذان بصوت عال كما فعل من قبل، فخاف المسكين على نفسه من عقاب الجرم المتكرر، وأحجم عن الأذان. ولما طمأنه الحاكم وسكّن روعه.. رفع صوته بالأذان، فقال الحاكم حينذاك: لم يصبني

بشيء من الدنس بأذانه. ثم سأل مساعده: هل أصابه شيء من الدنس؟ فنفى ذلك بالطبع، فأطلق سراح المؤذن وسمح له بالأذان كما يشاء.
وفي قريتنا هذه.. حيث مسجدنا الجامع.. كان هنالك مكتب للحكومة، وكنت صغيرا آنذاك، فسمعت من أناس ثقات أن القانون السابق ظل معمولا به أياما عدة بعد دخول الإنجليز. وفي تلك الأيام قدم هنا مأمور جديد، ومعه أحد رجال البوليس من المسلمين، فدخل الشرطي المسلم المسجد وأمر المؤذن أن يؤذن، فأذن المؤذن خائفا وبصوت خافت. ولما استفسره الشرطي المسلم أجابه بأننا نؤذن على هذه الصورة، فأمره بالصعود إلى سطح المسجد ورفع الأذان بصوت جهوري قدر الإمكان. فخاف المؤذن من سوء العاقبة، ولكنه أذّن بصوت عال بعد إصرار الشرطي. فإذا بالمسجد يزدحم بالهندوس، الذين أمسكوا المؤذن. فذعر المسكين ذعرا شديدا، وظن أن المأمور سوف يشنقه، ولكن رجل البوليس المسلم سكّن جزعه بقوله: لا تخف إني معك. وساقه البراهمة القساة السفاكون إلى مأمور الحكومة، وشكوا إليه أن المؤذن دنسهم جميعا. وكان المأمور يعلم أن الحكومة قد تغيرت، ولم يبق ثمة مجال للاستبداد السيخي. ومع ذلك سأل المؤذن بصوت خافت: لماذا رفعت الصوت بالأذان؟ فتقدم رجل البوليس المسلم وقال: أنا الذي أذنت وليس هو. فقال المأمور للبراهمة: ويلكم.. لماذا هذا الضجيج كله؟ إن الأبقار تُذبح علانية في مدينة لاهور، وأنتم ترفعون العقيرة على الأذان! اذهبوا، والزموا دوركم صامتين." (تقرير حول الاجتماع للدعاء، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٦٠٨-٦١٠)

كان من الطبيعي في ذلك الوقت أن يُرحب المسلمون بمقدم الإنجليز، فقد كان الإنجليز بالنسبة لهم جيش الخلاص الذي أرسلته السماء، لرفع المعاناة والعذاب والمذابح والآلام التي كان يعاني منها المسلمون أثناء حكم السيخ الأسود. ومع ذلك.. كانت هناك أيضا الشراذم الباقية من الفرق التي كان قد أنشأها المجاهد الشهيد السيد أحمد البريلوي أثناء قتاله مع السيخ. ويبدو أن

الكثير من تلك الفرق.. بعد استشهاد المجاهد الكبير.. قد تحولت إلى عصابات تعيش على الإغارة والقتل والسلب ضد السُّلطة، في محاولاتها للاستيلاء على الحكم. ولعل ما حدث في أفغانستان من قتل وتخريب وإرهاب على أيدي من كانوا يسمونهم: "المجاهدين الأشقاء"، يمكن أن يُقرّب الصورة إلى أذهان القراء، عمّا كان يحدث في البنجاب في تلك الأيام، على أيدي تلك الشراذم من المجاهدين السابقين، ومن يؤيدهم من المولويين، الذين كانوا يريدون أن يجمعوا الأموال من الناس باسم الجهاد وباسم الدين.

ولهذا فقد استشعر الإنجليز الخطر من المسلمين، غير أن المثقفين المسلمين، وكذلك العلماء من المسلمين، طمأنوا الإنجليز على صدق إخلاصهم وموالاتهم وتأييدهم للحكومة البريطانية. ولكن تحرّج الموقف حين قامت حركات من التمرد بين صفوف الجنود السيخ العاملين في الجيش البريطاني، وشاركهم فيها الجنود المسلمون، وسرعان ما اشتعل الموقف عام ١٨٥٧ حين راح المولويون يضرمون النيران بصيحات الجهاد ضد الإنجليز، وهم لا يعلمون أنهم بذلك يخدمون مصالح السيخ والهندوس، الذين كانوا يتطلعون إلى التخلص من الإنجليز حتى يستردوا أمجادهم الغابرة.

وقد كتب السير أحمد خان.. الذي كان قاضيا معروفا وأحد رموز الطبقة المثقفة في الهند.. كتابا في أسباب الثورة الهندية، وأوضح فيه مسألة الجهاد، ونصح فيه المسلمين بالتزام الطاعة والوفاء للحكومة الإنجليزية، واعتبر تلك الثورة عصيانا وتمردا ممقوتا، وسماها لصوصية ومن أعمال الغدر.

وكتب الشيخ محمد حسين البطالوي، وهو الذي كان من ألد أعداء سيدنا الإمام المهدي، وكان رئيس طائفة الوهابيين من أهل الحديث.. كتب في مجلته "إشاعة السُنة" يقول:

"إن المسلمين الذين شاركوا الهندوس في ثورة ١٨٥٧ كانوا عصاة آثمين فاجرين بحكم القرآن والحديث." (المجلد العاشر ج٩ عام ١٨٧٨)

وصدرت فتوى من العلماء السبعة الكبار في ١٧ يوليو (تموز) عام ١٨٧٠، فحواها أنه لا يجوز الجهاد ضد الإنجليز. وقد استفتي علماء الأحناف والشافعية والمالكية من علماء مكة في ذلك الوقت، عما إذا كانت الهند تعتبر دار حرب أم دار الإسلام، فأفتوا بأنها لا تعتبر دار الحرب، ولا يجوز إعلان الجهاد فيها، ما دامت لا توجد فتنة للناس وليس هناك إكراه في الدين.

وفي ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٧٠، عَقَد منتدى جمعية الآداب المحمدية بمدينة كالكوته اجتماعا كبيرا تحدث فيه أحد علماء الهند المشهورين، وهو "كرامت الله الجنفوري"، وألقى محاضرة في موضوع موقف المسلمين من رعايا الهند البريطانية تجاه الحكومة الإنجليزية، وأثبت فيها بالأدلة أنه لا يجوز الجهاد ضد الحكومة الإنجليزية.

وقد نُشر للكاتب الشهير "السيد أمير علي" نشرة في الجهاد، أثبت فيها أنه حسب الفقه الشيعي فإن الجهاد ضد حكومة الملكة فيكتوريا غير مشروع، وأنه لا يصح القتال بغير الإمام.

وهكذا كان علماء المسلمين.. من أهل السُنّة، ومن أهل الشيعة، ومن الوهابيين، يتسابقون في إظهار الولاء والإخلاص للحكومة الإنجليزية، وأصدروا الفتاوى ونشروا الأحكام الشرعية بتحريم الجهاد ضد الإنجليز. وقد ألّف السير وليم ولسن هنتر Sir W.W. Hunter في ١٨٧١ كتابا أسماه: "مسلمو الهند"، جمع فيه هذه الفتاوى وبحث فيها، وقارن بين فتاوى أهل السُنّة وأهل الشيعة، ثم استخلص من كل ذلك أنه لا يتوقع خطرا كبيرا من المسلمين في الهند، فقال في ص ١٣٧:

"أقصى ما يمكننا أن نتوقعه من المسلمين هو عدم المقاومة."

ظهور الإمام المهدي على مسرح الأحداث

حدث كل ذلك حينما كان سيدنا أحمد عليه السلام لا يزال شابا في مقتبل العمر، وكان خامل الذكر لم يسمع عنه أحد، وكان يشغل وظيفة متواضعة في مدينة سيالكوت. وبعد مرور خمسة عشر عاما على أحداث عام ١٨٥٧ التي أداها علماء المسلمين، نشر أولى مقالاته دفاعا عن الإسلام ضد هجمات المسيحية والهندوسية في مجلة "منشور محمدي" في ٢٥ أغسطس (آب) عام ١٨٧٢، ومن بعدها استمر في كتابة المقالات إلى أن نشر كتابه المعروف "البراهين الأحمدية" في عام ١٨٨٠ ثم في عام ٨٢ ثم في عام ٨٤، وفي تلك الأثناء بدأ نجمه في الظهور. وكان يتمتع بتأييد المسلمين وإعجابهم حتى عام ١٨٩١ الذي نشر فيه كتبه الثلاثة: "فتح الإسلام"و "توضيح المرام" و "إزالة الأوهام"، وأوضح فيها أن عيسى بن مريم عليه السلام قد توفاه الله تعالى كما توفى جميع الأنبياء، وعلى ذلك فلن ينـــزل من السماء، وأنه.. أي سيدنا أحمد.. هو الإمام المهدي المنتظر والمسيح الموعود.

اعتبر كل من المسلمين والقساوسة المسيحيين.. على السواء.. تلك الدعوة إهانة شديدة لشخص المسيح بن مريم عليه السلام، فأقاموا الدنيا وأقعدوها ضد سيدنا أحمد عليه السلام. وحيث إن قوانين الحكومة الإنجليزية كانت تكفل الحرية الدينية للجميع، لم تستطع أي فئة منهم اتخاذ أي إجراء قانوني ضده بغير طريق التآمر، الذي أقدم عليه القساوسة المسيحيون حين حاولوا تلفيق تهمة القتل ضده في المحكمة. ولما فشل الجميع في مقابلة الحجة بالحجة.. ولم تكن في أيديهم سُلطة استعمال القوة للقضاء عليه.. كان لا بد من اللجوء إلى أساليب الكذب والمكر والخديعة.. والتآمر واستعداء السُلطة ضده.

المولويون والقساوسة يحرضون الحكومة ضد الإمام المهدي

وفي أوائل الثمانينيات.. كان الإنجليز يعانون في السودان، من حركات

المقاومة التي كان يقودها محمد أحمد المهدي الذي ادّعى أنه المهدي المنتظر. فلما أعلن سيدنا أحمد عليه السلام أنه هو المهدي المنتظر.. توجس الإنجليز شرا من هذه الدعوة، وانتهز المولويون والقساوسة الفرصة، وراحوا في محاولاتهم لاستعداء السُّلطة ضده يذكون روح الشك والريبة في قلوب المسؤولين في الحكومة. وكتب الشيخ محمد حسين البطالوي وغيره من مشايخ المسلمين، والقساوسة المسيحيين.. المرة بعد المرة.. يلفتون نظر الحكومة إلى خطر دعوة الإمام المهدي عليه السلام، وأن حركة غلام أحمد ستكون على الإنجليز أشد خطرا من حركة المهدي السوداني. ومن أقوال الشيخ البطالوي:

"... والدليل على خداعه *(أي مؤسس الجماعة)* أنه يستبيح في قلبه سلب أموال الحكومة غير المسلمة، ويستحل قتل أفرادها ...، لذلك فلا يليق بالحكومة أن تثق فيه أو تعتمد عليه، بل عليها أن تحذر منه الحذر كله، إذ من المحتمل أن يُصيبها من هذا المهدي القادياني ضرر أفدح وأكبر مما أصابها من المهدي السوداني..."

ثم كتب مخاطبا مؤسس الجماعة:

"... وكيف يطمئن إليك قلب الحكومة؟ ولهذا السبب نفسه لم أزل أوعز إليها بأنك رجل خطير لا يُؤمَن جانبه. وعلى الحكومة ألا تأمن غوائله، وإنه لا يستحق التقريظ الذي سبق أن اختصصته به فيما مضى، لأنه قد تغيّر عما كان عليه، فليس هو بمرزا غلام أحمد الذي كنت قد طمأنت الحكومة عنه." (مسلمو الهند Sir W.W.Hunter)

دعوة المسلمين للعمل ضد التبشير المسيحي

ولما كان التبشير المسيحي يجري على قدم وساق في الهند.. قام سيدنا أحمد عليه السلام بصفته المسيح الموعود لكسر الصليب، وراح يعمل على تبرئة المسيح عيسى بن مريم من موت اللعنة على الصليب، وقد نشر النداء التالي في كتابه "فتح الإسلام":

"أيها المسلمون اسمعوا وعوا! لقد استخدمت الأمة المسيحية الأقاويل الملتوية الملفقة لوضع حد للتأثيرات الطاهرة للإسلام، ولجأت في سبيل ذلك إلى أخدع الحيل التي حاولت نشرها جاهدة وباذلة أموالا طائلة، حتى أنفدت لهذا الغرض الوسائل المخجلة التي نرى من الأنسب تنْزيه مقالتنا عن ذكرها. وإن هي إلا مكائد ساحرة من قِبَل هذه الأمة أنصار التثليث، وما لم يُظهر الله إزاءها يد القدرة.. التي فيها قوة المعجزة، وما لم يُحطم هذا السحر بتلك المعجزة القوية، فلا يُتصور ألبتة أن ينجوَ البسطاء السذّج من سحر الإفرنج هذا.

ودحضًا لهذا السحر، قد أعطى الله تعالى للمسلمين الصادقين في هذا العصر هذه المعجزة.. حيث أقام عبده هذا مقابل خصوم الإسلام، وقد شرّفه بوحيه وكلامه وبركاته الخاصة، وأعطاه حظا أوفر من المعارف الدقيقة المؤدية إلى سبيله. كما أسعفه ﷻ بكثير من التحف السماوية، والخوارق العلوية، ودقائق المعارف والأسرار الروحانية، ليكسر هذا الحجر السماوي دُمى الأباطيل التي أعدها سحر الإفرنج." (فتح الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٣ ص ٥-٦)

ثم قال أيضا في كتاب آخر:

"أيها المسلمون! إن كنتم تؤمنون بالله تعالى ورسوله الكريم ﷺ بصدق القلب، وتنتظرون نصرة الله، فأيقنوا أنه قد آن أوان نصرته تعالى، وأن هذا الأمر ليس من صنع الإنسان، ولم يؤسسه كيد الإنسان. كلا.. بل هو انبلاج ذلك الصبح الذي بُشّر به في الصحف المطهرة من قبل. لقد ذَكَركم الله في أحرج الأوقات وأشدها، فكنتم على شفا حفرة كادت أن تنهار بكم، ولكن سرعان ما أنقذتكم يد رحمة الله. فاشكروا له وتهللوا فرحًا وغبطة، فقد عاد يوم حياتكم من جديد." (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية ج ٣ ص ١٠٤-١٠٥)

ثم يقول في مكان آخر من نفس الكتاب:

"من ذا الذي يستطيع أن يُقدّر مدى الأضرار التي لحقت بالإسلام على

يد هؤلاء القوم، ومقدار ما وأدوا الحق والعدل. لم يكن لهذه الفتن جميعها من أثر يُذكر قبل القرن الثالث عشر الهجري، ولكن ما أن انتصف هذا القرن ونَيِّف.. إلا وخرجت هذه الطغمة الدجالية فجأة، وأخذت في التقدّم حتى بلغ عدد المتنصرين في أواخر هذا القرن في الهند وحدها نصف مليون نسمة، على حد قول القسيس "هيكر". وقُدّر عدد الذين ينضمون إلى المسيحية كل اثني عشر عاما فينادون العبد العاجز إلها بمائة ألف نسمة.

ولا يخفى على العارفين، أن جماعة كبيرة من المسلمين، أو بتعبير آخر، فئة من صعاليك الإسلام من ذوي البطون الجائعة، والأجسام العارية، استحوذ عليهم القساوسة بما لوّحوا لهم بالرغيف والثوب. ومن لم يطمع في رغيفهم افتتنوه بالنساء. ومن لم يقع في شَرَكهم بهذه الطريقة أيضا نشروا للكيد بهم فلسفة الإلحاد واللادينية التي وقع فريستها اليوم ألوف من الناشئة من أبناء المسلمين، ممن يسخرون من الصلاة، ويستهزئون بالصوم، ويرون الوحي والإلهام من أضغاث الأحلام. أما من قصر باعه عن دراسة الفلسفة الإنجليزية.. فقد ألّفوا ونشروا لتضليله القصص الكثيرة الملفقة، التي نسجها القساوسة بكل سهولة، والتي هجوا فيها الإسلام بأسلوب روائي أو تاريخي، كما ألّفوا ما لا يُحصى من الكتب للطعن في الإسلام ولتكذيب سيدنا ومولانا ونبينا ﷺ، ووزعوها في كثير من أنحاء العالم مجّانا، ونقلوا أكثرها إلى لغات عديدة، وقاموا بنشرها. راجعوا في صدد ذلك حاشية الصفحة ٤٦ من كتابي "فتح الإسلام"، تجدوا أنهم ألّفوا خلال إحدى وعشرين سنة ووزعوا مجانا ما يربو على سبعين مليونا من الكتب لنشر أفكارهم المليئة بتلبيساتهم، وذلك لكي يُقلع عن الإسلام أهله، ولكي يؤمنوا بالمسيح إلها.

فالله أكبر! إن لم يكن هؤلاء في نظر قومنا الدجّال في الدرجة الأولى.. وإن لم تكن ثمة حاجة إلى مسيح صادق لرد مكائدهم، فماذا عسى أن يكون

مآل هؤلاء القوم يا تُرى؟" (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية ج ٣ ص ٣٥٦-٣٦٤)

ثم يقول في مكان آخر من نفس الكتاب:

"وبكل سرعة تقلّد هؤلاء (أي الدعاة المسيحيون) مناصب الأطباء أيضا، ليغووا على الأقل المرضى البؤساء عن طريق المعالجة. يشترون الكميات الكبيرة من الغلال حتى يوزعوها مجانا على المعوزين عند القحط والمجاعة، ويبشروهم بدينهم أيضا منتهزين هذه الفرصة. وقد شوهد في كثير من الأمكنة أن القساوسة يفتحون أبواب التصدّق على مصراعيه يوم الأحد، فيجتمع حولهم كثير من المساكين، فيقومون بوعظهم أيضا قدر الإمكان قبل أن يوزعوا عليهم النقود. وإن الكثير من الراهبات المبشرات يزرن البيوت صباح مساء بانتظام، ويقمن بتعليم بنات الأشراف فنون الخياطة والتطريز وغيرها، متأبطات في نفس الوقت خناجر الإغواء والتضليل التي يستعملنها عند سنوح الفرص. فكم من فتيات شريفات ومن أسر مسلمة عريقة كالسادات والشيخية والمغولية والأمراء والسراة، دخلن في الديانة المسيحية بسعي هؤلاء الراهبات. وكم من المحجبات الشريفات اللواتي ما رأين طوال عمرهن وجه رجل أجنبي، أصبحن بإغوائهن يمرحن الآن في الأسواق واضعين أيديهن في أيدي غير المحارم من الرجال.. ولا يأنفن إذا قبّلهن الأجنبي باسم الحب الطاهر. كنّ لم يسمعن حتى اسم الخمر سابقًا ولكنهن أصبحن الآن يعاقرن الخمر الخبيثة ليل نهار .... كما أن ألوفا من اليتامى من أبناء المسلمين قد أصبحوا اليوم من ألد أعداء الإسلام بعد أن وقعوا في قبضتهم، وتعلموا تلبيساتهم. أرأيتم هل يُتَصَوّر طريق من طرق الفتنة تركوه، أو هل من كيد لم يعملوا به لمحو الإسلام والقضاء عليه؟" (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية ج٣ص ٣٦٧-٣٦٨)

الأمة المسيحية وقساوستها هم المسيح الدجّال

وقد شرح سيدنا أحمد عليه السلام أحاديث الرسول ﷺ التي تتحدث عن فتنة المسيخ الدجال، وأشار بأن المقصود بالدجّال هم أهل الغرب من الإنجليز وغيرهم من الأمم المسيحية وخاصة القساوسة والمبشرين، الذين يستعملون الدجل لتضليل الناس، وشرح ذلك شرحا مبسطا فقال:

"من كبرى علامات الدجّال أنه سيكون لديه حمار ما بين أذنية سبعون باعًا. والواقع أن طول عربات القطار يكون بهذا القدر تقريبا. ومما لا شك فيه أيضا أن القطار يجري بقوة الدخان كما يجري السحاب بقوة الريح. فالحق أن نبينا الكريم ﷺ قد ألمح في هذا المقام صراحة إلى قطار سكة الحديد. ولما كان هذا من اختراع الأمة المسيحية التي ترأسها وتؤمها هذه الفئة الدجّالة (أي القساوسة)، لذلك سمي القطار بحمار الدجّال. وهل هناك برهان أكبر وأوضح من أن هذه العلامات المختصة بالدجّال توجد فيهم؟ لقد بلغوا من المكائد والخديعة منتهاها، وألحقوا بالإسلام أضرارًا لم يسبق لها نظير منذ بدء الخلق! وعند أتباع هذه الفئة نفسها حمار يجري بقوة البخار، كما يجري السحاب بقوة الريح. وإن أتباعها هم الذين يسيرون في الأرض مستعمرين، ولا يستولون على بقعة قاحلة من الأرض إلا يأمرونها أن أخرجي كنوزك! ثم يوجدون سبلا شتى للاستيلاء على أموال تلك البقاع، حيث يُحيون الأرض الموات ويقيمون الأمن فيها؛ على أن هذه الكنوز تتبعهم، وتنساب تلك الأموال إلى بلادهم دون البلاد الأخرى. من الذي لا يعلم أن كنوز الهند مثلا منسابة إلى أوربا.. إن الأوربيين أنفسهم يستخرجون هذه الكنوز، وهم أنفسهم الذين يرسلونها إلى أوطانهم؟" (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية ج ٣ ص ٤٩٣-٤٩٤)

وهكذا أوضح المسيح الموعود عليه السلام بكل جلاء، أن الغرب وخاصة قساوستهم هم الدجّال الأكبر، وأنه.. أي المسيح الموعود عليه السلام.. قد بعثه الله تعالى لكي يقتل الدجال ويكسر الصليب. فقال في ذلك: إنما بُعثت لأكسر

الصليب وأقتل الخنْزير، كما تنبأ بذلك رسول الله ﷺ قائلا: (فيكسر الصليب) مُعَبّرا عن الديانة المسيحية بلفظ الصليب.

وقد نجح الﷺ في مهمته هذه، إذ أثبت للمسلمين بأدلة من القرآن والسُنة، وللمسيحيين بأدلة من الإنجيل، أن المسيح عيسى بن مريم الﷺ قد مات ولحق بإخوانه النبيين، وأنه لم يصعد إلى السماء بجسده العنصري. ومما قاله مخاطبا علماء المسلمين:

"يا حضرات المشائخ! لم هذه المكابرة والعناد بغير حق وقد ثبت من القرآن المجيد وفاة عيسى، وقال بموته بعض الصحابة والمفسرين منذ البداية؟ دَعوا إله المسيحية يمت. فإلى متى تعتبرونه حيا لا يموت؟ أفلا تنتهون؟" (المرجع السابق ص ٣٥١)

وقال أيضا:

"إن قضية عيسى كانت في الأوائل بمثابة خطأ فحسب، أما اليوم فقد تحوّل هذا الخطأ إلى أفعى تريد ابتلاع الإسلام .... فمنذ أن تم خروج المسيحية واعتبر المسيحيون حياة المسيح دليلا كبيرا وقويا على حياته، قد أصبح هذا الخطأ خطرًا مهدّدًا؛ إذ يقول هؤلاء بكل شدة وتكرار لو لم يكن المسيح إلهًا فكيف صعد وجلس على العرش؛ وإذا كان بإمكان بشر أن يصعد إلى السماء حيًّا فلماذا لم يصعد إليها أحد من البشر منذ آدم إلى اليوم ....

إن الإسلام اليوم في ضعف وانحطاط، وقضية حياة المسيح هي السلاح الذي حملته المسيحية للهجوم على الإسلام، وبسببها أصبحت ذُرية المسلمين صيدًا للمسيحية." (الملفوظات ج ٨ ص٣٣٧-٣٤٥)

كذلك أثبت من الإنجيل أن المسيح لم يمت على الصليب، وإنما أُنزِل عنه حيًّا وفي حالة من الإغماء الشديد. وهذا معنى أنه لم يُصلب أي أنه لم يمت على الصليب، ولكن مجرد التعليق على الصليب لا يعني أنه صُلِبَ، إلا إذا حدثت الوفاة وهو معلق على الصليب، وهذا ما أثبت أنه لم يحدث. وبذلك

سقطت من على المسيح صفة اللعنة التي ألصقها بها أعداؤه من اليهود، وأتباعه من المسيحيين، وبذلك أيضا بطلت عقيدة الكفارة، وببطلان الكفارة تبطل ألوهيته المزعومة.

ورغم الكتابات الدنيئة التي كان ينشرها القساوسة عن النبي الأكرم ﷺ، إلا أنه لم يكتب عن المسيح عليه السلام بنفس أسلوبهم الدنيء، وحين اقتضى الأمر أن يكتب عن إبطال ألوهية المسيح كان يستعمل اسم يسوع الذي لم يذكره القرآن وإنما ذكره الإنجيل ونسب إليه ما نسب. وكان مما قاله المسيح الموعود عليه السلام بهذا الشأن:

"ولكن المسيحيين عرضوا علينا يسوع الذي كان يدّعى الألوهية *(حسب زعمهم)*، وكان يعتبر كل من سواه من الأولين والآخرين ملعونين، أي مرتكبي الموبقات التي جزاؤها اللعنة. فإننا أيضا نرى مثل هذا الشخص محروما من رحمة الله. كلا.. ما أنبأنا القرآن الكريم عن يسوع عديم الأدب بذيء اللسان، بل إننا نستغرب سلوكه أشد الاستغراب إذ إنه نسب لله الموت وادّعى لنفسه الألوهية، ثم اجترأ على شتم ألوف من الأبرار، الذين يفضلونه بألوف المراتب والدرجات." (نور القرآن الجزء الثاني، الخزائن الروحانية ج٩ ص٣٧٤-٣٧٥)

المبشرون المسيحيون يعملون للتخلص من سيدنا أحمد عليه السلام

ولا عجب أنه لم يكن المبشرون والقساوسة المسيحيون، أقل حماسا من المولويين المسلمين أو الآرية والبراهمة والهندوس، الذين كانوا يتمنون التخلص من سيدنا أحمد عليه السلام، وإزاحته من الطريق بكل وسيلة. وبينما أطلق الهندوس وغيرهم العنان لألسنتهم بالبذاءة على سيدنا أحمد.. راح المبشرون المسيحيون يدرسون الموقف، ويفحصون الأمور بكل دقة.. وبكل دهاء أيضا. وكتب القادة والمبشرون المسيحيون الكثير من الكتب والمقالات، يُحذرون فيها من خطر سيدنا أحمد وجماعته على المسيحية. وكان من بين هؤلاء الدكتور والتر

ويلش Walter Welish وهو السكرتير العام للمنتدى الأدبي الهندي، التابع لهيئة الشبيبة المسيحية، الذي نشر كتابا عن الجماعة الإسلامية الأحمدية اسمه "الحركة الأحمدية" وقال فيه:

"إن أحمد وكُتَّابه الصحفيين، قد بذلوا قصارى جهدهم في دراسة أوراق صحف جميع الأمم والأزمنة، ثم حشدوا كل جهودهم في وثبتهم الجبارة على سيرة المسيح الناصري، لكي يُثبتوا أنه كان بشرا عاجزا غير معصوم."

وعُقد في مدينة لكهنؤ مؤتمر عام من جميع القساوسة المبشرين، للبحث في مسألة التبشير بين المسلمين، فقال أحدهم عن الجماعة الإسلامية الأحمدية:

"إنها فئة شديدة العداوة ليسوعنا، وتناصب المسيحية أشد العداء .... وهي تُفرّق بين شخصية المسيح المذكور في القرآن وبين مسيح الأناجيل." (ص ١٦٥ من التقرير المطبوع من قِبَل المنتدى الأدبي المسيحي المتضمن قرارات مؤتمر لكهنؤ، طبعة لندن).

وكتبت عنه أكبر الجرائد الإنجليزية التي كانت تصدر في لاهور العاصمة، وهي الجريدة شبه الرسمية للحكومة الإنجليزية.. جريدة سيفيل آند ميليتري جازيت Civil And Military Gazette فقالت تحت عنوان كبير:

مهووس ديني خطير A Dangerous Fanatic

يوجد في البنجاب مهووس ديني مشهور، ونعتقد أنه يقيم في مركز كورداسبور. وهو يعتبر نفسه من المسلمين، ويدّعي أيضا أنه المسيح. وقد أثارت نبوءاته عن موت أحد أبناء أمرتسر من المتنصرين اهتماما كبيرا لعدة أشهر، ولكن لحسن الحظ لم يظهر أثر لنبوءاته، وما زال المتنصر على قيد الحياة. ولا شك أن هذا الشخص المهووس تحت رقابة البوليس، فحيثما يذهب لترويج أفكاره، لا بد وأن تقع الاضطرابات ويتهدد الأمن. وله الكثير من الأتباع ولكنهم أقل هوسا منه.

وبالطبع لا نتوقع أي خطورة سياسية من خيالاته الفارغة، ولكن جنونه يتسم بأسلوب متميز. ولا شك أن له قدرات أدبية فائقة، ومؤلفاته كثيرة ولها وزن، وتتوفر فيه كل العناصر اللازمة لتكوين مركز خطير للتجمع. وهو بالطبع يُعتبر لدى الأصوليين لعنة سماوية. وقد ذاع صيته بعيدا إلى أن وصل إلى أماكن نائية مثل مدراس، ونقدم فيما يلي مقطعا مما نشرته في تلك المدينة إحدى الجرائد الإنجليزية:

"إن اليقين الديني العميق المنسوب إلى ذلك القادياني، أمر يجب ألا يؤخذ ببساطة. وما نخشاه أنه.. بافتراض سلامة قواه العقلية.. فإن اليقين الديني لديه يمتزج في عقلية "المصلح" مع ضيق النظر، مما يجعله في مصاف الرجعيين. وتؤثر معتقداته على جميع أحواله الذهنية، فتجعل منه حالة مريضة تعترض على كل ما حولها. ويُستشف من كتاباته أنه في عداء مع المدنية الحديثة، التي تصادف أنها ترتبط بالمسيحية التي يكرهها كراهية تامة. فهو إذا كان يُعادي المدنية فلا بد له أن يُعادي المسيحية، لأنهما في الحقيقة شيء واحد غير منفصل. وهو يكره القطار الحديدي كما يكره عقيدة التثليث، لأن القطار من اختراع أهل التثليث. وفي إحدى كتاباته يكشف عن حقيقة أمره إذ يقول: "وهكذا يتضح أن هذه الأقوام المسيحية حماة التثليث..."، لاحظ هذه الكلمات: "حماة التثليث..." قد أتوا بأعجب العجائب، ووضعوا من سحرهم نظاما كاملا مما لا يستطيعه أحد غير الدجّال". وهذا النظام في رأيه: "...شعوذة متقدمة"، فهو الشر المجسّم الذي يتعارض مع الرب الكريم من ناحية، ومن ناحية أخرى يقف في جانب الشيطان. وليس في الإمكان تقدير ما يُحتمل أن تسفر عنه هذه النزعات المتطرفة، إذا ما تجاوز مرحلة الخيال إلى مرحلة العمل. إن في كلامه ضراوة

شديدة مستترة، ولكنها تشير إلى احتمال وجود المناضل الإسلامي الخطير المنطوي في خبايا الدهر. ولا يمكن لأي من أقوال المعجبين به.. التي تحاول التخفيف من خطورته.. أن تجعلنا نغير من آرائنا عنه، خاصة بعد المناظرات الأخيرة التي جرت في أمرتسر.

إننا لا نزال نرقب عن كثب هذا الشيخ القادياني لعدة سنوات، ونحن نتفق مع رأي الجريدة الذي قدمناه، وذلك من واقع معرفتنا بهذا الرجل وبأعماله وأنشطته. إنه ما زال يكتسب قوة، وقد يدفعنا في يوم من الأيام أن نتعامل معه باهتمام أكثر." (العدد الصادر في ٢٤ أكتوبر "تشرين الأول" ١٨٩٤)

ولم يكن من الغريب مع كل هذه الدعايات المضادة، أن يحاول المبشرون المسيحيون.. كما فعل المولويون المسلمون.. أن يستَعْدوا السُلطة عليه، فكتبوا ضده الشكاوى للحكومة يحذرونها من الخطر الناجم عن دعوة المسيح الموعود عليه السلام. وهذا ما كان يضطره باستمرار أن يذكر في كتبه أنه لا يبغي أي شر للحكومة، وأنه لا توجد لديه أية نية لمعصيتها، أو للخروج على قوانينها، أو تشجيع الثورة عليها، وأنه جاء لإصلاح النفوس وبعثها إلى الحياة، وليس لتقتيل الناس ونشر الدين بقوة السيف والإرهاب. ولذلك لا يكاد يخلو كتاب من كتبه من بيان وإيضاح موقفه المسالم هذا من الحكومة. وكان يردد أيضا عرفانه وامتنانه للحكومة، التي رفعت عن كاهل المسلمين في البنجاب، مظالم السيخ التي كانوا يتعرضون لها ويقاسون منها لزمن طويل. ولكن هذا المدح والامتنان للحكومة، لم يكن مداهنة ولا ممالأة ولا نفاقا، لأنه كان أيضا يوجه الانتقاد حينما يكون هناك ما يستدعي الانتقاد.

وننقل إلى القراء صورة مما كتبه بسبب وشايات وشكايات بعض المبشرين المسيحيين، إذ يقول بأسلوبه الأدبي العربي:

"إن رجلا من الذين ارتدّوا من دين الإسلام ودخلوا في الملة

النصرانية.. أعني النصراني الذي يسمي نفسه القسيس عماد الدين.. ألّف كتابا في هذه الأيام لخداع العوام، وسمّاه توزين الأقوال، وذكر فيه بعض حالاتي بافتراءٍ بحتٍ لا أصل له، وقال إن هذا الرجل مفسد ومن أهل العداوة، وإني وجدت في طريقة مشيه آثار البغاوة، وليس من نصحاء الدولة، وأتيقن أنه سيفعل كذا وكذا، وإنه من المخالفين. فالملخص أنه حث الحكومة في ذلك على إيذائي، ومع ذلك فرّغ إناءه في سبّي وازدرائي، وأفرغ قذر لسانه على بعض أحبائي، وأكثر القول في ديانتنا المقدسة، وشتم خير الرسل ﷺ وبالغ في التوهين، وتكلم بكلمات ترتجف منها القلوب، وتهيج في الأفئدة الكروب..." (نور الحق الجزء الأول، الخزائن الروحانية ج ٨ ص٣٣-٣٤)

سيدنا أحمد يدعو ملكة بريطانيا إلى الإسلام

وفي خطاباته إلى الحكومة البريطانية، كان يحرص على انتقاء الكلمات الطيبة، والأساليب التي تعبر عن الاحترام والتقدير، خاصة عندما كتب إلى الملكة فيكتوريا يدعوها إلى الإسلام. فهذه هي سُنة الأنبياء، وهذا هو خُلُقُ المرسلين. وكانت هذه هي وصية الله تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام، حينما بعثهما إلى فرعون، إذ يقول تعالى:

﴿إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه:٤٤-٤٥)

وكذلك يقول تعالى في كتابه العزيز.. وصيّة لرسوله الكريمﷺ ولكل المسلمين:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٦)

ونقتطف فيما يلي بعض العبارات التي وجهها في رسالته التي كتبها باللغة

العربية أيضا إلى الملكة فيكتوريا عام ١٨٩٣ وقال فيها:

"أيتها المليكة المكرمة.. إني فكرت في نفسي في كمالاتك، فوجدتك أنك حاذقة.. يمر رأيك في شعاب المعضلات مرَّ السحاب، وتزِفّ مداركُك في الغامضات كزفّ العقاب، ولك يد طولى في استنباط الدقائق، ومآثر غراء في تفتيش الحقائق، وأنت بفضل الله من الذين يصيبون في استقراء المسالك ولا يُخطُون. أنت يا مليكة، تستشفّين كل جوهر نقي، وتستنبطين دقائق المَعْدِلة بفكر دقيق وذهن ذكي، وإن لك في هذه اللياقة مآثرَ حلوَ المذاقة، مليحَ السياقة، ويحمدك المحمودون. فالآن قد أُلقيَ في بالي، بعد تصور كمالاتك وحسن صفاتك، التي تضوعت ريحها في العالم، أن أخبرك من أمر عظيم، ليرتفع به قدرك عند رب كريم. وما أذكره إلا بفورة إخلاصي، لأن إخلاصي قد اقتضى أن أدعوك إلى خيرك، ولا أُلغي لوازم شكرك، وإنما الأعمال بالنيات، وبصدق النية يعرف المخلصون. وما كان لمخلص أن يستشعر أمرا فيه خير محسنه، بل يستعرض متاعه له ولا يكون من الذين يكتمون.

أيتها المليكة الكريمة الجليلة.. أعجبني أنك مع كمال فضلك، وعلمك وفراستك، تنكرين لدين الإسلام، ولا تُمعِنين فيه بعيون التي تمعنين بها في الأمور العظام. قد رأيت في ليلٍ دجى، والآن لاحت الشمس.. فما لك لا تَرَينَ في الضحى؟

أيتها الجليلة، اعلمي - أيدك الله - أن دين الإسلام مجمع الأنوار، ومنبع الأنهار، وحديقة الأثمار، وما من دين إلا هو شعبته، فانظري إلى حِبره وسِبره وجنّته، وكُوني من الذين يُرزقون منه رزقًا رغدًا ويرتعون. وإن هذا الدين حي مجمع البركات، ومظهر الآيات، يأمر بالطيبات، وينهى عن الخبيثات، ومن قال خلاف ذلك أو أبان فقد مان، ونعوذ بالله من الذين يفترون. فبما إخفائهم الحق وإيوائهم الباطل لعنهم الله ونزع من صدورهم أنوار الفطرة، فنسُوا حظهم منها، وفرحوا

بالتعصبات وما يصنعون.

أيتها المليكة.. إن هذا القرآن يطهّر الصدور، ويلقي فيها النور، ويُري الحبور الروحاني والسرور، ومن تبعه فسيجد نورا وجده النبيون. ولا يلقى أنواره إلا الذين لا يريدون عُلُوًّا في الأرض ولا فسادا، ويأتونه راغبا في أنواره، فأولئك الذين تفتح أعينهم، وتُزكّى أنفسهم، فإذا هم مبصرون. وإني بفضل الله من الذين أعطاهم الله من أنوار الفرقان، وأصابهم من أتم حظوظ القرآن، فأنار قلبي ووجدتْ نفسي هداها، كما يجد الواصلون. ثم بعد ذلك أرسلني ربي لدعوة الخلق، وآتاني من آيات بينة، لأدعو خلقه إلى دينه، فطوبى للذين يقبلونني ويذكرون الموت، أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتها يؤمنون.

أيتها المليكة الكريمة.. قد كان عليك فضل الله في آلاء الدنيا فضلا كبيرا، فارغبي الآن في ملك الآخرة، وتوبي واقنتي لرب وحيد، لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، وكبّريه تكبيرا. أتتخذون من دونه آلهة لا يخلُقون شيئا وهم يُخلقون؟ وإن كنت في شك من الإسلام فها أنا قائم لإراءة آيات صدقه. وهو معي في كل حالي، إذا دعوته يجيبني، وإذا ناديته يلبيني، وإذا استعنته ينصرني، وأنا أعلم أنه في كل موطن يعينني ولا يضيعني. فهل لك رغبة في رؤية آياتي، وعيان صدقي وسدادي، خوفا من يوم التنادي؟

يا قيصـــرة، توبي توبي، واسمعي اسمعي! بارك الله في مالك، وكُلِّ ما لك، وكنت من الذين يرحمون. فإن ظهر كذبي عند الامتحان، فوالله إني راضٍ أن أُقــتَل أو أُصلَب أو تُقطَع أيدي وأرجلي، وأُلــحَق بالذين يُذبحون. وإن ظهر صدقي فما أسأل أجرًا منك، إلا رجوعك إلى الذي خلقك، وربّاك وأعزك، وآتاك كل ما سألت. فاسمعي دعوتي، يا مليكة الممالك العظيمة وقيصرةَ الهند، ولا تكوني من الذين يشمئز قلوبهم عند ذكر الحق ويعرضون.

أيتها القيصرة الكريمة الجليلة - أذهب الله أحزانك، وأطال عمرك

وعمر فلذِ كبدك، وعافاك وحفظك من شر الأعداء والحسداء - إني كتبت هذه الوصايا خالصا لله رحما عليك وعلى عقباك، وأدعو لك بركات الليل وبركات النهار، وبركات الدولة وبركات المضمار.

يا مليكة الأرض.. أسلِمي تسلَمين.. أسلمي متَّعك الله إلى يوم التنادي، وسلِمت وحُفظت من الأعادي، ويحفظك من الله الحافظون.

أيتها المليكة الكريمة.. أنا امرؤ جذبه الله تعالى من الدنيا إلى الآخرة، وما أسأله من هذه الدنيا إلا رغيفين وكوزة ماءٍ، وصرف قلبي من أهواءٍ، لا أريد علوًّا ولا مزية في الدنيا ولا زينتها، وأريد أن أكون بالذين يُبسط لهم سُرُر في الجنة ومن نعمائها يُرزقون، وفي رياض حظيرة القدس يرتَعون.

أيتها المليكة.. أنا أحد من المسلمين، رزقني الله عرفانه، وأعطاني نوره وضياءه ولمعانه، وأظهر عليّ ملكوت السماوات وحَبّبها إلى بالي، وأراني ملك الأرض وكرّهه إلى قلبي وصرف عنه خيالي، فاليوم هو في أعيني كجيفة أو أَنتَنَ منها، وكذا كل زينة الحياة الدنيا والمال والبنون.

وفي آخر كلامي أنصح لك يا قيصرة، خالصًا لله.. وهو أن المسلمين عضدك الخاص، ولهم في مُلكك خصوصية تفهمينها، فانظري إلى المسلمين بنظر خاص، وأقرِّي أعينهم، وألّفي بين قلوبهم، واجعلي أكثرهم من الذين يقرّبون. التفضيل.. التفضيل! التخصيص.. التخصيص! وفي هذه بركات ومصالح. أَرْضيهم فإنك وردتِ أرضهم، وداريهم فإنك نزلتِ بدارهم، وآتاك الله ملكهم الذي أمروا فيه قريبًا من ألف سنة مما تعدون. فاشكري ربك وتصدقي عليهم، فإن الله يحب الذين يتصدقون. الملك لله، يؤتي من يشاء، وينـــزع ممن يشاء، ويطيل أيام الذين يشكرون." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٥٢٨-٥٣٦)

هذا هو أسلوب الأنبياء.. وهذه هي أخلاق المرسلين.. إنهم يقولون الحق

مهما كان الحق مؤلما، ولكن بأسلوب مهذب، ويدعون إلى طريق توحيد الله تعالى مهما كان الطريق شاقا وصعبا، ولكن بالقول الليّن، وبالحكمة والموعظة الحسنة، وبالتي هي أحسن. لقد كان حضرته يُخاطب الملكة فيكتوريا.. إمبراطورة بريطانيا العظمى.. الملكة التي لا تغيب الشمس عن مملكتها ومناطق نفوذها، ويدعوها إلى التوبة عن اتخاذ آلهة من دون الله، ويقول لها أن ترغب في مُلك الآخرة، وأن مُلك الأرض في عينه كالجيفة أو أنتن منها. يدعوها لتُسلِم فتَسلم، ويؤكد أنه يفعل ذلك رحمة بها، وأنه لا يطلب منها أجرا على ذلك إلا رجوعها إلى الذي خلقها ورباها.

سيدنا أحمد ينتقد تصرفات الحكومة الإنجليزية

ومع ذلك فإنه إذا رأى أمرا منكرا فعلته الحكومة.. لفت النظر إليه، وانتقد ما رآه خطأ. ومن ذلك ما كتبه يقول فيه ما تعريبه:

"إننا لا نعتقد بعصمتها *(أي الحكومة الإنجليزية)* عن الأخطاء، ولا نرى قوانينها مبنية على الحكمة، إذ الأصل في وضع قوانينها هو الجنوح إلى رأي الأكثرية، مع أنه لا يتنَزل على الحكومة وحي حتى لا تخطئ في سن قوانينها. ولو كانت القوانين البشرية معصومة من الأخطاء.. فلماذا التبديل فيها والتجديد؟" (نور القرآن الجزء الثاني، الخزائن الروحانية ج٩ ص٣٧٨)

ثم يسائل القساوسة المسيحيين فيقول ما تعريبه:

"كيف يمكن لجنود هذا الدين (أي المسيحية) الاستعفاف عن الفجور والزنا وهم لا يستطيعون أن يعيشوا حياة الرهبان لأنهم يهتمون اهتمامًا كبيرًا للمحافظة على قوتهم البدنية، حيث يشربون الخمور.. ويأكلون لذيذ الأطعمة ونفيسها، مما يُثير شهواتهم، ويزيد في نشاطهم لتأدية واجباتهم العسكرية، كما هو مشهود في فِرق الجيش البريطاني؟ فكيف يمكنهم أن يحموا أنفسهم من الزنا؟ تُرى.. هل يوجد في الإنجيل قانون يحافظ على عفة الجنود؟ وإن كان فيه قانون أو علاج لهؤلاء

العُزّب.. فلماذا اضطرت الحكومة الإنجليزية إلى سن القرار الثالث عشر من قوانين النظام العسكري المختص بمعسكراتها عام ١٨٨٩.. الذي يأذن للجندي البريطاني الاتصال الجنسي بالمومسات؟ حتى إن السير جورج رايت Sir George Right القائد العام للجيوش البريطانية بالهند، حضّ موظفي الجيش على استجلاب أجمل الفتيات وأفتنها، لزنى الجنود البريطانيين. والواضح أنه لو كان في الإنجيل علاج لتدارك مثل هذه الضرورات، التي ألجأت الحاكم إلى اتخاذ هذه الإجراءات المخجلة، لما لجأوا إلى دفع جنودهم لهذه السبل الخبيثة، بدلا من الطرق المشروعة." (نور القرآن الجزء الثاني، الخزائن الروحانية ج٩ ص٤٥١)

وقد وصف الحكومة مرة في أحد كتبه التي كتبها باللغة العربية فقال ما نصه:

"وكل عقل عندها إلا عقل الدين، ونرجو أن يفتح الله عليها هذا الباب أيضا كما فتح أبوابا أخرى والله أرحم الراحمين." (نور الحق الجزء الأول، الخزائن الروحانية: ج ٨ ص٣٦)

أما المبشرون المسيحيون الذين كانوا يتطاولون بأقلامهم على الإسلام، ويبذأون بألسنتهم على أكرم الرسل وخير الأنام، ويتفاحشون في وصف كتاب الله الفرقان، فكان يحاربهم بنفس أسلحتهم، ويلذعهم بالنقد الجارح، ويلسعهم بالأوصاف التي تليق بهم وبأقوالهم وبأفعالهم، فإن ذلك من الحكمة والموعظة الحسنة التي حض عليها القرآن، فالله تعالى يقول:

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:٣٦)

فالحكمة تقتضي استعمال نفس أسلحة العدو وأساليبه في القتال، وقد كان رسول الله ﷺ يحض الشاعر حسّ.................................. ان بن ثابت أن يرد على الكفار واليهود،..... ....

الذين كانوا ينظمون القصائد في هجاء الرسول، والنيْل من عرضه، والتهكم على القرآن، فكان يقول له: "اهجهم يا حسّان.. أيدك الله بروح القدس."

وقد نزلت الآيات في ســـورة القلم التي في مطلع آياتها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ تصف المكذبين بالأسلوب الذي يليق بهم فتقول:

﴿فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۞ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ۞ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ (القلم:٩-١٧)

ومن المعروف أن هذه الآيات شديدة اللهجة قد نزلت في الوليد بن المغيرة الذي كان يتفاحش بهجاء رسول الله والمسلمين.

ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ قد مدح الملك المسيحي.. ملك الحبشة.. وأمر المسلمين بالهجرة الأولى إلى بلاده ليعيشوا في ظله، لِما عُرف عنه من العدل بين الرعيّة، وكفالة الحرية الدينية للجميع.

ولذلك فقد مدح أيضا سيدنا أحمد عليه السلام نظام الدولة الإنجليزية، لأنه يقوم على العدل والمساواة بين الرعية، وهو حين مدح الإنجليز لم يفعل ذلك مداهنة ولا تملقا، وإنما ذكر أنه يفعل ذلك لأنهم خلّصوا المسلمين في البنجاب من براثن ظلم السيخ واضطهاد والهندوس، وأعطوهم الحرية الدينية التي كانت مسلوبة في أيام حكم السيخ. واستشهد في ذلك بقول سيدنا محمد المصطفى ﷺ الذي قال: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"، ومن المأثور عن عليّ كرم الله وجهه أنه قال: "لو أن فرعون مصر أسدَى إليَّ يدا لشكرته عليها". والله تعالى يقول:

﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ (الرحمن:٦١)

علماء المسلمين يمدحون الحكومة البريطانية

ولم يكن سيدنا أحمد وحده الذي مدح الحكومة البريطانية، بل فعل ذلك

قادة المسلمين وزعماؤهم وعلماؤهم في الهند وفي غير الهند، وذلك بسبب عدلها وإنصافها للرعية. ومن هؤلاء كان الشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا من مصر، وشمس العلماء نذير أحمد الدهلوي، وندوة العلماء بالهند، وأبو الأعلى المودودي، والدكتور محمد إقبال الشاعر الهندي وغيرهم، وإليكم بعضا من ذلك:

١- يقول الشيخ محمد عبده في كتابه الإسلام والنصرانية ص١٦٥:

"إن الأمة الإنجليزية هي وحدها الأمة المسيحية التي تُقدّر التسامح حق قدره، فلنا أن نقول ولا نخشى لائما، أن هذه الخصلة من أجَلِّ الخصال التي ورثها غير المسلمين عن المسلمين. ألا ترون أن نظامهم في ذلك يقرب من نظام المسلمين، يوم كانوا مسلمين، لا يُفرّقون بين دين ودين."

٢- إن "الندوة" وهي أكبر مدرسة دينية لمسلمي الهند.. وقد تخرّج فيها كثير من المشايخ المناهضين للأحمدية مثل أبي الحسن الندوي وغيره.. وضعت في منهاجها الإداري ما يلي:

"حقا أن الندوة في معزل عن السياسة، ولكن لما كان هدفها الأساسي تخريج علماء مستنيرين، فمن واجب هؤلاء العلماء إطلاع الناس على بركات هذه الحكومة "الإنجليزية" ونشرِ أفكار الموالاة والوفاء لها."
(مجلة الندوة عدد يوليو "تموز" عام ١٩٠٨ ج ٥)

وقد عقدت "الندوة" في الثلاثين من أغسطس (آب) لعام ١٩٠٨ بمدينة لكهنو حفلتها المشهورة، وذلك لغاية واحدة.. وهي الإعراب عن شكرها للحكومة البريطانية، وأبدت فيها من الأبهة والحفاوة ما أبدت، وقد أُشيع كل ذلك في بيان من قِبَلِها على صفحات الجرائد الأردية والإنكليزية. (راجع الصفحة الأولى من مجلة الندوة عدد أيلول "سبتمبر" ١٩٠٨).

كذلك نجد على الصفحة الأولى من مجلة "الندوة" في عددها الصادر في

نوفمبر (تشرين الثاني) لعام ١٩٠٨ إعلانا تعريبه:

"لقد عُطلتْ دارُ العلوم للندوة اليوم بمناسبة العيد الذهبي للحكومة البريطانية، وأرسلت الندوة برقية تهنئة إلى صاحب السعادة الحاكم العام."

علما أن الحاكم البريطاني جون سكوت John Scott هو الذي وضع الحجر الأساسي لهذه الندوة بتاريخ ١٨-١١-١٩٠٨ وكان القائمون عليها يتقاضون مرتباتهم من الحكومة البريطانية.

٣- والشاعر الهندي محمد إقبال.. وهو شاعر إسلامي عظيم في نظر مسلمي الهند، كان يتغنى بمدح الإنجليز، وقد مُنِح لقب "السير" من الحكومة البريطانية. ويوم توفيت الملكة فيكتوريا رثاها في أشعاره بمرثية طويلة. ونقدم فيما يلي تعريبا لبعض أبياته ليرى القارئ كيف كان شعراء الهند يعبرون عن حبهم وولائهم للملكة في مبالغات ممجوجة وتطرف مذموم، يصل إلى وصفها بأنها كانت ظل الله في الهند، وأن عرش الرحمن اهتز لبكاء الناس عليها، إذ يقول:

"لقد رفعوا نعش الملكة..

قم تعظيما لها يا إقبال.. وكن ترابا في طريق نعشها

أيها الشهر، أنت تبدو كشهر محرّم.. ولا بأس إن سميناك أنت الآخر محرّما

ويعني إقبال: لا عجب لو أطلقنا على هذا الشهر الذي توفيت فيه الملكة اسم "المحرم"، إذ أن حادث وفاة الملكة في رأيه لا يختلف كثيرا عن حادث الاستشهاد المرَوّع لسيدنا الإمام الحسين ﵁ حفيد الرسول الكريم ﷺ، الذي وقع في شهر محرّم. ويستمر إقبال قائلا:

يقولون اليوم يوم العيد. فهنيئا لكم العيد

أما نحن فالموت خير لنا من هذا العيد

يا بلاد الهند، قد زال عنك ظل الله

حُرمت من التي كانت تواسي وتعطف على أهلك

هذا البكاء الذي يهتز له عرش الرحمن هو بكاء الناس إياها

وهذه الجنازة هي جنازة التي كانت زينة لك، يا بلاد الهند."

(باقيات إقبال، ناشر: آئينة أدب، اناركلي، لاهور، باكستان، باشراف السيد عبد الواحد معيني)

٤- أما المولوي محمد حسين البطالوي.. الذي كان من أكبر المشائخ المعارضين لسيدنا أحمد عليه السلام فيقول:

"لا شك أن سلطان الروم ملك مسلم، ولكنا نحن المسلمين، لسنا أقل منهم اعتزازًا وافتخارًا بالحكومة البريطانية نظرًا لحسن نظامها.. بصرف النظر عن الدين. وإن فِرقة "أهل الحديث" على الأخص، لما تتمتع به من أمن وحرية من قِبَل هذه الحكومة، لتفتخر أمام جميع الدول الإسلامية الحالية، سواء في الروم أو في إيران أم خراسان." (مجلة إشاعة السُنة، مجلد ١٠، ص٢٩٣،٢٩٢)

وأيضا يقول:

"نظرًا للأمن والاستقرار والحرية العامة وحسن النظام الذي تتحلى به الحكومة البريطانية، فإن فِرقة أهل الحديث بالهند تعتبرها غنيمة عظيمة، وتفضّل أن تكون من رعاياها بدل أن تكون من رعايا الدول الإسلامية." (المرجع السابق)

٥- ويقول المولوي شمس العلماء نذير أحمد الدهلوي، وهو أستاذ الشيخ البطالوي:

"من مصلحة الهند كلها أن يحكمها حاكم أجنبين لا هو هندوسي، ولا مسلم، وإنما يجب أن يكون من أحد سلاطين الغرب *(والملاحظ هنا أنه لا يخص الإنجليز فقط وإنما يقول أي واحد من أهل الغرب)*. ومن عناية الله العظمى أن الإنجليز تولوا الحكم." (مجموعة محاضرات مولانا نذير أحمد الدهلوي طبعة ١٨٩٠، ص ٤، ٥)

ثم يقول:

"هل هذه الحكومة قاسية ومتشددة؟ كلا.. ثم كلا، بل هي أكثر عطفا وحنانا من الوالدين." (المرجع السابق ص١٩)

ويستمر قائلا:

"كنت أنظر بمنظار معلوماتي، إلى ولاة الهند عندئذ، كما كنت أجول بفكري إلى بورما، ونيبال، وأفغانستان، بل إلى فارس ومصر والعرب، فلم أجد في كل هذه البلاد من أقصاها إلى أقصاها أحدا أُسلّم إليه حكم الهند *(أي في خياله)*، وما رأيت فيمن يريدون السيطرة على الحكم أحدا أحق من هؤلاء. فقررت عندئذ أن الإنجليز هم أحق وأولى بحكم الهند، ويجب أن يستمر الحكم فيهم." (المرجع السابق ص٢٦)

٦- أما المولوي ظفر على خان فيقول في جريدته:

"إن المسلمين.. لا يمكن أن يسيئوا الظن بهذه الحكومة *(أي الإنجليزية)* حتى ولا للحظة واحدة.. ولو أن شقيًّا من المسلمين تجاسر على الخروج على هذه الحكومة فإننا نقول علنا بأنه ليس مسلمًا." (جريدة زميندار لاهور ١١ نوفمبر ١٩١١م)

ويقول كذلك:

"نحن مستعدون لإراقة دمائنا نظير كل حبة عرق تسقط من جبين ملكنا المعظم ملجأ العالم. وهذا هو حال جميع مسلمي الهند." (نفس الجريدة، ٢٣ نوفمبر ١٩١١م)

ثم يقول في إحدى قصائده ما معناه:

"انحَنَى رأسي بفرط الاحترام والإجلال.. كلما سمعتُ ذكر الملك المعظم
إن الجلالة نفسها تعتز به اعتزازا.. فهو ملك البر والبحر
ليتني أحظى بنظرة واحدة من جلالته." (نفس الجريدة ١٩ أكتوبر ١٩١١م)

٧- كذلك.. فإن من أكثر العلماء المتشددين والمتطرفين كان أبو الإعلى المودودي، وهو من المعروفين بعدائهم الشديد للجماعة الإسلامية الأحمدية، ومع ذلك فإنه لم يستطع إنكار أن المسلمين كانوا يتمتعون بحرية العمل وفق قوانينهم الشخصية، وعلى ذلك فلم تعد الهند دارا للحرب، فقال:

"كانت الهند دارا للحرب ولا شك، لما كان الإنجليز في سعيهم وراء محو السلطنة الإسلامية منها، وكان وقتئذ ولا شك من واجب المسلمين

أن يُضحوا بأرواحهم حمايةً للدولة الإسلامية بالهند، أو أن يُهاجروا من الدولة بعد أن خُذلوا في سعيهم ذاك. وأمّا الآن.. وقد غُلبوا على أنفسهم، واستتبّ الأمر للحكومة البريطانية، ورضي المسلمون بالبقاء في ظلها، مع ما لهم من حرية العمل وفقا لقوانينهم الدينية، فلم يعد هذا القطر دارا للحرب. وذلك لأنها ما نسخت هنا القوانين الإسلامية، فلا يُصَدُّ المسلمون عن اتباع شعائرهم الدينية، ولا يُكرهون على العمل خلافها، في حياتهم الفردية أو في معيشتهم الاجتماعية، فلا يسوغ قطعا.. من حيث أصول القانون الإسلامي.. أن يصير بلد هذا شأنه دارا للحرب." (كتاب الربا للمودودي، الجزء الأول ص٧٧، ٧٨ الهامش، الناشر: مكتبة الجماعة الإسلامية المودودية، لاهور)

ومن المعلوم أن جميع مشائخ الهند هؤلاء كانوا مناهضين للجماعة الإسلامية الأحمدية، ومع ذلك يقول أتباعهم اليوم كيف يمكن أن يكون مؤسس الأحمدية صادقا في دعواه وقد نهى عن محاربة الإنجليز.

٨- هذا.. ولا تستطيع الأسرة السعودية الحاكمة بالسعودية أن تنكر تحالفها مع الإنجليز ضد الأتراك الذين كانوا يشاركونهم نفس دين الإسلام، ولا يستطيع مسلمو سوريا وفلسطين ولبنان والعراق إنكار أنهم قاموا بالثورة ضد الحكومة التركية المسلمة، وتحالفوا مع الإنجليز لمحاربتها، وتحرروا من مظالم الأتراك بفضل مساعدة الإنجليز.

وهذا هو ما فعلته عائلة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية.. إذ وقفت مع الإنجليز ضد مظالم حكومة السيخ، مع فارق كبير وعلى قدر عظيم من الأهمية، بين السعودية ومن سعى سعيها من المسلمين الذين تحالفوا مع الإنجليز، وبين عائلة مؤسس الجماعة، وهذا الفارق هو أن حكومة السيخ لم تكن حكومة مسلمة كالحكومة التركية، فلا يمكن مساواة التحالف مع الإنجليز في الحالتين.

ومع ذلك.. فلم يحدث بتاتا، ولو لمرة واحدة، أن أيّد مؤسس الجماعة

الإسلامية الأحمدية الإنجليز في مهاجمتهم أو احتلالهم لأي بلد إسلامي. ولن يستطيع أحد أن يُثبت أن الجماعة الإسلامية الأحمدية أقدمت، ولو مرة واحدة، على تأييد عدوان الإنجليز.

سيدنا أحمد يشرح معنى الجهاد

نعم.. لقد كتب الإمام المهدي عليه السلام، ضد أعمال القتل والاغتيال والإرهاب، التي كان يقوم بها بعض الناس، ويزعمون أنها جهاد في سبيل الله، وأوضح متى يجوز القتال، فقال بأسلوبه العربي:

"... فليعلم أن القرآن لا يأمر بحرب أحد إلاّ بالذين يمنعون عباد الله أن يؤمنوا به، ويدخلوا في دينه، ويُطيعوه في جميع أحكامه، ويعبدوه كما أُمِروا. والذين يقاتلون بغير الحق، ويُخرِجون المؤمنين من ديارهم وأوطانهم، ويُدخِلون الخلق في دينهم جبرًا وقهرًا، ويريدون أن يُطفئوا نور الإسلام، ويصدّون الناس من أن يُسلموا.. أولئك الذين غضب الله عليهم، ووجب على المؤمنين أن يُحاربوهم إن لم ينتهوا." (نور الحق، الجزء الأول، الخزائن الروحانية: ج٨ ص٦٢)

وقد أوضح سيدنا أحمد عليه السلام أثر انتشار الفساد في الأرض، ولكنه بيّن أن ذاك الوقت لم يكن وقت الجهاد الأصغر.. أي القتال وسل السيوف، بل كان وقت الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس الذي قال تعالى عنه:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس:١٠-١١)

كما أنه كان وقت الجهاد الكبير، الذي هو جهاد أعداء الإسلام بالقرآن، كما ذكر تعالى:

﴿فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان:٥٣)

ومن المعروف أن هذه الآية مكية، وكان المؤمنون يقومون بجهاد المشركين في مكة، بغير استعمال السلاح أو القتال.

وكتب مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية يقول ما نصه:

"وترون كيف كَثُرَ المفسدون، وقَلَّ المصلحون المواسون، وحانَ للشريعة أن تُعدَم، وآنَ للملة أن تُكتم، وهذا بلاءٌ قد دَهَم، وعناءٌ قد هَجَم، وشرّ قد نجم، ونار أحرقت العرب والعجم. ومع ذلك ليس وقتنا وقتَ الجهاد، ولا زمنَ المرهفات الحداد، ولا أوانَ ضرب الأعناق والتقرين في الأصفاد، ولا زمانَ قَوْدِ أهل الضلال في السلاسل والأغلال، وإجراء أحكام القتل والاغتيال. فإن الوقتَ وقتُ غلبة الكافرين وإقبالهم، وضُربت الذلة على المسلمين بأعمالهم. وكيف الجهاد ولا يُمنع أحد من الصوم والصلاة، ولا الحج والزكاة، ولا من العفة والتقاة. وما سلَّ كافرٌ سيفًا على المسلمين ليرتدّوا أو يجعلهم عضينَ، فمن العدل أن يُسَلّ الحسامُ بالحسام، والأقلامُ بالأقلام، وإنّا لا نبكي على جراحات السِّنان، وإنما نبكي على أكاذيب اللسان، فبالأكاذيب كُذّبت صحف الله وأُخْفي أسرارُها، وصيل على عمارة الملة وهُدّم دارُها." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية: ج١٨ ص١٥٥-١٥٧)

لقد كان المبشرون المسيحيون في زمن المسيح الموعود عليه السلام، يتخذون من القلم سلاحا لمحاربة الإسلام، ومن اللسان وسيلة لنشر العقائد الباطلة والتهكم على القرآن. وكانوا يستعملون في ذلك كل الوسائل الشريفة وغير الشريفة، وقد نجحوا إلى حد كبير في إيقاع المسلمين في شباكهم، حتى إن بعض علماء المسلمين من المولويين دخل في زمرقم، واحتفظ هؤلاء بأسمائهم الإسلامية، وكتبوا أقذر الكتب التي تنال من شرف وعرض رسول الله ﷺ، فكان لابد من التصدي لهم. وقد نظم المسيح الموعود عليه السلام إحدى قصائده باللغة العربية للرد على هؤلاء فقال:

انْظُرْ إلى الْمُتَنَصِّرِينَ وَذَانِهِمْ ... وَانْظُرْ إلى مَا بَدَا مِنْ أَدْرَانِهِمْ
مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ تَشُذُّرًا ... وَيُنَجِّسُونَ الأَرْضَ مِنْ أَوْثَانِهِمْ
نَشْكُو إلى الرَّحْمَنِ شَرَّ زَمَانِهِمْ ... وَنَعُوذُ بِالْقُدُّوسِ مِنْ شَيْطَانِهِمْ
هَلْ مِنْ صَدُوقٍ يُوجَدَنْ فِي قَوْمِهِمْ ... أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الصِّدْقَ فِي بُلْدَانِهِمْ

هُـــمْ يَعْبُـــدُونَ الآدَمِيَّ كَمِثْلِهِمْ هُمْ يَنْشُرُونَ الْفِسْقَ فِي أَوْطَانِهِمْ
الْعَـــيْنُ بَاكِيَـــةٌ عَلى حَالاَتِهِمْ لِلْعَقْلِ حَسَـــرَاتٌ عَلَى هَذَيَانِهِمْ
مَـــكْرٌ عَلَى مَـــكْرٍ خَيَالُ قُلُوبِهِمْ كَذِبٌ عَلَى كَذِبٍ بَيَانُ لِسَانِهِمْ
بَلْ كَذَّبُـــوا بِالْحَـــقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ وَتَـــمَايَلُوا حِقْـــدًا عَلى بُهْتَانِهِمْ
كَمْ مِّنْ سُمُومٍ هَبَّ عِنْدَ ظُهُورِهِمْ كَمْ مِّنْ جَهُولٍ صِيدَ مِنْ أَرْسَانِهِمْ
لاَ يَعْـــلَمُ النُّـــوكَى دَخِيلَةَ أَمْرِهِمْ مِّنْ غَيْرِ رِقَّـــتِهِمْ وَلِـــينِ لِسَانِهِمْ
وَاللهِ لَـــوْلاَ ضَنْكُ عَـــيْشٍ مُّقْلِقٍ مَّـــا مَـــالَ مُرْتَـــدٌّ إِلى أَدْيَانِهِمْ
عَمَّـــتْ بَلاَيَاهُـــمْ وَزَادَ فَسَادُهُمْ وَاشْتَدَّ سَيْـــلُ الْفِتَنِ مِنْ طُغْيَانِهِمْ
يَا رَبِّ خُذْهُمْ مِّثْلَ أَخْذِكَ مُفْسِدًا قَدْ أَفْسَدَ الآفَاقَ طُـــولُ زَمَانِهِمْ
أَدْرِكْ رِجَالاً يَّا قَدِيرُ وَنِسْوَةً رُّحْمًا وَنَـــجِّ الْخَلْقَ مِـــنْ طُـــوفَانِهِمْ
حَلَّتْ بِأَرْضِ الْمُسْلِمِينَ جُنُودُهُمْ فَسَرَتْ غَوَائِـــلُهُمْ إِلى نِسْوَانِهِمْ
يَا رَبَّ أَحْمَـــدَ يَا إِلَهَ مُحَمَّـــدٍ إِعْصِمْ عِبَادَكَ مِنْ سُمُومِ دُخَانِهِمْ
يَا عَوْنَنَا انْصُرْ مَـــنْ سِوَاكَ مَلاَذُنَا ضَاقَتْ عَلَيْنَا الأَرْضُ مِنْ أَعْوَانِهِمْ
سَبُّـــوا نَبِيَّـــكَ بِالْعِـــنَادِ وَكَذَّبُوا خَيْرَ الْوَرَى فَانْظُرْ إِلى عُدْوَانِهِمْ
يَا رَبِّ سَحِّقْهُمْ كَسَحْقِكَ طَاغِيًا وَانزِلْ بِسَاحَتِهِمْ لِهَـــدْمِ مَكَانِهِمْ
يَا رَبِّ مَـــزِّقْهُمْ وَفَـــرِّقْ شَمْلَهُمْ يَا رَبِّ قَـــوِّدْهُـــمْ إِلى ذَوَبَانِهِمْ
قَـــدْ أَزْمَـــعُوا إِضْـــلاَلَنَا وَوَبَالَنَا فَاضْرِبْ مَكَائِدَهُمْ عَلَى أَبْدَانِهِمْ
ظَنُّـــوا بِأَنَّ اللهَ مُخْلِـــفُ وَعْـــدِهِ فَبَغَـــوا بِأَرْضِ اللهِ مِنْ طُغْيَانِهِمْ
سُـــودٌ كَخَافِيَةِ الْغُـــرَابِ قُلُوبُهُمْ وَالْخَلْقُ مَخْدُوعُونَ مِنْ لَمَعَانِهِمْ
فَارْقُبْ إِذَا صَاحَبْتَـــهُمْ بِمَحَـــبَّةٍ فَتَـــنًا بِدِينِكَ عِنْدَ اسْتِحْسَانِهِمْ
وَلَقَدْ دَعَوْتُ الرَّبَّ عِنْدَ تَنَاضُلِي وَاللهُ تُرْسِي عِنْدَ ضَـــرْبِ سِنَانِهِمْ
يَا مُسْتَعَانِي لَيْسَ دُونَـــكَ مَلْجَأِي فَانْصُـــرْ وَأَيِّـــدْنَا لِهَـــدْمِ قِنَانِهِمْ
وَاللهِ إِنَّ حَيَـــاةَ عِـــيسَى حَـــيَّةٌ تَسْعَى لِتُهْلِكَ كُلَّ مَنْ فِي خَانِهِمْ
جَعَـــلَ الْمُهَيْمِنُ حِكْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فِي مَوْتِ عِيسَى قَطْعَ عِرْقِ جِرَانِهِمْ

كَيْــفَ الحَيَاةُ وَقَــدْ تُوُفِّيَ مِثْلُهُ ... حِزْبٌ وَّخَيْرُ الخَلْقِ بَــعْدَ زَمَانِهِمْ
هَلْ غَادَرَ الْحَتْفُ المفَاجِئُ مُرْسَلاً ... أَمْ هَــلْ سَمِعْتَ الحَيَّ مِنْ أَقْرَانِهِمْ
أَتَغِيــظُ رَبَّــكَ لابْنِ مَرْيَمَ حِشْنَةً ... وَتَحِيــدُ عَــنْ مَّوْلى إِلى إِنْسَانِهِمْ
يَا مَنْ تَظَنَّى الْبَــوْلَ مَــاءً بَارِدًا ... أَخْطَأْتَ مِنْ جَهْــلٍ بِاسْتِسْمَانِهِمْ
يَا رَبِّ أَرِنِي يَــوْمَ كَسْرِ صَلِيبِهِمْ ... يَا رَبِّ سَلِّطْنِي عَلَى جُــدْرَانِهِمْ
فَإِذَا تَــكَلَّمْنَا فَسَيْــفٌ قَــوْلُنَا ... رُمْحٌ مُّبِيــــدٌ لاَ كَمِثْلِ بَيَــانِهِمْ
وَلَقَدْ أُمِرْتُ مِنَ الْمُهَيْمِنِ بَعْدَ مَا ... هَاجَتْ دُخَانُ الْفِتَنِ مِنْ نِّيرَانِهِمْ
مَا قُلْتُ بَلْ قَالَ الْمُهَيْمِنُ هَكَــذَا ... مَا جِئْتُهُمْ بَلْ جَاءَ وَقْتُ هَوَانِهِمْ
طَــوْرًا أُحَارِبُ بِالسِّهَامِ وَتَــارَةً ... أَهْــوِي بِأَسْيَافٍ إِلى إِثْــخَانِهِمْ
وَسَيُرْغِمُ اللهُ الْقَــدِيرُ أُنُــــوفَهُمْ ... وَيُرِي الْمُهَيْمِــنُ ذُلَّ دَاءِ خُنَانِهِمْ
الْيَوْمَ قَــدْ فَرِحُــوا بِرِجْسٍ تَنَصُّرٍ ... وَالْحَــقُّ لا يَخْــطُو إِلى آذَانِهِمْ
ظَهَرَتْ كَأَثَرِ السَّمِّ ثَوْرَةُ وَعْظِهِمْ ... رَحَلَتْ تُقَاةُ الْخَلْقِ مِنْ إِدْجَانِهِمْ
هَلْ شَاهَــدَتْ عَيْنَاكَ قَوْمًا مِّثْلَهُمْ ... أَمْ هَــلْ سَمِعْتَ نَظِيرَهُمْ فِي ذَانِهِمْ
بِطَرِيقَــةٍ سَــنَّتْ لَهُــمْ آبَاؤُهُمْ ... يَدْعُو إِلى الجَهَلاَتِ صَوْتُ كِرَانِهِمْ
كَأَنَّ أَبْــوَابَ الْمَكَائِــدِ كُلِّهَا ... فُتِحَتْ لِفِتْــنَــتِنَا عَلَى رُهْبَانِهِمْ
قَــدْ آثَرُوا طُرُقَ الضَّــلاَلِ تَعَمُّدًا ... مَا زَادَ خُسْــرَانٌ عَلَى خُسْرَانِهِمْ
إِنَّ الصَّلِيبَ سَيُــكْسَرَنْ وَيُدَقَّقَنْ ... جَاءَ الْجِــيَادُ وَزَهَقَ وَقْتُ أَتَانِهِمْ
سُــمٌّ مُّبِيــدٌ مُّــهْلِكٌ فِي لَبَنِهِمْ ... مَكْرٌ مُّضِــلٌّ الخَلْقِ فِي هَدْجَانِهِمْ
فَارْبَــأْ بِدِينِكَ عِنْدَ رُؤْيَةِ وَجْهِهِمْ ... وَاقْنَعْ بِشَــوْكٍ مِّنْ جَنَى بُسْتَانِهِمْ
الْمَــوْتُ خَــيْرٌ لِّلْفَتَى مِنْ خُبْزِهِمْ ... فَاصْــبِرْ وَلاَ تَجْنَحْ إِلى تَهْتَــانِهِمْ
النَّارُ تَسْــقُطُ كَالصَّوَاعِقِ عِنْدَهُمْ ... فَتَجَافَ يَا مَغْرُورُ عَنْ أَحْضَانِهِمْ
يَسْبُــونَ جُهَّالاً بِــرِقَّةِ لَــفْظِهِمْ ... يُصْبُونَ قَلْبَ الخَلْقِ مِنْ إِحْسَانِهِمْ
مَا الْفَرْقُ بَــيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَبَيْنَهُمْ ... بَلْ هُــمْ بَنَوْا قَصْرًا عَلَى بُنْيَانِهِمْ
يَهْــوِي إِلَيْهِمْ كُلُّ نَكْسٍ فَاسِــقٍ ... لِيَبِيتَ شَــبْعَانًا بِلَحْمِ جِفَــانِهِمْ

لله سَــهْــمٌ لا يَطيــشُ إذَا رَمَى		لِلْحَــقِّ سُلْطَانٌ عَلَى سُلْطَانِهِمْ
أَنْزِلْ جُنُــودَكَ يَا قَــدير لِنَصْرِنَا		إنَّا لَقِينَا الْمَــوْتَ مِــنْ لُقْيَانِهِمْ
يَا رَبِّ قَدْ بَلَغَ الْقُلُــوب حَنَاجِرًا		يَا رَبِّ نَجِّ الْخَلْقَ مِنْ ثُعْبَــانِهِمْ
إنَّ الْقُلُوبَ مِنَ الْكُرُوبِ تَقَطَّعَتْ		فَارْحَمْ وَخَلِّصْ رُوحَنَا مِنْ جَانِّهِمْ
وَدَعِ الْعِدَا جَــزْرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُمْ		وَاشْفِ الْقُلُوبَ بِخِزْيِهِمْ وَهَوَانِهِمْ

(نور الحق الجزء الأول، الخزائن الروحانية ج ٨ ص١٢٣- ١٣١)

إلى الرفيق الأعلى

وبعد حياة من الجهاد المتواصل، منذ أخرجه الله تعالى من عزلته، وبعثه مجددا ومهديا ومسيحا موعودا، اختاره تعالى ليلحق بركب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، في مقعد صدق عند مليك مقتدر. وكتب الكثيرون، حتى من بين أولئك الذين كانوا يختلفون معه في حياته، كتبوا يَرْثونه ويعترفون بخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين. وكان من بينهم الشيخ أبو الكلام آزاد، العالم الهندي الشهير، الذي تقلد منصب الوزارة بالهند، والذي كتب في جريدة "وكيل" التي كانت تصدر في أمرتسر، كلمة تأبين لمؤسس الجماعة قال فيها:

"ذلك الشخص! نَعَم ذلك الشخص الذي كان قلمه سحرا، ولسانه طِلَسْمًا، والذي كان تجسيدا للعجائب العقلية، والذي كانت نظرته ثورةً وصوته حشرًا، والذي كانت أسلاك الثورة مطوية بأصابعه، والذي كانت يداه بطاريتين كهربائيتين؛ ذلك الشخص الذي ظل بمثابة الزلزال والطوفان في عالم الأديان إلى ثلاثين سنة، وأصبح بمثابة ضجة القيامة، وظل يوقظ الأموات الروحانيين.. قد ارتحل من الدنيا خالي الوفاض ....

إن الذين يُحدثون ثورة في عالم الدين أو العقل لا يجود بهم الدهر كثيرا، بل إن أبطال التاريخ الأفذاذ هؤلاء.. نادرا ما يظهرون على

منصة العالم، ولكنهم عندما يظهرون فإنهم يحدثون ثورة في العالم. إن عظمة السيد الميرزا.. رغم وجود الخلافات الشديدة حول بعض معتقداته ودعاويه.. جعلت المسلمين، نعم.. المسلمين المثقفين المتنورين، يشعرون لدى وفاته أن رجلاكبيرا منهم قد فارقهم. وبذلك فقد انتهى ذلك الدفاع المجيد عن حياض الإسلام الذي كان يقوم به مقابل معارضي الإسلام، والذي كان خاصا بشخصه هو.

لقد ظل يؤدي واجبه كقائد ناجح ضد أعداء الإسلام. وإن ميزته الفريدة هذه تُوجب علينا أن نعتَرف بها اعترافا واضحا، حتى تبقى تلك الحركة الجليلة، التي داست أعداء الإسلام تحت الأقدام، وهزمتهم إلى فترة من الزمن.. سارية مستمرة في المستقبل أيضا.

إن كتب السيد الميرزا التي ألفها ضد المسيحية والآريا الهندوس، قد نالت قبولا واسعا، وإن حضرته لغني عن التعريف من هذه الناحية. ولا بد لنا اليوم أن نقدّر هذه الكتب.. وقد أنجزت مهمتها.. ونعترف من الأعماق بعظمتها. إذ لا يُمكن أن يُمحى من صفحة القلب ذلك الوقت العصيب حين كان الإسلام فيه عُرضة لهجمات أعدائه من كل حدب وصوب، وحين كان المسلمون.. وهم مأمورون بحمايته من قِبَل الحامي الحقيقي ﷻ.. يتأوهون عقابا على تقصيرهم، وكانوا لا يحركون ساكنا لصالح الإسلام، بل ما كانوا على ذلك من القادرين .... كانت أسباب الدفاع *(عن الإسلام والمسلمين)* ضعيفة لدرجة أنه لم تتوفر لهم حتى السهام مقابل المدافع. ولم يكن هناك شيء اسمه الهجوم أو الدفاع أبدا.... ولكن هذا الدفاع المجيد *(أي الذي قام به حضرته)* حطم تأثير الغزو المسيحي الذي كان في الواقع قوة المسيحية التي كانت تحظى بها تحت ظلال الحكومة الإنجليزية. وهكذا.. فقد نجا آلاف من المسلمين، بل مئات الآلاف من هجوم المسيحية الذي كان يُشكل خطرا وشيكا أفدح، وهكذا جعل الميرزا سحر المسيحية نفسها يتبخّر في الهواء كالدخان. لقد غيّر حضرته أسلوب الدفاع، وجعل المغلوب غالبا.... وسوف تظل الأجيال

المسلمة تنظر بعين الإعجاب والامتنان إلى تلك الخدمة الجليلة التي قدمها حضرة الميرزا للإسلام، حيث أدّى فريضة الدفاع عنه متصدرا صفوف المدافعين عنه بالقلم. لقد خلّف كتابات سوف تظل حية مشرقة ما جرت في عروق المسلمين دماءُ الغيرة على الإسلام، وما دامت حماية الإسلام شعارا قوميا لهم.

هذا.. وقد أسدى الميرزا المحترم خدمة كبيرة للإسلام بكسر أنياب الآريا المسمومة... وكتاباته ضد الآريا تؤكد أيما تأكيد على أنه لا يمكننا غض الطرف عن هذه الكتابات مهما اتسع نطاق دفاعنا... وليس من المأمول أن يظهر في المستقبل في الأوساط الدينية بالهند شخص بهذا الشأن.. يُضحّي بأمنياته السامية من أجل دراسة الدين."

(جريدة "وكيل"، يونيو ١٩٠٨، نقلا عن جريدة "بدر" الصادرة في قاديان عدد ١٩٠٨/٦/١٨ ص٢-٣)

* * *

إن أي إنسان قد يتفق مع سيدنا أحمد عليه السلام فيما أعلنه للناس ودعاهم إليه.. وقد لا يتفق، وقد يوافق على أنه هو المسيح الموعود وأنه هو المهدي المعهود.. وقد لا يوافق، ولكن الأمر الذي لا يمكن أن يختلف عليه اثنان، هو أن حضرة ميرزا غلام أحمد كان من ألد أعداء العقائد المسيحية الباطلة، وكان قلبه شديد الاستياء من أعمال المبشرين المسيحيين، وامتلأ وجدانه حزنا لمكائدهم وشراكهم وفخاخهم التي نصبوها لاصطياد المسلمين وصرفهم عن دين الإسلام. وقد نجح بفضل الله تعالى في تحطيم: ''تأثير الغزو المسيحي الذي كان في الواقع قوة المسيحية التي كانت تحظى بها تحت ظلال الحكومة الإنجليزية. وهكذا فقد نجا آلاف من المسلمين، بل مئات الآلاف، من هجوم المسيحية الذي كان يشكل خطرا وشيكا أفدح، وهكذا جعل الميرزا سحر المسيحية نفسها يتبخر في الهواء كالدخان''، كما ذكر ذلك الشيخ أبو الكلام آزاد. ولذلك كان هؤلاء المبشرون المسيحيون يناصبونه العداء، ويتحينون الفرص

للقضاء عليه وعلى دعوته، واستعداء السُلطة عليه، واقامه بأنه خطر يتهدد سلامة الدولة والحكومة، وأنه "المناضل الإسلامي الخطير المنطوي في خبايا الدهر".. وما إلى ذلك من الاقامات والافتراءات والبهاتانات التي ألصقوها به.

أعجب العجائب

ولكن الأمر الغريب.. الجد غريب، والحال العجيب.. الجد عجيب، والشيء المريب.. الجد مريب، هو أنه بعد أن انتصف القرن العشرين، وبعد أن نجحت قوى الاستكبار والاستخبار في زرع إسرائيل في قلب الوطن العربي، بدأت آثار كذبة خطيرة تتضح في الآفاق.. إذ بدأت بعض الفرق الإسلامية المتطرفة، تشيع فرية عجيبة عن سيدنا أحمد عليه السلام وعن جماعته، بينما ظهر المبشرون المسيحيون وكأنهم ليسوا طرفا في خلق وإفشاء ونشر تلك الكذبة الكبرى.

كانت تلك الفرية العجيبة.. أن سيدنا أحمد عليه السلام.. ليس سوى عميلٍ للإنجليز! وأنهم هم الذين أوحوا إليه أن يدّعي أنه هو الإمام المهدي وأنه هو المسيح الموعود!!!

إن اللص يجري أحيانا مع الناس وينادي مثلهم: "امسك حرامي!"، وذلك لصرف الأنظار عن نفسه. والمرأة الساقطة تتهم غيرها بالرذيلة لتظهر كأنها امرأة شريفة. والعملاء دائما يتهمون غيرهم بالعمالة والخيانة، حتى ينفوا عن أنفسهم هذه الوصمة الحقيرة.

لم يخطر على بال هؤلاء الذين خلقوا تلك الكذبة الكبرى، ونشروها على أوسع نطاق أن يُفكروا قليلا.. كيف يمكن للرجل الذي كان يُتهم أثناء حياته بأنه يُشكّل خطرا على الحكومة الإنجليزية، كما اقمه بذلك المشايخ المسلمون والمبشرون المسيحيون على السواء، كيف يمكن له أن ينقلب.. بعد مرور ما يقرب من نصف قرن على وفاته.. ليكون عميلا للإنجليز؟

كيف يمكن للرجل الذي كانت الحكومة الإنجليزية تتوجس منه شرا بسبب ادعائه بأنه الإمام المهدي، وكانت تضعه تحت مراقبة الشرطة، باعتراف الصحف والجرائد الإنجليزية نفسها، كيف يمكن له أن يكون.. بعد مرور خمسين عاما على وفاته.. من صنع الإنجليز؟

كيف يمكن للرجل الذي اعترف أعداؤه ومخالفوه عند وفاته أن دفاعه الرائع عن الإسلام "... قد حطم تأثير الغزو المسيحي الذي كان في الواقع قوة المسيحية التي كانت تحظى بها تحت ظلال الحكومة الإنجليزية. وهكذا فقد نجّا آلاف من المسلمين، بل مئات الآلاف، من هجوم المسيحية الذي كان يشكل خطرا وشيكا أفدح، وهكذا جعل الميرزا سحر المسيحية نفسها يتبخر في الهواء كالدخان"، كيف يمكن أن يكون هذا الرجل من عملاء الإنجليز؟

وكيف يسيغ العقل أن تأتي الحكومة الإنجليزية - التي كانت ولا تزال تعتبر نفسها حامية حمى المسيحية - بشخص يُعلن عن نفسه أنه هو المسيح الموعود، الذي من أكبر مهامه أن يكسر الصليب، ويقضي على العقائد المسيحية الباطلة التي يروّجها المبشرون المسيحيون، والتي تقوم الحكومة الإنجليزية بحمايتها؟

كيف يُعقل أن تستخدم الحكومة الإنجليزية رجلا عادَى الدنيا كلها ليثبت أن المسيح عليه السلام.. إله الإنجليز.. قد مات ودفن في التراب، شأنه في ذلك شأن كل الأنبياء والبشر؟

كيف يتصور عاقل.. أو حتى إنسان به شيء من العقل.. أن يقيم الإنجليز رجلا قضى حياته في الدفاع عن الإسلام، وفي إثبات عظمة شأن ومقام رسول الله ﷺ، وفي إثبات صدق كتاب الله القرآن، وتحدّى جميع قادة الأديان الأخرى، بما فيهم المبشرون المسيحيون، أن ينقضوا ولو خُمْس الأدلة التي قدمها هو على صدق الإسلام وفضله؟

أي عقلية سقيمة هذه التي تتصور أن يأتي الإنجليز برجل يقف لمبشريهم ودعاتهم بالمرصاد، حتى ولو كانوا يقيمون في بريطانيا نفسها أو في أمريكا،

من أمثال بيجوت في إنجلترا ودوئي في أمريكا؟

ثم أي خبل يمكن أن يصيب الإنسان فيتصور أن الإنجليز يأتون برجل يدعو ملكتهم العظمى للإسلام، ويقول لها: توبي واسمعي.. أسلمي تسلمين.. أتتخذون من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون؟

وهل حاول أحد أن يسأل.. أو يتساءل: لماذا كان هؤلاء الذين خلقوا تلك الكذبة ونشروها بين الناس.. كانوا هم أيضا الدعاة المتحمّسون لإثبات أن عيسى عليه السلام يعيش في السماء، وأنه سوف ينـــزل إلى الأرض ويحكم العالم.. تماما كما يُرَوّج لذلك المبشرون المسيحيون؟

وهل توقف أحد ليسأل.. أو يتساءل: لماذا كانت الدول التي هي في مقدّمة الدول التي تحارب الجماعة الإسلامية الأحمدية، وتُجنّد في سبيل ذلك جهودها العظمى، مثل السعودية وباكستان، هي نفسها دول تدين بالولاء والطاعة للغرب وتخدم المصالح الغربية؟

ثم.. لماذا لم يسأل أحد: كيف خرجت هذه الفرية الوضيعة ضد مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية من القارة الهندية، وكيف بدأت تنتشر في أرجاء الوطن العربي والعالم الإسلامي، بل وفي العالم أجمع على أوسع نطاق؟ ولماذا ظلت ما يقرب من خمسين عاما محصورة في القارة الهندية، ولم يكن المسلمون خارج الهند يعادون الجماعة الإسلامية الأحمدية، حتى إن الأمير فيصل الذي صار ملكا للسعودية فيما بعد، وعد بحضور حفل افتتاح مسجد "فضل" الذي بنته الجماعة الإسلامية الأحمدية في لندن عام ١٩٢٦، ورغم تخلفه عن حفل الافتتاح إلا أنه جاء وزار المسجد فيما بعد في مناسبة أخرى. ثم بعد أن صار فيصل ملكا دعا ابن الأحمدية البار السيد محمد ظفر الله خان لتأدية العمرة في بيت الله الحرام ضيفا على الملك، وذلك اعترافا منه بخدمات ظفر الله خان ومواقفه تجاه القضايا العربية.. وبالأخص قضية فلسطين.. في المحافل الدولية وخاصة في الأمم المتحدة.

ولماذا لم يسأل أحد: لماذا لم تنتشر هذه الفرية الوضيعة في المجال العالمي، وخاصة في الدول العربية، إلا بعد إنشاء إسرائيل؟

مؤامرات ضد المسلمين

ولكن.. إن من عادة عامة الناس أنهم سريعا ما ينسون، ولعل الأجيال الجديدة التي لم تكن موجودة في زمن الإمام المهدي ، لم تُتح لها معرفة الحقائق كاملة، ومن هنا بدأت حملة للتعتيم الإعلامي ضد الجماعة الإسلامية الأحمدية في الأوساط الإسلامية، وصحبتها حملة من التشويش والتضليل، حتى تظل القاعدة العريضة من المسلمين.. يجهلون حقيقة صدق الجماعة الإسلامية الأحمدية، ولا يعلمون عنها إلا كل ما هو كذب وافتراء وبهتان وتزوير.

ولهذا لا بد من الإشارة إلى المؤامرات التي كانت تُحاك ضد المسلمين، وضد الجماعة الإسلامية الأحمدية بالذات. وتعالوا بنا نستعرض الأحداث التي وقعت خلال الخمسين عاما التي أعقبت وفاة الإمام المهدي . ويمكن تقسيم تلك الأحداث إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

بعد الحرب العالمية الأولى.. وفي أوائل العشرينيات بدأ يظهر في سماء القارة الهندية نجم قائد جديد تزعم حركة سياسية سلمية للمطالبة باستقلال الهند عن التاج البريطاني. كان هذا القائد هو غاندي الذي سحر الجميع ببساطته وحركته المسالمة. وأسس حزب المؤتمر الهندي (Indian Congress) للعمل على جمع كلمة الهنود، وتوحيد الصفوف للمطالبة بالاستقلال. ولكن الهند لم تكن وطنا للهندوس وحدهم، بل كان يشاركهم فيها المسلمون أيضا. ومن هنا بدأ التخطيط بين الهندوس لتحقيق عدة أهداف مرحلية، تساعد على تحقيق الهدف النهائي، وهو استيلاء الهندوس على الحكم والاستقلال عن بريطانيا.

كانت الخطة الأولى هي تدبير الهندوس لما عُرف بمشروع "شُدهي". وكان

الغرض من هذا المشروع هو هندكة المسلمين الهنود.. أي تحويلهم إلى الديانة الهندوسية. فقام دعاة الفرق الدينية الهندوسية يجوبون أنحاء الهند لجذب المسلمين الفقراء والأميين إلى الديانة الهندوسية، خاصة الذين كانوا هندوسا قبل الإسلام وكانوا يعيشون في القرى. وفي هذه المرة لم يستعملوا أساليب السب والبذاءة التي كانوا يستعملونها في حياة الإمام المهدي عليه السلام، مما كان يُثير حفيظة المسلمين ضدهم، وإنما تعلموا من المبشرين المسيحيين أساليبهم الناعمة ووسائلهم التي يتوددون بها للناس ليكسبوهم إلى صفوفهم. وبالفعل كان الهندوس يتوددون إلى الفلاحين المسلمين الفقراء ويساعدونهم، ويجذبونهم بذلك إلى اعتناق الهندوسية.

وكانت الخطة الثانية هي إنشاء بعض الأحزاب الإسلامية التي يدين زعماؤها بالانتماء للوطن الأم وهي الهند، وتكون مهمة هذه الأحزاب الإسلامية هي نشر الأهداف السياسية للهندوس بين المسلمين، ومحاولة جمعهم مع الهندوس للعمل على نوال الاستقلال عن بريطانيا. ولتحقيق هذا الهدف تم إنشاء حزب الأحرار، وحزب الجماعة الإسلامية الذي تزعمه أبو الأعلى المودودي.

وكانت الخطة الثالثة هي التظاهر بنبذ الخلافات الدينية جانبا، والمناداة بوحدة الشعب الهندي بكل طوائفه.. من هندوس وسيخ ومسلمين.. للوقوف في جبهة واحدة، والمطالبة باستقلال الهند عن الحكم البريطاني.

كان التخطيط يبدو محكما، والتدبير يظهر محنّكا، إلا إن الله كان لهم بالمرصاد.. فإذا بإمام الجماعة الإسلامية الأحمدية.. الخليفة الثاني ميرزا بشير الدين محمود أحمد.. وهو الابن الموعود لسيدنا الإمام المهدي عليه السلام، يقوم بتعبئة أفراد الجماعة للتصدي لما كان يُخطط له الهندوس من هندكة المسلمين حسب مشروع "شُدهي". وفي عام ١٩٢٢ رفع إمام الجماعة نداء الجهاد بين أفرادها، وحثهم على التطوع لمجابهة مشروع "شُدهي" وإبطال أثره. وتسابق أفراد

الجماعة لتلبية نداء إمامهم، وخرج دعاقم يجوبون الهند وانتشروا في المناطق التي كان الهندوس يعملون فيها حسب حركتهم "شدهي"، ودخلوا في كل قرية من قراها، وذهبوا إلى كل بيت تحوّل أهله إلى الديانة الهندوسية ليعودوا بهم مرة أخرى إلى الإسلام. وخلال هذه الحملة المقدسة.. استطاع دعاة الأحمدية أن يكسبوا إلى الإسلام الكثير من الهندوس أنفسهم. وهكذا رأى دعاة الهندوسية فشل خطتهم وسقوط تدبيرهم، بل أحسوا بالخطر العظيم لهذه الجماعة التي صار وجودها يهدد الديانة الهندوسية نفسها، بعد أن دخلت أعداد كبيرة من الهندوس في الإسلام.

وقد اعترف الكثيرون بخدمات الجماعة الإسلامية الأحمدية هذه، حتى من بين أشد معارضيها. ونورد هنا.. على سبيل المثال لا الحصر.. شهادتين من جريدتين:

قالت جريدة "المشرق" الناطقة باسم المسلمين، والصادرة في "غورخبور" في عددها بتاريخ ١٥ مارس (آذار) ١٩٢٣م:

"لقد أوقعت الجماعة الأحمدية ضربة قاسية على أفكار الآريا على وجه الخصوص. وروح الفداء والحماس الشديدان اللذان تتحلى بهما الجماعة الأحمدية لا يُلاحظ في فِرَق أخرى في الزمن الحالي."

وأوردت جريدة "زميندار"، وكانت من أشد المعارضين للجماعة الإسلامية الأحمدية، ذِكر هذه الأحداث فقالت:

"الأحداث التي اطلعنا عليها عبر الجرائد عن فتنة الارتداد، تُبين صراحة أن مسلمي الجماعة الأحمدية يقومون بخدمات عظيمة للإسلام. وما ظهر منهم من روح التضحية، والعزم القوي، والنوايا الحسنة، والثقة بالله، لهو جدير بالإشادة والتقدير الكبير، إن لم يكن عديم النظير في الهند في الزمن الراهن. إن مرشدينا ومشايخنا المعروفين رقودٌ بلا حراك، في حين أن هذه الجماعة ذات العزم القوي قامت بخدمة عظيمة." ("زميندار" في ١٩٢٣/٦/٢٤م)

كان السيد غلام حسين من غير الأحمديين، وكان يشغل وظيفة مدير المدرسة الثانوية في مدينة "جهلم" التي تقع الآن في باكستان. وكان يعمل مع ممثلي مختلف الجماعات في تلك المناطق. فأرسل من هناك رسالة إلى جريدة "زميندار" المذكورة آنفا، فنشرتها الجريدة في عددها بتاريخ ٢٩ يونيه (حزيران) ١٩٢٣م. وقد كتب السيد غلام حسين مخاطبا محرر الجريدة، فقال:

"الأحمديون القاديانيون يُبدون روح التضحية السامية، إذ إن حوالي مائة شخص من دعاتهم متحصنون في مختلف القرى بإشراف رئيسهم، وقد قاموا بأعمال بارزة. إن جميع هؤلاء الدعاة يعملون بغير أن يُدفع لهم راتب أو نفقات للسفر. ورغم أننا لسنا من الأحمديين.. إلا أننا لا نستطيع الامتناع عن الإشادة بالعمل العظيم الذي يقوم به الأحمديون. ومن المستحيل أن نجد روح التضحية التي أظهرها الأحمديون إلا في المسلمين من أوائل الإسلام.... فكل فرد من دعاتهم، غنيا كان أو فقيرا، ماض في مضمار العمل دون أن تُدفَع له نفقات السفر أو الطعام، وكلهم يعملون دأبا بإشراف أميرهم في الحر الشديد والرياح الملتهبة."

بعد أن سقطت الأقنعة التي كان الهندوس يحاولون أن يخفوا بها حقيقة دوافعهم وراء توددهم للمسلمين البسطاء الأميين لتحويلهم إلى الديانة الهندوسية، لم يستطيعوا أن يستروا حقدهم وكراهيتهم للإسلام والمسلمين. وفي عام ١٩٢٧ نشروا كتابا بغيضا ومشينا باسم: "رنغيلا رسول"، أي الرسول المنغمس في الملذات والعياذ بالله. وكان هذا الكتاب يطفح بذاءة ضد شخص سيدنا ومولانا محمـــد رسول الله ﷺ، بشكل يجعل الدماء تغلي في عروق كل مسلم، وتُدمي القلوب حقارته ودناءته. ثم تبع ذلك الكتاب مقال نشرته إحدى النساء الهندوسيات في مجلة "ورتمان" الناطقة باسم الهندوس، وكان أيضا موجها ضد شرف سيدنا وإمامنا رسول الله ﷺ، وكان المقال في منتهى القذارة والنجاسة، حتى إن الإنسان ليستغرب من شدة خبث طوية

تلك المرأة، وسفالة قلمها الذي كتبت به تلك الكلمات.

وسرعان ما تصدت الجماعة الإسلامية الأحمدية لهذا الهجوم الشرس الوضيع، وانقضت كالشهاب الثاقب تحرق هؤلاء الشياطين، وقام إمام الجماعة في وجه هذا الهجوم بكل قوة وحماس، وراح يرد على الهندوس ويُفند أقوالهم. ونشرت الجماعة الكتب والمقالات فإذا هي تلقف ما صنع الهندوس، وتُظهر للملأ علو قدر ذلك النبي العظيم، نبي الرحمة والعظمة والجلال، عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه المخلصين، أزكى السلام وأعظم التسليم إلى يوم الدين.

هنا.. كان لا بد من التآمر، فإن أساليب التآمر هي الأساليب الخسيسة التي يلجأ إليها كل من تعوزه الحجة ويفتقد البراهين. فكان أن أوحى دعاة الهندوسية إلى عملائهم المسلمين من حزبي الأحرار والجماعة الإسلامية المودودية بمحاربة الجماعة الإسلامية الأحمدية، ونشر الأكاذيب والمفتريات ضدها، وترديد بعض الفتاوى التي أصدرها النكرات من المولويين والمشايخ بكفر هذه الجماعة وخروجها عن الإسلام. وراح الهندوس يذكون نار العداء ضد الجماعة الإسلامية الأحمدية، ويهيبون بالمسلمين ألا يستمعوا لما يقوله الأحمديون، ويوحون إليهم بأن البعض من علماء المسلمين قد أفتى بكفرهم، فلا يصح أن يستمع لهم المسلمون ولا يتبعوهم.

وفي الثلاثينيات.. كانت حملات الحقد والكراهية تُنشر على أوسع نطاق ضد الجماعة الإسلامية الأحمدية، حتى إن حزب الأحرار أعلن أنه سوف يدمرقاديان مقر الخلافة الأحمدية، ولن يترك فيها دارا يسكنها واحد من الأحمديين. غير أن عامة المسلمين في الهند لم يكونوا قد تأثروا بعد بهذه الحملات، وكانوا يرون في الجماعة الإسلامية الأحمدية جماعة مسلمة، قد تختلف في بعض معتقداتها عما تؤمن به الفرق الأخرى من المسلمين، ولكن هذا كان شيئا عاديا في الهند التي تجمع الكثير من الفرق الإسلامية من

ديوبنديين، وبريلويين، وأهل الحديث، وأهل القرآن، وأهل السُنة، وأهل الشيعة، ووهّابيين، وإسماعيليين، والعديد من جماعات الطرق الصوفية، وأصحاب المذاهب الفقهية المختلفة وغيرهم الكثير، وكل من هذه الفرق تختلف في معتقداتها عن الفرق الأخرى. فلم يكن من الغريب ولا من غير المألوف في الهند أن تختلف الجماعة الإسلامية الأحمدية هي الأخرى في بعض المفاهيم عن الفرق الأخرى.

ولذلك.. حينما ثارت مشكلة كشمير، بعد أن حاول الحكام الهندوس حرمان سكانها المسلمين من حقوقهم المدنية، بل جردوهم من أبسط الحقوق الإنسانية، حيث كانوا يعيشون كالعبيد للهندوس رغم أن المسلمين كانوا يُشكلون الأغلبية الساحقة من السكان.. نادى إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية في ذلك الوقت.. ميرزا بشير الدين محمود أحمد.. بتكوين لجنة من الزعماء المسلمين للمطالبة بالحفاظ على حقوق المسلمين في كشمير. وبدأت عيون كبار المفكرين والزعماء السياسيين تتجه إلى قاديان، وذكروا لإمامنا الهمام أن مهمة تخليص المسلمين من هذه المؤامرات والمشاكل لن تُكلل بالنجاح أبدا إلا إذا حمل هو عبأها على عاتقه. وقد كتب الشاعر الشهير الدكتور محمد إقبال رسالة بخط يده بتاريخ ٥ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٣٠ يعرض على إمام الجماعة أن يكون ضمن أعضاء اللجنة المقترحة.

وقد اجتمع عدد كبير من العلماء المسلمين والزعماء السياسيين عام ١٩٣١ في مدينة "شِملة" وانتخبوا بالإجماع إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية ليكون رئيسا للجنة المطالبة بحقوق المسلمين في كشمير.

أسرع الهندوس ليوحوا إلى عملائهم من حزب الأحرار أن يتولوا تفتيت وحدة المسلمين وعرقلة عمل هذه اللجنة التي تطالب بحقوق المسلمين في كشمير. وقام العملاء بواجبهم خير قيام، فأعلنوا عن تشكيل لجنة أخرى للمطالبة أيضا بحقوق المسلمين في كشمير، وراحوا يجمعون الأموال باسم اليتامى في كشمير، ثم

أكلوها أكلا لَمًّا. ولنقرأ ما كتبه أحد الكتاب المسلمين أنفسهم يصف حقيقة ما حدث:

"برزت للعيان جماعتان لا غير لمساعدة الكشميريين المظلومين.. إحداهما لجنة كشمير (بزعامة سيدنا الخليفة الثاني ﷺ) والثانية جماعة الأحرار، ولم يُشكل أحد جماعة غيرهما. وأنا شخصيا ما كنت لأضع ثقتي في الأحرار، واليوم تعرف الدنيا كلها أن الأحرار جمعوا الأموال باسم اليتامى في كشمير، وباسم المظلومين المنكوبين والأرامل، ثم أكلوها وهضموها مثل حليب الأم. ولم يكن من بينهم زعيم واحد لم يرتكب هذا الجرم بصورة مباشرة أو غير مباشرة. لقد دعتهم لجنة كشمير إلى وحدة العمل، ولكن بشرط أن تتم المشاريع كلها بأغلبية الآراء، وتسجيل جميع حسابات النفقات بصورة منتظمة. ولكن الأحرار رفضوا كلا المبدأين. فلم يبق لي خيار إلاّ أن أكون مع لجنة كشمير. وأقولها بصراحة متناهية.. وأعلن على دقات الطبول.. إن ميرزا بشير الدين محمود أحمد، زعيم لجنة كشمير، قد عمل بجدية متناهية، وجهد متواصل، وحماس مفرط، وأنفق الأموال من عنده، ولذلك فأنا أحترمه." (حركة قاديان، تأليف السيد سيد حبيب مدير جريدة "السياسة" ص٤٢)

أثارت لجنة الدفاع عن حقوق المسلمين في كشمير حنق الهندوس، فأرادوا القضاء عليها بكل وسيلة ممكنة، ولم يكن أمام عملائهم من حزب الأحرار والجماعة الإسلامية بقيادة المودودي سوى أساليب الدس والوقيعة بين المسلمين، فراحوا يشيعون في كل مكان أن الجماعة الإسلامية الأحمدية جماعة كافرة خارجة عن الإسلام، وذلك لكي يعزلوها عن الجماهير المسلمة، ويقضوا بذلك على جهادها من أجل مصلحة المسلمين. وراحت الجرائد الهندوسية تنشر الفتاوى بكفر الأحمديين، وتحض المسلمين عامة على مقاطعة الأحمديين. وبكل الأسف.. لم يستطع المسلمون التفرقة بين الغث والثمين،

ولم يفطنوا إلى أنهم كانوا ضحية مؤامرات خسيسة لبث الفرقة بينهم، وعزلهم عن القيادة الحكيمة المخلصة التي كانت تقوم بها لجنة الدفاع عن حقوق مسلمي كشمير.

وقد كتب السيد عبد المجيد سالك، وكان أديبا وصحفيا شهيرا ومديرا لجريدة "انقلاب"، فقال في أحد مؤلفاته باسم "سرغزشت":

"حينما أثار الأحرار الفساد ضد الأحمديين دون مبرّر، وحدثت ثغرات من الضعف في قوة كانت لجنة كشمير قد حازتها من خلال توحيد الهدف والعمل بتحالف الجهات المختلفة، استقال ميرزا بشير الدين محمود أحمد من زعامة اللجنة، وعُيّن د. محمد إقبال زعيما لها. وبدأ بعض أعضاء اللجنة يعادون الأحمديين لمجرد كونهم أحمديين، وقد تسبب هذا الوضع في ضرر كبير لمصالح كشمير." (سرغزشت ص ٣٣٨)

أما الهندوس فقد تنفسوا الصعداء بالتخلص من زعامة ميرزا بشير الدين محمود أحمد للجنة كشمير، وكان أن كتبت جريدة "ملاب" الناطقة باسم الهندوس في عددها بتاريخ ١ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٣١م ص٥ تقول:

"... لقد أسس الميرزا القادياني (لجنة كشمير) بهدف الإطاحة بحكومة كشمير الحالية، وقام لهذا الغرض بالدعاية في كل قرية في كشمير... أرسل إليهم النقود، كما أرسل المحامين والواعظين الذين أثاروا ضجة، وظل يتآمر مع المسؤولين الكبار في مدينة "شملة"."

* * *

المرحلة الثانية:

ظلت الحرب الدائرة بين الجماعة الإسلامية الأحمدية وبين الهندوس من خلال عملائهم في حزب الأحرار والجماعة الإسلامية بقيادة المودودي، تجري على أشدها.. بعد أن تيقن الهندوس أن لا أمل لهم في الاستيلاء على الهند إلا

بعد القضاء على الجماعة الإسلامية الأحمدية وعزلها عن المجتمع الإسلامي. ودخلت هذه الحرب معركة حاسمة خلال السنوات الأخيرة التي سبقت المناداة بتقسيم الهند وإنشاء وطن خاص بالمسلمين.

وقد يكون من غير المعروف لدى بعض القراء العرب أن محمد علي جناح، مؤسس دولة باكستان والمعروف بالقائد الأعظم، كان عضوا بارزا في حزب المؤتمر الهندي الذي يتزعمه غاندي وينادي باستقلال الهند عن بريطانيا. ولما بدأت بوادر الاستجابة وتحقق هدف الاستقلال تبدو في الآفاق، ولما كان المسلمون قد عانوا الأمرّين في كشمير بسبب اغتصاب حقوقهم بأيدي الحكومة الهندوسية المتسلطة هناك، سأل السيد محمد علي جناح غاندي عن الضمانات التي تحفظ حقوق المواطنين المسلمين في الهند بعد خروج الإنجليز. ولكن غاندي رفض أن يعطي أية ضمانات، وقال إن الهدف في تلك المرحلة يتطلب الحصول على الاستقلال أولا، وبعد ذلك يمكن للهندوس والمسلمين أن يتباحثوا في هذه الأمور المتعلقة بينهم.

ورفض محمد علي جناح أن يُساير غاندي في خطته، حيث إنه كان يعلم أنه إذا خرج الإنجليز من الهند قبل أن يحصل المسلمون على ضمانات تحمي حقوقهم، فإن مصيرهم سيؤول إلى ما آل إليه مسلمو كشمير. ولذلك فقد استقال محمد على جناح من حزب المؤتمر الهندي، وأسس حزب الرابطة الإسلامية (Muslim League) للدعوة إلى تقسيم الهند وإنشاء وطن خاص بالمسلمين. وقد حاز حزب الرابطة الإسلامية على تأييد كافة قطاعات المسلمين المخلصين. وكان في مقدمة هؤلاء بالطبع الجماعة الإسلامية الأحمدية، خاصة وقد كان يعمل مع محمد علي جناح أحد شخصيات الجماعة الإسلامية الأحمدية البارزة، وهو السيد محمد ظفر الله خان، الذي قدّر الله له أن يلعب دورا حاسما أيضا في المرحلة الثالثة من هذا التاريخ الذي نكشف عنه الستار للقارئ، والذي تود قوى الاستكبار والاستخبار اخفاءه وفرض التعتيم

الإعلامي عليه وعلى الجماعة الإسلامية الأحمدية.

غير أن عملاء الهندوس من بين المسلمين، وهم حزب الأحرار والجماعة الإسلامية التي كان يتزعمها المودودي، راحوا ينعقون بما يريده أسيادهم الهندوس، فوقفوا يُعارضون إنشاء وطن خاص بالمسلمين، بزعم المحافظة على وحدة الهند وعدم تقسيمها. وقالوا: إن محمد على جناح لن ينشئ "أرض الأطهار" (وهو المعنى الحرفي لكلمة "باكستان" باللغة الأردية) وإنما سينشئ "أرض الأنجاس". وقد فعلوا ذلك رغم الأخطار المحدقة بحقوق المسلمين التي كان يعلمها جيدا كل من له معرفة بحقيقة الهندوس ومؤامراتهم التي كانوا يحيكونها للاستيلاء على الهند بأكملها.

ولقد أدت المواقف الإنهزامية والخائنة لكل من حزب الأحرار وجماعة المودودي إلى تفتيت وحدة المسلمين الهنود، وتشتيت كلمتهم، وضياع مجهوداتهم، مما دعا محمد علي جناح إلى أن يترك الهند بأكملها ويذهب إلى إنجلترا، متخليا عن استكمال كفاحه لإنشاء باكستان وطنا للمسلمين. ولكن إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية أرسل إليه في إنجلترا إمام مسجد "فضل" بلندن.. القائم على شؤون الجماعة الإسلامية الأحمدية في بريطانيا، طالبا إليه ألا يخذل المسلمين هكذا، بل يعود إلى الهند لقيادة الكفاح من أجل مصالحهم. ووعده بأن الجماعة الإسلامية الأحمدية سوف تضع جميع إمكاناتها لمساعدته في تحقيق أهدافه، وسوف تقف وراءه بكل ثقلها لتأييد النضال من أجل إنشاء وطن للمسلمين.

واستجاب محمد علي جناح لدعوة إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، وعاد فعلا إلى الهند، وكان أن استطاع المسلمون تحت قيادته انتزاع حقوقهم من الهندوس، وتأسست بالفعل دولة باكستان. وتقديرا لخدمات السيد محمد ظفر الله خان، واعترافا وتقديرا بدوره في الكفاح من أجل تأسيس دولة باكستان، وامتنانا للجهد الكبير الذي قامت به الجماعة الإسلامية الأحمدية لتحقيق آمال

المسلمين في الهند، فقد قرر محمد علي جناح أن يُعيّن محمد ظفر الله خان ليكون وزيرا للخارجية في أول حكومة لباكستان.

غير أن مؤامرات حزب الأحرار لم تتوقف، ونيران الفتنة والفُرقة التي كانت تشعلها جماعة المودودي لم تخب بل استعر أوارها. ورغم أن هذين الحزبين كانا من أشد المعارضين لقيام دولة باكستان، إلا أنهما قد انتقلا إلى باكستان بعد إنشائها، ليكونا الطابور الخامس للهند، وليعملا على تفتيب وحدة باكستان وهدمها من الداخل.

* * *

المرحلة الثالثة:

في تلك الآونة.. في عام ١٩٤٦/١٩٤٧ كانت هناك مؤامرة أخرى يجري تنفيذها ضد مصلحة المسلمين عامة والوطن العربي خاصة، وهي زرع كيان أجنبي في قلب الوطن العربي بإنشاء دولة لإسرائيل في فلسطين. ومن الواضح أن الدول الكبرى كانت على اتفاق فيما بينها لتحقيق أكبر جريمة لاغتصاب حقوق شعب من الشعوب في التاريخ المعاصر. وحينما كان يجري الإعداد والتدبير لهذه المؤامرة في أروقة الأمم المتحدة لإضفاء الشرعية الدولية على جريمة اغتصاب أرض فلسطين.. حينذاك.. كان السيد محمد ظفر الله خان، وزير خارجية باكستان، يقوم بالدفاع عن حقوق شعب فلسطين دفاعا مجيدا أحرج قوى الاستكبار والاستخبار، وعرّاها وفضحها أمام المجتمع الدولي، وكشف الظلم الفظيع الذي يحيق بشعب فلسطين نتيجة إنشاء دولة إسرائيل على أرضه، وأوضح أن متطلبات الحقوق الإنسانية التي قامت منظمة الأمم المتحدة للدفاع عنها تستدعي أن تظل فلسطين دولة موحدة لأبنائها الذين يعيشون فيها.

لقد ظل السيد محمد ظفر الله خان.. في خطاب له بمنظمة الأمم المتحدة.. على مدى مائة وخمس عشرة دقيقة، أي ما يقرب من ساعتين، يدافع عن

قضية العرب وشعب فلسطين، حتى إنه بعد أن انتهى من خطابه التاريخي هذا، كان كثير من الدول الأعضاء قد استطاعت أن تتفهم حقيقة المشكلة، وغيرت رأيها في التصويت إلى جانب مشروع قرار التقسيم. وذهب زعماء الوفود العربية لتهنئة السيد محمد ظفر الله خان، ذاكرين أن خطابه كان أحسن ما قيل في الدفاع عن قضية فلسطين، وأنهم لم يسمعوا قط خطابا من أحد الدبلوماسيين بهذه المهارة الفائقة وهذه الجدارة الكاملة.

كان من المقرر أن يتم التصويت على قرار تقسيم فلسطين يوم ٢٦ نوفمبر عام ١٩٤٧، ولكن بعد خطاب السيد محمد ظفر الله خان أمام الأمم المتحدة، بات من الواضح أن القرار لن يحظى بأغلبية الأصوات اللازمة. وفي اللحظة الأخيرة تقرر تأجيل التصويت على مشروع القرار لمدة يومين. وفي تلك الأثناء.. قامت قوى الاستكبار والاستخبار بالضغط الشديد على الدول التي كان يبدو أنها قد غيرت موقفها، واستُعملت كل وسائل الترغيب والترهيب والتهديد، حتى تضمن الدول الكبرى موافقة منظمة الأمم المتحدة على مشروع قرار التقسيم. وبالفعل يوم ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) أقرت المنظمة مشروع القرار، حسب ما أملته وفرضته الدول الكبرى، مما حدا بالكثير من ممثلي الدول التي تعرضت للضغط والتهديد أن يُسِرّوا باعتذارهم للسيد ظفر الله خان، قائلين إنهم قد أُجبروا جبرا أن يُصَوّتوا لمصلحة القرار.

ولا شك أن قوى الاستكبار والاستخبار قد رأت في السيد محمد ظفر الله خان خصما عنيدا كان لا بد من إزاحته من الطريق، وعزله عن التصدي للدفاع عن القضايا التي تريد تلك القوى إضفاء الشرعية عليها من خلال الأمم المتحدة.

في نفس ذلك الوقت.. كان إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية قد أصدر كُتيّبا أحدث أثرا كبيرا في العالم الإسلامي والعربي، وهز الكثير من القلوب للأخطار التي كانت تُحاك للمسلمين. كان اسم ذلك الكُتيّب: "هيئة الأمم

المتحدة وقرار تقسيم فلسطين"، وقد نشرت الجماعة هذا الكُتيّب على أوسع نطاق في الدول العربية والإسلامية. وحضّ إمام الجماعة المسلمينَ على نبذ خلافاتهم وتوحيد كلمتهم لمجابهة هذه الأخطار، كما أنه حذرهم صراحة من الوثوق في الدول الغربية أو الدول الشرقية. وذكر أن أمريكا ليست بصديقة للعرب والمسلمين، تماما كما أن روسيا ليست بالصديقة التي يوثق بها أو يُعتمد عليها. وقال إن قوى الغرب قد وضعت خلافاتها جانبا وجمعت كلمتها لإنشاء وطن لليهود في فلسطين، وإنه الأوْلَى بالمسلمين أن ينبذوا هم أيضا خلافاتهم حتى يتحدوا لدرء الأخطار والمؤامرات التي تُدَبر ضدهم.

وتبعت هذا الكُتيب رسالة أخرى اسمها: "الكفر ملّة واحدة". نالت هي الأخرى انتشارا واسعا بين الدول العربية والإسلامية، حتى إن بعض الدول أذاعت الرسالة بأكملها، وعلقت الصحف والجرائد على أجزاء منها، ونالت استحسانا من جميع الجهات إلا جهات الأعداء والمتآمرين الذين كانوا يتآمرون على مصلحة المسلمين. وغني عن البيان أن هذه الجهات، التي نُطلق عليها اسم قوى الاستكبار والاستخبار، قد توجست شرا من وجود الجماعة الإسلامية الأحمدية ومن خطرها على خططها التي تهدف إلى تقويض وهدم مصلحة المسلمين. بل إنها تيقنت، كما سبق أن تيقن الهندوس من قبلهم، أنه لو سُمِحَ لهذه الجماعة بالتأثير على العرب والمسلمين، فإن خططهم التآمرية سوف تكون مهددة بالفشل والبوار.

ومن هنا دخلت الجماعة الإسلامية الأحمدية المرحلة التي وضعتها وجها لوجه أمام قوى الاستكبار والاستخبار العالمية. وقد رأت هذه القوى، كما سبقهم في ذلك الهندوس في الهند، أن خير وسيلة للقضاء على خطر الجماعة الإسلامية الأحمدية هو عزلها عن جموع المسلمين، ودق أسافين التفرقة بينها وبين عامة المسلمين، ومحاربتها حربا لا هوادة فيها عن طريق العملاء من المسلمين أنفسهم. وقد رأت هذه القوى في حزب الأحرار، وفي الجماعة

الإسلامية بزعامة المودودي، الحليف المخلص الذي كان يعمل لحساب الهندوس في الهند، ولن يصعب عليه أن يعمل أيضا لحساب قوى الاستكبار والاستخبار العالمية.

وقد قام هذان الحزبان بإثارة القلاقل في باكستان ضد محمد ظفر الله خان، وطالبوا بعزله باعتبار أنه كافر غير مسلم!! وبدأ نطاق المؤامرات يخرج من حدود القارة الهندية ليصل إلى الدول العربية والإسلامية. وإذا بمؤلفات المودودي التي كتبها ضد الجماعة الإسلامية الأحمدية تُترجم إلى اللغة العربية، وتُنشر على أوسع نطاق في الدول العربية. كما استطاعت قوى الاستكبار والاستخبار أن تشتري ذمة بعض المشايخ العرب فأفتوا بكفر محمد ظفر الله خان وخروجه عن الإسلام، وكان منهم أحد المشايخ في مصر، وهو نفس الشيخ الذي أفتى أيضا بأن الملك فاروق من نسل رسول الله!!

وقد فضح أحد الصحفيين العراقيين أساليب قوى الاستكبار والاستخبار فذكر ما حدث له شخصيا، وأخبر عن الضغط الذي تعرّض له ليقوم بالتشهير بالجماعة الإسلامية الأحمدية. يقول السيد علي الخياط الذي كان يُصدر جريدة "الأنباء" في العراق:

"... ليس هناك سوى سبب واحد، وهو إصبع الاستعمار الذي يلعب دورا هاما في هذه القضية لبث الشقاق والتفرقة بين المسلمين الذين لا زالوا بانتظار اليوم الموعود الذي يقومون فيه بجولتهم الثانية لتطهير البلاد المقدسة من أرجاس الصهيونية وإعادة فلسطين إلى أصحابها الشرعيين.

إن الاستعمار يخشى أن يتحقق حلم العرب هذا، فتزول دولة إسرائيل التي تحمّل الكثير من المشاق في سبيل تكوينها.. فيعمد إلى إثارة الشقاق بين طوائف المسلمين بإثارة النعرات، لتقوم بعض العناصر بتكفير فئة الأحمدية والتشهير بهم حتى يؤدي ذلك إلى الشقاق بين باكستان وبين بعض الدول العربية التي تقوم صُحفها بتكفير ظفر الله

خان وزير خارجية باكستان الذي يتبع الطريقة الأحمدية.
ولعل كثيرا من القرّاء يذكرون محاولة بعض العناصر في باكستان قبل مدة تأسيس (الإسلامستان) أي جامعة الدول الإسلامية، وذلك بجمع كافة الدول الإسلامية في منظمة واحدة لتُسَير سياستها الخارجية وتحافظ على كيانها واستقلالها. إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل بعد أن وقفت بعض العناصر منها موقفا معارضا. وكان من جملة الأسباب التي أدت إلى فشل هذا المشروع هو سلاح التكفير الذي ناوله الاستعمار ليد بعض المتطرفين ليشهروه في وجوه الذين تبنوا المشروع المذكور لأنهم "قاديانيون ومارقون عن الإسلام".
وقد يظن بعض القراء أن ما أذكره من تدخل الاستعمار في هذه القضية ليس إلا وليد الحدس والظن، إلا أني أؤكد للقراء بأني مطلع كل الاطلاع على تدخل الاستعمار في هذه القضية، إذ أنه حاول أن يستغلني فيها بالذات عام ١٩٤٨م أثناء حرب فلسطين.
كنت حينئذ أحرر إحدى الصحف الفكاهية، وكانت من الصحف الانتقادية المعروفة في عهدها. وقد أرسل إليّ موظف مسؤول في إحدى الهيئات الدبلوماسية الأجنبية في بغداد يدعوني لمقابلته. وبعد تقديم المجاملة وكيْل المديح على الأسلوب الذي أتبعه في النقد، رجاني أن أنتقد الجماعة القاديانية على صفحات الجريدة المذكورة بألذع طريقة ممكنة، لأنها جماعة مارقة عن الدين."

وهكذا يظهر بوضوح كيف أن تلك "الهيئة الدبلوماسية"، أي السفارة الأجنبية التي يلقبها صاحب المقال باسم "الاستعمار"، كانت تهتم بالدفاع عن الدين ضد من تعتبرهم من المارقين، فتستدعي مدير جريدة وتطلب منه أن ينهال بالنقد اللاذع على الجماعة الإسلامية الأحمدية التي تسميها 'القاديانية'، تماما كما يُسميها أعداؤها، لأنها تعتبرها جماعة "مارقة عن الدين".
ويستطرد صاحب المقال:

"فأجبته في بادئ الأمر بأني لا أعلم شيئا عن هذه الجماعة وعن معتقداتها، ولذلك لا يمكنني أن أنتقدها. فزوّدني ببعض الكتب التي تبحث في معتقدات القاديانية، كما أنه زوّدني ببعض المقالات عسى أن تنفعني بعض عباراتها في كتابة مقالاتي الموعودة. واستطعت أن أطلع على بعض عقائد الجماعة من مطالعة الكتب التي زودني بها المسؤول المذكور، والتي لم أجد فيها شيئا يدل على كفرهم حسب اعتقادي. وبعد عدة مقابلات طلبت منه أن يعذرني عن تلك المهمة نظرا لاعتقادي بأن ذلك يسبب الشقاق بين الطوائف الإسلامية في مثل ذلك الوقت بالذات. فأجاب قائلا: ألا إن هؤلاء ليسوا بمسلمين، وقد كفّرهم علماء جميع الطوائف الإسلامية في الهند. فقلت له: إن أقوال علماء الهند ليست أقوى حجة من الآية القرآنية التي تُصرح بألا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا. فما كان منه إلا أن قال غاضبا: وهل أثّرت فيك دعاية القوم فخرجت عن الإسلام وأصبحت قاديانيا وأخذت تدافع عنهم؟ فقلت متهكما: كن على يقين يا هذا، بأني لا أستطيع أن أدّعي بأني مسلم بكل ما في هذه الكلمة من معنى، بالرغم من قضائي عشرات السنين بين المسلمين، فهل تكفي مطالعة بضعة كتب للقاديانية أن تجعلني قاديانيا؟

وقد اطلعت أثناء ترددي على هذه الهيئة بأني لست الوحيد المكلف بهذه المهمة، بل هناك أناس آخرون يشاركونني التكليف. كما أني لم أكن الشخص الوحيد الذي رفض، بل رفضه غيري أيضا.

كان ذلك عام ١٩٤٨م في الوقت الذي اقتُطع فيه جزء من الأراضي المقدسة وقُدّم لقمة سائغة للصهيونيين. وإني أظن أن إقدام الهيئة المذكورة على مثل هذا العمل كان رد فعل للكراستين اللتين نشرتهما الجماعة الأحمدية في ذلك العام بمناسبة تقسيم فلسطين، وكانت إحداهما بعنوان (هيئة الأمم المتحدة وقرار تقسيم فلسطين) التي كانت تبحث في المؤامرات التي دُبّرت في الخفاء بين الاستعمار والصهيونيين، وكانت الثانية بعنوان (الكفر ملة واحدة) وكانت تحث

المسلمين على توحيد الصفوف وجمع المال لمحاربة الصهيونيين وتطهير البلاد المقدسة من أرجاسهم.

هذا ما اطلعت عليه بنفسي في ذلك الحين، وإني واثق كل الوثوق بأن الأحمديين ما داموا يبذلون الجهود لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، ويبحثون عن أسباب تتيح للمسلمين القضاء على دولة إسرائيل اللقيطة صنيعة المستعمرين، فإن الاستعمار لن يتوانى عن تحريك بعض الجهات للتشهير بهم بقصد تشتيت الكلمة." (جريدة "الأنباء" بتاريخ ١٩٥٤/٩/٢١ نقلا عن مجلة التقوى عدد أغسطس وسبتمبر (آب وأيلول) عام ١٩٨٩م)

ولم يتوان الاستعمار بالفعل عن تحريك الكثير من الجهات لعزل الجماعة الإسلامية الأحمدية عن الجماهير المسلمة، والإساءة إليها بكل سبيل، والتشهير بها بجميع الوسائل الوضيعة والخسيسة، التي هي دائما موجودة وجاهزة في ترسانة المؤامرات لدى قوى الاستكبار والاستخبار.

وكان من الطبيعي أن يُستهدف الرجل الذي رفع صوته عاليا مدويا في أروقة الأمم المتحدة دفاعا عن حقوق شعب فلسطين. وبدأ العالم العربي يقرأ هجوما على السيد محمد ظفر الله خان، من بعض أصحاب الأقلام المشبوهة، أو النكرات التي تريد أن تلمع سريعا في معترك الصحافة، وخاصة تلك التي تقبض "العطايا" من سفارات قوى الاستكبار والاستخبار. ولكن سرعان ما استنكر الصحفيون الشرفاء تلك الحملة الظالمة، رغم أنهم ربما لم يفطنوا في ذلك الوقت إلى المحركين الفعليين لها، غير أنهم قاموا بما تمليه عليهم ضمائرهم بالدفاع عما رأوه من الحق، وأشادوا بالخدمات الجليلة التي أدّاها السيد محمد ظفر الله خان للعالم الإسلامي بشكل عام.

وقد نشرت جريدة "المصري" في عددها بتاريخ ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٥٢ مقالا شاملا للأستاذ أحمد أبو الفتح بعنوان: "أنْعِم به من كافر!" تحدث فيه عن مواقف ظفر الله خان الإسلامية المجيدة.

كما ذكرت جريدة مصرية أخرى كانت تصدر في ذلك الوقت وهي جريدة "الزمان"، فقالت في عددها بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٥٢:

"إن الخدمات التي أداها السيد ظفر الله خان للإسلام والمسلمين والتي لا تحصَى، لا يمكن إلا أن تكون محل تقدير وإعجاب من الجميع.... إنني أشعر بأن في عنقي ديْنا نحو هذا الرجل العظيم الذي أدّى خدمات جليلة لبلادي، وإنني في شدة الامتعاض لهذه الفتوى التي أُفتيت بصدد هذا الرجل الكبير."

وفي اليوم التالي نشر الأستاذ خالد محمد خالد، وكان – رحمه الله – أحد الكتاب المصريين المعروفين، مقالا في مجلة "آخر ساعة"، بعنوان: "من هنا نبدأ" وكان ضمن ما قاله فيه:

"أصبح الأبرار كافرين .... وظفر الله خان بالنسبة لنا رجل مسلم كامل الإسلام .... وإذا كان الرجل الذي يواجه الاستعمار في جبروت شامخ من بلاغته وصدقه.. والرجل الذي جعل اللهُ الحقَّ على لسانه وقلبه.. إذا كان هذا الرجل كافرا، فإن كثيرا من الأبرار يودّون، على هذا النحو، أن يصبحوا كافرين ...." (أخبار اليوم ١٩٥٢/٦/٢٦)

ويقول السيد عبد الحميد الكاتب في مقال له نُشر في مجلة "العربي" بتاريخ يونيو (حزيران) ١٩٨٣:

"أما بطل الدفاع عن مشروع فلسطين الموحدة فكان محمد ظفر الله خان الذي حشد في دفاعه عن الحق العربي في فلسطين كل مواهبه وقدراته الخطابية والقانونية والسياسية.. كما كانت خُطَبه تنبض بروح إسلامية صادقة."

لم تُفلح الحملة ضد السيد محمد ظفر الله خان في الوطن العربي، فكان لا بد من إشعالها في وطنه باكستان، خاصة وأن الخونة والمأجورين من حزب الأحرار وجماعة المودودي كانوا يقومون بما يفرضه عليهم أسيادهم من خدمات لقوى الاستعمار والاستخبار. وفي عام ١٩٥٣ اشتعلت فتنة كبرى

في باكستان، على أيدي هؤلاء المأجورين، الذين أشاعوا الفساد والإرهاب، ونظموا المظاهرات والمسيرات التي تنادي بعزل ظفر الله خان، وتصمه بالكفر هو والجماعة الإسلامية الأحمدية. وقد شكلت الحكومة لجنة للتحقيق في حوادث الشغب التي وقعت، ووضعت على رأسها أحد القضاة الشرفاء وهو القاضي "منير"، والذي عُرفت اللجنة باسمه: "لجنة منير". وقد انتهت اللجنة بعد بحث جميع الدعاوي من كل الأطراف بأنه لا يوجد في عقائد الجماعة الإسلامية الأحمدية ما يستدعي اعتبارها جماعة كافرة أو خارجة عن الإسلام. وأدانت اللجنة رؤوس الفتنة من حزب الأحرار والجماعة الإسلامية المودودية.

وألقت الحكومة القبض على أبي الأعلى المودودي زعيم الجماعة الإسلامية، وقُدّم للمحاكمة بتهمة القتل والإرهاب والتحريض على ارتكاب جرائم القتل، وقد أدين وحُكم عليه بالإعدام، إلا أن قوى معينة تدخلت لتخفيف الحكم عنه.

أما السيد محمد ظفر الله خان، فقد استقال بنفسه من منصبه. وبعدها عُرض عليه منصب رئيس محكمة العدل الدولية في لاهاي، حيث إنه كان أحد القانونيين البارزين في العالم، فقبل وأقام في هولندا بعض الوقت بسبب متطلبات منصبه في محكمة العدل الدولية.

* * *

وهكذا تتضح الصورة.. وتظهر خبايا الأحداث التي تلت وفاة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية. هذه هي الصورة التي تحاول قوى الاستخبار والاستكبار أن تفرض عليها تعتيما إعلاميا، حتى لا تعلم الأجيال الحديثة حقيقة ما وقع في الحقبة الماضية. وكما ذكرنا سابقا.. إن اللص قد يجري أحيانا مع الناس وينادي: "امسك حرامي". والمرأة البغي.. حسب المثل المصري: "... تتهيك.. وما فيها تجعله فيك!". وكذلك فإن العملاء والخونة والمأجورين..

يتهمون الشرفاء بالعمالة والخيانة، لكي يبعدوا عن أنفسهم هذه الصفات الوضيعة. ومن هنا كانت الحملة التي قادها ودبرها قوى الاستكبار والاستخبار تؤكد على اتهام مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بأنه كان عميلا للإنجليز، وأنهم هم الذين أوحوا إليه بادعاء أنه الإمام المهدي والمسيح الموعود. وكان غرضهم من هذه الفرية الخسيسة هو عزل الجماعة الإسلامية الأحمدية عن العالم الإسلامي، وزرع بذور الكراهية في قلوب المسلمين ضد هذه الجماعة الطاهرة الشريفة، التي لم تستطع قوى الاستكبار والاستخبار أن تُسيطر عليها، ولا أن تشتري ذمتها بالمساعدات المالية و"العطايا"، ولا أن تستقطبها لتكون ضمن من جندهم لتحقيق مصالحها في الوطن الإسلامي، وللتفريق بين المسلمين.

لقد دارت الأيام الآن.. وفقدت بريطانيا مركزها القيادي في العالم، ولم تعد الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، فقد شاخ الأسد البريطاني وأصابه العجز، وقبع في ركن قنع به، تاركا العالم كله للسادة الجدد: الأمريكان.

أثناء الحرب العالمية الثانية.. كانت بريطانيا تريد استمرار بسط نفوذها على العالم العربي والإسلامي. وهي التي قدمت فكرة إنشاء جامعة الدول العربية التي أنشأوها في منتصف الأربعينيات، وذلك حتى تضمن أن يظل العالم العربي تحت سيطرتها وتوجيهها. وكانت بريطانيا تريد أيضا إحياء الخلافة الإسلامية، لما كانت تعلمه من التفاف المسلمين حول الخليفة العثماني. ولكم قاست بريطانيا وفرنسا من الخلافة العثمانية، ولكن الأتراك أنفسهم.. بقيادة كمال أتاتورك.. قضوا على الخلافة، فأرادت بريطانيا أن تنشئ خلافة جديدة تدين لها بالولاء والطاعة، فتضمن بذلك السيطرة على العالم الإسلامي بأكمله. وكانت مصر.. بثقلها ومركزها في العالم العربي والإسلامي.. هي البديل الطبيعي لتركيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، ولذلك أرادوا لمصر أن تكون مقر الخلافة الجديدة. ووضعت بريطانيا عينها على الملك فؤاد الأول ملك مصر، ولكنه لم

يُعمر طويلا، وخلفه الملك فاروق، الذي حاولوا أن يجعلوا منه خليفة للمسلمين. وفعلا أطلق الرجل لحيته، وبدأ يتردد على المساجد لصلاة الجمعة، التي كانت تذاع كل أسبوع في المذياع، حتى يعلم الناس أن الملك فاروق.. خليفة المستقبل.. رجل مسلم، حريص على تأدية الشعائر الإسلامية، بل وأفتى أحد علماء الأزهر بأن الملك فاروق من نسل النبي!!

ولكن هذه المسرحية الهزلية لم تستكمل فصولها، فقد شاع عن الملك فاروق أنه كان شابا عابثا، يهوَى القمار، ويفتتن بالنساء والغانيات الأوربيات. ومات حلم الخلافة الإسلامية للملك فاروق حين أبدى الملك تعاطفا نحو ألمانيا وإيطاليا أثناء السنوات الحرجة من الحرب العالمية الثانية، مما أثار ضده حفيظة الإنجليز الذين حاصروا قصره بالدبابات وخيروه بين التنازل عن العرش أو قبول وزارة النحاس باشا، في الحادث المشهور بحادث ٤ فبراير (شباط) ١٩٤٢.

وبعد الحرب العالمية.. بدأت الأوضاع العالمية تتغير، وأخذت أمريكا تزيح فرنسا وبريطانيا عن مناطق نفوذهما وتحل هي محلهما، ليس عن طريق الاحتلال العسكري الفعلي، ولكن عن طريق الاحتلال الاقتصادي والثقافي والفكري والاجتماعي، وعن طريق زرع نظام حكومي معين، يدين بالولاء للسادة الأمريكان، وينفذ كل أوامرهم ومتطلباتهم.

ووقع في مصر انقلاب عسكري بمساعدة المخابرات الأمريكية لتغيير نظام الملك فاروق الذي وصل الفساد في عهده إلى الذروة. وكان المتوقع من النظام العسكري الجديد أن يتعاون مع الإخوان المسلمين الذين تبنّوا أفكار المودودي والجماعة الإسلامية في باكستان. ولكن هذا التعاون لم يُكتب له النجاح لعدم اتفاق كافة الأطراف على تقسيم الغنيمة فيما بينهم. وانتهى الأمر بانفراد العسكريين بالسُّلطة والتخلص من الإخوان المسلمين، الذين أُلقي ببعضهم في السجون، بينما هرب الباقي إلى السعودية والكويت.

اعتبر الصديق الأمريكي أن هذا العمل من جانب حكومة العسكريين في مصر خروج على "مقتضيات الصداقة"، ولكن العسكريين لم يأبهوا كثيرا لمقتضيات هذه الصداقة خاصة بعد أن استتب لهم أمر الحكم في مصر، وبعد أن خرج جنود الأسد البريطاني العجوز من مصر، وصارت مصر بأكملها في قبضة جمال عبد الناصر، الذي راح يحلم بأنه سيكون الناصر صلاح الدين الأيوبي، فإن صلاح الدين معروف بين العرب باسم: الناصر صلاح الدين، فيحرر فلسطين ويلقي بإسرائيل في البحر.

رفض الصديق الأمريكي تسليح الجيش المصري عقابا لعدم الالتزام التام بالأوامر التي يصدرها، مما حدا بعبد الناصر أن يتحول إلى المعسكر الاشتراكي. وهكذا كان عبد الناصر يرد صفعة الصديق الأمريكي بصفعة مماثلة. واستمر الحال كذلك إلى أن تحولت أمريكا إلى عدو لدود، فألقت مصر بكليتها في أحضان العالم الاشتراكي. وبات من الواضح أن مصر لم تعد تصلح لمركز القيادة التي كانت تريده لها قوى الاستكبار والاستخبار، فكان لا بد من البحث عن بديل آخر.

في تلك الأيام كان الذهب الأسود يتدفق من أرض السعودية والكويت بكميات مهولة، وتبين أن منطقة الخليج تسبح فوق ما يقرب من ثلاثة أرباع مخزون البترول في العالم. وفي خلال سنوات قليلة تحولت السعودية لتكون هي البديل الذي يجب أن يُعد لقيادة العالم الإسلامي، خاصة وأنه لم يكن من الصعب على حكام السعودية الذين كانوا من أخلص حلفاء بريطانيا، أن يتحولوا بولائهم إلى السادة الجدد: الأمريكان، الذين ارتبطت مصالحهم بالبترول المتدفق من أرض الخليج.

وفي السبعينيات.. بعد نجاح المصريين في عبور قناة السويس، وتحطيم خط بارليف الإسرائيلي، واستعمال العرب لسلاح البترول، كان نجم المملكة السعودية قد صعد إلى كبد السماء. وكان الذهب الأسود الذي يتدفق من

أرض السعودية يجذب الأيدي العاملة من جميع الدول الإسلامية والعربية. وكانت فرص العمل المتاحة هناك تداعب أحلام كل شاب يبحث عن بناء مستقبل له، وكانت منطقة الخليج هي المفرخ الذي تعهد شراذم الجماعات الإسلامية، استعدادا لاستخدامها في الفرصة المناسبة، وحدث تقارب مُريب بين الجماعة الإسلامية في باكستان وبين السعودية، حتى إن أبا الأعلى المودودي الذي كان قد حُكم عليه بالإعدام لتورطه في عمليات الإرهاب والقتل والاغتيال، قد صار من "علماء" المسلمين الذين يستحقون التكريم السعودي، فمُنح جائزة الملك فيصل للبحوث والمعارف الإسلامية (!!)، وتُرجمت كتبه وأُغرقت بها الأسواق العربية والإسلامية.

ثم بدا في السبعينيات أن الفرصة قد حانت مرة أخرى لبسط السيطرة الغربية عموما.. والأمريكية خصوصا.. على العالم الإسلامي، بعد أن تولى الملك فيصل الأمر في السعودية. وبدأنا نسمع عن التنظيمات الجديدة: رابطة العالم الإسلامي، منظمة المؤتمر الإسلامي، منظمة الدول الإسلامية، وغيرها. ثم.. عادت فكرة تأسيس الخلافة الإسلامية لتنصيب الملك فيصل خليفة للمسلمين. ولكن الرجل ارتكب "حماقة" دفع حياته ثمنا لها، وكانت "جريمته" أنه صرّح بأنه يريد أن يُصلي الجمعة في القدس قبل أن يموت. وكان ذلك قبل إبرام معاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل. وأغضب هذا التصريح إسرائيل، وأصدقاء إسرائيل، فعجّلوا بموته قبل أن يصير خليفة، حتى لا يجرؤ أحد أن يجمح به الخيال إلى هذه الدرجة مرة أخرى. ولكن.. لم يُغير هذا من الوضع الاستراتيجي للسعودية، باعتبارها الحليف المخلص الذي يرتبط وجوده ارتباطا وثيقا بالغرب، وترتبط مصالح الغرب باستمرار وجود هذا النظام السعودي الذي أثبت أنه يستطيع أن يؤثر تأثيرا فعالا في الأفكار والمشاعر الإسلامية، كما فعل في جمع وتجهيز المجاهدين لمحاربة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، خدمة لمصالح الصديق الأمريكي، وكما استطاع أن يقود الحملة ضد الجماعة

الإسلامية الأحمدية، خدمة لمصالح قوى الاستكبار والاستخبار.

ومنذ مطلع القرن العشرين.. كانت الجماعة الإسلامية الأحمدية.. بمبشريها ودعاتها.. تغزو أفريقيا، كما كانت تقيم لها مراكز للدعوة والتبليغ في عُقر دار المسيحية.. في أوربا وفي أمريكا. والدول الأوربية والأمريكية تقول دائما إنها دول متقدمة ومتحضرة، وتحترم الحقوق الإنسانية، وتقدس حرية الإنسان في اعتقاد ما يشاء، فلم يكن من الممكن أن ترفض تلك الدول الوجود الإسلامي الجديد، وكانت الجماعة الإسلامية الأحمدية هي أول من أقامت المساجد في الكثير من العواصم والبلاد الأوربية، وبدأت الجهاد بكل حماس، وعمل دؤوب، وجهد متواصل، لكي تنشر الإسلام الصحيح بين ربوع أوربا وأمريكا، وكان ذلك في أوائل العشرينيات من هذا القرن العشرين.

ولا بد أن المبشرين المسيحيين في أوربا وأمريكا، قد أحسوا بالخطر الفادح الذي كانوا يسمعون عنه، على بُعد آلاف الأميال أثناء حياة المسيح الموعود عليه السلام الذي كان يقيم في الهند، فإذا بهذا الخطر يقيم الآن في عقر دارهم، ويجدع أنوفهم، ويُزاحمهم في كل مكان يذهبون إليه. أما بالنسبة للسادة الجدد.. والحكومات الغربية المتسلطة على مقدرات الشعوب، فالأمر بالنسبة لهم ليس فقط أمر ألوهية المسيح وعقيدة الكفارة، إنما الأمر الخطير هو أمر النفوذ والسُلطة والسلطان، فلعلهم تصوروا أن انتشار الإسلام خارج حدود الدول الإسلامية.. التي يعتبرونها متأخرة ومتخلفة، يُعد خطرا يهدد مصالحهم ونفوذهم. وهكذا كان لا بد من احتواء هذا الخطر الجديد، الذي يهدد المصالح الكبرى، فلا يسمحون له بالانتشار داخل البلاد الغربية، أو على الأقل يحدّون من تأثر شعوبهم بالإسلام. ويبدو أن أغراض المبشرين المسيحيين قد تلاقت مع أهداف الدول العظمي، رغم أن نظرة كل منهما لهذا الخطر الجديد، قد تختلف عند كل من الأطراف.

ويبدو أن المؤامرة قد استقرت على السيناريو التالي:

(١) تتولى الدول الإسلامية الصديقة للغرب (ولا نريد أن نقول العميلة)، محاربة الجماعة الإسلامية الأحمدية في داخل الدول الإسلامية بهدف القضاء عليها تماما، وذلك بمنع نشاط الجماعة في تلك الدول، ونشر فتاوى الكفر ضدها، واضطهاد أفرادها وسن القوانين ضدهم، وقتلهم واغتيالهم كلما سنحت الفرصة لذلك. فإذا حاولت الجماعة الإسلامية الأحمدية أن تدافع عن نفسها أو تنتقم من تلك الحكومات، كما تفعل بعض الجماعات الإسلامية الأخرى في الجزائر أو في مصر وغيرها من الدول الإسلامية، فإنها بذلك تعطي الفرصة لحكومات تلك الدول الإسلامية أن تسحقها تماما.

(٢) تتولى الجماعات الإسلامية المتطرفة محاربة الجماعة الإسلامية الأحمدية في الدول الغربية وغير الإسلامية، لتحقيق نفس الهدف والقضاء عليها أيضا، وذلك بنشر الدعايات الكاذبة ضدهم، وترويج فتاوى الكفر عنهم، واغتيالهم وهدم مساجدهم كما حدث بالفعل في الولايات المتحدة والنرويج وترينيداد وغيرها، فإذا دافعت الجماعة الإسلامية عن نفسها، وتقاتلت مع الجماعات الإسلامية الأخرى، أعطى ذلك الفرصة للحكومات الغربية أن تحظر نشاط الجماعة الإسلامية الأحمدية في بلادها، باعتبارها جماعة إرهابية.

(٣) حين يتحارب المسلمون ويتقاتلون بعضهم مع البعض.. يقف الغرب ليقول للعالم كله: انظروا إلى المسلمين الإرهابيين الذين يسفكون الدماء، ويقتلون الأبرياء، ويريدون أن يفرضوا معتقداتهم الدينية بالقوة والإرهاب، فمن من أهل الغرب المتقدمين المتحضرين يقبل الانضمام إلى دين كهذا؟

كانت الخطة إذن هي قتل عصفورين بحجر واحد: محاولة القضاء على الجماعة الإسلامية الأحمدية داخل الدول الإسلامية وخارجها من ناحية، ومن

ناحية أخرى صرف الشعوب الغربية عن قبول الإسلام، بتصويره في وسائل الإعلام على أنه دين الإرهاب والقتل والاغتيال والتأخر الحضاري.

كانت الخطة تبدو محكمة، وخيوط المؤامرة تظهر قوية متلاحمة، ولكنها كانت تفتقد شيئا واحدا، وعلى جانب عظيم من الأهمية: كانت تفتقد التأييد الإلهي.

لقد نسوا في غمرة إفكهم وتآمرهم، أن الجماعة الإسلامية الأحمدية ليست حزبا سياسيا يتمسّح بالدين للوصول إلى كراسي الحكم، أو يستخدم اسم الإسلام للوثوب على السُلطة. لقد نسوا أن الجماعة الإسلامية الأحمدية لا يهمها بتاتا أن تتولى الحكم في أي بلد من البلاد، لأنها جاءت لتغيير القلوب وليس لتغيير نظام الحكم. لقد نسوا أن الجماعة الإسلامية الأحمدية، قد أقامها الله تعالى للقضاء على الفساد في الأرض، وليس لنشر الفساد في الأرض، ولذلك فإنها دائما وأبدا تسير على طريق التقوى المستقيم، ويهتدي أفرادها بهدي الله تعالى وهدي رسوله الكريم، ويسعون على دربه ويأتمرون بأمره، ولذلك أيضا فهم يعطون كل ذي حق حقه.. يؤدون حقوق الله كما يؤدون حقوق العباد من أولي الأمر، كما أمر الله تعالى بذلك، وكما أمر به رسوله الكريم ﷺ، وأيضا كما عبّر عنه المسيح بن مريم عليه السلام حين قال: أعطِ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. وعلى هذا فالجماعة الإسلامية الأحمدية.. حيثما وُجدت.. وأينما كانت.. وفي ظل أي حكومة من حكومات الأرض تأسست.. تلتزم بطاعة القانون في البلد الذي تعيش في ظله، وهي مأمورة من الله تعالى ألا تكون من المفسدين.. فإن الله لا يحب المفسدين. لذلك فهي لا تتآمر، ولا تقاتل أحدا، ولا ترفع راية العصيان على أحد. وإذا قاتلها أحد فإنها تتمسك بالصبر حتى يكشف الله السوء، وإذا اضطهدها أحد فإنها تدعو الله لكي يُثبتها على الإيمان والتقوى إلى أن تنكشف الغمّة. وهي حين تفعل هذا لا تفعله من موقف ضعف، خوفا من قتل واضطهاد، أو أملا في نجاة وسلامة،

فقد قدمت في تاريخها الطويل التضحيات المتواصلة، ولا تزال تُقدم، وجادت بدماء الشهداء من أفرادها، ولا تزال تجود، بشكل لا يمكن أن يُقارن مع أية جماعة أخرى في التاريخ الحديث، وحسبها في ذلك كل الجماعات المؤمنة، التي أقامها الأنبياء عبر العصور، والتي كان لا بد لها من الصبر والثبات، وتقديم الكثير من التضحيات، إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

أما الحكومات الإسلامية التي استعملوها لإرهاب الجماعة الإسلامية الأحمدية والقضاء عليها، فقد سلط الله عليها.. من بين شعوبها ومواطنيها.. الجماعات الإرهابية والجماعات الدينية المتطرفة التي تغتال وتسفك الدماء، وتهلك الحرث والنسل، وتُفتي بكفر وجاهلية المجتمع بأكمله.

وأما الجماعات الإسلامية المتطرفة التي أرادوا أن يستعملوها في بلادهم، لقتال الجماعة الإسلامية الأحمدية ولإرهابها وتخريب مراكزها، فقد انقلبت عليهم وكانت عليهم وبالا وخيما. لقد أتوا بها إلى بلادهم لخدمة أغراضهم، فإذا بها تهدد أمنهم في عقر دارهم، وتنشر الإرهاب والتخريب والفساد في بلادهم، وهكذا وقعت مكائدهم على أنفسهم. ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. ولعل الله تعالى قد استجاب دعاء المسيح الموعود عليه السلام حيث يقول:

يَا رَبِّ سَحِّقْهُمْ كَسَحْقِكَ طَاغِيًا ... وَانْزِلْ بِسَاحَتِهِمْ لِهَــدْمِ مَكَانِهِمْ
يَا رَبِّ مَزِّقْــهُمْ وَفَرِّقْ شَمْلَهُمْ ... يَا رَبِّ قَــوِّدْهُمْ إلى ذَوَبَــانِهِمْ
قَــدْ أَزْمَعُــوا إِضْــلاَلَنَا وَوَبَالَنَا ... فَاضْرِبْ مَكَائِدَهُمْ عَلَى أَبْدَانِهِمْ

* * *

هذا، ولا تزال المؤامرات مستمرة، ويعلم الله ماذا يُحاك للعرب والمسلمين..

ولكن.. إن الله موهن كيد الكافرين.. وإن الله يدافع عن الذين آمنوا..

وإن غدا لناظره قريب..

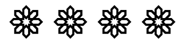
وإن ربك لبالمرصاد.

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولكن..

ألم يأن الأوان لكي يفيق المسلمون ويعلموا أنهم كانوا.. ولا يزالون.. ضحية كذبة كبرى.. يشاركون في نسجها وإقرارها من حيث لا يشعرون؟



Blank

الفصل الرابع عشر

مزيد من البهتان!

الفصل الرابع عشر

مزيد من البهتان!

لا يمكن لكتاب يتناول وقائع حياة سيدنا أحمد عليه السلام.. أن يغفل ذكر بعض الأحداث الهامة التي وقعت.. والتي يحلو لمعارضي الأحمدية أن يذكروها في كل مجال، ويزعموا أنها تقدم الدليل على عدم تحقق النبوءات التي أعلن سيدنا أحمد أنه تلقاها من الله سبحانه وتعالى. ومن تلك النبوءات نبأين.. يختص أحدهما بأقاربه وعشيرته، والآخر يختص بثناء الله الأمرتسري، الذي جعل من نفسه عدوّا لدودا للجماعة الإسلامية الأحمدية ومؤسسها.

ويشيع المعارضون أن النبوءة التي تتعلق بأقاربه وعشيرته هي تلك التي ذكر فيها أن الله تعالى أخبره بأن ابن عمه مرزا "أحمد بيك" سوف يموت إذا لم يزوّجه ابنته البكر، وأنه إذا زوّجها رجلا آخر فسوف يموت زوجها أيضا في خلال سنوات ثلاث، ثم تُردّ الابنة لتكون زوجة لسيدنا أحمد عليه السلام، غير أن الابنة تزوجت من رجل آخر وعاشت معه عمرا طويلا، وبالتالي فهم يزعمون أن النبوءة لم تتحقق.

خلفية الأحداث

ولكي نبين حقيقة هذا الأمر، يحسن أن نكتب باختصار خلفية هذه الوقائع، التي تتعلق بمرزا أحمد بيك وابنته محمدي بيغم، حتى يتبين لكل ذي عينين وبصيرة، أن نبوءة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية قد تحققت بحذافيرها. ولكن معارضي الأحمدية الذين أعماهم التعصب المقيت، لا يستطيعون أن يروا النور، ولا أن يدركوا الحق.

كانت "محمدي بيغم" ابنة أحد أقرباء سيدنا أحمد عليه السلام الأبعدين من ناحية

والده.. يُدعى مرزا أحمد بيك. كان هذا الرجل قد أعلن ارتداده عن الإسلام. ليس ذلك فحسب، بل شارك أيضا مع بعض الأقارب الآخرين في سبّ نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ والتشكيك في صدق القرآن الكريم، وإنكار وجود الله تعالى.

قَلِقَ سيدنا أحمد عليه السلام بالطبع من هذا الموقف الجريء الذي يقفه هؤلاء الأقارب الذين طالما نصحهم أن يكفوا عن إنكار وجود الله تعالى، وشتم النبي الأكرم ﷺ، والطعن في القرآن الكريم كلمة الله المقدسة. ولكنهم أعاروا نصحه آذانا صمّاء، بل كانت استجابتهم الوحيدة الإمعان في العدوان، واحتقار ما يبذله لهم سيدنا أحمد عليه السلام من نصح. وصاروا أشد جرأة في شجب كل مقدسات الإسلام.

وقد كتب سيدنا أحمد عليه السلام عن أعمالهم الشنيعة، فقال بأسلوبه العربي:

"أيها الأعزة.. الآن أقص عليكم من بعض **واقعات** غيبية أظهرني ربي عليها ليجعلها آيات للطالبين. فمنها أن الله رأى أبناء عمي، وغيرهم من شعوب أبي وأمي، المغمورين في المهلكات، والمستغرقين في السيئات، من الرسوم القبيحة والعقائد الباطلة والبدعات، ورآهم منقادين لجذبات النفس واستيفاء الشهوات، والمنكرين لوجود الله ومن المفسدين. ووجدهم أجهلَ خَلْقِه بما يهذّب نفوسهم، وأَلَدَّهم للدنيا الدنية، وأذهلَهم عن ذكر الآخرة، وأغفلَهم عن جلال الله وسطوته وقهره وجوده وأمور العاقبة، والعاكفين على طواغيت الرسوم، الغافلين عن عظمة الله القيوم، والمنكرين للنبي المعصوم، ومن المكذبين. ورأى أنهم يأمرون بالمنكر والشرور، وينهون عن المعروف والخبر المأثور، ويطيلون الألسنة بتوهين رسول الله ﷺ والاستخفاف به، وصاروا للإلحاد والارتداد من المتشمرين. ورأى أنهم يسعون تحت الآثام إلى الآثام، ولا يخافون غضب الله الملك العلام، ولا يتوبون من سب رسول الله ﷺ بل كانوا عليه من المداومين. وكانوا لا يحفظون

فروجهم، ولا يتركون دَوْرَقَهم ودُروجهم، وكانوا على هجو الإسلام من المُصرّين. وكانوا يغضبون غضب السباع مع ظلمة المعاصي والظلم والإيقاع، كأنهم سحاب ركام فيه شغب الرعد والبرق والصاعقة، ولا يخرج قطرة وَدَقٍ من خلاله، فنعوذ بالله من شر المعتدين.

وبينما هم كذلك إذ **اصطفاني** ربي لتجديد دينه، وإظهار عظمة نبـــيه ونشر ريّا ياسمينه ﷺ، و**أمرني** لدعوة الخلق إلى دين الإسلام، وملة خير الأنام، و**رزقني** من الإلهامات والمكالمات والمخاطبات والمكاشفات رزقًا حسنًا، و**جعلني** من المحدَّثين. فبلغ هذا الخبر وهذه الدعوة وهذا الدعوى أبناءَ عمي وكانوا أشد كفرًا بالله ورسوله ومنكرين لقضاء الله وقدره ومن الدهريين. فاشتعل غضبهم حسدًا من عند أنفسهم، فطغوا وبغوا، واستدعوا الآيات استهزاءً، وقالوا لا نعلم إلـــهًا يكلم أحدًا، أو يقدر أمرًا، أو يوحي إلى رجل وينبئ من شيء، إن هو إلا مكر مستمر قد انتاب من الأولين. وكله كيدٌ وخَتْرٌ وذَلاقةُ لُسْنٍ، فليأتنا بآية إن كان من الصادقين. وكانوا يستهزئون بالله ورسوله ويقولون – قاتلهم الله – إن القرآن من مفتريات محمد (ﷺ) وكانوا من المرتدين. وكان القوم كله معهم، ولا يمنعونهم من هذه الكلمات ولا يراجعون، فكانوا يزيدون يومًا فيومًا في كفرهم وطغيانهم، ولم يكونوا من المزدجرين.

فاتفق ذات ليلة أني كنت جالسًا في بيتي، إذ جاءني رجل باكيًا، ففزعت من بكائه فقلت: أجاءك نعي موت؟ قال: بل أعظم منه. إني كنت جالسًا عند هؤلاء الذين ارتدوا عن دين الله، فسبّ أحدهم رسولَ الله ﷺ سبًّا شديدًا غليظًا ما سمعت قبله من فم كافر، ورأيتهم أنهم يجعلون القرآن تحت أقدامهم، ويتكلمون بكلمات يرتعد اللسان من نقلها، ويقولون إن وجود البارئ ليس بشيء، وما من إله في العالم، إن هو إلا كذب المفترين. قلـــتُ: أوَ ما حذّرتك من مجالستهم.. فاتق الله

ولا تقعد معهم وكن من **التائبين.**" (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٥٦٦-٥٦٨)

كانت الهند في تلك المرحلة تحت حكم الإنجليز، وكان المسلمون في حالة يُرثى لها من التمزق والتشتت والضياع، فقد كان الإسلام هدفا لمطاعن الهندوس، وكان المسلمون لقمة سائغة في أفواه المبشرين المسيحيين، الذين شنوا حملات شعواء على جميع العقائد الإسلامية، ولم يتركوا بابا لهدم الإسلام إلا ولجوه، ولا طريقا لنَزْع الإسلام من قلوب الناس إلا سلكوه. ولم يستطع الكثير من المولويين والعلماء أن يواجهوا سهام النقد ونبال الهدم التي انهالت على رؤوسهم، وانتهى الأمر بالكثير منهم أن اعتنقوا المسيحية أو الهندوسية، وتبعهم في ذلك أعداد غفيرة من عامة المسلمين الجهلاء. وأما الكثير من الذين نالوا قسطا من التعليم والثقافة من بين المسلمين، فقد خلب لبهم حضارة الإنجليز والثقافات الغربية، فصاروا من الملحدين. وكان أولاد عمومة سيدنا أحمد عليه السلام من هذه الفئة من الناس، فكانوا يكذبون القرآن المجيد، ويسبون سيدنا محمدا ﷺ، وكانوا بذلك عونا لأعداء الإسلام والهندوس، حتى إنهم نشروا افتراءات كثيرة على الإسلام، في كتاب نشرته صحيفة "جشمة" على أقساط في أغسطس (آب) ١٨٨٥. وعن ذلك يقول سيدنا أحمد عليه السلام:

"... وكذلك سدَروا في غلَواتهم، وجمحوا في جهلاتهم، وسدَلوا ثوب الخيلاء يومًا فيومًا حتى بدا لهم أن يشيعوا خزعبلاتهم، ويصطادوا السفهاء بتلبيساتهم، فكتبوا كتابًا كان فيه سبّ رسول الله ﷺ وسبّ كلام الله تعالى، وإنكار وجود البارئ عز اسمه، ومع ذلك طلبوا فيه آيات صدقي مني وآيات وجود الله تعالى، وأرسلوا كتابهم في الآفاق والأقطار، وأعانوا بها كفرة الهند، وعتَوا عُتُوًّا كبيرًا، ما سمع مثله في الفراعنة الأولين.

فلما بلغني كتابهم الذي كان قد صنفه كبيرهم في الخبث والعمر،

ورأيتُ فيه سبّ رسول الله ﷺ سبّا ينشق منه قلب المؤمنين، وتتقطع أكباد المسلمين، ورأيتُ فيه كلمات الأراذل والسفهاء، وتوهين الشريعة الغراء، وهجو كلام الله الكريم، **فغضبت أسفا**، ونظرت فإذا الكلماتُ كلمات تكاد السماوات يتفطرن منها. فتحدرت عبرات من مَذارف مآقي، وتصعدت زفراتي إلى التراقي، وغلب علي بكاء وأنين. فغلّقت الأبواب، ودعوت الرب الوهاب، وطرحت بين يديه، وخررت أمامه ساجدًا، وقرمتُ إلى نُصرته متضرعًا، وفعلتُ ما فعلتُ بلساني وجناني وعيناي ما لا يعلمها إلا رب العالمين. وقلتُ: يا رب.. يا رب انصر عبدك واخذل أعداءك. استجبني يا رب استجبني. إلامَ يُستهزأ بك وبرسولك؟ وحتّامَ يكذّبون كتابك ويسبّون نبيك؟ برحمتك أستغيث يا **حي يا قيوم يا معين.**" (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٥٦٨- ٥٦٩)

يتضح من هذا الدعاء بجلاء أنه لم يكن هناك أي دافع شخصي للخلاف بين سيدنا أحمد عليه السلام وأسرة محمدي بيغم كما يزعم خصوم الأحمدية، بل بالعكس.. لقد ابتهل عليه السلام أن يخزي الله أعداء الإسلام الذين أنكروا وجود الله جل جلاله وسبّوا نبيه ﷺ وعابوا كتابه القرآن الكريم. ونستكمل حديث سيدنا أحمد عليه السلام حيث يقول:

"فرحم ربي على تضرعاتي وزفراتي وعبراتي، وناداني وقال: إني رأيت عصيانهم وطغيانهم، فسوف أضربهم بأنواع الآفات، أُبيدهم من تحت السماوات، وستنظر ما أفعل بهم، وكنا على كل شيء قادرين. إني أجعل نساءهم أرامل، وأبناءهم يتامى، وبيوتهم خربةً، ليذوقوا طعم ما قالوا وما كسبوا، ولكن لا أهلكهم دفعة واحدة، بل قليلا قليلا لعلهم يرجعون، ويكونون من التوابين. إن لعنتي نازلة عليهم وعلى جدران بيوتهم وعلى صغيرهم وكبيرهم ونسائهم ورجالهم ونزيلهم الذي دخل أبوابهم، وكلهم كانوا ملعونين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات،

وقطعوا تعلقهم منهم، وبعُدوا من مجالسهم، فأولئك من المرحومين.
هذه خلاصة ما ألهمني ربي، فبلّغت رسالات ربي، فما خافوا وما صدقوا، بل زادوا طغيانًا وكفرًا، وظلّوا يستهزئون كأعداء الدين. فخاطبني ربي وقال: إنا سنريهم آيات مُبكية، وننــزل عليهم هموما عجيبة، وأمراضًا غريبة، ونجعل لهم معيشة ضنكًا، ونصبّ عليهم مصائب فلا يكون لهم أحد من الناصرين." (المرجع السابق ص ٥٦٩-٥٧٠)

كان هذا هو الوعيد الذي تلقاه سيدنا أحمد الطَّيِّلاً في شأن هؤلاء الناس، وهو وعيد بنُزول غضب الله عليهم، ولكنه وعيد مشروط.. إذ يلاحظ القارئ في المقطع السابق الجملة التي تقول:

"ولكن لا أهلكهم دفعة واحدة بل قليلا قليلا، لعلهم يرجعون ويكونون من التوابين."

وكذلك ورد الاستثناء من لعنة الله في ذلك المقطع:

"إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقطعوا تعلقهم منهم وبعدوا عن مجالسهم، فأولئك من المرحومين."

وليس هذا بمستغرب من أرحم الراحمين، فإن الله تعالى لا يعذب الناس من أجل العذاب، ولكن من أجل تخويفهم حتى يرجعوا عن غيهم ويتوبوا إليه فيكونوا من المؤمنين الذين يعملون الصالحات. يقول تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء:١٤٨)

وكذلك يقول:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (السجدة:٢٢)

في تلك الفترة كانت العلاقة بين سيدنا أحمد الطَّيِّلاً وبين أبناء عمومته على جانب كبير من التوتر، حتى إنها كانت شبه منقطعة. ولكن الله أراد أن يحرك

الأحداث حتى يُظهر آيته، ويُحقق وعيده، ويظهر تأييده لعبده المسيح الموعود عليه السلام. فقد حدث أن أراد مرزا أحمد بيك أن يُسجل باسمه بعض أملاك أخته التي آلت إليها من زوجها المفقود، وكانت أخته تريد أن تهب أخيها هذه الأملاك، ولكي يتم هذا التسجيل قانونيا كان لا بد من الحصول على موافقة سيدنا أحمد عليه السلام، فقد كان المفقود.. زوج أخت أحمد بيك.. من أقارب سيدنا أحمد و لم يكن له ولد، فكان سيدنا أحمد عليه السلام ضمن الورثة الشرعيين، وكان لا بد له من التنازل عن حقه في الميراث حتى يستطيع مرزا أحمد بيك أن ينقل الإرث باسمه. وعلى ذلك كان مرزا أحمد بيك ملزما لتحقيق رغبته بالذهاب إلى سيدنا أحمد عليه السلام ومقابلته طالبا منه الموافقة على التنازل.

كان مرزا أحمد بيك.. رغم الجفاء الشديد بين عائلته وبين سيدنا أحمد عليه السلام.. يعلم أنه رجل لا يطمع في أملاك هذه الدنيا، ولا يهتم بعقار أو ثراء، فكان على يقين أن سيدنا أحمد لن يرفض طلبه، وفعلا لم يُبد سيدنا أحمد عليه السلام أية معارضة على طلب أحمد بيك، غير أنه كعادته.. لا يقطع أمرا بغير أن يأذن له الله به، ولذلك فقد أوضح لمرزا أحمد بيك نيته بالتوجه إلى الله تعالى لطلب الإرشاد والتوجيه منه، فوافق أحمد بيك على الانتظار.

ويصف سيدنا أحمد عليه السلام هذه المرحلة فيقول:

"... ولما قرب وقت ظهور الآية اتفق في تلك الأيام أن واحدًا من أعزّ أعزّتهم الذي كان اسمه "أحمد بيگ"، أراد أن يملك أرض أخته التي كان بعلها مفقود الخبر من سنين، وكان هو ابن عمي، وكانت الأرض من ملكه، فمال أحمد بيگ أن يخلص الأرض من أيدي أخته ويستخلصها، وأن يستخرجها من قبضتها ثم يقتنصها، وأرادت هي أن تهبها وتمنّ على أخيها. وكنا لها ورثاء جميعًا على سواء، فرضي أبناء عمي لوجه بهذا، بما كانت أختهم تحته وبما كانوا له أقربين. كذلك. نعم، قد كان لي حق غالبًا عليهم، ولأجل ذلك ما كان

لهم أن يهبوا الأرض قبل أن أرضى وأكون من الرّاضين.

فجاءت امرأة أحمد بيــگ تطرح بين يدي لأترك حقي، وأرضى بهذه الهبة، ولا أكون من المنازعين. فكدتُ أرحم عليها وأهب الأرض لها تأليفًا لقلوبهم لعلهم يتوبون ويكونون من المهتدين. ثم خشيت شر الاستعجال، في مال الغائب الذي هو مفقود الخبر والحال، فخوّفني تَبِعةُ أثماره وما فيه من الوبال. فاستحسنتُ استفتاء العليم الحكيم، وترقُّب إعلام الرب الرحيم، لأكون بَرِيًّا من غصب حق غائب، ولا أكون من ضيمي كقائبٍ، وأخرج من الذين يظلمون شركاءهم ويتركونهم كخائب، وكانوا في حقوقهم راغبين، ولا يخافون أن يأخذوهم مفاجئين. فارتدعت عن الهبة ارتداع المرتاب، وطويت ذكره كطيِّ السجلّ للكتاب، وكنت لحكم الله من المنتظرين.

وكنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، وما كدت أن أظن أنها قضية قد أراد الله بها ابتلاء قوم كانوا من المعتدين، الذين غلبت عليهم المجون والخلاعة والإباحة والدهرية، والتحقوا بالكفار بل كانوا أشد كفرًا منهم وكانوا قومًا فاسقين. فقلت لامرأة أحمد بيــگ: ما كنت قاطعًا أمرا حتى أؤامر الله تعالى فيه، فارجعي إلى خِدْرك، وبلّغي ما سمعت أبا عُذْرك، وستجدينني – إن شاء الله – من المخلصين.

فذهبت، وأتى بعلها يسعى، فألح عليّ كالمضطرين، وكان يخبِط كخبط المصابين، حتى أبكاه كُرْبتُه، وذوَتْ سكينته، وفاءَ إلى التضرع والاقشعرار، وكان أحشاؤه قد التهبت بطَوَى العَقار، وكان يتنفس كالمخنوقين. ووجدته بوَجْدِه المتهالك كأنّ الهم سيجدِله، والغم يُفيح دمه، ويصول عليه الحزن كمغتالين. فلما رأيت صَغْوَه وحزنه قد بلغ مراتب كماله، أخذني التحنن على حاله، وأشفقت على عينه ومبكاها، وقصدتُ أن أُريه يد النصرة وجدواها وعدواها، فأسرعت إلى تسليته كالمواسين. فقلت لــه: والله ما زاغ قلبي وما مال، وما أنا من الذين يحبون المال، بل من الذين يتذكرون المآل والآجال، ولستُ شحيحًا

على النعم كالذين هم كالنَّعم، وإنني أرحم عليك وسأُحسن إليك، وأعلم أن أنفَسَ القربات تنفيس الكربات، وأمتَنَ أسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات، وكنت لنصرتك من المتأهبين. ولكن أيم الله، لقد عاهدت الله على أنني لا أميل إلى أمرٍ فيه شبهة، ولا أضع قدمًا في موضع فيه زلـــة، ولا أتلو المتشابهاتِ حتى أؤامر ربّي فيها، فالآن أفعل كذلك وأرجو من الله خيرًا، فلا تكوننّ من القانطين. وإني أرى أن المؤامرة أقرب للتقوى، لأن الوارث مفقود، وما نتيقن أنه مات أو هو حي موجود، فلا يجوز أن يستعجل في ماله كمال الميتين. فالأولى أن تقصُر عن القيل والقال، حتى أؤامر ربي عالم الغيب ذا الجلال، وأستقري سبل اليقين. قال: ما مني خلاف، فلا يكن لوعدك إخلاف. قلت: كل وعدي مشروط بأمر رب العالمين. فذهب وكان مِن وجده الذي تيّمه كالمعتلّين.

فتيمّمت حجرتي، والتزمت زاوية بقعتي، أتجشم إلى الله تعالى ليظهر عليّ أمره، ويفلِق حَبَّ الحقيقة من نواتها، ويُري لبّ الأمر وقشره. فوالله ما أمسكتُ ريثما يُعقَد شِسْع، أو يُشَدّ نِسْع، إذا الوسَن أسرى إلى آماقي، وأُلهمتُ من الله الباقي، وأُنبئت من أخبار ما ذهب وَهْلي قط إليها وما كنت إليها من المستدنين. فأوحى الله إلي أن اخطُبْ صبيته الكبيرة لنفسك، وقل لـــه: ليصاهرك أولا ثم ليقتبس من قبسك، وقل: إني أُمرت لأهبك ما طلبتَ من الأرض، وأرضًا أخرى معها، وأُحسن إليك بإحسانات أخرى، على أن تُنكحني إحدى بناتك التي هي كبيرتها، وذلك بيني وبينك فإن قبلت فستجدني من المتقبلين. وإن لم تقبل فاعلم أن الله قد أخبرني أن إنكاحها رجلا آخر لا يبارَك لها ولا لك، فإن لم تزدجر فيصبّ عليك مصائب، وآخر المصائب موتك، فتموت بعد النكاح إلى ثلاث سنين، بل موتك قريب، ويرِد عليك وأنت من الغافلين. وكذلك يموت بعلها الذي يصير زوجها إلى حولين وستة أشهر، قضاءً من الله، فاصنع ما أنت صانعه، وإني لك لمن

الناصحين. فعبس وتولى وكان من المعرضين.
ثم كتبت إليه مكتوبا بإيماء منّاني، وإشارة رحماني، ونمّقت فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فاسمع أيها العزيز! ما لك اتخذت جِدّي عبثا، وحسبتَ تبري خبثا؟ ووالله ما أريد أن أشقّ عليك، وستجدني إن شاء الله من المحسنين. وها أنا أكتب بعهد موثق، فإنك إن قبلتَ قولي على رغم أنف قبيلتي، فأفرض لك حصة في أرضي وخميلتي، ويرتفع الخلاف والنـــزاع بهذه الوصلة من بيننا، ويصلح الله قلوب شعبي وعشيرتي، وفي كل مُنيتك أقتفي صَغْوَك، وأزيل قَشْفَك، فتكون من الفائزين لا من الفائزين.

والحق والحق أقول.. إني أكتب هذا المكتوب بخلوص قلبي وجناني، فإن قبلت قولي وبياني، فقد صنعت لطفًا إليّ، وكان لك إحسانا عليّ، ومعروفًا لدي، فأشكرك وأدعو زيادة عمرك من أرحم الراحمين. وإني أقيم معك عهدي، أني أعطي بنتك ثُلُثًا من أرضي ومن كل ما ملكته يدي، ولا تسألني خُطة إلا أعطيك إياها، وإني من الصادقين. ولن تجد مثلي في رعاية الصلة ومودة الأقارب وحقوق الوُصلة، وتجدني ناصر نوائبك، وحامل أثقالك، فلا تضيّع وقتك في الإباء، ولا تستنكر حبِّك ولا تكونن من الممترين.

وها أنا كتبت مكتوبي هذا من أمر ربي لا عن أمري، فاحفَظْ مكتوبي هذا في صندوقك فإنه من صدوق أمين. والله يعلم أنني فيه صادق، وكل ما وعدت فهو من الله تعالى، وما قلت إذ قلت ولكن أنطقني الله تعالى بإلهامه، وكانت هذه وصية من ربي فقضيتها. ما كان لي حاجة إليك وإلى بنتك، وما ضيق الله علي، والنساء سواها كثيرة، والله يتولى الصالحين. فلا تنظر إلى مكتوبي بعين الارتياب، فإنه كتبته بإمحاض النصح والتزام الصدق والصواب، ودَعِ الجدال

وانتظر الآجال، فإن مضى الأجل وما حصحص الصدق فاجعل حبلا في جيدي، وسلاسلا في أرجلي، وعذِّبْني بعذاب لم يعذب به أحد من العالمين.

كنتم قد طلبتم آية من ربي، فهذه آية لكم. إنه يأخذ المنكرين من مكان قريب، ويختار ما كان أقرب التعذيبات في حقهم، وأدنى من أفهامهم، وأشد أثرًا في أعراضهم وأجسامهم، ليري المحتالين ضعفهم ويكسر كبر الضائمين.

هذا ما كتبتُ إلى أحمد بيــگ في سنة ١٣٠٤، فأعرض وأبى، وسكت وبكت، وعاف وُصْلتي وصلتي، وضاق ذرعًا من نميقتي، وكان من المعادين. ومعه عاداني قومه وعشيرته الذين كانوا أقربين. وكانوا يعافون أن يزوّجوا بناتِهم أقاربَ مثلي، أو يزوجوا امرأً تحته امرأة أخرى. وكانت بنته هذه المخطوبة جاريةً حديثة السن عذراء، وكنت حينئذ جاوزت الخمسين. وكان جذوة المعاداة متطايرة، ونارها ملتهبة، فزيّن القدر لنَصَبِه ووَصَبِه هذه الموانع في عينيه، فصار من المرتدعين. وكان يعلم صدقي وعفتي، وبالله ثقتي ومِقتي، ولكن غلبت عليه الشَّقْوة وأنساه عاهتُه نباهتي، فكان من المنكرين المعرضين.

وما عراني حزن من ذلك الإنكار، بل فرحت فرحة المطلق من الإسار، وهزة الموسر بعد الإحسار، وكنت كتبتُ إليه بإيماء الله القهار، فعلمتُ أن الله أتم حجته عليه وعلى عشيرته ولم يبق له الاعتذار، وعلمت أنه سيجعل كلماتي حسراتٍ على قلوبهم فسيذكرونها باكين.

ثم غلب قلبَه ذعر وضجر، وفجعه إلهامي، فمكث خمس سنين لا يزوج أحدًا بنته ولا يخطب خيفة من وعيد الله، وصار كالمتشحطين."

(المرجع السابق ص ٥٧٠- ٥٧٥)

وهكذا تتضح حقائق الأمور في هذه القضية.. توجه سيدنا أحمد عليه السلام إلى الله بالدعاء في هذه المسألة وطلب منه تعالى أن يرشده في هذا الأمر، فتلقى من

الله تعالى وحيا يرشده إلى أن يطلب من مرزا أحمد بيك أن يزوجه ابنته، وأخبره سبحانه بأنه إذا تم هذا الزواج فسيكون مصدر بركة من الله تعالى لهم جميعا، وأمّا إذا رفض أحمد بيك تزويجها لسيدنا أحمد الطَّيِّلاً وزوّجها لشخص آخر، فسوف يموت أبوها ويموت زوجها خلال ثلاث سنوات من يوم النكاح، ثم إذا مات كلاهما يتم زواج سيدنا أحمد من تلك الفتاة، مع الأخذ في الاعتبار أن الإهلاك بالموت هو عقاب لمن لا يرجع عن غيه ولا يكون من التوابين، أما إذا نجا أحمد بيك من الموت أو إذا نجا الزوج من الموت، فسوف تكون هذه النجاة دليلا على قبول الله تعالى لتوبتهم، وبالتالي فسوف يعصمهم ذلك من استمرار نزول العقاب عليهم. وقد شرح سيدنا أحمد الطَّيِّلاً هذا الأمر وأوضحه بكل جلاء، إذ أنه كثيرا ما كتب عن ذلك، فكان مما قال:

١) "يموت بعلها وأبوها إلى ثلاث سنوات من يوم النكاح، ثم نردها إليك بعد موتهما، ولا يكون أحدهما من العاصمين." (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية ج ٧ ص ١٦٢)

٢) "كذبوا بآياتنا وكانوا بها يستهزؤون، فسيكفيكهم الله ويردها إليك، لا تبديل لكلمات الله إن ربك فعّال لما يريد." (مجموعة الإعلانات ج ١ ص ١٥٨، الإعلان في ١٠ يوليو ١٨٨٨م)

٣) "لا أهلكهم دفعة واحدة بل قليلا قليلا لعلهم يرجعون ويكونون من التوابين." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٥٦٩)

٤) ولقد حذرهم مرة سيدنا أحمد الطَّيِّلاً من أن الله تعالى قال:

[كل فرع من أبناء عمومتك سوف يُقطع وينتهي بلا ذرية. إذا لم يتوبوا فإن الله سوف يرسل عليهم البلاء بعد البلاء حتى يهلكهم. سوف تمتلئ بيوتهم بالأرامل وسوف ينْزل غضبه على جدرانهم.] (جريدة رياض الهند بتاريخ ١٨٨٦/٢/٢٠)

٥) وفي مناسبة أخرى حذر سيدنا أحمد الطَّيِّلاً أحد أعمام محمدي

بيغم – مرزا إمام الدين– أن الله تعالى قدّر معاقبته إذا لم يتب، ومع ذلك صرّح سيدنا أحمد العَلِيْهِ السَّلام بأن الله تعالى أخبره بما تعريبه:

"إذا تاب، حسنت خاتمته، ورغم التحذير يفوز بالراحة". (سرمه جشم آريا (كحل عين الآرايا)، الخزائن الروحانية ج ٢ ص١٩١)

٦) وكتب سيدنا أحمد العَلِيْهِ السَّلام في مناسبة أخرى فقال ما نصه:

"فألهمت من الرحمن أنه معذبهم لو لم يكونوا تائبين. وقال لي ربي: إن لم يتوبوا ولم يرجعوا فنُنَزّل عليهم رجسًا من السماوات، ونجعل دارهم مملوءة من الأرامل والثيبات، ونتوفاهم أباتر مخذولين. وإن تابوا وأصلحوا فنتوب عليهم بالرحمة، ونغيّر ما أردنا من العقوبة، فيظفرون بما يبتغون فرحين." (أنجام آتهم، الخزائن الروحانية ج ١١ ص ٢١٢)

لقد أراد الله تعالى أن يُظهر آية لهؤلاء الناس الذين طغوا وأنكروا وجوده وسبوا نبيه، وكانوا يطالبون سيدنا أحمد أن يُظهر لهم آية في أنفسهم، فحرك سبحانه المقادير حتى إنه أتى بأحمد بيك إلى دار سيدنا أحمد العَلِيْهِ السَّلام ملتمسا منه قضاء حاجة له. فأمر الله تعالى عبده المسيح الموعود أن يطلب منه زواج ابنته، حتى إذا تمت الموافقة على هذا الزواج يكون هذا دليلا على تغير مسلكهم تجاه الإسلام ومؤسسه ﷺ والقرآن الكريم، سيدنا أحمد، ويمكن لهم بالتالي ان يستفيدوا من روحانيته وهديه، فيكون لهم حظ إصلاح أمورهم، وتحوّلهم إلى جانب الله تعالى. وأمّا إذا رفضوا هذا الزواج، وزوّج أحمد بيك ابنته من رجل آخر، فإن هذا يعني أنهم ما زالوا يصرون على إفكهم وتعاليهم وتكبرهم وجبروهم، وفي تلك الحالة كان لا بد من نزول العقاب، حتى يفيقوا من غلوائهم ويعودوا إلى الله تعالى، ولكن العقاب لن يحل عليهم مرة واحدة، بل قليلا قليلا.. حتى إذا تابوا وأصلحوا فإن الله يرحمهم ويتوب عليهم. وذكر

ﷻ أن الذي يعصمهم من نزول العذاب هو أن لا يموت أحمد بيك أو لا يموت زوج ابنته.. بمعنى أنه إذا تاب أحدهما وأصلح، فإنه سيكون عاصما للآخرين من استمرار وقوع العذاب عليهم، وذلك كما تبينه الكلمات المذكورة آنفا: "ولا يكون أحدهما من العاصمين." أما إذا مات أحمد بيك، ومات أيضا زوج الابنة، فإن الله سوف يستمر في إنزال عقابه عليهم إلى أن يردها إلى سيدنا أحمد عليه السلام.

لم يكن سيدنا أحمد عليه السلام بحاجة إلى الزواج، فقد كان متزوجا من سيدة فاضلة تقية سليلة عائلة من الأشراف.. أي من نسل رسول الله ﷺ، وكان زواجا سعيدا ومباركا.. وقد رزقه الله تعالى منها ذرية صالحة. ولكن الله تعالى أراد من زواجه بابنة أحمد بيك أن يفتح أمام هؤلاء الناس باب التقارب مع عبده المسيح الموعود عليه السلام، وبالتالي يمهد لهم طريق التوبة، كما حدث حين تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة، وبذلك صار زواج كل منهما سببا لتغيير العداوة بين أسرتيهما وبين رسول الله ﷺ حتى انتهى الأمر بدخولهما في الإسلام.

على أية حال، كان سيدنا أحمد عليه السلام قد رأى رؤيا فكتب عنها يقول:

"... رأيت هذه المرأة وأثر البكاء على وجهها، فقلت أيتها المرأة توبي توبي.. فإن البلاء على عقبك، والمصيبة نازلة عليك، يموت.. ويبقى منه كلاب متعددة." (مجموعة الإعلانات ج١ ص١٦٢، الإعلان في ١٥ يوليو (تموز) ١٨٨٨م)

والمرأة المشار إليها في هذه الرؤيا هي كبيرة العائلة.. وهي جدة محمدي بيغم لأمها.. وقد ظهر على وجهها أثر البكاء، فنصحها سيدنا أحمد عليه السلام أن تتوب إلى الله، وأنذرها بأن البلاء سوف يحل على عقبها أي على نسلها، وأن شخصا ما سوف يموت.. ولكن تبقى بعد موته كلاب كثيرة. وكانت هذه الرؤيا تشير بوضوح أن مرزا أحمد بيك سوف يموت، ومعنى هذا أنه لن يتوب إلى الله، وأنه

سوف يرفض تزويج ابنته له، وسوف يزوّجها لشخص آخر، ومن ثم سوف يحل عليه العقاب، ويموت كما جاء في الوعيد الذي تلقاه عنه سيدنا أحمد عليه السلام.

وبالفعل.. لما تلقى أحمد بيك طلب زواج سيدنا أحمد عليه السلام من ابنته غضب وثار، واستنكرت العائلة كلها أن يتطاول سيدنا أحمد إلى حد أن يطلب زواجه من ابنتهم، و لم يدركوا الحكمة وراء هذا الزواج وأنه سيكون بركة عليهم وسببا لهدايتهم إلى الحق. وامتنع الأب عن تزويج ابنته لفترة من الوقت.. بلغت خمس سنوات، ولكن.. مع مرور السنين والأيام وتطاول الزمان، تسرب النسيان إلى القلوب والأذهان، فلم يلقوا بالا ولا اكتراثا للوعيد الذي أعلن سيدنا أحمد عليه السلام أنه تلقاه من الله تعالى في شأنهم، وحسبوا أنه ليس سوى خيالات واهية افتراها سيدنا أحمد ليخوّفهم بها. ولذلك فقد عقد أحمد بيك العزم على تزويج ابنته، وزوّجها بالفعل من سلطان محمد. وكان ذلك في ٧ أبريل (نيسان) ١٨٩٢م.

وإزاء هذا التحدي.. بدأ الأعداء والأصدقاء على السواء يرقبون ما تأتي به الأيام.. أمّا الأصدقاء فلم يساورهم أي شك في صدق سيدنا أحمد عليه السلام، ولكن الأعداء راحوا يتهكمون ويتطاولون عليه، ويتحدّونه بأن مدة السنوات الثلاث سوف تنقضي ولن يحدث شيء لمرزا أحمد بيك، فهو في صحة جيدة، وهو في مقتبل عمره، وأمامه الكثير من السنين يعيشها رغم أنف النبوءات التي أعلنها سيدنا أحمد عليه السلام.

ومرت الأيام والشهور، وبمرور كل يوم.. كانت تزداد أفراح الأعداء وسخريتهم وتهكماتهم، بأن سيدنا أحمد عليه السلام وهو الذي قارب الستين من العمر كان يريد بتنبؤاته زواج صبية صغيرة، فراحوا يُسقطون شخصياتهم الفاسقة على دوافع مقاصده العفيفة الطاهرة، وزينت لهم عقولهم الفاجرة

وخيالهم المريض أن يرموه بكل وصف فظيع، وينسبوا إليه كل هدف وضيع، فشابهوا بمسلكهم هذا أولئك الفجرة الذين وجهوا لرسول الله ﷺ مثل هذا النقد الداعر والغرض الفاجر لزواجه من السيدة زينب بنت جحش.. مطلقة متبناه زيد ؓ. ولكن أفراح الخصوم والأعداء لم تدم وسعادتهم لم تطل.. إذ بعد مرور أيام من زواج محمدي بيغم.. ماتت جدتها، وتبعها موت اثنتين من شقيقات مرزا أحمد بيك والد محمدي بيغم، ولم تنقض الشهور الستة الأولى بعد زواج محمدي بيغم من سلطان محمد، حتى مات فجأة والدها مرزا أحمد بيك في ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٨٩٢.

كانت وفاة مرزا أحمد بيك المفاجئة صدمة شديدة لجميع العائلة، فقد رأوا بأعينهم أن الوعيد الذي تلقاه سيدنا أحمد في شأنهم قد تحقق، وأن ذلك الوعيد كان بالفعل من وحي الله تعالى، وليس مجرد هذيان رجل خرف يريد الزواج من صبية صغيرة كما كانوا يظنون.

وكتب سيدنا أحمد عليه السلام عن ذلك فقال:

"... فلما أنكحها فما مضى عليه إلا قريبًا من ستة أشهر إلا وقد أخذه الله وسلّط عليه داءً كالأرضة، وفوضه إلى قبضة المرضة، وعَرْكة الوعكة، إلى أن أذهب حواسَّه الأَنَفُ، واستشفّه التلف، حتى نضَّى عنه قدر الله ثوب المحيا، وسلمه إلى أبي يحيى، ومات بميتةٍ محسرة، ونارٍ تطلع على أفئدةٍ، ورحل بالكربة والغم الغابر، وكم حسرات في بطون المقابر، وإن في هذا لآيات للمنكرين.

وعرا أهلَه وأقاربه ضجر ومصيبة، كانوا يضربون وجوههم من وبالِ الدُّرَخْمين. وهم الذين كانوا يقولون ما نعلم ما الله، إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين. فوجدوا وجدًا عظيما لفوت لقياه، وانقطاع سقياه، وبما رأوا أن الإلهام قد أرى سناه، وتراءت من كشف ساقه ساقاه، وظهرت من بدء أمره منتهاه، فكانوا

مع حزنهم متخوّفين. ما تمضمضتْ مُقلتهم بنومها في تلك الأيام، ولا تمخضت ليلتهم عن يومها لغلبة هذا الظلام، وأحلّهم نزيل المصائب، فأحضروه شِواةَ الكبد وماء الأنين. فلما بلغهم نعيُ الحِمام، ووعيُ اللاطمات على وجوههم والحاطماتِ هامَهم بذكر الراحل عن المقام، انثالوا إلى عَقْوته موجفين، وإلى دويرته الخربية موفضين. فأسالوا الغروب، وعطّوا الجيوب، وصكّوا الخدود، وشجّوا الرؤوس، وكانت النساء قلن في نياحتهم: قد أصبح اليوم عدونا، الذي أنبأنا قبل الوقت، من الصادقين.

فتفكروا أيها الطلاب.. **أهذا أضغاث أحلام؟ أهذا افتراء إنسان؟** واسألوا أهل المتوفى الذين يتندمون في أنفسهم، ويبكون على ميتهم، ويقولون: **يا ويلنا إنا كنا خاطئين.**" (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٥٧٥- ٥٧٦)

وهكذا.. بموت مرزا أحمد بيك فتح الله تعالى باب العذاب أمام هذه العائلة، ولكن.. كما أنه سبحانه أحكم الحاكمين.. فهو أيضا أرحم الراحمين، وكما أنه يفتح بابا للعذاب.. فإنه كذلك يفتح أبوابا للرحمة. ومما سجلته الوقائع أن أسرة مرزا أحمد بيك قد توقفت بعد ذلك عن أسلوب البذاءة نحو الله تعالى ورسوله الكريم وكتابه المجيد، وأخذت الأسرة تتحول نحو الإسلام طلبا للمغفرة، وسعى أعضاؤها إلى طلب العفو عن سوء أفعالهم، وتوسلوا إلى سيدنا أحمد عليه السلام أن يدعو الله عز وجل كي يرفع عنهم برحمته الواسعة ما قدّر لهم من عذاب، ويزيل عنهم اللعنة التي كُتبت عليهم. وقد اغتنم مرزا سلطان محمد زوج محمدي بيغم الفرصة، وأعلن توبته وبراءته من كل أمر يُنافي الإسلام. وهكذا خاف الجميع بطش الله تعالى، فرجعوا إليه وندموا على ما فعلوا، وأصلحوا من أعمالهم، فاستنـــزلوا رحمة الله عليهم، وبذلك فقد عصمهم مرزا سلطان محمد من استمرار نزول العذاب عليهم، حسب الوعد القائل:

[ولا يكون أحدهما من العاصمين]

وتحقق بذلك النبأ الذي قال الله تعالى فيه:

[لا أهلكهم دفعة واحدة بل قليلا قليلا لعلهم يرجعون ويكونون من التوابين]

وكتب سيدنا أحمد الَّيْكِلاَ عن هذه المرحلة فقال:

"... ولما بلغ نساءَهم نعيَ موتِ أحمد، وكنَّ من قبل كرجلٍ أكفرَ وأكنَدَ، عَطَطْن جيوبَهن وأسَلْنَ غُروبَهن، وصَكَكْن خدودَهُن وتذكّرن عُنودَهن، وهاجت البلابلُ، وانقضَّ عليهن من المصائب الوابلُ، واهتزّت الأرضُ تحتَ أقدامهن، ثم تمثَّلَ موتُ الختن في أوهامهن، وطفقْن يقُلن والدموعُ تجري من العُيون، هذا ما وَعَدَ الرَّحمنُ وصَدَقَ المرسَلُونَ....

وقد علمتَ أن هذا الإلهامَ كَان لإنْذارِ هذه العَشيرة، وكان الوَعيدُ وشرْطُه لتلكَ الفئة، ومَا كانَ لختنهم دَخْلٌ في هَذه القصّة، ثم ليْسَ منَ المعقُولِ أنْ يُظَنَّ أنَّ قلبَ خَتنهم بَقيَ على الجرأة السَّابقة، مَع مُعايَنة مَوْت صِهْره الذي كَان شَريكه في نَبَأ الهلاكة، بل شَهد الشاهدون أنَّه خَافَ خوْفا شديدًا بعد هذه الواقعة، وكادَ أنْ تزْهَقَ نَفسُهُ بعد سماع هذه المصيبة، وخَشيَ على نَفْسِه وحَسبَ النّكاحَ آفَةً من الآفات السّماوية، وإنْ كنتَ في شك فاسْأل العارفين النّاظرين. فالحاصل أنهم لما تخوّفوا بعد مَوْت أحمد، وخَوّف هلاكهُ كلّ أحَد أرجد، فكان حقهم أن ينْتَفعوا بشَرْط الإلهام، فَإن العَذابَ كان مَشْروطا لا حُكمًا قطعيا كمَا هُوَ وَهْم **العوام**." (أنجام آتهم، الخزائن الروحانية ج ١١ ص ٢١٩– ٢٢١)

إن النبأ الذي أعلنه سيدنا أحمد الَّيْكِلاَ كان ينص على أنه إذا مات الأب، ومات الزوج في خلال ثلاث سنوات من الزواج، ولم يتب أحد منهم ليكون سببا في عصمة الباقين من العقاب، فإن العقاب سوف يستمر نزوله إلى أن يتم زواجها من سيدنا أحمد الَّيْكِلاَ. أما إذا تاب أحدهما ورحمه الله تعالى فلم يهلكه، فهو يكون بذلك عاصما من استمرار نزول العقاب. فلما تاب الختن.. مرزا سلطان محمد زوج محمدي بيغم، وتاب الباقون أيضا وأصلحوا من أعمالهم ورجعوا إلى الله

واستغفروه، رفع الله عقابه المشروط عن زوج محمدي بيغم فلم يمت كما كان ينص الوعيد، وصار بذلك عاصما من استمرار نزول العذاب. فهل يدّعي خصوم سيدنا أحمد الطَّيْلاً أنهم يعرفون عن تحقق هذه النبوءة أكثر من أفراد هذه الأسرة نفسها الذين شهدوا كل مراحل تحققها؟ لقد قدّم مرزا سلطان محمد زوج محمدي بيغم دليلا على حُسن موقفه تجاه سيدنا أحمد في رسالة له قال فيها ما ترجمته:

"لقد كنت ولا زلت أعتقد أن السيد مرزا كان شخصا صالحا ومبجلا وخادما للإسلام، وكان ذا نفس شريفة، وكان في ذكر دائم لله تعالى. إني لا أضمر أية معارضة لأتباعه، ويؤسفني أني -لأسباب معينة- لم أنل شرف لقائه في حياته". (جريدة الفضل ١٩٢٣/٢/٢٦م)

ونُشر أيضا في صحيفة "الفضل" بتاريخ ٩ يونيو (حزيران) ١٩٢١ حديثا كان مرزا سلطان قد أدلى به وكان مما ذكر فيه:

"والحق أن والد زوجتى مرزا أحمد بيك قد مات حسب النبأ، ولكن الله ﷻ غفور رحيم، يسمع أدعية عباده ويرحمهم. لم يكن لدي أي شك في تحقق هذا النبأ. وأعلن غير حانث أني أؤمن بسيدنا مرزا المحترم إيمانا قد لا تستطيعون أن تدعوه وأنتم أتباعه.... عندما أُعْلِنَ هذا النبأ طَلَبَ مني الآريون (الهندوس) بسبب موت ليكهرام الهندوسي، وكذلك المسيحيون بسبب النبأ عن القس عبد الله آتهم، أن أرفع قضية ضد حضرة مرزا المحترم، وقدموا لي مائة ألف روبية، ولكنني رفضت طلبهم. ولو أخذت هذا المبلغ لصرت من الأغنياء والأثرياء، ولكن إيماني بمرزا المحترم، واعتقادي به، أجبرني أن أتجنب هذا العمل".

هذه شهادة الرجل الذي كان قد تزوج محمدي بيغم، والذي كان من حقه أن يغضب ويثور ويحنق على سيدنا أحمد، إذا كان يظن أن ما أعلنه بخصوص زوجته أمر من خياله وأوهامه وليس من وحي الله تعالى. ولكنه يذكر بنفسه أنه قد آمن به، واعتقد يقينا أن ما قاله هو من الله تعالى، ولذلك لم يرضخ لمؤامرات أعداء سيدنا أحمد الطَّيْلاً، ولم يستجب لإغراء المال الوفير الذي وعدوه به. لقد

قدموا له مائة ألف روبية، ولم يطلبوا منه سوى أن يرفع ضده قضية، ولكنه امتنع رغم بريق المال المعدود والثراء الموعود. ولكي نتصور ضخامة المبلغ الذي عرضوه عليه في تلك الأيام، يكفي أن نذكر أن كل ثروة سيدنا أحمد التي ورثها عن أبيه، وهو الذي كان يُعتبر من الأغنياء ويملك قرية قاديان بأكملها.. كانت عشرة آلاف روبية، أي عُشر هذا المبلغ. إن أقرب تصوير لقيمة هذا المبلغ في ذلك الوقت، حسب قوته الشرائية، هو أنه يساوي ما قيمته عشرة ملايين دولار اليوم (١٩٩٧)، وهو بلا شك مبلغ ضخم مهول بالمقاييس الحالية المعاصرة.

ولعل القارئ قد لاحظ من خلال هذه الشهادة التي شهد بها مرزا سلطان محمد، أساليب التآمر الخبيثة التي كان يلجأ إليها الهندوس والقساوسة المسيحيون، فإنهم كانوا يحثونه على أن يرفع قضية على سيدنا أحمد، ووعدوه بالأموال الطائلة، لأنهم انهزموا أمامه في ساحة العقل والمنطق، وخسروا معركة الأدلة والبراهين، فلم يبق لديهم سوى التآمر الحقير، ولم يجدوا في جعبتهم سوى أساليب الدس والوقيعة والإغراء بالأموال، وهي نفس الأساليب التي تستعمل اليوم لمحاربة الجماعة الإسلامية الأحمدية، ولكن بكل الأسف.. إن الكثير من المسلمين لا يفطنون إلى أساليبهم، بل يقعون ضحية تلك المؤامرات الوضيعة.

ولم يكن مرزا سلطان محمد هو الوحيد الذي اعتقد بأن نبوءة سيدنا أحمد عليه السلام بصدد أسرة محمدي بيغم قد تحققت بالشكل الذي قدره الله تعالى، فهناك المولوي محمد حسين البطالوي.. شيخ جماعة أهل الحديث بالهند.. الذي يحترمه معظم أعداء الأحمدية، والذي كان خصما لدودا لسيدنا أحمد عليه السلام، وقد شهد بنفسه موضوع الخلاف بين سيدنا أحمد وأسرة محمدي بيغم، وكان يعلم جيدا موضوع النبوءة التي أعلنها سيدنا أحمد ضد هذه الأسرة. ورغم أنه كان يعتبر تشويه سمعة سيدنا أحمد مهمته التي نذر نفسه لها.. لكنه

شهد الميتة الزريّة لمرزا أحمد بيك، وصرح قائلا:

"ومع أن النبوءة قد تحققت.. إلا أن ذلك كان راجعا لعلم التنجيم"!! (مجلة "إشاعة السُنة" المجلد الخامس)

لقد أثمر زواج مرزا سلطان محمد ومحمدي بيغم ابنا بارك الله فيه وآتاه علما وحكمة، وكان اسمه مرزا اسحاق بيك، وقد آمن هو الآخر بدعوة سيدنا أحمد الطَّيِّلا، وكانت له مقالة نُشرت في نفس العدد المذكور من صحيفة "الفضل" الذي نُشرت فيه مقالة أبيه، وقد ذكر فيها:

"لقد مات والد أمي مرزا أحمد بيك حسب النبأ، وبعد موته خاف ووجل أفراد عائلته، وأسرعوا إلى إصلاح أنفسهم، وعلى ذلك فإن أغلبهم قد انضم إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية، وبدّل الله ﷻ قهره إلى رحمة". (المرجع السابق)

وكان مما ذكره مرزا اسحاق حفيد مرزا أحمد بيك بكل وضوح:

"أقسم بالله بأنه (سيدنا أحمد الطَّيِّلا) هو ذلك المسيح الموعود الذي نبأ عنه سيدنا محمد المصطفى ﷺ". (صحيفة الفضل بتاريخ ١٩٢٣/٢/٢٦ ص٩)

وفيما يلي بعض الأسماء من بين أسرة مرزا أحمد بيك الذين انضموا إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية:

١) أرملة مرزا أحمد بيك ٢) مرزا محمد بيك ابن مرزا أحمد بيك ٣) مرزا أحمد حسن زوج ابنة مرزا أحمد بيك ٤) محمد اسحاق ابن محمدي بيغم ٥) محمودة بيغم أخت محمدي بيغم ٦) عنايت بيغم الأخت الثانية لمحمدي بيغم، وغيرهم الكثير.

كان من الممكن أن تُطوى صفحات هذه الوقائع عند هذا الحد، ولكن المعارضين من هندوس وقساوسة ومولويين راحوا يشككون الناس ويضللونهم، ويقولون إن النبأ لم يتحقق لأنه كان يتضمن أن يتزوج سيدنا أحمد الطَّيِّلا من محمدي بيغم، بيد أن هذا الجزء من النبأ لم يتحقق. وهكذا يحقق هؤلاء قوله

تعالى:

﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة:٨)

إن أولئك المعارضين لا ينظرون إلى ما تحقق من النبأ بكل وضوح، ولا يرون كيف مات مرزا أحمد بيك، وكيف ماتت أمه وشقيقتاه، ولا يدركون كيف تاب الباقون وأصلحوا. ولا يسمعون قول الله تعالى في كتابه العزيز أنه يستثني من العذاب أولئك الذين يتوبون كما يقول سبحانه:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة:١٦١)

ولا ينظرون حتى إلى أصل الوعيد الذي كان ينص بكل وضوح وبكل جلاء على أن زواج محمدي بيغم من سيدنا أحمد عليه السلام ما كان ليتم إلا بعد موت كل من والدها وزوجها، أما إذا تاب أحدهما فإنه سيكون بتوبته عاصما من نزول العقاب، وبالتالي فلن يتم هذا الزواج، إذ يقول النبأ بكل وضوح:

[ثم نردها إليك بعد موتهما، ولا يكون أحدهما من العاصمين]

إن الهدف من هذه الآية الجليلة أن يتوب أبناء عمومة سيدنا أحمد عليه السلام ويصلحوا من شأنهم ويستغفروا ربهم، وليس زواج سيدنا أحمد من محمدي بيغم إلا وسيلة من الوسائل لتحقيق هذه التوبة، فإذا تحققت التوبة والإصلاح بغير الزواج.. لم يعد للزواج نفسه أية قيمة ولا أهمية.

غير أن المعارضين لا يريدون أن يروا الحق، وغشيت أبصارهم العماية، فلا يستطيعون أن يشاهدوا تحقق الآية، ويعلو صياحهم ونباحهم في الظلام كما يعلو نباح الكلاب الضالة، وهم بذلك يحققون أيضا طرفا آخر من النبأ الذي ذكر الله تعالى فيه:

[يموت ويبقى منه كلاب متعددة]

وها قد مات مرزا أحمد بيك، وها هي الكلاب تعوي من بعده، وسوف تظل كلاب المعارضين تعوي، وسوف تظل قافلة سيدنا أحمد في سيرها وتقدمها على بركة الله.

إن القرآن الكريم يؤكد بكل وضوح على أن النبوءات الإنذارية.. أي تلك التي تحتوي وعيدا من الله تعالى.. تزول بالتوبة والدعاء والاستغفار. ويحكي لنا كتاب الله العزيز العديد من الأمثلة في هذا الشأن، فيقول إن أعداء موسى عليه السلام لما نزل عليهم العقاب من الله تعالى طلبوا منه أن يدعو الله ليكشف عنهم السوء ووعدوا بالإصلاح فكشف عنهم الله الرجز كما يقول تعالى:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ (الأعراف:١٣٥)

وتوضح هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قد كشف الرجز عن فرعون وقومه لمجرد وعد منهم بأنهم سوف يؤمنون ويرسلون معه بني إسرائيل، ومع ذلك.. ورغم أن الله تعالى يعلم أنهم سوف ينكثون بوعدهم، فقد كشف عنهم الرجز. فماذا عن أبناء عمومة سيدنا أحمد عليه السلام الذين أعلنوا توبتهم، وندموا على ذنوبهم، وأصلحوا من أمرهم.. هل كان يليق بأرحم الراحمين أن ينـــزل عقابه على مرزا سلطان محمد، ويستمر في إنزال عقابه على كل أولئك الذين تابوا وأصلحوا، إلى أن يتم زواج سيدنا أحمد من محمدي بيغم حتى يَرضَى معارضو الأحمدية؟ وما كانوا ليرضوا.. وإلاّ فإن وفاة مرزا أحمد بيك والد محمدي بيغم ووفاة كل من شقيقتيه ووفاة جدة محمدي بيغم كان كافيا لقوم يبصرون.

كذلك يقول الله تعالى عن قوم يونس عليه السلام:

﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَآ إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا كَشَفْنَا

عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (يونس:٩٩)

وقد ورد في التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي:

"رُوي أن يونس بُعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا، فلما فقدوه خافوا نزول العقاب، فلبسوا المُسوح وعجّوا أربعين ليلة، وكان يونس قال لهم: إن أجلكم أربعون ليلة. فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك. فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر في السماء غيم أسود شديد السواد، فظهر منه دخان شديد وهبط ذلك الدخان حتى وقع في المدينة وسَوّد سطوحهم فخرجوا إلى الصحراء، وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها، فحنّ بعضها إلى بعض فعلت الأصوات، وكثرت التضرعات، وأظهروا الإيمان والتوبة، وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم." (التفسير الكبير ج١٧ ص١٦٥)

ويتضح من ذلك أن قوم يونس عليه السلام لما سمعوا الإنذار بوقوع العذاب أسرعوا إلى التوبة والاستغفار، ولذلك فقد كشف الله تعالى عنهم العذاب و لم يقع بهم. فهل يستطيع أحد أن يقول إن وعيد يونس عليه السلام لم يتحقق وإن عدم تحققه دليل كذب يونس وافترائه والعياذ بالله؟ وهل يتوقع معارضو الأحمدية أن يكشف أرحم الراحمين العذاب عن قوم يونس لما تابوا وآمنوا، ولا يرفعه عن مرزا سلطان محمد زوج محمدي بيغم وأبناء عمومة سيدنا أحمد عليه السلام لما تابوا وآمنوا؟ ما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا!

إن معارضي الأحمدية.. بانتقاداتهم هذه وادعاءاتهم أن الوعيد الذي أعلنه سيدنا أحمد عليه السلام لم يتحقق.. إنما يُثبتون جهلهم الفاضح بسُنة الله تعالى وكيفية تنفيذ وعده ووعيده. ولعل للمعارضين من الهندوس والمبشرين المسيحيين بعض العذر لهذا الجهل، ولكن ما عذر جهل المولويين الذين يدّعون بأنهم هم علماء الإسلام؟

إن الله تعالى قد يعد وعدا بحسن الجزاء، ولكن إن لم يسلك الإنسان المسلك

الذي يُرضي الله تعالى فإنه لا يستفيد من هذا الوعد، أو قد يتأخر تحقيق الوعد إلى أن يغير الإنسان من مسلكه. وإذا أنزل الله وعيدا بالعقاب فإنه حتما لا يتحقق إذا غير الإنسان مسلكه وتاب إلى الله وأصلح، وقد سبق الإشارة إلى الاستثناء من العذاب الذي بيّنه قوله تعالى:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة:١٦١)

وكما كشف الله الرجز عن قوم فرعون لمجرد وعد منهم بالإيمان، كذلك فقد أخر الله تعالى تحقيق وعده لبني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة حينما عصوا أمره، فقد ورد في القرآن المجيد:

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ (المائدة:٢٢)

كان هذا هو وعد الله تعالى لقوم موسى.. إنه كتب لهم الأرض المقدسة، وليس عليهم إلاّ أن يدخلوها، ولكن لما أمرهم موسى بدخولها، وأدركوا أن عليهم أن يحاربوا قوما جبارين، عصوا أمر موسى وقالوا له:

﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلآ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة:٢٥)

فأخر الله ﷻ تحقيق وعده وقال:

﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ (المائدة:٢٧)

كذلك فقد وعد الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالنصر، ووعد أيضا المؤمنين بالنصر، وقد تحقق ذلك النصر في غزوة بدر، ولكن لما عصى الرماة أمْرَ رسول الله ﷺ في غزوة أحُد وتركوا أماكنهم، أخّر الله تعالى تحقيق وعد النصر، فعانى المسلمون من هزيمة قُتل فيها الكثير منهم، وقُتل فيها حمزة ﷺ، وجُرح رسول الله ﷺ. فهل يحق للكافرين والمشركين أن يقولوا بأن الله تعالى أخلف وعده بالنصر؟ ألا ساء ما يحكمون!

إن الله تعالى ما كان ليغير من سُنته فيما يختص بالنبأ عن مرزا أحمد بيك ومرزا سلطان محمد ومحمدي بيغم، فإن إصرار مرزا أحمد بيك على تزويج ابنته قد أدى إلى تحقيق الوعيد بالنسبة له، وتوبة مرزا سلطان محمد وأبناء عمومة سيدنا أحمد الَّلِيَّةِ قد أدى إلى كشف العذاب بالنسبة لهم. هذه هي سُنة الله تعالى، ولن يغير الله من سُنته حتى ولو ظل معارضو الأحمدية يعترضون إلى يوم القيامة.

ونختتم حديثنا باقتباس من كلام سيدنا أحمد الَّلِيَّةِ تعريبا من اللغة الأردية، حيث يقول:

"... إن بعض السفهاء الذين لا يودون أن يقبلوا الحق، لا ينتفعون قطعا من الآيات الثابتة المتحققة، ويلتمسون طُرقا للفرار بمطاعن باطلة، وينسون ألوف الأنباء والآيات الباهرات بالاعتراض على نبأ أو نبأين. يا أسفا! إنهم لا يخافون الله مطلقا حين يكذبون! ولا يذكرون المؤاخذة في الآخرة حين يفترون! إنني لا أرى حاجة لأن أقرأ على المستمعين تفصيل افتراءاتهم، وأنبئهم جميعَ أحوالهم. إن كان لهم نصيب من التقوى، وكانوا يخشون الله مثقال ذرة، لما أسرعوا في تكذيب آيات الله! وإن كان ثمة آية ما استطاعوا فهمها - بافتراض المحال - فكان عليهم أن يستفسروا مني حقيقتها بالتؤدة والوقار.

إن أكبر اعتراضهم هو أن.... مرزا أحمد بيك وإن كان مات في الموعد المحدد حسب النبوءة، ولكن ختنه الذي كان داخلا في هذا النبأ لم يمت. هذا مبلغهم من التقوى! إنهم لا يذكرون مطلقا ألوف الآيات الثابتة المتحققة، أما نبأ أو نباءان لم يستطيعوا أن يفهموهما، فيذكرونهما مرارا وتكرارا ويصخبون في كل ناد! إن كان لهم حظ من خشية الله لانتفعوا من الآيات الثابتة والأنباء المتحققة. ألا ليس ذلك دأب الصادقين أن يُعرضوا عن المعجزات الواضحة الجلية، وأما إذا كان الأمر غامضا اعترضوا عليه." (محاضرة سيالكوت المسمى بـــ

"الإسلام"، الخزائن الروحانية ج ٢٠ ص ٢٤٤)

* * *

ولكن أولئك المخالفين والمعارضين ليس لهم حظ من مخافة الله، ولا ينتفعون من الآيات الثابتة والأنباء المتحققة، ولذلك فهم يثيرون الإفك والبهتان، ويحاولون بكل وسيلة من كذب وزور وتلبيس الشيطان، أن يصرفوا الناس عن الإيمان بإمام الزمان، ولا مانع لديهم من التوسل بكل أساليب البهتان، وبالمزيد والمزيد من البهتان، كما فعلوا في أمر الشيخ ثناء الله الأمرتسري، وزعموا أنه تحدى سيدنا أحمد عليه السلام للمباهلة، فأعلن سيدنا أحمد أن الكاذب سوف يموت في حياة الصادق، ولكن مات سيدنا أحمد أثناء حياة ثناء الله، الذي عاش بعده أربعين عاما. فما حقيقة هذا البهتان؟

وقبل أن نسرد للقارئ حقيقة ما حدث يجدر بنا أن نُعَرّف القارئ بشخصية ثناء الله الأمرتسري الذي يحلو لمعارضي الجماعة اليوم أن يذكروا أنه تحدى سيدنا أحمد عليه السلام.

كان ثناء الله شخصا انتهازيا يتطلع إلى كسب الصيت الرخيص دون أن يحرك ساكنا على صعيد الواقع، وكان يلوذ بالأعذار الواهية للتهرب من المعركة الحقيقية. فكان معروفا بين زملائه أنه يتلوّن كما تتلوّن الحرباء، ويراوغ مراوغة الثعلب. ودليل ذلك أنه حينما دُعي إلى نصرة الدين بتبليغه عند فتنة ارتداد المسلمين الذين كانوا هندوسا قبل إسلامهم في منطقة "ملكانه" بالهند، هرّب من هذا الجهاد معتذرا بأن ذلك سوف يضر الوحدة بين المسلمين والهندوس. عندها كتبت جريدة "مشرق" الصادرة في "غورخبور" بالهند، ونعم ما كتبت عن تصرف ثناء الله الأمرتسري، حيث قالت:

"... إنه يخاف على الوحدة بين الهندوس والمسلمين، ويقول إذا فعلت ذلك فبأي وجه سوف أواجه السيد غاندي. أقول إن الشيخ لا يجد سببا

للخجل أمام الله تعالى، لأنه طُبع على مثل هذه الأخلاق والعادات المتلونة، حيث إنه يغير رأيه في كل دقيقة. على أية حال ليست هذه من المهام التي تتم عن طريق المشائخ، بل الأمر في يد الله تعالى يُكلف به أناسا لم يكونوا في أغلب الأحيان من المشائخ، ولكنهم كانوا صنّاع المشائخ". (عدد ٢٩ مارس "آذار" ١٩٢٣)

لقد كانت وقائع المباهلة التي يزعم مناهضو الأحمدية أنها وقعت بين سيدنا أحمد عليه السلام وثناء الله الأمرتسري تبدو وكأنها مسرحية هزلية فكاهية من ثلاثة فصول، والمثل المعروف يقول: شر البليّة ما يُضحك!

الفصل الأول

حينما بعث الله تعالى سيدنا أحمد عليه السلام وجعله مسيحا موعودا ومهديا معهودا لهذا الزمان حسب نبوءات سيدنا محمد المصطفى ﷺ وأسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عام ١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م، وأعلن صراحة أنه مبعوث من الله تعالى، قام الكثير من المشايخ والعلماء لمعارضته، وأصدروا فتاوى الكفر ضده، وأقاموا القيامة في تكذيبه، وعملوا كل ما كان في وسعهم لإفشاله. ولقد سبق أن أخبر سيدنا محمد المصطفى ﷺ عن هؤلاء المشايخ والعلماء فقال: "علماؤهم شر من تحت أديم السماء". وقال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي رحمه الله: "إذا خرج هذا الإمام المهدي فليس له عدو مبين إلاّ الفقهاء خاصة." (الفتوحات المكية ج٣ ص٣٧٤)

ولما ازداد هؤلاء العلماء والمشائخ في التمرد والتكذيب والغي والتضليل، لم يبق مجال أمام سيدنا أحمد عليه السلام سوى أن يجعل الله تعالى حَكما بينه وبينهم، وذلك بأن يدعوهم إلى المباهلة التي ذكرها القرآن المجيد، وفيها يبتهل الطرفان إلى الله تعالى حتى يجعل لعنته على الكاذبين، فيظهر بذلك صدق الصادق وافتراء المفتري الكذاب. فألّف حضرته في سنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٧م كتابا

أسماه: "أنجام آتهم" (أي نهاية آتهم)، وذكر فيه أسماء العلماء والمشايخ الذين كانوا يعارضونه، ودعاهم إلى المباهلة لتحكيم الله تعالى بينه وبينهم.

كان من بين هؤلاء العلماء شاب اسمه الشيخ ثناء الله الأمرتسري، ولكنه التزم الصمت خمس سنوات تقريبا، و لم يُظهر أي ردّ فعل على دعوة المباهلة. وبعد مرور السنوات الخمس أظهر رغبته لقبول دعوة المباهلة، فأعلن سيدنا أحمد عليه السلام عن ذلك في كتابه: "إعجاز أحمدي" الذي ألفه سنة ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م وقال فيه ما تعريبه:

"رأيت تحريرا وقّع عليه الشيخ ثناء الله الأمرتسري وقال فيه: إنه يرغب من صميم فؤاده في قبول هذا الاقتراح، أي أن يدعو الجانبان - أنا وهو- بأن يموت المفتري منا في حياة الصادق." (إعجاز أحمدي، الخزائن الروحانية ج ١٩ ص ١٢١)

كان سيدنا أحمد المسيح الموعود عليه السلام في ذلك الوقت قد بلغ سن الشيخوخة، إذ كان عمره قد ناهز ٦٧ عاما، وكان الشيخ ثناء الله يصغره بثلاثة وثلاثين عاما، ورأى سيدنا أحمد.. بثاقب بصره.. أن ثناء الله يسعى لكي يجعل لنفسه مكانة بين الناس، وأحس بأنه غير صادق في تقديم اقتراح المباهلة، وإنما كان يعتمد على أن سيدنا أحمد الذي بلغ الشيخوخة، لن يقبل أن يُباهل شابا مثله على أن يموت الكاذب في حياة الصادق، باعتبار أن الشيخ الذي بلغ ٦٧ عاما أقرب إلى الموت من الشاب الذي يبلغ عمره ٣٤ عاما. ولعل ثناء الله كان يتوقع أن يرفض سيدنا أحمد اقتراح المباهلة، فيعلن هو على الناس أنه انتصر وفاز في هذه المبارزة، وأن سيدنا أحمد قد خاف وهرب من مواجهته.

كان سيدنا أحمد يعلم بسابق خبرته، أن هؤلاء الأشرار يعلنون رغبتهم اليوم، لينالوا صيتا واحتراما في أعين العامة من الناس، ثم يتراجعون غدا أو ينصرفون بعد فترة، وكان يشعر أن ثناء الله يتوقع أن يرفض سيدنا أحمد شرط

المباهلة بسبب كبر سنه. ولذلك فقد كانت مفاجأة مفزعة لثناء الله أن سيدنا أحمد الطَّيِّلا أعلن عن قبوله دعوة المباهلة، وكتب في كتابه "إعجاز أحمدي" ما تعريبه:

"إذا ظل *(أي ثناء الله)* ثابتا ومستعدا لقبول هذا التحدي، بأن يموت الكاذب في حياة الصادق، فلسوف يموتن هو قبلي حتما." (المرجع السابق ص١٤٨)

ثم طلب من ثناء الله أن يُصادق على هذه الكلمات، ويُعلن أمام الناس أنه يقبل المباهلة ويثبت عليها. وأعرب سيدنا أحمد عن شكه في أن يثبت ثناء الله ولا يتراجع عن قبول المباهلة، فكتب عن ذلك يقول:

"إن هذا الاقتراح *(عن دعوة المباهلة)* اقتراح جيد، ولكن هل يظل ثابتا على اقتراحه؟"

أثارت مفاجأة قبول سيدنا أحمد للمباهلة دهشة ثناء الله، الذي لم يكن يتوقع أن يقبل رجل في سن سيدنا أحمد الذي بلغ السابعة والستين أن يباهل شابا في سن الرابعة والثلاثين، فأراد أن يسرع بالانسحاب من المباهلة، قبل أن يأخذه عقاب الله تعالى، وقال صراحة في كتابه: "إلهامات مرزا" ما تعريبه:

"أنا لست نبيا ولا أدّعي مثلك النبوة أو الرسالة أو البنوة لله أو تلقي الوحي، ومن ثم لا أجرؤ على الدخول في مثل هذه المعركة" (إلهامات مرزا ص١٦ الطبعة السادسة). ثم قال: "إنني آسف جدا لعدم وجود الجرأة لديّ لمثل هذه الأمور". (المرجع السابق)

وهكذا أصبح واضحا من بيان ثناء الله أنه تراجع عن قبول دعوة المباهلة، تماما كما كان يتوقع سيدنا أحمد الطَّيِّلا، وبذلك انتهى ذلك الفصل، ولم تعد هذه المباهلة قائمة أو سارية المفعول.

الفصل الثاني

مضت خمس سنوات على هذا التراجع المشين.. التزم فيها ثناء الله الصمت المطبق.. تماما كصمت أهل القبور، حتى إذا جاء عام ١٩٠٦ تلقى سيدنا أحمد ؑ من الله تعالى ما يشير إلى قرب انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فأصدر كتابا سماه: "الوصية"، وكتب فيه وصيته وذكر دنو أجله فقال ما تعريبه:

"الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمدٍ وآله وأصحابه أجمعين. أما بعد.. فبما أن الله ﷻ قد أخبرني بوحيه المتواتر أنّ موعد وفاتي قد دنا، وقد تواتر هذا الوحي إلى درجة هزّت أصول كياني وفتَرتْ فــيّ الحياةُ، لذلك رأيتُ من المناسب أن أسجل بعض النصائح لأحبتي وكذلك لجميع الراغبين في الاستفادة من كلامي. فأولا أطلعكم على ذلك الوحي المقدس الذي أخبرني بقرب أجلي مما دفعني لأُقدم على هذه الخطوة. وفيما يلي ذلك الوحي الذي نزل باللسان العربي، كما سأورد فيما بعد الوحي الذي نزل بالأردية: "قَرُبَ أجلُك المقدّر، ولا نُبقي لك من المُخْزِيات ذِكرًا. قَلَّ ميعادُ ربّك، ولا نُبقي لك من المخزيات شيئًا. وإمّا نُرِيَنَّكَ بعضَ الذي نَعِدُهم أو نتوفيَنَّك. تموت وأنا راضٍ منك. جاء وقتك، ونُبقي لك الآياتِ باهراتٍ. جاء وقتك ونبقي لك الآياتِ بيّناتٍ. قَرُبَ ما توعدون." (الوصية، الخزائن الروحانية ج ٢٠ ص ٣٠١)

وجّه حضرته في هذه الوصية إلى جماعته نصائح عديدة غالية، وطمأنها بأن الله ﷻ لن يضيّعها أبدا. وبطبيعة الحال.. فقد وصل كتاب "الوصية" إلى الأصدقاء والأعداء على السواء. وكان ممن اطلع عليه ثناء الله، الذي لم يتأثر بما احتواه من نصائح، ولم يُدرك منه مدى صدق سيدنا أحمد ؑ وإخلاصه، بل أراد أن يحقق لنفسه مغنما ومكسبا، فصوّر له شيطانه اللعين وخياله السقيم، أن مؤسس الجماعة قد صار الآن عجوزا طاعنا في السن، وأن صحته قد بدأت في التدهور، وها هو قد أعلن نبأ قرب وفاته أيضا، فلينتهز هو هذه الفرصة ليعيد احترامه في أعين الناس، خاصة وإن أفراد حزبه أنفسهم كانوا

يلومونه بسبب تهرّبه وتراجعه عن قبول دعوة المباهلة.

وهنا يبدأ الفصل الثاني من مسرحية المباهلة مع ثناء الله الأمرتسري.. إذ إنه بتاريخ ٢٩ مارس (آذار) ١٩٠٧م نشر فجأة في صحيفته: "أهل الحديث" ما تعريبه:

"أيها المرزائيون.. إن كنتم صادقين فهلموا مع مرشدكم... وقدّموا أمامي هذا الذي تحداني بالمباهلة في كتابه: "أنجام آتهم"."

هكذا.. بكل وقاحة وتعالٍ، وبأسلوبه الرخيص المتدني، يوجه ثناء الله كلامه إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية بأسرها في كلمات ملؤها الاحتقار فيقول: قدّموا أمامي هذا الذي تحداني بالمباهلة. وكما سبق القول.. فإن سيدنا أحمد عليه السلام كان قد نشر كتابه: "أنجام آتهم" عام ١٨٩٧م، ثم بعد مرور عشر سنوات.. يشير ثناء الله إلى تلك الدعوة، وينسى أنه جَبُن عن قبول الدعوة في وقتها، ثم تهرّب وتراجع حين قبل سيدنا أحمد دعوته التي أعلنها، فأظهر بذلك جُبنه مرة أخرى. والآن.. بعد أن صار سيدنا أحمد في نهاية خريف عمره، وهو مريض معتل الصحة، وقد أنبأ عن قرب وفاته بناءً على وحي الله تعالى، يريد ثناء الله أن يستغل الفرصة، ظنا منه أنه في هذه الظروف الحرجة، لن يقبل سيدنا أحمد أن يخرج للمباهلة، فينال هو البطولة في أعين عامة الناس.

إن ثناء الله لم يكن يدرك أن أسد الله عز وجل لا يخاف أحدا سوى ربه جل جلاله، والإنسان الصادق.. الذي يعلم أنه في جنب الله.. يكون دائما على يقين بأن الله لن يضيّعه ولن يخذله. لذلك فقد رد عليه سيدنا أحمد بسرعة وبدون أدنى تأخير، ونشر ردّه في صحيفة "البدر" بتاريخ ١ ربيع الأول ١٣٢٥ هـ - ٤ أبريل (نيسان) ١٩٠٧م ودعاه إلى المباهلة، وقال له هلم نحن الاثنين ندعو الله سبحانه وتعالى، ونبتهل إليه بأن يُهلك المفتري في حياة الصادق. وطلب سيدنا أحمد عليه السلام من ثناء الله أن ينشر إعلان قبول سيدنا أحمد المباهلة في صحيفته "أهل الحديث"، ويذيّله بأن يعلن صراحة أنه يقبل هذه المباهلة، ويكتب شروطه

تحت إعلان المباهلة كما يشاء.

لعل ثناء الله حين كتب تلك الجملة التي وجهها إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية، كان يظن أن سيدنا أحمد لن يجرؤ على قبول المباهلة بعد أن بلغ من العمر ٧٢ عاما بينما كان ثناء الله لا يزال شابا في التاسعة والثلاثين من عمره، لذلك فقد أراد بهذه الجملة أن يُظهر بطولته ويكسب تأييد الناس. ولهذا فقد كانت مفاجأة عمره أن أعلن سيدنا أحمد عن قبوله المباهلة مرة أخرى وبهذه السرعة، بل وتحداه أن ينشر إعلان القبول في صحيفته. وهنا ظهرت حقيقة أمر المولوي ثناء الله، إذ تراجع للمرة الثانية مسرعا بالفرار كالفأر المذعور ورافضا خوض المعركة، بل وكتب بعد مرور ٢٢ يومًا في صحيفته "أهل الحديث" ما تعريبه:

"هذه الوثيقة غير مقبولة لديّ ولا يقبل إنسان عاقل الموافقة على هذا التحدي. وإني أرفض هذا العرض الذي نشرتَه". (جريدة أهل الحديث ١٩٠٧/٤/٢٦ ص٥)

ولم يقتصر ثناء الله على رفض تحدي سيدنا أحمد، بل بلغ به الخوف من عواقب دعاء سيدنا أحمد أن اعترض قائلا:

"لا يمكن أن أدخل طرفا في هذا التحدي، لأنه لم تؤخذ مني موافقة على هذا الدعاء، ونُشرت فحواه دون علمي". (المرجع السابق)

ويبدو أن ثناء الله كان يخشى أن يموت هو في حياة سيدنا أحمد عليه السلام، إذ صار من الواضح أنه لا يريد أن يدخل في المباهلة، ولا يريد أن يدعو الله لكي يموت المفتري في حياة الصادق، ولا يرغب في أن يكون طرفا فيه، بل راح يُشكك في هذا الأسلوب وقال في صحيفته "أهل الحديث" مخاطبا سيدنا أحمد:

"أرني آية أشهدها بنفسي، فماذا أستطيع رؤيته لو أني مُتُّ؟" (المرجع السابق)

وكتب في نفس الصحيفة وفي نفس الصفحة يعلن رفضه لدعوة المباهلة فقال:

"أنا لا أقبل هذه الطريقة ولا أرضى بهذا التحرير ولن يقبله عاقل أبدا". (المرجع السابق)

ثم صرح بوضوح أكثر فقال:

"لا شك أني سميت هذه الدعوة مباهلة... وأنكرت هذه الدعوة..." (النشرة المسماة: فصل قضية القادياني)

وعلّق نائبه في تحرير صحيفة "أهل الحديث" على الموضوع في الحاشية.. بموافقة ثناء الله نفسه.. فقال:

"إن القرآن المجيد يقول بأن الفُسّاق يُمهَلون من قِبَل الله تعالى. فاسمعوا: ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾، ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾، ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾، وغيرها من الآيات التي تفضح دجلك وتدل بدلالة واضحة على أن الله تعالى يُطيل أعمار الكذابين المكارين الخوَنة المفسدين العصاة، كي يتورطوا في الأعمال السيئة في زمن الإمهال." (المرجع السابق)

وبهذا أصبح من الواضح الجلي أن ثناء الله الأمرتسري قد تراجع مرة أخرى عن قبول دعوة المباهلة التي عرضها عليه سيدنا أحمد المسيح الموعود عليه السلام، وهرّب منها للمرة الثانية. وهكذا أُسْدِل الستار على الفصل الثاني من مسرحية المباهلة مع ثناء الله.

الفصل الثالث والأخير:

نشر ثناء الله الأمرتسري في شهر أغسطس (آب) ١٩٠٧م -١٣٢٥هـ في مجلة باسم "مرقع قادياني" وكتب فيها:

"... إن محمدا المصطفى ﷺ مع كونه نبيا صادقا توفي قبل مسيلمة الكذاب، وإن مسيلمة مع كونه كذابا مات بعد الصادق... ولكنه مات

خائبا خاسرا..."

وبهذه العبارة.. وبهذه الكلمات.. حسم ثناء الله القضية، فقد حدد ثناء الله معيار اختبار صدق الصادق وكذب الكاذب بهذا المعيار الذي قدّمه هو بنفسه مستخلصا إياه من واقع وفاة رسول الله ﷺ، وهو أن يموت الصادق في حياة الكاذب، تماما كما توفي سيدنا محمد ﷺ قبل مسيلمة الكذاب.

لقد كان ثناء الله يخشى أن يموت قبل سيدنا أحمد عليه السلام، لأنه قد رأى بعينيه مصير جميع أولئك الذين باهلوا سيدنا أحمد عليه السلام، وكيف أن الموت قد اختطفهم واحدا بعد الآخر بغير إنذار. ويبدو أن الله تعالى قد ألقى في قلبه الرعب من موته في حياة سيدنا أحمد عليه السلام، لذلك فقد جاء بهذه الحيلة الجديدة، مشيرا إلى أنه حتى إذا مات قبل سيدنا أحمد، فإن هذا لا يدل على كونه من الكاذبين، ولا على صدق سيدنا أحمد.. لأن رسول الله ﷺ الذي كان أصدق الصادقين قد مات في حياة مسيلمة الكذاب.

و لم يدر ثناء الله أنه بهذه الحيلة إنما كان يحفر حفرة ليقع هو فيها، وأنه كان ينصب شَرَكا ليسقط هو فيه، فقد أخذه الله تعالى بنفس معياره الذي اقترحه هو بنفسه، وتوفى الله ﷻ سيدنا أحمد في حياة ثناء الله، تماما كما توفى رسول الله في حياة مسيلمة الكذاب، وأبقى الله ذلك الأمرتسري على قيد الحياة بعد وفاة سيدنا أحمد كما أبقى مسيلمة الكذاب على قيد الحياة بعد وفاة سيدنا محمد ﷺ.

ميتة خيبة وخسران

وتماما كما كتب ثناء الله بنفسه، وكما دوّن بخط يده، عن الكذاب الذي مات بعد الصادق ﷺ فقال: "ولكنه مات خائبا خاسرا"، فقد جعل الله تعالى هذا الشيخ أيضا يذوق أيضا طعم بعض آثامه في حياته، حيث كفره علماء الوهابيين في مكة والحجاز، حتى قال عنه الشيخ محمد عبد اللطيف قاضي

الرياض في فتواه:

"فلا شك في كفره، فيجب اجتنابه واعتزاله وهجره، واعتزال من جادل عنه".

وقال الشيخ سليمان بن محمد بن جمهور النجدي في فتواه عن ثناء الله الأمرتسري:

"ضال مضل، ولا ريب أنه جهنمي، يجب على المسلمين هجره وعلى ولاة الأمور زجره، فإن لم يتب فلا يُسَلم عليه ولا يُجالس ولا يُصلى خلفه ولا يُقام على قبره".

كما أفتى أحدهم فقال عنه:

"إن المولوي الأمرتسري رجل ضال ابتدع عقائد جديدة" (فيصلة مكة ص١٧)

وتصرّح الفتوى التالية التي أصدرها علماء مكة ضد ثناء الله بأنه:

"لايجوز أن يُسأل عن علم ولا يُتّبع. ودليله لا يُقبَل، ولا يجوز أن يؤم الصلاة. ولا شك في كفره وارتداده". (المرجع السابق)

وكتبت صحيفة "الاعتصام" بتاريخ ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٢ ص١٠ عن ثناء الله الأمرتسري مشيرة إلى الاضطرابات الدموية التي وقعت عند تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين هما الهند وباكستان:

"... في شهر آب ١٩٤٧م قامت قيامة صغرى في مدينة أمرتسر (الهند) وأحاطت أمواج اضطرابات مدمّرة بمنْزله من كل جانب، ورغم أنه نجح في مغادرة بيته سالما مع بعض أقاربه، إلا أن ابنه الوحيد الشاب "عطاء الله" ذُبِحَ أمام عينيه بصورة مريعة، مما قطّع أوصال قلب الشيخ..."

وكتب عنه المولوي عبد المجيد شودهري في كتابه: "سيرة ثنائي" ص٣٨٩-٣٩٠:

"إن المخربين والإرهابيين كانوا له بالمرصاد، فشنّوا هجوما على بيته

بُعَيد مغادرته، ونهبوا الأثاث والأموال والحلي ثم أحرقوا داره. ولم يتوقف الإرهابيون عند هذا الحد، بل حرقوا أيضا مكتبته الغالية على قلبه، والمحتوية على كتب نادرة وقيّمة يبلغ ثمنها آلاف الروبيات، وكان قد جمعها واقتناها بجهد وعناء، ولم تكن صدمة حرق المكتبة بأقل من صدمة مقتل ابنه. والحق أن هاتين الصدمتين أدتا إلى موته المفاجئ."

نعم.. لقد عاش ثناء الله بعد وفاة سيدنا أحمد الطَّيْلا.. تماما كما عاش مسيلمة الكذاب بعد وفاة سيدنا محمد ﷺ، وكان هذا هو المعيار الذي ذكره واختاره ثناء الله بنفسه، ولكنه مات خائبا خاسرا، تماما كما ذكر وكتب بخط يده وصْفا لموت مسيلمة الكذاب.

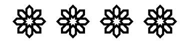
واليوم.. قد انمحى من الوجود ذكر الشيخ ثناء الله الأمرتسري، فلا جماعة له تحيي ذكراه، ولا أتباع له ينهلون من فكره ومنهله، ولولا هذه المسرحية الهزلية التي حاول ثناء الله أن يلعب أدوارها لما سمع الناس عنه شيئا، ولما عرفه أحد. وهكذا فقد أبقى اسمَه سوءُ عمله، تماما كما أبقى اسم إبليس كبره وعجرفته، وكما أبقى اسم أبي لهب عداوته وبغضه، وكما أبقى اسم مسيلمة الكذاب كذبه وافتراؤه.

وعلى النقيض.. ترفرف اليوم راية سيدنا أحمد الطَّيْلا.. خادم سيدنا المصطفى ﷺ ومهديه الموعود.. عالية خفاقة.. في أكثر من مائة وسبعين دولة من دول العالم (حتى ١٩٩٧) *.. من خلال الجماعة المباركة التي أنشاها، وصدق سيدنا أحمد حين قال:

* أما الآن في عام ٢٠٠٦م فقد توطدت الجماعة بفضل الله تعالى في ١٨٢ قطرا من أقطار العالم. (الناشر)

مَنْ حَارَبَ الصِّدِّيقَ حَارَبَ رَبَّهُ   وَنَبِيَّـــهُ وَطَوَائِـــفَ الصُّلَحَـــاءِ

ألا فاعتبروا يا أولي الأبصار!



BLANK

الفصل الخامس عشر

الرحيل..
والقدرة الثانية

الفصل الخامس عشر

الرحيل.. والقدرة الثانية

مهما طالت الحياة الإنسانية فهي حتما إلى نهاية، ومهما امتد العمر بالإنسان فهو لا بد أن يذوق الموت. هكذا كتب الله على كل نفس أن تموت، وهكذا قدّر سبحانه أنه لكل أجل كتاب. وفي منتصف العقد الأول من القرن العشرين.. جاء الوحي إلى سيدنا أحمد عليه السلام يخبره بقرب موعد الرحيل، وينبئه بأن رحلته في الدنيا قد أوشكت على الانتهاء، وآن للروح الطاهرة المطهرة أن تصعد إلى بارئها وتنعم بلقائه في حياة أخرى لا يشوبها خوف ولا حزن ولا تأثيم، بل قُرْبٌ ووصالٌ ونعيم مقيم.

كان سيدنا أحمد عليه السلام خلال سنوات شبابه قد تلقى وحيا من الله تعالى يخبره فيه أن عمره سوف يمتد إلى ما يقرب من ثمانين عاما وأنه سوف يرى نسلا بعيدا. كان ذلك في عام ١٨٦٥.. أي حينما كان في الثلاثين من عمره. وقد كتب ذلك الوحي في كتابه "البراهين الأحمدية" الذي نشره عام ١٨٨٠. وقد يجمح الخيال ببعض المتشككين إلى الظن أن الشباب قد يأخذه غرور الفتوة والصحة والقوة، ويظن أن العمر سوف يمتد به إلى أمد بعيد. ولكن المتشككين يغفلون أمرا هاما، وهو أن الله تعالى هو الذي يكتب الآجال، وهو الذي يحدد عدد السنين والأيام التي يعيشها كل إنسان، وإذا اشتط الخيال بأحد فتخيّل أنه سوف يعيش أمدا طويلا، فإنه لا يستطيع مهما بلغ به الغرور والقوة أن يفرض على الله تعالى أن يُبقيه على قيد الحياة حتى يبلغ بالفعل هذا العمر المديد.

وينسى هؤلاء المتشككون أن النبأ الذي تلقاه سيدنا أحمد عليه السلام من الله تعالى حينما كان في الثلاثين من عمره، يتضمن أيضا أنه سوف يرى نسلا بعيدا، أي أنه لن يعيش عمرا مديدا فحسب، بل إنه سوف يرى أيضا نسلا

بعيدا من أبنائه وأحفاده. ولعل أولئك المتشككين لا يعلمون.. أو لعلهم يعلمون ولكنهم يتجاهلون ويتعامون ويتناسون.. أن الله تعالى قد اختص نفسه بهذه الأمور فقال:

﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر:٤٣)

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ (المنافقون:١٢)

﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ (الحج:٦)

﴿للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ، يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ ۞ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى:٥٠)

فليس الأمر إذن أمر غرور شاب بقوته وحيويته، وليست القضية قضية فكر جمح به الخيال، وإنما هو أمر الله وقضاؤه، وقدره الذي قدّره وأنبأ عنه عبده ميرزا غلام أحمد في سنوات شبابه، حتى يكون ذلك شهادة من الله تعالى على صدقه وتأييد الله له، وحفظه إياه على قيد الحياة حتى جاوز السبعين من العمر، ولإثبات أنه تعالى هو الذي وهبه النسل من الذكور والإناث، وبارك في حياته وفي نسله حتى رأى بعينيه نسلا بعيدا، وحقق الله تبارك وتعالى وعده الذي وعده إياه منذ أكثر من أربعين عاما، من نوال العمر الطويل ورؤية النسل البعيد.

وها قد تحققت الوعود، وها قد سارت قافلة حياته الطاهرة الكريمة إلى هدفها المنشود، وها قد قاربت رحلة العمر من الانتهاء، فأخبر الله تعالى عبده المسيح الموعود بأن موعد اللقاء قد قَرُب، وساعة الانتقال إلى جوار الله قد دنت. ويكتب سيدنا أحمد عليه السلام كتابا باللغة الأردية يذكر فيه هذه الأنباء التي تلقاها من الله تعالى، ويُضمّنه وصيته، ويُسطّر فيه بعض النصائح للجماعة فيقول ما تعريبه:

"الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمدٍ وآله

وأصحابه أجمعين. أما بعد.. فبما أن الله ﷻ قد أخبرني بوحيه المتواتر أنّ موعد وفاتي قد دنا، وقد تواتر هذا الوحي إلى درجة هزّت أصول كياني وفَتَرتْ فــيّ الحياةُ، لذلك رأيتُ من المناسب أن أسجل بعض النصائح لأحبتي وكذلك لجميع الراغبين في الاستفادة من كلامي. فأولا أطلعكم على ذلك الوحي المقدس الذي أخبرني بقرب أجلي مما دفعني لأُقدم على هذه الخطوة. وفيما يلي ذلك الوحي الذي نزل باللسان العربي، كما سأورد فيما بعد الوحي الذي نزل بالأردية: "قَرُبَ أجلُك المقدّر، ولا نُبقي لك من المُخْزِيات ذِكرًا. قَلَّ ميعادُ ربّك، ولا نُبقي لك من المخزيات شيئًا. وإمّا نُرِيَنَّكَ بعضَ الذي نَعِدُهم أو نتوفيَنَّك. تموت وأنا راضٍ منك. جاء وقتك، ونُبقي لك الآياتِ باهراتٍ. جاء وقتك ونبقي لك الآياتِ بيّنات. قَرُبَ ما توعدون. وأمّا بنعمة ربك فحدِّثْ. إنه مَن يَتَّقِ الله ويصبرْ فإن الله لا يُضيع أجر المحسنين." واعلموا أن لوحي الله: "ولا نُبقي لك من المخزيات ذكرا" معنيَين: أولهما أننا سنمحو ما يُشاع ضدك من اعتراضاتٍ بنية الإهانة، فلن يبقى لها اسمٌ ولا أثرٌ. وثانيهما أننا سنطمس من صحيفة الوجود أولئك المعترضين الذين لا يرتدعون عن شرورهم وإثارتهم المطاعن، فبهلاكهم سوف تنمحي اعتراضاتهم السخيفة أيضًا. ثم بعد ذلك خاطبني الله باللغة الأردية عن وفاتي بما يلي: "قلّتْ أيامُ حياتك. يومئذ يستولي الحزن على الجميع. سوف يحدث كذا وكذا ثم تقع حادثتك. بعد وقوع جميع الحوادث وإراءة عجائب القدرة سيقع حادث وفاتك." (الوصية، الخزائن الروحانية ج ٢١ ص ٣٠١- ٣٠٢)

وقد ذكر سيدنا أحمد عليه السلام في هذا الكتاب أن الله تعالى أراه مكانا وقيل له هذا موضع قبرك، إذ رأى عليه السلام ملاكا يقيس الأرض، فوصل إلى موضع وقال له: هذا موضع قبرك. وقد رأى أيضا أن هذه الأرض قد سُمّيت باسم "بَهشتي مقبرة" أي مقبرة الجنة، ورأى فيها مقابر المختارين من جماعته الذين هم من أهل الجنة. ويقول عليه السلام إنه، بعد أن رأى تلك الرؤيا، ظل يُفكر في شراء قطعة

من الأرض لهذا الغرض، ولكن ارتفاع ثمن الأراضي الجيدة كان يحول دون ذلك، فاقترح تخصيص قطعة أرض من أملاكه الملاصقة لحديقته. وقد دعا الله تعالى أن يُباركها ويجعلها مقبرة الجنة، وأن تكون محل راحة لأصفياء القلوب من أفراد الجماعة الذين قدّموا دينهم بكل صدق على دنياهم، وأعرضوا عن حب الدنيا، وأصبحوا لله وحده، وأحدثوا في أنفسهم تغييرا صادقا، وضربوا للعالم أروع نماذج الصدق والوفاء، كما فعل صحابة رسول الله ﷺ.

ويستطرد سيدنا أحمد عليه السلام ويشرح سُنّة الله تعالى حين يتوفى أنبياءه فيقول:

"... يخبرني كلام الله أن الحوادث واقعة والآفات نازلة على الأرض، فمنها ما يقع أثناء حياتي ومنها ما يقع من بعدي. وإنه ﷻ سوف يرزق هذه الجماعة كل تقدم وازدهار، بعضه على يدي وبعضه الآخر من بعدي.

هذه هي سنة الله الجارية، ومنذ أن خلق الإنسان في الأرض مازال يبدي هذه السنة دون انقطاع أنه ينصر أنبياءه ومرسليه. ويكتب لهم الغلبة، كما يقول: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة: ٢٢) والمراد من الغلبة هو أنه كما أن الرسل والأنبياء يريدون أن تتم حجة الله على الأرض بحيث لا يقدر أحد على مقاومتها، فإن الله تعالى يظهر صدقهم بالبينات، ويزرع بأيديهم بذرة الحق الذي يريدون نشره في الدنيا، غير أنه لا يكمّله على أيديهم. بل يتوفاهم في وقت يصحبه الخوفُ من الفشل باديَ الرأي، فيُفسح بذلك المجالَ للمعارضين ليَسخَروا ويستهزئوا ويطعنوا ويشنّعوا. وحينما يكونون قد أخرجوا كل ما في جعبتهم من سخرية واستهزاء يُظهر الله تعالى يدَ القدرة الثانية، ويهيئ من الأسباب ما تكتمل به الأهداف التي كانت إلى ذلك الحين غير مكتلمة لحدٍّ ما.

فالحاصل أنه تعالى يُري قسمين من قدرته: أولاً، يُري يدَ قدرته على أيدي الأنبياء أنفسهم، وثانيًا، يُري يدَ قدرته بعد وفاة النبي حين

تواجه المحن ويتقوى الأعداء ويظنون أن الأمر الآن قد اختل، ويوقنون أن هذه الجماعة سوف تنمحي، حتى إن أعضاءها أنفسهم يقعون في الحيرة والتردد، وتنقصم ظهورهم، بل ويرتدّ العديد من الأشقياء، عندها يُظهر الله تعالى قدرتَه القوية ثانيةً ويُساند الجماعة المنهارة. فالذي يبقى صامدًا صابرًا حتى اللحظة الأخيرة يرى هذه المعجزة الإلهية، كما حصل في عهد سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ، حيث ظُنَّ أن وفاة الرسول ﷺ قد سبقت أوانَها، وارتد كثير من جهال الأعراب، وأصبح الصحابة من شدة الحزن كالمجانين، عندها أقام الله تعالى سيدنا أبا بكر الصديق ﷺ، وأظهر نموذجًا لقدرته مرة أخرى، وحمى الإسلام من الانقراض الوشيك. وهكذا أتم ﷻ وعده الذي قال فيه: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لهمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لهمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: ٥٦).. أي أنه تعالى سوف يثبّت أقدامهم بعد الخوف. وهذا ما حدث بالضبط في زمن سيدنا موسى عليه السلام حين اختطفته يد المنون وهو في الطريق ما بين مصر وأرض كنعان قبل أن يوصل بني إسرائيل إلى غايتهم المنشودة حسب الوعد. فقام بموته مأتم كبير بين بني إسرائيل. وكما ورد في التوراة أن بني إسرائيل ظلوا يبكون وينوحون إلى أربعين يوما جراء صدمة موته المفاجئ. وهذا ما حدث في زمن عيسى عليه السلام أيضا حيث تشتت الحواريون كلهم عند حادث الصلب وارتدّ واحد منهم أيضًا.

فيا أحبائي، مادامت سنة الله القديمة هي أنه تعالى يُري قدرتين، لكي يحطّم بذلك فرحتَين كاذبتين للأعداء.. فمن المستحيل أن يغيّر الله تعالى الآن سنته الأزلية. لذلك فلا تحزنوا لما أخبرتكم به ولا تكتئبوا، إذ لابد لكم من أن تروا القدرة الثانية أيضًا، وإن مجيئها خير لكم، لأنها دائمة ولن تنقطع إلى يوم القيامة. وإن تلك القدرة الثانية لا يمكن أن تأتيكم ما لم أغادر أنا، ولكن عندما أرحل سوف يرسل الله لكم القدرةَ الثانية، التي سوف تبقى معكم إلى الأبد." (المصدر السابق ص ٣٠٥)

هكذا أعلن سيدنا أحمد عليه السلام عن قرب رحيله عن هذه الدار، وأشار إلى

سُنّة الله المستمرة التي تقع بعد وفاة الأنبياء الكرام، كما كان الشأن بعد وفاة موسى وعيسى وسيد الأنبياء عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام. إذ ربما يبدو أن النبي المبعوث من الله تعالى قد غادر مسرح الحياة، وترك غرسته التي غرسها بأمر السماء قبل أن يصلب عودها، حتى إن الأعداء والمنافقين يظنون أنه من السهل اقتلاعها والقضاء عليها، فإذا به سبحانه يتجلى بتأييده وحمايته مرة أخرى، عن طريق الخلافة التي يقيمها سبحانه بنفسه، لتعهد الغرسة الصغيرة الخضراء، إلى أن تصير شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

لقد أطلق سيدنا أحمد عليه السلام على الخلافة اسم "القدرة الثانية"، لأنه بعد أن ينتقل النبي إلى الدار الآخرة.. يتجلى الله تعالى بقدرته مرة ثانية من أجل الحفاظ على الدعوة وحمايتها، ويستخلف من بين المؤمنين من يحمل المشعل. وقد أشار سبحانه إلى هذا الاستخلاف في آية سورة النور، التي استشهد بها سيدنا أحمد عليه السلام في المقطع الذي سبق ذكره في كتابه "الوصية". يقول سبحانه:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذينَ ءَامَنُوا منْكُمْ وَعَملُوا الصَّالحَات لَيَسْتَخْلفَنَّهُمْ في الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ منْ قَبْلهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الَّذي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْد خَوْفهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَني لاَ يُشْرِكُونَ بي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلكَ فَأُلَئكَ هُمُ الْفَاسقُونَ﴾ (النور:٥٦)

ويتضح من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قد وعد المؤمنين أن يستخلفهم في الأرض، وأنه هو الذي يقيم هذه الخلافة المباركة الراشدة، وأنه بواسطة هذه الخلافة يثبت دعوته في الأرض، ويُبدّل الخوف الذي ينتاب المؤمنين إلى أمن واطمئنان. ومعنى هذا أن الخلافة الراشدة تتبع السُنن الإلهية الخاصة بالنبوة والأنبياء، ولا تتبع السنن التي وضعها الله تعالى لعامة البشر.

ولإلقاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع نذكر أن السُنن الإلهية الخاصة

بالنبوة والأنبياء هي سُنن لا تتجلّى إلاّ للأنبياء فقط، ونذكر منها على سبيل المثال ما ذكره القرآن المجيد.. أن الناس دائما وأبدا يكذبون الرسل ويهزأون بهم ويسخرون منهم كما يقول تعالى:

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَـأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (يس:٣١)

ومن سُنن الله مع الأنبياء أنه يؤتيهم جرأة وإقداما فلا ينتابهم الخوف من أعدائهم مهما كانت الظروف. يقول تعالى:

﴿إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل:١١)

وغني عن القول أن نذكر هنا أن الخوف الذي ينتاب الأنبياء في حياتهم ليس هو الخوف من أعدائهم ولكنه الخوف من أن يكونوا قد فرّطوا في أمر من الأمور، أو قصّروا في أداء واجب من الواجبات، مما قد يؤدي إلى غضب الله تعالى أو يؤخر نصره، ولذلك نجد أنهم أحرص الناس على ألا يشوب عملهم شائبة من إفراط ولا تفريط. ومن هنا كان دعاء رسول الله ﷺ الذي دعا به الله تعالى بعد أن رماه الغوغاء بالحجارة في الطائف فأدموا رأسه الشريف، وسال منه الدم حتى وصل إلى قدميه، فأقبل على الله يدعوه ويقول: "إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أُبالي." عليك رحمة الله وسلامه يا خير خلق الله ويا أفضل وأعظم رسل الله.

ومن أهم سُنن الله مع أنبيائه، أنه تعالى ينصرهم على أعدائهم ومخالفيهم ومعارضيهم، رغم أن هذا النصر يبدو في أول الأمر مستحيل التحقيق، ولكنه.. رغم كل الظروف.. وعلى عكس كل المؤشرات.. يتحقق. ولذلك يؤكد الله تعالى على تحقيق النصر فيقول:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ (غافر:٥٢)

وهذا النصر الذي وعد به الله تعالى الرسل والمؤمنين، يتحقق جانب منه

أثناء حياة أولئك الرسل، ويتحقق جانب آخر بعد وفاهم، على أيدي من يستخلفهم الله تعالى من بعدهم.

وإن الذي يراقب تطور الأحداث ويستقصيها، ومن يتتبع مجريات الأمور ويستقريها، فإنه لا بد وأن يصل إلى نتيجة محتّمة.. وهي أن دعوة الأنبياء تبدو في أول أمرها راجفة واجفة، لا يؤمن بها إلا أفراد قلائل، يذوقون الأمرّين من التعذيب والاضطهاد، ثم يقيم الأعداء حولها سياجا عاليا، وسدا منيعا من المعارضة والتكذيب، حتى إن المؤشرات جميعا تشير إلى حتمية الفشل، وإذا بالله تعالى يفتح لها بابا للنصر والازدهار من حيث لا يتوقع أحد. هكذا كان الحال في السنوات العجاف التي قضاها الرسول ﷺ في مكة.. ثلاث عشرة من سنوات العذاب والآلام والاضطهاد، وصلت إلى قمتها في عام الحزن، حين فقد الرسول زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها، وفقد حماية عمه أبي طالب، ونجحت قريش في بث دعاياها الكاذبة حتى انصرف الناس عنه، وأقامت حوله سياجا من "التعتيم الإعلامي"، حتى لم يعد أحد يستمع إليه. وإذا بالله ﷻ يأتي بحفنة من الناس من يثرب، ليشدوا على أيدي الرسول مبايعين، ثم يعودوا في العام التالي وهم نيف وسبعون، ثم يهاجر إليهم الرسول مقيما للدولة الإسلامية التي يكون هو على رأسها.

ويصف كتاب الله العزيز هذه الفترات الحرجة في حياة الدعوة فيقول:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثَلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة:٢١٥)

وتتكرر نفس المشاهد من البأساء والضراء والزلزلة التي تصيب المؤمنين، حتى ليكاد يسيطر عليهم اليأس والإحباط، وإذا بنصر الله يأتي من حيث لا يشعر أحد ولا يتوقع. وهكذا نرى أن الأمور لا تستقر في الدولة الإسلامية الوليدة، بل يحيط بها الأعداء من كل جانب، ويحاول المخربون من المنافقين

تقويضها من الداخل، ويتآمر عليها اليهود ويخونون عهودهم مع المسلمين، ومن الخارج تأتي إليها أفواج المقاتلين والمحاربين للقضاء عليها، ويحيطون بها حتى لكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، كما حدث في غزوة الخندق، فإذا بالله يفتح بابا للنصر من حيث لا يشعر أحد، فيلقي تعالى الرعب في قلوب الجيوش المحاصرة فيفرون هاربين، ويلقي الرعب في قلوب اليهود فيخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ويقضي عليهم بالجلاء من المدينة، ثم تأتي سنوات الأمن والسلام بعد صلح الحديبية، فتنتشر الدعوة بين القبائل، حتى إذا نقضت قريش المعاهدة.. زحف الرسول ﷺ إلى مكة رافعا أعلام الظفر والانتصار.

ومرة أخرى تتكرر مشاهد البأساء والضراء، حتى إذا ما زُلزل المؤمنون زلزالا شديدا.. إذا بنسمات التأييد الإلهي تهب عليهم رطبة جنية، فتتابع وتتوالى بعدها مشاهد التأييد والانتصار.

ونلقي مرة أخرى نظرة عبر أحداث التاريخ، لنرى ما الذي يحدث لدولة الإسلام التي انتشرت في أنحاء الجزيرة العربية واليمن.. فنشاهد من الداخل ردة القبائل عن الدين وقتلها عمال الرسول، ومن الخارج يتآمر الروم مع اليهود للقضاء على دولة المسلمين قضاء مبرما، وتأتي الأنباء من كل أنحاء الجزيرة العربية ومن اليمن بانتفاض القبائل، وخروجها على الدولة ومنع الزكاة، وتتزاحم حشود الرومان على حدود الدولة في الشمال، ثم يُفجع المسلمون بوفاة الرسول في هذه الظروف الحرجة، حتى إذا أيقن الأعداء أنهم غالبون، أقام الله تعالى أبا بكر ليعيد هيبة الدولة الإسلامية، ويقضي على الأخطار المحدقة بها، ويُمكّن الله دينه في الأرض، ويبدّل المؤمنين من بعد خوفهم أمنا.

هذه هي السُنّة الإلهية التي كتبها الله تعالى لأنبيائه، كما كتبها أيضا لمن يختارهم الله للخلافة على منهاج النبوة. إذ من خلال هذه الخلافة المباركة الراشدة.. تستمر بركات النبوة التي تستمطر تأييد الله، وتستنـــزل حمايته، وتستدعي نصرته. وبغير هذه الخلافة المباركة، التي لا بد أن تكون على منهاج

النبوة، فإن الأمر يكون متروكا للسنن العامة التي قدّرها الله تعالى لعامة الناس.. من جدّ وجد، ومن زرع حصد، لا فرق في ذلك بين مؤمن أو كافر.

وليس كل نظام للحكم هو خلافة على منهاج النبوة، وليست كل قيادة هي خلافة راشدة، لذلك فإن البركات السماوية الخاصة لا تتنـــزل لكل نظام يُطلق على نفسه اسم الخلافة. وقد رأينا عبر التاريخ أنواعا من الأنظمة كانوا يسمّونها خلافة مثل خلافة الأمويين والعباسيين والفاطميين والعثمانيين، ولكن رسول الله ﷺ سبق وأخبرنا أن هذه الأنظمة ليست هي الخلافة التي على منهاج النبوة، بل هي الحكم المتوارث والحكم العضوض. ففي حديث من أحاديثه الشريفة قال ﷺ:

"تكون فيكم النبوة ما شاء الله لها أن تكون، ثم يرفعها الله تعالى.. (وهنا يشير إلى نبوته ﷺ)

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله تعالى.. (وهي الخلافة الراشدة)

ثم تكون مُلكا عاضا.. (وهي أنظمة الحكم التي تبعت الخلافة الراشدة) ما شاء الله أن تكون. ثم يرفعها الله تعالى..

ثم تكون مُلكا جبرية.. (أي حكما مستبدا.. وهو ما آلت إليه هذه الأنظمة) فيكون ما شاء الله أن يكون. ثم يرفعها الله، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، (أي تعود الخلافة الراشدة مرة أخرى) ثم سكت".

(مشكاة المصابيح، كتاب الرقاق، باب الإنذار والتحذير)

وفي حديث آخر أشار ﷺ بقوله: "لم تكن من نبوة إلا وتبعتها خلافة". والعظيم حين يتحدث فإنه يتحدث عن العظماء من الأنبياء وليس عن جميع الأنبياء، فالمقصود من الحديث الشريف أنه لم يكن نبي من الأنبياء العظام إلاّ وتبعته خلافة. وهؤلاء الأنبياء العظام هم من اصطلح بعض العلماء على تسميتهم بأولي العزم من الرسل، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسيد الأنبياء عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى السلام. وقوله ﷺ: "... ثم تكون

خلافة على منهاج النبوة" يشير إلى نبوة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام الذي هو من زمرة أولئك الأنبياء العظام الذين تتبعهم الخلافة، ولذلك وصفها ﷺ بأنها خلافة على منهاج النبوة.

غير أن وعد الله تعالى بالاستخلاف مشروط بشرطين.. هما الإيمان والعمل الصالح، وإن لم يتوفر هذان الشرطان.. فإن الله تعالى ينـــزع هذه النعمة من الناس. ولنلق مرة أخرى نظرة عبر التاريخ لنرى ماذا حدث في السنوات التي تلت وفاة الرسول ﷺ. أقام الله تعالى أبا بكر.. ورغم غياب جيش المسلمين بقيادة أسامة بن زيد في قتاله مع الروم، فإن أولئك الذين خرجوا على الدولة لم يستطيعوا أن ينالوا منها شيئا، حتى مع عدم وجود جيش يحميها، لأن الله تعالى كان يحميها ويدافع عنها، حتى إذا عاد الجيش بعد انتصاره على الروم، استطاع أن يقضي على الفتنة، ويُثبت أركان الأمن والسلام في ربوع الدولة.

ولما توفي أبو بكر أقام الله تعالى عُمرَ، وأيده بروح من عنده، وبجنود من السماء، حتى إن هذه الدولة التي كانت لا تزال تحبو على أول الطريق، استطاعت رغم كل الظروف أن تنتصر انتصارا ساحقا على دولة الفرس العظمى حين تحرشت بالدولة الإسلامية، واستطاعت أن تحرر بيت المقدس والشام ومصر من مظالم الرومان. ولما رفع الأعداء رؤوس التآمر بالدولة الجديدة التي توسعت رقعتها، واغتالت الأيدي الآثمة خليفة المسلمين، في مؤامرة دبرها أبو لؤلؤة المجوسي، وانتهز الأعداء فرصة مقتل الخليفة القوي عمر بن الخطاب، وقامت فلول الجيوش المنهزمة برفع راية العصيان في أركان الدولة التي صارت مترامية الأطراف، أقام الله تعالى عثمان.. الكهل الذي بلغ من العمر سبعين عاما، والذي كان يتميز باللين والطيبة والحياء، فإذا به لا يقل صرامة وقوة وبأسا عن عمر، في الذود والدفاع عن أمة المسلمين. فأرسل إلى أذربيجان وأرمينية جيشا بقيادة الوليد بن عقبة، ولما تحرشت قوات الروم بالشام، صدهم بجيش حبيب بن مَسلمة، ولما هاجموا الإسكندرية بأسطولهم ليستولوا على مصر

بعث إليهم بعمرو بن العاص فأصلاهم سعيرا، وحين جاءت جيوش البربر بجحافلهم التي بلغت مائتي ألف مقاتل، تصدّى لهم بجيش على رأسه ثلاثة من "عباد الله" هم عبد الله بن أبي السرح، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فهزموهم بإذن الله واستولوا على شمال أفريقيا. بل إن عثمان ﷺ كان أول من أنشأ السلاح البحري في الدولة الإسلامية، فركب المسلمون البحر وأنزلوا بأسطول الرومان هزيمة نكراء واستولوا على قبرص. ولما تعددت القراءات في كتاب الله، بسبب دخول أعداد كبيرة من الشعوب في الإسلام، وكاد المسلمون أن يختلفوا في كتابهم كما اختلف أهل الكتاب من قبلهم، قيَّض الله تعالى لعثمان أن يجمع الكتاب العزيز، ويُوَحد الرسم الذي يُكتب به، وحفظ الله تعالى بعثمان كتابه المجيد الذي لا يزال حتى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة، يحمل خطه اسم عثمان ﷺ وأرضاه.

كانت هذه هي بعض بركات الخلافة.. الخلافة الراشدة.. الخلافة التي هي على منهاج النبوة.. والتي يُنعم الله تعالى بها على عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وما دام قد توفر هذان الشرطان.. الإيمان والعمل الصالح.. فإن فضل الله ونعمه وبركاته كانت تتنـــزل على الأمة الإسلامية، كما يتنـــزل الغيث على الأرض الطيبة. ولكن حين بدأ المسلمون ينتقدون أمراءهم، ويعصون أمر وُلاتهم، وحين اندس بينهم المخربون والمنافقون ليقضوا على الدولة من الداخل، بعد أن فشلت الجيوش في القضاء عليها من الخارج، وحين دخلت في الإسلام جموع كثيرة من أهل البلاد المفتوحة، لم تنل من التربية الإسلامية قدرا يؤهلها ويعوّدها على طاعة أولي الأمر، وحين استشرت الفتنة بانتقاد الخليفة نفسه، ومطالبته بالتنحي والاعتزال، ثم تآمرت ودبرت واغتالت أيدي المسلمين خليفتهم الذي أقامه الله تعالى، دب الشقاق والخلاف بين صفوف المسلمين، ولو أنهم تابوا وأصلحوا، وسمعوا وأطاعوا، لعفا الله عنهم، ولقضى باستمرار نوالهم أنعم الخلافة وبركاتها، ولكنهم خرجوا أيضا على

الخليفة الرابع، وعصوا أمره، ثم اغتالوه وسفكوا دمه، فرفع الله منهم هذه النعمة، وظلوا منذ ذلك الحين في شقاق وخلاف، إلى أن بعث الله تعالى عبده الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، ليفتح لهم باب الرحمة والائتلاف، بعد أن فتحوا بأنفسهم باب الفرقة والخلاف، وقضى سبحانه وتعالى.. تكرمة لأولئك الذين آمنوا بعبده الإمام المهدي.. أن تعود إليهم نعمة الخلافة الراشدة مرة أخرى، تصديقا لوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سبق وأنبأ بقوله: "ثم تكون **خلافة على منهاج النبوة**".

لذلك.. فقد حرص سيدنا أحمد عليه السلام أن يكتب وصيته في كتاب صغير، يشير فيه إلى قدرة الله الثانية.. التي هي الخلافة الراشدة.. والتي سوف يرسلها الله تعالى من بعده، حينما تنتهي به رحلة العمر. وكان أيضا حريصا على أن يؤكد أن هذه الخلافة التي هي على منهاج النبوة.. إنما هي من فضل الله تعالى، يؤيد بها عباده الصالحين بروح القدس، فقال: "**... فإلى أن يُقيم الله أحدكم مؤيدًا بروح القدس، ثابروا على العمل متكاتفين من بعدي.**"

من أجل هذا.. كان سيدنا أحمد عليه السلام أشد الناس حرصا على أن يكون أتباعه الكرام، متصفين بكل من الصفتين اللتين يقتضيهما استمرار وجود نعمة الخلافة بينهم.. وهما الإيمان والعمل الصالح.. تحقيقا لوعد الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾، ولهذا فقد ضمّن كتابه "الوصية" نصائح خاصة لأفراد جماعته، حتى يكون بذلك قد أدى واجبه أمام الله تعالى إلى أخريات أيام حياته. ونقتطف فيما يلي باقة من هذه النصائح التي قال فيها ما تعريبه:

"... وينبغي أن تنالوا نصيبًا من روح القدس جراء التعاطف فيما بينكم وتزكية أنفسكم، وذلك لأن التقوى الحقيقية لا تُنال بدون روح القدس. وتَخلَّوا عن ثوائركم النفسية تمامًا، واسلكوا أعسرَ الطرق وأضيقها ابتغاءَ مرضاة الله تعالى. لا تفتتنوا بملذات الدنيا فإنها تُبعدكم عن الله تعالى، بل اختاروا حياةَ المرارة لوجهه تعالى، فإنَ الألم الذي

فيه رضاء الله خير من اللذة التي تجلب غضبه، وإن الهزيمة التي تُرضي الله أفضل من الانتصار الذي يوجب غضبه، فاقلعوا عن المحبة التي تدنيكم من غضبه.

لو أقبلتم على الله بالقلوب الصافية لنصركم في كل موطن، ولن يقدر عدوّ بعدها على النَّيلِ منكم. ولن تنالوا رضاء الله تعالى ما لم تتخلّوا عن إرادتكم وملذاتكم وعزّتكم وأموالكم وأنفسكم، وما لم تتجشموا في سبيله ﷻ تلك المرارةَ التي تشبه الموت. ولكن لو كابدتم المرارة لكنتم كالطفل الحبيب في حضن الله، ولجُعِلتم ورثة لمن خلا من قبلكم من الصديقين وتُفتح لكم أبوابُ كل نعمة. ولكن.. القلة من يفعل ذلك.

لقد خاطبني الله ﷻ قائلاً: إن التقوى غرسةٌ ينبغي زرعها في الفؤاد، لأن الماء الذي تتغذى وتنمو به التقوى يَرْوي حديقةَ النفسِ بأجمعها. إنما التقوى جذرٌ إذا انعدم صار كل شيء بعده بلا طائل، وإذا سَلِمَ سلم كل شيء.

ماذا عسى أن يستفيد الإنسان من مجرد ثرثرة اللسان، فيدّعي بأنه يطلب الله ولكن لا يخطو نحوه بقدم الصدق؟ الحق.. والحق أقول: إنه لهالك من كان دينه مشوبًا ببعض شوائب الدنيا. وإن جهنّم لقريبة جدًا ممن لم تكن نيّاته كلها خالصة لله، بل كانت بعضها لله وبعضها للدنيا. فإن كانت نياتكم مشوبة بشوائب الدنيا ولو مثقال ذرة فإن عباداتكم كلها عَبَثٌ، ففي هذه الحالة لا تتبعون الله بل تتّبعون الشيطان. لا تتوقعوا أبدا، والحال هذه، أن ينصركم الله؛ بل ستصبحون في هذه الحالة ديدان الأرض، وتُهلَكون في أيّام معدودات كما تُهلَك الديدان وتُباد، فلا يكون الله معكم بل يرضى بهلاككم. ولكن إذا تخليتم عن أهواء النفس حقيقةً يتجلى الله فيكم ويكون معكم، وتتبارك الدار التي تسكنونها، وتتنَزّل رحمة الله على جدران بيوتكم، حتى تتقدّس المدينة التي يقطنها شخص مثلكم.

إن كانت حياتُكم ومماتكم، وكلُّ حركة من حركاتكم، ولِيْــنُكم

وشدّتكم، لوجه الله وحده، ولم تمتحنوا اللهَ عند كل مصيبة ومرارة، ولم تقطعوا عنه صلتكم، بل سرتم إليه قُدُمًا، فالحق والحق أقول.. إنكم ستصبحون بذلك أمّة الله المختارة. إنكم بشر كمثلي، وإلهي هو إلهكم، فلا تُضيعوا قواكم القدسية. لو أنكم كنتم منيبين إلى الله حقًّا فإني أخبركم تبعًا لمشيئة الله.. أنكم ستصبحون أمّة الله المختارة. اغرسوا عظمة الله في قلوبكم، ولا تكتفوا بالإقرار بتوحيده باللسان فقط بل بالعمل أيضا، ليجلي الله عليكم لطفه وإحسانه بصورة عملية. اجتنبوا البغض والضغينة، وعاملوا بني البشر بالمواساة الصادقة. اسلكوا كل سبيل من سبل الخير، لأنكم لا تدرون بأي السبل تُقبَلون.

طوبى لكم! فإن ميدان التقرّب إلى الله قد خلا. كل أمة عاكفة على الدنيا، وأعرضَ العالم عما يرضى به الله. فالذين يريدون أن يقتحموا هذا الباب بكل قوة، فالفرصة سانحة لهم ليُبدوا قدراتهم في هذا المجال وينالوا بركات الله الخاصة.

لا تظنوا أن الله تعالى سوف يضيعكم، أنتم بَذْرةٌ بَذَرَها الله تعالى في الأرض بيده. يقول الله تعالى: إن هذه البَذْرة سوف تَنْمُو وتَزْدَهِرُ وتَتَفَرَّعُ في كل طرف، ولَسَوْف تصبح دَوْحَةً عظيمةً. فطوبى لمن يؤمن بقول الله تعالى ولا يخاف الابتلاءاتِ العارضة، لأنه لابد من الابتلاءات أيضا لكي يختبركم الله مَن منكم صادق في ادعائه للبيعة ومن هو كاذب. والذي يَزِلّ بسبب الابتلاء لن يضر الله شيئا، والشقاوة سوف تُوصله إلى الجحيم، ولو لم يُولَد لَكان خيرًا لــه. ولكن الذين يصبرون إلى نِهايَة المَطافِ في حين تأتي عليهم زلازل المصائب وتَهُبُّ عليهم عواصفُ الابتلاءات، وتَسْخَرُ منهم الأقوامُ وتستهزئ، وتُعاملُهم الدنيا بمنتهى الكراهية؛ فأولئك الذين سوف يفوزون في آخرِ الأمر، وتُفتَح عليهم أبوابُ البركاتِ على مصْراعَيْها.

لقد قال اللهُ تعالى مخاطبا إيَّايَ أن أُخْبِرَ جماعتي بأن الذين يؤمنون إيمانا لا تشوبُهُ شائبةٌ من الدنيا، وليس ذلك الإيمان مُلوَّثا بالنفاق أو الجُبنِ وليس خاليًا من الطاعة، فأولئك هم المَرْضيُّون عند الله تعالى.

ويقول الله تعالى إنهم هم الذين قدمُهم قدمُ صِدْقٍ.

يا من يملكون السمع .. أَنصِتوا! ماذا يريد الله منكم؟ إنما يريد أن تكونوا لـــه وحده. لا تشركوا به أحدا.. لا في السماء.. ولا في الأرض. إن إلهنا هو ذلك الإله الذي هو حيٌّ الآن أيضًا كما كان حيًّا من قبل، ويتكلم الآن أيضا كما كان يتكلم من قبل، ويسمع الآن أيضا كما كان يسمع من قبل. إنه لظَنٌّ باطل أنه ﷻ يسمع الآن ولكنه لم يعد يتكلم. كلا، بل إنه يسمع ويتكلم أيضًا. إن صفاته كلها أزلية أبدية، لم تتعطل منها صفة قط، ولن تتعطل أبدًا. إنه ذلك الأحد الذي لا شريكَ له ولا ولدَ ولا صاحبة. وإنه ذلك الفريد الذي لا كفوَ لـــه، والذي ليس كمثله أحد متفرد في صفاته، والذي ليس له ندّ. ولا شريك له في صفاته، ولا تتعطل قوة من قواه. إنه قريب على بُعده، وبعيد على قربه، وإنه يمكن أن يُظهر نفسه لأهل الكشف على سبيل التمثل، إلا أنه لا جسمَ لـــه ولا شكلَ. وإنه فوق الجميع، ولكن لا يمكن القول إن أحدًا تحته؛ وإنه على العرش، ولكن لا يمكن القول إنه ليس على الأرض. هو مجمع الصفات الكاملة كلها، ومظهر المحامد الحقة كلها، ومنبع المحاسن كلها، وجامع للقوى كلها، ومبدأ للفيوض كلها، ومرجع الأشياء كلها، ومالك لكل ملك، ومتصف بكل كمال، ومنــزه عن كل عيب وضعف، ومخصوص بأن يعبده وحده أهلُ الأَرض والسماء، ولا شيء مستحيل لديه. إن جميع الأرواح وما فيها من القوى، وجميع الذرات وما فيها من القوى من خلقه هو، ولا شيء يظهر بدونه. إنه يجلّي نفسَه بنفسه عن طريق قواه وقدراته وآياته، ولا نصل إليه إلا عن طريق ذاته. ويتجلى دائمًا على الأبرار بوجوده ويريهم قدراته، وبها يُعرَف هو وبها تُعرف سبيله التي فيها رضاه.

إنه يرى ولكن بدون عيون جسمية، ويسمع ولكن بدون آذان عنصرية، ويتكلم ولكن بدون لسان مادي. هكذا فإن من أعماله الإيجاد من لا شيء، كما تشاهدون أنه يخلق في مشهد الحلم عالـــمًا آخر بدون أية مادة ويُري في حيّز الوجود كلَّ من كان قد فنى وصار

معدومًا. وعلى هذه الشاكلة تكون كل قدراته. والأحمق من يكفر بقدراته، والأعمى من لم يطلع على عميق قواه. إنه يفعل كل شيء ويقدر عليه إلا ما يخالف شأنه أو ما يتنافى مع وعوده. هو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله وقدراته. لقد سُدّت أبواب الوصول إليه إلا بابٌ فَتَحَه القرآن المجيد، ولم تعد هناك حاجة لاتّباع جميع الرسالات والكتب السماوية السابقة، لأن النبوّة المحمدية احتوتها جميعًا. فالأبواب كلها مُغلقة إلا بابها. إنها مشتملة على كل الحقائق الموصلة إلى الله تعالى. لن تأتي حقيقة جديدة بعدها، كما ليست من حقيقة سابقة إلا ووُجِدت فيها. لذلك قد خُتمت عليها كلّ نبوّة، وهكذا كان ينبغي أن يكون، لأن لكل بداية نهايةً.

ولكن هذه النبوّة المحمّدية ليست بعاجزة عن الإفاضة الذاتية، بل إن فيضها يفوق سائر الرسالات، وطاعة هذه النبوّة تُوصِل المرء إلى الله بأسهل الطرق، وباتّباعها يتشرّف المرء بالمحبّة الإلهية، والمكالمة والمخاطبة، أكثر مما كان مُتاحًا من قبل. ولا يُقال لتابعها الكامل نبيًّا مستقلا، لأن في ذلك انتهاكًا للنبوة المحمدية الكاملة، بل ينطبق عليه في آن واحد تعبيرانِ: "نبي و من أمة محمد ﷺ"، لأنه ليس في ذلك إساءة إلى كمال النبوّة المحمدية التامة، بل إن هذا الفيضان الروحاني يزيدها حسنا ولمعاناً*. عندما تبلغ المكالمة والمخاطبة الإلهية درجةَ الكمال كيفًا وكمًّا، بحيث لا تشوبها شائبة ولا نقيصة، وتكون مشتملةً على الأمور الغيبية بصورة بينة.. فإنها بتعبير آخر تسمّى بالنبوة، الأمر الذي اتفق عليه الأنبياء جميعهم.

فمن المستحيل للأمة التي قيل بحقها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١) والتي عُلّمتْ دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ

* ومع ذلك فاذكروا جيدًا أن باب النبوة التشريعية بعد الرسول ﷺ قد أُغلق بالكلية، فلا كتاب بعد القرآن يأتي بأحكام جديدة أو ينسخ حكمه أو يعطل اتّباعه بل هو معمول به إلى يوم القيامة. منه.

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم﴾، أن يبقى جميعُ أفرادها محرومين من هذه المرتبة الرفيعة ولا ينالها فرد منهم. ولو كان الأمر كذلك لكانت الأمّة المحمّدية ناقصة يعوزها الكمال، ولصار أفرادها كلهم كالعميان، بل ولكانت قوة فيضان الرسول عرضة للطعن ولاعتُبرت قوّته القدسية ناقصة، ولصار من العبث دعاءُ سورة الفاتحة الذي علمنا الله إياه وأمِرنا أن ندعو به في صلواتنا الخمس.

وإلى جانب ذلك كانت هناك نقيصة أخرى وهي أنه لو كان بالإمكان أن ينال أحد أفراد الأمة هذه المرتبة مباشرة بغير اتّباع نور النبوّة المحمّدية لبطل معنى ختم النبوة.

ولكي يحفظ الله تعالى النبوّة المحمدية من هاتين النقيصتين.. وهب لبعض أفراد الأمّة شرف المكالمة والمخاطبة الكاملة التامّة المطهّرة المقدّسة، ممن بلغوا مرتبة التفاني في الرسول على الوجه الأتم، بحيث لم يبق بينهم أي حجاب، وتحقَّق فيهم مفهوم "الأمّتي" ومعنى الاتباع على الوجه الأكمل والأتم بحيث لم يعد لكيانهم الشخصي أي أثر، بل إن شخص المصطفى قد انعكس في مرآة تفانيهم، ومن ناحية أخرى نالوا كالأنبياء شرفَ المكالمة والمخاطبة الإلهية على الوجه الأكمل والأتم.

وعلى هذه الشاكلة.. نال بعض الأفراد لقب نبي مع كونهم من الأمّة، لأن هذا النوع من النبوة ليس بمنفصل عن النبوّة المحمدية. بل لو دققتم النظر.. لرأيتم أنها النبوّة المحمدية نفسها التي تجلّت في ثوب جديد. وهذا هو معنى قوله ﷺ عن المسيح الموعود إنه "نبي الله"، وقوله: "**وإمامكم منكم**"، أي أنه نبي ولكنه أيضا من أمّته ﷺ وإلا فليس هناك موطئ قدم في هذا المقام لمن ليس من أمته ﷺ، فمبارك مَن أدرك هذه النكتة ونجا من الهلاك." (الوصية، الخزائن الروحانية ج ٢٠ ص ٣٠٧-٣١٢)

إن كل إنسان مخلص.. يقرأ هذه الكلمات بعين الإنصاف.. يستطيع أن يرى في كاتبها قدر حرصه الشديد على أن يقف أتباعه دائما وأبدا في جانب

الله وليس في جانب الدنيا، وأن يُطهروا أنفسهم حتى ينالوا نصيبا من روح القدس، وألا يُدنسوا أنفسهم بجيفة الدنيا، وأن يكونوا بكل قواهم وجميع أفئدهم وملء قلوهم لله تعالى، لا يشركون بعبادة رهم أحدا، ولا يبغون عنه حوَلاً.

هكذا كان سيدنا أحمد الطَّيِّلاً حريصا شديد الحرص على أن يُربي أفراد جماعته تربية روحانية عالية، وأن يوصلهم إلى أعتاب الله تعالى ليكونوا دائما في ظل الله، وليقضوا أعمارهم في معية الله، وليشهد لهم نهار كل يوم أنهم قضوه في طاعة الله، وليشهد لهم مساء كل ليلة أنهم قضوها في ذكر الله، حتى يكونوا من بين أولئك الذين يباهي بهم رسول الله ﷺ الأمم يوم القيامة.

ورغم أن سيدنا أحمد كان قد وهن منه العظم واشتعل رأسه شيبا، ورغم أنه كان يعاني من مرضين ظلا يلازمانه معظم أيام حياته، هما مرض الصداع المزمن ومرض كثرة التبول، بالإضافة الى بعض الأمراض الأخرى التي كانت تصيبه من حين لآخر، ومع أنه لكبر سنه قد أصابه الضعف الذي عادة ما يصيب الطاعنين في السن والمتقدمين في العمر، إلاّ أنه لم يصبه الوهن أبدا في حمل وأداء رسالته، وتبليغ دعوته، وتربية أفراد جماعته، وإقامتهم على البر والتقوى.

لقد ظل حتى أواخر أيام حياته الشريفة الطاهرة يعمل بكل جد وكد، وبكل حيوية ونشاط، مشرفا على أمور الجماعة التي انتشر أفرادها في جميع أنحاء الهند، وتواجد أفرادها خارج الهند أيضا في أفغانستان، وفي العراق والشام ومصر والحجاز، بل وفي انجلترا وأمريكا.

كان الطَّيِّلاً يقوم على رأس هيئة كبيرة تشرف على بعث المندوبين إلى الكثير من البلدان المتعددة، وكان يشرف على طباعة الكتب والجرائد والمجلات الدورية، وإرسالها إلى عناوين القراء والمشتركين، ويراقب كل ما ينشره أعداء الإسلام من الهندوس والمبشرين المسيحيين، ويتصدى لهم بسرعة

البرق كالشهاب الثاقب. وإلى جانب أداء الفروض في المسجد.. كان سيدنا أحمد يعقد مجالس العرفان حيث يعظ ويربي أفراد جماعته، ويقرأ كل الخطابات التي كانت تنهمر عليه من مختلف بقاع الأرض، ويرد بنفسه على كل منها، ويستقبل كذلك الوافدين إليه للاستعلام والاستفسار، ويوَفر لهم سبل الإقامة والضيافة من طعام ومسكن في قاديان، التي لم يكن يوجد بها ولا فندق واحد.

ومع كل تلك المسؤوليات كان زوجا صالحا ووالدا حنونا يرعى أمور أسرته ويشرف على تربية أولاده. كما أنه استمر في كتابة الكتب والإشراف على طبعها ونشرها حتى بعد أن نشر كتابه الوصية، فقد كتب كتابا بعنوان "ينبوع المسيحية"، تناول فيه عقائد المسيحية وفنّدها، وكتابا آخر باسم "نحن والآرية في قاديان"، ثم أصدر الجزء الخامس من كتابه الشهير "البراهين الأحمدية"، ثم كتب كتابا ضخما سمّاه "حقيقة الوحي"، وضمّنه كتابا باللغة العربية اسمه "الاستفتاء"، أراد أن يقدم فيه لعلماء الإسلام أسئلة عما يمكن أن تحكم به ضمائرهم فيما يختص بدعوته، ثم بدأ في تصنيف آخر كتاب له باسم "رسالة الصلح" لكي يرسي قواعد السلام في المعاملات بين المسلمين والهندوس.

كان عليه السلام قد تلقى وحيا يقول: [وَسِّعْ مَكَانَكْ]، وكان هذا مشيرا إلى ضرورة استمرار التوسع نظرا لازدياد أعداد المبايعين والداخلين في الجماعة. كذلك جاءه الوحي بقوله تعالى: [وَلا تَسْأَمْ مِّنَ النَّاسِ]، وكان هذا الوحي يشير أيضا إلى كثرة الوافدين عليه تحقيقا لوحي آخر كان أيضا قد تلقاه يقول: [يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ]. لذلك فقد أقام عليه السلام دارا للضيافة، يخدمها مطبخ تُقدم منه الوجبات الغذائية للضيوف وللفقراء عامة، سواء كانوا من المسلمين أو من السيخ أو من الهندوس. وقد تحدث عليه السلام بنعمة الله عليه وفضله العظيم الذي غمره به، وذكر ذلك في بيت من الشعر الذي تضمنته إحدى قصائده، فقال:

لُفَاظَاتُ الْمَوَائِدِ كَانَ أُكْلِي وَصِرْتُ الْيَوْمَ مِطْعَامَ الأَهَالِي

وقد أشار ﷺ في هذا البيت من الشعر إلى الأيام الأولى من حياته بعد وفاة والده، واستيلاء أخيه الأكبر على كل ثروته، حتى إنه كان أحيانا يمنع عنه ثمن الاشتراك في المجلات والدوريات، معتبرا أن قراءة تلك المجلات مضيعة للوقت والمال، وكان يعيش على ما ترسله إليه زوج أخيه من فضالات الطعام، دون أن يشتكي أو يتبرّم، ودون أن يُطالب حتى بنصيبه الشرعي من تركة والده، وذلك حرصا على ألاّ تشوب علاقته مع أخيه الأكبر أية شائبة.

استمر ﷺ في هذه الحياة من الجهاد والكفاح، حتى حلول عام ١٣٢٦ الهجري الموافق عام ١٩٠٨، وكان قد جاوز عمره الشريف الخامسة والسبعين عاما، ومع هذا فقد ظل يقوم بحمل تبعاته وأداء واجباته خير قيام. غير أنه في شهر أبريل (نيسان) ١٩٠٨، أحس بأن صحته قد ضعفت وأنه في حاجة إلى العناية الطبية، وتصادف أن زوجته (أم المؤمنين)، السيدة نصرة جهان بيغم، كانت تشكو أيضا من اعتلال صحتها، مما حدا به أن يُفكر في الذهاب إلى لاهور.. عاصمة البنجاب.. حيث يمكن له أن يوفر العناية الطبية اللازمة لزوجته ولنفسه.

وقبل أن يقرر موعدًا للسفر، كان ﷺ كعادته يستخير الله تعالى، كما أنه كان يطلب من بعض المقرّبين إليه أن يتوجهوا إلى الله بالدعاء. وفي هذه المرة كان يشغل باله أمرٌ مّا، حتى إنه طلب من ابنته "نواب مباركة بيغم"، أن تدعو الله تعالى من أجل ذلك الأمر الذي يشغل فكره، وطلب إليها أن تُبلغه فورا إذا تلقت أية إشارة أو رؤيا من الله تعالى. وقامت الإبنة بتنفيذ مطلب والدها، فرأت رؤيا شاهدت فيها حضرة مولانا نور الدين، الذي كان أحبّ وأقرب صحابة سيدنا أحمد إليه، والذي كان له شرف أن يكون أول المبايعين، حين أمر الله تعالى سيدنا أحمد بإقامة الجماعة الإسلامية الأحمدية وأخذ البيعة من الناس. كان مولانا نور الدين في الرؤيا يجلس في غرفة علوية وفي يده كتاب،

فلما رآها قال لها: هذا الكتاب يحتوي على وحي تلقاه سيدنا أحمد عليه السلام، وهذا الوحي يخصّني، فأنا أبو بكر.

ولما كان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه هو الخليفة الأول بعد رسول الله ﷺ، فإن هذه الرؤيا كانت تشير إلى أن مولانا نور الدين سيكون الخليفة الأول لسيدنا أحمد عليه السلام. وقد اطمأن عليه السلام حين أخبرته ابنته بهذه الرؤيا، غير أنه أمرها ألاّ تذكر هذه الرؤيا لأحد، ولا حتى لوالدتها.

وقرر سيدنا أحمد عليه السلام بعد أن استخار الله تعالى أن يكون موعد السفر إلى لاهور في يوم ٢٧ أبريل (نيسان) ١٩٠٨. وفي الساعات الأولى من صباح يوم ٢٦ تلقى وحيا باللغة الفارسية وتعريبه: [لا تأمن تقلبات الحياة]. وقد فهم عليه السلام من هذا الوحي، ومن إشارات أخرى، أن رحلة حياته قد تنتهي في لاهور، غير أنه قرر أن يُسافر في الموعد الذي تحدد من قبل، فغادر قاديان في صباح يوم ٢٧ أبريل، حيث توقف في مدينة "بطالا" وقضى فيها يوما، ثم عاود سفره إلى لاهور فوصلها في يوم ٢٩ أبريل (نيسان) ١٩٠٨.

كان الركب الذي صحب سيدنا أحمد وأم المؤمنين من قاديان، يتكون من ميرزا بشير الدين محمود أحمد.. ابنهما الأكبر الذي كان في عامه التاسع عشر، وأخيه الذي يصغره ميرزا بشير أحمد، وابنتهما مباركة بيغم، ونواب محمد علي، ووالد أم المؤمنين مير ناصر نواب، ومولانا نور الدين، والبعض الآخر من الأهل والصحابة.

وقد اتخذ مقامه في "مبنى الأحمدية" (Ahmadiyya Buildings) في الجزء الخاص بخواجه كمال الدين، الذي كان محاميا وكّله عنه سيدنا أحمد فيما يختص ببعض القضايا التي كان يرفعها ضده من حين لآخر بعض أعدائه من بين الهندوس والمتنصرين. وفي ٩ مايو (أيار) تلقى وحيا باللغة العربية يقول: (الرحيل ثم الرحيل). وقد أدرك معنى هذا الوحي، غير أنه أراد أن يطيع الوحي حرفيا، فارتحل من مكان إقامته إلى المكان الذي كان مخصصا للدكتور سيد

محمد حسين.

كان الطَّيِّلاُ طوال إقامته في لاهور شديد الانشغال في استقبال الضيوف والزوار والأتباع، وكان الزوار من بين المسلمين وغير المسلمين على السواء، فكان يرحب بهم ويهتم بهم كل الاهتمام ويجيب على استفساراتهم. وكان أحد هؤلاء الزوار من الشخصيات المتميزة، وهو البروفسور كلمنت ريج Clement Rigg الأستاذ الجامعي في علوم الفلك في بريطانيا، وقد استقبله سيدنا أحمد الطَّيِّلاُ، وقضى معه وقتا طويلا يجيب على أسئلته واستفساراته العلمية والفلسفية. وقد انبهر ذلك البروفسور، وتأثر تأثرا شديدا بالإجابات التي تلقاها من سيدنا أحمد الطَّيِّلاُ، مما حدا به فيما بعد أن يدخل الإسلام، وينخرط في سلك الجماعة الإسلامية الأحمدية، وكان على اتصال مستمر بواسطة الرسائل البريدية مع أحد صحابة سيدنا أحمد الطَّيِّلاُ، وقد كان يجيد اللغة الإنجليزية، وهو مفتي محمد صادق، الذي صار فيما بعد أول مبشر إسلامي بعثت به الجماعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي يوم ١٥ مايو (أيار) استقبل سيدنا أحمد الطَّيِّلاُ إحدى الشخصيات البارزة في الهند، وهو الأستاذ فضل حسين، الذي نال فيما بعد لقب "السير"، وكان من أكابر رجالات القانون في الهند. وقد تقدم الأستاذ فضل حسين بعدة أسئلة لسيدنا أحمد الطَّيِّلاُ، وتلقى منه الإجابات الشافية.

في يوم١٤ من ربيع الثاني عام ١٣٢٦هـ الموافق ١٧ مايو (أيار) تلقى سيدنا أحمد الطَّيِّلاُ وحيا باللغة الفارسية ما ترجمته: [لا تَثِقْ بِالحَيَاةِ الْفَانِيَةِ]، وكانت القيمة العددية لحروف هذا الوحي تشير إلى العام الهجري الجاري: ١٣٢٦هـ. وكان هذا من ضمن المؤشرات العديدة التي تشير إلى قرب موعد الانتقال إلى الرفيق الأعلى.

وفي نفس ذلك اليوم استقبل سيدنا أحمد الطَّيِّلاُ وفدا كبيرا من علماء وقادة المسلمين في لاهور، وقضى معهم وقتا طويلا من الساعة الحادية عشرة صباحا

حتى الواحدة ظهرا، ثم تناول معهم الطعام في مأدبة للغداء. وقد أراد أن يشرح لهم معنى النبوة التابعة، التي لم يكن من السهل عليهم أن يفهموا مدلولها وكونها نوعا فريدا من النبوة خصصها الله تعالى لأمة رسول الله ﷺ، وحيث إن الناس كانوا يفهمون أن النبوة تقتضي أن يكون للنبي كتاب وشريعة، كما كانوا يفهمون ذلك عن كل من موسى وعيسى وسيدنا محمد عليهم جميعا أفضل السلام، لذلك أراد أن يُبيّن لهم أنه ليس نبيا بهذه الصفة. وكان ضمن محادثاته معهم قوله عليه السلام:

"... إن دعواي هي أن الله تعالى قد أرسلني لإزالة الفساد السائد، وما كان لي أن أُخفي أن الله تعالى شرفني بالمكالمة والمخاطبة، ويكلمني تكليما، وهذا ما أقصده بالنبوة، إلا أنها ليست النبوة الحقيقية. إن "النبأ" لفظ عربي ويعني الخبر، وعليه فإن الذي يتلقى الخبر من الله تعالى ثم يكشفه على الخلق فهو يسمّى نبيا في اللغة العربية. وأنا لا أدّعي شيئا منفصلا عن نبينا ﷺ. إذن فليس الخلاف سوى خلاف لفظي، لأن كثرة المحادثة مع الله تعالى تسمى نبوة. وقد أشارت إلى ذلك السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها في قولها: "قولوا إنه خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده." فلو لم توجد النبوة في الأمة الإسلامية، لكان الإسلام دينا ميتاً، ولم تبق له أية سمة بارزة أيضا." (الملفوظات ج١٠ ص٤٢١)

وفي يوم ١٧ من ربيع الثاني عام ١٣٢٦هـ الموافق يوم ٢٠ مايو (أيار) ١٩٠٨.. تلقى سيدنا أحمد عليه السلام الوحي التالي باللغة العربية: [الرَّحِيلُ ثمَّ الرَّحِيلُ وَالموْتُ قَرِيبٌ]. وقد فهم عليه السلام أن أجله قد اقترب، حتى إنه قد يبدأ سفره إلى الدار الآخرة في أي يوم أو في أية ساعة. وحين علمت السيدة زوجته أم المؤمنين بهذا الوحي، اقترحت أن يعودوا من فورهم إلى قاديان استعدادا لكافة الاحتمالات، ولكن سيدنا أحمد عليه السلام قال: "سنعود حين يأخذنا الله تعالى إلى هناك."

رغم كل هذه المؤشرات التي تنبئ عن قرب موعد الرحيل.. إلاّ أنه لم يهدأ

ولم يستكن، وكأنه كان يُسابق الزمن. فقد نشرت جريدة "أخبار عام" التي تصدر في لاهور خبرا عن الاجتماع الذي عقده عليه السلام مع قادة المسلمين وزعمائهم يوم ١٧ مايو (أيار)، وزعمت الصحيفة أنه تراجع عن دعوى النبوة، وفي الحال كتب خطابا إلى رئيس التحرير قال فيه:

"جناب السيد رئيس تحرير جريدة "أخبار عام"

ورد في جريدة "أخبار عام" بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٠٨ في العمود الأول والسطر الثاني خبر يقول بأني قد أنكرت في جلسة المأدبة دعواى بالنبوة.

وليكن واضحا، ردا على ذلك، أن كل ما قلت أثناء خطابي في هذه الجلسة هو أنني لم أزل أخبر اناس بواسطة كتبي – وها أنا أكشف لهم الآن أيضا – أنني أُتّهم باطلا بأنني قد ادّعيت النبوة بحيث لا علاقة لي بالإسلام.. أي وكأنني أعتبر نفسي نبيا مستقلا بحيث لا أرى حاجة لاتباع القرآن الكريم، وأتخذ لي شهادة مستقلة، وقبلة مستقلة، وأنسخ شرع الإسلام، وأخرج عن طاعة النبي ﷺ والاقتداء به. إنها لتهمة باطلة، بل إن دعوى النبوة كهذه كفر عندي. وليس اليوم، بل لم أزل دوما أسجل في كل كتاب لي أنني لا أدّعي بمثل هذه النبوة أبدا، وإنها تهمة باطلة تُلصق بي.

والأساس الذي عليه أدّعي النبوة هو أنني أتشرف بكلام الله تعالى، وإنه يحاورني ويكلمني بكثرة، ويجيب على أسئلتي، ويُظهرني على الكثير من أنباء الغيب، ويكشف لي أسرار المستقبل بحيث لا يكشفها لأحد ما لم يكن محظوظا بقرب خاص من عنده سبحانه وتعالى. وقد سمّاني نبيا بسبب كثرة هذه الأمور، فكيف يمكن أن أنكر ذلك. إنني سوف أبقى ثابتا على هذا إلى أن أرحل من هذه الدنيا. غير أنني لست بنبي منفصل عن الإسلام، ولا أنسخ حكما من أحكامه. كلا، بل إن رقبتي هي تحت نير القرآن الكريم. وليس لأحد أن ينسخ حتى نقطة أو حركة من القرآن الكريم.

إنني أُسَمى نبيا لأن كلمة "نبي" تعني -في اللغتين العربية والعبرية- من يدلي بكثير من الأنباء بناء على وحي الله تعالى. وبدون كثرتها لا يمكن أن ينطبق هذا المعنى (على أحد)." (مكتوب له الطَّيِّلاً نُشر في جريدة "أخبار عام" في ٢٦ مايو "أيار" ١٩٠٨)

وهكذا كان الطَّيِّلاً.. حتى آخر أيام حياته الشريفة.. يُبين حقيقة دعوته للناس، ولا يترك فرصة ولا مجالا دون أن يشرح ويوضّح دعواه. وقد بدأ وهو في لاهور بتأليف آخر كتاب له من أجل تحقيق السلام بين المسلمين وبين الهندوس، فاقترح أن يتعهد المسلمون من أتباعه بعدم الإساءة إلى كتاب الهندوس المقدس، أو أولئك الذين يعتبرهم الهندوس من المقدسين، على أن تُوقّع غرامة مالية ضخمة على الجماعة الإسلامية الأحمدية إن أخلت بهذا الاتفاق، وقد حدد تلك الغرامة المالية بمبلغ ثلاثمائة ألف روبية، وهو مبلغ قد يوازي اليوم ما يقرب من ثلاثين مليون دولار، (حسب القوة الشرائية لهذا المبلغ وليس حسب قيمة العملة). وفي مقابل هذا يتعهد الهندوس بأنهم لن يسيئوا إلى سيدنا محمد المصطفى ﷺ وسيحترمونه بكونه رسولا من عند الله تعالى، وإذا أخلوا بشروط هذا الاتفاق، يكونون ملزمين بدفع الغرامة المالية المحددة والمتفق عليها، إلى إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية.

وقد قال الطَّيِّلاً:

"الحق والحق أقول إننا من الممكن أن نعيش بسلام مع أفعي الفلوات وسباع البراري، ولكن لا يمكن أن نتصالح مع أولئك الذين لا يرتدعون عن الإساءة إلى أنبياء الله الأطهار." (رسالة الصلح، الخزائن الروحانية ج ٢٣ ص ٣٨٦)

وقد انتهى من تأليف هذا الكتاب الذي سماه "بيغام صلح" أي "رسالة الصلح" في يوم ٢٢ من ربيع الثاني الموافق ٢٥ من مايو (أيار) ١٩٠٨.

كان الطَّيِّلاً يُعاني من مرض الدوسنطاريا الذي كان يعاوده من حين لآخر، وفي ليلة يوم ٢٦ مايو (أيار) الموافق ٢٣ من ربيع الثاني، عاوده المرض فجمع

صلاتي المغرب والعشاء، وتناول قليلا من الطعام. ثم أحس بالرغبة في قضاء حاجته فذهب إلى بيت الخلاء، ثم عاد إلى غرفته لينال قسطا من الراحة. ونام بعض الوقت، ونامت زوجته أم المؤمنين لفترة قبل صلاة التهجد. ولكنه استيقظ مرة أو مرتين أثناء الليل لقضاء حاجته. وعند الساعة الحادية عشرة من مساء تلك الليلة، استيقظ مرة أخرى وقد شعر بضعف شديد فأيقظ زوجته، وبعد قليل ازداد شعوره بالضعف، فاستأذنته زوجته أن تدعو مولانا نور الدين ﷺ الذي كان طبيبا حاذقا، وهو أيضا أقرب وأحب صحابته إليه، وقد وافق حضرته، كما طلب أيضا استدعاء ابنه الأكبر بشير الدين محمود أحمد الذي كان في التاسعة عشرة من عمره.

ولما حضر مولانا نور الدين ﷺ والدكتور محمد حسين والدكتور يعقوب بيك قال لهم سيدنا أحمد ﷺ إنه يعاني من الدوسنطاريا، وسألهم أن يقترحوا له دواء، ثم أضاف قائلا: "في الحقيقة إن الدواء موجود في السماء، فعليكم بالدواء والدعاء". وقد قام الأطباء بمعالجته، ولكن الضعف ظل يزداد. كان ﷺ يشعر بالجفاف في لسانه وحلقه، غير أنه راح يردد بين حين وآخر: "يا إلهي.. يا حبيبي." ولعل هذا يُذكّرنا بما قاله سيدنا رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، إذ ورد في صحيح البخاري بأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رأس النبي ﷺ على فخذي فغشي عليه، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: "اللهم الرفيق الأعلى." (صحيح البخاري، كتاب المغازي)

كان صحابة سيدنا أحمد ﷺ وجميع الحاضرين في حالة من القلق والاضطراب الشديد، وكان بعضهم يقوم بخدمته والبعض الآخر يؤدي صلاة التهجد، وقد كتب ابنه ميرزا بشير أحمد ﷺ يقول:

"... حينما رأيت وجه والدي في صباح ذلك اليوم انتابني القلق، واستولى عليّ شعور بأن هذا ليس إلاّ مرض الموت."

حول الساعة الخامسة صباحا وصل نواب محمد عليّ ﷺ، وهو زوج ابنته

ومن أبرز صحابته، ولما دخل سلّم على سيدنا أحمد فردّ عليه السلام وسأل: هل حان وقت صلاة الفجر؟ قيل نعم. فضرب بكفيه على الفراش وتيمم ثم أخذ يُصلي الفجر. ولكنه غُشي عليه أثناء الصلاة، وبعد قليل أفاق فسأل ثانية: هل حان وقت صلاة الفجر؟ فقيل نعم. فنوى لصلاة الفجر ثانية، وراح يؤدي الصلاة حتى فرغ منها، ثم غشي عليه وهو يردد هذا الكلمات: "يا إلهي.. يا حبيبي".

في الساعة الثامنة صباحا سأله أحد الأطباء الذين كانوا يتولون علاجه، عما إذا كان يشعر بألم أو أذى في أي جزء من أجزاء جسده الشريف، ولكنه لم يستطع أن يجيبه بسبب شدة الضعف، وأشار إلى الحاضرين طالبا ورقة وقلما، وكتب أنه يشعر بضعف شديد لذلك فإنه لا يرد عليهم. وفي الساعة التاسعة صباحا تدهورت حالته وكانت أنفاسه الشريفة قد تطاولت، وبات واضحا للحاضرين أنه في اللحظات الأخيرة من حياته. وقرب الساعة الحادية عشرة قبيل ظهر ذلك اليوم، فاضت روحه الطاهرة للقاء حبيبها، وانتقل إلى الرفيق الأعلى في جنة الخلد، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. وبذلك انقضت أيام عمره المبارك الذي بلغ فيه العام الخامس والسبعين ونصف العام.

كان الحاضرون جميعهم في حالة شديدة من الحزن العميق، ولكنهم لم يعبروا عن مشاعر الحزن والألم بطريقة تتناقض مع ما ربّاهم عليه سيدنا أحمد عليه السلام من تعاليم الإسلام. بل إن السيدة أم المؤمنين منعت النسوة من أن ترفع إحداهن صوتها بصياح أو صراخ، وقالت لأولادها وهي تعزيهم في أبيهم وتخفف عنهم آلام فراقه:

"يا أولادي.. لا تظنوا لكون البيت فارغا أن أباكم لم يترك لكم شيئا. لقد ترك لكم في السماء كنْزًا كبيرا من الأدعية التي لن تزال تصلكم آثارها في الوقت المناسب." (سيرة المهدي، روايات السيدة نواب مباركه بيغم)

اما ابنه الموعود ميرزا بشير الدين محمود أحمد فوقف بجوار السرير المسجّى عليه جثمان والده، ليُعبّر عن مدى عزمه على المضي في طريقه المستقيم، فقال:

"يا إلهي أتعهد بقلب صادق وأشهدك على أنه لو تخلى جميع الناس عن الأحمدية فلأنشرن وحدي إلى أقاصي الأرض تلك الرسالة التي أنزلتها بواسطة سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام." (جريدة "الفضل" بتاريخ ٢١ يونيو "حزيران" ١٩٤٤)

في المساء نقلوا الجثمان الشريف من مدينة "لاهور" إلى "بطالا" عن طريق القطار، وفي الصباح حملوه إلى قاديان حيث وضعوه في حجرة بحديقة سيدنا أحمد عليه السلام المجاورة لـــ "بَهشتي مقبرة" أي مقبرة الجنة. وخلال ذلك الحين كانت أعداد غفيرة من أعضاء الجماعة الإسلامية الأحمدية قد توافدت إلى قاديان من كل حدب وصوب، واجتمع زعماء الجماعة وقادتها واتفقوا فيما بينهم بالإجماع على أن يطلبوا من مولانا نور الدين أن يتفضل بحمل الأمانة الثقيلة بخلافة سيدنا أحمد عليه السلام، وقد تقدموا بطلبهم هذا بعد الاستخارة والدعاء بأن يوفقهم الله تعالى في ترشيح من يريده هو سبحانه أن يتولى منصب الخلافة. فلما اتفقت كلمتهم على ترشيح مولانا نور الدين رضي الله عنه، قرروا أن يرفعوا إليه التماسا مكتوبا وقّع عليه جميع الشخصيات القيادية في الجماعة، وجاء به ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله تعالى ونصلي على رسوله الكريم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد المصطفى خاتم النبيين وعلى المسيح الموعود خاتم الأولياء.
أما بعد، فحسب أمر المسيح الموعود عليه السلام المذكور في كتابه "الوصية"، فإننا نحن الأحمديين الموقعين أدناه مقتنعون بصدق القلب على أن يبايع جميع أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية، وكذلك جميع أولئك الذين يريدون أن ينضموا إليها في المستقبل، باسم أحمد عليه السلام، وعلى يد أول المهاجرين حضرة الحاج المولوي الحكيم نور الدين، الذي هو أعلمُنا وأتقانا وأكثرنا إخلاصًا وأطولنا صحبة لإمامنا الراحل، والذي قد اعتبره إمامنا أسوَةً طيبة لنا، كما جاء في بيت شعر له: (معرّب من الفارسية)

ما أروعَ لو أن كل فرد من الجماعة يصبح مثل نور الدين
ولن يتم ذلك إلا إذا صار كل قلب مملوءًا بنور اليقين

وإن كل ما أمر يأمرنا به حضرته سيكون بالنسبة لنا مثل أوامر سيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي عليه الصلاة والسلام". (حياة نور للداعية الأحمدي عبد القادر (سوداغر مل)، الباب الخامس ص ٣٣١ مطبعة بنجاب بريس، لاهور)

حين تسلم حضرة نور الدين هذا الالتماس المقدم من زعماء الجماعة، قال إنه سوف يعطي ردّه بعد أن يستخير الله تعالى. ثم قام فتوضأ وأدى صلاة الاستخارة داعيا المولى ﷻ أن يوجهه لما يرضاه. وبعد الصلاة طلب أن يجتمع في حديقة مجاورة لـــ "بهشتي مقبرة" كل أفراد الجماعة الذين حضروا إلى قاديان حتى تلك الساعة.

ولما اجتمع الناس قام المفتي محمد صادق بقراءة الالتماس الذي قدمه زعماء الجماعة إلى حضرة المولوي نور الدين، وبعدها وقف سيدنا نور الدين فبدأ خطيبا فقال:

"أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد.. فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. ثم تلا سورة الفاتحة وتبعها بقوله تعالى:
﴿وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٥)

ثم قال:

"فكروا في حياتي السابقة، وستجدون أني ما ابتغيت قط أن أكون إماما. إني أعلم نفسي جيدا، وربي سبحانه أعلم مني بحقيقة أمري. لم تراودني طوال حياتي أية رغبة في مرتبة من مراتب هذه الدنيا، وإنما كانت رغبتي دائما أن يكون ربي ومولاي راضيا عني. وأدعو الله تعالى أن يحقق لي هذه الرغبة. ولقد أقمت في قاديان بسبب هذه الرغبة نفسها، ومن أجلها أيضا سوف أستمر في الإقامة بها.

لقد أمضيت أياما عديدة أفكر طويلا فيما عساه أن تكون حالتنا بعد وفاة إمامنا عليه السلام، ولذلك فقد اجتهدت لكي يستكمل ميان محمود# دراسته التعليمية. هناك ثلاثة أشخاص الذين بين أقارب سيدنا أحمد عليه السلام، أولهم ميان محمود الذي هو أخي، كما أنه بمثابة ابني أيضا، وله معي صلات قوية. ثم من ناحية صلة القرابة فإن السيد مير ناصر نواب محل احترامنا واحترام حضرته عليه السلام أيضا (والد أم المؤمنين). والشخص الثالث هو نواب محمد علي خان (زوج ابنة سيدنا أحمد).

أما من بين خدام الدين الآخرين فإن السيد محمد أحسن المحترم من أقدر الناس على ذلك، كما أنه من نسل رسول الله ﷺ، وقد خدم الدين بشكل يجعل شخصا مثلي يشعر بالخجل. لقد ألّف رغم سنه المتقدمة الكثير من الكتب في تأييد حضرته عليه السلام، وهذه خدمة ينفرد بها هو وحده. ثم هناك المولوي محمد علي المحترم، الذي يقوم بخدمات جليلة تفوق تصوّري. كل هؤلاء موجودون هنا، وأما من بين المقيمين خارج قاديان فهناك السيد سيد حامد شاه، والسيد المولوي غلام حسن، وغيرهما الكثير.

إن هذه مسؤولية ثقيلة وخطيرة أيضا، ولا يقوى على حملها إلاّ من أقامه الله تعالى، لأنه يكون مؤيدا بوعود الله العظيمة، التي تكون له سندا في حمل تلك المسؤوليات الجسام التي تقصم الظهر. فيتحتم علينا، رجالا ونساء، أن نكون متحدين متكاتفين. ولتحقيق هذه الوحدة فلتبايعوا واحدا من هؤلاء الأتقياء الذين ذكرتهم لكم، وسوف أكون معكم من المبايعين. إنني ضعيف، وأشكو من المرض، كما أن طبعي لا يتلاءم مع ذلك المنصب، وليس من السهل حمل هذه المسؤولية الجسيمة .... قد تظنونها مسؤولية خفيفة، ولكنها شديدة ثقيلة على من سيحملها فعلا. وأقسم بالله أنكم إذا اخترتم أي واحد من هؤلاء الصفوة

يشير بذلك إلى ميرزا بشير الدين محمود أحمد الابن الأكبر لسيدنا أحمد عليه السلام من زوجته أم المؤمنين نصرة جهان بيغم. (مترجم)

الذين ذكرتهم، فإنني سأكون على استعداد لمبايعته معكم جميعا.

أمّا إذا أصررتم على مبايعتي أنا، فاسمعوا وعوا.. إن البيعة معناها أن تبيعوا أنفسكم. في إحدى المناسبات أشار عليّ حضرته عليه السلام أن أقلع عن فكرة العودة إلى وطني. ومن بعدها ارتبط كل شرف لي به عليه السلام وبه وحده تعلق كل فكري، فلم أفكر بتاتا في وطني. لذلك فإن البيعة أمر صعب، لأن المرء يتخلى عن جميع حرياته، وعن كل طموحاته، ويضعها في يد شخص آخر. ولأجل ذلك فإن الله تعالى سمى الإنسان عبدًا؛ وعبء العبودية صعب أن يحمله الإنسان فيما يخص حتى أمور نفسه، فكيف يمكن أن يحمل عبء الآخرين أيضا؟ ونظرا إلى اختلاف الطبائع، فإن تحقيق الوحدة والترابط يحتاج إلى مجهود ضخم. إنني دائما أنظر بعين الإعجاب والاستغراب إلى المجهودات التي كان يقوم بها حضرته عليه السلام، فإنه رغم اعتلال صحته كان يتحمل هذه المسؤولية الجسيمة، ويكتب نثرا وشعرا، ويؤلف الكتب، ويقوم بالعديد من الأعمال الهامة الأخرى. إن سني مثل سنّه تقريبا، ولكنه كان يحظى بتأييد الله في كل يوم، أمّا حالتي فلا تستحق الذكر. لذلك قال تعالى: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، أي أن كل ذلك يتوقف على فضل الله ونعمته ....

والآن.. أية كانت ميولكم وطبائعكم، فإن عليكم أن تطيعوا جميع أوامري. فإن كان هذا الأمر مقبولا لديكم، فإني أتحمل هذه المسؤولية طوعا أو كرها .... وأتحملها لوجه الله وحده الذي قال: ﴿وَلْتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، واذكروا دائما أن الخير كله في الوحدة، لأن الجماعة التي لا إمام لها جماعة ميّتة." (المرجع السابق ص٣٣٢- ٣٣٥ وجريدة "بدر" ٢ يونيو "حزيران ١٩٠٨)

بعد أن انتهى سيدنا نور الدين من إلقاء كلمته انطلقت هتافات التهليل والتكبير، وسَرَت في الجميع روح الاطمئنان على مستقبل الجماعة، ومدّ الجميع أيديهم مبايعين، وبعدها أمّ حضرته صلاة الجنازة على سيدنا أحمد

الطَيْلاِ، ثم وُورِيَ جسده الشريف في تراب مقبرته، بينما كانت روحه الطاهرة تنعم بمقعد صدق عند مليك مقتدر، في قبرها الذي هو روضة من رياض الجنة.

في تلك الأيام أشادت كبريات الصحف والجرائد الإسلامية بالخدمات الجليلة التي قام بها سيدنا أحمد الطَيْلاِ للدفاع عن الإسلام، بل إن الكثير من الصحف غير الإسلامية قد أشادت هي الأخرى بأياديه على المسلمين، ودفاعه المجيد عن الإسلام، وكتب الكثيرون عن سمو خلقه وسماحته ونبله وكريم صفاته. غير أن البعض ممن كانوا لا يحملون في جنوبهم إلاّ قلوبا ملأها البغض والكراهية، وخاصة أولئك الذين باعوا أنفسهم للحصول على أموال المبشرين المسيحيين، راحوا يُسَوّدون صحفهم بانتقاد دعوته وإدانة أفكاره، كما أنهم كانوا يمنّون أنفسهم بانفراط عقد الجماعة من بعده، وتوقعوا أن ينفض الناس عنها وأن تندثر مع مرور الأيام، حيث غاب عنها الإمام الذي ظنوا أنه كان وحده القوة المحركة وراء تقدم الجماعة وازدهارها.

إن هؤلاء التعساء لم يكونوا يعلمون أن الله تعالى هو الذي أقام هذه الجماعة، وأنها لا تخص أحدا سواه، وأنه هو وحده الذي يحفظها ويمطرها بوابل من نعمته ورحمته، وهو الذي يُدافع عنها تحقيقا لوعده في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج:٣٩)

لذلك فقد خابت آمالهم للسرعة العجيبة التي تم بها اختيار سيدنا نور الدين، ليكون الخليفة الأول بعد سيدنا أحمد الطَيْلاِ، وتحطمت أحلامهم الكئيبة بعد أن رأوا اتفاق الجميع، ووقوفهم صفا واحدا متحدين ومترابطين خلف خليفتهم وإمامهم الجديد.. رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وقبل أن ننتهي من ذكر أحداث هذا الفصل وننتقل إلى الفصل التالي

والأخير، نرى أنه من الجدير.. بل إنه من اللازم علينا أن نبين حقيقة بعض الأمور التي يرددها اليوم أعداء الجماعة ومخالفوها، ورغم أن الكثير قد كُتب عن هذه الأمور، إلا أن القراء العرب قد يكونون بحاجة إلى شرح أوفى لهذه الاعتراضات التي يسوقها أولئك الذين حجبت أعينهم الضلالة، فلا يرون إلا سوادا وظلاما.

إذ لم يكتف هؤلاء بما يشيعونه من أكاذيب ومفتريات، فراحوا يهزءون ويسخرون من المقبرة التي اختارها سيدنا أحمد الطَّيْلا وسماها "بَهشتي مقبرة" أي مقبرة الجنة، وزعموا أن الشروط التي وضعها سيدنا أحمد للدفن في هذه المقبرة، تشابه صكوك الغفران التي اخترعها البابوات، وكانوا يبيعونها للناس للحصول على الجنة.

وكان سيدنا أحمد الطَّيْلا قد ذكر في كتابه "الوصية" أنه دعا الله تعالى أن يبارك هذه الأرض ويجعلها مقبرة الجنة. وليس هذا بأمر مستغرب، فقد سبق أن اختار سيدنا المصطفى ﷺ أرضا وخصصها لدفن صحابته وسماها جنة البقيع. وقد توجه سيدنا أحمد الطَّيْلا إلى الله تعالى بالتضرع والدعاء أن تكون بَهشتي مقبرة:

"... محل راحةٍ لأصفياء القلوب من الجماعة، الذين آثروا الدين على الدنيا حقيقةً، وتخلوا عن حبها، وأصبحوا لله، وأحدثوا في أنفسهم تغييرًا طاهرًا، وأبدوا نماذج الوفاء والصدق كصحابة رسول الله ﷺ."

ثم قال:

"وأدعو الله تعالى مرة ثانية: يا إلهي القدير اجعَلْ هذه الأرض مقبرة لطاهري القلوب من جماعتي، الذين صاروا لك في الحقيقة، ولا تشوب أعمالَهم شائبة من أغراض الدنيا، آمين يا رب العالمين.

ثم أدعو للمرة الثالثة: يا إلهي القادر الكريم.. ويا ربي الغفور الرحيم.. خُصَّ هذه المقبرة بالذين يؤمنون إيمانًا صادقًا بمبعوثك هذا، والذين لا يضمرون في أنفسهم نفاقًا ولا هوًى نفسيا، ولا سوء الظن، بل يؤمنون

حق الإيمان ويطيعون حق الطاعة، والذين - في قرارة قلوبهم - قد بذلوا أرواحهم لك وفي سبيلك، والذين قد رضيتَ عنهم، والذين تعلم أنهم تفانوا في حبك كليةً، وارتبطوا بمبعوثك برابطة المحبة والفداء، مع كامل الأدب والإيمان النابع عن قناعة، آمين يا رب العالمين." (الوصية، الخزائن الروحانية ج٢٠ ص ٣١٦-٣١٨)

وكان الطّيّلاً قد وضع شروطا لهذه المقبرة وقال:

"وبما أنني قد تلقيتُ بشارات عظيمة عن هذه المقبرة، ولم يقل الله تعالى إن هذه المقبرة مقبرة الجنة فحسب بل وقال أيضا: "**أُنزِل فيها كلُّ رحمةٍ**".... لذا فقد أمال الله قلبي بوحيه الخفي إلى أن أضع لهذه المقبرة شروطا بحيث لا يُدفن فيها إلا من استوفى هذه الشروط بأجمعها بكل صدق وإخلاص." (المرجع السابق ص ٣١٨)

ثم قال سيدنا أحمد أن أرض المقبرة سوف تكون تبرعا منه الطّيّلاً على أن تُشترى لتكميلها قطعة أرض أخرى وتُغرس فيها الأشجار لتجميلها. ثم ذكر شروط الدفن في هذه المقبرة فقال:

"فالشرط الأول هو: أن على كل من يريد أن يُدفن في هذه المقبرة أن يتبرع لهذه المصاريف حسب استطاعته، ولا يُطلب هذا التبرع إلا من هؤلاء الراغبين وليس من سواهم. وينبغي أن تُجمع هذه التبرعات عند أخي في الله المولوي نور الدين المحترم. ولكن هذه العملية ستبقى مستمرة بإذن الله تعالى حتى بعد موتنا جميعا، وفي هذه الحالة يستدعي الأمر قيام "أنجمن"* تنفق الأموالَ الواردة إلى هذا الصندوق بين حين وآخر لإعلاء كلمة الإسلام وإشاعة التوحيد حسبما تراه مناسبا.

والشرط الثاني هو: ألا يُدفن في هذه المقبرة من الجماعة كلها إلا من يوصي بأن يُنفَق عُشرُ تركته بعد موته من أجل نشر الإسلام وتبليغ

* " أنجمن " كلمة أردية وتعني: مجلس أو لجنة أو هيئة أو مؤسسة. وربما أصلها " أَنــجُمٌ " جمعُ نجم، وكُتبت باللغة الأردية بصورة مفكَّكة، واستُخدمت بمعنى كوكبة من الناس. (المترجم)

أحكام القرآن حسب توجيهات هذه الجماعة، ولكل صادق كامل الإيمان الخيارُ في أن يوصي بأكثر من ذلك، ولكن لا يحق لأحد أن يوصي بأقل منه. وسيُعهد بهذا الدخل المالي إلى هيئة من أولي الأمانة والعلم لينفقوه بالتشاور بينهم لإعلاء كلمة الإسلام، ونشر علوم القرآن والكتب الدينية، وعلى دعاة الجماعة تبعًا للتعليمات المذكورة أعلاه.....

والشرط الثالث هو: ألا يُدفن في هذه المقبرة إلاّ كل تقيٍّ يجتنب المحرّمات، ولا يرتكب عملا من أعمال الوثنية والبدعة، بل يكون مسلمًا صادقًا ومخلصًا.

وكل صالح لم يملك عقارًا، ولم يستطع أن يقوم بأية خدمة مالية، إذا ثبت أنه كان قد وقف نفسه لخدمة الدين، وكان صالحا، فيمكن أن يُدفن هو الآخر في هذه المقبرة." (المرجع السابق ص ٣٢٠)

هذه هي الشروط التي ذكرها سيدنا أحمد عليه السلام للدفن في مقبرة الجنة، وقد أضاف إليها عشرين شرطا آخرا لتنظيم إدارة هذا المشروع، وتحديد اختصاص الهيئة المشرفة عليه تضمنها كتابه "الوصية" الذي تُرجم إلى الكثير من اللغات ومنها اللغة العربية، وهو في متناول القراء ليقرأوه ويعلموا بأنفسهم أن الجماعة لا تخفي أمرا من الأمور، لأنها بفضل الله تعالى لا تفعل أمرا تخشى نشره وإذاعته. ولكن أصحاب الأغراض المتدنية، يحاولون تفسير كل أمر بما يتفق مع طبائعهم المعوجّة، فيزعمون أن هذا النظام الذي وضعه سيدنا أحمد، يُشابه النظام الذي ابتدعه البابوات للحصول على الأموال من بيع صكوك الغفران.

أين صكوك الغفران من هذه الشروط التي تشترط ألاّ يُدفن في هذه المقبرة إلا كل تقيّ يتجنب المحرمات، ولاّ يكون مشركا ولا مبتدعا بل مسلما خالصا وصادقا؟

أين صكوك الغفران من هذه الشروط التي تسمح لمن لا عقار لهم ولا مال أن يُدفنوا في هذه المقبرة إذا عُرف عنهم أنهم قد نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام وكانوا صلحاء؟

أين صكوك الغفران التي كانت متاحة لكل من هب ودب من الناس أن يشتريها إذا كان قادرا على دفع الثمن مهما ارتكب من الذنوب والمعاصي.. من هذه الدعوات والتضرعات التي توَسل بها سيدنا أحمد عليه السلام إلى الله تعالى أن لا يُدفن أحد في هذه المقبرة إلاّ إذا كان في علم الله تعالى من أهل الجنة؟

ثمة فارق عظيم بين أن يُقال إن من يُدفن في هذه المقبرة سوف يكون من أهل الجنة، وأن يُقال أن من كان في علم الله من أهل الجنة، فعسى الله تعالى أن يكتب له أن يُدفن في هذه المقبرة. ولذلك فقد قال سيدنا أحمد عليه السلام:

"ليس المراد أن هذه الأرض تجعل أحدا من أهل الجنة، بل المراد من وحي الله هذا أنه لن يُدفن فيها إلا من كان من أهل الجنة."

وكتب كذلك يقول:

"فاعلموا أن الله تعالى أراد أن يُدفن كاملو الإيمان هؤلاء في مكان واحد، كي تُجَدِّد الأجيالُ القادمة إيمانَها برؤيتهم في مكان واحد؛ ولكي تتبيّن للأمّة، على مرِّ الأيام، مآثرُهم أي إنجازاتهم الدينية التي قاموا بها لوجه الله تعالى.

وفي الأخير ندعو الله تعالى أن يعين كل مخلص في القيام بهذا العمل، وأن يخلق فيهم حماس الإيمان، ويجعل عاقبتهم خيرًا، آمين." (المرجع السابق)

وذكر سيدنا أحمد عليه السلام أن نظام الدفن في بهشتي مقبرة هو نوع من الابتلاء للمؤمنين، فقال:

"وقد يعترض علينا في ذلك مَن غلب عليه سوء الظن فيعتبر هذا النظام مبنيا على المصالح الشخصية، أو يحسبه بدعة. ولكن اعلموا أن الله تعالى يفعل ما يشاء في شؤونه وأفعاله. ولا ريب أن الله أراد أن يميز المنافقين من المؤمنين بهذا النظام. وإننا لندرك أن الذين يطّلعون على هذا النظام الإلهي، ويسارعون بدون تردد إلى تقديم عُشر أملاكهم في سبيل الله، بل ويُبدون حماسًا أكبر من هذا، إنما يُبرهنون على صدق إيمانهم. يقول الله عز وجل: ﴿الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا

وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢-٣)

هذا الابتلاء ليس بشيء يُذكر. أما الصحابة ﷺ فقد ابتلوا بتضحية أنفسهم، فقدّموا رؤوسهم في سبيل الله. إذًا فالاعتراض أنه لماذا لا يُسمح لكل شخص أن يُدفن في هذه المقبرة دونما تضحية لهو اعتراض بعيد عن الحقيقة. لو كان ذلك جائزًا.. فلماذا قدّر الله تعالى إذًا الابتلاء في كل زمان؟ إنما أراد ﷻ أن يميز الخبيث من الطيب في كل زمان، وهكذا فعل الآن أيضًا.

لقد قدر الله تعالى في عصر رسول الله ﷺ بعض الابتلاءات الخفيفة أيضًا.. فقد سنّ - مثلا - ألاّ يستشير أحدٌ رسولَ الله ﷺ، مهما كان نوع استشارته، ما لم يقدم لــه هديةً، فكان في ذلك أيضًا ابتلاء للمنافقين. وإننا لَنشعر أن أعظم المخلصين الذين آثروا الدين على الدنيا حقيقةً سيتميَّزون عن الآخرين نتيجةً لهذا الابتلاء، ليكون ذلك دليلا على أنهم صَدَقوا ما بايعوا عليه وبرهنوا على إخلاصهم. لا شك أن هذا النظام سيكون ثقيلا على المنافقين، وسيُفتضح به أمرُهم. فلن يُدفن في هذه المقبرة أحد منهم بعد موته، ذكَرًا كان أو أنثى. ﴿في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: ١١)، لكن السابقين في هذا العمل سيُكتبون في الصديقين، وتتنَزّل عليهم رحمة الله إلى أبد الآبدين." (المرجع السابق ص٢٢٧-٢٢٨)

لم يكن الغرض إذن أن تُجمع الأموال من الناس ببيع صكوك الغفران كما يدّعي ويزعم أولئك الذين لا تعرف قلوبهم معنى التضحيات الدينية، ولا يدركون ضرورة الانفاق في سبيل إعلاء كلمة الله، ولا يعملون على نشر علوم القرآن في جميع أرجاء المعمورة، وإنما يعملون على الوصول إلى كراسي الحكم، ويخفون أطماعهم السياسية وراء شعاراتهم الدينية، ويسعون لاختلاس السلطة من الحكومة. إنهم تعوّدوا على أن يمدوا أيديهم لطلب الأموال واستجلاب الدولارات من دول الخليج، أو من المخابرات الأمريكية المركزية حتى يُحاربوا أعداء أمريكا هنا وهناك، ثم لا يهم أن يقتل بعضهم بعضا بعد

ذلك. ولأنهم تعودوا على الاستجداء بزعم إقامة المشاريع الدينية، ونهب الكثير مما يحصلون عليه من الأموال، فمن الصعب عليهم أن يفهموا معنى التضحية والإيثار وتقديم النفس والمال في سبيل الله تعالى، خالصا لوجهه ﷻ، بغير أن يكون وراء هذه التضحيات.. تلك الأغراض الخبيثة التي تطفح بها نفوسهم.

إن هؤلاء ليس في جعبتهم سوى الاعتراض والانتقاد، والتشويه والتشويش، وترديد ما يريد أولياء نعمتهم.. الذين يدفعون لهم الأموال الطائلة.. أن يرددوه محاولة منهم للنيْل من هذه الجماعة المباركة. وهم في سبيل أهدافهم الوضيعة لا يستحيون أن يفتروا زورا، ولا يرون غضاضة في أن يخترعوا بهتانا.

ومرة أخرى.. قام هؤلاء المنتفعون من الدولارات الأمريكية والريالات السعودية، خدمة لأولياء نعمتهم الذين يقفون خلف الستار، ولا يفتحون أفواههم بمنكر ولا ينطقون بضلالة، لأنهم إما يتسربلون برداء التحضر وحماية الحريات، أو يلتحفون بعباءة خدمة حجاج الحرمين، فيسْتعملون غيرهم من المسلمين الذين يثقون فيهم، وقد خُدعوا بمظهرهم المدافع عن الحرية أو المتنكر بزي الإسلام، فراحوا بوعي.. أو ربما بغير وعي، يرددون كل ما تنفثه في روعهم رابطة العالم الإسلامي خدمة وطاعة لمن يسكنون البيوت البيضاء، الذين يريدون أن يتحكموا في العالم الإسلامي بأجمعه من خلف العباءة الإسلامية، أو باسم الحرية والديمقراطية.

وقد قام أولئك المنتفعون، وفي ركابهم الكثير من المضلِّلين والمضلَّلين، يردّدون زورا جديدا وبهتانا وضيعا يلصقونه بمؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية، فزعم هؤلاء من إفكهم أن سيدنا أحمد عليه السلام قد توفي في المرحاض، وعلى ذلك فإنهم يشيعون أنه لم يكن صادقا في دعواه!!

لقد ادّعى معارضو الأحمدية الكثير من الادّعاءات، وافتروا الكثير من البهاتانات، وزوّروا الكثير من الحقائق فألبسوها بالأكاذيب والافتراءات، ولكن هذه الأكذوبة فاقت في سخافتها ووقاحتها كل ما عداها من

المفتريات. وإن المرء ليستحي أن يكتب عن مثل هذه المفتريات، ولكن حقد الحاقدين، وجهالة الجاهلين، وافتراء المفترين، وكذب الكذابين، كل ذلك يضطرّنا أن نرفع القلم ونتطرق إلى تناول هذا الموضوع، لكي نبين للقارئ الكريم حقيقة تلك الفرية الشنيعة التي لا يخجل معارضو الأحمدية من دوام تكرارها وترديدها.

لقد بلغت الصفاقة والسفاهة بهؤلاء الذين يرددون هذه الأكذوبة إلى أقصى الحدود، والعجيب في الأمر أنهم لا يقدمون أي دليل على هذا القول الساقط والزعم المتدني. ونحن نسأل.. من أين جاءوا بتلك الأكاذيب سوى من خيالهم السقيم؟ هل كانوا موجودين أثناء وفاة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية؟ هل كان من بينهم شاهد عيان؟

إن الحقيقة التي يعرفها القاصي والداني هي أن سيدنا أحمد عليه السلام فارق الحياة مستلقيا على فراشه، وكان حوله العديد من الأشخاص، وكان من بينهم بعض الأطباء المشهورين، بالإضافة إلى أفراد عائلته وبعض صحابته، و لم يتفوّه أحد منهم بمثل هذا القول، و لم يذكر أحد منهم أنه توفي في المرحاض أو في بيت الخلاء، فكيف يزعم أولئك الذين لم يكونوا حاضرين تلك الواقعة.. أمرا لم يره و لم يقل به أي شخص من بين أولئك الذين كانوا بالفعل شاهدي عيان، طوال الفترة التي لقي فيها سيدنا أحمد ربه؟

حقا.. لقد علّم إبليس تلاميذه فنون الكذب والدّجل والافتراء، ولقنهم دروس التزوير والتدليس والمراء، ولكن.. هل يُلام إبليس على ما فعل، أم يُلام أولئك الذين يصدّقونه بغير دليل ولا برهان، ويمشون وراءه بغير بصيرة كالعميان؟ لقد سُجّلت واقعة وفاته عليه السلام في أكثر من كتاب، وجاء ذكرها في أكثر من مرجع، ولكن المعارضين لا يريدون أن يقرأوا الحقيقة، ولا يبتغون أن يعرفوا حقائق الأمور، ونحن نعلم أنهم سوف يستمرون في ترديد الأكاذيب وتكرار المفتريات، ولذلك فنحن لا نتوجه إليهم بقول، وإنما نتركهم لصاحب

الأمر الذي إذا شاء أن يرحم فهو أرحم الراحمين، وإذا شاء أن يُعذّب فإن عذابه هو العذاب الأليم، ولا يسعنا إلاّ أن ندعوه قائلين: اللهم اجعل لعنتك على القوم الكاذبين.

لقد ذكرنا تفاصيل الأيام الأخيرة من حياته ﷺ، وذكرنا بالتفصيل والترتيب مراحل مرضه الذي توفي فيه، وتؤكد لنا هذه الحقائق المُوَثقة على أنه قضى حاجته للمرة الأخيرة في الساعة الحادية عشرة مساء، وبعدها لازم فراشه حتى قرْب الساعة الحادية عشرة من نهار ذلك اليوم، وطوال هذه المدة بقي على فراشه، وصلى صلاة الفجر على فراشه، وجاد بأنفاسه الشريفة على فراشه، أمام الكثيرين من الحضور في ذلك اليوم.

ونحن نتحدّى كل أولئك المتخرّصين والكذابين، والمفترين المضلّلين والمضلَّلين، أن يأتوا بشهادة واحدة لشاهد عيان، رأى بعينه أن سيدنا أحمد قد توفي في المرحاض، فإن لم يفعلوا.. وهم حتما لن يفعلوا.. فليتقوا الله ربهم إن كان في قلوبهم ذرة من إيمان برب قهار، وليخشوا يوما تشخص فيه الأبصار. إنهم بهذا الإفك والبهتان الذي يخترعونه، وبهذا التزوير والكذب الذي يفترونه، إنما يماثلون تماما أولئك المستشرقين الغربيين الذين هم من أعداء الإسلام، والذين راحوا يصفون كيف توفي سيد الأنبياء، وكيف أنه كان يتألم في مرضه الذي توفي فيه حتى إنه كان يقول: "إن للموت لسكرات"، وكيف أنه كان لا يقوى على المسير حتى إنه كان يترك خطا بقدميه على الأرض، وهو يتحامل على كتفي رجلين من صحابته، وكيف أنه لم يقو على أداء الصلاة فأمر أن يؤم أبو بكر المصلين، وكيف أنه كان يفقد الوعي وهو في النـــزع الأخير، وكيف أنه كان يكابد الآلام الشديدة، حتى إن ابنته فاطمة رضي الله عنها راحت تبكي بجواره.. إنهم يذكرون كل هذه الأمور لكي يوحوا إلى القارئ أن هذه الآلام التي تحملها رسول الله ﷺ أثناء وفاته، إنما كانت بسبب غضب الله عليه في أيامه الأخيرة، رغم أنهم لا يقولون هذا صراحة، وإنما يتركون

للقارئ أن يستنتجه بنفسه.

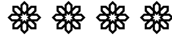
والآن يسير أعداء الجماعة الإسلامية الأحمدية على نفس النهج الذي سار عليه أعداء الإسلام من قبل، ولكن مع فارق كبير، وهو أن أعداء الإسلام لم يخترعوا أكذوبة و لم يفتروا فرية، وإنما ذكروا الحقائق بأسلوب معين، لكي يستنتج منه القارئ ما يرمون إليه دون أن يتفوّهوا به صراحة. أما أعداء سيدنا أحمد عليه السلام فلم يستحوا أن يفتروا عليه هذه الفرية الدنيئة، فشابهوا بمسلكهم هذا أعداء سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، الذين افتروا عليه البهتان وألصقوا به وبأمه تهمة شنيعة، فذكروا – والعياذ بالله – أنه كان من أولاد الزنى، وكان غرضهم الدنيء أن يثبتوا أنه لا يمكن أن يكون مبعوثا من عند الله تعالى، فإن الله لا يبعث من كان من أولاد الزنى، ولذلك فقد كان رد الله تعالى عليهم التأكيد على أنه عليه السلام كان مؤيدا من الروح القدس.

ولقد كان في سابق علم الله تعالى، أن هؤلاء المتخرصين من أعداء سيدنا أحمد عليه السلام، سوف يلصقون به أيضا فرية شنيعة، محاولة منهم لإثبات أنه لا يمكن أن يكون مبعوثا من عند الله تعالى، فإن الله لا يبعث من يموت في المرحاض، ولذلك فقد سبق أن رد عليهم رسول الله ﷺ، حيث قال عن الإمام المهدي إنه: "يُدفن معي في قبري". والقبر الذي يحدثنا عنه رسول الله ﷺ ليس هو المقبرة التي يُدفن فيها الجسد، فليست كل الأجساد تدفن في المقابر، وليس كل الموتى يدفنون في القبور التي تُزار ويُقام عليها الشواهد، إذ أن بعض الموتى تحترق أجسادهم وتتحوّل إلى رماد تذروه الرياح، وبعض الموتى تأكل أجسادهم السباع والطيور، وبعض الموتى يموت غرقا فتأكله الأسماك، وبالتالي فليس كل من يموت يدفن في مقبرة. ولكن الله تعالى يذكر في كتابه العزيز أن كل إنسان يموت فيقبره الله، إذ يقول سبحانه:

﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾
(عبس: ٢٠)

فهذا القبر الذي يذكره الله تعالى في كتابه العزيز ليس هو المقبرة التي يدفن فيها الجسد، وأما القبر الذي يقبر الله تعالى فيه كل إنسان، فهو ذلك القبر الذي وصفه رسول الله ﷺ بأنه حُفرة من حُفر النار أو روضة من رياض الجنة. وقد أشار ﷺ إلى أن قبره الشريف هو روضة من رياض الجنة، ومعنى قوله ﷺ إن الإمام المهدي سوف يُدفن في قبره، لا يعني أبدا أن مقبرة رسول الله ﷺ سوف تُفتح، ويُزاح جسده الشريف قليلا حتى يجعلوا مكانا لجسد الإمام المهدي، وإنما معناه أنه حيثما يموت ويُدفن الإمام المهدي عليه السلام، فإن روحه الطاهرة ونفسه الشريفة سوف تُقبر في نفس قبر الرسول ﷺ الذي هو روضة من رياض الجنة، مما يُبرّؤه تماما من تلك الفرية الشنيعة، والادعاء الوضيع، الذي يحاول أن يلصقه به الأعداء، بقولهم إنه توفي في المرحاض.

ألا لعنة الله على الكاذبين!



الفصل السادس عشر

خُلُقُهُ خُلُقي

الفصل السادس عشر

خُلقهُ خُلقي

إن الحقيقة التي لا مجال لإنكارها بعد غياب سيدنا أحمد عليه السلام من بؤرة الأحداث، أنه عليه السلام كان يتمتع بشخصية فذة ومدهشة، ومهما كان الرأي فيما دعا إليه من أمور، فإنه بكل اليقين لم يكن مدّعيا كذابا. لقد كان إيمانه بالله تعالى عميقا لا تشوبه شائبة من الشوائب، وثابتا لا تهزه نازلة من النوائب، وكان يقينه بالله تعالى عظيما لا تحده الحوائل، وثقته في تأييده عز وجل كاملة لا تؤثر عليها النوازل، وكان ينعم دائما خلال كل أيام حياته المباركة بنعم الله تعالى التي كانت لا تنقطع، وفضله الشامل الذي كان لا يمتنع، والذي كان يغمره الله تعالى به في كل حين.

ولم تكن وفاته خسارة فادحة تكبدها العالم الإسلامي وحده فحسب، بل تكبدها عالم الأديان جميعا. فقد قدم بشخصه، وأثبت في نفسه، الدليل العملي والبرهان الفعلي، على أن الدين ليس مجرد تفوّه بكلمات محددة وقيام بشعائر معينة، ولكنه صلة تربط الإنسان بالله تعالى، حتى يعيش المرء في كنف الله، ويقضي معه وفي ظله جميع أيام حياته، ويكون هو سبحانه وليا له وصديقا ومصاحبا في كل شأن من شؤون الحياة. ولقد كان قلبه مفعما بالود والحب لرسول الله ﷺ، حتى إن تعظيمه وتوقيره لرسول الله ﷺ لم يكن له مثيل، كما كانت محبته وتقديره وفهمه للكنوز التي تحتويها بحار حقائق القرآن الكريم التي لا نهاية ولا ساحل لها، أمرا يعجز الإنسان عن وصفه وتقييمه.

إن الله تعالى لا يبعث الأنبياء في هذه الدنيا إلاّ من أجل غاية عظمى وهدف أسمى. ومهما اختلفت شرائعهم، ومهما تباينت مناهجهم، ومهما تنوعت مسالكهم، فهم في النهاية يسعون لغرض واحد.. ألا وهو أن يكون

الإنسان عبدا لله تعالى. والعبودية الحقيقية ليست هي فقط في طاعة الله والخضوع له، وليست هي فقط في إقامة الشعائر وأداء المناسك، وليست هي فقط في تجنب المعاصي والابتعاد عن الذنوب والآثام. نعم.. إن كل هذه الأمور هي من وسائل العبادة، وإن جاز أن يُطلق عليها أيضا لفظ العبادة. ولكن العبادة الحقيقية هي في العمل على التشبه بالله تعالى والاتصاف بصفاته والاصطباغ بصبغته، أو كما حث سيد الخلق ﷺ بقوله: "تخلقوا بأخلاق الله". ولذلك فقد لخص رسول الله ﷺ كل مهمته ورسالته في هذه الدنيا بأن قال: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق."

إن "العبد" حسب اللغة العربية هو من لا يملك من أمر نفسه شيئا، بل جميع أموره في يد سيده ومولاه. ولكن السيد قد يملك أشياء أخرى كثيرة.. فقد يملك بيتا، وقد يملك أرضا، وقد يملك سيارة، وقد يملك أموالا، وقد يملك حيوانا، ولكنه لا يسمي أيا من هذه الأشياء المملوكة له "عبدا"، إلاّ إذا كان المملوك إنسانا مثله.. يشابهه في صفاته وخواصه. أي أن كلمة "عبد" لا تُطلق على أي شيء يملكه السيد إلا على من كان بينه وبين سيده صفات مشتركة، وعلى ذلك فإن العبودية تدل على المشابهة بين العبد وسيده. وحيث إن الله تبارك وتعالى قد خلق الإنسان ليكون عبدا له، فإنه بذلك يومئ إلى أن الإنسان بعبوديته لله تعالى إنما يستطيع أن يتشبّه بالله عزّ وعلا، أي يتصف بصفاته، ويتخلق بأخلاقه، ويصطبغ بصبغة الله، أي تتجلى على العبد الصفات الربانية فيصير بذلك إنسانا ربانيا. ومن هنا قال رسول الله ﷺ: "خلق الله آدم على صورته" (البخاري، كتاب الاستئذان)، أي أن الله تعالى قد خلقه وأعطاه القدرة على الاتصاف بصفات الله، والتخلق بأخلاقه، وبذلك يكون إنسانا ربانيا. هذا هو المعنى الحقيقي للعبودية، وهذا هو الغرض من بعثة جميع الأنبياء.. وهو تحويل الناس إلى ربانيين. يقول تعالى:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٨٠)

ولا شك أن الإنسان الكامل الذي وصل إلى أعلى درجات العبادة، وبلغ أسمى مقامات العبودية، كان سيد الخلق أجمعين، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم. ولذلك فقد كرّمه الله تعالى بأن جعل أول أركان الإسلام الخمس أن يُقر الإنسان ويشهد بتوحيد الله تعالى بقوله: "أشهد أن لا إله إلاّ الله"، ويتبع ذلك بأن يُقر ويشهد بعبودية ورسالة رسول الله بقوله: "وأشهد أن محمدا عبده ورسوله".

وكيف وصل ذلك الرسول العظيم إلى هذا المقام الأسمى من العبودية؟ لقد رباه الله تعالى وأدّبه بالأخلاق الربانية، ويقول ﷺ في ذلك: "أدبني ربي فأحسن تأديبي." وبهذا فقد تجلّت على رسول الله ﷺ الأخلاق الربانية، حتى إن من يراه فكأنه قد رأى الله، وكأنه ﷺ قد صار مثل المرآة التي تظهر فيها الشمس.. فإذا كانت المرآة مواجهة للشمس، ونظر فيها الإنسان فإنه يرى الشمس، ولكن ما يراه الإنسان ليس هو الشمس حقيقة، بل هو يرى انعكاسا أو تجليا للشمس في المرآة، فإن الشمس لم تغادر مكانها، ولم تغير من حجمها الذي يبلغ مليون مرة قدر حجم الأرض، ومع ذلك فهي تظهر في المرآة الصغيرة. وكذلك فإن الأخلاق الإلهية، والصفات الربانية، تظهر في العبد الكامل، وتتجلى عليه كما تتجلى الشمس في المرآة. ومن هنا كان ثناء الله تعالى على صفات عبده الكامل ﷺ فقال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٥)، ومن هنا أيضا لم يستطع جبريل عليه السلام أن يصحب رسول الله حتى آخر رحلته للقاء الله تعالى في المعراج، بل قال له: "تقدم أنت يا محمد، فلو تقدمتَ لاخترقتَ، ولو تقدمتُ أنا لاحترقت"، وهذا يدل على سمو مقام

سيدنا خاتم النبيين ﷺ فوق مقام الملائكة أجمعين.

وقد روى البيهقي في "البعث والنشور" عن أبي اسحاق قال: قال عليّ ﵁، ونظر إلى ابنه الحسن فقال:

"إن ابني هذا سيد كما سمّاه النبي ﷺ سيخرج من صُلبه رجل باسم نبيّكم، يُشبهه في الخُلُق، ولا يُشبهه في الخَلْق."

وعن حُذيفة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:

"لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لبعث الله فيه رجلا اسمه اسمي، وخُلُقُهُ خُلُقي، يُكنى أبا عبد الله"، أخرجه الحافظ أبو نعيم في "صفة المهدي".

وفي هذا الحديث الشريف يشير ﷺ إلى أن الإمام المهدي ؑ سوف يكون على مقام من الأخلاق الربانية يُماثل خلق الرسول ﷺ، أي أن خلقه القرآن كما وصفت بذلك السيدة عائشة رضي الله عنها أخلاق الرسول ﷺ. ولا شك أن أساس كل خلق هو المعرفة الكاملة بالله تعالى.. في حدود القدرة البشرية والطاقة الإنسانية. والتعلق التام بالله تبارك وتعالى يقتضي أن ينسلخ الإنسان تماما من ربقة هذه الدنيا، وأن تموت فيه كل الأهواء النفسية، فلا يملأ قلبه سوى حب الله تعالى، وحب من يحبه الله تعالى، وحب ما يُقرّب الإنسان إلى الله تعالى.

لذلك كان سيدنا أحمد ؑ منذ حداثة سنه شغوفا بدين الله، مكبّا على القراءة ودراسة القرآن والحديث والكتب الدينية. لم يجد في قلبه أية ميول لاكتساب منصب دنيوي أو الحصول على كسب مادي، بل كان يُفضل العزلة والتزام المسجد، ليقضي أوقاته في ذكر الله وتدبر آيات القرآن الكريم.

كان يُفضل العزلة عن الناس، وكان يبقى وحده جالسا بالمسجد، فقد كان يشعر أنه في معية الله تعالى، حتى شاع بين أفراد عائلته أن من يريد أن يرى "غلام أحمد" فليذهب إلى المسجد، فسوف يجده هناك. وحدث مرة أن زار

والده أحد أكابر القوم، وكما هي العادة يأتي أبناء المضيف لتحية الضيف، ولكن غلام أحمد لم يحضر. فتساءل الضيف قائلا: "سمعنا أن لكم ابنا أصغر ولكننا لم نره"، فقال الوالد: "نعم.. إن لي ابنا أصغر، ولكنه كالعروس.. لا يراه أحد إلا نادرا، ولا يمكن رؤيته إلاّ في زاوية من زوايا المسجد، فهو متعلق بالمسجد ولا يُرى إلا فيه، زاهدا في شؤون الدنيا". (الحياة الطيبة للسيد عبد القادر ص١٣).

إن هذه الواقعة تعيد إلى الأذهان قول رسول الله ﷺ الذي يصف فيه سبعة أنواع من الناس يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: "...رجل كان قلبه معَلقا بالمسجد إذا خرج منه، حتى يعود إليه". ومعنى كون قلبه مُعَلقا بالمسجد أن ذلك الرجل يفنَى في حب الله، ويستغرق في عبادته، ويقضي معظم أوقاته في المسجد، حتى إذا اضطر للخروج منه لحاجة لم يلبث أن اشتاق إليه، ولا يطمئن قلبه إلاّ إذا عاد إلى عشه السعيد.

إن حب الانزواء والانعزال عن الناس، هو القاسم المشترك في حياة جميع الأنبياء قبل التشرّف بالنبوة، لأنهم في تلك الفترة يشعرون بقوة تجذبهم إليها وتفصلهم عن الدنيا، قوة يشعرون في وجودها بالأمن والاطمئنان، وتتنامَى في قلوبهم أحاسيس الحبور والسرور، حتى إن كل لذة أخرى من لذائذ الدنيا تتلاشى إزاءها، وكل هوى من أهواء النفس يتضاءل أمامها حتى ينمحي تماما، ولا يعمر قلوبهم بعدها سوى محبة الله، وابتغاء قربه، ورجاء نوال وصاله وحبه.

حين بلغ "غلام أحمد" مبلغ الشباب، كان يرى أقرانه من أفراد العائلة يحتلون مناصب عالية، وكان أخوه الأكبر يشغل وظيفة حكومية مرموقة، كما كان لوالده حظوة لدى أولي الأمر، وكل هذه الأمور قد تغري الابن الأصغر على المنافسة، أو التقليد على الأقل. وقد حدث أن أرسل إليه والده أحد أصدقائه، يُبلغه أنه يتمتع بحظوة خاصة لدى الحاكم صاحب السُلطة، وأنه

يستطيع أن يظفر له بوظيفة محترمة. ولكن الشاب الذي اعتمر قلبه بحب الله، ونذر نفسه لعبادته والتبتل إليه، لم يعد في قلبه مكان لحب الدنيا وأطايبها، فرد على حامل الرسالة قائلا: "إنني ممتن جدا لعاطفة والدي الأبوية وشفقته عليّ، ولكن قولوا لوالدي إنني قد توظفت عند من أحببت خدمته، فأريحوني من الوظائف الدنيوية."

ورغم أن والده قد نجح في تشغيله لمتابعة بعض القضايا الخاصة به، واضطر هو للموافقة طاعة لله بإرضاء والده، إلاّ أن قلبه ظل دائما متعلقا بحب الله تعالى الذي ملأ كل ذرة من ذرات وجدانه. فقد حدث مرة أن انتهى من عمله في إحدى القضايا بالمحكمة، وكان يبدو عليه السرور والغبطة الشديدة، فقابله أحد أصدقاء والده، الذي كان يعلم أن القضية كانت على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لوالده، فلما رآه مغتبطا بادي السرور قال له: "إني أراك في غاية السرور، مما يدل على أنك كسبت القضية"، فأجابه قائلا: "لا.. لقد خسرنا القضية". فلما سأله عن سبب السرور قال: "إنني سوف أتفرغ الآن بعض الوقت لعبادة ربي." ("الحياة الطيبة" للسيد عبد القادر سوداغر مل ص١٥)

هذا هو الإنسان الذي ملك حب الله كل حواسه وجميع مشاعره، حتى لم يعد في الوجود ما هو أهم وأعز وأغلى منه. إن كل أمور الدنيا لا تساوي لديه برهة زمن يشعر فيها بحب الله تعالى، وكل زينة الدنيا وأطايبها لا يعدلها نفحة من نفحات المحبة التي يتلقاها من الله تعالى، حتى إن الحياة نفسها لا تساوي لديه شيئا، ولا قيمة لها في نظره سوى أنها تمكنه من معرفة الله والتقرب إليه. لقد كان يشعر أنه لم يعد له وجود في هذه الدنيا بل قد رحل منها، ولم يبق منه سوى قلب ينبض بحب الله، ولسان يلهج بذكر الله، وفؤاد يذوب بحمد الله، ونفس تستنير بنور الله، وروح تحلّق برضَى الله، ووجدان يسعد بقرب الله. حدث مرة أن مرض ابنه الأصغر "مبارك أحمد" الذي كان يبلغ من العمر ثماني سنوات، وتلقى من الله تعالى أنباءً عن قرب وفاته، ومع

ذلك ظل يبذل جهده في علاجه والسهر عليه ليل نهار، ولكن هذا لم يشغله لحيظة عن ذكر الله ووصاله، حتى إذا ما جرى قضاء الله، رثاه ببيت من الشعر قال فيه ما تعريبه: "كان ابن ثمان وبضعة أشهر عندما دعاه بارئه.. إن هذا الداعي لأحب إليّ من جميع الكون، فيا قلب افده بنفسك."

إن حب الله بالنسبة له كان أغلى ما لديه في هذا الوجود، وكان يعيش في حضن الله تعالى ويستظل بظله في كل حين، وكان يشعر أن حب الله كنْز لا بد أن يُقتنى، لأنه يُغني الإنسان عن كل كنوز الدنيا، ولذلك كان يكتب دائما عن حب الله، ويسعى لكي يعرف الناس الإله الحق، ويعبدوه وحده حق العبادة. وكم كان يتألم عندما يرى القسيسين والمبشرين المسيحيين يدعون الناس إلى عبادة المسيح، وكم كان يُدمي قلبه ألما أن يستجيب لهم الكثير من المسلمين وعلمائهم. أما أولئك الذين لم يستجيبوا للتبشير المسيحي، فكانوا مشغولين بتكفير بعضهم بعضا، ويتنازعون فيما بينهم على أمور تافهة.. هل يجهرون بالآمين عقب تلاوة سورة الفاتحة في صلاة الجماعة أم يخفتون بها؟ هل يضعون اليدين في الصلاة على الصدر أم على السُرّة أم تحتها؟ لقد تركوا الباب مفتوحا على مصراعيه أمام المبشرين المسيحيين، وأمام دعاة الآرية والهندوس والسيخ، الذين راحوا جميعا يتنافسون على التهام المسلمين كما تتنافس الضباع على التهام الضحية. فقام هو يتصدّى للدفاع عن دين الله، وكتب المقالات يتحدى بها جميع أولئك الذين يتكالبون على الإسلام، إلى أن نشر كتابه العظيم "البراهين الأحمدية"، ووضع كل ثروته جزاء لمن يستطيع أن ينقض ولو خُمس الأدلة التي قدمها هو على وحدانية الله تعالى، وعلى صدق رسول الله ﷺ وعلى سمو منْزلة القرآن الكريم. ولم يهدأ له بال بعد ذلك في إعلاء شأن الإسلام خلال جميع أيام حياته الشريفة، التي قضاها في جهاد مستمر وكفاح متواصل إلى أن توفاه الله تعالى. ورغم كل الصعاب، ورغم كل الاضطهاد، ورغم كل العداء الذي صبّه عليه الأعداء والمعارضون، فإنه لم

يتوقف لحظة واحدة في الدفاع عن محبوبه تبارك وتعالى الذي شغفه حبا، و لم يتوان برهة واحدة عن الذود عن شرف رسول الله ﷺ.

كان يريد للجميع أن يعرفوا الله تعالى كما عرفه هو، ويدركوا أنه هو وحده مصدر كل عزة وكرامة، وأنه الينبوع العذب الذي يعطي الحياة الأبدية لمن اغترف واستقى منه، وأنه المنهل الرقراق الذي يروي العطاشى ويطفئ غليلهم، فكتب يدعو الناس ويقول ما تعريبه:

"... ما أشقى الإنسان الذي لا يعرف أن له إلها قادرا على كل شيء! إن فردوسنا إلهنا، وإن أعظم ملذاتنا في ربنا، لأننا رأيناه ووجَدْنا فيه الحسنَ كله. هذا الكنــز جديرٌ بالاقتناء ولو افتدى الإنسانُ به حياتَه، وهذه الجوهرة حَرِيّةٌ بالشراء ولو ضحّى الإنسان في طلبها كلَّ وجوده. أيها المحرومون، هلمّوا سراعًا إلى هذا الينبوع ليروي عطشكم. إنه ينبوع الحياة الذي ينقذكم. ماذا أفعل وكيف أقرّ هذه البشارة في القلوب؟ وبأي دفٍّ أنادي في الأسواق بأن هذا هو إلهكم حتى يسمع الناس؟ وبأي دواء أعالج حتى تنفتح للسمع آذان الناس؟ إن كنتم لله فتيقنوا أن الله لكم." (سفينة نوح، الخزائن الروحانية ج ١٩ ص ٢١-٢٢)

لقد كان قلبه عليه السلام يجيش بالمحبة الإلهية، ويفيض امتنانا بفضل الله تعالى ومننه وآياته التي تتنَزل عليه كل حين، فكان مما قاله ما تعريبه:

"ليس بإمكاني أن أعدد تلك الآيات التي أعرفها. اللهم إني أعرفك حقا أنك أنت إلهي، لذا فإن روحي تتوثب إليك بسماع اسمك كما يتوثب الرضيع لرؤية أمه، ولكن أكثر الناس لم يعرفوني ولم يقبلوني..." (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية ج ١٥ ص ٥١١)

ولما كذبه قومه وبالغوا في التوهين والتحقير، وزادوا في اللعن والتكفير، ووصموه بالافتراء والتزوير، راح يُلقي بنفسه على أعتاب ربه المنان القدير، ويشكو إليه متأوّها ومتضرّعا.. لا من أجل نفسه ولكن من أجل الإسلام، فكتب بالعربية يقول:

"يا رب.. يا رب الضعفاء والمضطرين.. ألستُ منك؟ فقل وإنك خير القائلين. كثر اللعن والتكفير، ونُسبتُ إلى التزوير، وسمعتَ كله ورأيت يا قدير، فافتح بيننا بالحق وأنت خير الفاتحين. ونجني من علماء السوء وأقوالهم، وكبرهم ودلالهم، ونجني من قوم ظالمين. وأنزِل نصرًا من السماء، وأدرك عبدك عند البلاء، ونزّل رجسك على الكافرين. وصرتُ كأذلّة مطرود القوم، ومورد اللوم، فانصرنا كما نصرتَ رسولك ببدر في ذلك اليوم، واحفظنا يا خير الحافظين. إنك الرب الرحيم.. كتبتَ على نفسك الرحمة.. فاجعل لنا حظا منها، وأرِ النصرة وارحمنا، وتب علينا وأنت أرحم الراحمين.

ربّ نَجِّني مما يقصُدون، واحفظني مما يريدون، وأدخلني في المنصورين. رب فرّجْ كربي وأحسِن مُنقَلبي، وأظفرني بقصوَى طلبي، وأرني أيام طَرَبي، وكن لي ياربي.. يا عالم همّي وإربي، وصافني وعافني يا إله المستضعفين. كذّبَني كل أخ الترّهات، وكفّرَني كل أسير الجهلات، وما بقيَ لي إلا أن أنتجعَ حضرتك، وأطلبَ عونْك ونُصرتَك، يا قاضي الحاجات.. لعلك تردّ نهاري بعد أن صَغَتْ شمسي للغروب، وضجَر القلبُ من الكروب.

ووالله ما تأوّهي لفَوْت أيام السرور، ولا للتنعّم والحبور، بل للإسلام الذي صال عليه الأعداء، وأفَلَت شموسُه وطالتِ الليْلة الليلاء، وظهرت المداجاةُ في فِرَق الإسلام، والتفرقة في أمّة خير الأنام. وأمّا الكفار وأحزاب اللئام، فقد انتظموا في سلك الالتئام. والحسرة الثانية أن فينا العلماء والفقهاء والأدباء، ولكنهم فسدوا كلهم وأحاطت عليهم البلاء، إلا ما شاء الله. ربّ فارحم وتقبل منا دعاءنا، وإليك الشكوى والتجاء، .... فالآن أُفرِدتُ كإفراد الذي يبيتُ في البيداء، أو كالذي يقعد في أهل الوبر وسكان الصحراء. فالآن قلّت حيلتي، وضعفت قوتي، وظهر هواني على قومي وعشيرتي، ولا حول ولا قوة إلا بك يا رب العالمين. إليك أنبتُ، وعليك توكلتُ، وبك رضيتُ. رب فاسْتُر عَوْراتي، وآمِن رَوْعاتي، ولا

تذَرْني فرْدًا وأنتَ خير الوَارثين. بيَدك البذلُ والعطاء، والعزّ والعلاء، وإذا أتيتَ فلا يأتي البلاء، وإذا نزلتَ فلا ينْزل الضرّاء، وأشهد أن لا إله إلاّ أنتَ، ولا رافع إلا أنت، ولا دافع إلاّ أنتَ، عليك توكّلتُ، وبحضرتك سقطتُ، وأنت كهف المتوكلين. أحسن إليّ يا مُحسني ولا أعلم غيرك من **المحسنين.**" (نور الحق الجزء الأول، الخزائن الروحانية ج ٨ ص ١٨٤-١٨٦)

إن كل حرف من هذه الكلمات الصادقة ليشهد أنها خرجت من قلبٍ عامرٍ بالإيمان، وتدفقت من صدر يفيض بحب الله الرحمن، ونبعت من فؤادٍ يشع ويتوهج بنور الله المنّان. إن الأدباء والفصحاء والكُتّاب حينما يكتبون عن موضوع ما.. قد يرى المرء في كتاباتهم ما يشوبها من التصنع في اختيار اللفظ وسرد الكلمات، وأما سيدنا أحمد عليه السلام فكان أسلوبه رقيقا، كالغدير الذي ينساب من نبع دفاق، وكوثر رقراق، ينبض بالحب والهوى، للمحبوب الأعظم تبارك وتعالى. ولذلك فإنه لما صاغ حبه ووداده أبياتا من الشعر، كانت أبياته تنفذ إلى أعماق القلب، وتصل إلى أغوار النفس، محركة فيها أحاسيس المودة ومشاعر المحبة لله تعالى. ومن بعض ما صاغه شعرا نقتطف هذه الباقة الجميلة، حيث يقول عليه السلام:

يَا مُحْسِنِي أُثْنِي عَلَيْكَ وَأَشْكُرُ فِدًى لَّكَ رُوحِي أَنْتَ تُرْسِي وَمَأْزَرُ
بِوَجْهِكَ مَا أَنْسَى عَطَايَاكَ بَعْدَهُ وَفِي كُلِّ نَادٍ نَّبَأً فَضْلكَ أَذْكُرُ
تُلَبِّيكَ رُوحِي دَائِمًا كُلَّ سَاعَةٍ وَإِنَّكَ مَهْمَا تَحْشُرُ الْقَلْبَ يَحْضُرُ
وَتَعْصِمُنِي فِي كُلِّ حَرْبٍ تَرَحُّمًا فِدًى لَّكَ رُوحِي أَنْتَ دِرْعِي وَمِغْفَرُ
يُنَوِّرُ ضَوْءُ الشَّمْسِ وَجْهُ خَلائِقٍ وَلَكِنْ جَنَانِي مِنْ سَنَاكَ يُنَوَّرُ
تُحِيطُ بِكُنْهِ الْكَائِنَاتِ وَسِرِّهَا وَتَعْلَمُ مَا هُوَ مُسْتَبَانٌ وَمُضْمَرُ
وَنَحْنُ عِبَادُكَ يَا إِلَهِي وَمَلْجَأِي نَخِرُّ أَمَامَكَ خَشْيَةً وَّنُكَبِّرُ
سَقَانِي مِنَ الأَسْرَارِ كَأْسًا رَوِيَّةً وَإِنْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ الْهُدَى لا أَعْثُرُ

غَيُورٌ يُبِيـــدُ الْمُجْرِمِينَ بِسُخْطِهِ غَفُورٌ يُنَجِّـــي التَّائِبِـــينَ وَيَغْفِرُ
وَحِيدٌ فَرِيـــدٌ لا شَرِيكَ لِذَاتِهِ قَـــوِيٌّ عَلِيٌّ مُّسْـــتَعَانٌ مُـــقَدِّرُ
لَهُ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ وَالْمَجْدُ كُلُّهُ وَكُلٌّ لَّهُ مَا بَـــانَ فِـــينَا وَيَظْهَرُ
وَدُودٌ يُّحِـــبُّ الطَّائِعِينَ تَرَحُّمًا مَّلِيكٌ فَيُزْعِجُ ذِي شِقَاقٍ وَيَحْصُرُ
يُحِيـــطُ بِكَيْدِ الْكَائِدِينَ بِعِلْمِهِ فَيُهْلِكُ مَنْ هُوَ فَاسِـــقٌ وَّمُزَوِّرُ
وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلا كُفْـــوٌ لَّهُ وَحِيدٌ فَرِيدٌ مَا دَنَـــاهُ التَكَـــثُّرُ
وَمَـــنْ قَالَ إِنَّ لَـــهُ إِلَهًا قَادِرًا سِوَاهُ فَقَدْ نَادَى الرَّدَى وَيُدَمَّرُ
أَلا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ وَإِنَّ عَـــذَابَ اللهِ أَدْهَى وَأَكْبَرُ
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نُـــذُرٌ وَّآيَاتُ رَبِّكُمْ نَرَى بَغْيَكُمْ وَدُمُوعُنَا تَتَحَـــدَّرُ
وَلِكُـــلِّ نَبَـــإٍ مُّسْتَقَـــرٌ وَمَظْهَرُ وَلِكُلِّ مَا يَأْتِيكَ وَقْتٌ مُّقَـــدَّرُ
وَيَحْكُمُ رَبُّ الْعَرْشِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهَا أَنَا قَبْلَ عَذَابِ رَبِّي أُخْبِرُ
فَإِنْ أَكُ صِـــدِّيقًا فَرَبِّي يُـــعِزُّنِي وَإِنْ أَكُ كَـــذَّابًا فَسَوْفَ أُحَقَّرُ
وَأَعْـــلَمُ أَنَّ مُهَيْمِنِي لا يُضِيعُنِي وَأَعْلَمُ أَنَّ مُؤَيِّدِي سَوْفَ يَنْصُرُ
وَتَحْتَ رِدَاءِ اللهِ رُوحِي وَمُهْجَتِي وَمَا يَعْرِفُـــنِي أَحَدٌ وَرَبِّي يُبْصِرُ
وَلَسْـــتُ بِرَبِّي تَارِكَ الْهُـــدَى وَلَسْتُ بِرَبِّي كَالَّذِي هُوَ يَهْذُرُ
وَمَا كَانَ أَنْ تُخْفَى الحَقَائِقُ دَائِمًا وَمَا يَكْتُمُ الإِنْسَانُ فَالدَّهْرُ يُظْهِرُ
وَإِنَّا تَوَكَّلْـــنَا عَلَى اللهِ رَبِّـــنَا وَقَدْ شَدَّ أَزْرَ الْعَبْدِ رَبٌّ مُّبَشِّرُ
وَآخِرُ دَعْـــوَانَا أَنِ الْحَمْدُ كُلُّهُ لِرَبٍّ يَرَى حَالِي وَقَالِي وَيَـــنْصُرُ

وفي قصيدة أخرى كتب يقول:

بِكَ الْحَوْلُ يَا قَيُّومُ يَا مَنْبَعَ الْهُدَى فَوَفِّقْـــنِي أَنْ أُثْنِي عَلَيْكَ وَأَحْمَـــدَا

تَتُوبُ عَلَى عَــبْدٍ يَتُــوبُ تَنَدُّمًا وَتُنْجِي غَرِيقًا فِي الضَّلالَةِ مُفْسِــدًا
كَبِيرُ الْمَعَاصِي عِنْدَ عَفْوِكَ تَافِــهٌ فَــمَا لَكَ فِي عَبْــــدٍ اَلَـــمَّ تَرَدُّدًا
تُحِيطُ بِكُنْهِ الْكَآئِنَات وَسِــرِّهَا وَتَعْلَمُ مِنْهَاجَ السِّــوَى وَمُحَــرَّدَا
وَنَحْنُ عِبَادُكَ يَا إِلَهِي وَمَلْجَائِي نَــخِرُّ أَمَامَــــكَ خَشْيَةً وَتَعَبُّــدًا
وَمَا كَانَ أَنْ يَخْفَى عَلَيْكَ نُحَاسُنَا وَتَــعْلَمُ أَلْوَانَ النُّحَاسِ وَعَسْجَــدًا
وَمَا كَانَ مِثْلُكَ قُدْرَةً وَتَرَحُّــمًا وَمِــثْلُكَ رَبِّي مَــا أَرَى مُــتَفَرِّدًا
فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلاَئِــقَ كُلَّهَا وَجَــعَلَ كَشَيْءٍ وَاحِــدٍ مُتَبَــدِّدًا
غَيُورٌ يُبِيدُ الْمُجْرِمِــينَ بِسُخْطِــهِ غَفُــورٌ يُنَــجِّي التَّآئِبِينَ مِنَ الرَّدَى
فَلا تَأْمَنَنْ مِنْ سُخْطِهِ عِنْدَ رُحْمِهِ وَلا تَيْأَسَنْ مِّنْ رُحْمِهِ إِنْ تَشَــدَّدَا
وَإِنْ شَــاءَ يَبْلُو بِالشَّدَائِدِ خَلْقَهُ وَإِنْ شَــاءَ يُعْطِيهِمْ طَرِيقًا وَمُتْلَــدَا
وَحِيــدٌ فَرِيدٌ لا شَرِيكَ لِذَاتِــهِ قَــوِيٌّ عَــلِيٌّ فِي الْكَمَالِ تَوَحَّــدَا
وَمَنْ جَاءَهُ طَوْعًا وَصِدْقًا فَقَدْ نَجَا وَأُدْخِلَ وِرْدًا بَعْــدَ مَا كَانَ مُلْبَــدَا
لَهُ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ وَالْمَجْدُ كُلُّهُ وَكُلٌّ لَّــهُ مَا لاحَ أَوْ رَاحَ أَوْ غَــدَا
وَمَــنْ قَالَ إِنَّ لَــهُ إِلَــهًا قَادِرًا سِــوَاهُ فَقَدْ تَبِعَ الضَّلالَةَ وَاعْتَــدَى
هَدَى الْعَالَمِينَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ رَحْمَةً وَأَرْسَلَ رُسْلاً بَعْدَ رُسْــلٍ وَأَكَّــدَا
وَأَنْتَ إِلَهِي مَأْمَــنِي وَمَفَــازَتِي وَمَا لِي سِــــوَاكَ يَدْفَــعُ الْعِــدَا
عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَأَنْتَ مَــــلاذُنَا وَقَــدْ مَسَّنَا ضُــرٌّ وَجِئْنَاكَ لِلنِّــدَا
وَلَسْتُ بِذِي عِلْمٍ وَلَكِنْ أَعَانَنِي عَــلِيمٌ رَآنِي مُسْتَهَــــأمٌ فَأَيَّــدَا
وَوَاللهِ إِنِّي صَــادِقٌ غَيْرُ مُــفْتَرٍ وَأَيَّــدَنِي رَبِّي وَمَا ضَاعَنِي سُــدَا

(كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية ج ٧ ص٨٩-٩٤)

ومن قصيدة أخرى نقتطف هذه الباقة:

عِلْمِي مِـــنَ الرَّحْمَنِ ذِي الآلاءِ ... بِاللهِ حُـــزْتُ الْفَضْلَ لاَ بِدَهَـــاءِ
كَيْفَ الْوُصُولُ إِلى مَدَارِجِ شُكْرِهِ ... نُثْـــنِي عَلَيْهِ وَلَيْسَ حَـــوْلُ ثَنَـــاءِ
اللهُ مَـــوْلاَنَا وَكَافِـــــلُ أَمْـــرِنَا ... فِي هَـــــذِهِ الـــدُّنْيَا وَبَعْـــدَ فَنَاءِ
بُشْـــرَى لَنَا إِنَّا وَجَـــدْنَا مُؤْنِسًا ... رَبًّا رَّحِـــيمًا كَاشِـــفَ الْغَـــمَّاءِ
أُعْطِيتُ مِنْ إِلْفٍ مَعَـــارِفَ لُبَّهَا ... أُنْزِلْتُ مِـــنْ حِـــبٍّ بِـــدَارِ ضِيَاءِ
نَتْلُو ضِيَاءَ الْحَقِّ عِنْدَ وُضُـــوحِهِ ... لَسْنَـــا بِمُبْتَـــاعِ الدُّجَى بِبَـــرَاءِ
نَفْسِي نَأَتْ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ مُظْلِمٌ ... فَأَنَخْتُ عِنْـــدَ مُنَـــوِّرِي وَجَنَائِي
غَلَبَتْ عَلَى نَفْسِي مَحَبَّةُ وَجْهِهِ ... حَتَّى رَمَيْـــتُ النَّفْـــسَ بِالإِلْغَـــاءِ
لَمَّا رَأَيْتُ النَّفْسَ سَدَّتْ مُهْجَتِي ... أَلْقَيْتُهَـــا كَالْمَيْـــتِ فِي الْبَيْـــدَاءِ
اللهُ كَهْفُ الأَرْضِ وَالْخَـــضْرَاءِ ... رَبٌّ رَّحِـــيمٌ مَّلْجَـــأُ الأَشْـــيَاءِ
بَـــرٌّ عَطُـــوفٌ مَأْمَنُ الْغُـــرَمَاءِ ... ذُو رَحْمَـــةٍ وَتَبَـــرُّعٍ وَعَطَـــاءِ
أَحَـــدٌ قَـــدِيمٌ قَائِمٌ بِوُجُـــودِهِ ... لَمْ يَتَّـــخِذْ وَلَـــدًا وَلاَ الشُّرَكَاءِ
وَلَهُ التَّـــفَرُّدُ فِي الْمَحَـــامِدِ كُلِّهَا ... وَلَهُ عَـــــلاَءٌ فَـــوْقَ كُلِّ عَـــلاَءِ
الْغَـــافِلُونَ بِعَالِمِـــينَ يَرَوْنَـــــهُ ... وَالْعَارِفُـــــونَ بِـــهِ رَأَوْا أَشْيَـــاءِ
هَـــذَا هُوَ الْمَعْبُودُ حَقًّا لِلْوَرَى ... فَـــرْدٌ وَّحِيـــدٌ مَّبْـــدَءُ الأَضْـــوَاءِ
هَـــذَا هُوَ الْحِبُّ الَّذِي آثَرْتُـــهُ ... رَبُّ الْوَرَى عَيْنُ الْهُـــدَى مَوْلاَئِي
نَدْعُوهُ فِي وَقْتِ الْكُرُوبِ تَضَرُّعًا ... نَرْضَى بِـــهِ فِي شِـــدَّةٍ وَّرَخَـــاءِ
أَعْطَى فَمَـــا بَقِيَتْ أَمَانِي بَعْـــدَهُ ... غَمَرَتْ أَيَادِي الْفَيْضِ وَجْهَ رَجَائِي
إِنَّا غُمِسْنَـــا مِنْ عِنَايَـــةِ رَبِّنَـــا ... فِي النُّـــورِ بَعْـــدَ تَمَـــزُّقِ الأَهْوَاءِ

إنَّ الْمَحَبَّـــةَ خُمِّرَتْ فِي مُهْجَتِي وَأَرَى الْـــوَدَادَ يَلُوحُ فِي أَهْبَـــائِي
إِنِّي شَرِبْتُ كُؤُوسَ مَوْتٍ لِلْهُدَى فَوَجَدْتُ بَعْـــدَ الْمَوْتِ عَيْنَ بَقَاءِ
إِنِّي أُذِبْتُ مِـــنَ الْوَدَادِ وَنَـــارِهِ فَأَرَى الْغُروبَ تَسِيلُ مِنْ إِهْـــرَائِي
الدَّمْعُ يَجْرِي كَالسُّيُولِ صَبَابَـــةً وَالْقَلْبُ يُشْـــوَى مِنْ خَيَالِ لِقَـــاءِ
وَأَرَى الْوَدَادَ أَنَـــارَ بَاطِنَ بَاطِنِي وَأَرَى التَّعَشُّـــقَ لاحَ فِي سِـــيمَائِي
الْخَلْقُ يَبْغُونَ اللَّذَاذَةَ فِي الْهَـــوَى وَوَجَدتُّهَـــا فِي حُـــرْقَةٍ وَصَـــلاءِ
اللهُ مَقْصِـــدُ مُهْجَـــتِي وَأُرِيـــدُهُ فِي كُـــلِّ رَشْـــحِ الْقَلَمِ وَالإِمـــلاءِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اشْرَبُوا مِنْ قِرْبَـــتِي قَـــدْ مُلِئَ مِنْ نُّورِ الْمُفِيضِ سِقَائِي
مِـــتْنَا بِمُـــوْتٍ لا يَرَاهُ عَـــدُوُّنَا بَعُـــدَتْ جَنَازَتُنَا مِنَ الأَحْـــــيَاءِ
إِنَّ الْمُقَرَّبَ لاَ يُضَـــاعُ بِفِتْنَـــةٍ وَالأَجْرُ يُكْتَبُ عِنْـــدَ كُلِّ بَـــلاءِ
مَا خَابَ مَنْ خَافَ الْمُهَيْمِنَ رَبَّهُ إِنَّ الْمُهَيْـــمِنَ طَالِـــبُ الطُّلَبَـــاءِ
إِنَّ الْعَوَاقِبَ لِلَّذِي هُـــوَ صَالِحٌ وَالْكَـــرَّةُ الأُولى لأَهْـــلِ جَـــفَاءِ
شَهِدَتْ عَلَيْهِ خَصِيمُ سُنَّةُ رَبِّنَـــا فِي الأَنْبِيَـــاءِ وَزُمْـــرَةِ الصُّلَحَـــاءِ
لَمَّا رَأَيْتُ كَمَالَ لُطْفِ مُهَيْمِنِي ذَهَبَ الْبَـــلاءُ فَمَا أُحِسُّ بَـــلائِي
مَا خَابَ مِثْلِي مُؤْمِنٌ بَلْ خَصْمُنَا قَـــدْ خَابَ بِالتَّكْفِـــيرِ وَالإِفْتَـــاءِ
اللهُ أَعْـــطَانِي حَـــدَائِقَ عِلْمِـــهِ لَوْلا الْعِنَايَـــةُ كُنْتُ كَالسُّفَهَـــاءِ
إِنِّي دَعَـــوْتُ اللهَ رَبًّا مُّحْسِـــنًا فَأَرَى عُيُـــونَ الْعِلْمِ بَعْـــدَ دُعَائِي
إِنَّ الْمُهَيْمِنَ لا يُعِـــزُّ بِنَخْـــوَةٍ إِنْ رُمْتَ دَرَجَـــاتٍ فَكُنْ كَعَفَاءِ
وَاللهِ قَـــدْ فَرَّطْتَ فِي أَمْرِي هَوًى وَأَبَيْتَ كَالْمُسْـــتَعْجِلِ الْخَطَّـــاءِ
الْحُـــرُّ لاَ يَسْتَعْجِلَنْ بَـــلْ إِنَّـــهُ يَـــرْنُو بِإِمْعَـــانٍ وَكَشْـــفِ غِطَاءِ

يَخْشَى الْكِرَامُ دُعَاءَ أَهْلِ كَرَامَةٍ رُحْـمًا عَلَى الأَزْوَاجِ وَالأَبْنَـاءِ
عِنْـدِي دُعَاءٌ خَاطِفٌ كَصَوَاعِقٍ فَحِذَارِ ثُمَّ حِـذَارِ مِّنْ أَرْجَـائِي
وَاللهِ إِنِّـي لا أُرِيـدُ إِمَـامَـةً هَـذَا خَيَالُكَ مِنْ طَرِيـقِ خَطَاءِ
إِنَّـا نُرِيـدُ اللهَ رَاحَـةَ رُوحِنَا لاَ سُـؤْدَدًا وَّرِيَاسَـةً وَّعَـلاءِ
إِنَّـا تَـوَكَّلْنَـا عَلَى خَـلاَّقِنَا مُعْطِي الْجَـزِيلِ وَوَاهِبِ النَّعْمَاءِ
مَنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ كَانَ مُكَـرَّمًا لاَ زَالَ أَهْـلُ الْمَـجْـدِ وَالآلاَءِ
إِنَّ الْمُـهَيْمِنَ قَـدْ أَتَمَّ نَوَالَـهُ فَضْـلاً عَلَيَّ فَصِرْتُ مِـنْ نَحْلاءِ
نُعْطَى الْعُلُومَ لِدَفْعِ مَـتْرَبَةِ الْوَرَى طَـالَتْ أَيَـادِينَا عَلَى الْفُقَـرَاءِ
إِنِّي بِأَفْضَالِ الْمُهَـيْمِنِ صَادِقٌ قَـدْ جِئْتُ عِنْدَ ضَـرُورَةٍ وَّوَبَاءِ
مَنْ حَارَبَ الصِّدِّيقَ حَارَبَ رَبَّهُ وَنَبِـيَّهُ وَطَـوَائِـفَ الصُّلَحَـاءِ
رُبِّـيتُ مِنْ دَرِّ النَّبِيِّ وَعَيْنِـهِ أُعْطِيتُ نُـورًا مِّنْ سِـرَاجِ حِرَاءِ
يَا رَبِّ أَيِّـدْنَا بِفَضْلِكَ وَانْتَقِمْ مِمَّـنْ يَـدُعُّ الْحَـقَّ كَالْغُثَّـاءِ
يَا رَبِّ قَوْمِـي غَلَّسُوا بِجَهَالَةٍ فَارْحَمْ وَأَنْزِلْهُـمْ بِـدَارِ ضِـيَاءِ
يَا لاَئِمِي إِنَّ الْعَوَاقِبَ لِلتُّـقَى فَارْبَأْ مَـآلَ الأَمْـرِ كَالْعُقَـلاءِ
اللهُ أَيَّـدَنِي وَصَـافَى رَحْمَـةً وَأَمَـدَّنِـي بِالـنِّعَـمِ وَالآلاءِ
فَخَرَجْتُ مِنْ وَهْدِ الضَّلاَلَةِ وَالشَّقَا وَدَخَـلْتُ دَارَ الرُّشْـدِ وَالإِدْرَاءِ
وَاللهِ إِنَّ النَّاسَ سَـقْطٌ كُلُّـهُمْ إِلاَّ الَّذِي أَعْطَـاهُ نِـعْمَ لِـقَاءِ
إِنَّ الَّذِي أَرْوَى الْمُهَـيْمِنُ قَلْبَهُ تَأْتِيـهِ أَفْـوَاجٌ كَمِثْـلِ ظِـمَاءِ
رَبُّ السَّـمَاءِ يُعِـزُّهُ بِعِنَـايَةٍ تَعْنُـو لَـهُ أَعْنَـاقُ أَهْـلِ دَهَاءِ
الأَرْضُ تُـجْعَلُ كَغِلْـمَانٍ لَّـهُ تَأْتِي لَـهُ الأَفْـلاكُ كَالْـخُدَمَاءِ

مَنْ ذَا الَّذي يُخْزِي عَزِيزَ جَنَابِهِ الأَرْضُ لاَ تُفْنِي شُمُوسَ سَمَاءِ
الْخَلْقُ دُودٌ كُلُّهُمْ إلاَّ الَّذي زَكَّاهُ فَضْلُ اللهِ مِنْ أَهْوَاءِ
فَانْهَضْ لَهُ إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ قَدْرَهُ وَاسْبِقْ بِبَذْلِ النَّفْسِ وَالإِعْدَاءِ
نَسْعَى كَفِتْيَانٍ بِدِينِ مُحَمَّدٍ لَسْنَا كَرَجُلٍ فَاقِدِ الأَعْضَاءِ
أَعْلَى الْمُهَيْمِنُ هِمَمَنَا فِي دِينِهِ نَبْنِي مَنَازِلَنَا عَلَى الْجَوْزَاءِ
يَا لاَعِنِي إِنَّ الْمُهَيْمِنَ يَنْظُرُ خَفْ قَهْرَ رَبٍّ قَادِرٍ مَّوْلاَئِي
يَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا بِكَرَامَةٍ يَا مَنْ يَرَى قَلْبِي وَلُبَّ لُحَائِي
يَا مَنْ أَرَى أَبْوَابَهُ مَفْتُوحَةً لِلسَّائِلِينَ فَلاَ تَرُدَّ دُعَائِي

(أنجام آتهم، الخزائن الروحانية ج ١١ ص ٢٦٦-٢٨٢)

لقد كتب الطَّيِّلاً آلاف الأبيات الشعرية باللغة العربية والأردية والفارسية، ولكنه لم يكن شاعرا كغيره من الشعراء الذين يتكسّبون بشعرهم، ويمدحون أصحاب السلطان رغبة في الحصول على الأجر ونوال العطايا، ولكنه كان يحمد ربه ويثني عليه الثناء الجميل، ويتغنى بشكره وفضله عليه. ولعل بعض الناس يأخذه الظن بأن قرض الشعر أمر لا يليق بالأنبياء، حيث قال تعالى عن نبيه المصطفى ﷺ:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٧٠)

ولقوله تعالى في سورة الشعراء:

﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء:٢٢٥-٢٢٧)

إن عدم تعليم الله تعالى رسوله قرض الشعر كان من أجل ألا يختلط على الناس أمره في الفصاحة والبلاغة. فرغم أن لسانه كان لسانا عربيا، إلا أن الله

لم يؤته ملكة قرض الشعر، حتى لا يظن الناس أن بلاغة القرآن جاءت من ملكاته الشخصية، أو أنها كانت من نتاج قدراته الأدبية. أما سيدنا أحمد عليه السلام فلم يكن عربي المولد أو المنطق، والله سبحانه لم يُنَزّل عليه قرآنا، فلم يكن هناك من احتمال لاختلاط الأمر على الناس، وقرضه الشعر في هذه الأحوال يُعد معجزة من الله تبارك وتعالى، آتاهُ إياها تدليلا على تأييده له وتصديقا لدعواه، وبذلك يتضح أن الله تعالى قد آتى البلاغة لنبيه الأكرم ﷺ وآتاها أيضا لعبده الإمام المهدي عليه السلام.

وغني عن القول أن الله تعالى حين أدان سلوك بعض الشعراء المحترفين، الذين يتكسبون من شعرهم، ويهيمون في كل واد يرتزقون من صناعة الشعر، بالمبالغات التي قد تنافي الحقيقة وتُعتبر نوعا من الكذب، فإنه قد استثنى الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا، فقال استكمالا للآيات السابقة:

﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُون﴾ (آخر سورة الشعراء)

ومع أن رسول الله ﷺ نفسه لم يكن شاعرا غير أنه قال بعض الأشعار في حياته كما أنه لم يمنع صحابته الكرام من قرض الشعر، بل كان بين الصحابة كثير من الشعراء الفحول من أمثال حسان بن ثابت رضي الله عنه الذي اشتهر بلقب "شاعر الرسول". وكان ﷺ يحثهم على قرض الشعر، ليردوا على قصائد الكفار التي كانوا يهجون بها الإسلام ورسوله ﷺ، وكان يدعو لهم بالتأييد من الله تعالى، فكان يقول لحسان كما جاء في البخاري: "اهجهم، أو هاجهم، وجبريل معك." (كتاب بدء الخلق)، وفي رواية أخرى: "اهجهم، أو هاجهم، اللهم أيده بروح القدس" (مجمع الزوائد للهيثمي، كتاب الأدب).

وهاكم بعض الأبيات التي قالها سيدنا محمد ﷺ في بعض الغزوات وهي مدونة في البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع وغيرها من الغزوات.

أنـــا الـــنبي لا كَـــذِبْ   أنا ابن عـــبـــد المطـــلب
اللّهم لا عيش إلا عيش الآخرةْ   فاغفر للأنصار والمهاجرةْ
إنْ أنتِ إلا إصبـــعٌ دَمـــيتِ   وفي سبـــيل الله ما لقيتِ

أما القصائد التي تغنّى بها سيدنا أحمد عليه السلام، فكان معظمها في حمد الله تعالى والثناء عليه، والتحديث بنعمه وتأييده وشكره على أفضاله ومننه، كما أنه قرض الشعر لنعت خير الخلق وسيد الأنبياء ﷺ. وهنا ننتقل إلى دوحة أخرى من دوحات الحب التي زرعها سيدنا أحمـــد عليه السلام، مُعبرا بها عن عظيم محبته لرسول الله ﷺ. لقد كان مصداقا لقول الله تعالى في كتابه الحكيم الذي يقول فيه:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ (آل عمران:٣٢)

وكان هو خير من ينطبق عليه قول رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: "لا يُؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحبّ إليه من نفسه وأهله وماله". وكان يُدرك تماما معنى الوحي الذي تلقاه من الله تعالى الذي يقول فيه: [كُلُّ بَرَكَة مِّنْ مُحَمَّد ﷺ فَتَبَارَكَ مَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمَ]. ولذلك لم يكن من حب لأحد في قلبٍ سيدنا أحمد عليه السلام بعد حب الله تبارك وتعالى سوى حب رسوله ﷺ. لقد قرأ عنه منذ صغره، وتعلم صفات وشمائل ذلك الإنسان الأكرم، وأدرك عظمة ذلك النبي الذي كان رحمة للعالمين، فتعلق به قلبه، واستهام به حبا، حتى لكأنه قد أسكره ذلك الحب فصار نشوانا يفيض قلبه بالمحبة، وتنساب أحاسيسه ومشاعره على لسانه في كلمات رقيقة يُناجي بها محبوبه، فلا يهتم لانتقاد المعارضين، ولا يكترث لمطاعن المخالفين، ولا يأبه لفتاوى التكفير، ولا يتأثر بحمم اللعنات التي صبوها عليه صبا، فيقول في إحدى قصائده باللغة الفارسية

ما معناه: "من بعد حب الله إني قد سكرت بعشق محمد ﷺ، فإن كان ذلك هو الكفر فوالله إني كافر أشد الكفر." وقد ترجم الأستاذ نادر الحصني.. وهو أحد الأخوة الأدباء الكرام من سوريا، ويقيم حاليا في كندا.. هذين البيتين، وصاغهما شعرا رقيقا باللغة العربية فقال:

مِنْ بَعْـــدِ حُبِّ اللهِ جَـــلَّ جَلاَلُهُ ... إِنِّي لَنَشْـــوَانٌ بعـــشْقِ مُحَمَّد
إِنْ كَانَ هَذَا الْكُفْرَ إِنِّي لَكَافِرٌ ... رَبِّي شَهِيـــدٌ قَـــدْ سَبَانِي جَمَالُهُ

ويذكر حضرة ميرزا بشير أحمد ؓ مظاهر هذا الحب الذي رآه بنفسه، وهو أحد أنجال سيدنا أحمد ؑ، حيث قال:

"لقد وُلدتُ في بيته، وهذه نعمة كبرى من الله تعالى لا يمكن لي أن أشكره عليها حق الشكر. ولا بد لي أن أُسلّم نفسي إلى الله يوما ما، فأقول مستحلفا بالله: إنه لم يحدث ولا مرة واحدة أن ذكر حضرته رسول الله ﷺ أو حتى اسم محمد ﷺ إلاّ واغرورقت عيناه بالدموع. فإن قلبه.. وعقله.. وكل ذرة من ذرات كيانه.. كانت عامرة بحب رسول الله ﷺ نابضة بغرامه." (سيرة المهدي)

هذه شهادة أحد أبنائه الذي قضى في معيته زمنا طويلا، وكان يراقبه عن كثب في جميع أحوال حياته، وهو يُقسم بالله على أن عاطفة المحبة لرسول الله التي كان ينبض بها قلبه، كانت تعبر عنها الدموع التي دائما ما تتقاطر من عينيه كلما ذُكِرَ أمامه اسم حبيبه.

وفي مناسبة أخرى كان يجوب صحن المسجد المبارك، وهو مسجد صغير يتصل بداره ؑ، وكان يذهب ويجيء وحده وهو يُتمتم بكلمات، بينما تنسكب الدموع من عينيه جارية على خديه. وحدث أن دخل المسجد أحد صحابته، فانزعج لّما رآه يبكي بهذه الصورة وهو وحده، فظن أن أمرا خطيرا قد ألمّ به، فسأله مضطربا: "ماذا جرى يا سيدي؟" فرد عليه قائلا: "كنتُ أردد بيتين من شعر سيدنا حسّان، وتمنيت لو كنت أنا قائلهما".

كان البيتان اللذان يرددهما سيدنا أحمد الطَّيِّلاُ هما قول حسان بن ثابت في رثاء رسول الله ﷺ:

كُنْتَ السَّوَادَ لنَاظري فَعَمِيْ عَلَيْكَ النَّاظرُ
مَن شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ

هكذا كان ذلك الإنسان الذي ملك حب رسول الله قلبه ووجدانه، فرغم أنه تحمّل الكثير من المشاق والنوائب، وكابد العديد من الأهوال والمصاعب، وتعرض للمهول من المحن والمصائب، وحمل مسؤوليات تنوء بها الأعناق والمناكب، وذاق الأمرّين على أيدي أعدائه الذين لم يدّخروا وسعا في إيذائه والإساءة إليه، ورغم أنه صبر على قضاء الله عند وفاة أولاده وأعزائه وصحابته، إلاّ أن مشاعر الحزن والألم تعصر قلبه عند ذكر وفاة حبيبه ﷺ التي مضت عليها ثلاثة عشر قرنا، ونراه يردد أبيات حسان بن ثابت، وتجود عيناه بفيض من الدموع، وتتدفق عواطفه المتأججة متمنية لو أن لسانه هو الذي جاد بذلك الشعر الرقيق الجميل.

ما أعظمك يا حبيب رسول الله وما أعظم حبك ووفاءك لسيد خلق الله! وما أشقى هؤلاء الذين لم يعرفوك ولم يتعلموا منك أشرف وأطهر مشاعر الحب، ولم يروا منك أجمل وأحلى ألوان الوداد والغرام!

كان الطَّيِّلاُ في أكثر مراحل حياته معتل الصحة عليل الجسد، وكان يعاني طوال عمره الشريف من مرضين كانا يلازمانه دائما هما الصداع المزمن وكثرة التبوّل، مما جعل ذلك أحد الموانع التي منعته من السفر لتأدية فريضة الحج. وحدث ذات مرة أنه كان مريضا وراقدا في سريره، وكانت زوجه أم المؤمنين تُجالسه الحجرة ومعهما حضرة مير ناصر نواب والد أم المؤمنين. وكان الجميع يتجاذبون أطراف الحديث فجرى ذكر الحج، فقال مير ناصر نواب لابنته إنه قد آن الآوان للاستعداد للسفر لأداء شعائر الحج، فقد صارت تسهيلات السفر ميسرة. كان سيدنا أحمد الطَّيِّلاُ يسمع هذا الكلام بينما

كانت عيناه تفيضان بالدموع، فكان يمسحهما بكفيه ويقول: "هذا صحيح.. ولكم أود ذلك من أعماق قلبي، ولكني أفكر.. هل يمكنني أن أحتمل رؤية قبر رسول الله ﷺ؟

يا سبحان الله! هذا حديث عادي من الأحاديث الكثيرة التي عادة ما تجري في البيوت، ولكننا نلمح من خلاله ذلك البحر الزاخر من المحبة التي كان يموج بها قلب سيدنا أحمد عليه السلام. إنه على بعد آلاف الأميال من قبر الرسول ﷺ، ولكن العبرات تتقاطر من عينيه لمجرد تصور أنه يقف أمام ذلك القبر المطهر، ويتساءل.. هل من الممكن أن يحتمل رؤية قبر حبيبه.

لقد كان عليه السلام يحب الرسول ﷺ حبا جما، كما كان يحب أيضا كل ما يتعلّق بمحبوبه.. فكان يحب العرب، ويحب اللغة العربية، ويحب أرض الحجاز التي شرفتها أقدام رسول الله ﷺ، بل كان يحب تراب تلك الأرض ويتمنى أن يزورها، ويجعل من ذلك التراب كحلا تكتحل به عيناه. وقد عبّر عليه السلام عن هذه المحبة في الجزء الذي كتبه باللغة العربية من كتاب "مرآة كمالات الإسلام"، فاستهل قائلا في فصل منه وجّه فيه الخطاب إلى مشايخ العرب وصلحائهم:

"السلام عليكم، أيّها الأتقياءُ الأصفياء، من العَرب العُرَباء. السلام عليكم، يا أهلَ أرض النبوّة وجيرانَ بيتِ الله العظمى. أنتم خير أُمم الإسلام وخير حزب الله الأعلى. ما كان لقومٍ أن يبلغ شأنكم. قد زِدتم شرفًا ومجدًا ومَنْزلا. وكافيكم من فخر أن الله افتتح وحيه من آدم وختم على نبي كان منكم ومن أرضكم وَطنًا ومأوًى ومولدا. وما أدراكم مَنْ ذلك النبي! محمد المصطفى، سيّد الأصفياء وفخر الأنبياء، وخاتَم الرّسل وإمام الورى. قد ثبت إحسانه على كُلِّ من دَبّ على رِجْلين ومشى. وقد أدرك وحيُه كُلَّ فائتٍ من رموزٍ ومعانٍ ونِكاتٍ عُلَى. وأحيا دينُه كلّ ما كان ميّتًا من معارف الحقّ وسننٍ

الهـــدى. اللّهم فصلِّ وسلّم وبارِكْ عليه بعدد كل ما في الأرض من القطرات والذرات والأحياء والأموات، وبعددِ كلّ ما في السماواتِ، وبعدد كل ما ظهر واختفى، وبلِّغْه منا سلامًا يملأ أرجاء السماء. طوبى لقومٍ يحمل نِيْرَ محمدٍ ﷺ على رَقبته، وطوبى لقلب أفضى إليه وخالطه وفي حُـــبّه فنى.

يا سُكّانَ أرض أَوطأته قدمُ المصطفى.. رحمكم الله ورضي عنكم وأرضى.. إن ظني فيكم جليل، وفي روحي للقائكم غليل، يا عباد الله. وإني أحنّ إلى عِيان بلادكم، وبركاتِ سوادكم، لأزور موطئ أقدام خير الورى، وأجعل كُحْلَ عيني تلك الثرى." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٤١٩-٤٢١)

وفي مكان آخر كتب يقول موجّها كلامه إلى مشائخ الهند وأفغانستان ومصر وغيرها من الممالك:

"... ومن آيات رحمته العظيمة.. البدر الذي طلع من أم القُرى، في ليلة اسودت ذوائبها العظمى، فرفع الظلمات كلها، ووضع سراجًا منيرا أمام كل عين ترى. ما عندنا لفــظٌ نشكر به على مننه الكبرى. أيقظ العالمين كلهم، ونفى عن النائمين الكَرى. تلقى كلّ هَمٍّ وغمٍّ للدين بطيب النفس لما انبرى، وسنَّ بذلَ النفسِ لله لكل من يطلب المولى. فنى في الله.. وسعى لله.. ودعا إلى الله.. وطهّرَ الأرض حق طهارتها، فيا عجبا للفتى! رب.. اجْزِ منا هذا الرسولَ الكريم خير ما تجزي أحدا من الورى. وتَوفَّنا في زمرته، واحشرنا في أمته، واسقنا من عينه، واجعلها لنا السُقْيا. واجعله لنا الشفيع المشفع في الأولى والأخرى. رب.. فتقبل منا هذا الدعاء، وآوِنا هذا الــذَّرى. رَبِّ.. يا ربِّ.. صلّ وسلّم وبارك على ذلك النبي الرؤوف الرحيم، وعلى كُل من أحبه وأطاع أمره واتبع الهدى." (المرجع السابق ص ٣٦٤- ٣٦٦)

لم يكن من الغريب إذن لهذا المحب أن يتغنى بمدح حبيبه، ولم يكن من العجيب أن تنساب منه الكلمات عذبة شجية، لا تكلّف فيها ولا تصنّع، وإنما

هي كالنسمات الندية.. تهب على قاطن الصحراء بشمسها الحارقة، فتصيبه رطبا وبردا وسلاما، وهي كحبات المياه العذبة الباردة النقية.. تلمس شفتي الظمآن الذي يكاد يموت عطشا، فترد إليه الحياة بشرب أعذب السُقيا.

إن أول قصيدة كتبها ﷺ باللغة العربية كانت في مدح حبيبه سيد الأنبياء، ومنها نقتطف هذه الأبيات:

يَا عَـيْنَ فَـيْضِ اللهِ وَالْعِـرْفَانِ ... يَـسْعَى إِلَيْكَ الْخَلْقُ كَالظَّمْآنِ

يَا بَـحْـرَ فَـضْـلِ الْمُنْعِمِ الْمَنَّانِ ... تَهْوِي إِلَيْكَ الزُّمَـرُ بِالْكِـيزَانِ

يَا شَمْسَ مُـلْكِ الْحُسْنِ وَالإِحْسَانِ ... نَـوَّرْتَ وَجْـهَ الْبَرِّ وَالْعُمْرَانِ

لاَ شَـكَّ أَنَّ مُحَمَّدًا خَـيْرُ الْوَرَى ... رَيْقُ الْكِرَامِ وَنُخْبَـةُ الأَعْيَانِ

تَـمَّـتْ عَلَيْهِ صِفَاتُ كُـلِّ مَزِيَّةٍ ... خُـتِمَتْ بِـهِ نَعْمَاءُ كُلِّ زَمَانِ

هُـوَ فَـخْرُ كُلِّ مُطَـهَّرٍ وَمُقَدَّسٍ ... وَبِـهِ يُبَاهِي الْعَسْكَرُ الرُّوحَانِي

هُـوَ خَـيْرُ كُلِّ مُـقَرَّبٍ مُـتَقَدِّمٍ ... وَالْفَضْلُ بِالْخَـيْرَاتِ لا بِزَمَانِ

إِنِّي لَـقَـدْ أُحْيِـيتُ مِنْ إِحْيَـائِهِ ... وَاهًـا لإِعْـجَازٍ فَمَا أَحْيَانِي

يَا رَبِّ صَـلِّ عَلَى نَـبِيِّكَ دَائِـمًا ... فِي هَـذِهِ الدُّنْيَـا وَبَعْثٍ ثَانِ

يَا سَـيِّدِي قَـدْ جِئْتُ بَابَكَ لاَهِفًا ... وَالْقَـوْمُ بِالإِكْـفَارِ قَدْ آذَانِي

للهِ دَرُّكَ يَـا إِمَـامَ الْـعَـالَـمِ ... أَنْتَ السَّبُوقُ وَسَـيِّدُ الشُّجْعَانِ

أُنْـظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَـةٍ وَتَـحَـنُّنٍ ... يَا سَـيِّدِي أَنَا أَحْـقَرُ الْغِلْمَانِ

يَا حِبِّ إِنَّكَ قَـدْ دَخَلْتَ مَحَبَّـةً ... فِي مُهْجَـتِي وَمَدَارِكِي وَجَنَانِي

مِنْ ذِكْرِ وَجْهِكَ يَا حَدِيقَةَ بَهْجَتِي ... لَمْ أَخْـلُ فِي لَحْظٍ وَلاَ فِي آنِ

جِسْمِي يَطِيرُ إِلَيْكَ مِنْ شَوْقٍ عَـلا ... يَا لَيْتَ كَانَتْ قُـوَّةُ الطَّيَرَانِ

(المرجع السابق ص٥٩٤)

حقا ما أعظمك يا رسول الله ﷺ، فأنت الذي بعثك الله تعالى رحمة للعالمين، وبفضل اتباعك وطاعتك يصل أحباؤك إلى أعلى الدرجات وأعز المقامات. وما أعظم حبيبك.. الإمام المهدي والمسيح الموعود.. الذي قال الله تعالى له: [أنت مني بمنـــزلة توحيدي وتفريدي.. أنت مني بمنـــزلة لا يعلمها الخلق]، ومع ذلك فإن حبيبك هذا يناجيك.. ويدق على بابك لاهفا، ويشتكي إليك أن قومه قد آذوه بالإكفار والتكفير، ولكن كل هذا في سبيل حبك يهون، وتكفيه منك نظرة برحمة وتحنن، ويقف أمامك بكل احترام وخضوع وتقدير، ويقول لك: يا سيدي.. أنا أحقر الغلمان.

أي قسوة تلك التي اعترت هذه القلوب التي آذته بالتكفير، وأي عماية تلك التي أصابت هذه الأعين فلم تبصر نور المحبة التي أضاءت بها أرجاء قلبه، وأي صمم ذلك الذي أصاب تلك الآذان فلم تسمع هذه الكلمات التي تقطر حنانا وودادا ومحبة، بل إنهم وصموه بالكفر، وحاولوا إخراجه هو وأتباعه من دين حبيبه محمد المصطفى ﷺ، فما أتعسهم حقا.. وما أشقاهم من قوم غافلين!

إنه برغم الخدمات الجليلة التي قدمها للدفاع عن الإسلام، والذوْد عن شرف سيدنا محمد المصطفى ﷺ، فإنه كان حين يتقدم إلى سيده ﷺ، يخضع له كتلميذ مجدّ.. غلبه الوفاء تجاه أستاذه العليم، وكان حين يوجه كلامه إلى مُطاعه ﷺ، يحدثه كخادم أمين.. ملكته الطاعة والاحترام نحو سيده الكريم. وكان يُقدم إليه كل زهرة يقتنيها.. وكل ثمرة يجتنيها.. قائلا كل هذا من فضلك وفضل اتّباعك، ولولاك أنتَ لما كنتُ أنا شيئا مذكورا. وكتب عليه السلام مرة يقول ما تعريبه:

"... وإنني أقسم به (ﷻ) أنه تعالى كما شرّف بالمكالمة والمخاطبة إبراهيم واسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى والمسيح ابن مريم، ثم أخيرا كلّم نبينا ﷺ - بحيث كان الوحي النازل عليه أوضحَ

وأطهرَ ما يكون - كذلك تماما شرّفني بمكالمته ومخاطبته. ولكن قد مُنحتُ هذا الشرف بسبب اقتدائي الكامل بسيدنا محمد ﷺ. فلو لم أكن من أمته لما نلت شرف المكالمة والمخاطبة أبدا وإن كانت أعمالي مثل جبال الدنيا كلها." (التجليات الإلهية، الخزائن الروحانية ج٢٠ ص٤١١، ٤١٢)

ويقول بالعربية في مكان آخر:

"**ولا يقول** هذا العبد إلا **ما قال النبيّ** ﷺ، ولا يُخرج قدمًا من الهُدى. ويقولُ إن الله سمّاني نبيًّا بوحيه، وكذلك سُمِّيتُ من قبلُ على لسان رسولنا **المصطفى**. وليس مُراده من النبوة إلا كثرة مكالمة الله وكثرة أنباءٍ من الله وكثرة ما يُوحى. **ويقول:** ما نعني من النبوة ما يُعنَى في الصحف الأولى، بل هي درجة لا تُعطَى إلا من اتّباع نبيّنا خير الورى. وكلّ من حصلتْ له هذه الدرجة.. يكلّم الله ذلك الرجل بكلام أكثر وأَجْلى، والشريعة تبقى بحالها.. لا ينقص منها حُكمٌ ولا تزيد هُدى.

ويقول إني أحد من الأمّة النبوية، ثم مع ذلك سمّاني الله نبيًّا تحت فيض النبوّة **المحمّديّة**، وأَوحَى إليّ ما أوحى. **فليست نبوّتي** إلا نبوّته، وليس في جُبّتي إلا أنواره وأشعّته، ولولاه لما كنت شيئًا يذكر أو يسمَّى." (الاستفتاء، الخزائن الروحانية ج ٢٢ ص ٦٣٧)

ومن كلامه المنظوم ما تعريبه:

"إنه مقتدانا الذي اقتبسنا منه كل هذا النور.. اسمه محمد وهذا هو حبيبي الوحيد. نفسي فدًى لذلك النور الذي لم أكن إلاّ بفضله، فهو كل شيء، ولست أنا بشيء."

وفي قصيدة عربية أنشد يقول:

وَأَنْتَ إِلَهِي مَأْمَنِي وَمَفَازَتِي ... وَمَا لِي سِوَاكَ مُعَاوِنٌ يَدْفَعُ الْعِدَا
عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَأَنْتَ مَلاذُنَا ... وَقَدْ مَسَّنَا ضُرٌّ وَجِئْنَاكَ لِلنَّدَا
وَلَكَ آيَاتٌ فِي عِبَادٍ حَمِدتَّهُمْ ... وَلا سِيِّمَا عَبْدٌ تُسَمِّيهِ أَحْمَدَا

لَهُ فِي عِبَـــادَةِ رَبِّـــهِ غَلْيُ مِـــرْجَلٍ وَفَاقَ قُـــلُوبَ الْعَالَمِـــينَ تَعَـــبُّدَا
وَكَانَ الْحِجَازُ وَمَا سِـــوَاهُ كَمَيِّتٍ شَفِيعُ الْوَرَى أَحْـــيَا وَأَدْنَى الْمُبْعَدَا
فَلَمْ يَبْـــقَ مِنْهُمْ كَافِـــرٌ إِلاَّ الَّذِي أَصَـــرَّ بِشَقْـــوَتِهِ عَلَى مَا تَعَـــوَّدَا
وَأَتَى بِصُحُفِ اللهِ لا شَـــكَّ أَنَّهَا كِتَابٌ كَرِيمٌ يَرْفِـــدُ الْمُسْـــتَرْفِدَا
فَـــمَنْ جَـــاءَهُ ذُلاًّ لِّتَعْظِيمِ شَـــأْنِهِ فَيُعْطَى لَهُ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ سُؤْدَدَا
فَيَا طَالِبَ الْعِرْفَانِ خُذْ ذَيْلَ شَرْعِهِ وَدَعْ كُلَّ مَتْبُوعٍ بِهَـــذَا الْمُقْتَدَى
يُزَكِّي قُلُوبَ النَّاسِ مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ وَمَنْ جَاءَهُ صِدْقًا فَنَـــوَّرَهُ الْهُدَى
تَرَاءَى جَمَالُ الْحَقِّ كَالشَّمْسِ فِي الضُّحَى وَلاَحَ عَلَيْنَا وَجْهُهُ الطَّلْقُ سَـــرْمَدَا
وَقَدِ اصْطَفَيْتُ بِمُهْجَتِي ذِكْرَ حَمْدِهِ وَكَافٍ لَّنَا هَـــذَا الْمَتَاعُ تَـــزَوُّدَا
وَفَوَّضَـــنِي رَبِي إِلَى فَـــيْضِ نُـــورِهِ فَأَصْبَحْتُ مِنْ فَيَضَانِ أَحْمَدَ أَحْمَدَا
وَهَـــذَا مِنَ اللهِ الْكَرِيمِ الْمُحْـــسِنِ وَمَـــا كَانَ مِنْ أَلْطَافِـــهِ مُسْتَبْعَدَا
وَوَاللهِ هَـــذَا كُلُّهُ مِـــنْ مُحَمَّـــدٍ وَيَـــعْلَمُ رَبِي أَنَّـــهُ كَانَ مُـــرْشِدَا
وَفِي مُهْجَتِي فَـــوْرٌ وَجَيْشٌ لأَمْدَحَا سُـــلاَلَةَ أَنْـــوَارِ الْكَـــرِيمِ مُحَمَّدَا
كَرِيمُ السَّجَايَا أَكْمَلُ الْعِلْمِ وَالنُّهَى شَفِيعُ الْبَرَايَا مَنْبَعُ الْفَضْلِ وَالْهُدَى
بَشِـــيرٌ نَّـــذِيرٌ آمِـــرٌ مَّانِـــعٌ مَّعًا حَكِيمٌ بِحِكْمَتِهِ الْجَلِيلَةِ يُقْتَـــدَى
هَدَى الْعَالَمِـــينَ إِلَى صِرَاطٍ مُّقَوَّمٍ وَنَـــوَّرَ أَفْـــكَارَ الْعُقُـــولِ وَأَيَّدَا
لَهُ طَلْعَـــةٌ يَجْلُو الظَّـــلاَمَ شُعَاعُهَا ذُكَاءٌ مُّنِـــيرٌ بُرْجُـــهُ كَانَ بُرْجُدَا
لَهُ دَرَجَـــاتٌ لَّيْسَ فِيـــهَا مُشَارِكٌ شَفِيـــعٌ يُزَكِّـــينَا وَيُـــدْنِي الْمُبْعَدَا
وَمَا هُـــوَ إِلاَّ نَائِبُ اللهِ فِي الْوَرَى وَفَاقَ جَمِيـــعًا رَحْمَـــةً وَتَـــوَدُّدَا

تَخَــيَّرَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ بَــيْنِ خَلْقِهِ   وَأَعْطَاهُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِّنَ النَّدَى
وَكَانَ وَجْهُ الأَرْضِ وَجْهًا مُّسَوَّدًا   فَــصَارَ بِــهِ نُورًا مُّنِــيرًا وَأَغْيَدَا
تَكَشَّــفَ عَقْــوَةَ دَارِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ   جَمَاعَــةُ قَــوْمٍ كَانَ لُدًّا وَمُفْسِدَا
فَأَدْرَكَــهُ تَأْيِيــدُ رَبٍّ مُّهَيْــمِنٍ   وَنَجَّاهُ عَــوْنُ اللهِ مِنْ صَوْلَةِ الْعِدَا
تَذَكَّــرْتُ يَوْمًا فِيهِ أُخْرِجَ سَيِّدِي   فَفَاضَتْ دُمُــوعُ الْعَيْنِ مِنِي بِمُنْتَدَا
إِلى الآنِ أَنْــوَارٌ بِــبُرْقَةِ يَــثْرِبَ   نُشَاهِــدُ فِيهَا كُلَّ يَــوْمٍ تَــجَدُّدَا
فَوَجْــهُ الْمَدِينَةِ صَارَ مِنْهُ مُنَــوَّرًا   وَبَارَكَ حُــرَّ الرَّمْــلِ وَطْئًا وَقَرْدَدَا
حَفَا فِي جَنَانِي نُــوَّرًا مِنْ ضِيَــائِهِ   فَأَصْبَحْتُ ذَا فَهْمٍ سَلِيمٍ وَذَا الْهُدَى
وَأَرْسَــلَنِي رَبِي لِتَأْيِيــدِ دِيــنِهِ   فَجِئْتُ لِهَذَا الْقَرْنِ عَبْدًا مُّجَــدِّدَا
وَهَذَا مِنَ النُّورِ الَّذِي هُــوَ أَحْمَدُ   فِدًى لَّكَ رُوحِي يَا مُحَمَّدُ سَرْمَدَا
أُمِرْتَ مِنَ اللهِ الَّذِي كَانَ مُرْشِدًا   فَأَحْرَقْتَ بِدْعَــاتٍ وَقَوَّمْتَ مَرْصَدَا
وَجِئْتَ لَتَنْجِيَةِ الأَنَامِ مِنَ الْهَــوَى   فَوَاهًا لِّمُنْجٍ خَلَّصَ الْخَلْقَ مِنْ رَدَى
وَتَوَرَّمَتْ قَدَمَاكَ للهِ قَائِــــمًا   وَمِثْلُكَ رَجُــلاً مَّا سَمِــعْنَا تَعَبُّدًا
جَذَبْتَ إِلى الدِّينِ الْقَــوِيمِ بِقُــوَّةٍ   وَمَا ضَاعَتِ الدُّنْيَا إِذَا الدِّينُ شُيِّدَا
وَأَرْسَــلَكَ الْبَارِي بِآيَاتِ فَضْلِهِ   لِكَيْ تُنْقِذَ الإِسْــلاَمَ مِنْ فِتَنِ الْعِدَا
يُحِبُّ جَــنَانِي كُلَّ أَرْضٍ وَطَأْتَهَا   فَيَا لَيْتَ لِي كَانَتْ بِلاَدُكَ مَــوْلِدَا
وَأَكْفَــرَنِي قَــوْمِي فَجِئْتُكَ لاَهِفًا   وَكَيْفَ يُكَفَّرُ مَنْ يُــوَالِي مُحَمَّدَا
وَلَسْتُ بِــذِي عِلْمٍ وَلَكِنْ أَعَانَنِي   عَــلِيمٌ رَآنِي مُــسْتَهَــامًا فَأَيَّــدَا
وَوَاللهِ إِنِّي صَــادِقٌ غَــيْرُ مُفْــتَرٍ   وَأَيَّــدَنِي رَبِّي وَمَا ضَاعَــنِي سُدَا

وَوَاللهِ لَوْلاَ حُبُّ وَجْــهِ مُحَمَّــدٍ   لَّمَا كَانَ لِي حَــوْلٌ لأَمْدَحَ أَحْمَدَا
وَمَوْتِي بِسُبُلِ الْمُصْطَفَى خَيْرُ مِيتَةٍ   فَإِنْ فُــزْتُهَا فَسَأُحْشَــرَنْ بِالْمُقْتَدَا
سَأُدْخَلُ مِنْ عِشْقِي بِرَوْضَةِ قَــبْرِهِ   وَمَا تَعْلَمُ هَذَا السِّرَّ يَا تَارِكَ الْهُدَى

(كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية ج ٧ ص٩٠-٩٥)

الله أكبر! ما أعذب هذه الكلمات التي تنساب من قلب محبّ يعلم قدر حبيبه، ويُرجع إليه كل فضل ناله وكل خير أصابه، فتخرج هذه الكلمات من صميم قلبه ووجدانه، ومن أعماق فؤاده وجنانه:

وَفَوَّضَــــنِي رَبِي إِلى فَــيْضِ نُــورِهِ   فَأَصْبَحْتُ مِنْ فَيَضَانِ أَحْمَدَ أَحْمَدَا
وَهَذَا مِنَ النُّورِ الَّذِي هُــوَ أَحْمَدُ   فِدًى لَّكَ رُوحِي يَا مُحَمَّدُ سَرْمَدَا
وَوَاللهِ لَوْلاَ حُبُّ وَجْــهِ مُحَمَّــدٍ   لَّمَا كَانَ لِي حَــوْلٌ لأَمْدَحَ أَحْمَدَا

لقد مدح الكثيرون رسول الله ﷺ، وأنشد الكثير من الشعراء نعتا لخير البرية، وقرأنا الكثير من قريض البلغاء والأدباء والشعراء، ولكننا لم نر أحدا يُعبّر عن مقدار حبه بهذا التعبير، ولم نسمع همسات قلب ينبض بهذه النبضات التي يملؤها الحب والعرفان والتقدير. فهل يمكن أن ينطق لسان كاذب بهذه الكلمات؟ هل يمكن أن ينبض قلب مفتر بهذه النبضات؟ هل حدث في تاريخ الكذابين والمفترين الذين كانوا يفترون على الله الكذب ويدّعون النبوة كذبا أن صاغ واحد منهم حبه وشوقه وتقديره وتبجيله وامتنانه وعرفانه بفضل الرسول ﷺ عليه وعلى الأمة وعلى الإنسانية كلها، كما فعل هذا الرجل الذي يصمه أعداؤه بأنه كان - والعياذ بالله - كاذبا مفتريا؟ فليُرنا هؤلاء كيف عبّر الكذابون والمفترون عن حبهم لرسول الله، وليأت هؤلاء بأبيات الشعر التي أنشدها مسيلمة الكذاب أو الأسود العنسي أو سجاح الكاهنة أو غيرهم ممن ادعوا النبوة كذبا، وليثبتوا لنا وللأمة الإسلامية كلها أن الكذاب الدجال الذي يفتري على الله كذبا يمكن أن

تجيش مشاعره بهذا الحب الجياش، ويمكن أن تثور عواطفه بهذه المحبة الدفاقة، فيذوب وجدانه بـــأرق الكلمات وأعذب الألفاظ وأجل التعبير وأعلى التقدير وأجمل البيان في حب المصطفى ﷺ. فإن لم يفعلوا.. وهم حتما لن يفعلوا.. فليتقوا الله ربهم، وليقرأوا أبياته مرة أخرى، لعل قلوبهم تدرك صدق الإحساس، أويهتز وجدانهم لعمق المشاعر، أو ليقرأوا هذه الأبيات التالية التي اقتطفناها من قصيدة أخرى يقول فيها:

إِلَهِي أَغِثْنَا وَاسْقِنَا وَاحْمِ عِرْضَنَا ... بِسُلْطَانِكَ الأَجْــلَى وَإِنَّكَ أَقْــدَرُ
تَعَالَيْتَ يَا مَنْ لاَ يُــحَاطُ كَمَالُهُ ... لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا لَّيس يُحْصَى وَيُحْصَرُ
تَصَدَّقْ بِأَلْطَافٍ كَمَا أَنْتَ أَهْلُهَا ... وَأَدْرِكْ عِبَادًا لَّكَ كَمَا أَنْتَ أَقْــدَرُ
فَخُذْ بِيَدِي يَا رَبِّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَّأَيِّــدْ غَـــرِيبًا يُّلْعَنَـــنْ وَيُكَــفَّرُ
وَأَنْتَ الْمُهَيْمِنُ مَرْجِعُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ ... وَأَنْتَ الْحَفِيــظُ تُعِينُــنِي وَتُــعَزِّرُ
وَمَا غَــيْرُ بَابِ الرَّبِّ إِلاَّ مَذَلَّــةٌ ... وَمَا غَــيْرُ نُــورِ الرَّبِّ إِلاَّ تَــكَدُّرُ
وَعُلِّمْتُ مِنْكَ حَقَائِقَ الدِّينِ وَالْهُدَى ... وَتَهْــدِي بِفَضْلِكَ مَنْ تَرَى وَتُنَوِّرُ
وَإِنَّ إِمَامِي سَيِّــدُ الرُّسُــلِ أَحْمَدٌ ... رَضِــينَاهُ مَتْبُــوعًا وَرَبِّي يَــنْظُرُ
وَلاَ شَكَّ أَنَّ مُحَمَّدًا شَمْسُ الْهُدَى ... إِلَيْــهِ رَغِبْنَــا مُؤْمِنِــينَ فَــنَشْكُرُ
لَهُ دَرَجَاتٌ فَــوْقَ كُلِّ مَــدَارِجٍ ... لَــهُ لَمَــعَاتٌ لاَ يَلِيــهَا تَــصَوُّرُ
أَبَعْــدَ نَبِيِّ اللهِ شَــيْءٌ يَّــرُوقُنِي ... أَبَعْدَ رَسُــولِ اللهِ وَجْــهٌ مُّــنَوَّرُ
عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ يَا مَرْجِعَ الْوَرَى ... لِكُــلِّ ظَلامٍ نُّــورٌ وَجْهِكَ نَــيِّرُ
وَيَحْمَــدُكَ اللهُ الْوَحِيدُ وَجُنْــدُهُ ... وَيُــثْنِي عَلَيْكَ الصُّبْحُ إِذْ هُوَ يَحْشُرُ
مَــدَحْتُ إِمَامَ الأَنْبِيَــاءِ وَإِنَّــهُ ... لأَرْفَــعُ مِنْ مَــدْحِي وَأَعْلَى وَأَكْبَرُ

دَعُــوا كُلَّ فَخْــرٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَمَامَ جَــلاَلَةِ شَأْنِه الشَّمْسُ أَحْــقَرُ
وَصَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا أَيُّهَا الْوَرَى وَذَرُوا لَهُ طُــرُقَ التَّشَاجُرِ تُؤْجَــرُوا
وَوَاللهِ إِنِّي قَــدْ تَبِعْتُ مُــحَمَّدًا وَفِي كُــلِّ آنٍ مِّنْ سَــنَاهُ أُنَــوَّرُ
وَفَوَّضَنِي رَبِي إِلى رَوْضِ فَيْضِــهِ وَإِنِّي بِــهِ أَجْــنِي الْجَــنَى وَأُنَضَّرُ
وَلِدِينِــهِ فِي جَــذْرِ قَلْبِي لَوْعَــةٌ وَإِنَّ بَــيَانِي عَــنْ جَــنَانِي يُــخَبِّرُ
وَرِثْتُ عُلُومَ الْمُصْطَفَى فَأَخَــذْتُهَا وَكَيْفَ أَرُدُّ عَــطَاءَ رَبِي وَأَفْــجُرُ
وَوَاللهِ إِنِي جِــئْتُ مِنْــهُ مُجَــدِّدًا بِوَقْتٍ أَضَــلَّ النَّاسُ غُــولٌ مُّسَخَّرُ
وَعَــلَّمَــنِي رَبِي عُــلُومَ كِــتَابِهِ وَأُعْطِيتُ مِمَّا كَانَ يُخْفَى وَيُسْــتَرُ
وَأَسْــرَارُ قُــرْآنٍ مَّجِيــدٍ تَبَيَّنَتْ عَلَيَّ وَيَسَّــرَ لِي عَــلِيمٌ مُّيَــسِّرُ
أَلاَ لَيْسَ غَــيْرَ اللهِ شَيْءٌ مُــدَوَّمٌ وَكُلُّ جَــلِيسٍ مَّا خَــلا اللهُ يُهْجَرُ
وَآخِــرُ دَعْــوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّذِي هَــدَانَا مَنَاهِجَ دِيــنٍ حِزْبٍ طُهِّرُوا

(حمامة البشرى، الخزائن الروحانية ج ٧ ص٣٢٨-٣٣٥)

ما أصدق هذه الكلمات، وما أعظم هذا التقدير.. إنه يمدح إمام الأنبياء، ولكنه يشعر أنه مهما مدح ذلك النبي الأعظم، فإنه ﷺ لأرفع من كل مدح، وأعلى من كل شأن، وأكبر من كل مقام، وأجلّ من كل وصف. وحيث إنه من أتباع إمام الأنبياء الذي أضاءت أنواره أرجاء هذا العالم، فقد أصابه هو أيضا ذلك النور، وصار يُنير بفضل سناه في كل آن. ومن أجل هذا النور الذي ملأ كيانه فقد نَمَت في أعماق جنانه.. وفي أغوار فؤاده.. وفي جذور قلبه.. لوعة لدين المصطفى ﷺ، لا يخبر عن حقيقة أمرها.. ولا ينبئ عن مكنون سرها.. سوى صدق بيانه، الذي يعبر أصدق تعبير عن إخلاص جنانه، كما يقول:

مَـــدَحْتُ إِمَامَ الأَنْبِيَـــاءِ وَإِنَّـــهُ   لأَرْفَـــعُ مِنْ مَـــدْحِي وَأَعْلَى وَأَكْبَرُ
وَوَاللهِ إِنِّي قَـــدْ تَبِعْتُ مُـــحَمَّدًا   وَفِي كُـــلِّ آنٍ مِّنْ سَـــنَاهُ أُنَـــوَّرُ
وَلِدِينِـــهِ فِي جَـــذْرِ قَلْبِي لَوْعَـــةٌ   وَإِنَّ بَـــيَانِي عَـــنْ جَـــنَانِي يُـــخَبِّرُ

هذه بعض الأمثلة.. نثرا وشعرا.. مما كتبه سيدنا أحمد الطَّيْكِلاً في اللغة العربية فقط، ليس فقط ليمدح به رسول الله ﷺ، فإنه يقول إنه لأرفع من مدحي وأعلى وأكبر، وإنما ليُعبر به عن مدى سمو مقام رسول الله العظيم، وعن قدْر محبته له، فتجيش نفسه حبا، ويفيض قلبه غراما، ويذوب فؤاده هياما، وتنساب الكلمات الصادقة معبرة عن الاحترام والتقدير، ويخط قلمه أبياتا تنبئ عن الودّ والتوقير. وحقا لقد صدق حين قال: وَإِنَّ بَيَانِي عَنْ جَنَانِي يُخبرُ.

ولكم كان يحزنه ألا يدرك المسلمون عظمة ذلك النبي الذي علا مقامه فوق كل مقام، فكان يرى في قعودهم عن نصرة دين نبيهم توهينا لشأن خاتم المرسلين. ولم يكن ليكتفي منهم ببضع كلمات يتمتمون بها في الصلاة، أو بعض المظاهر التي يتحلون بها كإطلاق اللحى وحف الشوارب، بل كان يرى أن المحبة الحقيقية هي في الذوْد عن كرامة المصطفى والدفاع عن دينه وملته، والجهاد المستمر للتصدي لكل أولئك الذين كانوا يتطاولون على شرف سيد الخلق ويطعنون في صدقه وأمانته. وقال بهذا الصدد باللغة العربية:

"نَحَتُوا للرسول الكريم بهتانات، وأَضلُّوا خَلقًا كثيرًا بتلك الافتراء. وما آذَى قلبي شيءٌ كاستهزائهم في شأن المصطفى، وجَرْحِهم في عِرْضِ خيرِ الوَرَى. ووالله، لو قُتِّلتْ جميعُ صبياني، وأولادي وأحفادي بأعيني، وقُطِّعتْ أَيدي وأَرجُلي، وأُخرجتِ الحَدَقَةُ من عيني، وأُبْعِدتُ من كلِّ مرادي وأَوْني وأَرَني.. ما كان عليّ أشَقَّ من ذلك." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج٥ ص١٥)

هذه المشاعر الجياشة التي كان الطَّيْكِلاً يحملها لسيده ومولاه رسول الله ﷺ لم يُعبر عنها باللغة العربية فحسب، بل كتب الكثير والكثير باللغة الأردية

والفارسية، ورغم أن ترجمة الشعر من لغة إلى لغة أخرى تُفقده معناه وموسيقاه ووزنه وقافيته والكثير من تأثيره، غير أننا نود أن نقدم للقارئ ترجمة لمنظومة نظمها باللغة الفارسية، وتتميز أبياتها بأنها تنتهي جميعها باسم حبيبه محمد ﷺ. يقول عليه السلام ما ترجمته:

إن أعجب الأنوار لهو النور في نفس محمد
وإن أروع الجواهر لهي جواهر معدن محمد

وتتطهر من جميع الظلمات..
قلوب أولئك الذين يصيرون من طائفة محمد

إنني لأستغرب لهؤلاء الجاهلين
الذين يُعرضون عن مائدة محمد

لا أرى أحدا في كلا العالَمَين
يبلغ سمو وعظمة محمد

إن الله عز وجل بريء من ذلك
الصدر الذي يُكنّ العداوة لمحمد

سيحرق الله تلك الدودة الخسيسة
التي تصير من أعداء محمد

إذا أردتَ التخلص من سكرات النفس
فهلم إلى السكارى بعشق محمد

وإذا أردتَ أن يُثني عليك إلهك الحق
فكن أنتَ ممّن يمدح محمد

وإذا طلبتَ على صدقه دليلا فكن من عُشاقه
لأن وجوده هو أكبر دليل على صدق محمد

إن رأسي فداء غبار أحمد
وقلبي فدًى في سبيل محمد

بل أنا فداء شَعر رسول الله
وأنا فداء وجه محمد

إنني وإن أُقتَلُ في هذه السبيل وأُحرَق
فلن أُوَلّي دُبري عن إيوان محمد

إني لا أخشى أحدا في سبيل الدين
لأني مصطبغ بصبغة إيمان محمد

ما أسهل الانقطاع عن الدنيا كلها
من أجل ذكر حُسن وإحسان محمد

إن كل ذرّة من وجودي فدًى في سبيله
لأنني قد شاهدت أخفى محاسن محمد

إنني لا أعرف أحدا من الأساتذة
فقد تعلمت في مدرسة محمد

مالي ولأي حبيب آخر
إنني قتيل رَوعة وجمال محمد

إني أتوق إلى نظرة من عين محمد
وليست أرضي إلا رياض محمد

لا تبحثوا عن قلبي الملتاع في جنبي
لأنني قد شددته بأذيال محمد

أنا من طيور القدس السعيدة
التي اتخذت أعشاشها في بستان محمد

يا نفس محمد قد نوّرتِ نفسي بعشقك
فدًى لكِ نفسي يا نفس محمد

إنني ولو فديت بمائة نفس في هذه السبيل
لما كان ذلك أيضا لائقا بعظمة محمد

ما أروع الهيبة التي وهبها الله لهذا الفتى
إذ لا يجرؤ أحد على المبارزة في ميدان محمد

احذر أيها العدو الجاهل الغبي الضال
وخف من السيف الصارم لمحمد

إن صراط الله المستقيم الذي ضل عنه الناس
التمِسوه في آل وأعوان محمد

لا شك أن الكرامات والخوارق قد اختفت من عالم اليوم
غير أنك تستطيع أن تراها عند غلمان محمد

* * *

إن المجال ليضيق هنا عن ذكر الكثير من مشاعر الحب والغرام، وأبيات الود والهيام، التي صاغها سيدنا أحمد عليه السلام، سواء كان ذلك في حب الله تعالى أو حب رسوله ﷺ، وإلاّ فإن هذا الكتاب لن ينتهي أبدا. ونود في الصفحات القليلة الباقية أن نقدم للقارئ لمحة أخرى تُبين مدى الحب والاحترام والتقدير الذي كان سيدنا أحمد عليه السلام يشعر به تجاه القرآن الكريم.. كتاب الله العزيز.

لقد أوقف حياته كلها لخدمة ذلك الكتاب والدفاع عنه، وصد الهجمات التي كان يشنها عليه جميع أعداء الإسلام. وكان مما أوحى الله تعالى إليه قوله عز وجل: [الخير كله في القرآن]، ولذلك فقد اتخذ من ذلك الكتاب العزيز خير أنيس، وكان له في وحدته وانزوائه أفضل جليس، وجعل من كلماته نبراسا لحياته، ومن آياته هدى ونورا لكل خطوة من خطواته. كان يقول إنه قبل أن يقوم بأي عمل.. مهما كان عظيما أو تافها.. كان يُسائل نفسه: هل يرضى الله تعالى حسب تعاليمه التي أنزلها في القرآن المجيد عن هذا العمل أم لا؟ فإذا وجد من القرآن أنه لا يُعارض ذلك العمل، قام به، وإلاّ امتنع عنه.

لقد كان القرآن الكريم بالنسبة له بمثابة الكعبة المشرّفة التي يحج إليها في كل

آن ليستشرق النور الذي يهتدي به، وكان المورد الصافي الذي ينتهل منه في كل لحظة حتى يستمد منه الحياة، وكان المائدة السماوية التي تحفل بجميع أطايب الطعام غذاءً لروحه وقلبه ووجدانه. حقا لقد كان عاشقا متَيَّما بحب القرآن، حتى إنه قال في إحدى قصائده باللغة الأردية مخاطبا الله تعالى ما تعريبه:

في قلبي أمنية واحدة وهي أن أقبّل صحيفتك كل حين

ولا أكف عن الطواف حول القرآن فإنه كعبتي

لقد كان الطَّيْلاِ يعتبر القرآن المجيد كنْزا يحوي من المعارف ما لا يُحصَى، فهو كهذه الأرض الطيبة التي نعيش عليها، وعاش عليها الملايين من الناس واستمتعوا بخيراتها، ولكن عطاءها لهم لا يفنى ولا ينفد، ومهما مرت عليها الأيام والسنون، فإن خيرها يستمر بغير انقطاع إلى يوم القيامة. كذلك كان يرى أن معاني القرآن الكريم لا تنفذ، وجواهره لا تنتهي، ولآلئه لا تفنى، وموائده لا تُرفع، ومنابعه لا تنضب، وأنواره لا تنطفئ، بل تبدد الظلمة دائما في كل عصر وفي كل حين. ومالي أنا أصف ما قاله هو عن القرآن الكريم.. إنّ أبلغ الكلمات كلماته هو، التي تنبض بما في قلبه من حب وتقدير وتعظيم لهذا الكتاب الجليل، ولا ننس ما ذكره في إحدى قصائده المذكورة عاليه حين قال: "وإن بياني عن جناني يخبر".

يقول الطَّيْلاِ:

"ووالله إنه **دُرّة يتيمة**. ظاهره نور، وباطنه نور، وفوقه نور، وتحته نور، وفي كل لفظه وكلمته نور. جنّة روحانية، ذُلِّلتْ قُطوفها تذليلا، وتجري من تحته الأنهار. كل ثمرة السعادة توجد فيه، وكل قبس يُقتبس منه، ومن دونه خَرْطُ القَتاد. موارد فيضه سائغة، فطوبى للشاربين. وقد قُذف في قلبي أنوار منه ما كان لي أن أستحصلها بطريق آخر.

ووالله لو لا القرآن ما كان لي لطف حياتي. رأيتُ حسنه أزيد من

مائة ألف يوسف، فملت إليه أشد ميلي، وأُشْرِبَ هو في قلبي. هو رباني كما يربى الجنين. وله في قلبي أثر عجيب، وحسنه يراودني عن نفسي. وإني أدركت بالكشف أن حظيرة القدس تسقى بماء القرآن. وهو بحر مواج من ماء الحياة، من شرب منه فهو يحيا بل يكون من المحيين. ووالله إني أرى وجهه أحسن من كل شيء. وجه أُفرِغَ في قالب الجمال، وأُلبس من الحسن حلّةَ الكمال. وإني أجده كجميل رشيق القد، أسيلِ الخد، أُعطيَ لـــه نصيب كامل من تناسب الأعضاء، وأُسبغت عليه كل ملاحـــة بالاستيفاء، وكل نور وكل نوع الضياء. وضيئٌ.. أعطي له حظ تام من كل ما ينبغي في المحبوبين من الاعتدالات المرضية، والملاحات المتخطفة، كمثل حَوَرِ العيون، وبَلَجِ الحواجب، ولَهَبِ الخدود، وهَيَف الخصور، وشَنَب الثغور، وفَلَجِ المباسم، وشمم الأنوف، وسَقَمِ الجفون، وتَرَفِ البنان، والطُّرر المزينة، وكل ما يُصبي القلوبَ ويسرّ الأعين ويُستملح في الحسين." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٥٤٥-٥٤٦)

ثم يقول في مكان آخر:

"... إن هذا القرآن يطهّر الصدور، ويلقي فيها النور، ويُري الحبور الروحاني والسرور، ومن تبعه فسيجد نورا وجده النبيون. ولا يلقى أنواره إلا الذين لا يريدون عُلُوًّا في الأرض ولا فسادا، ويأتونه راغبا في أنواره، فأولئك الذين تفتح أعينهم، وتُزكَّى أنفسهم، فإذا هم مبصرون. وإني بفضل الله من الذين أعطاهم الله من أنوار الفرقان، وأصابهم من أتم حظوظ القرآن، فأنار قلبي ووجدتْ نفسي هداها، كما يجد الواصلون. ثم بعد ذلك أرسلني ربي لدعوة الخلق، وآتاني من آيات بينة، لأدعو خلقه إلى دينه، فطوبى للذين يقبلونني ويذكرون الموت، أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتها يؤمنون." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٥٣١-٥٣٢)

وفي مكان آخر كتب يرد على المبشرين النصارى الذين صوّبوا سهام

نقدهم للقرآن فقال:

"قد كتبنا من غير مرة أن القرآن الكريم قد جمع التعاليم، وأكمل التفهيم، وأنه مشتمل على علوم الأوّلين والآخرين. وهو بعلوّه كأبحر لا كحياض، وفاق كل لُجّة بذيل فضفاض، وفيه نور أصفَى من نور العَيْن، ونقيّ من الدّرَنِ والشّيْن. صحفٌ مطهرة فيها كتبٌ قيمة، وحِكَمٌ معجبة مع حُسن بيان، وبلاغة ذي شان، تسر الناظرين. وهو إعجاز عظيم بفصاحة كلماته، وبلاغة عباراته، ورِفعة معارفه، وباكورة نِكاته. ولكن النصارى وأتباعهم أنكروا هذا الكمال، ونحتوا الشكوك وزينوا الأقوال، وجاءوا بمكر مبين. فقال بعضهم إن القرآن فصيح ولا ننكر الفصاحة، ولا نختار الوقاحة، ولكن تعليمه ليس بطيب ونظيف، ولا يوجد فيه من وعظ لطيف، بل هو يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، وكل ما علّم فهو سقط كالمريض الماؤف، ولا يصلح للصالحين.

أقول: كل ما هو قلتم فهو كذب صريح، ولا يقول كمثله إلاّ الذي هو وقيح، أو من المفترين. إنكم لا تستطلعون بعيون الصدق والسداد، ولا تسلكون إلاّ مسالك العناد، وما تعلمون إلاّ طرق الاعتساف، وما غُذّيتُم بلبان الإنصاف، وما أراكم إلاّ الظالمين. أعرفتم حقيقة القرآن، مع كونكم محرومين من علم اللسان، ومُبعَدين من سكك العرفان؟ أتظنيتم البحر سرابًا مستورًا، مع كونكم عُميًا وعُورًا. لا تعلمون حرفا من العلوم العربية، ولا تملكون فتيلا من البساتين الأدبية، بل أراكم كأخي عَيْلة، الماشين في ظلام ليْلة، ثم تلك الدعاوي مع مفاقر الجهل والضلال، والإنكار من شمس العلوم بأنواع المكائد والاحتيال. كبرٌ عظيم، وفسق قديم، فسبحان ربنا كيف يُمهل الفاسقين!

أيها الجهلاء.. أنتم تصولون على كلام قد أودعت سر المعارف أسرّتُه، ومأثورةٌ سمعتُه وشهرتُه، ومشهورةٌ عصمتُه وطهارتُه، وسُلّمَ نضارُهُ ونَضرَتُهُ، واشتهر تأثيرُه وقوتُه، فلا يُنكره إلاّ مَن فسدتْ فطرتُه. ألا ترون إلى قَصرٍ شاده القرآن، وإلى علومٍ أكملها الفرقان،

وإلى أنوار أترعَ فيه الرحمان؟ ووالله لا نظير له في إحياء الأموات، ونفخ الروح في العظام الرفات. جاء في وقت انقراض حيَل الصلحاء، وظهر بعد اكفهرار الليلة الليلاء، وَوَجد الخلقَ كمعروق العظم وأخي العَيْلة، أو كنائم في الليلة. فنوّر وجه الناس ولا كإنارة النهار، وناولهم مالا كثيرا من دُرَر العلم وأنواع الأنوار، فانظر هل ترى مثله في تأثير، ثم ارجع البصر هل ترى من نظير؟" (نور الحق الجزء الأول، الخزائن الروحانية: ج ٨ ص ١٧٨-١٨٠)

وكتب يرد على أحد علماء المسلمين، الذين سقطوا في فخ المبشرين المسيحيين، فارتد عن الإسلام واتبع سبل الشياطين، واحتفظ باسمه الإسلامي فكان يطلق على نفسه اسم القسيس عماد الدين، وألّف كتابا سماه "توزين الأقوال"، لينشر به الفساد والكفر والضلال، ويضل به عامة المسلمين، فتصدى له أسد الله المتين، وكتب يقول:

"... ثم إنك ظننتَ أن القرآن ليس في بلاغته إلى حدّ الإعجاز، بل يوجد فيه رائحة التكلف والارتماز، ولا يُميّز رقيق اللفظ من الجزل، والجدّ من الهزل، وفيه ألفاظ وحشية، وكلمات أجنبية، وليس بعربي مبين.

أما الجواب فاعلم أن هذا القول منك ومن أمثالك أعجب العجائب، وأعظم الغرائب، ولا يرضى به أحد من المنصفين. ألا تعلم يا مسكين أنك رجل من الجهال، ولا تدري إلا مكائد الضلال، ولا تعلم أساليب لسان العرب وطرق بلاغة المقال، بل أظن أنك لا تعرف حرفا من العربية، فكيف اجترأت على هذه الغزمرة الكريمة؟ أتصول أيها الجاهل الكاهل على الذي أفحم أكابر بلغاء الزمان، وأتم الحجة على فصحاء أهل اللسان، وخضعت له أعناق الأدباء، وآمن به نوابغ الشعراء، وجاءوا خاضعين مُقرّين؟ أأنت أسبق منهم في معرفة مواد الأقاويل، وتمييز الصحيح من العليل، أو أنت من المجنونين؟ ألا تعلم

أنهم كانوا أهل اللسان، وقد غُذّوا بلبان البيان، وكانوا يُصبْبُون القلوب بأفانين العبارات، ومُلَحِ الأدب ونوادر الإشارات، وكانوا في هذه السلك وعلم محاسنها من الماهرين؟ ألستَ تعلم أن القرآن ما ادّعى إعجاز البلاغة إلا في الرياغة، فإن العرب في زمانه كانوا فصحاء العصر وبلغاء الدهر، وكان مدار تفاخرهم على غرر البيان ودرره، وثمار الكلام وزهره، وكانوا يُناضلون بالقصائد المبتكرة والخطب المحبّرة، ولكن ما كان لهم أن يتكلموا في اللطائف الحِكَمية، وما مسَّتْ بيانهم رائحة المعارف الإلهية، بل كان مسرح أفكارهم إلى الأبيات العشقية، والأضاحيك الملهية، وما كانوا على ترصيع مضامين الحكَم قادرين؟ وكانوا قد مرَنوا من سنين على أنواع النظم والنثر ولطائف البيان، وسُلّموا وقُبلوا في الأقران، وكانوا أهل اللسان وسوابق الميادين. فخاطبهم الله وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ .... فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وقودها النَاسُ والحجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، وقال: ﴿قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. فعجز الكفار عن المقابلة وولوا الدبر كالمغلوبين. ولما عجزوا عن النضال في البيان، مالوا إلى السيف والسنان، متندمين مغتاظين. وكثير منهم أسلموا نظرا على هذه المعجزة، كلبيد بن ربيعة العامري صاحب المعلقة الرابعة، فإنه أدرك الإسلام، وتشرّف به وأرى الإخلاص التام، ومات سنة إحدى وأربعين. وكذلك كثير منهم أقرّوا بأن القرآن مملوّ من العبارات المهذبة، والاستعارات المستعذبة، والأفانين المستملحة، والمضامين الحكميّة الموَشّحة، بل من أمعن منهم النظر فسعى إلى الإسلام، وحضر ودخل في المؤمنين...." (المرجع السابق ص١٤٤– ١٤٧)

إن من يحب القرآن الكريم هذا الحب، ومن يُكرّس حياته للذود والدفاع عنه من صميم القلب، فإن الله تعالى يفتح أمامه سبل العرفان، ويؤتيه كنوز

معارف الفرقان، فيكون أقدر الناس على فهم هذا الكتاب العظيم، فإنه كتاب لا يعلم تأويله إلا الله العليم، ولا يمسه إلا المطهرون بيد الله الكريم، وهو وحده الذي يستطيع أن يؤتي ذلك التأويل الصحيح، والتفسير الفصيح، لمن شاء من عباده الذين ملأ حب القرآن قلوبهم، وأنار بنوره الوضّاء ظاهرهم وباطنهم. وقد رأينا في الفصول السابقة كيف أنه عليه السلام قد تحدى العلماء في البلاد العربية وغيرها، أن يكتبوا تفسيرا لسورة الفاتحة في سبعين يوما، وكتب هو تفسيرا لهذه السورة الجامعة، فكان التفسير ظلا لكلام الله تعالى، بما احتواه من معان لم يُشر إليها أحد من قبل في كافة التفاسير المنشورة. وإليكم نبذة من ذلك التفسير، الذي يتضح منه كيف أنه يستنتج المعاني العميقة، من الكلمات التي نقرأها في الصلاة عديدا من المرات، دون أن يفطن أحد إلى أنها تحتوي على تلك اللآلئ من المعاني وكنوز الحكم. يقول عليه السلام في تفسير البسملة:

"... وههنا سؤال عضال نكتبه في الكتاب مع الجواب، ليُفكر فيه من كان من أولي الألباب.. وهو أن الله اختار من جميع صفاته صفتي الرحمان والرحيم في البسملة، وما ذكر صفةً أخرى في هذه الآية، مع أن اسمه الأعظم يستحق جميع ما هو من الصفات الكاملة، كما هي مذكورة في الصحف المطهّرة. ثم إن كثرة الصفات تستلزم كثرة البركات عند التلاوة، فالبسملة أحق وأولى بهذا المقام والمرتبة، وقد نُدب لها عند كل أمرٍ ذي بال كما جاء في الأحاديث النبوية، وإنها أكثر وِرْدًا على ألسُن أهل الملّة، وأكثر تكرارا في كتاب الله ذي العزّة. فبأي حكمة ومصلحة لم يُكتب صفاتٌ أخرى مع هذه الآية المتبرّكة؟

فالجواب أن الله أراد في هذا المقام، أن يذكر مع اسمه الأعظم صفتين هما خلاصة جميع صفاته العظيمة على الوجه التام، وهما الرحمان والرحيم، كما يهدي إليه العقل السليم. فإن الله تجلّى على هذا العالم تارة بالمحبوبية ومرة بالمحبّية، وجعل هاتين الصفتين ضياءً ينْزل من شمس الربوبية على أرض العبودية. فقد يكون الرب محبوبا

والعبد مُحبًّا لذلك المحبوب، وقد يكون العبد محبوبا والرب مُحبًّا له وجاعله كالمطلوب.

ولا شك أن الفطرة الإنسانية التي فُطِرَت على الْمحبّة والخلّة ولوعة البال، تقتضي أن يكون لها محبوبا يجذبها إلى وجهه بتجلّيات الجمال والنعم والنوال، وأن يكون له مُحِبّا مُواسيا يُتدارك عند الأهوال، وتشتت الأحوال، ويحفظها من ضيعة الأعمال، ويوصّلها إلى الآمال. فأراد الله أن يعطيها ما اقتضتها ويُتمّ عليها نعمه بجوده العميم، فتجلّى عليها بصفتيه الرحمان والرحيم*. ولا ريب أن هاتين الصفتين هما الوصلة بين الربوبية والعبودية، وبهما يتم دائرة السلوك والمعارف الإنسانية، فكل صفةٍ بعدهما داخلة في أنوارهما، وقطرة من بحارهما.

ثم إن ذات الله تعالى كما اقتضت لنفسها أن تكون لنوع الإنسان محبوبة ومُحِبّة، كذلك اقتضت لعباده الكُمّل أن يكونوا لبني نوعهم كمثل ذاته خُلُقًا وسيرة، ويجعلوا هاتين الصفتين لأنفسهم لباسا وكسوة، ليتخلق العبودية بأخلاق الربوبية، ولا يبقى نقص في النشأة الإنسانية. فخلق النبيين والمرسلين فجعل بعضهم مظهر صفته الرحمان وبعضهم مظهر صفته الرحيم، ليكونوا محبوبين ومحبين ويُعاشروا بالتحابب بفضله العظيم. فأعطى بعضهم حظًّا وافرا من صفة المحبوبية، وبعضًا آخر حظًّا كثيرا من صفة المُحِبّية، وكذلك أراد بفضله العميم، وجوده القديم.

ولما جاء زمن خاتم النبيين، وسيّدنا محمد سيد المرسلين، أراد هو سبحانه أن يجمع هاتين الصفتين في نفسٍ واحدة، فجمعهما في نفسه

* **الحاشية:** قد عرفت أن الله بصفة الرحمن يُنْزِل على كل عبد من الإنسان والحيوان والكافر وأهل الإيمان، أنواعَ الإحسان والامتنان، بغير عمل يجعلهم مستحقين في حضرة الديّان. فلا شك أنّ الإحسان على هذا المنوال، يجعل المحسن محبوبا في الحال. فثبت أن الإفاضة على الطريقة الرحمانية، يُظهر في أعين المستفيضين شأن المحبوبية. وأما صفة الرحيمية، فقد ألزمت نفسها شأن المحبّية، فإنَ الله لا يتجلّى على أحدٍ بهذا الفيضان إلاّ بعد أن يُحبه ويرضى به قولا وفعلا من أهل الإيمان. منه

عليه ألف ألف صلاة وتحيّة. فلذلك ذكر تخصيصا صفة المحبوبية والمُحبّية، على رأس هذه السورة، ليكون إشارة إلى هذه الإرادة. وسمّى نبيّنا محمدا وأحمد كما سمّى نفسه الرحمان والرحيم في هذه الآية. فهذه إشارة إلى أنه لا جامع لهما على الطريقة الظلية، إلاّ وجود سيدنا خير البرية. وقد عرفتَ أن هاتين الصفتين أكبر الصفات من صفات الحضرة الأحدية، بل هما لُبّ اللباب وحقيقة الحقائق لجميع أسمائه الصفاتية، وهما معيار كمال كُلّ من استكمل وتخلّق بالأخلاق الإلهية. وما أُعطيَ نصيبا كاملا منهما إلا نبينا خاتم سلسلة النبوّة، فإنه أُعطِيَ اسمين كمثل هاتين الصفتين.. أوّلهما محمد والثاني أحمد من فضل رب الكونين.

أمّا "محمد" فقد ارتدى رداء صفة الرحمان، وتجلّى في حُلل الجلال والمحبوبية، وحُمِّد لبرّ منه والإحسان. وأمّا "أحمد" فتجلّى في حُلّة الرحيمية والمحبية الجمالية، فضلا من الله الذي يتولى المؤمنين بالعون والنصرة، فصار أسماء نبينا بحذاء صفتي ربنا المنان، كصورٍ منعكسة تظهرها مرآتان متقابلتان.

وتفصيل ذلك أن حقيقة صفة الرحمانية عند أهل العرفان.. هي إفاضة الخير لكل ذي روح من الإنسان وغير الإنسان، من غير عمل سابقٍ بل خالصًا على سبيل الامتنان. ولا شك ولا خلاف أن مثل هذه المنّة الخالصة، التي ليست جزاء عمل عامل من البريّة، هي تجذب قلوب المؤمنين إلى الثناء والمدح والمحمدة، فيحمدون المحسن ويُثنون عليه بخلوص القلوب وصحة النية. فيكون الرحمان مُحمّدا يقينا من غير وهم يجر إلى الريبة، فإن المنعم الذي يُحسن إلى الناس من غير حق بأنواع النعمة، يحمده كل من أُنْعِمَ عليه.. وهذا من خواص النشأة الإنسانية. ثم إذا كمل الحمد بكمال الإنعام.. جذب ذلك إلى الحب التام، فيكون المُحسن مُحمّدا ومحبوبا في أعين المحبين، فهذا مآل صفة الرحمان ففكر كالعاقلين. وقد ظهر من هذا المقام لكل من له عرفان،

أن الرحمان محمدٌ وأن محمدًا رحمان. ولا شك أن مآلهما واحد، وقد جهل الحق من هو جاحد.

وأمّا حقيقة صفة الرحيمية، وما أُخفي فيها من الكيفية الروحانية، فهي إفاضة إنعامٍ وخَيرٍ، على عملٍ من أهل مسجد لا من أهل دَيْرٍ، وتكميل عمل العاملين المخلصين، وجبر نقصانهم كالمتلافين والمعُينين والناصرين. ولا شك أن هذه الإفاضة في حُكم الحمد من الله الرحيم، فإنه لا يُنْزِل هذه الرحمة على عاملٍ إلاّ بعد ما حمده على نهجه القويم، ورضيَ به عملا ورآه مستحقا للفضل العميم. ألا ترى أنه لا يقبل عمل الكافرين والمشركين، والمرائين والمتكبّرين، بل يُحبط أعمالهم ولا يهديهم إليه ولا ينصرهم بل يتركهم كالمخذولين؟ فلا شك أنه لا يتوب إلى أحد بالرحيمية.. ولا يُكمّل عمله بنصرة منه والإعانة.. إلاّ بعد ما رضيَ به فعلا وحمده حمدًا يستلزم نزول الرحمة. ثم إذا كمل الحمد من الله بكمال أعمال المخلصين فيكون الله أحمد والعبد مُحمّدًا، فسبحان الله أوّل المحمدين والأحمدين! وعند ذلك يكون العبد المخلص في العمل محبوبًا في الحضرة، فإن الله يحمده من عرشه، وهو لا يحمد أحدًا إلاّ بعد المحبّة.

فحاصل الكلام.. إن كمال الرحمانية يجعل اللهَ مُحمّدا ومحبوبًا، ويجعل العبدَ أحمدَ ومُحبًا يستقري مطلوبًا. وكمال الرحيمية يجعل اللهَ أحمدَ ومُحبًّا، ويجعل العبدَ مُحمّدًا وحِبًّا. وستعرف من هذا المقام، شأن نبينا الإمام الهُمام، فإن الله سمّاه محمدا وأحمد وما سمّى بهما عيسى ولا كليما، وأشركه في صفتيه الرحمان والرحيم بما كان فضله عليه عظيما. وما ذكر هاتين الصفتين في البسملة، إلا ليعرف الناس أنهما لله كالاسم الأعظم، وللنبي من حضرته كالخلعة. فسمّاه الله محمدا إشارة إلى ما فيه من صفة المحبوبية، وسمّاه أحمدَ إيماءً إلى ما فيه من صفة الْمُحِبّية.

أمّا محمد فلأجل أن رجلا لا يحمده الحامدون حمدًا كثيرا إلاّ بعد

أن يكون ذلك الرجل محبوبا. وأمّا أحمد فلأجل أن حامدًا لا يحمد أحدًا بحمدٍ كاثرٍ إلاّ الذي يُحبّه ويجعله مطلوبا. فلا شك أن اسم محمد يوجد فيه معنى المحبوبية بدلالة الالتزام، وكذلك يوجد في اسم أحمد معنى المحبيّة من الله ذي الأفضال والإنعام. ولا ريب أن نبيّنا سُمّي محمدًا لما أراد الله أن يجعله محبوبا في أعينه وأعين الصالحين، وكذلك سمّاه أحمد لما أراد سبحانه أن يجعله مُحبّ ذاته ومُحبّ المؤمنين المسلمين، فهو محمد بشأن وأحمد بشأن. واختص أحد هذين الاسمين بزمان والآخر بزمان، وقد أشار إليه سبحانه في قوله: ﴿دَنَى فَتَدَلَّى﴾ وفي ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

ثم لما كان يُظَنّ أن اختصاص هذا النبي المطاع السجّاد، بهذه المحامد من رب العباد، يجر إلى الشرك كما عُبد عيسى لهذا الاعتقاد.. أراد الله أن يورثهما الأمّة المرحومة على الطريقة الظلّية، ليكونا للأمّة كالبركات المتعدّية، وليزول وهم اشتراك عبد خاص في الصفات الإلهية. فجعل الصحابة ومن تبعهم مظهر اسم محمد بالشؤون الرحمانية الجلالية، وجعل لهم غلبةً ونصرَهم بالعنايات المتوالية، وجعل المسيح الموعود مظهر اسم أحمد وبعثه بالشؤون الرحيمية الجمالية، وكتب في قلبه الرحمة والتحنن وهذبه بالأخلاق الفاضلة العالية، فذلك هو المهدي المعهود الذي فيه يختصمون، وقد رأوا الآيات ثم لا يهتدون، ويُصرّون على الباطل وإلى الحق لا يرجعون، وذلك هو المسيح الموعود ولكنهم لا يعرفون، وينظرون إليه وهم لا يُبصرون." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية ج ١٨ ص ٩٦-١١١)

لقد أحبّ سيدنا أحمد عليه السلام القرآن حبًّا جمًّا، فعلّمه الله تعالى من لدنه علمًا، وآتاه علوم القرآن، وأنار بصيرته بنور الفرقان، فاستطاع أن يرى بنور الله في الآيات فصوصا من الحكم، بينما لم ير سواه في التفسير غير اللمم. وقد ملك كتاب الله قلبه وفؤاده، فأعطاه الله كل ما سأله وأراده، ولذلك لم يكن

له مثيل في الدفاع عن القرآن، لأنه كان على يقين أنه كتاب عظيم الشان، لا يأتي بمثله إنس ولا جان، ولا يصل إلى حقيقة معانيه إلاّ من طهّره الرحمن. فهو كتاب لا يفهمه إلاّ المؤمنون المخلصون، كما أنه كتاب محفوظ مكنون، لا يمسّ معانيه إلاّ المطهرون.

وكما هو شأن المحبين.. الذين يعبّرون عن هواهم بأعذب الأغنيات، ويصفون غرامهم بأرقّ الكلمات، أنشد سيدنا أحمد عليه السلام يتغنى بمدح القرآن، ونقتطف هذه الباقة من بعض قصائده التي قال فيها:

رَسُــــولٌ كَرِيمٌ ضَعَّفَ اللهُ شَأْنَهُ ... وَبَدْرٌ مُّنِــيرٌ لاَ يُضَاهِيهِ نَــيِّرُ
وَجَــاءَ بِقُرْآنٍ مَّجِــيدٍ مُّكَمَّلٍ ... مُّنِــيرٍ فَنَــوَّرَ عَالَمًا وَ يُنَــوِّرُ
كِتَابٌ كَرِيمٌ حَــازَ كُلَّ فَضِيلَةٍ ... وَيَسْقِي كُؤُوسَ مَعَارِفٍ وَيُوَقِّرُ
وَفِيــهِ رَأَيْنَا بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى ... وَفِيــهِ وَجَدْنَا مَا يَقِي وَيُبَصِّرُ
كَعَــيْنٍ كَحِيلٍ زُيِّنَتْ صَفَحَاتُهُ ... بِنَاظِرَةٍ مِّــنْ عَــيْنِ خُلْدٍ يَنْظُرُ
طَرِيٌّ طَــلاوَتُهُ وَلَمْ تَعْفُ نُقْطَةٌ ... لِمَا صَانَهُ اللهُ الْقَــدِيرُ الْمُوَقِّرُ
فَيَا عَــجَبًا مِّــنْ حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ ... أَرَى أَنَّــهُ دُرٌّ وَمِسْــكٌ وَعَنْبَرُ
وَإِنَّ سُــرُورِي فِي إِدَارَةِ كَأْسِهِ ... فَهَلْ فِي النَّدَامَى حَاضِرٌ مَنْ يُكَرِّرُ
وَرَيَّاهُ قَــدْ فَاقَ الحَدَائِقَ كُلَّهَا ... نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ شَــأْنِهِ تَتَحَيَّرُ
إِذَا مَا تَلا مِنْ آيَةٍ طَالِبُ الهُدَى ... يَرَى نُورَهُ يَجْرِي كَعَيْنٍ وَيَمْطُرُ
وَفِيــهِ مِنَ اللهِ اللَّطِيفِ عَجَائِبٌ ... أُشَاهِدُهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَنْظُرُ
أَيَعْجَبُ مِنْ هَذَا سَفِيهٌ مُّشَــرَّدُ ... وَأَلْهَاهُ عَنْ نُّــورٍ ظَلامٌ مُّكَدِّرُ
إِلى قَوْلِهِ يَــرْنُو الحَكِيمُ تَلَــذُّذًا ... وَيُعْرِضُ عَنْهُ الجَاهِــلُ الْمُتَكَبِّرُ
كِتَابٌ جَلِيلٌ قَــدْ تَعَالى شَــأْنُهُ ... يُدَافِي رُؤُوسَ الْمُنْكِرِينَ وَيَكْسِرُ

هُوَ السَّيْفُ فِي أَيْدِي رِجَالَ مَوَاطِنٍ فَلَنْ يَعْصِمَ دِرْعٌ مِنْهُ فَوْجًا وَّمِغْفَرُ
كَــلاَمٌ يَفِــلُّ الْمُرْهَفَاتِ بِحَدِّهِ يُبَشِّــرُنَا فِي كُلِّ أَمْــرٍ وَّيُنْذِرُ
فِدًى لَّكَ رُوحِي يَا حَبِيبِي وَسَيِّدِي فِدًى لَّكَ رُوحِي أَنْتَ وَرْدٌ مُّنَضَّرُ
أَنَحْــنُ نَفِرُّ مِــنَ النَّبِيِّ وَبَابِــهِ خَفِ اللّٰهَ يَا صَيْدَ الرَّدَا كَيْفَ تَجْسُرُ
أَتَــتْرُكُ قُــرْآنًا كَــرِيمًا وَدُرَّهُ فَمَا لَكَ لا تَدْرِي صَلاَحًا وَتَفْجُرُ
هَلِ الْعِلْمُ شَيْءٌ غَــيْرُ تَعْلِيمِ رَبِّنَا وَأَيُّ حَدِيثٍ بَعْــدَهُ نَــتَخَيَّرُ
كِــتَابٌ كَــرِيمٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَحَيَاتُهُ يُحْــيِي الْقُلُوبَ وَيُزْهِرُ
يَدُعُّ الشَّــقِيَّ فَلاَ يَمَــسُّ نِكَاتَهُ وَيَرْوِي التَّقِيَّ هُدًى فَيَنْمُو وَيُثْمِرُ
وَمَتَّعَنِي مِنْ فَيْضِــهِ لُطْفَ خَالِقِي وَإِنِي رَضِيــعُ كِتَابِــهِ وَمُخَفَّرُ
كَرِيمٌ فَيُــؤْتِي مَنْ يَشَــاءُ عُلُومَهُ قَــدِيرٌ فَكَيْفَ تُكَذِّبَنَّ وَتَهْكَرُ
وَإِنِي نَظَمْتُ قَصِيدَتِي مِنْ فَضْلِهِ لِتَعْلَمَ فَضْــلَ اللهِ كَيْفَ يُخَيِّرُ

(كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية ج ٧ ص ٨٣-٨٧)

وتغنى بمحاسن القرآن في قصيدة أخرى فقال:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ بَحْــــرُ مَعَارِفٍ وَنَجِدَنَّ فِيــهِ عُيُونَ مَا نَسْتَعْذِبُ
وَكَمْ مِّنْ نِّكَاتٍ مِثْلَ غِيدٍ تَمَتَّعَتْ بِهَا مُهْجَتِي مِنْ هَدْيِ رَبِي فَجَرِّبُوا
إِذَا مَا نَظَــرْتُ إِلى ضِيَاءِ جَــمَالِهِ فَإِذَا الجَمَالُ عَلَى سَنَا الْبَرْقِ يَغْلِبُ
رَأَيْتُ بِنُــورٍ نُــورَهُ فَــتَبَيَّــنَتْ عَلَيَّ حَقَائِــــقُهُ فَفِــيهَا أُقَلَّبُ
يَصُدُّ عَنِ الطَّغْوَى وَيَهْدِي إِلى التُّقَى خَفِيرٌ إِلى طُرُقِ السَّلاَمَةِ يَجْلِبُ
يَجُرُّ إِلى الْعُلْيَا وَيَهْــدِي إِلى التُّقَى كَمَا هُوَ أَمْرٌ ظَاهِرٌ لَيْسَ يُحْجَبُ
وَسِــرٌّ لَطِيفٌ فِي هُــدَاهُ وَنُــكْتُهُ كَنَجْمٍ بَعِيــدٍ نُورُهَــا تَتَغَــيَّبُ

وَمَـــنْ يَأْتِه يُقْبَلْ وَمَـــنْ يُهْدَ قَلْبُهُ إلى مَأْمَنِ الْفُرْقَانِ لا يَتَـــذَبْذَبُ
يُـــضِيءُ الْقُلُوبَ وَيَدْفَعَنَّ ظَلاَمَهَا وَيَشْفي الصُّدُورَ سَوَادُهُ وَيُهَذِّبُ
فَقُلْتُ لَــهُ لَمَّا شَــرِبْتُ زُلاَلَــهُ فدًى لَكَ رُوحِي أَنْتَ عَيْنِي وَمَشْرَبُ
وَكَمْ مِنْ عَمِينٍ قَدْ كَشَفْتَ غِطَاءَهُمْ وَنَجَّيْتَهُمْ عَـــمَّا يُعَفِّي وَيَشْغَبُ
أَلاَ رُبَّ خَصْمٍ خَاضَ فِيه عَـــدَاوَةً فَأَلْهَاهُ عَنْ خَوْضٍ سَنَاهُ الْمُؤَنِّبُ
وَأَنَّى لِعَقْلِ النَّاسِ نُـــورٌ كَنُـــورِه وَإِنَّ الـــنُّهَى بِبَـــيَانِه يَتَـــهَذَّبُ
وَوَاللهِ يَجْـــرِي تَحْتَـــهُ نَهْرُ الهُدَى وَمَنْ أَكْثَرَ الإِمْعَانُ فِيـــه فَيَشْرَبُ
وَمَـــنْ يُمْعِـــنِ الأَنْظَارَ فِي أَلْفَاظِه فَإِلى سَـــنَاهُ التَّامِّ يَصْبُ وَيُسْحَبُ
وَمَنْ يَطْلُبِ الْخَـــيْرَاتِ فِيـــهِ يَنَلْنَهُ وَيَرَى الْيَقِينَ التَّامَ وَالشَّكُّ يَهْرَبُ
وَمَنْ يَطْلُبَنْ سُـــبُلَ الهُدَى فِي غَيْرِه يَكُـــنْ سَـــعْيُهُ لَغْنًا عَلَيْه فَيَعْطُبُ
وَمَنْ يَعْـــصِ فُرْقَانًا كَـــرِيمًا فَإِنَّهُ يُطِعِ السَّعِـــيرَ وَفِي الجَحِيمِ يُقَلَّبُ

(كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية ج ٧ ص٩٧-٩٩)

وفي قصيدة أخرى يقول عن القرآن، داعيا الناس إلى كتاب الله المنان:

هَلُمَّ إِلى كِـــتَابِ اللهِ صِـــــدْقًا وَإِيمَـــانًا بِتَصْـــدِيقِ الجَنَانِ
وَمَـــا الْقُـــــرْآنُ إِلاَّ مِـــثْلَ دُرٍّ فَرَائِـــدَ زَانَهَا حُسْنُ الْبَيَانِ
بِه مَا شِئْـــتَ مِـــنْ عِلْمٍ وَعَقْلٍ وَأَسْـــرَارٍ وَأَبْـــكَارِ المَعَانِي
يُسَكِّتُ كُلَّ مَنْ يَعْـــدُو بِضِغْنٍ يُبَكِّتُ كُلَّ كَـــذَّابٍ وَجَانِي
رَأَيْـــنَا دُرَّ مَزْنَـــتِه كَثِـــــيرًا فَـــدَيْنَا رَبَّنَـــا ذَا الامْتِنَـــانِ
وَمَـــــا أَدْرَاكَ مَا الْقُرْآنُ فَيْضًا خَفِـــيرٌ جَالِبٌ نَحْوَ الجِنَانِ

لَهُ نُـــــورَانِ نُـــورٌ مِّنْ عُلُومٍ وَنُـــورٌ مِّـــنْ بَيَانٍ كَالجُمَانِ
كَـــلامٌ فَائِـــقٌ مَّـــا رَاقَ طَرْفِي جَمَالٌ بَعْـــدَهُ وَالنَّـــــيِّرَانِ
أياةُ الشَّمْسِ عِنْدَ سَنَاهُ دَخْنٌ وَمَا لِلَّعْلِ وَالسَّـــبْتِ الْيَمَانِي
وَأَينُ يَكُـــونُ لِلْقُـــــرْآنِ مِثْلٌ وَلَيْسَ لَهُ بِهَـــذَا الْفَضْلِ ثَانِي
وَرِثْنَا الصُّحُفَ فَاقَتْ كُلَّ كُتُبٍ وَسَبَقَتْ كُلَّ أَسْـــفَارٍ بِشَأْنِ
وَكُلُّ النُّورِ فِي الْقُـــــرْآنِ لَكِنْ يَمِيلُ الْهَالِكُـــونَ إِلى الدُّخَانِ
بِــــهِ نِلْنَا تُـــرَاثَ الْكَامِلِيـــــنَا بِهِ سِـــرْنَا إِلى أَقْصَى الْمَعَانِي
فَقُـــمْ وَاطْلُبْ مَعَارِفَهُ بِجُهْـــدٍ وَخَفْ شَرَّ الْعَوَاقِبِ وَالْهَوَانِ
وَآخِرُ كَلِمِنَا حَمْـــدٌ وَشَـــكْرٌ لِرَبٍّ مُّـــحْسِنٍ ذِي الامْتِنَانِ

(نور الحق الجزء الأول، الخزائن الروحانية ج ٨ ص ٨٨-٩٥)

هذا هو سيدنا أحمد عليه السلام.. هذا هو الإنسان الذي ملأ قلبه حب الله تبارك وتعالى، وفاض في وجدانه حب الرسول ﷺ، وأنار فؤاده حب القرآن الكريم، فكان في كل كلامه، وفي جميع عمله، نموذجا مجسّما لهذا الحب العظيم. لم يكن من الغريب أن يختار الله تعالى هذا الإنسان الذي صاغه الحب، وخمرته المحبة، ليكون الإمام المهدي والمسيح الموعود، فهو أقدر الناس على إيصال ذلك الحب إلى قلوب غيره من البشر. فمَن شرب من كأس الوصال الإلهي يعرف تماما كيف يروي غليل الآخرين، ومَن طعم من خوان محمد ﷺ يعلم يقينا كيف يُطعم الجائعين، ومن غاص في بحار القرآن العميقة وارتوى من ذلك النبع العظيم فهو الذي يستطيع أن يسقي العطاشى المحرومين.

إن القضية ليست فقط قضية الإيمان بالله ورسوله وكتابه، فإن الناس يؤمنون يقينا بوجود الكثير من الأشياء في هذه الدنيا. إن الملايين من البشر يؤمنون بوجود مدينة لندن مع أنهم لم يروها بأعينهم، ولم يزوروها بأنفسهم،

و لم يجربوا قط الحياة في ظلالها ودروبها. ولكن ما قيمة هذا الإيمان الذي لا تُحركه مشاعر الحب ولا تُصليه أحاسيس الهوى والغرام؟ ما قيمة إيمان الإنسان بالله إذا كان لا يحرص على وصال الله بالصلاة، أو قد يُصلي بعض الوقت ثم ينقطع عنها، وإذا أدى الصلاة أدّاها بقلب ينوء بأمور الدنيا، وفكر تائه في خضم مشاغل الحياة؟ ما قيمة الإيمان برسول الله إذا كان المرء لا يتّبعه في كل أمور حياته، حسب جهده وطاقته، ولا يتخذ منهاجه وسُنته، نبراسا له في كل شؤون دنياه، بل يكتفي بتمتمة بعض الكلمات كلما ذُكر اسمه الشريف؟ ما فائدة الإيمان بالقرآن إذا كان الإنسان لا يسعى لفهم ذلك الكتاب، ولا ينهل من ذلك النبع الدفاق، بل يكتفي بقراءته في المواسم والمناسبات فقط.. في شهر رمضان أو حين وفاة الأهل والأحباب؟ إن الإيمان بغير عمل كالصحراء الجرداء، التي لا نبات فيها ولا ماء. الإيمان الذي لا يُحركه الحب، ولا ينبض بوصال المحبوب، يستوي تماما مع الإيمان بوجود مدينة من المدن، أو بوجود نصب تذكاري، أو بوجود تمثال شهير كأبي الهول. ومهما ادّعَى المرء أن إيمانه قائم على الحب فإنه كاذب في دعواه، ما لم يكن العمل الصادق، والسعي الدائب، والجهاد المستمر، والذكر الدائم للمحبوب، هو الذي يُؤكد دعوى الإيمان، فقد قال رسول الله ﷺ: "ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل" (كنز العمال، المجلد الأول، الفصل الأول في حقيقة الإيمان).

لقد قضى سيدنا أحمد عليه السلام حياته الشريفة كلها في العمل من أجل أن يعرف الناس الإله الحقيقي ويعبدوه، وسعى في كل لحيظة من عمره لكي يُدرك الناس عظمة قدر رسول الله ﷺ ويطيعوه، وجاهد في كل آن وكل مكان وُجد فيه لكي يَعلم الناس سمو شأن تعليم القرآن ويتبعوه. نعم.. إنه كان في أوائل حياته منْزويا عن الناس، يميل إلى العزلة والانفراد ليخلو إلى ربه، يسأله ويتلقى منه علِما. إنه لم يكن يبتغي منصبا أو سيادة، ولا كان يصبو إلى

رياسة أو قيادة، رغم أن الناس كانوا يطلبون بيعته وهو رافض لهم وكاره لها، إلى أن أمره الله تعالى بأخذ البيعة وإنشاء الجماعة الإسلامية الأحمدية. فانساب الحب من قلبه إلى قلوب أتباعه، كما ينساب الغدير من النبع الدافق إلى الأرض العطشى فيرويها بماء الحياة. وأشرق النور من وجدانه فأنار وجدان أفراد جماعته، وأضاء ظلمات دنياهم وحطم طواغيتها، وبدد زخرفها وزينتها. وهكذا.. غرس سيدنا أحمد بيده الكريمة.. لا.. بل بيد الله تبارك وتعالى.. بذورا طيبة في أرض الإيمان، ورواها بوابل من الحب والحكمة والعرفان، وتعهدها كالراعي الوفي والحارس اليقظان، وغذاها بغذاء المحبة والبر والإحسان، وشملها بأدعية مباركة إلى الله الولي المنّان، فأنبتت شجرات وارفة الظلال كالجنان، وأينعت ثمرات طيبة فوق الغصون والأفنان، وامتدت جذورها في البلاد وفي كل مكان، وآتت أُكُلها كل حين وفي كل آن.

هذه هي شجرة الجماعة الإسلامية الأحمدية.. الشجرة المباركة التي غرسها الله تعالى بيد سيدنا أحمد عليه السلام، فكان أصلها ثابتا وفرعها في السماء، تُؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها. لقد دخل في هذه الجماعة أناسٌ عرفوا ربهم حق المعرفة حسب طاقاتهم فأحبوه، وأدركوا قدر رسولهم سيد الخلق ﷺ فأطاعوه، واستناروا بأنوار القرآن الكريم وهُداه فاتّبعوه. لقد اعتصموا بحبل الله جميعا و لم يتفرّقوا، واجتمعت كلمتهم وتوحدت إراداتهم، رغم أنهم جاءوا من خلفيات متفرّقة وأديان مختلفة. كان بعضهم يدين بالهندوسية، وكان بعضهم من أتباع ديانة السيخ، وكان منهم من يدين بالمسيحية أو يؤمن باليهودية، وكان من بينهم من يدين بغير ذلك من الأديان وكان الكثير منهم يدين بالإسلام المعاصر الذي غزته الإسرائيليات وأفكار العصور الوسطى، ولوّثته دعوات العنف والإرهاب، وشوّهته جماعات الإسلام السياسي التي تتخذ من الإسلام وسيلة للوثوب إلى السُلطة والاستيلاء على كراسي الحكم، وأساءت إليه أفكار المستشرقين من أهل الغرب، والمستغربين من أهل الشرق. وكان هؤلاء الأتباع

الكرام الذين توَحّد أمرهم في سلك الجماعة الإسلامية الأحمدية يتكلمون بلغات مختلفة، وينتمون إلى بلاد شتى، فمنهم من كان من بلاد العرب، ومنهم من كان من أمريكا، ومنهم من كان من بريطانيا، ومنهم من كان من أفريقيا، ومنهم من كان من استراليا، ومنهم من كان من دول أوربا ومن دول آسيا، بلغاتهم المتباينة، وتقاليدهم المتغايرة، ومع ذلك فقد اتحدوا جميعا على يد رجل واحد. لقد حاولت بعض الدول أن تقيم اتحادا فيما بينها كما قامت الوحدة بين مصر وسوريا، ولكنها سرعان ما انحلت. وتعرضت الولايات المتحدة الأمريكية إلى انفصام بين اتحاد ولاياتها، الأمر الذي أدى إلى الحرب والقتال بين ولايات الشمال وولايات الجنوب، ثم انتهى الأمر بانتصار ولايات الشمال وفرض الوحدة على الجميع بقوة السلاح ونص القانون. ونرى في عالمنا المعاصر كيف أن الدولة الواحدة تتمزق وتنقسم، كما حدث في الهند وفي باكستان وفي اليمن وفي تشيكوسلوفاكيا وفي يوغسلافيا، وكما تطالب كويبك بالانفصال عن كندا، وكما انهار وتحطم الاتحاد السوفيتي العظيم، وما زالت نزعات الانفصال تستشري بين الدول الروسية، وكان لا بد من الحرب والقتال لإجبار المنفصلين على البقاء في الاتحاد كما حدث في الشيشان.

أما جماعة المؤمنين التي أنشأها رسول الله ﷺ، فقد كانت تنتمي إلى العديد من القبائل التي كانت متحاربة فيما بينها، بل إن حروب الأوس والخزرج لم تنته تماما إلا بعد دخولهما في الإسلام. ومع انتشار الإسلام في اليمن والبحرين دخلت فيه قبائل كثيرة، تختلف عن قبائل قريش التي كانت هي الأخرى يمزقها النّزاع والاختلاف، ولكن كل هؤلاء اتحدوا، واتفقت كلمتهم، وساروا خلف قيادة واحدة.

والأمر الذي يستدعي التساؤل هو.. لماذا تمكن رسول الله ﷺ من خلق روح الألفة بين المؤمنين به، الذين كانوا ينتمون إلى قبائل مختلفة، ولماذا استطاع سيدنا أحمد عليه السلام أن يزرع روح المحبة بين المؤمنين به، الذين كانوا

ينتمون إلى بلاد وأديان ولغات وتقاليد مختلفة، بينما لم تنجح دعوات الاتحاد بين الدول، أو حتى في الدولة الواحدة، إلاّ بقوة السلاح أو بحكم القانون الذي تسانده القوة العسكرية؟ والجواب الطبيعي لهذا السؤال هو أن جماعة الأنبياء تقوم على أواصر المحبة والرحمة، وتربط بين قلوب أفرادها روابط الحب والألفة. إن الحب الذي يجمع هؤلاء أقوى من كل أنواع السلاح، وأشد تأثيرا من جميع القوانين، لأن الله تعالى هو الذي يضع بنفسه ذلك الحب في أفئدتهم، وهو الذي يملأ قلوبهم بالمحبة والرحمة. يقول تعالى:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الأنفال:٦٤)

وفي مكان آخر يذكر ﷻ:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:٢٩)

إن هذه الألفة التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين، وهذه الرحمة التي يربط بها الله تعالى بين أفئدتهم، هي التي تجمع بينهم وتُوَحد كلمتهم، وتجعلهم على قلب رجل واحد، إلاّ ما شذ وندر من المنافقين والمتطلعين إلى السُلطة والقيادة، وهؤلاء لا يمكن أن تخلو منهم جماعة حتى ولو كان مؤسسها هو رسول الله نفسه. هكذا كانت دائما جماعة الأنبياء.. يربط بينهم الحب ويجمعهم الوفاء. ويقول تعالى عن أتباع سيدنا عيسى عليه السلام:

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الأِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (الحديد:٢٨)

إن هذه الرأفة والرحمة التي جعلها الله تعالى في قلوب أتباع المسيح الإسرائيلي عليه السلام، هي نفسها التي جعلها سبحانه في قلوب أتباع المسيح الإسلامي عليه السلام. وقد وعد الله تعالى المؤمنين الصادقين الذين يحسنون عمل

الصالحات أن يجعل بينهم محبة وودا. يقول سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم:٩٧)

إن هذه المحبة التي يؤلف الله تعالى بها بين قلوب عباده، وهذه المودة التي يجعلها سبحانه في وجدان المؤمنين به، هي التي تُوحّد بينهم، مهما اختلفت جنسياتهم، ومهما تغايرت ألسنتهم، ومهما تباينت عاداتهم وتقاليدهم.. تماما كما جمعت بين محمد العربي ﷺ، وصُهيب الرومي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي في جماعة المؤمنين الأولى، بينما ظل أبو جهل وأبو لهب في عداء مع رسول الله ﷺ، رغم اتفاق اللسان، وصلات القرابة، وروابط القبيلة.

واليوم.. بعد مرور أكثر من مائة عام على إنشاء الجماعة الإسلامية الأحمدية.. فإننا نرى بوضوح مظاهر هذه الألفة والرحمة والمحبة والمودة، التي تجمع بين قلوب أفراد تلك الجماعة المباركة.

لقد أوقف الكثير من أفراد هذه الجماعة حياتهم لخدمة الدين ورَفع لواء الإسلام ونشره في أنحاء الأرض. وحين أراد إمام الجماعة أن يبعث الدعاة والمبلغين إلى أقاصي الأرض، تسابق المخلصون ليحملوا الأمانة، وبذلك استطاعت الجماعة أن تنشئ المراكز في القارة الأمريكية والأوربية. لقد كان أول مسجد يُبنى في لندن هو المسجد الذي أقامته الجماعة عام ١٩٢٤، وكان أول مسجد يُقام في برلين هو مسجد الجماعة الذي أقامته في أوائل الثلاثينيات، وكان أول مسجد يُقام في فرانكفورت هو مسجد الجماعة، وأول مسجد يُقام في هامبورج هو مسجد الجماعة، وأول مسجد يُقام في كوبنهاجن بالدانمرك هو مسجد الجماعة، وأول مسجد يُقام في جوتنبرج بالسويد هو مسجد الجماعة، وأول مسجد يُقام في أوسلو العاصمة النرويجية هو مسجد الجماعة، وأول مسجد يُقام في زيوريخ بسويسرا هو مسجد الجماعة، وأول مسجد يُقام في هولندا هو مسجد الجماعة، وأول مسجد يقام

في أسبانيا بعد خروج المسلمين منهزمين منذ قرون عديدة هو مسجد الجماعة في بدروآباد بضواحي قرطبة على الطريق السريع الممتد بين قرطبة ومدريد. هذا وقد أعلن إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية في هذا العام الذي تُكتب فيه هذه السطور (١٩٩٧) عن عزم الجماعة لإنشاء المساجد في جميع أنحاء أوربا، خاصة في دول أوربا الشرقية التي تحررت من نير الاتحاد السوفيتي، كما أعلن عن مشروع لإنشاء مائة مسجد في ألمانيا وحدها.

وفي أفريقيا كان المبشرون المسيحيون يجولون في عرض البلاد وطولها، يُنشئون المدارس ولا يسمحون بالتعلم فيها إلاّ لمن دخل في النصرانية، فكان أن بعث الخليفة الثاني للإمام المهدي عليه السلام، في أوائل العشرينيات من هذا القرن إلى أفريقيا غربا وشرقا، وشمالا وجنوبا، بكوكبة من المبشرين الإسلاميين الأحمديين، فتصدوا لدعاة النصرانية، ورفعوا لواء الإسلام، وأدبوا الناس بآداب رسول الله ﷺ، وهذبوهم بهدي القرآن الكريم، وبنوا الآلاف من المساجد، وأقاموا العشرات من المستشفيات والمدارس، واستطاعوا بفضل الله تعالى كسب الملايين من القلوب المخلصة التي دخلت الإسلام، بعد أن كانت قد سقطت فريسة للتبشير المسيحي.

وكان من الطبيعي أن تضطرب القوى التبشيرية في العالم، وكان من المنطقي أن تتوجس قوى التحكم العالمية شرا من قيام جماعة إسلامية لا تدين لها بالولاء، ولا تتسوّل من أصحاب الريالات البترولية أو ممن يملكون الدولارات الخضراء. وشعرت قوى الشر بأن وجود إسلام يخاطب العقل والقلب والوجدان يمثل خطرا شديدا على وجود تلك القوى، التي تسعى لكي تكون صورة الإسلام في العالم صورة مُشوّهة، وتحاول قدر جهدها أن لا يعلم الناس عن الإسلام سوى أنه دين يدعو إلى العنف والإرهاب، أو ينادي بالتخلف ومنع النساء من قيادة السيارات كما يحدث في السعودية، أو يحض على استعباد المرأة، وإغلاق مدارس البنات كما حدث في أفغانستان، تحت

حكم جماعة طالبان، التي ساندها باكستان.. التي تساعدها السعودية.. التي تؤيدها أمريكا. ولذلك.. لم يكن من الغريب أن تتصدى تلك القوى للعمل على وقف نشاط الجماعة الإسلامية الأحمدية ومحاولة القضاء عليها. فأصدروا الفتاوى لتكفيرها، وسنّوا القوانين لوقف نشاطها واعتبارها أقلية غير مسلمة، وأصدرت الحكومة الباكستانية في عهد الدكتاتور ضياء الحق أمرا عسكريا بمعاقبة كل فرد من أفرادها يظهر بأي مظهر إسلامي، حتى ولو استعمل التحية الإسلامية وقال "السلام عليكم"، فإنه يُعرّض نفسه للسجن ثلاث سنوات، وغرامة مالية غير محددة. وقد قُدّم بالفعل بعض أفراد الجماعة للمحاكمة بتهمة ارتكاب هذه الجريمة الخطيرة! بل إنه تم القبض على مئات من أفراد الجماعة، وأودعوا السجون، لا لأي جريمة سوى أنهم يقولون "لا إله إلاّ الله محمد رسول الله". وراح جنود الحكومة بإيعاز من المشائخ ومطالبة من المولويين، يطمسون معالم هذه الكلمة الطيبة من على مساجد الجماعة الإسلامية الأحمدية، ويطلونها بالطلاء الأسود!! وقامت فرق الشرطة والأمن بتفتيش بيوت أفراد الجماعة، لنَزْع هذه الكلمة الطيبة من على جدران بيوتهم!!! وكأننا قد عدنا مرة أخرى لنعيش في عهد الرسول ﷺ عند نزول الإسلام، حينما كان يُعذب المؤمنون بواسطة سادة قريش لقولهم "لا إله إلا الله محمد رسول الله". ورحم الله بلالا.. الذي آذوه وعذبوه، لأنه كان يُصر على نطق هذه الكلمة الطيبة. غير أن هناك فارقا واحدا.. وهو أن أولئك الذين كانوا يضطهدون المسلمين ويعذبونهم، كانوا من المشركين، أما هؤلاء الذين يقومون اليوم بنفس أعمال أولئك المشركين، فإنهم.. ويا للعار.. يدينون بنفس دين الإسلام، الذي يؤمن به وينتمي إليه أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية.

إن جماعة الأنبياء لا بد أن تلقى التعذيب والاضطهاد، ولا بد لها من تقديم التضحيات، ولا بد لها من تحمّل أنواع المرارة وصنوف الآلام. وهي في كل مرحلة من مراحل الابتلاء التي تمر بها تتمسك دائما وأبدا بأهداب الصبر، ولا

تحيد قيد أنملة عن حدود التقوى. إنها لا تنتقم من أولئك الذين يضطهدونها، بل تدعو لهم بالخير والهداية. ولا تكيل الصاع صاعين لمن يُنْزلون بها صنوف الآلام والتعذيب، بل تزيد من سعيها لإيصال الحقيقة إليهم، وتبليغهم بالحق الذي يجهلونه. لذلك.. فإن الابتلاء الذي تتعرض له لا يصيبها بنكسة ولا بضعف، بل يزيدها قوة وحماسا وتقدّما.

والأنبياء الذين يبعثهم الله تعالى لهداية الناس، يسعون بكل طاقتهم، ويبذلون ما في وسعهم من العمل، ويجاهدون بكل ما آتاهم الله تعالى من قوى، لكي يُنشئوا تلك الجماعة المباركة التي سوف تحمل مشعل الهدى والإيمان من بعدهم. إنهم يربّون أفراد جماعتهم على التقوى والإيمان، ويقيمونها على البر والإحسان، ويغذونها بلبن التضحية والإيثار، ويسقونها رحيق الصدق والإخلاص.

هذه هي مهمة الأنبياء.. إنهم ينشئون جماعة من المؤمنين تكون على قدم الصدق من ربها ذي المجد والآلاء، لتضرب أروع الْمُثل في التضحية والفداء، وتستقبل كل أنواع الآلام والشدائد والابتلاء، وتبذل في سبيل ربها الأرواح والنفوس والدماء، وتبلغ في الإيمان والإخلاص كل قمة وعلاء. وحين يُناديها منادي السماء، تلبي من فورها صوت النداء، وتقول سمعنا وأطعنا بغير مراء. لا تخيفها صولة الأعداء، ولا تهاب العواصف الهوجاء، ولا تفتر همتها لطول الليلة الليلاء، ولا تحيد عن الحق إذا طال البلاء، ولا يفُتّ في عزمها انتقاد الجهلاء، ولا يُثنيها سخرية السفهاء، ولا ينال منها التهكم والاستهزاء، ولا يؤثر فيها الشتم والسب والهجاء، ولا يسيئها حملات الزور والبهتان والافتراء، ولا تئن من ثقل حمل الأمانة والأعباء. بل تمشي قُدما بكل وفاء، متخلية عن الثوائر النفسية وعن الأهواء، وراجية من الله حُسن الرجاء، ومتقلبة في أفضال الله وفي النعماء، وباذلة في سبيله كل عطاء، شاكرة لفضله في الخير والسرّاء، وصابرة لقضائه في السوء والضرّاء، لا ترجو من سواه أي أجر أو جزاء، ولا تدين لغيره

بحمد أو ثناء. تسعى إليه سعي الطلباء، وترفع إليه أكُفّ الضراعة والدعاء، تنساب إليه كما ينساب غدير الماء، وتهرع إليه في كل شدة ورخاء. تتخذ من ذكره مشربا عذب السقاء، وتنال من وصاله طعاما نمير الغذاء، وتكتسي بتقواه حُلّة من جميل الكساء.

هذه هي جماعة الرسل والأنبياء، جسد واحد متعدد الأعضاء، لا يُفرّقها اختلاف الآراء، ولا يشتتها تنافس الزعماء، بل يجمعها خالق السماء والغبراء، على طريق الحق والنور والضياء. يهوي إليها كرام الناس من الفضلاء، ويحيد عنها العمي والصمّ من الخبثاء. يُخالفها أهل السوء من الدهماء، ويُعارضها أهل الشر من التعساء، يرجون لها الاندحار والذل والفناء، فيكتب الله لها النصر والعزة والبقاء. يبغضها أهل الظلم والظلماء، ويهواها أهل الخير من النبلاء، ويؤيدها أهل الحق من الشرفاء. ينخرط في سلكها العباد الأتقياء، وتجمع في صفوفها النخبة من النجباء، ويَشرُفُ بها من كان يخشى اللهَ من العلماء. هؤلاء هم زمرة الصلحاء، فاجعلنا يا رب دوما من هؤلاء السعداء، واجعلنا لهم في الجنة من الرفقاء، واكتبنا مع الصديقين والصالحين والشهداء، واغفر لكاتب هذا الإملاء، واجزه من لدنك في الدنيا والآخرة خير الجزاء، بجودك وكرمك يا أكرم الكرماء، وارحمه بفضلك ورحمتك يا أرحم الرحماء، يا محبوبنا.. يا ربنا.. يا ذا الخير والمجد والآلاء.

وآخر دعوانا أن الحمد كله والولاء، لله رب العالمين في الأرض وفي السماء.



❋❋❋❋

المراجع والمصادر

المراجــع والمصادر

- القرآن الكريم
- مجموعة كتب الحديث الشريف لسيدنا رسول الله ﷺ
- مجموعة كتب الخزائن الروحانية، لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام
- "الدعوة إلى الحق"، مرزا بشير الدين محمود أحمد، ١٩٧٥، مطبعة النصرت، ربوة، باكستان
- "الأحمدية.. الإسلام الصحيح"، مرزا بشير الدين محمود أحمد، ١٩٦٥، ربوة، باكستان
- "الأحمدية.. بعث الإسلام"، محمد ظفر الله خان، ١٩٧٨
- "حياة أحمد"، عبد الرحيم درد، ١٩٤٨، لاهور
- "حقيقة ختم النبوة"، الحاج مولانا عطاء الله كليم، ١٩٩٧، قسم النشر بالجماعة الإسلامية الأحمدية، ألمانيا
- "أسئلة معارضي الأحمدية والإجابة عليها"، محمد حميد كوثر، قسم النشر بالجماعة الإسلامية الأحمدية، الكبابير
- "المهدي المنتظر وأدعياء المهدية"، محمد بيومي، ١٩٩٥، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر
- "الفتاوى"، الشيخ محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة
- "مقارنة الأديان"، الدكتور أحمد شلبي، الطبعة الثامنة ١٩٨٤، القاهرة

الفهارس المفصلة

فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
الجمعة	٢-٤	٤، ١٣
الحجرات	١٥	٤-٥
التوبة	٣٣	٩
الأعراف	١٥٩	٩
سبأ	٢٩	١٠
الأنبياء	١٠٨	١٠
الفرقان	٢	١٠
آل عمران	١٣٩	١٠
ص	٨٨	١٠
الحجر	١٠	١٠
البروج	٢٢-٢٣	١٠
الواقعة	٧٨-٧٩	١٠
التوبة	٣٣	١٢
الفتح	٢٩	١٢
الصف	١٠	١٢
الزمر	٧٤	١٣
فاطر	٢٥	١٤
النحل	٣٧	١٤
البقرة	١٣٧	١٤
المائدة	٤	١٥
آل عمران	٢٠، ٨٦	١٥
البقرة	١٣٢- ١٣٣	١٦
المائدة	٤٩	١٦
الجاثية	١٩	١٦
يوسف	١٠٩	١٨
الأنعام	١٥٤	١٨
الطلاق	٤	١٨

الزمر	٣٠	١٤٠
آل عمران	١٤٤	١٤٠
السورة	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
الأنبياء	١٣٤	١٤٢
الأحزاب	٤١	١٤٧-١٤٩
الحج	٤٧	١٥٠
الأحزاب	٧	١٥١
الكوثر	٤	١٥١
الفاتحة	٦	١٥٥
النساء	١٧١-١٧٢	١٥٦
آل عمران	١٩٤	١٥٧
الأعراف	٣٢، ٣٦-٣٧	١٥٨
آل عمران	١٨٠	١٥٨
غافر	٣٥	١٥٩
الجن	٨	١٦٠
الحج	٧٢-٧٧	١٦٠
يونس	٣	١٦١
النحل	٣	١٦١
غافر	١٦	١٦١
هود	١٨، ٢٩، ٦٤	١٦٢
الشمس	٢-٣	١٦٢
المائدة	٤	١٦٤
آل عمران	٨٢-٨٣	١٦٥-١٦٦
الأحزاب	٨-٩	١٦٧-١٦٨
طه	٨٦	١٧٠
الصف	٧	١٨٤
البقرة	٢-٤	١٨٤
هود	٤٦	١٨٦
الفتح	٢٨	١٨٦

يونس	٩٩	٥٨٩
المائدة	٢٢	٥٩١
المائدة	٢٥	٥٩١
المائدة	٢٧	٦٩١
الزمر	٤٣	٦٠٨
المنافقون	١٢	٦٠٨

السورة	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
الحج	٦	٦٠٨
الشورى	٥٠	٦٠٨
المجادلة	٢٢	٦١٠
النور	٥٦	٦١١ -٦١٢
يس	٣١	٦١٣
النمل	١١	٦١٣
غافر	٥٢	٦١٣
البقرة	٢١٥	٦١٤
آل عمران	١١	٦٢٣
آل عمران	١٠٥	٦٣٦
الحج	٣٩	٦٣٩
العنكبوت	٢-٣	٦٤٣
البقرة	١١	٦٤٤
عبس	٢٠	٦٤٨
آل عمران	٨٠	٦٥٥
القلم	٥	٦٥٥
يس	٧	٦٦٨
الشعراء	٢٢٥-٢٢٧	٦٦٨
الشعراء	آخر السورة	٦٦٨
آل عمران	٣٢	٦٧٠
الأنفال	٦٤	٧٠٤
الفتح	٢٩	٧٠٤

فهرس السنين والأحداث

١٨٨٦	يناير (كانون الثاني)، حضرة مرزا غلام أحمد يذهب إلى هوشياربور ليقضي فترة الاعتكاف	٨٩

العام	الأحداث	رقم الصفحة
١٨٨٦	٢٠ فبراير (شباط)، حضرة مرزا غلام أحمد ينتهي من فترة اعتكافه وينشر إعلانا يقول فيه إن الله تعالى شرفه بالوحي وأنبأه بأمور غيبية عديدة	٨٩
١٨٨٦	٢٢ مارس (آذار)، حضرة مرزا غلام أحمد ينشر إعلانا عن تفصيل النبوءة التي تلقاها أثناء اعتكافه في هوشياربور	٩٧
١٨٨٦	٨ أبريل (نيسان)، نشر إعلان عن صفات الابن الموعود له في النبوءة	٩٩
١٨٨٦	أول ديسمبر (كانون الأول)، نشر إعلان للتفريق بين الابن الموعود الذي يأتي ضيفا ثم يرحل، والابن الموعود الذي سوف يكون له شأن عظيم	٩٩
١٨٨٧	٧ أغسطس (آب)، مولد بشير الأول تحقيقا لنبوءة هوشياربور	١٠٠
١٨٨٧	٤ نوفمبر (تشرين الثاني)، وفاة بشير الأول	١٠٠
١٨٨٨	الدكتور جون ألكسندر دوئي ينتقل إلى أمريكا ويصدر بها صحيفة اسمها "أوراق الشفاء"	٣٩٦
١٨٨٨	فبراير (شباط) أو مارس (آذار) الموافق ١٣٠٥ هجريا، حضرة مرزا غلام أحمد يتلقى الأمر من الله تعالى بأخذ البيعة وتأسيس جماعة المؤمنين	١٠٥
١٨٨٨	أول ديسمبر (كانون الأول)، حضرة مرزا غلام أحمد يعلن على الناس أن الله تعالى قد أمرة بقبول البيعة وتكوين جماعة المؤمنين	١٠٨
١٨٨٩	١٢ يناير (كانون الثاني)، نشر إعلان عن حتمية تحقق مولد الإبن الموعود في نبوءة هوشياربور	١٠٠
١٨٨٩	١٢ يناير (كانون الثاني)، حضرة مرزا غلام أحمد يعلن شروط البيعة لمن يرغب في الانضمام إلى جماعة المؤمنين	١٠٨
١٨٨٩	١٢ يناير (كانون الثاني)، مولد مرزا بشير الدين محمود أحمد	١٠٠-٣١٤
١٨٨٩	٢٣ مارس (آذار)، بداية قبول بيعة المبايعين في لدهيانه ومولد الجماعة الإسلامية الأحمدية	١١٠
١٨٩٠- ١٨٩١	حضرة مرزا غلام أحمد يعلن أنه الإمام المهدي والمسيح الموعود	٤٢٥
١٨٩٠	تدوين الكتب الثلاثة "فتح الإسلام" و "توضيح المرام" و "إزالة الأوهام"	١١٧
١٨٩١	نشر الكتب الثلاثة السابقة	١١٧
١٨٩٢	فبراير (شباط)، نشر كتاب مرآة كمالات الإسلام	٣٢٩

١٨٩٧	٦ مارس (آذار)، طعن الBandiyt ليكهرام بطعنات قاتلة	٢٨٩-٣٥٩
١٨٩٧	١٥ مارس (آذار)، سيدنا أحمد الطَّيْكِلاً ينشر إعلانا يتحدى فيه من يتهمه بتدبير مقتل الBandiyt ليكهرام	٣٦٠
١٨٩٧	الإمام المهدي الطَّيْكِلاً يكتب كتاب "أنجام آتهم"	٥٩٤
١٨٩٧	حول منتصف العام، الهندوس والمسيحيون يتحرقون غيظا من سيدنا أحمد	٢٨٩
العام	**الأحداث**	**رقم الصفحة**
١٨٩٧	أول أغسطس (آب)، القس الدكتور هنري مارتن كلارك يتهم سيدنا أحمد بالتآمر على قتله	٢٩٠
١٨٩٧	١٠ أغسطس (آب)، سيدنا أحمد يمثل أمام المحكمة للاستماع إلى شهادته	٢٩١
١٨٩٧	١٣ أغسطس (آب)، المحكمة تكتشف تناقض أقوال الشاهد عبد الحميد	٢٩١
١٨٩٨	٦ فبراير (شباط)، سيدنا أحمد الطَّيْكِلاً يرى ملائكة الله تغرس في البنجاب أشجارا سوداء هي أشجار الطاعون	٤٥٤
١٨٩٩	القس ألفريد ليفروي يشغل وظيفة أسقف لاهور	٢٩٢
١٨٩٩	٢٥ أبريل (نيسان)، نشر كتاب "المسيح الناصري في الهند"	٣٠٢
١٨٩٩	وفاة القس هنري جيمس برنس الذي أعلن أنه الأقنوم الثالث في المسيحية	٣٩٣
١٩٠٠	صاحبزاده سيد عبد اللطيف يرسل عهد البيعة إلى الإمام المهدي الطَّيْكِلاً	٣٧٢
١٩٠٠	١٤ فبراير (شباط)، صحيفة صنداي سيركل البريطانية تنشر التحدّي الذي وجهه المسيح الموعود الطَّيْكِلاً إلى القس جون سميث بيجوت	٣٩٤
١٩٠٠	١١ أبريل (نيسان)، في يوم عيد الأضحى ارتجل الإمام المهدي الطَّيْكِلاً خطبة العيد باللغة العربية وهي الخطبة المعروفة باسم "الخطبة الإلهامية"	٢٦١
١٩٠٠	١٦ مايو (آيار)، وفاة الدكتور هنري مارتن كلارك فجأة	٢٩٢
١٩٠٠	في الربيع وفي الصيف، الأسقف ليفروي يلقي عدة محاضرات يرفع فيها شأن يسوع على الرسول ﷺ وباقي الأنبياء	٢٩٢
١٩٠٠	٢٥ مايو (آيار)، سيدنا أحمد الطَّيْكِلاً يصدر منشورين يرد فيهما على الأسقف ليفروي	٢٩٢
١٩٠٠	١٢ يونيو (حزيران)، الأسقف ليفروي يعتذر عن مناظرة سيدنا أحمد الطَّيْكِلاً	٢٩٤
١٩٠٠	١٠ يوليو (تموز)، خطاب آخر يُوجّه إلى الأسقف ليفروي لعقد المناظرة	٢٩٤
١٩٠٠	١٢ يوليو (تموز)، الأسقف ليفروي يعلن أنه لم يغير موقفه من المناظرة	٢٩٦
١٩٠٠	١٩ يوليو (تموز)، جريدة الديلي تلغراف وصحيفة إنديان سبكتيتور	

العام	الأحداث	رقم الصفحة
١٩٠٨	٢٠ مايو (أيار)، الإمام المهدي ﷺ يتلقى وحيا بأن أجله قد ينتهي في أي وقت	٦٣٠
١٩٠٨	٢٣ مايو (أيار)، الإمام المهدي ﷺ يكتب خطابا إلى جريدة "أخبار عام"	٦٣١
١٩٠٨	٢٥ مايو (أيار)، الإمام المهدي ﷺ ينتهي من تأليف كتاب "رسالة صلح"	٦٣٢
١٩٠٨	مساء ٢٥ مايو (أيار)، المرض يعاود الإمام المهدي ﷺ	٦٣٢
١٩٠٨	٢٦ مايو (آيار)، الإمام المهدي ﷺ ينتقل إلى جوار ربه	١٩١-٦٣٢
١٩٠٨	٢ يونيو (حزيران)، جريدة بدر تنشر كلمة مولانا نور الدين ﷺ يوم اختياره ليكون الخليفة الأول للإمام المهدي ﷺ	٦٣٨
١٩٠٨	٣٠ أغسطس (آب)، جمعية الندوة الهندية تقيم احتفالا من أجل التعبير عن الشكر للحكومة الإنجليزية	٥٢١
١٩٠٨	نوفمبر (تشرين الثاني)، مجلة الندوة تعلن عن إرسال برقية تهنئة للحاكم العام البريطاني	٥٢٢
١٩١٠	نشر كتاب "زعماء البنجاب" في بريطانيا	٣٦
١٩١١	١٩ أكتوبر (تشرين الأول)، المولوي ظفر علي خان ينشر قصيدة يثني فيها على ملك بريطانيا	٥٢٤
١٩١١	١١ نوفمبر (تشرين الثاني)، جريدة زميندار بلاهور تعلن أن المسلمين لا يمكن أن يسيئوا إلى الحكومة البريطانية	٥٢٤
١٩١٣	٦ مارس (آذار)، أحد زعماء الآرياسماج يعلق على اغتيال ليكهرام في الذكرى السادسة عشرة لاغتياله	٣٦١
١٩١٤	اندلاع الحرب العالمية الأولى فجأة التي راح ضحيتها ٨ مليون قتيل	٣٨٦

العام	الأحداث	رقم الصفحة
١٩٣٠	٥ سبتمبر (أيلول)، الشاعر الدكتور محمد إقبال يكتب رسالة بخط يده يعرض فيها على الخليفة الثاني ﷺ أن يكون عضوا في لجنة الدفاع عن حقوق المسلمين في كشمير	٥٤١
١٩٣١	عدد كبير من علماء المسلمين والزعماء السياسيين ينتخبون إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية رئيسا للجنة الدفاع عن حقوق المسلمين في كشمير	٥٤١
١٩٣١	١ أكتوبر (تشرين الأول)، جريدة "ملاب" الناطقة باسم الهندوس تتهم إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية بأنه أسس لجنة الدفاع عن حقوق المسلمين في كشمير من أجل الإطاحة بالحكومة	٥٤٣
١٩٣٦	الحاج عبد الحميد خورشيد أول مصري يزور قاديان	٣٢٢
١٩٤٢	٤ فبراير (شباط)، الإنجليز في مصر يحاصرون قصر الململك ويفرضون عليه قبول وزارة النحاس باشا	٥٥٦
١٩٤٤	٢١ يونيو (حزيران)، جريدة "الفضل" تنشر تصريح الخليفة الثاني ﷺ عند وفاة والده الإمام المهدي ؑ	٦٣٥
١٩٤٦-١٩٤٧	مؤامرة يجري تدبيرها في الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين	٥٤٦
١٩٤٧	٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني)، كان من المقرر التصويت على قرار تقسيم فلسطين، ولكن تأجل التصويت في اللحظة الأخيرة بعد أن ألقى السيد محمد ظفر الله خان خطابه في الأمم المتحدة ضد التقسيم	٥٤٧
١٩٤٧	٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني)، الأمم المتحدة تقر مشروع قرار تقسيم فلسطين	٥٤٧
١٩٤٨	إحدى السفارات الأجنبية في العراق تحاول استغلال السيد على الخياط صاحب جريدة "الأنباء" العراقية ليكتب ضد الجماعة الإسلامية الأحمدية	٥٥٠
١٩٥١	وفاة لاله مالاوامل عن عمر يناهز ٩٥ بعد دعاء حضرة مرزا غلام أحمد	٥٦
١٩٥٢	٢٥ يونيو (حزيران)، جريدة "الزمان" المصرية تشيد بالخدمات التي قدمها السيد محمد ظفر الله خان للعرب والمسلمين	٥٥٣
١٩٥٢	٢٦ يونيو (حزيران)، جريدة "المصري" تنشر مقالا للسيد أحمد أبو الفتح يثني فيه على مواقف السيد محمد ظفر الله خان في الدفاع عن المسلمين	٥٥٣
١٩٥٢	٢٦ يونيو (حزيران)، جريدة "أخبار اليوم" المصرية تعتبر السيد محمد ظفر الله خان رجلا مسلما كامل الإسلام وتثني على مواجهته للاستعمار	٥٥٣
١٩٥٣	اشتعال فتنة كبرى ضد الجماعة الإسلامية الأحمدي في باكستان على أيدي	

فهرس الأشخاص

اسم الشخص	رقم الصفحة

اسم الشخص **رقم الصفحة**

اسم الشخص	رقم الصفحة

اسم الشخص رقم الصفحة

اسم الشخص **رقم الصفحة**

اسم الشخص رقم الصفحة

اسم الشخص رقم الصفحة

اسم الشخص رقم الصفحة

اسم الشخص رقم الصفحة

BLANK

فهرس المطبوعات والكتب والمجلات التي وردت بالكتاب

اسم المطبوعة	رقم الصفحة

فهرس الأماكن والبلاد

اسم المكان	رقم الصفحة

اسم المكان	رقم الصفحة

ملخص فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإسلام والمسلمون

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
اللغة العربية أم اللغات	٢٥٠-٢٥٦
إخبار الله ﷻ إياه بأنها أم اللغات	٢٥٠
إثبات محمد أحمد مظهر بنشوء العديد من اللغات منها	٢٥٠
علّم الله إياه أربعين ألفاً من جذورها في ليلة واحدة	٢٢٦
معجزة تعلمه العربية في ليلة واحدة	٦٦٩-٢١٠
مقدمة "البراهين الأحمدية" بالعربية تقديراً للرسول ﷺ	٧١
نص مقدمة "البراهين الأحمدية" بالعربية	٧١-٧٢
معنى كلمة "عبد" في اللغة العربية	٦٥٤
الخطبة الإلهامية باللغة العربية	
إلقاء الخطبة الإلهامية بالعربية بأمر الله تعالى	٢٦٢
"الخطبة الإلهامية" آية من السماء	٢٦٢
إعجاب سيدنا أحمد عليه السلام بترجمة الخطبة	٢٦١
مقتطفات من "الخطبة الإلهامية"	٢٦٢-٢٧١
شهادات العلماء المسلمين	
شهادة العلماء عن معنى ختم النبوة	
شهادة سيدنا أحمد عن معنى ختم النبوة	١٥٠-١٥٣
شهادة شاه ولي الله الدهلوي عن معنى ختم النبوة	١٧٧
شهادة عبد الوهاب الشعراني عن معنى ختم النبوة	١٧٧
شهادة ملا علي القاري عن معنى ختم النبوة	١٧٧
شهادة محي الدين بن عربي عن معنى ختم النبوة	١٧٦
شهادة عبد الكريم الجيلاني عن معنى ختم النبوة	١٧٧
شهادة الزرقاني عن معنى ختم النبوة	١٧٧
شهادة العلماء عن وفاة المسيح عليه السلام ومعنى رفعه ونزوله	
شهادة محمود شلتوت عن وفاة المسيح	١٢٦-١٤٠
شهادة د. أحمد شلبي عن رفع عيسى	١٣٧
شهادة الألوسي عن معنى الرفع	١٣٩
شهادة الإمام الرازي عن معنى الرفع	١٣٩
شهادة الشيخ المراغي عن معنى الرفع	١٤١

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
شهادة صلاح أبو إسماعيل عن معنى الرفع	١٤٢
شهادة محمد رشيد رضا عن معنى الرفع	١٤٠
شهادة محمود شلتوت عن معنى الرفع	١٢٧-١٢٨
شهادة سيد قطب عن معنى الرفع	١٤٢
شهادة عبد الوهاب النجار عن معنى الرفع	١٤١
شهادة د. أحمد شلبي عن معنى النّزول	١٣٥
شهادة د. أحمد شلبي عن نجاة عيسى ابن مريم	١٣١
شهادة العلماء عن مرزا غلام أحمد عليه السلام	
شهادة محمد حسين البطالوي عن مرزا غلام أحمد عليه السلام	٧٥
شهادة صوفي أحمد جان في كون حضرته عليه السلام مجدد القرن	٧٧
شهادة ميرزا بشير أحمد عن سيدنا أحمد عليه السلام	٦٧١
شهادة مرزا سلطان محمد عن صدق دعوى سيدنا أحمد	٥٨٥
شهادة العلماء عن كتاب "البراهين الأحمدية"	
شهادة صوفي أحمد جان عن كتاب "البراهين الأحمدية"	٧٦
شهادة المولوي محمد شريف عن كتاب "البراهين الأحمدية"	٧٧-٧٨
شهادة محمد حسين البطالوي عن كتاب "البراهين الأحمدية"	٧٤
شهادة "ناراين أجني هوتري" عن بيان المسيح الموعود	٥٨
شهادة العلماء عن الجهاد ضد الإنجليز	
شهادة البطالوي في الجهاد ضد الإنجليز	٥٠١-٥٠٢
شهادة الجنفوري في الجهاد ضد الإنجليز	٥٠٢
شهادة السير أمير علي في الجهاد ضد الإنجليز	٥٠٢
شهادة مسلم من كشمير	٥٤٢
شهادة عبد المجيد سالك عن خدمات الأحمدية في كشمير	٥٤٣
شهادتان على خدمات الجماعة الإسلامية الأحمدية في الهند	٥٣٨
شهادة علي الخياط عن إثارة الفتن ضد الأحمديين	٥٤٩
شهادة صحيفة هيرالد أوف بوستن عن وفاة دوئي	٤٠٥
شهادة جريدة على انتصار سيدنا أحمد مقابل دوئي	٤٠٥
شهادة جريدة "مشرق" عن ثناء الله الأمرتسري	٥٩٣

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
	٤٠٥

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة

المسيح الناصري عليه السلام

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة

نظام الوصية ومقبرة الجنة

الفهـرس

الموضـــوع **رقم الصفحة**